تفسير التابعين

عرض ودراسة مقارنة

تأليف

د / محمد بن عبد الله بن علي الخضيري

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

المجلد الأول

دار الوطن للنشر

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

دار الوطن للنشر الرياض - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٢٣٩٤١ - ص.ب: ٣٣١٠ - الرمز البريدي: ١١٤٧١

- البريد الالكتروني: pop@dar-alwatan.com
- موقعنا على الانترنت: www.dar-alwatan.com
- التوزيع بجمهورية مصر العربية ت: ٠١٠١٤٦٠٨٦١ محمول

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وقل رب زدني علما﴾

كلمة الناشر

تميزت هذه الرسالة بكثرة النتائج والاعتماد على الدراسات الإحصائية التي قلَّ أن توجد في الدراسات الشرعية المماثلة، ولذا يجد القارئ لهذه الرسالة العلمية فهرسًا خاصًا في آخر الكتاب لنتائج البحث، زاد عدد هذه الفوائد والنتائج على أربعمائة فائدة ونتيجة لم يسبق الباحث لكثير منها.

هذا الكتاب:

رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ كلية أصول الدين ـ قسم القرآن وعلومه.

وكانت هذه الرسالة تحت إشراف فضيلة الدكتور: سعود بن عبد الله الفنيسان.

وقد منح صاحبها درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف... والإيصاء بطباعتها والتبادل مع الجامعات الأخرى.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3].

الحمد لله الذي شرفنا على الأمم بالقرآن المجيد، ودعا فيه إلى الأمر الرشيد، وقوم به نفوسنا بين الوعد والوعيد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أحمده على التوفيق للتحميد، وأشكره على الإتمام والتسديد، وأسأله من فضله المزيد.

أما بعد: فإن للمعارف على تعدد أنواعها، واختلاف مشاربها فوائد لا تجحد، وثمرات لا تنكر، وأهم ذلك وأشرفه ما قرَّب العبد إلى مولاه، وكان سببًا في نيل رضاه.

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٠٢).

(٢) سورة النساء: آية (١).

(٣) سورة الأحزاب: آية (٧٠، ٧١).

وإن أولى ما صرفت فيه الأوقات والسنون، وكدت فيه العقول والفهوم، علم كتاب الله المصون، الذي هو حبل الله المتين، والسراج المبين، من تمسك به هُدي، ومن اهتدى بنوره رَشَد.

ولقد منَّ الله عليَّ بدراستي هذا العلم الشريف، علم التفسير، وأصبح لديَّ ممارسة واشتغال بكتبه، ومؤلفاته، وذلك منذ أن وُفقت إلى اختيار قسم القرآن وعلومه أولاً، ثم بعد اختيار دراسة تفسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثانيًا، والذي عشت فيه مرحلة الماجستير، وانتهيت منه بحمد الله، ولقد دار في ذهني منذ ذلكم الوقت، أن أجعل موضوع الدكتوراه في نفس المسيرة المباركة مع تفسير مناهج الأصحاب، لأستنير بأقوالهم، وأدرس طرائقهم، فوجدت أحد الباحثين الفضلاء قد سبقني إليه[1]، وما زالت الفكرة تعتلج في خاطري، وتختلج في نفسي، فسكنت النفس بعد، واستقر الاختيار على موضوع مقارب سميته: تفسير التابعين عرض ودراسة.

أهمية الموضوع:

أوجد الله في هذه الأمة رجالاً، وقفوا حياتهم لحفظ شريعة ربهم، والذود عنها، فدأبوا على ذلك زمانهم، واستفرغوا فيه جهدهم، فحفظت بهم الرسالة، حتى وصلت كما أنزلها الله تعالى، لا اعوجاج فيها ولا انحراف؛ فهم دعامتها وحماتها، ولم يكن لهم غاية من ذلك إلا ابتغاء رضوان الله تعالى، فرضي الله عنهم، وبلّغهم مناهم.

ولذا كان من الواجب علينا أن نعرف سيرتهم، ونقف على مسالكهم، وننظر في آرائهم، فننهل من معينهم الصافي الذي لا كدر فيه، وننهل من زلال نبعهم الفيّاض الذي لم تشبه شائبة، فهم خير القرون بعد قرن الرسول ﷺ، وأصحابه الكرام، يقول

(١) هو الباحث ناصر بن محمد الحميد في رسالته المسماة (التفسير في عهد الصحابة).

الحق سبحانه: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عند هذه الآية: فجعل التابعين لهم بإحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان والجنة، وقد قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[4].

فمن اتبع السابقين الأولين كان منهم. وهو خير الناس بعد الأنبياء، فإن أمة محمد خير أمة أخرجت للناس، وأولئك خير أمة محمد، كما ثبت في الصحاح من غير وجه أن النبي ﷺ قال: «**خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[5]، ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم خيراً وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله، كالتفسير، وأصول الدين، وفروعه، والزهد، والعبادة، والأخلاق، والجهاد، وغير ذلك.

---

(١) سورة التوبة: آية (١٠٠).

(٢) سورة الأنفال: آية (٧٥).

(٣) سورة الحشر: آية (١٠).

(٤) سورة الجمعة: آية (٣).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد (٣/ ١٥١)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة (٤/ ١٩٦٤)، والترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في القرن الثالث (٤/ ٥٠٠)، والنسائي في سننه (٧/ ١٧٠)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ١٥١).

فإنهم أفضل ممن بعدهم، كما دل عليه الكتاب، والسنة، فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم؛ وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصومًا، وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم، فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم. ولا يحكم بخطأ قول من أقوالهم، حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه. قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[1].

دواعي اختيار الموضوع:

١ ـ حملت لنا تلك الحقبة الزمنية خيرة من المفسرين، فرغبت في دراسة مناهجهم؛ للتعرف على مسالكهم، فهم الذين ذلّلوا هذا الطريق، وتركوا فيه معالم خير وهدى للسالكين.

فأردت أن أقتبس من أنوارهم، وأقتطف من أزهارهم، وألقط من نثارهم، وأقيد من شواردهم، وأنتقي من فرائدهم، وأنظر في مسالكهم، وأقفوا آثارهم، لتكون اللبنة الأولى في تسهيل الطريق أمامي لمعرفة كتاب الله، وضبط خطاي على أصول علمية دقيقة أتأسى فيه بذلك الجيل، فقرأت تراثهم مرات ومرات، وأعدت النظر في منتقاه كرات.

٢ ـ سعة الموضوع، وتنوع مباحثه، وتعدد مداخله، وتداخل علومه، مما يتيح لي فرصة الوقوف على جل علوم القرآن الكريم، والرجوع إلى أمهات كتب التفسير، والاطلاع على أهم مصادر علوم القرآن، والمقارنة بين تفاسير الأئمة، والوقوف على أقوالهم، ورصد مناهجهم المختلفة لاختلاف مداركهم ومفهومهم؛ فإن لكل واحد منهم وزنه وقدره.

---

(١) سورة النساء: آية (٥٩)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٢٣ ـ ٢٥).

٣ ـ طرافة الموضوع وجدته، فإنه لم يتعرض للخوض فيه إلا النزر القليل، على أن من تعرض له نأى بنفسه عن الغوص في أهم مزية في الموضوع، وهي عقد المقارنات، وبيان أوجه الاختلاف، والاتفاق.

فكان من الأسباب: عدمُ إفراد هذا التفسير بدراسة مستقلة من قبل الباحثين المعاصرين، فأردت أن أشارك بجهد المقل، وأسهم في خدمة تاريخ التفسير، فكانت هذه الدراسة.

منهج البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن يقسم إلى: تمهيد وأربعة أبواب، وخاتمة.

أما التمهيد: فقد بينت فيه بإيجاز ما يلي:

١ ـ مفهوم التفسير بالمأثور عند أهل اللغة، والاصطلاح.

٢ ـ التفسير في مراحله الأولى.

أما الباب الأول: فقد تحدثت فيه عن مدخل إلى تفسير التابعين وضمنته فصلين:

الفصل الأول: بينت فيه المراد بالتابعي، وحكم تفسيره.

الفصل الثاني: تكلمت فيه عن مصادر تفسير التابعين، وكان الحديث فيه عن نوعين من المصادر هما:

١ ـ كتب السنن، والآثار، وقد أشرت فيه بإيجاز إلى نماذج لأهمها.

٢ ـ كتب التفسير بالمأثور، وقد ذكرت كثيراً من كتب التفسير المصنفة وبيان مدى عنايتها بتفسير التابعين.

أما الباب الثاني: فتناولت فيه بالتفصيل مدارس التفسير في عصر التابعين، وخصائص تلك المدارس، وقسمته إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ترجمت فيه لأشهر رجال مدارس التفسير في عصر التابعين، وتوسعت في بيان أهم المعالم، والسمات المتعلقة بكل مفسر من حيث كونه مفسراً.

الفصل الثاني: خصصته للحديث عن المدارس التالية:

١ ـ المدرسة المكية.

٢ ـ المدرسة البصرية.

٣ ـ المدرسة المدنية.

٤ ـ المدرسة الكوفية.

وختمت الفصل بإشارة موجزة للتفسير في الشام، واليمن، ومصر.

الفصل الثالث: فقد عقدته لدراسة خصائص التفسير في تلك المدارس.

أما الباب الثالث: فقد عقدته لبيان مصادر التابعين ومناهجهم في التفسير، وفيه فصلان:

الفصل الأول: مصادر التابعين في التفسير، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: القرآن الكريم.

المبحث الثاني: السنة النبوية.

المبحث الثالث: أقوال الصحابة.

المبحث الرابع: اللغة العربية.

المبحث الخامس: الاجتهاد.

الفصل الثاني: منهج التابعين في التفسير، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: منهجهم في القراءات.

المبحث الثاني: منهجهم في آيات الاعتقاد.

المبحث الثالث: منهجهم في استنباط آيات الأحكام.

المبحث الرابع: منهجهم في تلقي ورواية الإسرائيليات.

أما الباب الرابع : فقد خصصته لبيان قيمة تفسير التابعين، وأثره، وتوزع هذا على ثلاثة فصول هي :

الفصل الأول : قيمة تفسير التابعين رواية .

الفصل الثاني : قيمة تفسير التابعين دراية، وتناولت هذا الفصل في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نوع الاختلاف بين مفسري التابعين .

المبحث الثاني : مميزات تفسير التابعين .

المبحث الثالث : منزلة تفسير التابعين عند العلماء .

الفصل الثالث : أثر التابعين في التفسير وأصوله، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أثر التابعين في كتب التفسير عند أهل السنة وغيرهم .

المبحث الثاني : أثر التابعين في كتب أصول التفسير .

أما الخاتمة : فقد ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث .

وكنت قبل تسجيل الموضوع أحسب أن الأمر سهل المنال، قريب المدرك، لا سيما أن تفاسير مشاهير التابعين قد جُمِعَ جُلُّها في رسائل علمية، فقدرت أن هذا يسهل المهمة، ويقصر عمل الباحث على جمع المتفرق وترتيبه وتبويبه، وقد حاولت الاستفادة من هذه الرسائل في تسهيل مهمة الجمع[1] فتعذر ذلك لأسباب منها :

---

(١) رجعت إلى الرسائل العلمية التالية : «مجاهد بن جبر ومنهجه في التفسير» للباحثة جميلة الغزاني، و«عطاء بن أبي رباح وجهوده في التفسير» للباحث عبد الواحد بكر إبراهيم عايد، و«كعب الأحبار مروياته وأقواله في التفسير» للباحث يوسف العامري، و«إبراهيم النخعي وآثاره الواردة في تفسير سورة الفاتحة، والبقرة، وآل عمران» للباحثة نوال اللهيبي، و«آراء إبراهيم النخعي التفسيرية من سورة النساء إلى آخر القرآن» للباحث عبد الرحمن أحمد الخريصي، و«تفسير محمد بن كعب القرظي، من سورة الفاتحة حتى نهاية سورة الناس» للباحث محمد أيوب محمد يوسف، ورسالة «قتادة السدوسي وتفسيره، من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة النحل» للباحث عمر يوسف محمد كمال، و«تفسير سعيد بن جبير» للباحث محمد أيوب محمد يوسف، و«مرويات الحسن البصري في القرآن من أول سورة الإسراء إلى =

١ ـ أن الباحثين يختلفون في إيرادهم، ومناهجهم، وقدرة تتبعهم، واستقصائهم؛ فمنهم سابق في هذا الباب، ومنهم مقتصد، وآخر مُقصر، فخشيت إن اعتمدت ذلك أن يحصل الخلل والزلل، والتفاوت في الاستقصاء تبعًا لما سبق.

٢ ـ تبين لي أن معظم الباحثين إنما كان جل همهم، وغاية جهدهم، جمع المروي وتحقيقه، وبعد الانتهاء يورد خلاصة في مقدمة بحثه أو خاتمته، ذاكرًا فيها ترجمة المُفَسر، وساردًا نماذج من مصادر التفسير التي استعان بها، وقلَّ من عقد موازنة، ودرس دراسة تحليل وتدقيق.

٣ ـ أن هذه الرسائل كانت ـ وما زالت ـ حبيسة الأدراج، ويصعب حصرها لكثرتها، وتعدد مراكز البحث الجامعة لها.

ولما لم أجد طلبتي في تلك المصادر، اتجهت إلى كتب علوم القرآن ومناهج المفسرين، مفتشًا فيها، ومراجعًا لها، لعلي أجد ما يُيسر الأمر ويعين عليه، فلم أجد من تعرض فيها لتفسيرهم، وتحدث عن مناهجهم، فانتقلت بعد هذا كله إلى الأخذ من تفاسيرهم، والنقل عنها مباشرة، ومن هنا بدأ عملي، وقد جعلته على مراحل.

المرحلة الأولى:

استعنت بالله على جمع الأقوال من موسوعة واحدة ذات منهج في الإيراد، والاستيعاب في هذا الباب، فاخترت أوسع كتب التفسير بالأثر، جامع البيان لإمام المفسرين محمد بن جرير الطبري، وبدأت في استقرائه أثرًا أثرًا، أخرج تفسير كل إمام بمفرده.

= آخر سورة الناس» للباحث شير علي شاه، و«تفسير عكرمة جمعًا ودراسة من أول سورة الروم إلى آخر القرآن الكريم» للباحث سليمان الصغير، و«تفسير عكرمة من أول القرآن إلى آخر سورة الأنفال» للباحث عبد اللطيف هائل، و«تفسير الربيع بن أنس جمعًا وتحقيقًا» للباحث عبد الرحمن العبادي، و«مرويات زيد بن أسلم في التفسير» للباحث صلاح الدين زيطرة، وغيرها من الرسائل.

ثم لاح لي أن أضيف إلى ذلك الإحصاء جمع تفسير مشاهير الصحابة كابن عباس، وابن مسعود، وغيرهم من الصحابة، وزدت على ذلك استخراج تفسير مشاهير أتباع التابعين: كالضحاك، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وذلك لتمييز مدارس المفسرين ومعرفة طبقاتهم في القرون المفضلة، وبيان خصائص كل مدرسة مع إبراز منزلة تفسير التابعين.

المرحلة الثانية:

قمت بعد استخراجي لكل أثر جاهداً في تصنيفه وتبويبه، فما كان منه في تفسير القرآن بالقرآن بينته، وما كان منه في بيان القرآن بالسنة وضحته، وكذا ما كان بقول الصاحب، وما جاء من ذلك في أسباب النزول، أو الرواية عن أهل الكتاب، أو الاعتماد على لغة العرب، أو بيان مشكل، أو حكم فقهي، إلى غير ذلك من الأنواع، مع الإشارة عند كل أثر إلى من رواه، وبيان المكرر من الروايات.

وبعد هذا قمت بجمع ما تحصل من تلك الأنواع، وبأي الأبواب كانت عناية ذلك التابعي، وكثرة درايته.

وحرصاً على تأكيد ما توصلت إليه في ذلك الجمع عكفت على دراسة الكتب المصنفة في أبواب مفردة في علوم القرآن، كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وكتب المبهمات والمعرب في القرآن وغيره، فسجلت ما تعلق بكل نوع منها، ومَنْ أكثر التابعين تعرضاً لهذه الأنواع:

وقد استغرق العمل في هاتين المرحلتين حولين كاملين، وقاربت الأوراق التي جمعت فيها تلك التفاسير وصنفت خمسة آلاف ورقة، كل ذلك بعد تتبع دقيق لما يقارب أربعين ألف أثر عند ابن جرير.

المرحلة الثالثة :

لما انتهيت من الجمع، والتصنيف، بدأت بكتب التراجم والتواريخ والعلل، ومعرفة الرجال، وطالعت جُلها قدر استطاعتي، فأحفاني وأجهدني التتبع والتنقيب حرصًا على الاستعانة بأقوال الأئمة والاستئناس بآرائهم لمعرفة بعض مناهج الرجال وأحوالهم.

المرحلة الرابعة :

وهي مرحلة الموازنة والمقارنة، فبعد الانتهاء من المراحل السابقة اجتمع لي الشيء الكثير الطيب، فاستعنت بالله، وبدأت في المقارنة؛ حيث اقتضى مني ذلك أن أوازن بين تفسير كل إمام وآخر، وقد كان العمل في ذلك شاقًا وممتعًا في الوقت نفسه، ويحسن بي أن أورد شيئًا منه: فقد عمدت إلى كل تابعي، وقارنت نسب ما أحصيته في كل نوع من الأنواع المذكورة في المرحلة الثانية مع نسب المروي عن التابعي الآخر، فتحصل عندي ميزان راجح، ونتائج دقيقة عن معالم تفسير كل تابعي.

وبعد الانتهاء من المقارنة بين مشاهير التابعين، حرصت على إتمام ذلك أيضًا بالنسبة للمدارس؛ حيث أسندت تفسير كل تابعي إلى مدرسته، فتجمع لدي في كل مدرسة عدة أئمة يشكلون ملامح تلك المدرسة، ثم قمت بعد ذلك بالعمل نفسه، من حيث نسبة رواية كل مدرسة، وبروزها، وبأي نوع كان؟ ومصادرها، وفي أي الأبواب كانت عنايتها؟ والحق أني حسبت الأمر سهلاً، إلا إنه كان غير ذلك، ويمكن تلخيص الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث في عدة نقاط:

١ ـ جدة الموضوع، فمثل هذا البحث لم يطرق بالبحث والدرس فيما أعلم، ولم أجد مَنْ درس وقارن، كما أني لم أجد دراسات مفردة لتلك المدارس، وأغلب ما رأيته مسطوراً في هذا الباب دراسات وصفية تهتم بالجمع وتحقيقه دون عناية بالمقارنات،

والموازنات.

٢ ـ كثرة الآثار وغزارة المادة العلمية، فقد استدعى البحث (في غير تفسير ابن جرير الطبري) مسحًا شاملاً لكتب التفسير بالمأثور كتفسير عبد الرزاق، والثوري، وسعيد بن منصور، وابن الجوزي، وابن كثير، والسيوطي. . وغيرها، ومراجعة كتب علوم القرآن، ومناهج المفسرين، كما أفدت من كتب غريب الحديث، واللغة وغيرها من كتب السنة.

وأتاح لي العمل في البحث أن استقصي كتب التراجم، والسير فقد طالعت كثيراً من التراجم فيها، كما نقبت في كتب العلل ومعرفة الرجال التي أفادتني كثيراً في بيان مسلك بعض الأئمة، ومناهجهم.

٣ ـ طول البحث وتشعبه، فقد أضناني ذلك الكم الهائل من الأقوال والآثار، مما جعلني أتحير في الاختيار والانتقاء.

٤ ـ صعوبة الاستقراء، إذ إن بعض الآثار يكتنفها الغموض، فتحتاج إلى تأمل ونظر، ثم إن بعضها الآخر لطوله، تتداخل فيه العديد من الأنواع.

٥ ـ ومما زاد في صعوبة البحث: كثرة النتائج التي توصلت إليها، والتي قد يوافق الباحث عليها، وقد يخالف، فحرصت على كثرة الاستدلال، وألا أدوّن ملحوظة، أو نتيجة إلا بعد التحري، والاستقراء والمتابعة، وقد انكشف الغطاء عن كثير من مناهجهم بهذه المقارنات، ولاح الفرق بين مسالكهم، فوقفت على حقيقة الأمر في كثير من المسالك، وتذلل ما كان وعراً، وسهل ما كان حزنًا، فاستوى المسلك، وانقاد ما صعب من الأمر وتيسر.

وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها:

أولاً: تبين لي أن هناك ميلاً إلى التخصص في عموم المدارس التفسيرية، وكذا

خصوص الأفراد، أما من حيث العموم فقد تخصصت المدرسة المدنية بالعلم بالسير، والأخبار، ورواية الأحاديث، والسنن؛ وذلك لأن النبي ﷺ عاش بين ظهرانيهم، فنقل الصحابة ومن جاء بعدهم كابراً عن كابر ما تعلق به من سيرة وطرائق.

وبلغت المدرسة المكية شأواً بعيداً في تتبع مسائل الحج، ودراسة آيات الأحكام الخاصة به؛ نظراً لقربهم من المشاعر، وكثرة سؤال الوافدين عنها.

كما اشتهرت المدرسة البصرية باللغة، والفصاحة، ومعرفة الغريب؛ لوقوعها على حدود البادية، ووفرة القادمين إليها من الموالي الذين يفشو اللحن في ألسنتهم، فهدوا إلى حفظ اللغة العربية من اللحن بالسبق في تدوينها.

أما المدرسة الكوفية فقد تخصصت في استنباط آيات الأحكام والإكثار منها، بينما عنيت مدرسة الشام بأحكام الجهاد؛ لأنهم أهل غزو وجهاد.

وأما من حيث خصوص الأفراد؛ فوجدت أن مجاهداً قد تخصص وتفرغ لعلم القرآن، حتى بلغ فيه الغاية، ولم يقاربه أحد في كثرة المروي من التفسير[1].

وغلب الوعظ والتوجيه على تفسير الحسن البصري، حتى إنه ربما خالف الظاهر من النص القرآن منفرداً من بين التابعين بتأويل يوافق مشربه[2].

وأما ابن المسيب فقد عني بآيات الأحكام، وبوجه أخص ما تعلق منها بمسائل

---

(١) حيث بلغ عدد المروي عنه في تفسير الطبري (٦١٠٩) أقوال، وكان يقول: استفرغ علمي القرآن.

(٢) نص على ذلك الأوزاعي، وغيره؛ حيث قال: ذهب عليهم الحسن بالمواعظ، ومن الآيات التي أولها لأجل ذلك، ما جاء عند قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ قال ـ رحمه الله ـ: كان الرجلان من بني إسرائيل، ولم يكونا ابني آدم لصلبه، وعند قوله سبحانه: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾: كان الحسن يحلف أنه ليس ابنه لصلبه. وغيرها من الأمثلة تراجع في موضعها من ترجمة الحسن ص (٢٣٠).

الطلاق[١] .

وإذا جئنا إلى عطاء ألفيناه إمامًا في فقه المناسك، وشاهد ذلك وفرة المروي عنه فيها[٢] .

ثانيًا: تميز بعض التابعين بالبروز في أصل من أصول التفسير، فأكثر من الاعتماد عليه.

فهذا عكرمة فاق غيره من التابعين في رواية أسباب النزول[٣] ، وكان لمجاهد قصب السبق في التعرض لمشكل القرآن[٤] .

وأما تفسير القرآن بالسنة فقد أكثر فيه قتادة، والحسن، وسبقا غيرهما فيه[٥] .

---

(١) ذكر الأئمة أن سعيدًا من أعلم التابعين بالطلاق، وبعد رجوعي لتفسيره وجدت أن ما يزيد على ثلث تفسيره كان حول آيات الأحكام، وكان نصيب مسائل الطلاق وأحكام النكاح النصيب الأوفى؛ حيث بلغ (٧٠ , ٠) من مجموع تلك الروايات.

(٢) كانت حال عطاء قريبة مما ذكر عن حال سعيد بن المسيب؛ فعطاء اشتغل في تفسيره كثيرًا بتأويل آيات الأحكام، وخصوصًا ما تعلق بأحكام المناسك، وكان الأوزاعي يقول: ذهب عليهم عطاء بالمناسك، والمروي عنه في تأويل آيات الأحكام بلغ (٣٣ , ٠) من مجموع تفسيره ، (٦٠ , ٠) منها في تأويل آيات الحج.

(٣) هو أكثر التابعين على الإطلاق اعتمادًا على أسباب النزول في تفسيره؛ حيث بلغ نسبة إيراده للأسباب في تفسيره (١٤ , ٠) في حين كانت نسبة المروي عن ابن جبير وقتادة (٠٧ , ٠) من مجموع تفسيرهما، ولم تزد هذه النسبة عند مجاهد وعطاء عن (٠٥ , ٠)، وعند الحسن عن (٠٣ , ٠) من مجموع تفسيرهم.

(٤) اتضح لي هذا بعد مراجعة الآيات المشكلة في ظاهرها، فوجدت أكثر من تعرض لها بالبيان والتفسير مجاهدًا، ورجعت إلى من كتب في المشكل كابن قتيبة فوجدت ما يؤيد الذي توصلت إليه.

(٥) بعد مراجعة تفسير الطبري وجدت أن قتادة اعتمد على التفسير النبوي في (٢٠٠) موضع من تفسيره، وجاء بعده الحسن؛ حيث قال بالتفسير النبوي في (٨١) موضعًا من تفسيره.
بينما نجد مجاهدًا اعتمد التفسير النبوي في (٢٥) موضعًا فقط، وعكرمة في (٩) مواضع، وابن جبير في (٢٢) موضعًا، وعطاء في (١٠) مواضع . . .
=

وتميز الشعبي بالاعتماد على أقوال الصحابة في تفسيره[١] .

كما برز إبراهيم النخعي في القدرة على استنباط الحكم الفقهي من الآية، وأكثر من ذلك[٢] .

ثالثًا: ظهرت لي نتيجة مهمة، أحسب أني لم أسبق إليها، وهي أن هناك إغفالاً كبيرًا غير مُتعمد لفضل المدرسة البصرية في التفسير وسبقها، مع أن نسبة المروي عنها يفوق كثيرًا ما جاء عن المدرسة الكوفية التي يستروح المصنفون في علوم القرآن بإيرادها في مقدمة المدارس بعد المكية[٣] .

رابعًا: لاح لي أن المشيخة العلمية أبلغ أثرًا في بعض التابعين من البيئة المكانية التي عاشوا فيها، فهذا أبو العالية (مثلاً) بصري المولد والمربي، ومع ذلك فهو مكي المنهج والمسلك، ومثله سعيد بن جبير الذي عاش زمنًا طويلاً في الكوفة، لكنه مكي المشرب،

= وخلاصة القول أن مجموع ما روي عن قتادة والحسن بلغ (٠,٧٠) من مجموع ما روي عن التابعين.

(١) كان الشعبي أكثر التابعين اعتمادًا على أقوال الصحابة في تفسيره؛ حيث بلغ نسبة ما روى عنهم (٠,٠٥) من مجموع تفسيره، في حين كان الذي يليه من مشاهير مفسري التابعين إبراهيم النخعي، فقد بلغ نسبة ما روى عنهم في هذا (٠,٠٢٣) من مجموع تفسيره، وغيرهم من التابعين دونهم في ذلك.

(٢) إبراهيم النخعي كان أكثر التابعين (على الإطلاق) تعرضًا لتأويل آيات الأحكام؛ حيث بلغ نسبة المروي عنه (٠,٣٨) من مجموع تفسيره.

(٣) وجدت كثيرًا ممن صنف في علوم القرآن عند تعرضهم للمدارس يذكرون مدرسة مكة ثم الكوفة فالمدينة، وقلَّ منهم من أفرد مدرسة البصرة بالذكر، مع أني بعد تتبعي لعدد المروي عن الجميع تبين لي أن المروي عن المدرسة المكية بلغ (٠,٤٦) من مجموع تفسير التابعين، وعن المدرسة البصرية بلغ (٠,٣٨)، وعن الكوفية (٠,١٤)، وعن المدرسة المدنية (٠,٠٢) من مجموع تفسيرهم.
وجلي من هذه النسب تفوق المدرسة البصرية على الكوفية.

والطريقة، وكلاهما ممن تتلمذ على يد حبر الأمة ابن عباس ـ رضي الله عنهما[١] ..

خامسًا: قد انكشف لي أن بعض التابعين ليس له في التفسير من أثر إلا العناية بالرواية عن شيوخه، ومن أبرز هؤلاء: الربيع بن أنس الذي نقل جل تفسيره عن شيخه أبي العالية، ولم يجاوزه، ومثله السدي الذي قال بقول ابن عباس ورواه ولم يتعداه[٢].

سادسًا: لاحظت اهتمام مفسري الأثر من الأئمة بإيراد أقوال التابعين أكثر من غيرهم، حتى إن كثيراً منهم ـ كان معظم ما رواه هو من أقوالهم[٣].

سابعًا: تتبعت أسانيد الروايات المأثورة عن الرسول ﷺ، وعن مشاهير الصحابة، وعن التابعين وأتباعهم، فوجدت أن أقوى الأسانيد وأصحها ما جاء عن التابعين كمجاهد، وقتادة[٤].

ثامنًا: ويجدر بي أن أذكر أن هناك نتائج مهمة أخرى وقفت عليها من خلال البحث أشير إليها إشارة سريعة، منها: أن التقارب المكاني بين البصرة والكوفة لم يكن

---

(١) انظر تفصيل هذا المبحث في فصل أشهر رجال مدارس التفسير عند ترجمة أبي العالية ص(٢٨٨)، وسعيد بن جبير ص (١٣٧)، والسدي ص (٢٩٩).

(٢) يأتي بيان ذلك مفصلاً عند الحديث عن تلاميذ المدرسة البصرية.

(٣) فهذا سفيان الثوري اعتمد على تفسير التابعين في أكثر من (٥٦, ٠) من مجموع تفسيره، وهذا عبد الرزاق الصنعاني أكثر من النقل والرواية عنهم حتى إن تفسيرهم بلغ ما يزيد على (٦٥, ٠) من مجموع تفسيره.
وكان جل المأثور عند ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم في تفسيرهما هو من أقوال التابعين؛ حيث زادت نسبة ما جاء من روايتهم عن (٦٠, ٠) من مجموع تفسيرهما.

(٤) فالطريق إلى مجاهد وقتادة ـ وهما من أكثر التابعين تعرضًا للتفسير؛ حيث زاد مجموع ما جاء عنهما عند الطبري على (١١٤٨٨)، رواية ـ أقوى سنداً من المروي عن ابن عباس، وهو من أكثر الصحابة تفسيراً؛ إذ بلغ مجموع ما جاء عنه في تفسير الطبري (٥٨٠٩) رواية، وسوف يأتي تفصيل ذلك في مبحث قيمة المروي عنهم رواية ص (٩١٨).

له كبير أثر في التقارب المنهجي؛ فالكوفة تأثرت بالمدرسة المكية، وكان بينهما شيء من التجانس والاتفاق في كثير من المسائل، في حين كانت المدرسة البصرية إلى المدرسة المدنية أقرب[١].

ومن تلك النتائج: أن الورع الذي غلب على مدرستي المدينة والكوفة كان سببًا رئيسًا في إقلالهما في باب التفسير، وهذا ما يجده المراجع لكتب التفسير، وفضائل القرآن؛ حيث كان غالب المنقول في التحذير عن التفسير، والأمر بالإقلال منه عن التابعين من الكوفيين والمدنيين[٢]، وجاء شاهده من واقعهم؛ حيث لم يرد عنهم إلا القليل من الروايات في التفسير.

تنبيهات متممة للمنهج:

١ ـ نظرًا لكثرة الأعلام الواردة في الرسالة، فإني رأيت أن تكون التراجم في فهرس خاص في آخر الرسالة، عدا نذر قليل قد ترجم لهم خلال البحث.

٢ ـ اعتمدت تفسير الطبري بطبعتيه. فما ذكرت منه رقم الجزء والصفحة والأثر فهو من النسخة التي حققها الشيخان أحمد ومحمد شاكر، وما اكتفيت فيه بذكر الجزء والصفحة، فهو مما بقي من الأجزاء طبعة مصطفى البابي الحلبي.

٣ ـ اعتمدت في نقلي للأمثلة على ما رواه الأئمة في كتب التفسير موثقًا النص بالإحالة إلى كتاب من كتب التفسير، وأكتفي بالإحالة إلا إذا نُصّ على ضعفه فأبينه.

٤ ـ اختصرت أسماء بعض المراجع المشهورة، اكتفاء بالتفصيل الوارد في ثبت المراجع.

---

(١) يُنظر تفصيل ذلك في مبحث: المدرسة المدنية، وأثرها ص (٥٢٠).

(٢) يُنظر بيان ذلك في مبحث: المدرسة الكوفية والمدنية وأسباب إقلالهما في التفسير ص (٤٩٢)، وص (٥١٦).

ومع هذا الجهد المضني في الجمع، والتثبت، والتمحيص، والصياغة، إلا أن الله يأبى العصمة لكتاب غير كتابه، يقول الإمام الشافعي: لقد ألفت هذه الكتب ولم آل فيها، ولابد أن يوجد منها الخطأ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾[1]، فما وجدتم في كتبي هذه مما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه[2].

وصدق من قال:

كم من كتاب قد تصفحته ... وقلت في نفسي أصلحته

حتى إذا طالعته ثانيًا ... وجدت تصحيفًا فصححته

وفي الختام: أتوجه بدعائي وخالص ثنائي لخالقي ورازقي، فالحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وأثني بالشكر لمن كانا السبب في وجودي بعد الله، امتثالاً لأمر الله ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾، فأسأل الله العلي القدير، أن يغفر لهما ويرحمهما كما ربياني صغيراً.

كما أتوجه بالشكر وعاطر الثناء لأستاذي وشيخي الفاضل الأستاذ الدكتور: سعود ابن عبد الله الفنيسان الذي أشرف عليَّ في رحلة الدكتوراه والذي أفادني من علمه الجم، فهذه الرسالة، وما فيها من جهد وتوفيق، فالفضل لله أولاً ثم لتوجيهات أستاذي متعه الله بالصحة والعافية، وأسأل الله أن يمدَّ في عمره، ويبارك في ولده، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما لا يسعني إلا مواصلة الشكر الجزيل لجامعتي المباركة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، التي أتاحت لي الفرصة لإكمال دراستي الجامعية، وما بعدها من

---

(١) سورة النساء آية (٨٢).

(٢) المقاصد الحسنة (١٥).

دراسات، وأخص بذلك كلية أصول الدين ممثلة في عميدها ووكيليها، وقسم القرآن وعلومه، ممثلاً برئيسه ووكيله، وأتقدم بالشكر سلفًا لمن سيتحمل قراءة هذا البحث، ليقف بي على ما له وعليه، ورحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي.

ثم إن ذكر المعروف واجب، وشكره أوجب؛ فأشكر كل من أسدى إليّ معروفًا، وسددني بنصح، أو توجيه، أسأل الله أن يجزي الجميع عني أفضل الجزاء إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ثم أما بعد..

فما كان في هذه الرسالة من جهد وتوفيق وسداد فمن الله وحده، فله الحمد في الآخرة، والأولى، وما كان من زلل، وخطأ، فمن نفسي والشيطان، وقد أفرغت جهدي في هذا البحث وبذلت فيه فكري، ولم يكن في ظني أن أصل إلى ما وصلت إليه، ولا أتعرض لما سطرته، وذلك لعلمي بعجزي عن الخوض في مثل تلك المسالك، ولكن عزائي فيما قاله بعض الحكماء:

أسير خلف ركاب النجب ذا عرج ... مؤملاً كشف ما لاقيت من عوج

فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا ... فكم لرب الورى في ذاك من فرج

وإن بقيت بظهر الأرض منقطعًا ... فما على عرج في ذاك من حرج

* * *

التمهيد

أولاً : مفهوم التفسير .

ثانيًا : التفسير في مراحله الأولى .

١ ـ مفهوم التفسير بالمأثور

تعريف الأثر في اللغة:

الأثر ـ محركة : بقية الشيء[١] ، والجمع آثار وأثور[٢] .

والأثر : نقل الحديث من القوم، وروايته[٣] .

والأثر : مصدر قولك أثرتُ الحديث آثره ؛ إذا رويته عن غيرك[٤] .

أثر الحديث : ذكره عن غيره فهو (آثر) بالمد، وبابه نصر، ومنه حديثٌ مأثور، أي ينقله خلف عن سلف، وأنا آثر ؛ قال الأعشى :

إن الذي فيه تماريتُما بُيّن للسامع والآثر[٥]

قال الخليل : والأثر : الاستقفاء والاتباع[٦] ، ويقال : فلان من حملة الآثار[٧] .

قال أبو عبيد : المأثرة هي المكرمة، ويقال : إنها سميت مأثرة ؛ لأنها تؤثر، ويأثرها

---

(١) تهذيب اللغة (١٥/ ١١٩)، ولسان العرب (٤/ ٥)، والقاموس المحيط (١/ ٣٧٥)، وتاج العروس (١٠/ ١٢).

(٢) لسان العرب (٤/ ٥).

(٣) اللسان (٤/ ٦)، وتاج العروس (١٠/ ١٥).

(٤) تهذيب الصحاح (١/ ٢٥٣)، واللسان (٤/ ٦)، ومجمل اللغة (١/ ٨٦).

(٥) ينظر : اللسان (٤/ ٦)، والتاج (١٠/ ١٦)، ومختار الصحاح (٥)، وروايته البيت في ديوان الأعشي ص ١٤١ هكذا :

لتأتينه منطق سائر مستوسق للمسمع الآثر

(٦) معجم مقاييس اللغة (١/ ٥٤).

(٧) تاج العروس (١٠/ ١٣)، وأساس البلاغة (ص ٢).

قرن عن قرن؛ أي يتحدث بها، كقولك: أثرت الحديث آثُرُه أثرًا؛ ولهذا قيل: حديث مأثور[١].

وقال أبو عبيد في حديث النبي ﷺ: إنه سمع عمر ـ رضي الله عنه ـ يحلف بأبيه فنهاه عن ذلك ـ قال: فما حلفت بها ذاكرًا ولا آثرًا[٢] [٣].

وقوله: «ولا آثرًا» يريد ولا مُخبرًا عن غيري[٤]. ومن هذا قيل: حديث مأثور، أي يخبر به الناس بعضهم بعضًا[٥].

وقال ابن الأثير في تفسير قول عمر: ولا رويت عن أحد أنه حلف بها[٦].

فيكون قد وضع المأثور وضع المأثور عنه[٧].

قال الراغب: وأثرت العلم: رويته، آثُرُه أثرًا، وإثارة، وأثرةً، وأصله تتبعت أثَرهُ. وأثارة من علمٍ، وقرئ أثرة، وهو ما يروى أو يُكتب فيبقى له أثرٌ[٨].

قال الزجاج: أثارة في معنى علامة، ويجوز أن يكون على معنى بقية من علم، ويجوز أن يكون على ما يؤثر من العلم[٩]، ويقال: أو شيء مأثورٌ من كتب

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (١/ ٢٨٨).
(٢) غريب الحديث لأبي عبيد (٢/ ٥٩)، والفائق (١/ ٢٣)، والنهاية (١/ ٢٢).
(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان: باب لا تحلفوا بآبائكم (٧/ ٢٢١)، وصحيح مسلم، كتاب الأيمان باب النهي عن الحلف بغير الله (٣/ ١٢٦٦)، ومسند أحمد (١/ ٣٦)، (٢/ ٧، ٨).
(٤) غريب الحديث لأبي عبيد (٢/ ٥٩)، وغريب الحديث لابن الجوزي (١/ ١٠)، وقنعة الأديب في تفسير الغريب لابن قدامة (٤٥).
(٥) غريب الحديث لأبي عبيد (٢/ ٥٩).
(٦) النهاية في غريب الحديث، والأثر (١/ ٢٢).
(٧) النهاية (١/ ٢٣)، ولسان العرب (٤/ ٧).
(٨) المفردات في غريب القرآن (٩).
(٩) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٤٣٨).

الأولين[١].

مما سبق يتضح أن المأثور: يدور حول معنى الخبر المروي، والمنقول عن السلف، ومنه معنى الاتباع والاستقفاء.

وأما معناه في الاصطلاح:

فالمشهور عن المحدثين أن الأثر يشمل ما رفع إلى النبي ﷺ، وما أضيف إلى الصحابي، وما وقف به على التابعي[٢].

وخالف في ذلك بعض فقهاء خراسان، فقالوا: إن الأثر هو الموقوف على الصحابي بإطلاق، أو على التابعي بتقييد، ذكر ذلك ابن الصلاح[٣]، وابن كثير[٤]، والعراقي[٥].

والمعتمد هو ما عليه المحدثون أن يسمى كل هذا أثراً؛ لأنه مأخوذ من أثرت الحديث أي: رويته[٦].

وأما معناه في اصطلاح كتب أصول التفسير:

فذهب كثير من الأئمة إلي أن المراد به: هو المنقول، والمروي من التفسير عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة، والتابعين، وأتباعهم[٧].

ولذا نجد ابن حجر عندما تعرض لكتب التفسير بالمأثور ذكر أنها: الناقلة للآثار

(١) تاج العروس (١٠/ ١٨).
(٢) ظفر الأماني (٤ـ٥) عن حاشية كتاب قواعد في علوم الحديث (٢٥)، ولمحات في أصول الحديث (٤٣).
(٣) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح (٦٦)، والنكت على ابن الصلاح (١/ ٥١٣).
(٤) اختصار علوم الحديث (٤٥).
(٥) التبصرة والتذكرة (١/ ١٢٣)، وفتح المغيث (١/ ١٠٤).
(٦) تدريب الراوي (١/ ١٨٥)، ومنهج النقد في علوم الحديث (٢٨).
(٧) مقدمة ابن خلدون (٤٣٩)، والبرهان في علوم القرآن (٢/ ١٧٢)، ينظر كلام الشريف الجرجاني في كتاب: بين الشيعة والسنة دراسة مقارنة في التفسير وأصوله (١٩)، وكتاب: التعريف بالقرآن والحديث (١٦٤)، والمدخل لدراسة القرآن والسنة (٢/ ٢٢٣)، ورسالة ضبط

المسندة، سواء من المرفوع، أو الموقوف على الصحابة، أو المقطوع عن التابعين[١].

ورجح البعض أن مفهومه ينحصر في التفسير النقلي عن المصطفى ﷺ، والصحابة[٢]، أو قاله كبار التابعين متلقى من الصحابة، وصح سنده[٣].

وأورد بعض من قال بهذا القول الخلاف في مسألة إدخال تفسير التابعين، ومال إلى عدم ذلك مستدلاً بأنهم لم يشاهدوا عصر النبي ﷺ، فيغلب على الظن أن تفسيرهم من قبيل الرأي، والاجتهاد، وأنهم مع عنايتهم الشديدة بالنقل عن الصحابة قد أكثروا من النقل عن أهل الكتاب[٤].

وذهب البعض الآخر إلى أكثر من ذلك، فقصر التفسير بالمأثور على ما كان متعلقًا بالسماع عن النبي ﷺ، وأما الأقوال المنقولة عن الصحابة والتابعين مما يتصل بالاجتهاد، والاستنباط فليست من التفسير بالمأثور[٥].

وفي ذلك يقول الشيخ محمد الصباغ: إن الرأي الصحيح أن ما جاء عن الصحابة، والتابعين العدول - فيما ليس من باب الاجتهاد والاستنباط، وإنما هو متوقف على السماع من النبي ﷺ - يعتبر من التفسير بالمأثور، وهو مُلزم إن صح سنده، وأما المنقول عنهم مما يتصل بالاجتهاد والاستنباط، فليس من المأثور[٦].

= القرآن (١١٢)، وكتاب اللآلئ الحسان (٣٤٤)، وكتاب في علوم القرآن دراسات ومحاضرات (١٥٧) وكتاب مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث (٦٩).

(١) مقدمة كتاب العجاب في بيان الأسباب، عن كتاب الدر المنثور (٨/ ٦٩٩).

(٢) مدخل إلى علوم القرآن والتفسير (٢١٧، ٢٢٣)، وأصول التفسير وقواعده (١١١)، وعلوم القرآن مدخل إلي تفسير القرآن وبيان إعجازه (٤٠٣، ٤٠٤).

(٣) مباحث في علوم القرآن (٣٤٧).

(٤) دراسات إسلامية في علوم القرآن د. شكر محمد أحمد، د. محمد مصطفى النجار (٥٩، ٦١)، ومناهل العرفان (١/ ٤٨١).

(٥) علوم القرآن مدخل لتفسير القرآن (٤٠٣)، دراسات في التفسير وأصوله (٤٦).

(٦) لمحات في علوم القرآن، واتجاهات التفسير (١٨٠).

والمتأمل لقول من استبعد دخول تفسير التابعين في المأثور أنه خلط بين أمرين هما: المراد بالتفسير بالمأثور، وحكمه من حيث القبول أو الرد، وأن إدخاله في المأثور يعني قبوله، والحق أن بين الأمرين تمايزًا، فكونه مأثورًا لا يلزم منه الأخذ، أو الرد.

ولعل مما يرجح القول بأنه من المأثور، ما شهدت به اللغة في أصل اشتقاق الكلمة، وكذا ما اختاره جمهور المحدثين، والفقهاء، ثم ما شهد به واقع كتب التفسير بالمأثور؛ فإنه قد جمعت الكثير من المروي، سواء كان عن الرسول ﷺ أو عن الصحابة، أو عن التابعين.

* * *

٢ ـ التفسير في مراحله الأولى

نزل القرآن الكريم على نبيٍّ أميٍّ، وقوم أميين، نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا يفهمون القرآن، ويدركون معانيه ومراميه بمقتضى سليقتهم العربية، فهمًا لا تعكره عُجمة ولا يشوبه تكدير، وكانوا يعلمون ظواهره، وأحكامه، ومن هنا جاء قول ابن خلدون: إن القرآن نزل على العرب بلغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه، ويعلمون معانيه وتراكيبه. ثم يقرر بعد ذلك أن في القرآن إشارات لم يتح لكثير من العرب أن يفهموها، ومن هنا دعت الحاجة إلى فهمها وبيان مَراميها[١].

ومن المعلوم أن أكثر آيات القرآن واضحة المعنى وخصوصًا ما يتعلق بأصول الدين، وأصول الأحكام، وهذا النوع يفهمه جمهور المسلمين، ولاسيما العرب منهم. أما ما كان من الآيات التي يصعب فهمها على عموم المسلمين، فلا يقف على معناها إلا الراسخون في العلم منهم، وإمامهم في ذلك المصطفى ﷺ الذي أمر بالبيان ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

ولذا نشأ التفسير بالمأثور، وكان مقصورًا في أول أمره على ما ورد عنه ﷺ، فكان الصحابة يقرؤونه ويتسابقون للعمل بما يعلمون، وقد يشكل بعضه على أحدهم فيسأل النبي ﷺ، ويجيبه النبي ﷺ في سهولة ويسر، وكانت حياته ﷺ تطبيقًا عمليًا لأوامر القرآن ونواهيه[٣].

والمتأمل لعصر النبي ﷺ يجد صدق الإيمان في قلوبهم، والفهم الخالي مَن كل شبهة وشهوة، كل ذلك جعلهم لا يقولون في التفسير إلا ما روي عنه ﷺ توقيفًا، وهذا كان في أول الأمر، ولما انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وانتشر الصحابة في الآفاق، ازدادت الحاجة إلى

---

(١) دراسات في القرآن (١١١).

(٢) سورة النحل: آية (٤٤).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/ ٣٦٣).

علمهم، فهم أدرى الناس بذلك، لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لاسيما علماؤهم[١].

رهم مع فضلهم وسبقهم رضي الله عنهم وأرضاهم كانوا يتفاوتون في فهم القرآن، وبيان معانيه وأسراره، وذلك راجع إلى اختلافهم في أدوات الفهم، فمنهم من كان واسع الاطلاع في اللغة ملمًا بغريبها، ومنهم من كان دون ذلك، ومنهم من كان يلازم النبي ﷺ، فيعرف من أسباب النزول ما لا يعرفه غيره، بالإضافة إلى ما بينهم من التمايز في الدرجة العلمية، والمواهب العقلية[٢].

يقول مسروق: جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كإخاذ - يعني الغدير - فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم[٣].

ولما فتح الله على المسلمين كثيراً من البلاد، نتج عن ذلك انتقال الصحابة مجاهدين بالسنان، وباللسان، فحملوا معهم ما حفظوه عن رسول الله ﷺ، فجلس إليهم كثير من التابعين يأخذون العلم عنهم، وينقلونه لما بعدهم، فقامت في هذه الأمصار مدارس علمية، أساتذتها الصحابة، وتلاميذها التابعون[٤].

وقد دخل في هذا الدين عناصر أجنبية على حظ كبير من الحضارة المادية، وكانوا يستخدمون الكتابة في كثير من شؤون حياتهم، ويعتمدون عليها في تدوين علومهم، ولم يألفوا حفظها عن طريق الذاكرة، من هنا أخذ الموقف يتحرك قليلاً، فبدأنا نرى جماعة من التابعين يكتبون لأنفسهم[٥]، وإنما استباحوا ذلك اقتداء بأولئك الصحابة[٦] الذين أباح لهم

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/ ٣٦٣).
(٢) التفسير والمفسرون (١/ ٣٥).
(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٤٣)، والمعرفة والتاريخ (٢/ ٥٤٢).
(٤) التفسير والمفسرون (١/ ١٠٠).
(٥) أورد د. محمد مصطفى الأعظمي في كتاب دراسات في الحديث النبوي، الأدلة على أن (٥٣) من كبار التابعين كتبوا (١/ ١٤٣ - ١٦٧)، وأن (٩٩) من صغار التابعين كتبوا (١/ ١٤٤ - ٢٢٠).
(٦) وأورد أيضًا الدليل على أن (٥٢) صحابيًا كتبوا، ينظر كتاب دراسات في الحديث النبوي (١/ ٩٢ - ١٤٢).

النبي ﷺ الكتابة، بينما كان البعض من التابعين لا يكتب.

ولعل من الأسباب التي دعت للكتابة أيضًا، أن الكذب على رسول الله ﷺ قد كثر في عهد التابعين بسبب بداية ظهور الفرق الإسلامية، وبسبب من دخل في الإسلام ممن لا يرجو له وقارًا، ولا لأهله استقرارًا.

ولذا يقول الإمام الزهري: لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها لا نعرفها، ما كتبت حديثًا، ولا أذنت في كتابة[١].

ثم قال أيضًا: يا أهل العراق، يخرج الحديث من عندنا شبرًا، ويصير عندكم ذراعًا[٢].

إذن فالتفسير بالمأثور أخذ أول الأمر بطريق الرواية التي اهتم بها كثير من الصحابة، والتابعين، وأما مرحلة التدوين فقد تحرج منها البعض في بداية الأمر، ثم انشرحت صدور الكثير منهم فكتبوا وأمروا بالكتابة، ولعل الذي يعنينا إبرازه في هذه المرحلة والتأكيد عليه، ذلك الدور المهم للتابعين في تدوين ما حفظوه وقالوه، في التفسير خاصة، وفي غيره عامة، في زمن مبكر، مما يؤكد عنايتهم بهذا العلم، وسبقهم في هذا الجانب.

فعن ابن أبي مليكة قال: رأيت مجاهدًا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواحه فقال ابن عباس: اكتب، حتى سأل عن التفسير كله[٣].

ولذا يعتبر مجاهد من أول[٤] من دون أقوال ابن عباس، فأدى بذلك دورًا مهمًا في نشر فكر المدرسة المكية وتخليده، وقد قيل: إن أول التعليقات المفسرة للقرآن هي التي أثبتها مجاهد. وتعتبر تدوينات مجاهد من أقدم مصنفات الجمع[٥].

وقد عثر على مخطوطة لتفسير مجاهد نسخت في القرن السادس[٦].

---

(١) تقييد العلم (١٠٨).

(٢) تاريخ الإسلام (٥/ ١٤٣).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٩٠)، ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (٢٨)، وتقييد العلم (١٠٥).

(٤) تلخيص البيان في مجازات القرآن (١/ ٤٥)، ودراسات في التفسير وأصوله (٣٦).

(٥) دراسات في التفسير وأصوله (٥٦)، والفهرست (٣٣)، وتاريخ آداب اللغة العربية (١/ ٢٢١).

(٦) بين الشيعة والسنة (٦٧).

وهذا التفسير رواية أبي القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبيد الهمذاني، وينتهي سنده في معظمه إلى مجاهد عن طريق إبراهيم، عن آدم، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد[١].

وكان لسعيد بن جبير كتاب في تفسير القرآن، وكتاب في نزول القرآن[٢].

وقد أشار ابن النديم إلى أن هذا الكتاب كان موجودًا بعد سعيد ثم فُقد[٣].

وكان ـ رحمه الله ـ يقول عن نفسه: كنت أسأل ابن عمر في صحيفة، ولو علم بها كانت الفيصل بيني وبينه[٤].

ويقول أيضًا: كنت أكتب عند ابن عباس في ألواحي حتى أملأها، ثم أكتب في نعلي[٥].

ويقول أيضًا: كنت أسير بين ابن عمر وابن عباس، فكنت أسمع الحديث منهما فأكتبه على واسطة الرحل، حتى أنزل فأكتبه[٦].

وقد روى ابن سعد: أن عزرة بن يحيى كان يختلف إلى سعيد بن جبير معه التفسير في كتاب، ومعه الدواة يغير[٧].

وكان عبد الملك بن مروان قد سأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه تفسير القرآن، فكتب سعيد بهذا التفسير، فوجده عطاء بن دينار في الديوان، فأخذه فأرسله عن سعيد ابن جبير[٨].

وكتب عمرو بن عبيد ـ شيخ المعتزلة ـ تفسيرًا للقرآن عن الحسن البصري ـ

(١) ويأتي بسط الحديث عنه في فصل مصادر تفسير التابعين ص (٦٠).
(٢) الفهرست لابن النديم (٥١)، وتاريخ التراث (١/ ١٨٤).
(٣) الفهرست (٥١).
(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٨).
(٥) تقييد العلم (١٠٢)، وطبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٧).
(٦) تقييد العلم (١٠٣)، وجامع بيان العلم (١/ ٧٢).
(٧) الطبقات (٦/ ٢٦٦).
(٨) الجرح (٣/ ٣٣٢)، والمراسيل (٥٨)، والتهذيب (٧/ ١٩٨).

رحمه الله[١] .. وكان عند زيد بن أسلم كتاب في التفسير[٢] .

وألف إسماعيل بن عبد الرحمن السدي تفسيراً للقرآن[٣] .

وكان لقتادة كتاب في التفسير[٤] ، والناسخ والمنسوخ في القرآن[٥] ، وعواشر القرآن[٦] .

وكان عطاء بن أبي رباح يكتب لنفسه ، ويأمر ابنه أحيانًا أن يكتب له ، وكان طلابه يكتبون بين يديه[٧] .

وقد نشطت الحركة العلمية في عصر التابعين نشاطًا كان من آثاره بدء مرحلة التدوين الرَّسمي للسنة ، بأمر من الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يقول عبد الله بن دينار : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل المدينة : أن انظروا حديث رسول الله ﷺ فاكتبوه ، فإني خِفْتُ دُرُوس العلم وذهاب أهله[٨] ، ولم يكن أمره هذا مقصوراً على أهل المدينة فحسب ، بل كتب بذلك إلى سائر الأمصار[٩] .

وكان أول من قام بتدوين السنة بأمر من عمر بن عبد العزيز : ابن شهاب

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ١٣٢)، ومما ينبغي التنبيه عنه هنا ، أن هذا التفسير المروي عن عمرو بن عبيد ، أفاد منه الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان (ص ٦ ب) ينظر تاريخ التراث (١/ ٧٢). ونقل البغوي تفسير الحسن عن هذا الطريق كما صرح به في مقدمة كتابه (١/ ٢٦). ولكن الطبري لم ينقل من هذا الكتاب شيئًا ، إنما اعتمد طرقًا أخرى .

(٢) التذكرة (٣/ ١٣٢).

(٣) حاشية تفسير الطبري (١/ ١٥٦ ـ ١٦٠)، ودراسات في القرآن لأحمد خليل (١١١).

(٤) الفهرست (٣٤)، ودراسات في الحديث النبوي (١/ ١٩٦).

(٥) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٣)، والبرهان (٢/ ٢٨).

(٦) طبقات ابن سعد (٧/ ٢).

(٧) سنن الدارمي (١/ ١٢٩).

(٨) سنن الدارمي (١/ ١٠٤)، وتقييد العلم (١٠٦).

(٩) فتح الباري (١/ ١٩٤).

الزهري[١] .

والتفسير في مرحلته الأولى اتخذ شكل الحديث، بل كان جزءاً منه، وبابًا من أبوابه، ومن المعلوم أن الحديث كان هو المادة الواسعة التي شملت جميع المعارف، والعلوم الشرعية؛ لأنه يقوم على الرواية التي هي الأصل في نقل جميع العلوم الدينية[٢] .

وقد تبع مرحلة التدوين، مرحلة التصنيف، والتي بدأها ابن جريج المكي[٣] ، الذي يعد من أول من صنف الكتب[٤] ، وله كتاب في التفسير[٥] .

وابن أبي عروبة والذي يعد من أول من صنف في العراق، وله تفسير القرآن والسنن[٦] .

ثم جاء بعدهم سفيان بن سعيد الثوري، والإمام الأوزاعي، بالشام، ومعمر بن راشد باليمن[٧] .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٨٨).

(٢) بتصرف، ينظر علوم القرآن د. عدنان زرزور (٤٠٤).

(٣) وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز المتوفى سنة (١٥٠ هـ)، وقد حفظ بتصنيفه هذا تراث المدرسة المكية؛ لأنه من أكثر الرواة لتفسير عطاء، وعكرمة، وهو ثاني أصحاب مجاهد، وسيأتي تفصيل ذلك ص (٤٥٣).

(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ٤٠٠).

(٥) الفهرست (٢٨٢)، والتهذيب (٢/ ٢٠٥)، (٤/ ٢٤٤)، ودراسات في الحديث النبوي (١/ ٢٨٦).

(٦) هو سعيد بن أبي عروبة البصري المتوفى سنة (١٥٦) هـ، ينظر: الفهرست (٢٨٣)، وفتح الباري (٩/ ٤٦٤)، ودراسات في الحديث (١/ ٢٥٤).

(٧) المحدث الفاصل (٦١١)، وتدريب الراوي (١/ ٨٩)، ومعمر بن راشد كان لانتقاله من البصرة إلى اليمن، وتدوينه العلم بها، أثره البالغ في إكثار عبد الرزاق من آثار وأقوال البصريين، لاسيما ما جاء عن قتادة والحسن، وسيأتي ذلك مفصلاً في أثر المدرسة البصرية على بقية المدارس ص (٥٠٤).

وامتداداً لتلك المرحلة جاء بعد ذلك: التصنيف على الأبواب، كما صنع عبد الرزاق الصنعاني، وابن أبي شيبة في مصنفيهما، وغيرهما. وبدأ علم التفسير يستقل في مصنفات خاصة سنأتي على ذكر شيء منها بعد ورقات.

❁ ❁ ❁

الباب الأول

مدخل إلى تفسير التابعين

وفيه فصلان:

الفصل الأول: المراد بالتابعي، وحكم تفسيره.

المبحث الأول: المراد بالتابعي.

المبحث الثاني: حكم تفسير التابعي

الفصل الثاني: مصادر تفسير التابعين.

المبحث الأول: كتب السنن، والآثار.

المبحث الثاني: كتب التفسير بالمأثور.

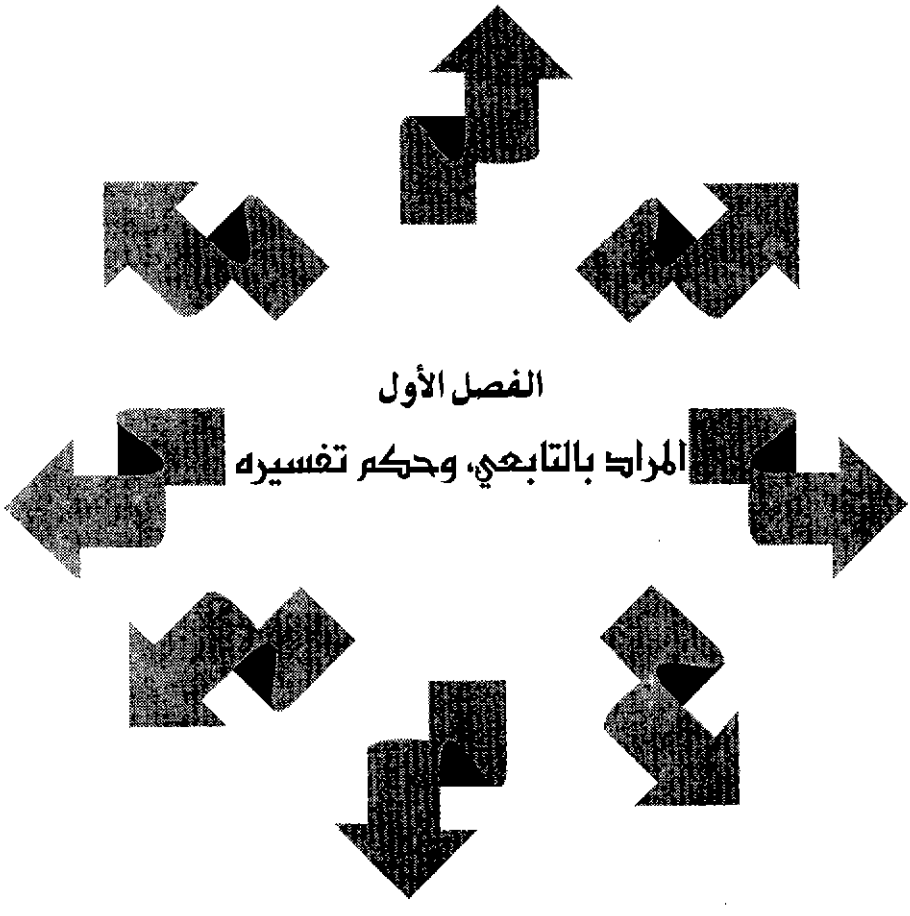

الفصل الأول

المراد بالتابعي، وحكم تفسيره

الفصل الأول

المراد بالتابعي، وحكم تفسيره

المبحث الأول

المراد بالتابعي

التابع ويقال: التابعي، وكذا التبع، ويجمع عليه أيضًا كذا على أتباع[١].

اختلف العلماء في حده، وتعريفه:

فذهب الخطيب البغدادي إلى أن التابعي من صحب الصحابي[٢]. فلا يكفي عنده مجرد اللقي، بل لابد من شرط زائد وهو وجود الصحبة بينهما.

ومال ابن كثير[٣] إلى قول الخطيب؛ لأنه ذهب إلى تعليل اشتراط الصحبة، وعدم الاكتفاء باللقي.

فتبين أن أهل هذا القول لم يكتفوا بمجرد رؤية التابعي للصحابي، كما اكتفوا بذلك حين قرروا أن رؤية رسول الله ﷺ كافية لمن آمن به ثم مات على ذلك في إطلاق اسم الصحابي عليه[٤]؛ لأن هنالك فرقًا؛ فرؤيته ﷺ لها أثرها في النفس، والسلوك.

---

(١) فتح المغيث (٣/ ١٤٠)، وفتح الباقي (٣/ ٤٥).

(٢) الكفاية (٥٩).

(٣) اختصار علوم الحديث (٢٠١).

(٤) صحيح البخاري أول كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٤/ ١٨٨)، والإصابة (١/ ٣).

وذهب الحاكم إلى القول باشتراط المشافهة عن أصحاب النبي ﷺ[١] .

واختار ابن حجر ـ رحمه الله ـ قول الجمهور في ذلك، وزاد قيد الإيمان، ثم قال: خلافًا لمن اشترط في التابعي طول الملازمة، أو صحبة السماع.

فتحصل مما سبق أن تعريف التابعي المختار: هو من لقي الصحابي مؤمنًا، ومات على الإسلام[٢] .

وذهب كثير من المحدثين إلى القول بأن المراد به: من لقي واحدًا من الصحابة فأكثر[٣] .

فيكفي عن هؤلاء مجرد اللقي وإن لم تكن الصحبة، وإلى ذلك ذهب بن الصلاح[٤] والنووي[٥]، ورجحه العراقي[٦] فقال: وعليه عمل الأكثرين من أهل الحديث[٧] . ثم ساق الأدلة الدالة على صحة هذا القول، فقال: ذكر مسلم، وابن حبان، سليمان بن مهران الأعمش في طبقة التابعين، وقال ابن حبان: أخرجناه في هذه الطبقة؛ لأن له لقيًا وحفظًا، رأى أنس بن مالك، وإن لم يصح له سماع المسند من أنس[٨] .

وقال علي بن المديني: لم يسمع من أنس، وإنما رآه رؤية بمكة يصلي خلف المقام[٩] .

---

(١) معرفة علوم الحديث (٤٢)، ومنهج النقد في علوم الحديث (١٤٧).

(٢) شرح قصب السكر نظم نخبة الفكر (١٠٦)، وشرح النخبة لعلي القاري (١٨٤، ١٨٥).
وقد توسع التهانوي في تعريفه، فقال: هو من لقي الصحابي، ولو غير مؤمن بالنبي ﷺ، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة، ينظر: قواعد في علوم الحديث (٤٨).

(٣) تدريب الراوي (٢/ ٢٣٤).

(٤) مقدمة ابن الصلاح (٢٧٢).

(٥) تدريب الراوي (٢/ ٢٣٤).

(٦)، (٧) التبصرة والتذكرة (٣/ ٤٥)، والتقييد والإيضاح (٣١٧).

(٨) الثقات (٦/ ٢٧٠).

(٩) المراسيل لابن أبي حاتم (٨٢).

وقال أبو حاتم: إنه لم يسمع منه[١]، وقال الترمذي: إنه لم يسمع من أحد من الصحابة[٢].

ثم قال العراقي: وعدَّه أيضًا عبد الغني بن سعيد في التابعين، وعدَّ فيهم يحيى بن أبي كثير، لكونه لقي أنسًا، وعدّ فيهم موسى بن أبي عائشة لكونه لقي عمرو بن حريث، وعدّ فيهم جرير بن حازم لكونه رأى أنسًا، وهذا مصير منهم إلى أن التابعي من رأى الصحابي[٣].

وقد قيد ابن حبان الرؤية بأن تكون في سن من يحفظ عنه، كما صرح بذلك في ترجمة خلف بن خليفة، الذي قال البخاري فيه: يقال: إنه مات في سنة إحدى وثمانين ومائة، وبذلك جزم ابن حبان[٤].

قال السخاوي في إيضاحه لهذا التعريف: هو اللاقي لمن قد صحب النبي ﷺ واحدًا فأكثر، سواء كانت الرؤية من الصحابي نفسه، حيث كان التابعي أعمى أو بالعكس، أو كانا جميعًا كذلك يصدق أنهما تلاقيا، وسواء كان مميزًا أم لا[٥]. وختم السخاوي هذا المبحث بقوله: (مرجحًا القول المكتفي باللقاء): ثم إنه قد يستأنس لهذا القول بقوله ﷺ: «**طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن رأى من رآني**»[٦].

---

(١) المرجع السابق (٨٢)، والتبصرة (٣/ ٤٥).

(٢) التبصرة (٣/ ٤٦).

(٣) المرجع السابق.

(٤) الثقات (٦/ ٢٧٠).

(٥) فتح المغيث (٣/ ١٤٠).

(٦) رواه الطبراني عن عبد الله بن بسر، بزيادة: «**طوبى لهم وحسن مآب**».
قال نور الدين الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٠): رواه الطبراني، وفيه بقية، وقد صرح بالسماع فزالت الدلسة، وبقية رجاله ثقات.
قال الألباني: في السلسلة الصحيحة (٣/ ٢٥٣) ما نصه: وقد وقفت على إسناده، أخرجه الضياء في «المختارة» (ق ١١٣/ ٢) من طريق أبي يعلى والطبراني بإسناديهما عن بقية، ثم قال: =

. . . . . .

= وهو إسناد حسن، ورجاله معروفون غير اليحصبي هذا، فقد ترجمه ابن أبي حاتم (٣/ ٢/ ٣١٦) برواية جماعة عنه، ولم يذكر فيه جرحًا، ولا تعديلاً، ثم قال: والظاهر أنه وثقه ابن حبان يدل عليه كلام الهيثمي السابق.

قال كاتبه: لم يوثقه ابن حبان، بل قال: لا يحتج بحديثه ما كان من رواية بقية بن الوليد، بل يعتبر من حديثه ما رواه الثقات عنه، فتحصل مما سبق تضعيف ابن حبان له، وخاصة في رواية بقية عنه. ينظر: الثقات (٥/ ٣٧٧).

وأخرجه الحاكم (٤/ ٨٦) من طريق عبد الله بن بسر أيضًا بزيادة: «ولمن رأى من رآني وآمن بي».

ثم قال -رحمه الله-: هذا حديث قد روي بأسانيد قريبة عن أنس بن مالك، وأقرب هذه الروايات إلى الصحة ما ذكرنا، وتعقبه الذهبي بقوله: قلت: جميعه واه.

وأما أسانيد الحديث إلى أنس، التي أشار إليها الحاكم فقد أخرجها الخطيب في تاريخه (٣/ ٤٩)، (٣/ ٣٠٦)، (٦/ ٢٠٠)، (٨/ ٢٥٨، ٢٥٩) وفيها ضعف شديد، كما أشار إليه الشيخ الألباني، ثم قال: وللحديث شاهد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا به، ولكنه واه جدًا، أخرجه عبد بن حميد في المنتخب من المسند (٢/ ١١٠) من طريق إبراهيم بن أبي إسحاق عن أبي نضرة عنه ثم قال: وهذا إسناد ضعيف جدًا، إبراهيم هذا هو ابن الفضل، وهو متروك كما في «التقريب».

قال كاتبه: ولست أدري من أين استنبط الشيخ حفظه الله أن إبراهيم هذا هو ابن الفضل؛ لأن إبراهيم هنا هو ابن يزيد أبو إسحاق الكوفي، كما يوضحه ما رواه البخاري في تاريخه (١/ ٣٣٥) عند ترجمة إبراهيم ابن أبي يزيد أبو إسحاق الكوفي، وذكر في ترجمته روايته لهذا الحديث عن أبي نُصير سمع أبا سعيد عن النبي ﷺ قال: «طوبى لمن رآني...» الحديث، وساقه بأكثر من ثلاثة طرق عن إبراهيم بن يزيد عن أبي نصير به.

وإبراهيم بن يزيد الكوفي ذكره البخاري (١/ ٣٣٥)، وابن أبي حاتم في الجرح (٢/ ١٤٦)، وسكتا عنه، وقال ابن حبان: شيخ يروي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري، ينظر: الثقات (٦/ ٢٥).

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٢٠) ٢٩، من طريق وائل بن حجر قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن رآني ومن رأى من رآني» قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٠): وفيه من لم أعرفهم.

ثم قال الشيخ الألباني: وبالجملة فالحديث حسن إن شاء الله من أجل طريق بقية التي أخرجها الضياء في المختارة.

قال كاتبه: لعل الأقرب أن الحديث حسن لغيره، بمجموع طرقه الضعيفة.

المبحث الثاني

حكم تفسير التابعي

لقد حظيت أقوال التابعين في سائر فروع العلم بمزيد اهتمام، فروي الكثير منها، وجمعت فتاويهم، وآراؤهم.

وقد وقع الخلاف بين الأئمة في قبول قول التابعي:

فعن شعبة قال: رأي التابعين من قبل أنفسهم ريح لا يعتمد عليه، فكيف في كتاب الله[1].

وفي الرجوع إلى قول التابعي روايتان عن أحمد، واختار ابن عقيل المنع[2].

وذهب أبو حنيفة، والشافعي إلى عدم الأخذ بقوله، وقد صرح أبو حنيفة فقال: إذا جاء الأمر إلى إبراهيم، والحسن فهم رجال، ونحن رجال[3].

وإن كان الإمام الشافعي قد يأخذ أحيانًا بقول التابعي، وقد صرح في أكثر من موضع بأنه قال ذلك تقليدًا، كما وقع ذلك منه مثلاً في تقليده لبعض ما ذهب إليه عطاء ابن أبي رباح.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٣٧٠)، ونقله ابن كثير في مقدمة تفسيره (١/ ١٥)، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية بلفظ: أقوال التابعين في الفروع ليست بحجة، فكيف تكون حجة في التفسير، وينظر: الإرشاد في معرفة علماء الحديث (١/ ٣٩٦).

(٢) المسودة في أصول الفقه (١٧٦)، والبرهان في علوم القرآن (٢/ ١٥٨)، والإتقان (٢/ ٢٢٩).

(٣) تاريخ المذاهب الفقهية (٨٣).

قال ابن القيم: وهذا من كمال علمه، وفقهه ـ رضي الله عنه ـ فإن لم يجد في المسألة غير قول عطاء كان عنده أقوى ما وجد في المسألة، ونجده يقول عند بعض المسائل: وهذا يُخرجُ على قول عطاء[١].

وأما مالك، فإنه لم يصرح باتباع قول التابعي على أنه حجة، ولكن رأيناه في الموطأ كثيراً ما يروي عن التابعين أقوالاً، ويأخذ بها[٢].

وأما أحمد فيأخذ بقول التابعي في رواية، كما يأخذ بقول الصحابي إذا لم يكن هناك قول الصحابي، وإذا اختلف التابعون لم يوازن بين أقوالهم ويتخير فيها، بل يكون قول كل تابعي عنده حجة، ويكون الاختلاف بينهم اختلافًا في مذهبه[٣].

وقد ذكر الدهلوي في بيان الفرق بين أهل الحديث، وأصحاب الرأي، أن المحدثين إذا فرغوا جهدهم في تتبع الأحاديث، ولم يجدوا في المسألة حديثًا، أخذوا بأقوال جماعة من الصحابة، والتابعين[٤].

يقول ابن تيمية: من عدل عن مذاهب الصحابة، والتابعين، وتفسيرهم، إلى ما يخالف ذلك، كان مخطئًا في ذلك، بل مبتدعًا، وإن كان مجتهدًا مغفوراً له خطؤه[٥].

هذا في جانب القول بعامة، وأما في جانب التفسير، فقد درج كثير من المفسرين على الاستشهاد بأقوال التابعين، وجاءت روايات كثيرة لا يُحصيها العد، ذكر منها ابن جرير في تفسيره كثرة كاثرة، والسيوطي في الدر، والبغوي، وابن كثير، وغيرهم[٦].

ولذا ذهب أكثر المفسرين إلى أنه يؤخذ بقول التابعي في التفسير؛ لأنهم نقلوا غالب

(١) أعلام الموقعين (١/ ٢٠).
(٢) تاريخ المذاهب الفقهية (٨٤)، وكتاب مالك حياته، وعصره، لأبي زهرة (٢٦٨).
(٣) تاريخ المذاهب الفقهية (٨٤).
(٤) الحجة البالغة (١/ ١١٨).
(٥) مقدمة في أصول التفسير (٩١).
(٦) الإسرائيليات لأبي شهبة (٥٧)، وسيأتي تفصيله في الفصل التالي ص (٦٠ ـ ٨٠).

تفسيراتهم عن الصحابة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين[١].

وقد ذكر الزركشي طرق التفسير الأربع: النقل عن النبي ﷺ، ثم الصحابة، ثم أورد عند ذلك مسألة الرجوع إلى أقوال التابعين، وحكى الخلاف فيه، وذكر أقوال بعض المانعين، ثم قال: لكن عمل المفسرين على خلافه، وقد حكوا في كتبهم أقوالهم كابن جبير، ومجاهد، وقتادة...[٢].

وذكر ابن الأنباري أن من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذاهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله[٣].

ومن الضوابط التي أشار إليها المفسرون، وينبغي للمتعرض لتفسير القرآن مراعاتها: عدم التسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع، والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المبهمة.

وفي هذا يقول القرطبي: فمن لم يُحكم ظاهر التفسير، وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي والعقل، والسماع لابد له منه في ظاهر التفسير أولاً، ليتقي به مواضع الغلط. ثم قال ـ رحمه الله ـ: والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر. ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾[٤]، معناه: آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها، فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٨)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٥).
(٢) البرهان (٢/ ١٥٨)، والإتقان (٢/ ٢٢٩)، وتفسير القاسمي (١/ ٨).
(٣) تفسير القرطبي (١/ ٢٥).
(٤) سورة الإسراء: آية (٥٩).
(٥) تفسير القرطبي (١/ ٢٦)، وهذا المعنى مروي عن مجاهد، وقتادة، في تفسير هذه الآية، ينظر تفسير الطبري (١٥/ ١٠٩)، والدر المنثور (٥/ ٣٠٧).

الفصل الثاني

مصادر تفسير التابعين

الفصل الثاني
مصادر تفسير التابعين

المصدر: هو المرجع، مأخوذ كما يقول ابن فارس من قولهم: صَدَرَ عن الماء وصدر عن البلاد[١].

ويقول ابن منظور: أصدرته فصدر، أي: رجعته فرجع، والموضع مصدر، ومنه مصادر الأفعال.

وقيل: الصَّدَرُ عن كل شيء الرُّجوع، وفي التنزيل: ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾[٢].

ولذا فالمصادر هي المراجع التي تجمع وتنقل مأثورهم، ويرجع إليها. وقد وجدت كثيراً من تلك المصادر تورد العديد من الأقوال المروية من تفسيرهم، وبسبب كثرة تلك الكتب، حرصت على انتقاء نماذج من أهم تلك المصادر التي نقلت تفسيرهم، وركزت في هذه الدراسة على نوعين من الكتب: كتب السنن والآثار، وكتب التفسير بالمأثور.

وقد لاحظت من خلال مُطالعتي لبعض الجهود المعاصرة في جمع تفسير أولئك الأئمة قلة عناية كثير من الباحثين ببعض هذه المصادر، إما لعدم معرفة أهميتها، أو لصعوبة البحث فيها عن آثار التابعين، فحاولت في هذا الفصل إبراز نماذج لأهم تلك

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٣٧).

(٢) لسان العرب (٤/ ٤٤٨)، وتاج العروس (١٢/ ٣٣٠)، والآية من سورة القصص: (٢٣).

المصادر، وبيان مدى عنايتها بتفسير التابعين، مع بيان مدى التفاوت بين المصنفين في الاستشهاد بأقوالهم في التفسير، مما كان السبب وراء ظن البعض أن كتب السنة لا تروي كثيراً من ذلك.

* * *

المبحث الأول

كتب السنن والآثار

جمعت كتب الصحاح والسنن مقادير مختلفة من التفسير بالمأثور ، حتى إننا لنرى في صحيح البخاري كتابين هما : كتاب تفسير القرآن ، وكتاب فضائل القرآن ، وهما يشغلان حيزًا واضحًا من الكتاب ربما كان نحو الثمن منه[١] .

صحيح البخاري :

من أهم مصادر تفسير التابعين صحيح الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ فقد روى كثيرًا من تفسيرهم ، وخصوصًا في كتاب التفسير من صحيحه ، وكتاب أحاديث الأنبياء ، يقول الأستاذ عبد المجيد محمود : والحق أن البخاري من بين محدثي القرن الثالث هو الذي اهتم بالقرآن في صحيحه ، وهو الذي تفرد بالعناية بذكر الآيات المناسبة للأبواب المختلفة[٢] . وقد رجعت إلى كتابه التفسير في صحيحه فوجدت ما يلي :

١ ـ يقدم أغلب الأبواب في التفسير بذكر ما ورد عن الأئمة من الصحابة والتابعين ، وخاصة ما جاء عن مجاهد ـ رحمه الله ـ .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة تفسير (٥/ ٣٤٩) .
في حين أن هناك كتبًا أخرى من الصحاح والسنن كصحيح مسلم الذي جعل كتابًا مستقلاً للتفسير ، لكنه لم يذكر فيه إلا أربعة وثلاثين حديثًا ، كلها من المرفوع عنه ﷺ وبعضهم لم يبوب كتابًا للتفسير في كتابه ، كسنن أبي داود ، وابن ماجه ، وموطأ الإمام مالك ، وغيرها من كتب المسانيد والمعاجم .

(٢) الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث ، في القرن الثالث (١٩٥) .

٢ ـ ما يورده عن التابعين أكثره معلق، بخلاف ما يروي عن الصحابة فإنه في الغالب يكون مسنداً[١] ، وأكثره في أسباب النزول[٢] .

٣ ـ يورد جملة من الأقوال غير المنسوبة معلقة، وغالبها مأخوذ من تفسير التابعين[٣] .

٤ ـ أكثر المعلقات المنسوبة وغير المنسوبة وصلها ابن حجر في الفتح والتغليق[٤] .

٥ ـ في إيراده لأقوال التابعين قل أن يذكر خلافاً[٥] ، وكأنه بذلك يختار القول المترجح عنده ويذكره .

٦ ـ أكثر من النقل عن تلاميذ المدرسة المكية، وخصوصاً مجاهد، ثم ابن جبير، ثم عكرمة، ثم أورد بعض أقوال تلاميذ المدرسة العراقية، أما نقله عن المدرسة المدنية فكان قليلاً[٦] .

٧ ـ يورد في النادر بعضاً من الروايات عن أتباع التابعين وخاصة سفيان بن عيينة[٧] .

---

(١) قد يورد بعض التفاسير المسندة عن التابعين، ولكنها قليلة، من هذا ينظر صحيح البخاري (٥/ ١٦١)، (٥/ ٢١٥)، (٥/ ١٩١).

(٢) وغالب ما يورده عن التابعين في بيان غامض مفردات الآيات .

(٣) وهذا كثير يتضح من خلال مراجعة فتح الباري الصفحات: (٨/ ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢ . . .).

(٤) ولذا يُعد هذان الكتابان من المصادر الأساسية لمعرفة المروي في التفسير عن التابعين، وقد أغفلهما كثير من الباحثين في جمع المروي عنهم في التفسير .

(٥) ينظر صحيح البخاري (٥/ ٢١١).

(٦) روى عن زيد بن أسلم، وابن المسيب في موضع واحد فقط، ينظر صحيح البخاري (٥/ ٢١١)، (٥/ ١٩١).

(٧) من الأمثلة الدالة على ذلك، ينظر صحيح البخاري، الصفحات (٥/ ١٨٥)، (٥/ ١٨٦)، (٥/ ١٩٩)، (٥/ ٢٠١)، (٥/ ٢١٩)، (٥/ ٢٢١)، (٥/ ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٢)، (٦/ ١٠، ١٤ . . .).

٨ ـ اعتمد في تلك المعلقات على تفسير ابن عباس، ومجاهد، وكان ـ رحمه الله ـ يقدم الباب في الغالب بذكر ما يختاره من تفسير مجاهد.

٩ ـ يأتي بعد ابن عباس ومجاهد بمراحل، إيراده لتفسير ابن مسعود رضي الله عنه، وقتادة، وكان اعتماده على تفسير الحسن قليلاً.

١٠ ـ قل أن يورد تفسير سورة بدون إيراد قول، أو أقوال لمجاهد ـ رحمه الله ـ.

وخلاصة القول أن صحيح البخاري يعد من أهم كتب الصحاح والسنن التي جمعت الكثير من أقوال التابعين؛ ولذا عرضت له بشيء من التفصيل. وقد لاحظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ أهمية هذا الكتاب في جانب التفسير بالذات فجرد التفسير من صحيحه[١].

ومما زاد من أهمية الصحيح، ما قام به ابن حجر من شرح وبيان، وإيراد للكثير من آثار التابعين، فصار كتابه الفتح، وقبله التغليق من أهم كتب شروح السنة في جمعها لكثير من آثار التابعين في التفسير[٢]، ولذا فسوف أصل الحديث عن هذين الكتابين، مبينًا أهميتهما في هذا الباب.

تغليق التعليق[*]:

تتضح أهمية هذا الكتاب في سياقه لعدد كبير من الطرق والأسانيد التفسيرية، وقد اعتمد مؤلفه في تصنيفه على ما يزيد على ثلاثمائة وخمسين مصنفًا[٣]، بعض هذه

(١) في كتاب سماه تجريد التفسير من صحيح البخاري، ينظر: المنهل الصافي (٢/ ٢٤).

(٢) أحسب أن كتاب ابن حجر «الفتح» يأتي في الأهمية بين كتب التفسير بالمأثور بعد كتاب «الدر المنثور».

(*) لأحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة (٨٥٢) هـ، ينظر إنباء الغُمر (١/ ٣)، والضوء اللامع (٢/ ٣٦)، ونظم العقيان (٤٥)، والمنهل الصافي (٢/ ١٧)، وذيل تذكرة الحفاظ (٢٢٦)، والجواهر والدرر في ترجمة ابن حجر، للسخاوي.

(٣) مقدمة التغليق (١/ ٢٤٣)، (٥/ ٤٤٣).

المصنفات مفقود، وجزء منها صعب المنال من مخطوط، أو مبثوث في الكتب، فكان بمثابة اللبنة الأولى لوصل تلك المعلقات، وقد اعتمده ابن حجر عندما أراد التعرض لشرح الصحيح وزاد عليه، يقول ـ رحمه الله ـ: وقد أغنى عن تعب كبير[١]، وهو كتاب كثير الفوائد، لا سيما في وصل تلك الآثار المعلقة عن التابعين، وقد سار المصنف في الكتاب على نسق ترتيب صحيح البخاري، فيذكر الكتاب، ثم ما تحته من أبواب، حسب منهج صاحب الصحيح.

ومما يزيد في أهمية هذا الكتاب ما ذكره ـ رحمه الله ـ عندما أشار في المقدمة لتغليق المعلقات في كتاب التفسير من الصحيح[٢] فقال: وكتاب التفسير هذا يتكرر النقل فيه من كتب، وذكر أسانيده إلى هذه الكتب، وأسانيد هذه الكتب إلى الرسول ﷺ، والصحابة والتابعين، فذكر من هذه الكتب تفسير عبد بن حميد ـ الذي لا يزال مفقوداً، وتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير ابن جرير، وتفسير الفريابي[٣]. إلى أن قال: وأما تفسير عبد الرزاق بن همام، وتفسير سعيد بن منصور، وتفسير أبي بكر بن أبي شيبة، وغيرها، فلم أنقل منها إلا القليل، بالنسبة إلى النقل من تلك الكتب الأربعة[٤].

فتح الباري شرح صحيح البخاري:

أورد الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه روايات كثيرٍ من التابعين في تفسيرهم، ولكنها جاءت في أغلب الأحيان معلقة.

فلما تعرض ابن حجر لشرحها، وصل الكثير منها، ووضح المبهم، وشرح الغريب، وأورد الشواهد على صحة كثير منها، من قول المصطفى ﷺ، أو من قول

(١) مقدمة التغليق (١/ ٢١٩).
(٢) التغليق (٤/ ١٦٩).
(٣) التغليق (٤/ ١٦٩ ـ ١٧٠).
(٤) التغليق (٤/ ١٧١).

الصحابي، أو التابعي. وهذا الكتاب جاء حافلاً بالكثير من الروايات المسندة الزائدة على ما في الصحيح، ولعله بذلك يكون من أجمع كتب الحديث التي استوعبت التفسير عن الأئمة التابعين، بل فاق كثيراً من كتب التفسير بالأثر، وقد ذكر ابن حجر في نهاية كتاب التفسير من الفتح، إحصاء لما اشتمل عليه كتاب التفسير في صحيح البخاري، فقال: اشتمل كتاب التفسير على خمسمائة حديث، وثمانية وأربعين حديثًا من الأحاديث المرفوعة، وما في حكمها[١].

وذكر أن الكثير من هذه الأحاديث من رواية ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وعددها ستة وستون حديثًا[٢]، ثم ذكر أن عدد الآثار في التفسير عن الصحابة، ومن بعدهم، خمسمائة وثمانون أثرًا[٣].

وقد جاء تأليفه متأخراً عن التغليق؛ ولذا فقد تميز عنه بالعديد من المزايا منها:

١ ـ في الفتح يورد أكثر من رواية لوصل المعلق من تفسير التابعي، وأما في التغليق فيصله من طريق واحد[٤].

٢ ـ في الفتح يُعنى بألفاظ الرواية، فربما ذكر أكثر من لفظة ووجه لتفسير التابعي نفسه، أما في التغليق فيذكر وجهًا واحدًا[٥].

٣ ـ يصل المعلق من تفسير التابعين ويورد الشواهد له، أما في التغليق فيكتفي بوصله فقط[٦].

---

(١) الفتح (٨/ ٧٤٣).
(٢) المرجع السابق (٨/ ٧٤٣).
(٣) المرجع السابق (٨/ ٧٤٤).
(٤) ينظر الفتح (٨/ ١٧٩، ١٨٠، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٥٢، ٢٧٤...).
(٥) ينظر الفتح (٨/ ١٦١، ١٧٩، ١٩١، ١٩٨، ٢٠٨، ٢٥٢...).
(٦) ينظر الفتح (٨/ ١٧٩، ١٩٩، ٢٥٢، ٣٠٥...).

٤ ـ امتازت نسخة صحيح البخاري التي اعتمدها في الفتح بزيادات مفيدة[١] .

٥ ـ يورد الخلاف عند ذكر تفسير التابعي بأسانيد الأئمة من الصحابة والتابعين في الفتح، أما في التغليق لا يورد خلافًا؛ لأنه ليس من غرض الكتاب؛ إنما غرضه وصل المعلقات فحسب[٢] .

٦ ـ في الفتح يتعرض للمعلقات المبهمة فيوضحها، أما في التغليق فيكتفي بالمعلقات المسماة.

سنن سعيد بن منصور[*] :

هو من المصنفات التي تضم أحاديث النبي ﷺ، وما ورد عن الصحابة، والتابعين، مرتبة على الأبواب.

وشبه سنن سعيد ـ في الجملة ـ بمصنفي عبد الرزاق، وابن أبي شيبة ظاهر[٣] .

وقد تضمن ستة كتب في فضائل القرآن، وآخر في التفسير[٤] .

---

(١) لأنها جاءت من نسخة الأصيلي، والمستملي، ينظر الفتح (٨/ ١٦١، ١٦٢) عند قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾، و ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ﴾، و﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾، و ﴿فُومِهَا﴾.

(٢) ينظر الفتح (٨/ ١٧٩، ٢١٠، ٢٥٢، ٢٧٤ . . .).

(*) سعيد بن منصور بن شعبة الخرساني ثم المكي، المتوفى سنة سبع وعشرين ومائتين، ينظر طبقات ابن سعد (٥/ ٥٠٢)، وكتاب تسمية ما انتهى إلينا من الرواة عن سعيد بن منصور عاليًا (٢٦)، وتاريخ وفاة الشيوخ (٤٧)، والمعجم المشتمل (١٢٩).

(٣) مقدمة سنن سعيد للدكتور سعد الحميد (١/ ٢٠٥).
لكن من المفارقات الرئيسة بينهما أن عبد الرزاق أفرد كتابا صنفه في التفسير، وقد طبع بتحقيق د. مصطفى مسلم، وسيأتي الحديث عنه ص (٧٠).
وكذا صنع ابن أبي شيبة، فقد أفرد التفسير بمصنف خاص، قال عنه السيوطي في مقدمة تفسيره (ق ١): وله تفسير لكن لم أره، وهو في بطن تفسير ابن المنذر بسند منه، فإذا عزوت إليه فمنه.

(٤) قال السيوطي: سعيد بن منصور له السنن، وفيها باب عظيم في التفسير يجيء نحو مجلد، ينظر المقدمة (ق ١).

وبعد مراجعتي لكتاب التفسير في سننه[١] ، وجدت أنه يكثر من النقل عن مجاهد وابن عباس، وبعدهما الحسن وإبراهيم، ثم ابن جبير وعكرمة، فعطاء والشعبي، وغيرهم دونهم في ذلك.

سنن الترمذي:

أطال في كتاب التفسير[٢] ، وغالبه من التفسير النبوي، والقليل منه موقوف على الصحابة، وغالب هذا الموقوف في بيان أسباب النزول، وقد يورد في النادر عند نهاية ذكره الحديث أثرًا مسندًا عن تابعي[٣] .

وكتاب الإمام الترمذي على سعة كتاب التفسير فيه، فإن ما نقله عن التابعين كان قليلاً.

سنن الدارمي:

عقد كتابًا في فضائل القرآن أورد فيه أحاديث كثيرة عن الرسول ﷺ، وأكثر فيه من النقل عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وجاء عنه في هذا الكتاب بعضًا من الآثار عن التابعين[٤] .

---

(١) رجعت في تفسيره إلى نهاية سورة النساء، فوجدت أنه روى عن مجاهد في (٥٤) موضعًا أي: ما يقارب (١٠ , ٠) من مجموع تفسيره، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في (٥٢) موضعًا، وعن الحسن وإبراهيم في (٣٣) موضعًا، وعن ابن جبير في (١٧) موضعًا، وعن عكرمة في (١٦) موضعًا، وعن عطاء في (١٤) موضعًا، وعن الشعبي في (١٣) موضعًا، وغيرهم دونهم في ذلك، وبلغ المرفوع من الآثار للنبي ﷺ (١٧) حديثًا.

(٢) أورد فيه أكثر من أربعمائة حديث (٥/ ١٩٩ ـ ٤٥٣).

(٣) من ذلك ينظر السنن (٥/ ٢٠٠) ٢٩٥٢، (٥/ ٢٠٦) ٢٩٥٨، (٥/ ٢٣٧) ٣٠٢٢، (٥/ ٢٩٥) ٣١١٩.
وقد أورد قبل هذا الكتاب كتابًا في فضائل القرآن، وآخر في القراءات، ومنهجه في هذين الكتابين مثل منهجه في كتاب التفسير.

(٤) من ذلك ينظر سنن الدارمي: (٢/ ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٥٢، ٤٥٥، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧٠).

ومع هذا فإن المروي فيه من تفسير التابعين كان قليلاً، إذا ما قورن بالمروي عن الرسول ﷺ وعن الصحابة.

كتب الزهد والرقائق:

وهذا من المصادر التي قد يغفل عنها بعض الباحثين، وقد حوت كثيراً من الآثار التفسيرية عن التابعين، ومن المعلوم أن القرآن كتاب هداية، ودلالة، وإرشاد، وجاء كثيرٌ من آياته في الوعد والوعيد، والترغيب، والترهيب، وقد كان بعض من مفسري التابعين يفسرون تلك الآيات واعظين به الناس، وهذه الكتب تعد مصادر مهمة لتفسير المهتمين بهذا المسلك، والمكثرين منه، ومن أشهر هؤلاء: الحسن البصري.

وقد حوت تلك الكتب ما يزيد على ربع مادتها من أقوال التابعين وتفاسيرهم - رحمهم الله -.

وفيما يلي ذكر نماذج لأهم هذه الكتب:

كتاب الزهد والرقائق لابن المبارك(*):

وهذا الكتاب من أوسعها مادة، وأكثرها رواية عن التابعين، وقد أكثر من النقل عن الحسن، وبعده مجاهد، فالنخعي، فابن جبير، وغيرهم دونهم في ذلك[1].

(*) عبد الله بن المبارك بن واضح، أبو عبد الرحمن الحنظليُّ مولاهم التركي، ثم المروزي، توفي سنة إحدى وثمانين ومائة، ينظر ترتيب المدارك (١/ ٣٠٠)، وخلاصة صفوة الصفوة (١٩٤)، والديباج المذهب (١٣٠).

(١) بعد مراجعتي لكتابه، وجدته قد روى عن الحسن في (٩٤) موضعًا، وعن مجاهد في (٤٢) موضعًا، وعن إبراهيم النخعي في (١٦) موضعًا، وعن عمر بن عبد العزيز في (١٤) موضعًا، وعن قتادة في (٩) مواضع، وعن عطاء بن أبي رباح في (٧) مواضع، وعن الزهري وابن المسيب في (٦) مواضع.

كتاب الزهد لهناد(*) :

نقل فأكثر عن الحسن، ثم مجاهد، فالنخعي، فابن جبير، وغيرهم من التابعين(١).

كتاب الزهد لوكيع(**) :

وهو من أخصر هذه الكتب، وقد نقل عن الحسن، ثم مجاهد، فالنخعي، وغيرهم من التابعين أقل منهم في ذلك(٢).

المصنف لابن أبي شيبة(***) :

هو من الكتب التي جمعت العديد من الآثار التفسيرية عن التابعين وخصوصًا ما يتعلق منها بتفسير آيات الأحكام، والمتتبع لتفسير التابعين لابد له من الرجوع لهذا المصنف، وخاصة أن تفسير ابن أبي شيبة مفقود، وإلى هذا أشار السيوطي في مقدمة

(*) هو هناد بن السري بن مصعب التميمي، أبو السري، توفي سنة (٢٤٣ هـ)، ينظر الثقات (٩/ ٢٤٦)، والمعجم المشتمل (٣١٣)، والخلاصة (٤١٤).

(١) بعد مراجعتي لكتابه وجدت المنقول فيه عن الحسن بلغ (٧١) رواية، وعن مجاهد (٦١) رواية، وعن النخعي (٢٧) رواية، وعن ابن جبير (١٩) رواية، وعن مسروق والشعبي (١٤) رواية، وعن عكرمة (١٣) رواية، وعن قتادة رواية واحدة.

(**) هو وكيع بن الجراح بن مليح، أبو سفيان الرؤاسي، توفي سنة سبع وتسعين ومائة. ينظر التاريخ الصغير (٢/ ٢٨١)، الجرح (١/ ٢١٩)، الحلية (٨/ ٣٦٨).

(٢) بعد مراجعتي لكتابه وجدت المروي فيه عن الحسن بلغ (٤٣) رواية وعن مجاهد (٣٨) رواية، وعن النخعي (٢٢) رواية، وعن عطاء بن أبي رباح (٩) روايات، وعن ابن جبير (٨) روايات، وعن علقمة (٦) روايات، وعن قتادة (٥) روايات.

(***) ابن أبي شيبة، هو عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان، أبو بكر العبسي مولاهم. توفي سنة خمس وستين ومائتين.

ينظر التذكرة (٢/ ٤٣٢)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢)، والخلاصة (٢١٢).

الدر، وذكر عدم اطلاعه عليه، وأن ما نقله منه، أخذه من بطن تفسير ابن المنذر[١].

والمصنف كثير من أسانيده من تفسير وكيع عن سفيان الثوري.

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن الإمام ابن جرير، وابن أبي حاتم لم ينقلا كثيراً من طريق ابن أبي شيبة، كما صنعا في نقلهما من طريق عبد الرزاق، ولعل السبب في ذلك هو أخذهما هذه التفاسير من طرق أخرى.

ومما يؤكد هذا أن السيوطي في نقله عن هذا التفسير لم يرجع كما رجع في غيره إلى تفسير ابن جرير، إنما رجع إلى الأخذ من ابن المنذر؛ لأن ابن جرير لم ينقل عنه[٢].

غريب الحديث للحربي[*]:

هذا الكتاب ليس قاصراً - كما هو ظاهر اسمه - على غريب الحديث، بل اشتمل على بيان غريب القرآن وقراءاته، وبيان أسباب النزول، وذكر من خلاف المفسرين الشيء الكثير[٣]، ويعد من المصادر المهمة في تفسير التابعين، التي يغفلها كثير من الباحثين.

ومما امتاز به إيراده للعديد من الآثار التفسيرية المسندة عن التابعين، وخاصة عن مجاهد[٤]، ثم الحسن[٥]، فقتادة[٦]، والسدي[٧]، وغيرهم.

---

(١) انظر مقدمة السيوطي (ق ١).

(٢) المرجع السابق (ق ١).

(*) مؤلفه: هو إبراهيم بن إسحاق الحربي، المتوفى سنة خمس وثمانين ومائتين، ينظر طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٨٦)، وفوات الوفيات (١/ ١٤)، والمنهج الأحمد (١/ ٣٨٣)، والمقصد الأرشد في ذكر أصحاب أحمد (١/ ٢١١).

(٣) ينظر مقدمة محقق الكتاب د. سليمان بن إبراهيم العايد (١/ ١٠٦).

(٤) ينظر غريب الحديث (١/ ٤، ٢٥، ٢٩، ٥٩، ٧٤، ٨٦، ٨٧، ٩٥، ١٦٠، ١٨٩، ٢١٧ ...).

(٥) المرجع السابق (١/ ٧٤، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩١، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢٣٣، ٢٩٠، ٢٩٢ ...).

(٦) المرجع السابق (١/ ٤، ٢٥، ٢٩، ٧٥، ٨٧، ٨٨ ...).

(٧) المرجع السابق (١/ ٢٤، ٨٧، ٢٩٢ ...).

مما سبق يتضح تفاوت كتب السنة في مدى الاعتماد على تفسير التابعين، وإن كان الغالب عليها العناية بالمرفوع والموقوف[1].

* * *

(١) باستثناء الإمام البخاري كما سبق بيانه.
وقد راجعت بعضًا من كتب السنة التي عقدت كتبًا للتفسير في جوامعها، فلم أجدها تروي شيئًا من تفسير التابعين. فهذا مسلم في صحيحه جعل كتابًا للتفسير في آخر كتابه لم يتوسع فيه، والمنقول فيه كله عن النبي ﷺ، وعن الصحابة، ولم ينقل عن التابعين شيئًا.
بل هذا الحاكم في مستدركه الذي يعد كتاب التفسير عنده من أوسع الكتب (٢/ ٢٢٠ ـ ٥٤١)، ومع هذا لم يورد فيه عن التابعين شيئًا.

المبحث الثاني

كتب التفسير بالمأثور

ليس في طاقة باحث أن يقوم بحصر واستقصاء جميع الكتب التي ألفت في التفسير بالمأثور، والرجوع إليها؛ وذلك لكثرتها، ولفقد البعض منها، وقد اخترت في هذا المبحث نماذج لأهمها، وبينت مناهج الأئمة في إيراد أقوال التابعين.

تفسير مجاهد:

يعد تفسير مجاهد من أقدم المصادر التفسيرية، وجاء هذا التفسير برواية أبي القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبيد الهمذاني من طريق إبراهيم عن آدم، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، ومن هذا الطريق جاء معظم التفسير عن مجاهد[١].

وقد اعتمد محقق الكتاب في طبعه على نسخة وحيدة مصورة بدار الكتب المصرية[٢]، واستفاد في تصحيح هذه المخطوطة من تفسير الطبري وفي ذلك يقول: فإذا وجدنا فيه ما يوضح عبارة أصلنا الناقصة لم نلتفت بعده إلى تفسير آخر إلا قليلا[٣].

وهذه النسخة فيها نقص كثير، ولذا عمد المحقق إلى تفسير بن جرير، وأخذ ما فيه من زيادات، وأثبتها في حاشية الكتاب[٤].

(١) ينظر مقدمة تفسير مجاهد (١/ ٥٨).

(٢) رقم ١٠٧٥ نسخت في سنة ٥٤٤ هـ عن مقدمة تفسير مجاهد (١/ ٥٦).

(٣) المرجع السابق (١/ ٦٠).

(٤) والمروي في هذا الكتاب لا يعادل نصف المروي عند ابن جرير الطبري في تفسيره.

وفي ذلك يقول: الزيادات التفسيرية عن مجاهد التي أضفناها إلى أصلنا فإن معظمها من تفسير الطبري، ثم قال: والزيادات التفسيرية نوردها في تعليقاتنا حسب ترتيب الآيات[١].

وهذا التفسير كما هو واضح من مسماه مروي عن مجاهد، وقد يروي فيه عن غيره من التابعين[٢].

تفسير سفيان الثوري[*]:

من المصادر المهمة في تفسير التابعين لا سيما المروي عن مجاهد، وقد جاء غالب رواياته عن مفسري مكة، وكان ـ رحمه الله ـ يدعو إلى الأخذ عنهم فيقول: خذوا التفسير عن أربعة: عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة[٣]، وكان يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به[٤].

والمراجع لهذا التفسير يجد أن الثوري اعتمد تفسير التابعين في أكثر من نصف المروي ـ عنه ـ رحمه الله[٥] ـ واحتل مجاهد المرتبة الأولى بين عموم التابعين[٦].

---

(١) المرجع السابق (١/ ٦٠).

(٢) في تفسير سورة البقرة، ورد عن غير مجاهد أكثر من عشرين رواية للتابعين. ينظر جـ ١/ (٨٥، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩٣، ٩٧، ٩٩، ١٠١، ١٠٥، ١٠٦، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٨).

(*) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي، توفي سنة إحدى وستين ومائة، ينظر المعارف (٢١٧)، ومشاهير علماء الأمصار (١٦٩)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٨٦)، وكتاب سفيان الثوري، وأثره في التفسير تأليف هاشم المشهداني.
وقد طبع تفسيره بعناية الأستاذ امتياز علي عرشي، دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) تفسير الطبري (١/ ٩١) ١٠٩، مقدمة في أصول التفسير (١٠٣).

(٤) المقدمة (١٠٣).

(٥) بلغ عدد المروي في تفسيره (٩١١) رواية، منها (٥١١) رواية عن التابعين أي: ما يعادل (٥٦, ٠) عن التابعين، ينظر كتاب سفيان الثوري وأثره في التفسير (٤٦٦).

(٦) بلغ المروي عن مجاهد (٢٠٦) روايات، وعن ابن جبير (٥٦) رواية، وعن إبراهيم النخعي (٤٣) رواية، وعن عكرمة (٢٤) رواية، وعن عطاء (٢٠) رواية، ينظر كتاب سفيان الثوري، وأثره في التفسير (٤٦٨ ـ ٤٧١).

تفسير سفيان بن عيينة(*) :

وهذا التفسير من المحاولات التفسيرية المتقدمة(١) ، وقد رآه ابن حجر وقرأه(٢) ، ورجع إليه السيوطي ونقل منه في الدر(٣) ، لكنه فقد كغيره من كتب التفسير بالمأثور بعد ذلك، وقد جمع تفسيره أحد الباحثين المعاصرين في رسالة علمية(٤) ، وبعد الرجوع إلى ما جُمع وجدتُ أن كثيراً من تفسيره كان عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ، وأصحابه(٥) ، ولم ينقل عن غيرهم إلا في مواطن قليلة من تفسيره .

تفسير عبد الرزاق الصنعاني(**) :

من التفاسير المتقدمة، والتي عنيت في المقام الأول بتفسير التابعين(٦) ، وقدمته على غيره، لا سيما ما جاء عن مدرسة البصرة، فقد استغرق المروي عنهم ما يزيد على

(*) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران، ميمون مولى محمد بن مزاحم، الكوفي ثم المكي، توفي سنة ثمان وتسعين ومائة، وهو من أعلم الناس بحديث الحجاز، قال عبد الله بن وهب: لا أعلم أحداً أعلم بتفسير القرآن من ابن عيينة، ينظر التاريخ الصغير (٢/ ٢٨٣)، والسير (٨/ ٤٠٠)، (٨/ ٤٠٣)، والعقد الثمين (٤/ ٥٩١).

(١) الفهرست (٢٨٢)، ودراسات في الحديث النبوي (٢٦١).

(٢) ذكر ذلك ابن حجر في كتابه تجريد أسانيد الكتب المشهورة، المسمى بالمعجم المفهرس، والكتاب مصور في الجامعة الإسلامية بالمدينة برقم ٨٩٧ (٨٦).

(٣) مقدمة كتاب الدر المنثور (ق ١).

(٤) جمعه الباحث أحمد صالح محايري، وقد بلغ مجموع ما ورد فيه (٢٢٢) رواية .

(٥) بلغ المروي من تفسير النبي ﷺ (١١) رواية، وعن ابن عباس (٢٥) رواية، وعن ابن مسعود (١٣)، وعن مجاهد (٢٥) رواية، وعن عكرمة (١٠) روايات، وعن طاوس، وابن جبير (٣) روايات، وعن قتادة روايتين فقط، ولم يرد فيه عن الحسن شيء .

(**) عبد الرزاق بن همام بن نافع، أبو بكر الحميري، المتوفى سنة (٢١١ هـ)، ينظر طبقات ابن سعد (٥/ ٥٤٨)، والتاريخ الكبير (٦/ ١٣٠)، والسير (٩/ ٥٦٣).

(٦) ورد في تفسيره ما يُقارب (٣٧٧٠) رواية، منها (٢٤٥١) رواية عن التابعين أي: ما نسبته (٦٥, ٠) من مجموع تفسيره .

نصف الآثار الواردة في هذا التفسير[١] ، والمراجع لتفسيره يجد أنه لا تخلو ورقة منه من أثر عن قتادة، حتى كاد تفسيره يكون كله لقتادة، وجاء بعده الحسن فنقل عنه وأكثر، ثم مجاهد[٢] .

ومع قلة أسفار الإمام عبد الرزاق الصنعاني إلا إنه استفاد كثيراً ممن قدم إلى اليمن، وأخذ كثيراً من علم المشاهير من أتباع التابعين، فنشر علمهم وتفسيرهم في مدرسة اليمن، وقد لازم معمر بن راشد سبع سنين[٣] ، والتقى بعبد الملك بن جريج قبل ذلك، وأخذ عنه بعض تفسير عطاء وغيره من المكيين[٤] .

تفسير آدم بن أبي إياس(*):

وهو من التفاسير التي فقدت، وقد روى جملة منه ابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسيرهما.

---

(١) جاء عن قتادة أكثر من (١٥٠٩) أقوال ، وعن الحسن (٢٠٣) أقوال، أي ما نسبته (٤٥ , ٠) من مجوع تفسيره، في حين كان المروي من تفسير الرسول ﷺ (١٠٧) روايات، ومن تفسير ابن عباس (١٠٩) روايات، وعن ابن مسعود (٤٦) رواية، وعن علي بن أبي طالب (٣١) رواية.

(٢) روى من تفسير مجاهد (١٧٨) قولاً، وعن محمد بن شهاب الزهري (٨٤) قولاً، ويعد عبد الرزاق من أهم المصادر لمعرفة تفسير الزهري، وروى عن عكرمة (٦٠) قولاً، وعن طاوس (٤٥) قولاً، وعن ابن جبير (٣٧) قولاً، وغيرهم أقل منهم في ذلك.

(٣) تذكرة الحفاظ (١/ ٣٦٤)، مقدمة تفسير عبد الرزاق (١/ ٨).
وقد رجعت إلى تفسير عبد الرزاق، فوجدت أثر تلك الملازمة؛ إذ كان ما يزيد عن (٢٤٧١) رواية جاءت من طريق معمر، أي ما نسبته (٦٦ , ٠) من مجموع تفسير عبد الرزاق، وينظر رسالة الإمام عبد الرزاق مفسراً للباحث محمد بن عبده بن هادي أزيني في جامعة أم القرى (١١٨).

(٤) التقى بعبد الملك بن جريج، لكن نقله عنه في التفسير كان قليلاً؛ حيث لم يتجاوز (٤٣) رواية.

(*) آدم بن أبي إياس المَرْوزي، أبو الحسن العسقلاني، توفي سنة عشرين ومائتين، ينظر تاريخ بغداد (٧/ ٢٧) والمعرفة (١/ ٢٠٥)، والتاريخ الكبير (٢/ ٣٩).

يقول السيوطي: آدم بن أبي إياس له التفسير، لكني لم أره، وهو في بطن ابن جرير[١]، ويمكن من خلال التتبع لبعض كتب التفسير بالمأثور أن نلحظ منهجه، ونعرف طريقته، ويمكن بذلك أن يُجمع قطعة كبيرة من تفسيره.

ومما لاحظته عند مراجعتي لتفسير ابن أبي حاتم عناية ابن أبي حاتم بتفسيره، واعتماده عليه أكثر من عنايته بتفسير الثوري، وابن عيينة.

وهذا التفسير يعتبر من أهم المصادر في إيراد تفسير أبي العالية[٢].

تفسير يحيى بن سلام[*]:

وهو من التفاسير القديمة، ومن أوائل من جمع بين الرواية، والدراية، وتميز في ذلك بين مفسري عصره[٣].

يقول ابن حجر: تفسير يحيى بن سلام المغربي هو تفسير كبير في نحو ستة أسفار أكثر فيه النقل عن التابعين، وغيرهم[٤].

---

(١) ينظر مقدمة الدر (ق ١).

(٢) من خلال مراجعة الجزء الأول من تفسير سورة البقرة في تفسير ابن أبي حاتم لاحظت ما يلي:
أ- أن ما يزيد عن (١٣, ٠) من الأسانيد المروية في تفسير ابن أبي حاتم لهذا الجزء كلها جاء من تفسير آدم بن أبي إياس.
ب- كان معظم هذا التفسير عن أبي العالية، وأن عدد الروايات المأخوذة من تفسيره آدم (١٧١) رواية، منها (١٤٣) كلها من تفسير أبي العالية.
والباقي موزع بين عطاء الخراساني (٦) روايات، وقتادة (٥) روايات، وعكرمة (٤) روايات، وغيرهم.

(*) يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي، مولاهم البصري، المتوفى سنة (٢٠٠ هـ)، ينظر طبقات علماء إفريقية لأبي العرب (١١١)، ورياض النفوس (١/ ١٨٨)، ومعالم الإيمان (١/ ٣٢٦)، والتفسير ورجاله لابن عاشور (٢٢)، ومقدمة كتاب التصاريف لهند شلبي (٦٧).

(٣) مقدمة رسالة (مختصر تفسير يحيى بن سلام) للباحث عبد الله المديميغ (١/ ٣).

(٤) العجاب في بيان الأسباب، عن كتاب الدر المنثور (٨/ ٧٠١).

ابتدأ يحيى طلبه للعلم على شيوخ البصرة، فأخذ القراءات، وروى الحروف عن أصحاب الحسن البصري، وروى عن مشايخ أهل البصرة وسمع منهم[١]، وهذا ما نلاحظه على منهجه في الإكثار من الرواية عن الحسن، وقتادة، وجاء بعدهما بمراحل ما رواه عن ابن عباس، ومجاهد[٢].

وهذا التفسير عُرفت روايته في إفريقية، والمغرب، والأندلس، وكانوا يهتمون به جدًا، حتى كان منهم من يحفظه، وقد تناقلوه بالأسانيد[٣].

تفسير عبد بن حميد[*]:

وهو من التفاسير المسندة المفقودة، ويمكننا أن نأخذ صورة إجمالية لمنهجه في إيراد تفسير التابعين، من خلال الاستفادة من مصدر ثانوي نقل عنه كثيرًا، وهو الدر المنثور في التفسير بالمأثور، فبعد مراجعة ما أورده السيوطي من طريق عبد بن حميد، وجدت إكثاره من الرواية عن قتادة، ومجاهد، ثم ابن عباس، والحسن وأما ما روى عن غيرهم فقليل[٤].

---

(١) السير (٩/ ٣٩٦)، وغاية النهاية (٢/ ٣٧٣).

(٢) رجعت إلى مختصره لابن أبي زمنين، فوجدت المروي عن الحسن حتى نهاية سورة آل عمران (١١١) قولاً، وعن قتادة (١٠٩) أقوال، في حين كان عن ابن عباس (٣٠) قولاً، وعن مجاهد (٢٧) قولاً.
وينظر في بيان منهج يحيى، مقدمة تحقيق تفسير كتاب الله العزيز، لهود الهواري (١/ ٢٩).

(٣) معالم الإيمان (٢/ ٢٨٤)، وفهرست ابن خير (٥٦)، ومقدمة مختصر تفسير يحيى (١/ ٤).

(*) عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي مُصنف المسند الكبير، والتفسير، روى عن عبد الرزاق الصنعاني وغيره، مات سنة تسع وأربعين ومائتين، ينظر التذكرة (٢/ ٥٣٤)، وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه (٣/ ١٢١٨) والرسالة المستطرفة (٥٠).

(٤) بعد مراجعتي لسورتي البقرة، وآل عمران، في الدر المنثور، وجدت أن المروي عن قتادة بلغ (٢٤٩) قولاً، وعن مجاهد بلغ (٢٣٥) قولاً، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بلغ (١٢٢) قولاً، وعن الحسن بلغ (٦٢) قولاً. =

تفسير ابن جرير الطبري(*) :

وهو الكتاب الرئيس، والأساس الذي اعتمد عليه في استخلاص كثير من النتائج، وفي عقد العديد من المقارنات، والسبب في ذلك يرجع إلى جملة من الأمور من أهمها:

١ ـ أن تفسيره من أضخم، وأوسع كتب التفسير بالأثر، وقد فاق غيره من مفسري المتقدمين(١)، والمعاصرين له(٢)، والمتأخرين عنه(٣)، في إيراد العدد الكبير من الآثار في تفسيره.

يقول السيوطي: وله التصانيف العظيمة، منها: تفسير القرآن، وهو أجل التفاسير لم يؤلف مثله؛ وذلك لأنه جمع فيه بين الرواية، والدراية، ولم يشاركه في ذلك أحد

= وقد كان جل اهتمامه بالمروي عن التابعين، فإن ما رواه من المرفوع عنه ﷺ بلغ (٣٢) رواية، وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بلغ (٣١) قولاً، وعن عكرمة بلغ (٣٥) قولاً، وعن ابن جبير (٣١) قولاً، وعن عطاء (٢٥) قولاً، وعن النخعي (٢١) قولاً، وعن الشعبي (١٩)، قولاً، وعن طاوس (٩) أقوال، وغيرهم دونهم في ذلك.

(*) مؤلفه هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، المتوفى سنة عشر وثلاثمائة، واسم كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ينظر معجم الأدباء (١٨/ ٤٠ ـ ٩٤)، وطبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٢٠)، والوافي بالوفيات (٢/ ٢٨٤)، وطبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٠٦).

(١) كتفسير سفيان الثوري، وتفسير عبد الرزاق الصنعاني، وتفسير يحيى بن سلام، وغيرهم.

(٢) كتفسير ابن أبي حاتم (٣٢٤ هـ)، ولعقد مقارنة سريعة بينهما، رجعت إلى تفسير ابن أبي حاتم حتى نهاية الجزء الأول من القرآن، فوجدت الآثار المروية فيه بلغت (١٣٣١) أثرًا، في حين كانت عند ابن جرير (٢١٤١) أثرًا.

(٣) من أهم وأشهر كتب التفسير بالمأثور عند المتأخرين كتاب السيوطي: الدر المنثور، وبعد الرجوع إليه، وجدت أن ابن جرير فاقه في كم ونوع المروي من الآثار، ففي العديد من الجوانب، كانت الآثار المروية عند ابن جرير في تفسيره كله بلغت ما يقارب (٣٨٣٩٧) أثرًا، في حين كانت عند السيوطي (٣٧٠٦٠) أثرًا، كما أن ابن جرير امتاز بإيراد الآثار التفسيرية ذات الصلة المباشرة ببيان الآية، في حين أن السيوطي عني كثيرًا بإيراد، وحشد العديد من الآثار الواردة في فضائل القرآن من ترغيب، وترهيب، ونحوه.

لا قبله ولا بعده.

٢ ـ ثناء الأئمة وتقديمهم لتفسيره، وفي ذلك يقول النووي، والخطيب البغدادي: له كتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله[١].

ويقول ابن عطية: ابن جرير جمع على الناس أشتات التفسير وقرب البعيد، وشفى في الإسناد[٢].

ويقول ابن تيمية: تفسير ابن جرير من أجلّ التفاسير المأثورة وأعظمها قدراً[٣].

٣ ـ عنايته بأقوال الأئمة مسندة، فقد شفى الغليل ـ رحمه الله ـ في جانب المتن والإسناد، فلا يورد قولاً إلا ويسنده، ويرويه بنصه بمنطوق قائله، بخلاف حال كثير من المفسرين الذين أوردوا أقوال التابعين بمعناها، أو غير مسندة.

٤ ـ عنايته بتفسير التابعين، فقد استغرق تفسير التابعين أكثر من نصف مادته المروية، كما اعتنى بنقل تفاسير شيوخ التابعين من الصحابة بالإسناد[٤].

لهذا وغيره، فقد اعتمدت كتاب الطبري مصدراً أصيلاً أستقصي منه تفسيرات التابعين، وكان الأساس في دراستي، ومادة أصيلة لعملي.

وقد عني ـ رحمه الله ـ في تفسيره بإيراد تفسير مجاهد وقتادة في المقام الأول، وبعدهما السدي، ثم الحسن البصري، فابن جبير، وعكرمة، وغيرهم[٥].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٧٨)، وتاريخ بغداد (٢/ ١٦٣).

(٢) تفسير ابن عطية (١/ ١٩)، والوجيز في فضائل الكتاب العزيز (١٢٩).

(٣) مقدمة في أصول التفسير (٩٠).

(٤) المروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بلغ (٥٨٠٩) أقوال، وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ (٨٥٦) قولاً، وغيرهم من الصحابة أقل منهم في ذلك.

(٥) بعد مراجعتي لتفسير الطبري كله، وجدت أن المروي عن:
مجاهد بلغ (٦١٠٩) أقوال.
وعن قتادة (٥٣٧٩) قولاً. =

تفسير ابن المنذر(*) :

من التفاسير المسندة المفقودة(١) ، وقد رجعت إلى الدر المنثور واستخرجت ما أورده عنه من روايات، فوجدت أن كثيراً منها جاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ثم مجاهد، فقتادة، ثم عكرمة، وابن جبير، والحسن(٢) .

ولقد كانت عناية ابن المنذر بالموقوف من التفسير على الصحابة أكثر من عنايته بما

= وعن السدي (١٦٨٢) قولاً .
وعن الحسن البصري (١٤٨٧) قولاً .
وعن سعيد بن جبير (١٠١٠) أقوال .
وعن عكرمة (٩٤٣) قولاً .
وعن إبراهيم النخعي (٦٠٨) أقوال .
وعن عطاء ابن أبي رباح (٤٨٠) قولاً .
وعن عامر الشعبي (٤٦١) قولاً .
وعن أبي العالية (٢٤٤) قولاً .
وعن سعيد بن المسيب (١٨١) قولاً .
وعن محمد بن كعب القرظي (١٥٣) قولاً .
وعن زيد بن أسلم (١١٧) قولاً .

(*) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر، نزيل مكة، مات سنة ثماني عشرة وثلاثمائة . ينظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ٦٠)، وطبقات الفقهاء للعبادي (١/ ٦٧)، وطبقات السبكي (٣/ ١٠٢)، وطبقات الشافعية لابن هداية الله (٥٩) .

(١) يقول الذهبي : لابن المنذر تفسير كبير في بضعة عشر مجلداً، يقضي له بالإمامة في علم التأويل، السير (١٤/ ٤٩٢) .
وقد رآه السيوطي ووقف عليه . ينظر طبقات المفسرين للسيوطي (٩١) .

(٢) بعد مراجعة الدر حتى نهاية سورة آل عمران، وجدت أن المروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بلغ (٢٨١) رواية، في حين بلغ المروي عن مجاهد (٩١) قولاً، وعن قتادة (٦١) قولاً، وعن عكرمة (٢٠) قولاً، وعن ابن جبير (١٦) قولاً، وعن الحسن (١٥) قولاً، وعن عطاء والسدي (١١) قولاً، وعن الشعبي (٩) أقوال، وعن النخعي (٦) أقوال، وعن طاووس (٥) أقوال، وغيرهم أقل منهم في ذلك .

جاء عن التابعين.

تفسير ابن أبي حاتم(*) :

من أوسع كتب التفسير المسندة بعد ابن جرير، وقد اختصره فحذف منه الطرق والشواهد، والحروف، والروايات، وتنزيل السور، وقصد إلى إخراج التفسير مجردًا دون غيره، فلا يترك حرفًا من القرآن يوجد له تفسير، إلا أخرج ذلك كله بأصح الأحاديث عنده إسنادًا وأشبعها متنًا(١).

وكان أكثر تفسيره عن التابعين(٢)، وعني بإيراد تفسير قتادة في المقام الأول، ثم السدي، فمجاهد، فالحسن، فأبي العالية، فابن جبير، ثم الربيع بن أنس، ثم عكرمة(٣).

ومن ذلك يتضح عناية ابن أبي حاتم بتفسير المدرسة البصرية أكثر من عناية ابن جرير بها.

(*) هو عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، توفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة. ينظر التدوين في أخبار قزوين (٣/ ١٥٣)، والتقييد لابن نقطة (٣٣١)، والمختصر في أخبار البشر (٢/ ٨٦)، وفوات الوفيات (٢/ ٢٨٧)، وطبقات الشافعية للأسنوي (١/ ٢٠٠).

(١) مقدمة تفسير ابن أبي حاتم، تفسير سورة البقرة (ص ١).

(٢) بعد مراجعتي للروايات المسندة في تفسيره حتى نهاية الجزء الأول من سورة البقرة، وجدت أن عدد الآثار المروية (١٣٣١) أثرًا، منها (٧٩٥) أثرًا عن التابعين؛ أي ما يقارب (٦٠, ٠) من مجموع تفسيره عن التابعين.

(٣) بعد مراجعة الأجزاء المطبوعة من تفسيره، حتى نهاية الجزء الأول من البقرة، وتفسير سورة آل عمران، وجدت أن المروي من تفسير التابعين عن قتادة (٢٣٠) رواية، وعن السدي (٢١٢) رواية، وعن مجاهد (١٩٧) رواية، وعن الحسن (١٨٨) رواية، عن أبي العالية (١٧٩) رواية، وعن ابن جبير (١١٣) رواية، وعن الربيع بن أنس (٨٢) رواية، وعن عكرمة (٥٠) رواية.

تفسير الماوردي(*) :

يعتبر كتاب ابن جرير الطبري من أهم مصادره في التفسير بالمأثور(١) ، وقد عني بتفسير ابن عباس، وأصحابه، ونقل عن التابعين من البصريين فأكثر(٢) .

تفسير ابن عطية(**) :

من التفاسير التي نقلت عن ابن جرير كثيراً(٣) ، وقد مدحه شيخ الإسلام بقوله: وتفسير ابن عطية أتبع للسنة والجماعة، وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري(٤) .

وقد تأثر في كتابه بتفسير يحيى بن سلام، فنقل ما جاء عن تابعيي المدرسة البصرية، كقتادة، والحسن، ونقل عن مجاهد، والسدي وغيرهم من التابعين(٥) .

(*) هو علي بن محمد بن حبيب البصري، أبو الحسن الماوردي الشافعي، واسم تفسيره: النكت والعيون، مات ـ رحمه الله ـ سنة خمسين وأربعمائة، ينظر طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٢٦٧)، وطبقات الشافعية للأسنوي (٢/ ٢٠٦)، وهداية العارفين (١/ ٦٨٩).

(١) مقدمة كتابه التفسير (١/ ٧).

(٢) بعد مراجعتي لتفسيره حتى نهاية سورة البقرة، وجدت أنه عني بنقل أقوال، وتفسيرات ابن عباس، وأصحابه فأورد عنه ـ ما يزيد على (١٧٨) قولاً، وعن مجاهد (١٢٨) قولاً، وعن قتادة (١٠٦) أقوال، وعن السدي (٩٨) قولاً، وعن الحسن البصري (٧١) قولاً، وعن عطاء بن أبي رباح (٣٥) قولاً، وعن الربيع بن أنس (٣٢) قولاً، وعن ابن مسعود (٢٨) قولاً، وعن عكرمة (٢٦) قولاً، وعن ابن جبير (٢٥) قولاً، وعن أبي العالية (٢٢) قولاً، وعن الشعبي (٢١) قولاً، وعن ابن المسيب (١٦) قولاً، وعن النخعي (٧) أقوال.

(**) ابن عطية هو: عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي المتوفى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، واسم كتابه في التفسير: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ينظر بغية الملتمس (٣٨٩)، المعجم لابن الأبار (٢٦١)، والديباج المذهب (٢/ ٥٧)، وفوات الوفيات (٢/ ٢٥٦)، وفهرس بن عطية (٥٩).

(٣) مقدمة في أصول التفسير (٩٠).

(٤) المرجع السابق (٩٠).

(٥) بعد مراجعتي لتفسيره حتى نهاية تفسير سورة البقرة، وجدت أن المروي عن مجاهد بلغ (١٣٣) قولاً، وعن قتادة (١٢٨) قولاً، وعن الحسن (١١٣) قولاً، وعن السدي (٨٩) قولاً، وعن

وإن كان في الجملة لم يتوسع في النقل عن السلف ـ رحمه الله[١] ..

تفسير البغوي(*) :

وهو مختصر لتفسير الثعلبي الكشف والبيان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة، والآراء المبتدعة[٢] .

وذكر في مقدمة تفسيره أسانيد تلك الروايات التي أوردها في كتابه، فقال : وما نقلت فيه من التفسير عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ حبر هذه الأمة، ومن بعد عن التابعين، وأئمة السلف مثل : مجاهد وعكرمة، والحسن رضي الله عنهم، وقتادة وأبي العالية، ومحمد ابن كعب، وزيد بن أسلم وغيرهم . . . ثم ذكر أسانيده في كل إمام منهم[٣] .

وقد اهتم ـ رحمه الله ـ بإيراد ما روي عن مجاهد ، وقتادة، ويليهما الحسن، وعطاء ثم ابن جبير، وعكرمة[٤] .

= عطاء (٦٢) قولاً، وعن الربيع بن أنس (٥٤) قولاً، وعن النخعي (٣٦) قولاً، وعن ابن شهاب الزهري، وابن جبير، (٣٥) قولاً، وعن عكرمة (٣٤) قولاً، وعن أبي العالية (٢٠) قولاً، وعن ابن المسيب (١٦) قولاً، وعن طاووس (٩) أقوال، وعن زيد بن أسلم (٥) أقوال.

(١) مقدمة في أصول التفسير (٩٠). وينظر كتاب مدرسة التفسير في الأندلس (٩٥).

(*) هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي توفي سنة ست عشرة وخمسمائة، واسم كتابه في التفسير : معالم التنزيل، ينظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ٣١٠)، والمختصر في أخبار البشر (٢/ ٢٤٠)، والتقييد لمعرفة رواة المسانيد (٢٥١)، وطبقات الشافعية للأسنوي (١/ ١٠١).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٣٥٤).

(٣) مقدمة تفسيره (١/ ٢٨).

(٤) بعد مراجعتي لتفسيره حتى نهاية سورة البقرة، وجدت أن المروي عن مجاهد (١٣٧) قولاً، وعن قتادة (١٢٣) قولاً، وعن الحسن (٧٤) قولاً، وعن عطاء (٦٠)، قولاً، وعن ابن جبير (٤١) ، وعن عكرمة (٣٦) قولاً، وغيرهم من التابعين دونهم في ذلك.

زاد المسير(*) :

صنف ابن الجوزي في التفسير المغني، وهو كتاب كبير ، ثم اختصره في كتاب سماه زاد المسير(١) .

وقد حوى الكثير من الروايات عن أئمة التابعين . وعني بنقل تفسير ابن عباس، ثم مجاهد، فقتادة، فأبي العالية، فالحسن، وغيرهم من التابعين(٢) .

تفسير ابن كثير(**) :

اهتم - رحمه الله - بالمأثور عنه ﷺ، وأكثر منه(٣)، ونقل عن ابن عباس فأكثر وأطاب(٤)، وعدَّ الأخذ بأقوال التابعين في المرتبة الرابعة بعد الأخذ بأقوال الصحابة، وقدمه في ذلك على الفهم والاجتهاد، وفي ذلك يقول: إذا لم تجد في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري . . . وغيرهم .

(*) مؤلفه : عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي، المتوفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة، ينظر التقييد (٣٤٣)، وذيل تاريخ بغداد (١٩/ ١٥٥) والتكملة لوفيات النقلة (١/ ٣٩٤).

(١) السير (٢١/ ٣٦٨).

(٢) بعد مراجعتي لتفسيره حتى نهاية الجزء الأول من تفسيره سورة البقرة وجدت أن المروي عن ابن عباس بلغ (٢٢١) رواية، وعن مجاهد (٩١) رواية، وعن قتادة (٧٧) رواية، وعن أبي العالية (٤٢) رواية، وعن عكرمة (٢٣) رواية، وعن ابن جبير (١٩) رواية.

(**) المسمى تفسير القرآن العظيم، مؤلفه هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوي بن كثير أبو الفداء، المتوفى سنة أربع وسبعين وسبعمائة. ينظر أنباء الغمر (١/ ٣٩)، والبدر الطالع (١/ ١٥٣)، والدرر الكامنة (١/ ٣٣٩)، وذيل تذكرة الحفاظ (٥٧).

(٣) أورد من الأحاديث جملة كبيرة، كثيرٌ منها في الفضائل، وقد بلغت الأحاديث المروية في تفسيره كله (٢٢٥٢) حديثًا. ومن المفارقات الرئيسة بينه وبين ابن جرير الطبري؛ أن ابن كثير اهتم بإيراد المرفوع من الأحاديث وغالبه في الفضائل، وقد لا يكون له علاقة مباشرة ببيان معنى الآية في حين اقتصر ابن جرير على الأحاديث التي لها ارتباط واضح بالآية.

(٤) عني بنقل تفسير ابن عباس في المقام الأول؛ حيث بلغ مجموع ما رواه عنه في تفسيره (١٧١٦) أثرًا، وبعده ابن مسعود حيث بلغ مجموع ما رواه عنه (٣٤٠) أثرًا.

وقد أورد قطعة كبيرة من تفسير مجاهد، وقتادة، ثم عكرمة والسدي، وابن جبير وبعدهم الحسن البصري، فالربيع بن أنس، فأبى العالية[١] .

الدر المنثور(*) :

بين السيوطي الباعث على تأليفه هذا التفسير بقوله : وقد جمعت كتابًا مسندًا فيه تفاسير النبي ﷺ، منه بضعة عشر ألف حديث، ما بين مرفوع، وموقوف، وقد تم ولله الحمد في أربع مجلدات، وسميته ترجمان القرآن، فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرجة منها، ثم رأيت قصور أكثر الجهد عن تحصيله، ورغبتهم في الاختصار على متون الأحاديث، فلخصت منه هذا المختصر، وسميته الدر المنثور في التفسير بالمأثور[٢] .

ومن هذا البيان يتضح لنا مدى عناية السيوطي بالمرفوع من التفسير، فقد أورد في تفسيره العديد من الأحاديث سواء كانت ذات صلة مباشرة في إيضاح معنى الآية، أو كانت في الفضائل من ترغيب، وترهيب[٣] .

ولذا فقد استغرق المرفوع إلى النبي ﷺ أكثر من ثلث تفسيره[٤] ، وكان تفسيره من

---

(١) بعد مراجعتي لتفسيره كله وجدت أن المنقول عن مجاهد بلغ (٧٤٢) قولاً، وعن قتادة (٧١٦) قولاً، وعن عكرمة (٥٧٨) قولاً وعن السدي (٥٧٦) قولاً، وعن ابن جبير (٥٣٤) قولاً، وعن الحسن البصري (٤٨٨) قولاً، وعن الربيع بن أنس (٣٨٢) قولاً، وعن أبي العالية (٢٩٤) قولاً، وعن ابن المسيب (١٣٨) قولاً، وعن إبراهيم النخعي (٨٤) قولاً، وغيرهم من التابعين دونهم في ذلك.

(*) لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري الأسيوطي، المتوفى سنة (٩١١ هـ)، ينظر الكواكب السائرة (١/ ٢٢٦)، والضوء اللامع (٤/ ٦٥).

(٢) الدر (١/ ٩)، والإتقان (٢/ ١٨٣).

(٣) وقد سبق الإشارة إلى الفرق بينهما قبل ورقات، ص (٦٩).

(٤) بلغت الأحاديث الواردة في تفسير (١٤١٦٤) حديثًا، أي ما نسبته (٠,٣٨) من مجموع تفسيره البالغ (٣٧٠٦٠)، في حين كان المرفوع في تفسير ابن جرير لا يزيد عن (٠,٠٨) من مجموع المروي عنه.

أكثر التفاسير عناية بالمرفوع ، وجاء بعده بمراحل العناية بالموقوف على الصحابة[١] ، ثم المنسوب إلى التابعين .

وقد أورد عن ابن عباس وأكثر ، وجاء بعده مجاهد وقتادة ، ثم ابن جبير والحسن ، فالسدي ، وأبو العالية ، فعكرمة ، وعطاء ، ثم النخعي ، فالربيع ، ثم الشعبي[٢] . . .

❁ ❁ ❁

(١) بلغ المروي عن ابن عباس (٣٦٨٠) رواية ، وعن ابن عمر (٩١٠) رواية ، وعن ابن مسعود (٦٨٠) رواية . . . وغيرهم من الصحابة أقل منهم في ذلك ، وكانت نسبة المروي من تفسير الصحابة تمثل (١٧ , ٠) من مجموع تفسيره .

(٢) بعد مراجعتي لتفسيره ، وجدت أن المروي عن مجاهد بلغ (٢٤٤٠) قولاً ، وعن قتادة (٢٢٢٥) قولاً ، وعن ابن جبير (٧٨١) قولاً ، وعن الحسن (٦٠٨) أقوال ، وعن السدي (٥٦٨) قولاً ، وعن أبي العالية (٥٢٠) قولاً ، وعن عكرمة (٤٢١) قولاً ، وعن عطاء (٣٨٢١) قولاً ، وعن النخعي (٣٤٧) قولاً ، وعن الربيع (٢٣٢) قولاً ، وعن الشعبي (٢٢٠) قولاً ، وعن زيد بن أسلم (١٨٧) قولاً ، وعن ابن المسيب (١٦٥) قولاً ، وعن محمد بن كعب (٩٠) قولاً ، وعن مسروق (٦٤) قولاً ، وغيرهم من التابعين دونهم في ذلك .

الباب الثاني

مدارس التفسير في عصر التابعين، وخصائصها

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أشهر رجال مدارس التفسير في عصر التابعين.

الفصل الثاني: عرض مدارس التفسير في عصر التابعين.

المبحث الأول: المدرسة المكية.

المبحث الثاني: المدرسة البصرية.

المبحث الثالث: المدرسة الكوفية.

المبحث الرابع: المدرسة المدنية.

المبحث الخامس: التفسير في الشام واليمن ومصر.

الفصل الثالث: خصائص مدارس التفسير.

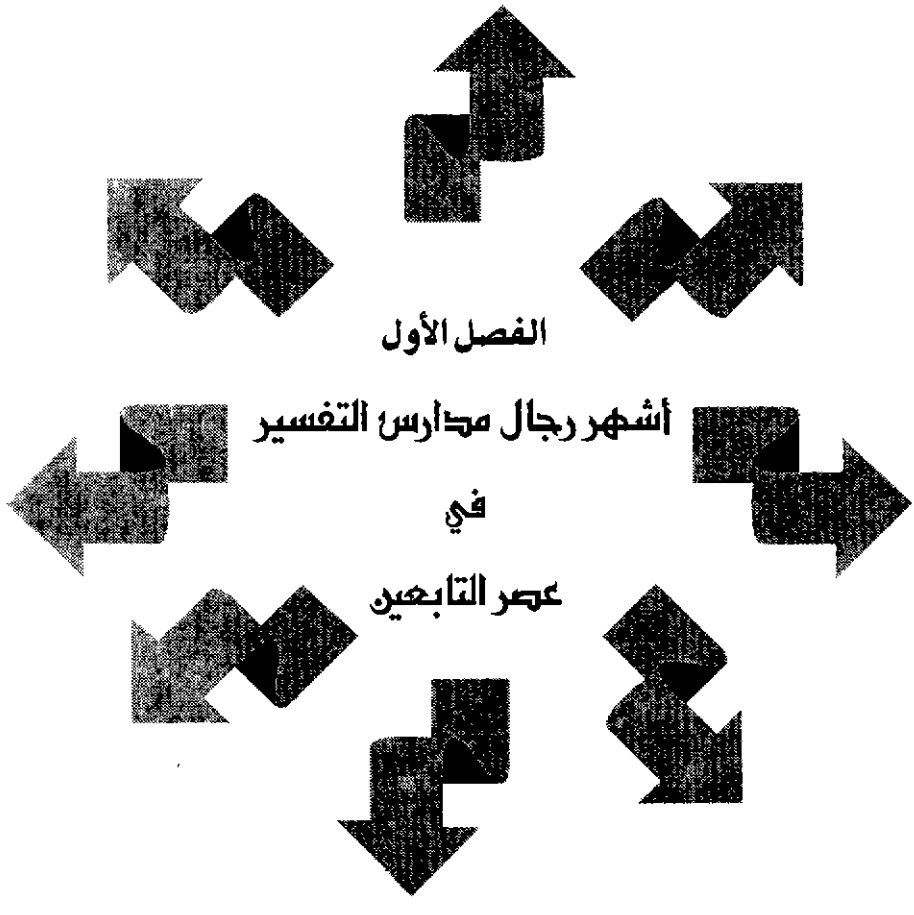

الفصل الأول

أشهر رجال مدارس التفسير

في

عصر التابعين

الفصل الأول

أشهر رجال مدارس التفسير في عصر التابعين

مادة الشين، والهاء، والراء تدل في الأصل على الظهور، والوضوح وعدم الخفاء، يقال: شهره يشهره شهرًا، وشهرة فاشتهر، وشهّره تشهيرا، واشتهره فاشتهر، إذا أظهره ووضحه.

وسمي القمر شهرًا لوضوحه، وظهوره، وسمي سل السيف وإخراجه من غمده شهرًا؛ لأنه بذلك يبرز، ويظهر، ويتضح[1].

وقولي في ترجمة هذا الفصل: أشهر رجال المدارس لا يخرج عن مدلول هذه المادة في أصلها اللغوي؛ ذلك أني عنيت به من برز من التابعين، وظهر فضله في مجال التبيان، وبان علمه في مضمار تأويل القرآن، لكثرة تعرضه له بالبيان، ووفرة المروي عنه في هذا الميدان، فاشتهر من بين سائر الأقران، إما بالنسبة لعموم التابعين، أو صار يشار إليه في مدرسته بالبنان.

وقد انتقيت من كل مدرسة أكثر التابعين فيها رواية ودراية في التفسير، وجعلته ممثلاً لتلك المدرسة. وهذا الفصل يعد من أطول فصول هذا البحث، وأهمها، فقد درست فيه تفسير أولئك المشاهير من خلال النظر في كلامهم، واختياراتهم؛ لأن في ذلك استقراءً لأفكارهم، وتتبعًا لمناهجهم، حتى يكون الإدراك لمناهجهم مُقاربًا للتمام والإنصاف، ويكون الحكم على آرائهم حكمًا صحيحًا، وتكون مقارنته ومقابلته لغيره

(١) لسان العرب (٤/ ٤٣١-٤٣٣)، وتاج العروس (١٢/ ٢٦٢-٢٦٦).

على أساس مستقيم.

وقبل الشروع في الحديث عن تراجم أشهر هؤلاء الأعلام أحب التنبيه على بعض المسائل:

١ ـ رتبت المدارس، ورجالها حسب كثرة المروي عنهم ـ غالبًا ـ مبتدئًا بمدرسة مكة، مقدمًا مجاهدًا، ثم ابن جبير، ثم عكرمة، فعطاء.

وفي مدرسة البصرة بدأت بالحديث عن إمامها الحسن البصري، ثم قتادة، فأبي العالية.

وعند الحديث عن مدرسة الكوفة، قدمت السدي، ثم النخعي فالشعبي.

وختمت ذلك بمشاهير المدرسة المدنية: سعيد بن المسيب، ثم محمد بن كعب القرظي، فزيد بن أسلم.

٢ ـ حرصت حال التعرض لتراجمهم إبراز المعالم المنهجية في شخصيتهم، والتي تبينت لي من خلال النظر في تفسيرهم ومروياتهم، أو من خلال ما جاء في سيرتهم وترجمتهم، حين تضن مادة التفسير، ولا تفي بما أنا بصدده، وذلك لجبر الخلل وسد النقص.

ولذا يجد الناظر في هذه التراجم بعضًا من الاختلاف في المنهج مرده إلى ذلك؛ ولأن الهدف الرئيس في هذا الفصل هو تسجيل أبرز الملاحظات التي يمكن أن تتضح بدون تكلف في إظهار أهم المعالم في شخص التابعي.

٣ ـ اعتمدت في الحديث عن المشاهير على ثلاثة جوانب:

الأول: الدراسة التاريخية من خلال قراءة كتب التراجم.

الثاني: الاستقراء، والتتبع لمروياته في التفسير.

الثالث: مقارنة ما استقر عندي مما سبق مع غيره من مشاهير مفسري التابعين.

٤ ـ أطلت في تراجم بعض المشاهير وهم: مجاهد، وقتادة، والحسن؛ وذلك لسبقهم، وفضلهم، فإن ما يزيد على ثلث التفسير بالمأثور جاء عنهم.

٥ ـ حرصت على بيان مدى متابعة التابعي لأقوال مدرسته، فإن بعض التابعين خالف منهج أصحابه، وسار في مسلك مدرسة أخرى، فحاولت جاهداً بيان ذلك وسببه.

٦ ـ حرصت حال تدوين النتائج على التدليل، والمقارنة بين كل تابعي وآخر، واعتماد النِّسب مقارنًا بمجموع ما روي عنه، ومما حدا بي إلى ذلك: تحري صدق النتائج، ودقتها في الدراسات الإحصائية، وإبراز الجوانب المتميزة في شخص كل تابعي بلا مبالغة، ثم حاولت جاهداً دراسة ما ظهر لي من نتائج، وأثرها على مسلك ذلك المفسر ومنهجه.

٧ ـ قمت بمراجعة الكتب المفردة في بعض أنواع علوم القرآن، ككتب أسباب النزول، والمبهمات، والمشكل، والأمثال، والإسرائيليات وغيرها من الكتب، فتابعت فيها صدق وصحة ما وصلت إليه من نتائج، فوجدت ما يسر النفس ويطمئن القلب.

وبفضل الله ورحمته وجدت أن كثيراً من تلك النتائج لم أسبق إليها ـ فلله الحمد والمنة ـ.

وبعد هذه التقدمة التي وضعتها بين يدى هذا الفصل أعود إلى المقصد الأساس فأقول:

* * *

مجاهد بن جبر

هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، ويقال: مولى عبد الله بن السائب القاري[١].

روى عن ابن عباس، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، وروى عن أبي هريرة، وعائشة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر ورافع بن خديج... وغيرهم[٢].

مكانة مجاهد بين أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما:

كان مجاهد من أكثر تلاميذ ابن عباس أخذاً عنه، مع أنه من أقلهم رواية لتفسيره[٣].

فعن الفضل بن ميمون قال: سمعت مجاهداً يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة[٤].

وعنه أنه قال: ختمت على ابن عباس تسع عشرة ختمة[٥].

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٦)، وطبقات الفقهاء (٦٩)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٦٢)، والسير (٤/ ٤٤٩)، والكنى لأحمد (١٢١).

(٢) تهذيب الكمال (٣/ ١٣٠٥)، وتهذيب التهذيب (١٠ ٤٢)، والتاريخ الكبير (٧/ ٤١١).

(٣) سيأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله.

(٤) ينظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٤٦٦)، والجرح (٨/ ٣١٩)، والحلية (٣/ ٢٨٠)، وتهذيب الأسماء (٢/ ٨٣)، وتهذيب الكمال (٣/ ١٣٠٥)، والعبر (١/ ٩٥).

(٥) غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٤٢).

قرأ عليه ابن كثير، وأبو عمرو بن العلاء، وابن محيصن والأعمش[١].

بل إن ابن كثير ـ الذي انتهت إليه إمامة القراءة بمكة ـ، لم يكن يخالف مجاهداً في شيء[٢].

وقد أخرج الطبري بسنده، أن مجاهداً كان يقرأ القرآن على خمسة أحرف[٣].

وقد ظلت قراءة مجاهد تتلقى بالسند، ويتناقلها الرواة حتى عصر البيهقي، فقد ذكر البيهقي أنه تلقى قراءة مجاهد بالسند[٤].

وقد استفاد من ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في الجانب التفسيري وأخذ عنه، فعن مجاهد قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقفه على كل آية، أسأله فيم نزلت، وكيف نزلت[٥]؟.

قال ابن عطية: قرأ مجاهد على ابن عباس قراءة تَفَهُّم ووقف عند كل آية[٦]، وساق الطبري بسنده عن ابن أبي مُليكة قال: رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواحه، فيقول له ابن عباس: اكتب، قال: حتى سأله عن التفسير كلّه[٧].

ولعل هذا من أهم الأسباب التي ساعدت في إبراز شخصية مجاهد ـ رحمه الله ـ وقدمته في باب العلم بالتأويل، فصار من أكثر التابعين[٨] على الإطلاق تعرضاً له،

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٤١)، وطبقات المفسرين (٢/ ٣٠٦)، وفضائل القرآن لأبي عبيد (٢١٧).

(٢) الحجة في القراءات السبع، لابن مجاهد (٦٤).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٥٣) ٥٢.

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٤١١).

(٥) الحلية (٣/ ٢٨٠)، وكتاب السنة للخلال (٣٢٣) ٢٦٥، وفضائل القرآن لأبي عبيد (٢١٦).

(٦) المحرر الوجيز (١/ ١٩).

(٧) تفسير الطبري (١/ ٩٠) ١٠٧.

(٨) له في تفسير الطبري (٦١٠٩) أقوال، ولقتادة (٥٣٧٩) قولاً، وللسدي (١٦٨٢) قولاً، وللحسن البصري (١٤٨٧) قولاً، ولسعيد بن جبير (١٠١٠) أقوال، ولعكرمة (٩٤٣) قولاً، ولإبراهيم النخعي (٦٠٨) أقوال، ولعطاء بن أبي رباح (٤٨٠) قولاً. =

وعلمًا به.

يقول خُصيف[١] : كان أعلمهم بالتفسير مُجاهد، وبالحج عطاء[٢] .

وعن أسود بن عامر[٣] قال: قلت لشريك[٤]: أي الرجلين كان أعلم بالتفسير مجاهد، أو سعيد بن جبير؟ قال: كان مجاهد[٥] .

وقال قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد[٦] .

وقد أثنى عليه جمع من الأئمة في التفسير، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية: إنه آية في التفسير[٧] .

وقال الإمام الذهبي: مجاهد شيخ القراء، والمفسرين[٨] .

خصائص تفسير مجاهد:

إن للتكوين الشخصي، والمدرك العقلي أثرًا كبيرًا على المنهج العلمي، أضف إلى

= وله في تفسير ابن كثير (١٠٦٢) قولاً، ولقتادة (١٠٠٩) أقوال، وللحسن البصري (٦٢٦) قولاً، وللسدي (٥٧٢) قولاً، وقد سبق في مبحث كتب التفسير بالمأثور أن أكثر الأئمة اعتمدوا تفسير مجاهد في الدرجة الأولى.

(١) خُصيف مصغرًا: ابن عبد الرحمن الجزري، أبو عون، رأى أنسًا، وثقه ابن معين، ينظر لسان الميزان (٧/ ٢١٠)، والكواكب النيرات (٤٦٢)، ونهاية الاغتباط (١٠٩).

(٢) الجرح والتعديل (٨/ ٣١٩)، والتاريخ الكبير (٧/ ٤١٢)، والشذرات (١٢٥/ ١).

(٣) أسود بن عامر الشامي، أبو عبد الرحمن، شاذان، وثقه ابن المديني، ينظر الخلاصة (٣٧)، والكاشف (١/ ١٣١).

(٤) شريك بن عبد الله النخعي، قال وكيع: لم يكن في الكوفيين أروى من شريك. ينظر الجرح (٣/ ٣٦٦)، والكواكب النيرات (٢٥٠)، ونهاية الاغتباط (١٧٠).

(٥) فضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٥٨) ٨٦٧.

(٦) طبقات علماء الحديث (١/ ١٦٣)، والتذكرة (١/ ٩٢).

(٧) مقدمة في أصول التفسير (١٠٣).

(٨) السير (٤/ ٤٤٩).

ذلك طبيعة المدرسة التي حصل منها التلقي، ومع اختلاف المدارس والأشخاص تبرز العديد من المعالم في شخص هذا المفسر أو ذاك، ومن المعالم البارزة في تفسير مجاهد ـ رحمه الله ـ والتي أكسبته شخصية متميزة عن غيره من المفسرين ما يلي:

أولاً: توسعه في باب النظر، والاجتهاد:

وهذا مما جعل البعض يعده من أوائل من أدخل التفسير العقلي للقرآن العظيم[١].

وقد أدى به سلوك هذا السبيل إلى تأويل آيات على غير ظاهر السياق؛ بل قد جاء في بعضها بما يستغرب، ويستنكر فمن ذلك:

١ ـ تأويله للمسخ الواقع على اليهود:

ومن التأويل الذي خالف فيه الظاهر من السياق، ولم يقل به غيره[٢] ما روي عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[٣].

قال مسخت قُلوبهم، ولم يُمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله لهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً[٤].

قال ابن جرير بعد أن ساق هذا التأويل: وهذا القول الذي قاله مجاهد، قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف، ثم ذكر أنه لا دليل عليه، وختم بقوله: هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحُجة التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته

---

(١) القرآن العظيم هدايته وإعجازه (١٩٧).

(٢) تفسير القرطبي (١/ ٣٠٠).

(٣) سورة البقرة: آية (٦٥).

(٤) تفسير الطبري (٢/ ١٧٢) ١١٤٤، ١١٤٣، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٠٩) ٦٧٧، وأورده ابن كثير عن ابن جرير، وابن أبي حاتم عن مجاهد به (١/ ١٥٠)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم (١/ ١٨٥)، وينظر فتح القدير (١/ ٩٦)، وتفسير ابن عطية (٥/ ٢٣٧)، وتفسير البغوي (٢/ ٧٩).

مُجمعة عليه، وكفى دليلاً على فساد قول، إجماعُها على تخطئته[١] .

٢ ـ تأويله لمعنى المائدة المنزلة على عيسى:

عند تأويله لقوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾[٢] .

قال رحمه الله: مثل ضُرب، لم ينزل عليهم شيء[٣] . وفي رواية قال: مائدة عليها طعام، أبوْها حين عرض عليهم العذاب إن كفروا، فأبوا أن تنزل عليهم[٤] .

وقد صحح ابن كثير[٥] هذه الروايات عن مجاهد.

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ١٧٣)، وقد أورد ابن كثير قول مجاهد، وحكم بجودة إسناده وغرابة معناه، وخلافه للظاهر من السياق، ينظر تفسير ابن كثير (١/ ١٥١)، وأورده ابن الجوزي في تفسيره واستبعده، ينظر زاد المسير (١/ ٩٥)، تفسير الماوردي (١/ ١٣٥)، وتفسير ابن عطية (١/ ٢٥٣)، وتفسير البحر المحيط (١/ ٢٤٦).

(٢) سورة المائدة: آية (١١٤).

(٣) تفسير الطبري (١١/ ٢٣٠) ١٣٠١٩، وينظر تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢٥)، وتفسير ابن عطية (٥/ ٢٣٧) وتفسير القرطبي (٦/ ٢٣٨)، وتفسير البغوي (٢/ ٧٩)، والبحر المحيط (٤/ ٥٧)، والسيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وعبد بن حميد (٣/ ٢٣٧).

(٤) تفسير الطبري (٧/ ١٣٣)، وقد عدل الأستاذ محمود شاكر الرواية الواردة في نسخته على هذا النحو «مائدة عليها طعام، أتوا بها، حين عرض عليهم العذاب إن كفروا، ألوان من طعام ينزل عليهم»، ثم علق عليها في الحاشية بقوله في المطبوعة: غير هذه العبارة (يعني: الطابع) تغييراً شاملاً مزيلاً لمعناها، فكتب مائدة عليها (وساق العبارة). ثم قال محمود: وأثبت ما في المخطوطة ١٠ هـ، ينظر تفسير الطبري (١١/ ٢٢٨) ١٣٠٠٩.
قلت: والصحيح ما في المطبوعة ويشهد لصحة العبارة ما ورد في تفسير بن كثير (٣/ ٢٢٥)، والدر (٣/ ٢٣٧)، ولعل الأستاذ اجتهد في قراءة المخطوطة فلم يحالفه الصواب، أو لم يتضح له المعنى، ولم يتسق في ورود هذا الأثر عن مجاهد، فغير، ولم يرجع لمصادر أخرى للتثبت من صحة العبارة! وجل من لا يخطئ، وينظر تفسير البغوي (٢/ ٧٩)، وتفسير ابن عطية (٥/ ٢٣٧)، والبحر المحيط (٤/ ٥٧)، وتفسير القرطبي (٦/ ٢٣٨).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢٥).

فهذا المثال، قد خالف فيه الجمهور، وخالف الظاهر من النص القرآني[١].

٣ ـ تأويله لمعنى الورود على النار:

وانفرد فيما يروى عنه في تفسير قوله جل وعلا: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾[٢].

فقال: الحمى حظ كلّ مؤمن من النار، ثم قرأ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾[٣].

ولعله قال بهذا مستأنسًا بما روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ عاد مريضًا من وعك به، فقال له النبي ﷺ: «**أبشر فإن الله تبارك وتعالى يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار**»[٤].

وبما ورد في الحديث: «**الحُمىَّ حظ المؤمن من النار**»[٥]، ثم إن قوله هذا لا يلزم منه نفي ما سواه، بل غاية ما يدل عليه التفسير بالمثال واللازم والله أعلم.

٤ ـ تأويله لمعنى قوله: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾[٦]:

قال مجاهد: ثم اجعلهن أجزاء على كل جبل، ثم ادعهن يأتينك سعيا، كذلك

---

(١) اعتذر عنه ابن كثير بقوله: وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا تعرفه النصارى، وليس في كتابهم، ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما يتوفر الدواعي على نقله، وكان يكون موجودًا في كتابهم متواترًا، ولا أقل من الآحاد والله أعلم، ولكن الذي عليه الجمهور أنها نزلت، وهو الذي اختاره ابن جرير قال: لأنه تعالى أخبر بنزولها بقوله: ﴿إني منزلها﴾، قال: ووعد الله ووعيده حق وصدق اهـ، ينظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٥).

(٢) سورة مريم: آية (٧١).

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ١١١)، وأورده ابن كثير عن ابن جرير به، (٥/ ٢٥١).
وينظر تفسير الماوردي (٣/ ٣٨٤)، وتفسير ابن عطية (١١/ ٤٩)، وزاد المسير (٥/ ٢٥٧).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٤٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٣٢٩) وابن ماجة في سننه (٢/ ١١٤٩) ٣٤٧٠، والحاكم في مستدركه، وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٣٤٥).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٥٢، ٢٦٤)، والبخاري في تاريخه (٧/ ٦٣) والطبراني في الكبير (٨/ ١١٠) ٧٤٦٨، والعُقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٤٨).
وقال في مجمع الزوائد: إسناده حسن (٢/ ٣٠٦).

(٦) سورة البقرة: آية (٢٦٠).

يحيي الله الموتى . هو مثل ضربه الله لإبراهيم[١] .

٥ ـ ما روي عنه في تأويل معنى اهتزاز العرش :

زعم جولد زيهر : أن مجاهداً فسر (العرش) في حديث اهتزاز العرش لموت سعد ابن معاذ، فقال : قال مجاهد : إن المراد به السرير ، الذي حمل عليه سعد إلى قبره ، فقد اهتز من انفساخ الخشب من الحرارة[٢] .

واعتمد في ذلك على ما رواه ابن سعد في طبقاته والحاكم في مستدركه عن مجاهد عن ابن عمر ، قال : اهتز العرش لحب لقاء الله سعداً ، قال : إنما يعني السرير : قال إنما تفسخت أعواده[٣] .

وعند الحاكم عن مجاهد عن ابن عمر بلفظ : «اهتز لحب لقاء الله العرش يعني : السرير ، قال : ورفع أبويه على العرش ، تفسخت أعواده»[٤] .

فهذه الروايات قد توهم أن القائل مجاهد ، والحق أن هذا من قول ابن عمر ، كما حقق ذلك ابن حجر فقال : وقد أنكر ابن عمر ما أنكره البراء[٥] ، فقال إن العرش لا يهتز لأحد ، ثم رجع عن ذلك ، وجزم بأنه اهتز له عرش الرحمن .

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٥٠٨) ٦٠٢٢ ، ٦٠٢٣ .
وقد يعتذر عنه ـ رحمه الله ـ بأن التمثيل قد يكون تصويرياً وقد يكون حقيقيا ، بمعنى : أن ضرب المثل قد يكون ببيان الحقيقة ذاتها ، وقد يكون بمشهد يقربها للذهن ، فلم لا يكون ذلك من هذا القبيل؟! ـ والله أعلم ـ .

(٢) كتاب مذاهب التفسير (١٣٠ ـ ١٣١) .

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٣٣) .

(٤) مستدرك الحاكم (٣/ ٢٠٦) ، وقد صححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

(٥) روى إنكار البراء ، وقوله : إن المراد اهتزاز السرير ، البخاري في صحيحه من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ : سمعت النبي ﷺ يقول : «**اهتز العرش لموت سعد بن معاذ**» ، فقال رجل لجابر : فإن البراء يقول : اهتز السرير ، فقال : إنه كان بين هذين الحيَّين ضغائن ، سمعت النبي ﷺ يقول : «**اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ**» . ينظر صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب سعد ابن معاذ (٤/ ٢٢٧) ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٢/ ٣٧٦) .

أخرج ذلك ابن حبان من طريق مجاهد عنه، والمراد باهتزاز العرش استبشاره، وسروره بقدوم روحه، يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه: اهتز له، ثم قال: ووقع ذلك من حديث ابن عمر عند الحاكم بلفظ: «اهتز العرش فرحًا به» لكنه تأوله كما تأوله البراء بن عازب، فقال: اهتز العرش فرحًا بلقاء الله سعدًا حتى تفسخت أعواده على عواتقنا، قال ابن عمر: يعني عرش سعد الذي حمل عليه[1] اهـ. وليس ما يمنع أن يقع من العرش اهتزاز حقيقي، ويكون لازمه الفرح والاستبشار، وعلى كلٍ فقد اتضح من هذا أن القول لابن عمر وليس من تفسير مجاهد، والله أعلم.

ثانيًا: الدقة في التفريق بين الكلمات المتشابهة:

كان ـ رحمه الله ـ من أكثر التابعين دقة في اختيار الكلمات لتفسير الآيات، وكان يُنبه في بعض المواضع على الكلمات المتشابهة مع إيضاح الفروق المعنوية بينها، فمن ذلك ما جاء عند قوله سبحانه: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾[2].

قال: ليس بالسحاب، هو الغمام الذي يأتي الله فيه يوم القيامة لم يكن إلا لهم[3].

---

(١) فتح الباري (٧/ ١٢٤)، وقد أخرج هذا القول الأخير لابن عمر، الحربي بسنده في غريب الحديث (١/ ١٧٣) من طريق عطاء عن مجاهد عن ابن عمر به، وعلق ابن حجر على هذه الرواية بقوله: ورواية عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عمر، في حديث عطاء مقال؛ لأنه ممن اختلط في آخر عمره (ثم قال): ويعارض روايته أيضًا، ما صححه الترمذي من حديث أنس قال: «لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته، فقال النبي ﷺ: «إن الملائكة كانت تحمله» قال الحاكم: الأحاديث التي تصرح باهتزاز عرش الرحمن مخرجة في الصحيحين، وليس لمعارضها في الصحيح ذكر ـ ينظر الفتح (٧/ ١٢٤)، وسنن الترمذي (٥/ ٦٩٠)، كتاب المناقب، باب مناقب سعد بن معاذ، وفضائل الصحابة للإمام أحمد (٢/ ٨١٨) والمستدرك (٣/ ٢٠٧).

(٢) سورة البقرة: آية (٥٧).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٩٠) ٩٦٣. وينظر تفسير الماوردي (١/ ١٣٤)، وتفسير ابن عطية (١/ ٢٢٧).

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾[١] قال: (الربانيون) الفقهاء العلماء، وهم فوق الأحبار[٢].

وعند قوله تبارك وتعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾[٣].

عن العوام بن حوشب قال: قلت لمجاهد: الشفق، قال: لا تقل الشفق، إن الشفق من الشمس، لكن قل: حمرة الأفق[٤].

وعند قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾[٥]، قال: الصدع: مثل المأزم، غير الأودية، وغير الجُرُف[٦].

ثالثًا: تفسير بعض الألفاظ بما يخالف المعنى القريب:

فكان يصرف بعض الألفاظ عن معناها القريب، ويؤولها تأويلاً بعيدًا عن المعنى الظاهر المتبادر من اللفظ، ومن أمثلة ذلك: ما جاء عنه عند تأويل قوله سبحانه: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾[٧]، قال: الوزن: القضاء[٨].

---

(١) سورة آل عمران: آية (٧٩).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٥٤١) ٧٣١٢، وينظر تفسير الماوردي (١/ ٤٠٥)، وتفسير ابن عطية (٣/ ١٤٠)، وزاد المسير (١/ ٤١٣)، والبحر المحيط (٢/ ٥٠٦)، وتفسير القرطبي (٤/ ٧٩).

(٣) سورة الانشقاق: آية (١٦).

(٤) تفسير الطبري (٣٠/ ١١٩).

(٥) سورة الطارق آية (١٢).

(٦) تفسير الطبري (٣٠/ ١٤٩)، وينظر تفسير ابن عطية (١٦/ ٢٧٩)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٩). ولمزيد من الأمثلة يراجع الطبري الآثار: ١٥٠١، ٤١٦٤، ٤٢٨٢، (٢٩/ ٩٣)، (٢٩/ ١٣٠)، (٢٩/ ٢١٠)، (٢٩/ ٢١٧)، (٢٩/ ٢١٨)، (٢٩/ ٢٣٧)، (٣٠/ ٩٨)، (٣٠/ ٢٩٢).

(٧) سورة الأعراف: آية (٨).

(٨) تفسير الطبري (١٢/ ٣٠٩) ١٤٣٢٨، وقد انفرد مجاهد بهذا التفسير، ورده ابن جرير (١٢/ ٣١١). وينظر تفسير الماوردي (٢/ ٢٠١)، وتفسير البغوي (٢/ ١٤٩)، وتفسير القرطبي (٧/ ١٠٧).

ومنها ما ورد عنه في تأويل قوله جل وعلا: ﴿ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾[١] فسر اللباس بالتقوى[٢].

وعند قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾[٣]، قال: هو محكم القرآن[٤].

وعند قوله سبحانه: ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾[٥] قال: ذهب وفضة[٦].

وعند تفسير قوله جل وعلا: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾[٧] فسر النجم بنجوم القرآن[٨]. وفي رواية: ﴿ والنجم ﴾ قال: القرآن إذا نزل[٩].

رابعًا: اهتمامه بالمبهمات:

يعد ـ رحمه الله ـ من متقدمي التابعين في تتبع المبهم، والحرص على بيانه، والناظر

---

(١) سورة الأعراف: آية (٢٧).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٣٧٥) ١٤٤٥٧، ١٤٤٥٨، ١٤٤٥٩، وانفرد ـ رحمه الله ـ بهذا القول. وينظر تفسير الماوردي (٢/ ٢١٥)، وزاد المسير (٣/ ١٨٤)، والبحر المحيط (٤/ ٢٨٣).

(٣) سورة الواقعة: آية (٧٥).

(٤) فضائل القرآن لابن الضريس (١٣٠)، وتفسير الطبري (٢٧/ ٢٠٣)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن نصر، وابن الضريس، عن مجاهد به (٨/ ٢٦).

(٥) سورة الكهف: آية (٣٤).

(٦) تفسير الطبري (١٥/ ٢٤٥)، ورواه البخاري معلقًا في كتاب التفسير (٥/ ٢٢٩)، ووصله ابن حجر من رواية الفريابي الفتح، ينظر (٨/ ٤٠٦)، وزاد المسير (٥/ ١٤١)، وتفسير ابن عطية (١٠/ ٤٠٦)، وتفسير البغوي (٣/ ١٦٢).

(٧) سورة النجم: آية (١).

(٨) تفسير الماوردي (٥/ ٣٨٩)، وتفسير ابن عطية (١٥/ ٢٥٤)، وزاد المسير (٨/ ٦٣)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر عن مجاهد به (٧/ ٦٤٢).

(٩) تفسير الطبري (٢٧/ ٤٠)، والفتح (٨/ ٦٠٤)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٤١٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٨٩)، وزاد المسير (٨/ ٦٣)، وتفسير ابن عطية (١٥/ ٢٥٤)، والبحر المحيط (٨/ ٢١٤)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٥٥).

في كتب التفسير، والمبهمات[١]، يجد شاهد ذلك، وقد حرص على بيان نوع المُبهم في مواضع كثيرة، فبين نوع الشجرة في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾[٢] بأنها التينة[٣]، وبين المبهم في قوله سبحانه: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾[٤] بأنه الذي بين الكتفين[٥] وبيّن نوع الطير الذي أخذه إبراهيم في تأويله لقوله سبحانه: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾[٦]. قال إنه الديك، والطاوس، والغراب، والحمام[٧].

وحرص على بيان أسماء بعض من أبهموا، فعند قوله تبارك وتعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾[٨]. سمى مجاهد منهم الحارث بن سويد الأنصاري[٩].

وعند تأويله لقوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾[١٠]، وقال: ذلك عبد الله ابن أبي[١١].

---

(١) رجعت إلى كتاب السيوطي مُفحمات الأقران في مبهمات القرآن، فوجدت أن مجاهدًا أكثر من اهتم بذلك؛ حيث روي عنه أكثر من (٧١) قولاً، في حين كان عن قتادة (٦٨) قولاً، ثم عن عكرمة (٤٠) قولاً، وعن ابن جبير (٢٥) قولاً، وعن الحسن (٢٢) قولاً.

(٢) سورة البقرة: آية (٣٥).

(٣) مفحمات الأقران (١٢).

(٤) سورة البقرة: آية (٧٣).

(٥) المرجع السابق (١٤).

(٦) سورة البقرة: آية (٢٦٠).

(٧) المرجع السابق ص (٢٣)، ولمزيد من الأمثلة تراجع الصفحات (١٧، ٣٣، ٣٨...).

(٨) سورة آل عمران: آية (٨٦).

(٩) المرجع السابق (٢٤).

(١٠) سورة آل عمران (١٥٦).

(١١) المرجع السابق ص (٢٧)، ولمزيد من الأمثلة تُراجع الصفحات (٢١، ٢٧، ٣٩...).

الرأي، التأويل، وأثرهما على المنهج العقدي عند مجاهد:

وهذه المسألة في الحقيقة من أهم القضايا التي يجب العناية بها والوقوف عندها، وتحقيق أبرز ما يمكن أن يروى فيها.

من المعلوم أن مجاهداً ـ رحمه الله ـ ممن تربى في مدرسة حبر الأمة وترجمان القرآن، وممن شُهد له بالسبق في تأويل القرآن بين التابعين، وكان يأمر بتدبر القرآن وفهمه، ويحث على تعلم معانيه وما دلت عليه ألفاظه، وكان يرى أن الراسخين يعلمون المتشابه منه، فقد أخرج ابن جرير عن طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ يعلمون تأويله، ويقولون آمنا به[1].

وأورد البخاري في صحيحه تعليقًا عن مجاهد في قوله: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ قال: الحلال والحرام، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾: يصدق بعضها بعضًا، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾، وكقوله جل ذكره: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾، وكقوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾؛ ثم قال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ يعلمون تأويله و ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾[2].

إضافة إلى هذا كله كان ـ رحمه الله ـ يرى أن الرأي الحسن ـ في القرآن ـ من أفضل العبادة[3]. فأمضى وقته، واستفرغ جهده في مدارسة كتاب الله، وتفهم معانيه، والكشف عن دلالاته ومراميه، فكان من المكثرين في تفسير القرآن، بل عدّه ابن خلدون[4] من أكثر تلاميذ ابن عباس تحررًا وتوسعًا في التفسير.

---

(١) تفسير الطبري ٦٦٣٣ (٦/ ٢٠٣)، وينظر تأويل مشكل القرآن (٩٩)، وتفسير ابن عطية (٣/ ٢١)، والبحر المحيط (٢/ ٣٨٤)، وزاد المسير (١/ ٣٥٤)، وتفسير القرطبي (٤/ ١٢).

(٢) صحيح البخاري كتاب التفسير، باب منه آيات محكمات (٥/ ١٦٥).
وقد وصل ابن حجر هذا المعلق في التغليق (٤/ ١٩٠)، وفي الفتح (٨/ ٢٠٩) من رواية عبد بن حميد، وينظر إيضاح الوقف لابن الأنباري (٢/ ٥٦٥)، والمكتفي في الوقف والابتداء (١٩٦).

(٣) كتاب الإيمان لابن أبي شيبة (١٦)، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٧٤).

(٤) عن كتاب دراسات في القرآن لأحمد خليل (١١٢).

ولما سافر إلى العراق، واستقر في الكوفة، كان من أسهلهم في الرأي والقياس[١].

ولقد كان لتعلمه في المدرسة المكية الأثر الواضح في بعده عن كثير من الأهواء والبدع، بل كان ـ رحمه الله ـ يقول: ما أدري أيُّ النعمتين أعظم، أن هداني للإسلام، أو عافاني من هذه الأهواء[٢].

يقول الذهبي معلقًا على قوله: «الأهواء»: مثل الرفض، والقدر، والتجهم[٣].

واتضح هذا المنهج في تفسيره أكثر؛ حيث حمل بشدة على المرجئة والقدرية بخاصة وعلى سائر أهل الأهواء بعامة.

والذي تبين من خلال مراجعة تفسيره، سلامته من مخالفة أصول أهل السنة والجماعة في اعتقادهم، وبعده عن كثير من الأهواء والبدع المنتشرة في ذلك الوقت.

فسلم من بدعة الإرجاء، فكان يقول: إن الإيمان يزيد وينقص[٤]، وإنه قول، وعمل[٥].

ومما اشتهر من تفسيره ما ورد عنه عند تأويله لقوله سبحانه: ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[٦]، قال: علم من إبليس المعصية وخلقه لها[٧]. وفي رواية أخرى: وعلم

---

(١) تأويل مختلف الحديث (٧٤).

(٢) السير (٤/ ٤٥٥).

(٣) السير (٤/ ٤٥٥).

(٤) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة (٨٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٩٥١) ١٧٢٧.

(٥) المرجع السابق (٥/ ٩٥٢) ١٧٢٨.

(٦) سورة البقرة: آية (٣٠).

(٧) تفسير الطبري (١/ ٤٧٧ ـ ٤٧٩) ٦٢٨ ـ ٦٣٧، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١١٤) ٣٣٨، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٤٦) ٩٥٩، وزاد المسير (١/ ١٦) والبحر المحيط (١/ ١٤٥).

من آدم الطاعة، وخلقه لها[١] ، وهذا منه ردٌ على القدرية القائلين: إن كل شيء خلق بقدر إلا المعاصي.

بل إنه استشعر خطر الانحراف العقدي على الأمة، فكان يحذر من هذه الأهواء أشد التحذير ، ويقول عن هؤلاء المبتدعة: يبدءون فيكم مرجئة، ثم يكونون قدرية، ثم يصيرون مجوسًا[٢] .

وفي جانب آيات الوعيد، والتهديد، لزم منهج أهل السنة، من ذلك ما ورد عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[٣] ، عن منصور عن مجاهد قال: سألته ما هذا الكفر؟ قال: من كفر بالله واليوم الآخر[٤] . وفي رواية: من كفر بالحج فلم يرحجَّه برًا، ولا تركه مأثمًا[٥] .

ولورعه وحرصه على سلامة معتقده بقي شهرًا كاملاً يريد أن يسأل ابن عباس عن مسألة من مسائل الوعيد فيقول: سألت ابن عباس شهرًا عن رجل يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يحضر جمعة، ولا جماعة؟ قال: هو من أهل النار[٦] .

ولو لم يسلم من هذه الأهواء لما بقي هذه المدة ينتظر الجواب من ابن عباس - رضي الله عنهما -.

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٧٨) ٦٣٦ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٩٨٨) ١٨٠٣ .

(٣) سورة آل عمران: آية ٩٧ .

(٤) تفسير الثوري (٣٧)، وتفسير الطبري (٧/ ٤٩) ٧٥١٣، ٧٥١٤، وتفسير ابن أبي حاتم (٤٢٧) ١٠٣٣، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير وعبد بن حميد، به (٢/ ٢٧٧).

(٥) أخرجه الشافعي من طريق ابن جريج عن مجاهد بنحوه (١/ ١١٢)، والطبري من طريق عبد الله ابن مسلم عن مجاهد به (٧/ ٤٨) ٧٥٠٩، والبيهقي في السنن من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد به (٤/ ٣٢٤)، وينظر تفسير البغوي (١/ ٣٣٠)، وتفسير ابن عطية (٣/ ١٧٥)، والبحر المحيط (٣/ ١٢)، وزاد المسير (١/ ٤٢٨).

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨/ ١٤٥٦) ٢٨٠٨ .

بل تعدى ذلك إلى مخالفة شيخه[١] في مسألة توبة القاتل المتعمد، فقد روى ابن جرير عن الحكم عن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾[٢]. قال: إن الرجل إذا عرف الإسلام، وشرائع الإسلام، ثم قتل مؤمنًا متعمدًا، فجزاؤه جهنم، ولا توبة له، قال الحكم: فذكرت ذلك لمجاهد، فقال: إلا من ندم[٣].

ومن خلال ما سلف يتبين أن مجاهدًا ـ رحمه الله ـ وإن وُجِدَ عنده شيء من التأويل الذي حاد فيه عن الجادة، وخالف الصواب، فهو من أهل السنة والجماعة، يدور في فلكهم، وينهج طريقهم، وما وقع فيه من المخالفة في مسألة الرؤية[٤] وغيرها، فمن طبيعة النقص البشري، فلا يحكم عليه من خلاله؛ إذ ليس ذلك بمنهج له، بل هو عارض عرض في مسائل مخصوصة، والله أعلم.

ولابد بعد هذا من عرض لأبرز المسائل المنتقدة في التفسير المروي عن مجاهد عند أهل السنة والجماعة، دون ما نسبه إليه أهل الأهواء المخالفون[٥]؛ إذ لا عبرة بهم، ولا وزن لمروياتهم. فمن ذلك:

---

(١) أكثر المروي عن ابن عباس هو قوله بعدم قبول توبة القاتل العمد، وينظر تفسير ابن جرير الآثار ١٠١٨٧، ١٠١٨٨، ١٠١٨٩، ١٠١٩٠، ١٠١٩١، ١٠١٩٢، ١٠١٩٣، ١٠١١٩٤ . . إلى ١٠٢٠٤ (٩/ ٦٢ ـ ٦٧).
وسنن أبي داود ٤٢٧٥ (٤/ ١٠٥).

(٢) سورة النساء: آية (٩٣).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٦٢) ١٠١٨٧، وتفسير الماوردي (١/ ٥٢٠)، وتفسير ابن عطية (٤/ ٢١٥)، وتفسير البغوي (١/ ٤٦٥)، والبحر المحيط (٣/ ٣٢٦)، وزاد المسير (٢/ ١٦٧)، وتفسير القرطبي (٥/ ٢١٤).

(٤) سيأتي تفصيل على هذه المسألة بعد ورقات إن شاء الله.

(٥) من مثل الربيع بن حبيب الفراهيدي الإباضي في مسنده (٣/ ٢٧، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤٣)، وكذا ما يرويه عبد الجبار المعتزلي في المغني (٤/ ٢١٢ ـ ٢١٦) وغيرهم.

١ ـ ما جاء عنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[١] من طريق النضر عنه قال: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾: قبلة الله[٢].

وقد أورد ابن خزيمة هذه الآية[٣] على أنها إثبات صفة الوجه لله تعالى، وتبعه على ذلك البيهقي في الأسماء والصفات[٤]، وتعقبه شيخ الإسلام ابن تيمية بكلام مهم وطويل، ونظرًا لأهمية، واحتياج هذا الموضع وغيره مما قد يقع اللبس فيه، إلى الكشف والبيان، وإزالة الالتباس لما قد يعلق بأذهان بعض الناس، أسوق كلامه ـ رحمه الله ـ بطوله حيث يقول: هذه الآية أدخلها في آيات الصفات طوائف من المثبتة والنفاة، حتى عدّها «أولئك» كابن خزيمة، مما يقرر إثبات الصفة، وجعل «النافية» تفسيرها بغير الصفة لهم في موارد النزاع، ولهذا لما اجتمعنا في المجلس المعقود[٥]، وكنت قد قلت: أمهلت كل من خالفني ثلاث سنين، إن جاء بحرف واحد عن السلف يخالف شيئًا مما ذكرته كانت له الحجة، وفعل، وفعلت، وجعل المعارضون يفتشون الكتب، فظفروا بما ذكره البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، فإنه ذكر عن مجاهد، والشافعي أن المراد: قبلة الله، فقال أحد كبرائهم ـ في المجلس الثاني ـ قد أحضرت نقلاً عن السلف بالتأويل، فوقع في قلبي ما أعد، فقلت: لعلك قد ذكرت ما روي عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ

---

(١) سورة البقرة: آية (١١٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره، من طريق النضر، عن مجاهد به (٢/ ٥٣٦) ١٨٤٨، والبيهقي في الأسماء والصفات، باب ما جاء في إثبات الوجه، وساق الرواية من طريق النضر عن مجاهد: فثم وجه الله: قبلة الله، أينما كنت في شرق أو غرب فلا توجهن إلا إليها (٢/ ٣٥)، وأخرجها البيهقي أيضًا في السنن الكبرى، بسنده من طريق النضر عن مجاهد، باللفظ السابق (٢/ ١٣) وينظر تفسير الماوردي ١/ ١٧٧)، وتفسير البغوي (١/ ١٠٨)، والبحر المحيط (١/ ٣٦١)، وزاد المسير (١/ ١٣٥).

(٣) في باب ذكر إثبات وجه الله، كتاب التوحيد (١/ ٢٥).

(٤) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٥).

(٥) أي المجلس الذي عقد له في المناظرة حول «الواسطية».

﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾؟ قال: نعم، قلت: المراد بها: قبلة الله، فقال: قد تأولها مجاهد والشافعي[1] وهما من السلف، قلت: هذه الآية ليست من آيات الصفات أصلاً ولا تندرج في عموم قول من يقول، لا تؤول آيات الصفات.

قال: أليس فيها ذكر الوجه؟!، فلما قلت: المراد بها: قبلة الله. قال: أليست هذه من آيات الصفات؟ قلت: لا، ليست من موارد النزاع، فإني إنما أسلم أن المراد بالوجه ـ هنا ـ القبلة، فإن «الوجه» هو الجهة في لغة العرب، وهذا كثير مشهور، فالوجه هو الجهة، وهو الوجه: كما في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾، أي متوليها، فقوله تعالى: ﴿وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ كقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، كلا الآيتين في اللفظ والمعنى متقاربتان، وكلاهما في شأن القبلة، والوجه والجهة، هو الذي ذكر في الآيتين: إنا نوليه: نستقبله. (ثم قال) قلت: والسياق يدل عليه؛ لأنه قال: ﴿أَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾، وأين من الظروف وتولوا أي: تستقبلوا فالمعنى: أي موضع استقبلتموه فهنالك وجه الله، فقد جعل وجه الله في المكان الذي يستقبله هذا بعد قوله: ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ وهي الجهات كلها، كما في الآية الأخرى: ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

فأخبر أن الجهات له، فدل على أن الإضافة إضافة تخصيص، وتشريف كأنه قال: جهة الله، وقبلة الله، ولكن من الناس من يُسلم أن المراد بذلك جهة الله أي: قبلة الله، ولكن يقول: هذه الآية تدل على الصفة وعلى أن العبد يستقبل ربه، كما جاء في الحديث: «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه**»، وكما في قوله: «**لا يزال الله مقبلاً على عبده بوجهه ما دام مقبلاً عليه، فإذا انصرف صرف وجهه عنه**»، ويقول: إن الآية دلت على المعنيين. فهذا شيء آخر ليس هذا موضعه، ثم ختم بقوله ـ رحمه الله ـ: والغرض أنه إذا قيل: «فثم قبلة الله» لم يكن هذا من التأويل المتنازع فيه؛

(١) أحكام القرآن للشافعي (١/ ٦٤)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٥).

الذي ينكره منكرو تأويل آيات الصفات، ولا هو مما يستدل به عليهم المثبتة، فإن هذا المعنى صحيح في نفسه، والآية دالة عليه، وإن كانت دالة على ثبوت صفة فذاك شيء آخر، ويبقى دلالة قولهم: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ على «فثم قبلة الله»، هل هو من باب تسمية القبلة وجهًا باعتبار أن الوجه والجهة واحد؟ أو باعتبار أن من استقبل وجه الله فقد استقبل قبلة الله؟ فهذا فيه بحوث ليس هذا موضعها[١] اهـ.

٢ ـ ومما أخذ عليه تفسيره للمقام المحمود، في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[٢]. فقد روى ابن جرير في تفسيره من طريق ليث عن مجاهد عند قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، قال: يُجلسه معه على عرشه[٣].

وقد اعتذر ابن جرير ـ بعد إيراده للقول الراجح الموافق لما صح عن النبي ﷺ ـ عما روي عن مجاهد عن طريق الليث بقوله: فإن ما قاله مجاهد من أن الله يُقعد محمدًا ﷺ على عرشه قول غير مدفوع صحته لا من جهة خبر ولا نظر؛ وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه، ولا عن التابعين بإحالة ذلك[٤].

وأورد أبو بكر الخلال في كتاب السنة عددًا من الأسانيد المروية من طريق الليث عن

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ١٥ ـ ١٧).

(٢) سورة الإسراء: آية (٧٩).

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ١٤٥)، وأخرجه أبو عمرو الداني في المكتفى في الوقف عن طريق الليث عن مجاهد بنحوه (٣٦٣)، وأورده ابن حجر في الفتح، وعزاه إلى عبد بن حميد عن مجاهد بنحوه، الفتح (٨/ ٤٠٠)، والسيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير عن مجاهد به، (٥/ ٣٢٨)، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٦٥)، وتفسير ابن عطية (١٠/ ٣٣٦)، والبحر المحيط (٦/ ٧٢)، وتفسير القرطبي (١٠/ ٢٠١).

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ١٤٧)، واستحسن هذا القول ابن تيمية، يُنظر مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧٤).

مجاهد بهذا التفسير[١] ، ورجح هذا القول، وأيده، وأتبع ذلك بكلام بعض أهل العلم الذين طعنوا فيمن لم يقل بهذا التفسير، أورده وذكر أنهم عدوه جهميًا، أو كافرًا، أو زنديقًا[٢] ، وأمروا بهجره[٣] ، بل حكم بعضهم بقتله[٤] ، ثم أيد ذلك بمنامات ذكر أن أصحابها رأوا النبي ﷺ في المنام ، وأخبرهم أن الله يقعده على العرش[٥] .

وقد أنكر هذا القول جماعة من أهل العلم منهم ابن عبد البر؛ حيث قال: ومجاهد وإن كان أحد المُقدمين في العلم بتأويل القرآن، فإن له قولين في تأويل آيتين هما مهجوران عند العلماء، مرغوب عنهما . . . ، فذكر تأويله للمقام المحمود، ثم عقب عليه بقوله: وهذا قول مُخالف للجماعة من الصحابة، ومن بعدهم، فالذي عليه العلماء في تأويل هذه الآية أن المقام المحمود، الشفاعة[٦] . وتبعه على ذلك القرطبي[٧] .

وقال الواحدي: وهذا قول رذل موحش فظيع، ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير ثم ذكر أدلته على ذلك[٨] .

والذي يظهر أن المروي عن مجاهد غير معتبر؛ إذ قد جاء من طريق الليث بن أبي

---

(١) يُنظر كتاب السنة لأبي بكر الخلال، الآثار ذوات الأرقام: ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣١٠.

(٢) المرجع السابق ويُنظر الآثار ذوات الأرقام: ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٠٥.

(٣) المرجع السابق الآثار ذوات الأرقام: ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٨٣، ٣١٤.

(٤) المرجع السابق الآثار ذوات الأرقام ٢٥٤، ٢٧٣.

(٥) المرجع السابق أثر رقم: ٢٥٦، ٢٥٧.

(٦) التمهيد (٧/ ١٥٧).

(٧) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٠١).

(٨) تفسير القاسمي (١٠/ ٢٧٠).

سُليم، وهو ضعيف[١] .

ثم هو معارض بروايات أصح منه، فيها التصريح بأن مجاهداً يرى أن المراد بالمقام المحمود: هو شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة[٢]. خرجها ابن جرير، وغيره عن طريق ابن أبي نجيح، قال الألباني: هو الثابت عن مجاهد نفسه من طريقين عنه عند ابن جرير، وأما رواية الجلوس على العرش فليس لها طريق معتبر؛ لأنها من رواية الليث، وعطاء ابن السائب[٣] ، وأبي يحيى القتات[٤] ، وجابر بن يزيد[٥] ، والأولان مختلطان،

---

(١) قال ابن حجر في التقريب: صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك، التقريب (٤٦٤)، وقال الذهبي ـ بعد أن ساق أقوال أهل العلم فيه ـ قلت: بعض الأئمة يُحسّن الليث، ولا يبلغ حديثه مرتبة الحسن، بل عداده في مرتبة الضعيف المقارب، فيروى في الشواهد والاعتبار، وفي الرغائب والفضائل أما الواجبات فلا اهـ. السير (٦/ ١٨٤)، والضعفاء للنسائي (٢٠٩) والكواكب النيرات (٤٩٣) والضعفاء لابن الجوزي (٣/ ٢٩)، ونهاية الاغتباط بمن رمى من الرُواة بالاختلاط (٢٩٥).
قلت: وإذا ثبت هذا الرأي، أي: ضعف الليث ـ فلا يسوغ الأخذ عنه في هذه الرواية، لا سيما وقد روي ما يُخالفها مما هو أصح منها.

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ١٤٤)، وأورده ابن كثير في تفسيره من رواية ابن جرير (٥/ ١٠١)، وابن الجوزي في تفسيره (٥/ ٧٦).

(٣) من رواية شريك عن عطاء عن مجاهد، ينظر كتاب السنة لأبي بكر بن الخلال الأثر ذو الرقم (٢٩٤، ٢٩٧)، وعطاء بن السائب، أبو محمد الثقفي، صدوق اختلط. التقريب (٣٩١).
وقال ابن معين: حديثه ضعيف إلا ما كان عن شعبة وسفيان. تاريخ ابن معين (٢/ ٤٠٣)، وينظر الضعفاء للعقيلي (٣/ ٣٩٨)، ولسان الميزان (٧/ ٣٠٥)، وشرح علل الترمذي (٣٠٨)، والكواكب النيرات (٣١٩).

(٤) من رواية شريك قال حدثنا أبو يحيى القتات عن مجاهد به. ينظر كتاب السنة لأبي بكر بن الخلال الأثر ذو الرقم (٢٩٦). وأبو يحيى القتات لين الحديث والتقريب (٦٨٤)، وقد ضعفه أحمد وابن معين، ينظر الاستغناء (٢/ ١٠٠٠)، والكنى للدولابي (٢/ ١٦٥)، والميزان (٤/ ٥٨٦).

(٥) من رواية شريك، قال حدثنا جابر بن يزيد، عن مجاهد به، ينظر كتاب السنة أثر (٢٩٧)، وجابر بن يزيد بن الحارث الجُعفي، ضعيف رافضي؛ قال البخاري: متروك، التقريب (١٣٧)، الضعفاء الصغير (٢٨)، والمغني في الضعفاء (١/ ١٢٦)، الكامل في الضعفاء (٢/ ٥٣٧)، والضعفاء والمتروكين للدارقطني (١٦٨)، والمجروحين (١/ ٢٠٨).

والآخران ضعيفان، بل الأخير متروك متهم[١] اهـ.

وبهذا يتضح أن المروي عن مجاهد من قوله: إن المقام المحمود هو الشفاعة أولى القولين بالصواب، وهو الموافق لما صح به الخبر[٢] عن رسول الله ﷺ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال عن النبي ﷺ ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾: «**هي الشفاعة**»[٣].

٣ ـ ومما أبعد فيه النجعة، وخالف أهل السنة، وأتى فيه بما يستغرب ويستنكر ما ورد عنه في تفسير آية الرؤية؛ حيث أوّلها تأويلاً خالف فيه مذهب أهل السنة، والجماعة من الصحابة، ومن بعدهم، فقد روى ابن جرير عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٤]، قال: تنتظر الثواب[٥]، لا يراه من خلقه شيء[٦]، وفي رواية أنه سئل فقيل له: إن ناسًا يقولون: إنه يُرى، قال: يَرى ولا يراه شيء[٧].

---

(١) مختصر العلو للعلي الغفار ص (١٧)، وينظر تفسير القاسمي (١٠/ ٢٧٣).

(٢) حسنه الترمذي في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الإسراء (٥/ ٣٠٣) ٣١٣٧، وصححه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٤٥).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٤٤، ٤٧٨)، والترمذي في سننه (٥/ ٣٠٣)، والطبري في تفسيره (١٥/ ١٤٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٤٨٤).

(٤) سورة القيامة: آية (٢٢، ٢٣).

(٥) أخرجه ابن جرير من طريق منصور بن المعتمر، عن مجاهد به، بثلاثة أسانيد، يُنظر تفسير الطبري (٢٩/ ١٩٢)، وأورده ابن حجر في الفتح، وعزاه إلى عبد بن حميد، وصححه (١٣/ ٤٢٥)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى بن جرير (٨/ ٣٦٠)، وينظر تفسير الماوردي (٦/ ١٥٦)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٧٠).

(٦) وهذه الزيادة أخرجها ابن جرير من طريق منصور، عن مجاهد به (٢٩/ ١٩٢).

(٧) وهذه الرواية أخرجها ابن جرير من طريق منصور أيضًا عن مجاهد به (٢٩/ ١٩٣).

وقد أورد ابن كثير هذا القول ، ثم عقب عليه بقوله : وقد أبعد النُجعة ، وأبطل فيما ذهب إليه ، وأين هو من قوله تعالى : ﴿ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾[١] ، قال الشافعي ـ رحمه الله ـ : ما حَجَب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل[٢] .

وقد ثبتت رؤية المؤمنين لربهم عز وجل في الدار الآخرة من طرق متواترة عند أئمة الحديث ، لا يمكن دفعها ، ولا تأويلها ، منها : ما أخرجه البخاري في صحيحه ، عن جرير بن عبد الله قال : كنا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر ، قال : «**إنكم سَتروْن ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته . . .**» الحديث[٣] ، وفي رواية عند البخاري عن جرير قال : قال النبي ﷺ : «**إنكم سترون ربكم عيانا**»[٤] ، ومنها ما روى مسلم في صحيحه عن صهيب ، عن النبي ﷺ قال : «**إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئًا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وُجُوهَنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجِّنا من النَّار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم عزَّ وجلَّ**»[٥] .

وبسنده أيضًا عن صهيب وزاد[٦] . ثم تلا هذ الآية : ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾[٧] .

---

(١) سورة المطففين : آية (١٥) .

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٥) .

(٣) المرجع السابق (٨/ ٣٠٤) .

(٤) صحيح البخاري ـ كتاب التوحيد ـ ، باب قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ينظر الفتح (٨/ ١٧٩) .

(٥) المرجع السابق (٨/ ١٧٩) .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١/ ١٦٣) .

(٧) المرجع السابق (١/ ١٦٣) .

(٨) سورة يونس : آية (٢٦) .

قال ابن عبد البر في تعليقه على هذا الحديث: والآثار في هذا المعنى كثيرة جدًا، فإن قيل: فقد روى سفيان الثوري، عن منصور، عن مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: حسنة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنتظر الثواب، ذكره وكيع، وغيره عن سفيان؛ فالجواب: قول مجاهد: هذا مردود بالسنة الثابتة عن النبي ﷺ، وأقاويل الصحابة، وجمهور السلف، وهو قول عند أهل السنة مهجور، والذي عليه جماعتهم ما ثبت في ذلك عن نبيهم ﷺ، وليس من العلماء أحد إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، ومجاهد وإن كان أحد المقدمين في العلم بتأويل القرآن فإن قوله هذا مهجور غير مرغوب فيه عند العلماء[١].

وقد اعتذر له ابن حزم بعدم بلوغ الخبر إليه[٢]، والله أعلم.

ومما ورد عنه في مسألة الرؤية تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٣] فقد روى ابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ مثلها حسنى، وزيادة: مغفرة ورضوان[٤]. وهذه الرواية جاءت من طريق ابن أبي نجيح، وابن أبي نجيح وإن كان من الأئمة الثقات كما قال الذهبي[٥] إلا إنه كان

---

(١) التمهيد (٧/ ١٥٧).

(٢) الفصل في الملل (٣/ ٢).

(٣) سورة يونس: آية (٢٦).

(٤) تفسير الطبري، (١٥/ ٧٠) ١٧٦٤٠، وتفسير مجاهد (٢٩٣)، وأورد البخاري في صحيحه هذه الرواية معلقة عن مجاهد، في كتاب التفسير، تفسير سورة يونس (٥/ ٢١١)، وأشار ابن حجر في الفتح إلى وصلها من طريق الفريابي وعبد بن حميد من طريق ابن أبي نجيح، الفتح (٨/ ٣٤٧)، وأوردها السيوطي في الدر وعزاها إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد به (٤/ ٣٥٩)، وتفسير الماوردي (٢/ ٤٣٣)، وتفسير البغوي (٢/ ٣٥١)، والبحر المحيط (٥/ ١٤٦)، وزاد المسير (٤/ ٢٥)، وتفسير القرطبي (٨/ ٢١١).

(٥) الميزان (٢/ ٥١٥).

يرى الاعتزال، كما قاله ابن المديني[١]، بل قال أحمد: أفسدوه بأخرة، وكان جالس عمرو بن عبيد[٢] وقال القطان: كان ابن أبي نجيح من رؤوس الدعاة[٣]، قلت: فلا يُعتد بالرواية عنه في هذا الباب؛ لأنه داعية لبدعته وهذا مما يؤيدها، فالذي يظهر أن هذه الرواية لا تصح عن مجاهد، وقد صح عن المصطفى ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى الله تعالى[٤].

وقال ابن الجوزي: روي تفسير (الزيادة) بالنظر إلى وجه الله الكريم، عن أبي بكر، وأبي موسى الأشعري، وحذيفة، وابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وابن أبي ليلى، والسدي، ومقاتل[٥]. وزاد ابن كثير[٦]: عطاء، وابن المسيب، والحسن... وغيرهم، وذكر أن منهم مجاهداً ـ رحمه الله ـ ولعله اعتمد ما روي عنه من طريق حماد ابن سلمة عن ليث عن مجاهد ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾، قال: الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى الرب[٧].

وفي سند هذه الرواية الليث بن أبي سُليم، وهو ضعيف، مر[٨].

---

(١) السير (٦/ ١٢٥).

(٢) تهذيب التهذيب (٦/ ٥٤)، والتاريخ لابن معين (٣/ ٧٤).

(٣) الميزان (٢/ ٥١٥).

(٤) كما رواه ابن أبي عاصم في السنة في باب: في الزيادة بعد ذكر الحسنى، فساق الحديث بسنده عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية: «إذا دخل أهل الجنة الجنة...» الحديث، وقال في ختام الرواية: «فما شيء أعطوه أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة».
وينظر كتاب السنة (٢٠٥)، وأخرج الحديث ـ أيضاً ـ مسلم في صحيحه بلفظ مقارب كما مرّ، وأبو عوانة في مستخرجه (١/ ١٥٦)، وابن ماجه في سننه (١/ ٦٧) ١٨٧، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٣٢/ ٣٣٣)، والآجري في الشريعة (٢٦١).

(٥) زاد المسير (٤/ ٢٥).

(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ١٩٨).

(٧) أوردها اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، والجماعة (٣/ ٤٦٣) ٧٩٧.

(٨) وسيأتي لذلك مزيد بسط في مبحث منهج التابعين في آيات الاعتقاد ص (٨٧٥).

أثره في علوم القرآن :

اهتم ـ رحمه الله ـ بكل علم يخدم القرآن، أو يستند إليه؛ ولذا نجد الأثر البين له في كثير من علوم القرآن، وليس ذلك بمستغرب عليه فهو القائل عن نفسه : استفرغ علمي القرآن[١] ، فقد استفرغ جهده، وبذل وسعه لخدمة القرآن، وعلمه، فتعرض للعديد من أنواع علومه، ولإيضاح أثره في هذا الجانب، أعرض لنماذج من أهم أقواله فيه :

أولاً : معرفة أول ما نزل من القرآن :

اهتم ـ رحمه الله ـ بهذا النوع من علوم القرآن، فتكلم في أول ما نزل من القرآن عمومًا وخصوصًا، فأوضح أول ما نزل منه بمكة وأول ما نزل بالمدينة، وآخر ما نزل بهما، بل وأوضح أول الآيات نزولاً في بعض السور، فعنه قال : أول ما نزل من القرآن ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ و﴿ نٓ وَالْقَلَمِ ﴾[٢] .

بل ورد عنه تحديد آخر ما نزل في مكة من القرآن؛ حيث قال : هي ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾[٣] .

وجاء عنه القول بأن أول ما نزل في المدينة : سورة البقرة[٤] .

وعنه قال : أول ما نزل من براءة : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ ، قال : يعرِّفهم نصره، ويوطنهم لغزوة تبوك[٥] .

---

(١) المعرفة والتاريخ (١/ ٧١٢).

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٢٠)، وأنساب الأشراف للبلاذري (١٠٨).

(٣) البرهان (١/ ١٩٤).

(٤) زاد المسير (١/ ٢٠).

(٥) تفسير الطبري (١٤/ ٢٧٠) ١٦٧٥٩ ، وأورده السيوطي في الإتقان، وعزاه إلى الفريابي (١/ ٧٦).

ثانيًا: أسباب النزول:

لم يعتن مجاهد ـ رحمه الله ـ بهذا النوع من علوم القرآن عناية غيره به[١]، بل إن من المعالم البارزة في تفسيره ميله إلى القول بعموم معنى الآية في كثير من تأويلاته.

فعند قوله سبحانه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾[٢].

قال: أما والله ما هو بحركم هذا، ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر[٣].

وعند قوله جل ثناؤه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾[٤]، قال: في نكاح الأمة، وفي كل شيء فيه يُسر[٥].

وعند قوله تعالى: ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾[٦]، قال القاسم بن أبي بزة[٧]، أمرني مجاهد أن أسأل عكرمة عنها، فقال عكرمة: هو الخصاء، فأخبرت مجاهدًا، فقال أخطأ؛ ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ دين الله[٨].

وعند قوله سبحانه: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ

---

(١) يعد من أقل مفسري التابعين اعتمادًا على أسباب النزول، فقد بلغ نسبة اعتماده على أسباب النزول (٠٥ , ٠) فقط من مجموع تفسيره، في حين كانت عند محمد بن كعب القرظي (١٧ , ٠٠) من مجموع تفسيره، وعن عكرمة (١٤ , ٠)، وعن عامر الشعبي (١٣ , ٠)، وعن السدي (١١ , ٠)، وعن سعيد بن جبير وقتادة (٠٧ , ٠).

(٢) سورة الروم: آية (٤١).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٢٤٠) ٣٩٨٥، وتفسير ابن عطية (١٢/ ٢٦٥)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٢٨).

(٤) سورة النساء: آية (٢٨).

(٥) تفسير الطبري (٨/ ٢١٥) ٩١٣٥، وتفسير ابن عطية (٤/ ٩٠)، وتفسير القرطبي (٥/ ٩٨).

(٦) سورة النساء: آية (١١٩).

(٧) القاسم بن أبي بزة: المكي، مولى بني مخزوم، القارئ، ثقة من الخامسة، روى عن مجاهد. التقريب (٤٤٩)، والخلاصة (٣١١).

(٨) تفسير عبد الرزاق (١/ ١٧٣)، وتفسير الطبري (٩/ ٢١٦) ١٠٤٥٥.

مِنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾[١] .

قال ابن جرير الطبري : اختلف أهل التأويل في الإنسان الذي قال فيه الله جلَّ ثناؤه ﴿ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ ﴾ هو إنسان بعينه، أم أريد به المثل لمن فعل الشيطان ذلك به؟ ثم ساق - رحمه الله - عن علي، وابن مسعود، وابن عباس - رضي الله عنهم - وعن طاوس أن المراد بذلك إنسان بعينه، وذكر الروايات عنهم[٢] .

وانفرد بإيراد الأثر عن مجاهد، أن المراد الناس كلهم، فعن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : عامَّة الناس[٣] .

ثالثًا : تأويله لمشكل القرآن :

هو من أكثر التابعين تعرضًا لحل ما أشكل وبيان ما غمض من القرآن[٤] فكان - رحمه الله - كلما عرضت له مشكلة تفسيرية سعى في كشف مشكلها وإيراد المعنى الصحيح الموضح لتأويلها، فمن ذلك ما ورد عنه في تفسير قوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾[٥] .

قال مجاهد : يريد إن كان لله ولد في قولكم، فأنا أول من عبد الله ووحده،

---

(١) سورة الحشر : آية (١٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٨/ ٤٩ - ٥١).

(٣) المرجع السابق (٢٨/ ٥١)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥٠٩)، وزاد المسير (٨/ ٢١٩). وعند المقارنة بين مجاهد، وقتادة، وهما من أكثر التابعين تعرضًا للتفسير، نجد أن مجاهدًا بعد مراجعة تفسير الطبري قال بعموم معنى الآية صريحًا في أكثر من (٦٠) موضعًا، بينما ورد هذا عن قتادة في (٣٠) موضعًا فقط.

(٤) وذلك من خلال مراجعة كتاب ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن، فقد روى عن مجاهد في أكثر من عشرين موضعًا، وعن الحسن في أربعة مواضع، وعن قتادة وابن جبير في موضعين.

(٥) سورة الزخرف : آية (٨١).

وكذبكم بما تقولون[١] .

وعند قوله سبحانه : ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾[٢] ، وقد أشكل تفسير الآية مع آيات أخرى، منها خلق الأرض قبل ذلك، فأجاب عنه بقوله : ﴿ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ مع ذلك[٣] .

وعند قوله سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٤] وجه إشكال قبول استغفار المشركين، وكونه دافعًا للعذاب عنهم، مع أنهم على الشرك، بقوله : علم أن في أصلابهم من سيستغفر[٥] .

وعند قوله تعالى : ﴿ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾[٦] ، أشكل ظاهر هذه الآية، فقيل : كيف يدعو نبي الله هؤلاء الفسقة إلى بناته بدل ضيوفه؟! فوجّه الإشكال وبيّن المراد بقوله : أمرهم أن يتزوجوا النساء لم يعرض عليهم سفاحًا[٧] .

والأمثلة الواردة عنه في هذا كثيرة[٨] .

---

(١) تأويل مشكل القرآن (٣٧٣)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٠٣)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٢٢٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٤١)، وتفسير ابن عطية (١٤/ ٢٧٨)، والبحر المحيط (٨/ ٢٨)، وزاد المسير (٧/ ٣٣١)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٧٩).

(٢) سورة النازعات : آية (٣٠).

(٣) تأويل مشكل القرآن (٦٨)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٤٦)، وكتاب الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٢٣)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٩٩)، وتفسير ابن عطية (١٦/ ٢٢٥).

(٤) سورة الأنفال : آية (٣٣).

(٥) تأويل مشكل القرآن (٧٢)، وتفسير البغوي (٢/ ٢٤٦)، وتفسير ابن عطية (٨/ ٥٤)، وزاد المسير (٣/ ٣٥١)، وتفسير القرطبي (٧/ ٢٥٣).

(٦) سورة هود : آية (٧٨).

(٧) تفسير الطبري (١٥/ ٤١٤) ١٨٣٧٦ .

(٨) لمزيد من الأمثلة يراجع تفسير الطبري الآثار : ٢٣١٧، ٢٣١٨، ٤١٣٦، ٦٧٧١، ٧١٢٣، ٧٣٤٢، ٧٣٤٣، ٧٣٤٦، ٧٣٤٧، ٧٣٤٨، ٧٦١٤، ٧٦١٥، ١٣٠٥٠، ١٣٠٨٠، ١٤٣٣٤، =

رابعًا: موقفه من النسخ:

كان ـ رحمه الله ـ من أكثر التابعين تضييقًا لدائرة النسخ، فلم ير التوسع فيه، فنجده كثيراً ما يشير إلى إحكام الآية، وإعمال نصها وعدم نسخها، بخلاف منهج غيره من معاصريه[١].

وكان يقصر النسخ في كثير من الأحيان على آيات الأمر والنهي فقط[٢].

وقد تنوع مفهوم النسخ عنده، فعند تأويل قوله سبحانه: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾[٣] قال: نزيل حكمها، ونثبت خطها[٤]، وكأنه بذلك يشير إلى ما تغير حكمه، وثبت خطه في المصحف، أي: نسخ الحكم، وبقاء التلاوة، وأشار إلى نوع آخر عند تفسير قوله سبحانه: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾[٥] فقال: نرجئها ونؤخرها[٦]، وكأنه بذلك يشير إلى منسوخ

= ١٤٣٣٧، ١٤٧٥٥، ١٤٧٥٦، ١٤٧٥٧، ١٥١٠٢، ١٥١٠٣، ١٥١٠٤، ١٥١٠٥، (٢٨/ ٦٤)، (٢٨/ ١٦٨)، (٢٩/ ٧١)، (٢٩/ ٩١)، (٢٩/ ١٨٤)، (٢٩/ ٢١٠)، (٣٠/ ٥٦)، (٣٠/ ١٧٧)، و(٣٠/ ٢٤٩).

(١) بعد مراجعة كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس، وكتاب الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي، وجدت أن مجاهداً من أكثر التابعين قولاً بإحكام آيات القرآن، وعند المقارنة بينهم يظهر الفرق، فمثلاً: المروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ القول بنسخ (٣٨) آية، وإحكام (٣) آيات، وعن قتادة ـ رحمه الله ـ القول بنسخ (٣٣) آية وإحكام (٨) آيات، وأما مجاهد ـ رحمه الله ـ فروي عنه القول بنسخ (٥) أيات وإحكام (٣١) آية، ويأتي لذلك مزيد بحث، عند الحديث عن أثرهم في أصول التفسير.
ينظر الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس في الصفحات التالية: ١٧، ٣٤، ٣٦، ٨٥، ٨٩، ١٠٤، ١١٥، ١١٨، ١٢٥، ١٢٩، ١٤٣، ١٤٤... وغيرهما.

(٢) الناسخ والمنسوخ لابن سلام (٨)، والنسخ في القرآن د. مصطفى زيد (١/ ٣٥٩).

(٣) سورة البقرة: آية (١٠٦).

(٤) أخرجه أبو جعفر النحاس في الناسخ بسنده عن مجاهد به (٧)، وابن جرير في تفسيره (٢/ ٤٧٣) ١٧٤٩، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣٢٢) ١٠٦٢.

(٥) سورة البقرة: آية (١٠٦).

(٦) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٧) ١٧٦٥، وتفسير ابن كثير (١/ ٢١٦).

التلاوة والحكم.

خامسًا : رأيه في المحكم والمتشابه:

اختلف في تعيين المحكم، والمتشابه على عدة أقوال، فقد أورد البخاري[١]، عن مجاهد عند قوله: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾[٢] قال: الحلال والحرام، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[٣] يصدق بعضها بعضًا، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾[٤]، وكقوله جل ذكره: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾[٥]. ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[٦].

ولذا فمجاهد ممن يقول بإمكان علم المتشابه، للراسخين في العلم؛ فقد أخرج ابن قتيبة بسنده عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال في قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[٧]: تعلمونه وتقولون آمنا به[٨].

وكان ـ رحمه الله يرى أن الواو في قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ عاطفة[٩]،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه معلقًا، كتاب التفسير، باب (منه آيات محكمات) (٥/ ١٦٥).

(٢)، (٣) سورة ال عمران: آية (٧).

(٤) سورة البقرة: آية (٢٦).

(٥) سورة يونس: آية (١٠٠).

(٦) سورة محمد: آية (١٧)، وهذا الأثر ذكر ابن حجر أنه موصول من رواية عبد بن حميد من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد به، ينظر التغليق (٤/ ١٨٩)، والفتح (٨/ ٢٠٩)، وذكر العيني في العمدة طريقًا آخر عن ابن جريح من رواية ابن المنذر عن مجاهد به (١٨/ ١٣٨).

(٧) سورة آل عمران: آية (٧).

(٨) تأويل مشكل القرآن (ص١٠٠)، وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق ابن أبي نجيح بإسنادين، بلفظ: يعلمونه يقولون آمنا به، تفسير الطبري (٦/ ٢٠٣) ٦٦٣٣، ٦٦٣٤، وذكره أبو جعفر النحاس في معاني القرآن (١/ ٣٥٣) وأورده السيوطي في الإتقان، وعزاه إلى عبد بن حميد (٢/ ٧).

(٩) القطع والإستئناف (٢١٥)، والمكتفى في الوقف والابتداء (١٩٦)، والفتح (٨/ ٢١٠)، والإتقان (٢/ ٧).

وليست للاستئناف.

وأما الأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم فذهبوا إلى أن الواو للاستئناف[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذا الذي حمل مجاهدًا، ومن وافقه كابن قتيبة[٢] على أن جعلوا الوقف عند قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فجعلوا الراسخين يعلمون التأويل؛ لأن مجاهدًا تعلم من ابن عباس تفسير القرآن كله، وبيان معانيه، فظن أن هذا هو التأويل المنفي عن غير الله[٣].

سادسًا: كليات القرآن:

حرص - رحمه الله - على استقصاء الألفاظ القرآنية، مع إيضاح ما دلت عليه، وإدراج المتشابه منها في صعيد واحد، سواء اتحد لفظه ومعناه، أو اتحد اللفظ واختلف المعنى، وهو ما يعرف بعلم الأشباه والنظائر، أو كليات القرآن، ومن أمثلة ذلك:

قوله: كل ظن في القرآن يقين ﴿إني ظننت﴾، ﴿وظنوا﴾[٤]، وعنه أيضًا: كل ظن في القرآن فهو علم[٥].

ومنها قوله: كل ما كان في القرآن «كذا، فمن لم يجد فكذا» فالأول فالأول، وكل ما كان في القرآن «أو كذا» «أو كذا» فهو فيه بالخيار[٦].

---

(١) الإتقان (٢/ ٧).

(٢) في المشكل (١٠٠).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨٤).

وقد ذكر شيخ الإسلام في موضع آخر تعليقًا على هاتين القراءتين فقال: وكلتا القراءتين حق، ويراد بالأولى (أي: الاستئناف) المتشابه في نفسه الذي استأثر الله بعلم تأويله، ويراد بالثانية (أي العاطفة) المتشابه الإضافي الذي يعرف الراسخون تفسيره اهـ. مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٨١).

(٤) تفسير الطبري (٢/ ١٩) ٨٦٢، وتفسير ابن كثير (١/ ١٢٦).

(٥) المرجع السابق (٢/ ١٩) ٨٦٣.

(٦) المرجع السابق (٤/ ٧٥) ٣٣٨٠.

ومنها قوله: كل شيء في القرآن «عسى»: فإن «عسى» من الله واجب[١].

ومنها قوله: كل شيء في القرآن «إن» فهو إنكار[٢].

وقد تميز ـ رحمه الله ـ بالدقة في التفريق بين المفردات المتشابهة، من ذلك ما روي عنه عند قوله سبحانه: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾، قال: ما كان في القرآن ثمر بالضم فهو المال، وما كان بالفتح فهو النبات[٣].

سابعًا: الاشتقاق عند مجاهد:

أكثر ـ رحمه الله ـ من بيان أصول الكلمات، واشتقاقها، ويتضح هذا عنده في تعليل التسميات، وبيان وجه المسميات، فمن ذلك:

قوله: إنما سميت الكعبة؛ لأنها مربعة، وإنما سميت البدن؛ من أجل السمانة[٤]، وإنما سمي الميسر؛ لقولهم أيسروا، وأجزروا[٥].

وعند قوله سبحانه: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾[٦] قال سميت بذلك لسلاسة سبيلها، وحدة جريها[٧].

وعند قوله سبحانه: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[٨] قال: المطروح في التراب ليس له

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور، وعزاه لابن المنذر (١/ ٥٨٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٢٦).

(٣) أورده ابن حجر في الفتح، وعزاه إلى الفراء عن مجاهد به (٨/ ٤٠٦)، وأورده النحاس في معاني القرآن عن مجاهد بنحوه (٤/ ٢٣٩).

(٤) المصنف لابن أبي شيبة (٤/ ١١٢).

(٥) تفسير الطبري (٤/ ٣٢٢) ٤١٠٦.

(٦) سورة الإنسان: آية (١٨).

(٧) تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٧)، وتفسير ابن عطية (١٦/ ١٩٠).

(٨) سورة البلد: آية (١٦).

بيت[١] . وفي لفظ آخر: المطروح في الأرض، الذي لا يقيه شيء دون التراب[٢] .

وعند قوله سبحانه: ﴿لإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾[٣] قال: إيلافهم ذلك فلا يشق عليهم رحلة شتاء، ولا صيف[٤] .

وفي تفسير قوله جل وعلا: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾[٥] ، قال: يدعُّ: يوضع عن حقه، يقال: هو من دععت، يُدعّون أي: يدفعون[٦] .

ثامنًا: الاعتماد على لغة العرب:

وكان ـ رحمه الله ـ من أهل العلم باللغة واللسان[٧] ، فوظف ذلك لخدمة كتاب الله، ولم ير لغير أهل اللسان الخوض في معاني القرآن، بل كان يقول: لا يحل لأحد يؤمن بالله، واليوم الآخر، أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب[٨] .

فعند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[٩] . قال: لا تضعف أن تستكثر من الخير، قال: تمنن في كلام العرب: تضعف[١٠] .

(١) أورده ابن حجر في الفتح، وعزاه إلى الفريابي عن مجاهد به (٨/ ٧٠٤).
(٢) تفسير الطبري (٣٠/ ٢٠٥)، وتفسير الماوردي (٦/ ٢٧٩)، وتفسير البغوي (٤/ ٤٩٠)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٤٧).
(٣) سورة قريش: آية (١).
(٤) تفسير الطبري (٣٠/ ٣٠٦)، والفتح (٨/ ٧٣٠)، وتفسير البغوي (٤/ ٥٢٩).
(٥) سورة الماعون: آية (٢).
(٦) صحيح البخاري كتاب التفسير (٦/ ٩٢)، والفتح (٨/ ٧٣٠)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٣١٠)، وتفسير الماوردي (٦/ ٣٥١).
(٧) المغني لعبد الجبار (٤/ ٢١٥).
(٨) البرهان (١/ ٢٩٢)، ومفتاح السعادة (٢/ ٥٨٥).
(٩) سورة المدثر: آية (٦).
(١٠) تفسير الطبري (٢٩/ ١٤٩)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٢٩٠)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٣٨)، وتفسير ابن عطية (١٦/ ١٥٦)، وتفسير البغوي (٤/ ٤١٤)، وزاد المسير (٨/ ٤٠٢)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٤٥).

وعند قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[١] قال: أي: طوق من حديد، ألا ترى أن العرب تسمي البكرة[٢] مسدا[٣].

وفي تفسير قوله جل وعلا: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾[٤] قال: الضريع نبت يقال له: الشبرق يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس، وهو سم[٥].

والمتأمل لتفسيره يجده قد ضمَّ توضيحات كثيرة، ذات طابع لغوي أحرى بها أن تسمى: دراسة في المفردات الغريبة في القرآن[٦].

بل كان يوجه من يسأله بقوله: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب[٧]؛ ولذا فقد ورد عنه ما يستوعب غريب القرآن؛ وأتى على جملة صالحة منه[٨].

تاسعًا: معرفة ما وقع في القرآن من المعرب:

إضافة إلى ما سبق في هذا الجانب، فقد كان على دراية بالألفاظ الأعجمية التي تعربت باستعمال العرب لها، أو كانت مما اتفقت فيه اللغات.

ومجاهد ـ رحمه الله ـ ممن قال بوقوع المعرب في القرآن، بل كان أكثر التابعين قولاً

---

(١) سورة المسد: آية (٥).

(٢) البكرة التي يستقى عليها الماء، وهي خشبة مستدير في وسطها محزٌ للحبل وفي جوفها محور تدور عليه، لسان العرب (٤/ ٨٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٣٦)، وتفسير ابن عطية (١٦/ ٣٨٠)، وتفسير البغوي (٤/ ٥٤٤).

(٤) سورة الغاشية: آية (٦).

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٦/ ٨٢)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٤٠٧)، وتفسير البغوي (٤/ ٤٧٨)، وزاد المسير (٩/ ٩٦)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٢١).

(٦) تاريخ التراث (١٧٧).

(٧) تفسير القرطبي (١/ ٢٤).

(٨) الإتقان (١/ ١٥٠).

به[١] .

ومن أمثلة ذلك : ما ورد عنه في تفسير : (الأواه) قال : الموقن بلسان الحبشة[٢] .

وفي قوله تعالى : ﴿سَرِيًّا﴾[٣] ، قال : نهراً بالسريانية[٤] ، وفي تفسير الطور قال : الجبل بالسريانية[٥] ، وفي تفسير (العرم) قال : بالحبشية هي المسناة التي تجمع فيها الماء ، ثم ينبثق[٦] ، وفي تفسير (الفردوس) قال : بستان بالرومية[٧] ، وفي تأويل (القسطاس) قال : العدل بالرومية[٨] ، وعند قوله : (مشكاة) قال : الكوة بلغة الحبشة[٩] ، وفي

---

(١) يتضح ذلك من خلال مراجعة كتاب المهذب ، فيما وقع في القرآن من المعرب ، فقد جمع السيوطي ما ورد من آثار عن الصحابة والتابعين ، وغيرهم فاستقصى ، ومن خلال مراجعة ما جمع وجدت أن مجاهداً من أكثر من يروى عنه من التابعين في هذا الشأن ، وبعده عكرمة ، ثم ابن جبير ، ينظر المهذب والإتقان (١/ ٣٦٩-٣٧٨) .

(٢) أورده السيوطي في المهذب (٧٥) ، والإتقان (١/ ٣٧٠) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٣) سورة مريم : آية (٢٤) .

(٤) أورده السيوطي في الدر (٥/ ٥٠٣) والمهذب (٩٩) ، وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن مجاهد به .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ١٥٨) ١١١٦ ، ١١١٧ ، وأورده السيوطي في المهذب ، وعزاه إلى الفريابي عن مجاهد به (١١٣) .

(٦) أورده السيوطي في المهذب ، والدر ، وعزاه إلي ابن أبي حاتم عن مجاهد به ، ينظر المهذب (١١٨) ، والدر (٦/ ٦٩٠) .

(٧) أورده السيوطي في المهذب ، والإتقان ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن مجاهد به ، ينظر المهذب (١٢٠) ، والإتقان (١/ ٣٧٥) .

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٧١) ، وابن جرير في تفسيره (١٥/ ٨٥) ، وأورده السيوطي في المهذب ، والدر وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر ، وابن أبي شيبة ، ينظر المهذب (١٢٤-١٢٥) ، والدر (٤/ ١٨٢) .

(٩) أورده ابن كثير في تفسيره (٦/ ٦٢) ، وذكره السيوطي في المهذب ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم في تفسيره ، عن مجاهد به (١٤٤) ، ينظر المعرب للجواليقي (٣٥١) .

تأويل (**المقاليد**) قال: المفاتيح بالفارسية[١] .

عوامل السبق عند مجاهد:

ولإيضاح هذا الجانب لابد من الإشارة إلى أبرز الأسباب التي ساعدت مجاهداً ـ رحمه الله ـ فصار السابق في علم القرآن وتفسيره. من أهم هذه الأسباب ما يلي:

١ ـ ملازمته، وصحبته لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ:

كان لابن عباس أصحاب غير مجاهد، ولكن مما ميز مجاهداً عن أصحابه كثرة العرض، والسؤال، والمراجعة لابن عباس في القراءة والتفسير خاصة، حتى إنه قرأ عليه القرآن أكثر من ثلاثين مرة، وعرض عليه التفسير ثلاث مرات يستوقف شيخه عند كل آية، ويسأله عنها.

ولم يكتف بهذا، بل كان ـ رحمه الله ـ يكتب كل ما سمعه، وفي هذا يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة[٢] ويقول أيضًا: عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرْضَات، من فاتحته إلى خاتمته أقفه عند كل آية منه وأسأله عنها[٣] .

ويقول ابن أبي مُليكة: رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواحه، فيقول له ابن عباس: اكتب، قال: حتى سأله عن التفسير كله[٤] .

ولذا عدَّه ابن كثير من أخص أصحاب ابن عباس[٥] .

---

(١) أورده ابن كثير في تفسيره (٧/ ١٠٢)، وذكره السيوطي في المهذب والدر، وعزاه إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن مجاهد به، ينظر المهذب (١٤٥)، والدر (٧/ ٢٤٣)، والمعرب للجواليقي (٣٦٢).

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٦)، والحلية (٣/ ٢٨٠)، والجرح (٨/ ٣١٩)، وتهذيب الكمال (٢٧/ ٢٣٣).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٩٠) ١٠٨، والحلية (٣/ ٢٧٩)، والتهذيب (١٠/ ٤٣).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٩٠) ١٠٧.

(٥) البداية والنهاية (٩/ ٢٥٠).

٢ ـ تعدد مصادره:

امتاز مجاهد ـ رحمه الله ـ عن أقرانه من تلاميذ المدرسة بتعدد مصادره، فمع انقطاعه لابن عباس خلال حياته، إلا إن بعض الروايات تشير إلى أخذه عن غيره، واتصاله بفكر أصحاب المدارس الأخرى[١]، كما في قوله: لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم أحتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت[٢].

وقد صحب ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ وفي ذلك يقول: صحبت ابن عمر إلى المدينة فما سمعته يحدث عن النبي ﷺ إلا حديثًا واحدًا[٣].

فعن عبيد الله بن عمران قال: سمعت مجاهدًا يقول: صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه، فكان هو الذي يخدمني[٤]، وكان رحمه الله يحدث من صحيفة جابر ـ رضي الله عنه[٥]..

هذا مع أنه أسند، وروى عن جملة من أصحاب النبي ﷺ، منهم: علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، والعبادلة الأربعة، وأسيد بن ظهير، وأبو سعيد

---

(١) دراسات في التفسير وأصوله د. محيي الدين بلتاجي (٥٦).

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه (٥/ ٢٠٠).
وقد وجدت مجاهدًا من أكثر المكيين اتصالاً بالكوفة بعد سعيد بن جبير، بل فاق سعيدًا في الإفادة من قراءات ابن مسعود، وبعد رجوعي لتفسير ابن مسعود وجدت أن مجاهدًا جاء من طريقه خمس روايات في تفسير ابن مسعود، منها أربع في القراءة، وهو بهذا أكثر حتى من سعيد بن جبير، والآثار التي رواها مجاهد عن ابن مسعود في تفسير الطبري هي: ٩٢١١، ١٣٤٣١، ١٤٦٣٢، (٢٥/ ١٧)، (٣٠/ ١٦١).

(٣) تاريخ أبي زرعة (١/ ٥٥٧)، والتهذيب (١٠/ ٤٣)، والسير (٤/ ٤٥٤).

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٢٤١) ١٧٢٨، والسير (٤/ ٤٥٢).

(٥) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٧).

الخدري، وعائشة، وأم سلمة، وجويرية بنت الحارث، وأبو هريرة، وأم هانئ بنت أبي طالب، وجابر بن عبد الله، وعطية القرظي، وسراقة بن مالك، وغيرهم[١].

ومن المصادر التي اعتمد عليها: الرواية عن أهل الكتاب، وقد تساهل في الرواية عنهم مما جعل بعض أصحاب المدارس الأخرى يتقي تفسيره[٢].

يقول الأعمش[٣] لما سئل: ما بالهم يتقون تفسير مجاهد؟ قال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب[٤].

وقد أكثر من الرواية عن بني إسرائيل[٥]، وجاءت عنه بعض التفاصيل المنكرة، والغريبة، فعند تأويله لقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[٦]، قال: حلَّ السراويل، حتى أليتيه واستلقت له[٧].

وعند قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن

---

(١) تهذيب الكمال (٣/ ١٣٠٥)، والتهذيب (١٠/ ٤٢)، والجرح (٨/ ٣١٩)، وتهذيب الأسماء (٢/ ٨٣).

(٢) كمدرسة الكوفة خاصة فهي من أكثر المدارس بُعداً وحذراً من الرواية عن بني إسرائيل، ويقال: إن مجاهداً سكنها في آخر عمره، السير (٤/ ٤٥٢).

(٣) الأعمش سليمان بن مهران الأسدي، أبو محمد الكوفي، ثقة حافظ عارف بالقراءات، التقريب (٢٥٤).

(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٧)، وطبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣٠٧).

(٥) هو أكثر المكيين بعد سعيد بن جبير في روايته عن بني إسرائيل كما يأتي تفصيل ذلك إن شاء الله عند الحديث عن المدرسة المكية.

(٦) سورة يوسف: آية (٢٤).

(٧) تفسير الطبري (١٦/ ٣٦) ١٩٠٢٣، وفي رواية عند ابن جرير عنه بلفظ: حلَّ سراويله، حتى وقع على أليته (١٦/ ٣٦) ١٩٠٢٤، وفي رواية: جلس منها مجلس الرجل من امرأته ١٩٠٢٥، وأورده السيوطي في الدر بلفظ مُقارب، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ (٤/ ٥٢١).

﴿سَاقَيْهَا﴾[١] ، قال: الصرح بركة من ماء ضرب عليها سليمان قوارير ألبسها، قال: وكانت بلقيس هلباء شعراء، قدمها كحافر الحمار، وكانت أمها جنية[٢] .

وفي رواية أخرى عنه: فإذا هما شعراوان فقال: ألا شيء يذهب هذا؟! قالوا الموسى، قال: لا، الموسى له أثر، فأمر بالنورة فصنعت[٣] .

٣ ـ تخصصه، وانقطاعه لعلم التفسير:

تفرغ مجاهد لهذا العلم، فبذل فيه وسعه، واستنفذ طاقته، وغاية جهده، وفي ذلك يقول: استفرغ علمي القرآن[٤] .

وهذا واضح من تتبع المروي عنه ـ رحمه الله ـ، فعلى جلالة قدره وتمكنه في باب العلوم الأخرى، إلا أن المروي عنه في غير التفسير قليل[٥] في جنب ما روي عنه في ذلك.

أما القرآن وعلومه فقد غاص في بحوره، واستخرج الدر من مكنونه، وتعدى ذلك فعرض لأمور دقيقة تتعلق بآياته، وحروفه، وكلماته.

فقد جاءت الروايات عنه في بيان عدد كلمات القرآن؛ حيث قال: عددها تسع

---

(١) سورة النمل: آية (٤٤).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ١٦٩).

(٣) المرجع السابق ١٩٠/ ١٦٩).

ولمزيد من الأمثلة يُراجع الطبري: ٨٩٧، ١٦٨٩، ٥٦٧٢، ٥٦٧٣، ٥٦٧٤، ٥٦٧٥، ١١٦٦٠، ١١٦٦١، (٢٣/ ١٥٠)، (٢٣/ ١٥٧).

(٤) المعرفة والتاريخ (١/ ٧١٢)، والسير (٤/ ٤٥٢)، وغاية النهاية (٢/ ٤٢).

(٥) ولذا نجد أنه من أقل التابعين تعرضًا للأحكام الفقهية، فالمروي عن عطاء في تفسير آيات الأحكام مثلاً استغرق (٣٣, ٠) من تفسيره، وعن ابن جبير (٠٩, ٠)، وعن مجاهد (٠٣, ٠) من مجموع تفسيره.

وسبعون ألف كلمة ومائتان وسبع وسبعون كلمة[١]، وحروف القرآن عددها ثلاثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف[٢] .

فهذه العناية والاهتمام، والتفرغ لعلم القرآن، كانا من أسباب سبقه وكثرة الرواية عنه .

٤ ـ سبقه في علم القراءات :

مما أعان مجاهداً ـ رحمه الله ـ على فهم كثير من الآيات تقدمه في معرفة القراءة، حتى عُدَّ إمامًا من أئمة هذا الشأن .

قال ابن جرير : وكان قارئًا عالمًا[٣] ، وقال عنه الذهبي : شيخ القراء[٤] ، ومما يؤكد ذلك أنه كان يتعمد القراء، ويقصدهم للقراءة عليهم، ويقول في هذا : كنت أتحدى القراء فأقرأ[٥] .

وقد قرأ عليه شيخ مكة ابن كثير، ولم يخالفه في شيء من القراءة[٦] ، وكان يقرأ القرآن على خمسة أحرف[٧] ، ولحرصه على هذا الجانب عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة[٨] .

---

(١) عجائب علوم القرآن لابن الجوزي (١٣١).

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٤٩)، وفنون الأفنان (٢٣٦)، والتفسير القرآني للقرآن (١/ ١٥).

(٣) التهذيب (١٠/ ٤٤).

(٤) السير (٤/ ٤٥٠)، وقال الذهبي في التذكرة (١/ ٩٢)، والميزان (٣/ ٤٣٩) : المقرئ المفسر .

(٥) النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٥٥)، وغريب الحديث لابن الجوزي (١/ ١٩٧)، والفائق (١/ ٢٦٨).

(٦) السبعة في القراءات لابن مجاهد (٦٤).

(٧) تفسير الطبري (١/ ٥٣) ٥٢ .

(٨) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٦)، والحلية (٣/ ٢٨٠)، والسير (٤/ ٤٥٦).

وفي رواية عنه قال: ختمت على ابن عباس تسع عشرة ختمة كلها يأمرني أكبر فيها[١].

٥ ـ شغفه بالسفر والترحال وحبه لرؤية العجائب والغرائب:

إن مما لا شك فيه أن التغرب عن الأوطان، والتنقل بين البلدان ذو أثر مفيد على المتلقي؛ لتعدد المصادر بكثرة من يلقاهم خلال ترحاله، ورحم الله الإمام الشافعي حيث يقول:

---

(١) غاية النهاية (٢/ ٤٢)، وإبراز المعاني (٧٣٥)، والنشر (٢/ ٤١٥).

مسألة التكبير: ورد فيها حديث مرفوع ساقه الحاكم في مستدركه (٣/ ٣٠٤) وصحح إسناده، ولم يوافقه الذهبي حيث قال: فيه البزي وقد تكلم فيه، وكذا قال ابن الملقن في مختصره (٤/ ١٩٥٨) ٦٨٨، وحكم أبو حاتم بالنكارة على هذا الحديث، ينظر العلل لابن أبي حاتم (٢/ ٧٧) ١٧٢١، وأخرجه البيهقي في الشعب، وساقه بخمسة أسانيد من ٢٠٧٧ ـ ٢٠٨١، كلها من طريق البزي، ينظر شعب الإيمان (٢/ ٣٧٠ ـ ٣٧١).

وأخرجه بسنده ابن الباذش في الإقناع في القراءات السبع (٨١٩)، من طريق البزي أيضًا، ثم قال أبو جعفر (ابن الباذش): والتكبير موقوف على ابن عباس، ولم يرفعه إلى النبي ﷺ غير البزي. وكذا رواه أبو شامة المقدسي في إبراز المعاني (٧٣٥) بإسنادين، من طريق البزي، ونقلا قولاً لأبي العلاء أن الرواية والإجماع في ذلك عن ابن عباس ومجاهد.

وذكر ابن الجزري في النشر (٢/ ٤١٤)، والتقريب (١٩١) عن أبي العلاء الهمداني أن التكبير لم يرفعه إلى النبي ﷺ إلا البزي، والناس وقفوه على ابن عباس ومجاهد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والتكبير المأثور عن ابن كثير ليس هو مسندًا عن النبي ﷺ، ولم يسنده أحد إلى النبي ﷺ إلا البزي، وخالف بذلك سائر من نقله، فإنهم إنما نقلوه اختيارًا ممن هو دون النبي ﷺ وانفرد هو برفعه، وضعفه نقلة أهل العلم بالحديث والرجال من علماء القراءة وعلماء الحديث، ينظر مجموع الفتاوى (١٧/ ١٣٠).

والبزي: هو أحمد بن محمد بن عبد الله البزي، قال الذهبي: مقرئ مكة ثقة في القراءة، وأما في الحديث فقال العقيلي: منكر الحديث، وضعفه أبو حاتم، ينظر المغني في الضعفاء (١/ ٥٥)، والضعفاء الكبير (١/ ١٢٧)، والجرح (٢/ ٧١)، والضعفاء لابن الجوزي (١/ ٨٦).

تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافر، ففي الأسفار خمس فوائد

تفريج هم، واكتساب معيشة وعلم، وآداب، وصحبة ماجد[١]

وقد كان مجاهد مولعًا بكثرة الترحال، وحب الأسفار، متطلعًا إلى الوقوف على حقائق الأخبار، شغوفًا بمعاينة ما يسمعه عن عجائب الآثار أخذًا بقول القائل:

يابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما راء كمن سمعا

وفي ذلك يقول الأعمش: كان مجاهد لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب ينظر إليها، قال: وذهب إلى حضرموت إلى بئر برهوت، قال: وذهب إلى بابل، قال: عليها والٍ صديق لمجاهد، قال: فقال مجاهد: تعرض على هاروت وماروت، قال: فدعا رجلاً من السحرة، فقال: اذهب بهذا، واعرض عليه هاروت وماروت. فقال اليهودي: بشرط ألا تدعو الله عندهما، قال مجاهد: فذهب بي إلى قلعة، فبلغ[٢] منها حجرًا، قال: ثم قال: خذ برجلي فهوى حتى انتهى إليهما، فإذا هما معلقان منكسان كالجبلين العظيمين فلما رأيتهما قلت: سبحان الله خالقكما! فاضطربا، قال فكأن جبال الدنيا قد تدكدكت، قال: فغشي عليَّ، وعلى اليهودي، قال: ثم أفاق اليهودي قبلي، فقال: قم، قد أهلكت نفسك وأهلكتني[٣].

يضاف إلى ذلك أنه ـ رحمه الله ـ كان كثير الأسفار، وفي هذا يقول الإمام الذهبي: وكان كثير الأسفار، والتنقل[٤].

---

(١) ديوان الشافعي ص (٤١).

(٢) وفي رواية الذهبي في السير «فقطع» (٤/ ٤٥٦).

(٣) الحلية (٣/ ٢٨٨)، والسير (٤/ ٤٥٦).

وقد ساق هذه الرواية الذهبي في موضع آخر مختصراً (٤/ ٤٥٥)، وينظر التذكرة (١/ ٩٢)، والبداية والنهاية (٩/ ٢٥٢).

(٤) السير (٤/ ٤٥٢).

٦ ـ كتابته للتفسير :

كان ـ رحمه الله ـ حريصًا على تدوين ما يسأل عنه من الآيات، وقد ساعد ذلك على حفظ تفسيره، وبقائه، فعن ابن أبي مليكة قال: رأيت مجاهدًا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواحه، فيقول له ابن عباس: اكتب، قال: حتى سأله عن التفسير كله[١].

وعُبيد المُكتب قال: رأيتهم يكتبون التفسير عند مجاهد[٢].

ولهذا عُدَّ مجاهد من أوائل من دوّن التفسير[٣].

٧ ـ عناية أصحابه بنقل تفسيره:

يُعد التلميذ صورة لشيخه، ووسيلة من وسائل بث علمه، فإذا قيض الله للعالم تلاميذ بررة، حفظوا أثره، ونشروا خبره، كثرت الرواية عنه، وهذا سر حفظ تراث بعض السلف دون بعض، ولقد كان مجاهد ـ رحمه الله ـ من أولئك الأئمة الذين تيسر لهم أصحاب عنوا بالأخذ عنهم وتفرغوا، وتخصصوا في نقل تراثهم، ومن أبرز تلاميذه: ابن أبي نجيح.

وهو عبد الله بن أبي نجيح الثقفي، قال الإمام الذهبي: هو من أخص الناس بمجاهد[٤]، وبتتبع المروي عن مجاهد، تبين أن ابن أبي نجيح تخصص في نقل مُعظم المروي من تفسير مجاهد[٥].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٩٠) ١٠٧.

(٢) تقييد العلم للخطيب (١٠٥)، وسنن الدارمي (١/ ١٢٨)، وتاريخ ابن معين (٢/ ٥٥٠).

(٣) إحياء علوم الدين (١/ ٧٩)، وتاريخ التمدن الإسلامي (١/ ٢٢١).

(٤) السير (٦/ ١٢٦).

(٥) بعد مراجعتي لتفسير الطبري، وجدت أن ابن أبي نجيح روى (٥٦, ٠) من مجموع تفسيره، وابن جريج روى (١٥, ٠) من مجموع تفسيره.

ويأتي في المرتبة الثانية في العناية بتفسير مجاهد ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج القرشي ، قال الإمام الذهبي : أخذ عن مجاهد حرفين من القراءات[١] .

وكان ابن جريج يقول : لأن أكون سمعت عن مجاهد ، فأقول سمعت مجاهداً أحبُّ إلي من أهلي ، ومالي[٢] .

٨ ـ التوسع في الاجتهاد ، والقدرة على الاستنباط :

استفاد مجاهد كثيراً من شيخه ابن عباس ، وأخذ عنه التفسير كله ، فانشغل في توظيف هذا المستفاد ، مع ما عنده من ملكة عقلية وقدرة اجتهادية في التصدي للتفسير ، وقد اشتغل بالدراية أكثر من الرواية (وقد سبقت الإشارة إلى أن مجاهداً من أقل تلاميذ ابن عباس رواية عنه مع إنه من أكثرهم أخذاً عنه) .

وامتاز مجاهد عن سائر أقرانه من المفسرين بأنه أعطى لفهمه وعقله كثيراً من حرية النظر ، والتأمل ، وهو من أوائل من أدخل التفسير بالاجتهاد في التفسير المأثور[٣] .

وقد أخرج أبو نعيم بسنده ، عن الأعمش ، عن مجاهد قال : أفضل العبادة الرأي الحسن[٤] ولما قدم الكوفة ، واستقر فيها ، كان من أسهلهم في القياس ، والرأي : مجاهد ، ومن أشدهم الشعبي[٥] .

وكان دائم التفكر والتأمل ، حتى إن الناظر له يحسبه مغتماً يقول الأعمش : كنتُ

---

(١) السير (٦/ ٣٢٦) .

(٢) المرجع السابق (٤/ ٤٥١) .

(٣) القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين (١٩٧) ، وينظر ما ذكره الذهبي في التفسير والمفسرون (١/ ١٠٦) ، ود . محيي الدين بلتاجي ، في كتابه دراسات في التفسير وأصوله (٥٧) .

(٤) الحلية (٣/ ٢٩٣) ، وتأويل مختلف الحديث (٦٩) ، والبداية (٩/ ٢٥٢) .

(٥) تأويل مختلف الحديث (٦٩) .

إذا رأيت مجاهداً ازدريته مُتبذلاً، كأنه خَرْ بَنْدج ضل حماره وهو مُغتم[١]، ثم قال: فإذا نطق خرج من فيه اللؤلؤ[٢].

فهذا الاهتمام، والنظر الدائم عنده جعله من أكثر التابعين على الإطلاق توسعًا في الاجتهاد، ومن أكثرهم إعمالاً للرأي في التفسير، ولذا كان من أكثرهم تعرضًا لحل مشكل القرآن، فكثر المروي عنه في ذلك، حتى أغرب في بعضه، وهذا مما جعل بعض الأئمة يعتب عليه، فقد قال الإمام الذهبي في معرض ترجمته: لمجاهد أقوال وغرائب في العلم والتفسير تستنكر[٣].

ولقد كان في بعض تفاسيره مُستمسك لبعض الفرق الضالة، وفي ذلك يقول الأستاذ موسى لاشين: وهذا مما جعل بعض الفرق الضالة كالمعتزلة تستأنس برأيه في بعض تلك الأقوال[٤].

٩ ـ حافظته:

ومما تميز به ـ رحمه الله ـ قدرته على حفظ ما يسمعه، فلقد وهبه الله من ملكة الحفظ ما ساعده على استيعاب ما يسمع، وقياس غيره عليه.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وددت أن ابني سالمًا، وغلامي نافعًا، يحفظان حفظك[٥].

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٦)، والمعرفة (١/ ٧١١)، والحلية (٣/ ٢٧٩)، وصفوة الصفوة (٢/ ١١٧)، والمراد كأنه فلاح ضل حماره فاغتم لذلك والله أعلم.

(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٤٠)، والتذكرة (١/ ٩٢).

(٣) السير (٤/ ٤٥٥).

(٤) اللآلي الحسان في علوم القرآن (٣٣٦).

(٥) تاريخ ابن معين (٢/ ٥٥١)، والعبر (١/ ٩٥)، وطبقات الحفاظ (٣٥)، ورواه الإمام أحمد في العلل بلفظ مقارب (١/ ٣٦٢) ٦٨٧.

وعن مجاهد قال: كنت أتحدى الناس بالحفظ[١].

١٠ ـ عدم دخوله في الفتن:

كان ـ رحمه الله ـ يكره الدخول في الفتن[٢]، ويؤثر السلامة منها، ولما عاب عليه بعضهم عدم شهوده موقعة الجماجم قال ـ رحمه الله ـ: من الخير تخلفت عنها[٣].

١١ ـ تأخر وفاته:

إن طول العمر مع حسن العمل عامل من عوامل السبق، وقد جاوز مجاهد الثمانين، فكان لذلك أثر على التلقي عنه، والنهل من معينه، فحاز بذلك قصب السبق في التفسير.

فعن ابن جريج قال: بلغ مجاهد ثلاثًا وثمانين سنة[٤].

وقد اختلف في سنة وفاته، فقال الهيثم بن عدي: مات سنة مائة، وقال يحيى بن بكير: مات سنة إحدى ومائة، وقال أبو نعيم: مات سنة اثنتين[٥]، وقال أحمد: مات سنة ثلاث[٦].

وقال ابن حبان: مات بمكة سنة اثنتين، أو ثلاث ومائة، وهو ساجد وكان مولده سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر[٧]. وقال يحيى القطان: مات سنة أربع ومائة[٨]، وهو

---

(١) تاريخ مصر وولاتها للكندي (٣٩)، والمستدرك (٣/ ٤٩٥)، وتاريخ دمشق (١٦/ ٤٥٨).
(٢) العلل لأحمد (٢/ ٧٨) ١٦٠٧.
(٣) المعرفة والتاريخ (١/ ٧١١)، ومختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٩٠).
(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٧)، والكامل في التاريخ (٥/ ٧٦)، ومرآة الجنان (١/ ٢٤٣)، والشذرات (١/ ١٢٥).
(٥) تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٣).
(٦) طبقات خليفة (٢٨٠)، والتاريخ الكبير (٧/ ٤١١)، والتاريخ الصغير (١/ ٢٤٢)، والعبر (١/ ٩٤)، ومرآة الجنان (١/ ٢٤٣)، والشذرات ١/ ١٢٥).
(٧) مشاهير علماء الأمصار (٨٢)، والثقات (٥/ ٤١٩).
(٨) تاريخ خليفة (٣٣٠)، والتهذيب (١٠/ ٤٣).

ساجد[1] ، تغمده الله بواسع رحمته .

لهذه الأسباب وغيرها كان مجاهد ـ رحمه الله ـ من أكثر التابعين تعرضًا للتفسير ، والله أعلم . . .

* * *

(١) الثبات عند الممات (١٣٨).

سعيد بن جبير

هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، مولى بني والبة[١] ، أبو عبد الله[٢] . روى عن أنس بن مالك، وعبد الله بن الزبير، وابن عباس، وعبد الله بن عمر، وعدي بن حاتم، وأبي سعيد الخدري، وأبي موسى الأشعري، وأبي هريرة، وعائشة[٣] .

وقد اختلفت عبارات أهل العلم في نسبته المكانية، فمنهم من نسبه إلى الكوفة، وهم الأكثرون، قاله ابن سعد[٤] ، وابن معين[٥] ، وأبو زرعة الرازي[٦] ، والعجلي[٧] ، والكلاباذي[٨] ، وابن القيم[٩] ، وابن الجوزي[١٠] ، وابن الجزري[١١] ، وابن حجر[١٢] .

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٣٧١)، والأنساب للسمعاني (٣/ ١٨٨)، واللباب في تهذيب الأنساب (٣/ ٣٥).

(٢) الكنى لمسلم (ق ٦٠)، والكنى للدولابي (٢/ ٥٦)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٦).

(٣) تهذيب الكمال (١٠/ ٣٥٨)، والتهذيب (٤/ ١١).

(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٦).

(٥) تاريخ ابن معين (٢/ ١٩٧).

(٦) الجرح (٤/ ١٠).

(٧) تاريخ الثقات (١٨١).

(٨) رجال صحيح البخاري (١/ ٢٨٢).

(٩) أعلام الموقعين (١/ ٢٠).

(١٠) كتاب القصص (٢٤٨).

(١١) غاية النهاية (١/ ٣٠٥).

(١٢) التهذيب (٤/ ١١)، والتقريب (٢٣٤).

وذهب آخرون إلى عده مكيًا، منهم خليفة بن خياط[١] ، وابن عبد البر[٢] ، وابن حبان[٣] ، وابن كثير[٤] ، والذي يهمنا هنا النظر إلى مسلكه، ومنهجه، ولأي المدارس يمكن أن يضاف بهذا الاعتبار.

فعند الرجوع لتفسيره نلمس تأثره البالغ بإمام المدرسة المكية ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وغلبة المنهج المكي على مسلكه عمومًا، ويتضح هذا من خلال ما يلي:

١ـ كثرة روايته لتفسير ابن عباس:

كان من أكثر مفسري التابعين اهتمامًا ونقلاً عن ابن عباس[٥] ـ رضي الله عنهما ـ وقد لاحظ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هذا الاهتمام والتوجه، فكان يوصيه بقوله: انظر كيف تُحدث عني، فإنك قد حفظت عني حديثًا كثيرًا[٦] .

ولذا قال ابن خلكان: سمع من ابن عباس التفسير، وأكثر روايته عنه[٧] . وقال الذهبي وابن الأثير: روى عن ابن عباس فأكثر وجوّد[٨] وعدّه ابن كثير: من أكابر أصحاب ابن عباس[٩] ، وكان رحمه الله من أكثر تلاميذ ابن عباس دقة، وتحريًا في نقله عن شيخه، يقول علي بن المديني: وأصحاب ابن عباس، الذين يذهبون مذهبه،

(١) طبقات خليفة (٢٨٠).
(٢) العقد الثمين (٤/ ٥٥٠).
(٣) مشاهير علماء الأمصار (٨٢).
(٤) البداية (٩/ ١٠٨).
(٥) بعد مراجعتي للطبري، وجدت أن المروي عن ابن عباس بلغ (٥٨٠٩) روايات كان نصيب ابن جبير ما نسبته (١٢ , ٠) من مجموع تفسيره، في حين كان نسبة ما رواه عنه عكرمة (٠٩ , ٠)، وما رواه مجاهد (٠٣ , ٠)، وما رواه عطاء (٠٢ , ٠) من مجموع تفسيره.
(٦) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٧).
(٧) وفيات الأعيان (٢/ ٣٧١)، والشذرات (١/ ١٠٨).
(٨) السير (٤/ ٣٢٢)، واللباب في تهذيب الأنساب (٣/ ٣٥٠).
(٩) البداية (٩/ ١٠٩).

ويسلكون طريقه: عطاء، وطاوس، ومجاهد، وجابر بن زيد، وعكرمة، وسعيد، فأعلم هؤلاء سعيد بن جبير، وأثبتهم فيه[١].

ويقول أيضًا: ليس في أصحاب ابن عباس مثل سعيد بن جبير قيل: ولا طاوس؟ قال: ولا طاوس، ولا أحد[٢].

وفي مقابل هذا الاهتمام بنقل تفسير ابن عباس، نلحظ قلة روايته لتفسير ابن مسعود رضي الله عن الجميع[٣].

٢ـ محبته لابن عباس، وحرصه على كتابة حديثه:

أحب سعيد شيخه ابن عباس حبًا شديداً، فكان يقول: إن كان ابن عباس ليحدثني الحديث، فلو يأذن لي أن أقبل رأسه لفعلت[٤]. وكان حريصًا على حفظ، وتدوين كل ما يسمعه من أستاذه، فعن أبي حصين قال: سألت سعيد بن جبير، قلت: أكل ما أسمعك تحدث سألت عنه ابن عباس؟ فقال: لا، كنت أجلس ولا أتكلم حتى أقوم، فيتحدثون فأحفظ[٥].

وقد بلغت عنايته بالكتابة عن ابن عباس أن كتب عنه ودوَّن علمه، فعن سعيد: أنه

---

(١) العلل لابن المديني (٤٩).

(٢) المعرفة والتاريخ (٢/ ١٤٧).

(٣) بعد مراجعتي لتفسير الطبري، وجدت أن المروي عن ابن مسعود (٨٥٦) رواية، جاء من طريق مُرة الهمذاني (٢١٦) رواية، وعن مسروق (٨٦) رواية، وعن إبراهيم النخعي (٧٧) رواية، وعن أبي عبيدة (٤٥) رواية، وعن شقيق بن سلمة، وعن زر بن حبيش (٣٤)، ولم أجد لسعيد ابن جبير سوى أربع روايات هي الآثار: ١٤٦٣٢، ١٤٦٩٠، ١٧٩٣٧ (٣٠/ ٢٢٦)، بل إن قتادة، ومجاهدًا، كانا أكثر منه.

(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧٠)، وفضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٥١) ١٨٤١، والمعرفة والتاريخ (١/ ٥٣٣، ٥٤٠).

(٥) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٧).

كان يسأل ابن عباس قبل أن يعمى، فلم يستطع أن يكتب معه، فلما عمي ابن عباس كتب، فبلغ ذلك ابن عباس، فغضب[١].

وكان يقول عن نفسه: ربما أتيت ابن عباس، فكتبت في صحيفتي حتى أملأها، وكتبت في نعلي حتى أملأها، وكتبت في كفي[٢].

٣ـ كثرة تردده على مكة:

فمع عيشه في الكوفة، فقد كان كثير التردد، والترحال إلى مكة، يقول هلال بن خباب: خرجت مع سعيد بن جبير في أيام مضين من رجب فأحرم من الكوفة بعمرة، ثم رجع من عمرته، ثم أحرم بالحج في النصف من ذي القعدة، وكان يخرج كل سنة مرتين: مرة للحج، ومرة للعمرة[٣].

بلغ به الحرص على التلقي عن ابن عباس أن كان يرحل إليه في المسألة، فعنه قال: آية اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت فيها إلى ابن عباس، فسألته عنها فقال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ هي آخر ما نزل، وما نسخها شيء[٤].

٤ـ الأثر المكي على منهجه في التفسير:

ومن الأدلة كذلك، ما نجده من التقارب، بل والتطابق في المنهج بين ابن جبير، وتابعي المدرسة المكية، ويتضح هذا التقارب، والتوافق في العديد من الجوانب التفسيرية، منها:

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٣٧١)، ومرآة الجنان (١/ ٢٢٥)، والبداية (٩/ ١٠٨) والشذرات (١/ ١٠٨).

(٢) العلل لأحمد (١/ ٢٣١) ٨٩، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٦١٩) وتقييد العلم (١٠٢).

(٣) الزهد لأحمد (٤٤٣)، والحلية (٤/ ٢٧٥)، والمنتظم (٧/ ٦)، وتهذيب الكمال (١٠/ ٣٦٥)، والبداية (٩/ ١٠٩).

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا (٥/ ١٨٢) وصحيح مسلم، كتاب التفسير (٤/ ٢٣١٧)، والرحلة للخطيب البغدادي (١٣٩).

١ ـ التوسع في الرواية عن بني إسرائيل ، على عكس المنهج الكوفي الحذر والبعيد عن هذا المصدر في التفسير[١] .

٢ ـ القول بوقوع المعرب في القرآن، وتفسير بعض الكلمات القرآنية بما علم من اللغات الأعجمية[٢] .

٣ ـ عند تعرضه لحل مشكل القرآن، قال بقول المدرسة المكية في جل تأويلاته، ولم يقل بقول الكوفية إلا في القليل النادر .

٤ ـ نقله للقراءات القرآنية : اهتم بقراءة ابن عباس، وبما روي عنه من توضيح للمعنى، وقال بقول ابن عباس وتلاميذه في أكثرها .

٥ ـ في الجانب الفقهي الذي قد يظن فيه تأثره بمدرسة الرأي في الكوفة فإن الواقع كان غير هذا، فقد وجدت أنه يميل في تأويل آيات الأحكام في جملة كبيرة من تفسيره إلى قول ابن عباس .

هذه بعض أوجه الشبه، والتقارب، بين ابن جبير والمدرسة المكية ، ومن خلال هذا وغيره، يقطع بأنه مكي المنهج، والمسلك، وأن إضافته على هذا الاعتبار لمدرسة الكوفة فيها بُعد، وإن كان لا يُنكر التأثير الذي أحدثه عيشه فترة من الزمن في الكوفة، ولعل من آثار ذلك :

أ ـ تميزه عن تلاميذ المدرسة المكية في العناية بالقراءات، حتى عدّ الثاني بين التابعين في ذلك بعد أبي العالية .

---

(١) يأتي لذلك مزيد بحث بعد ورقات .

(٢) لم يرد عن المدرسة الكوفية القول بوقوع المعرب إلا في القليل، وأما سعيد فأكثر من ذلك، كما صنع المكيون .

ب ـ تميز عن أقرانه المكيين بالاهتمام، والتقدم في الجانب الفقهي، فقد شغل هذا الاهتمام جزءًا كبيرًا من تأويلاته[١] .

وهاتان الميزتان من أهم جوانب الأثر الكوفي في تفسير سعيد[٢] .

بعد هذا الاستعراض المجمل يحسن بنا تفصيل المقال بعض التفصيل مع الإفاضة في إيضاح أبرز المعالم المنهجية في تفسيره رحمه الله :

١ـ تقدمه في معرفة القراءة :

وقد سبق أن ذكرنا أنه قرأ على ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وعدّ من المتقدمين في القراءة، فعن أبي بكر بن أبي داود قال: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة من أبي العالية، وبعده سعيد بن جبير، ثم السدي، ثم سفيان الثوري[٣] .

وقال إسماعيل بن عبد الملك: كان سعيد يؤمنا في رمضان، فيقرأ ليلة بقراءة ابن مسعود، وليلة بقراءة زيد[٤] .

وعن سالم الأفطس، أن سعيد بن جبير كان يقرأ القرآن على حرفين[٥] .

وقد قرأ عليه أبو عمرو، والمنهال بن عمرو[٦] .

---

(١) المكيون لم يكن لهم كبير عناية بالفقه والإقراء، كما هي الحال عند الكوفيين.

(٢) ويأتي لذلك مزيد بسط إن شاء الله.

(٣) تهذيب التهذيب (٣/ ٣٨٥)، والعبر (١/ ٨١)، ومرآة الجنان (١/ ٢١٤)، والشذرات (١/ ١٠٢).

(٤) مصنف عبد الرزاق (٤/ ٢٦٦)، وغاية النهاية (١/ ٣٠٥)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٥٧)، ومرآة الجنان (١/ ٢٢٥)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٨٢).

(٥) تفسير الطبري (١/ ٥٣) ٥٣.

(٦) غاية النهاية (١/ ٣٠٥)، ومعرفة القراء (١/ ٥٦)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٨١).

والمتأمل فيما روي عنه من قراءة[١] في التفسير يجد أن غالبه جاء في بيان معنى الآية، وإيضاح تأويلها. وكانت عنايته بهذا أكثر من عنايته بتصحيح نطقها.

وعلى الرغم من أنه كان يقرأ بقراءة زيد، وابن مسعود، إلا أن تأثره بقراءة ابن مسعود كان قليلاً، ومال إلى ترجيح معاني كثير من الآيات بما ورد من قراءة عن ابن عباس[٢].

ويلاحظ من خلال النظر، والتتبع لما ورد عنه من قراءات، أنه قل أن يسندها لأحد، إنما تروى على أنها من قراءته. من ذلك ما جاء عنه عند قوله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾[٣]. فعن أبي بشر، عن سعيد بن جبير أنه قرأ: «دارست»، وقال: قارأت[٤].

وعند قوله جل وعلا: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[٥]، قرأ سعيد «حتى يلج الجُمَّلُ» بضم الجيم وتشديد الميم، وقال سعيد بعد أن قرأ: الجُمّل: يعني قلوس السفن، يعني: الحبال الغلاظ[٦]. وكان يراجع ابن عباس ـ رضي الله عنهما

---

(١) رجعت إلى تفسير الطبري، فوجدت أن المروي عنه (٢٤) رواية.

(٢) وللوقوف على بعض المواطن التي وافق فيها ابن عباس تنظر الآثار التالية في تفسير الطبري: ٢٧٧٠، ٨١٣٧، ٨٣٢٧، ٩٠٤٣، ١١٦٧٥، ١٣٧٢١، ١٣٧٢٢، ١٣٧٢٣، ١٤٦٤٢، ١٨٣٨٠، والصفحات (١٣/ ٢٥٧)، (١٨، ١٠٩)، (١٨/ ١٣٣).

(٣) سورة الأنعام: آية (١٠٥).

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ٢٩) ت ١٣٧٢١، وتفسير الماوردي (٢/ ١٥٤)، وتفسير القرطبي (٧/ ٣٩)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٥)، وقد تبع في ذلك ابن عباس؛ حيث قرأها «دارست» وفسرها بقوله: قارأت وتعلمت، ينظر تفسير الطبري (١٢/ ٢٨) الآثار من ١٣٧١٣ إلى ١٣٧١٩.

(٥) سورة الأعراف: آية (٤٠).

(٦) تفسير الطبري (١٢/ ٤٣٢) ١٤٦٤٢، وتفسير الماوردي (٢/ ٢٢٣)، وتفسير القرطبي (٧/ ١٣٣)، والبحر المحيط (٤/ ٢٩٧)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٤١٠).
وقد تبع في ذلك ابن عباس، كما هي عند الطبري (١٢/ ٤٣١) ١٤٣٧، وخالف ابن مسعود، حيث قرأ: «حتى يلج الجمل الأصفر»، ينظر تفسير الطبري (١٢/ ٤٣٠) ١٤٦٣٢.

ـ في قراءة أصحاب عبد الله، فعنه قال: قلت لابن عباس: إن أصحاب عبد الله يقرءون «وإذ أخذ ربك من الذين أوتوا الكتاب ميثاقهم»[١] قال: من النبيين على قومهم[٢].

٢ـ الاهتمام بتفسير آيات الأحكام والإكثار من ذلك:

لعل عيشه في الكوفة كان من الأسباب التي أظهرت هذا الاهتمام في نفسه، حتى تميز بين مفسري مكة بهذا الجانب[٣] ومما يلمحه الناظر في تأويله، أنه مع عيشه في الكوفة، وعد بعض الأئمة إياه من فقهائها، فإنه مال إلى ترجيح، واختيار أقوال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ومال إلى مذهب المكيين أكثر من ميله إلى قول الكوفيين[٤]. ولم يقل بقولهم إلا في القليل النادر[٥].

بل إنه تقدم في هذا الجانب على غيره من تلاميذ ابن عباس، وعد في هذا أعلم منهم[٦]. وكان بعضهم يرجع عن قوله إلى قول سعيد، فعند قوله تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوَ

---

(١) عند قوله جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ سورة آل عمران: آية (١٨٧).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٤٦١) ٨٣٢٧، وفي رواية أخرى عند الطبري عن سعيد قال: قلت لابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾، قال: فقال: أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم. المصدر السابق (٧/ ٤٦١) ٨٣٢٨.

(٣) يأتي سعيد في المرتبة الثانية في المدرسة المكية بعد عطاء بن أبي رباح من حيث الإكثار في تأويل آيات الأحكام، فقد روى عنه عند الطبري أكثر من (٨٢) رواية، أي: ما نسبته (٠,٠٩) من مجموع تفسيره.

(٤) لمزيد من الأمثلة تُراجع الآثار في الطبري: ٢٦١٣، ٢٨٨٠، ٢٨٨٧، ٣١٩٥، ٣٢٠٨، ٤٢٢٠، ٤٤٣٨، ٤٤٤٥، ٤٥٢٣، ٤٨١٨، ٧٤٦٧، ٨٦٠٦، ٨٦١٠، ٨٦١٥، ٨٦١٩، ٨٦٦٥، ٨٦٩٨، ٨٧٠٣، ٩٤٢٠، ١١٣٩٩، ١١٨٣٩، ١١٨٤٣، ١٢٦٣١، ١٢٦٣٤، ١٢٦٤٦، ١٢٦٤٧، . . . وغيرها.

(٥) كما جاء ذلك في الآثار ٣٢١٦، ٣٣٦٨، ٣٣٦٩، ١٢٤٠٠، ١٢٤٠١.

(٦) الجرح (٤/ ١٠).

﴿الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾[١] قال سعيد: هو الزوج، وقال مجاهد، وطاوس: هو الولي، فقال أبو بشر لسعيد: فإن مجاهدًا وطاووسًا يقولان: هو الولي؟ قال سعيد: أرأيت لو أن الولي عفا وأبت المرأة، أكان يجوز ذلك؟ فرجعت إليهما، فحدثتهما، فرجعا عن قولهما، وتابعا سعيدًا[٢].

بل كان هو المقدم، حتى في الكوفة، فعن جعفر بن أبي المغيرة قال: كان ابن عباس ـ بعدما ذهب بصره ـ إذا أتاه أهل الكوفة يسألونه يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟! يعني: سعيد بن جبير[٣].

وقال مغيرة بن مقسم: ما كان مفتي الناس بالكوفة قبل الجماجم إلا سعيد بن جبير كان قبل إبراهيم[٤].

وكان ابن عمر يُسأل عن الفرائض، فيحيل السائل على سعيد[٥].

وكان إبراهيم النخعي يقول بعد وفاة سعيد: ما خلف سعيد بعده مثله[٦]. وقال ميمون بن مهران: لقد مات سعيد، وما على الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه[٧]. ولذا كان يعد في زمانه جهبذ العلماء[٨].

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٣٧).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٥٥) ٥٣٤٦، ٥٣٤٨، ٥٣٤٩، والمصنف لابن أبي شيبة (٤/ ٢٨١)، والجرح (٤/ ١٠)، والسنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٢٥١)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي شيبة بنحوه (١/ ٦٩٩).

(٣) الجرح (٤/ ٩)، وتهذيب الأسماء (١/ ٢١٦)، وتهذيب الكمال (١٠/ ٣٦٤)، والعقد الثمين (٤/ ٥٥٠)، وطبقات الحفاظ (٣١).

(٤) المعرفة (١/ ٧١٣).

(٥) المعرفة (١/ ٧١٣).

(٦) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٨)، وأخبار القضاة (٢/ ٤١١)، والجرح (٤/ ٩)، وتهذيب الأسماء (١/ ٢١٦).

(٧) تاريخ الإسلام (ح ٩٥ هـ/ ٣٦٧).

(٨) المعرفة (١/ ٧١٢)، وتاريخ ابن معين (٢/ ١٩٧)، وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٤)، وطبقات الحفاظ (٣١)، والعقد الثمين (٤/ ٥٥٠).

وأختم هذا المبحث بالتنبيه على أن سعيداً ـ وإن عاش في الكوفة فقد غلب الأثر في تأويله لآيات الأحكام على الرأي[١]، ولذا نجد بعض أئمة الحديث مثل سفيان الثوري، يقدم فقهه، وآراءه على فقه إبراهيم النخعي[٢].

٣ـ تساهله في الرواية عن بني إسرائيل:

كان ـ رحمه الله ـ من أكثر مفسري مكة توسعًا في ذلك[٣]، وكان محبًا للقص، والتحديث بالأخبار، فعن أبي شهاب قال: كان سعيد بن جبير يقص لنا كل يوم مرتين بعد صلاة الفجر، وبعد العصر[٤].

وقد أفضى به ذلك إلى إيراد شيء من الروايات الغريبة والمنكرة؛ فمن ذلك ما جاء عند تأويل قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[٥] قال: رأى صورة فيها وجه يعقوب، عاضًا على أصابعه، فدفع في صدره فخرجت شهوته من أنامله، فكل ولد يعقوب ولد له اثنا عشر رجلاً، إلا يوسف، فإنه نقص بتلك الشهوة، ولم يولد له غير أحد عشر[٦].

وعند قوله تبارك وتعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ

---

(١) الجرح (٤/ ١٠)، وتاريخ أسماء الثقات لابن شاهين (٩٨)، والتذكرة (١/ ٧٦)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٨١).

(٢) التاريخ الكبير (٣/ ٤٦١)، وتهذيب الأسماء (١/ ٢١٦).

(٣) بعد مراجعة تفسير الطبري، وجدت أن نسبة ما رواه سعيد بن جبير من ذلك بلغت (٠,٠٦) من مجموع تفسيره، في حين بلغ المروي عن مجاهد وعكرمة (٠,٠٣) من مجموع تفسيريهما، وعن عطاء ما نسبته (٠,٠١) من مجموع تفسيره.

(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٩)، والمنتظم (٧/ ٦)، والزهد لأحمد (٥/ ٢)، وكتاب القصاص لابن الجوزي (٢٤٩)، والحلية (٤/ ٢٤٩).

(٥) سورة يوسف: آية (٢٤).

(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٤٣) ١٩٠٥٢، وتفسير الماوردي (٣/ ٢٥)، وتفسير البغوي (٢/ ٤٢٠)، وزاد المسير (٤/ ٢٠٨)، وتفسير القرطبي (٩/ ١١٢)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، عن سعيد به (٤/ ٥٢١).

﴿فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[١] قال: بعثه الله ـ يعني: يونس ـ إلى أهل قريته، فردُّوا عليه ما جاءهم به، وامتنعوا منه، فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا، فاخرج من بين أظهرهم؛ فأعلم قومه الذي وعده الله من عذابه إياهم، فقالوا: ارمقوه فإن خرج من بين أظهركم، فهو والله كائن ما وعدكم، فلما كانت الليلة التي وُعدوا بالعذاب في صبحها أدلج ورآه القوم، فخرجوا من القرية إلى براز من أرضهم وفرّقوا بين كل دابة، وولدها، ثم عجوا إلى الله، فاستقالوه، فأقالهم، وتنظَّر يونس الخبر عن القرية، وأهلها، حتى مرَّ به مار، فقال: ما فعل أهل القرية؟ فقال: فعلوا أن نبيهم خرج من بين أظهرهم، عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب، فخرجوا من قريتهم إلى براز، فخرج يونس ينظر العذاب فلم ير شيئًا قال: جرّبوا على كذبًا، فذهب مغاضبًا لربه حتى أتى البحر[٢].

ومع أن ابن جبير عاش في الكوفة زمنًا، إلا أنه لم يتأثر بمدرستها في هذا الجانب إلا قليلاً؛ حيث إنها من أكثر المدارس بعدًا عن نقل أخبار بني إسرائيل.

ولعل ابن جبير قد تأثر في هذا بشيخه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لاسيما وأنه من أكثر الناقلين عن ابن عباس للإسرائيليات بل إن جلّ المروي في الإسرائيليات عن ابن عباس جاء من رواية ابن جبير وكان من أكثر المكيين رواية وعناية بها[٣].

---

(١) سورة الأنبياء: آية (٨٧).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٧٧).

وللمزيد من الأمثلة تراجع الآثار: ١٣٤٥١، ١٥٣٦٤، ١٥٣٦٥، ١٥٣٦٦، ١٥٥١١، ١٧٣٥٩، ١٨٣٤١، ١٩٠٤٥، ١٩٠٦٦، ١٩٠٧٨، ١٩٠٧٩، ١٩٠٨٢، ١٩٤٣١، ١٩٤٣٢، ١٩٤٣٣، ١٩٤٣٦، ١٩٧٣١، (١٣/ ٢٤٥)، (١٥/ ٣٥)، (١٦/ ٢٢٢)، (١٧/ ٢٦)، (٢٢/ ٥١)، (٢٣/ ١٠٣)، (٢٣/ ١٠٤)، (٣٠/ ٢٩٤).

(٣) المروي عن ابن عباس من أخبار بني اسرائيل أكثر من (٣٥٢) رواية، جاء ما يزيد عن (٢٦, ٠) منها من رواية ابن جبير، في حين بلغ المروي من طريق عكرمة (١٠, ٠) ومن طريق مجاهد (٠٣, ٠) فقط.

وابن جبير يعد الثاني بعد مجاهد في المدرسة المكية، ومن أهم الأسباب التي أعانته على التقدم في باب التأويل ما يلي:

١ـ قربه من ابن عباس:

فكان من أكثر مفسري المدرسة المكية كتابة، وحفظًا، وإتقانًا لما يرويه عنه[١].

وقد بلغ من اطمئنان ابن عباس إليه أنه كان يأمره بالحديث وهو شاهد حاضر، فعن مجاهد قال: قال ابن عباس لسعيد بن جبير: حدّث، فقال: أحدث وأنت ها هنا، فقال: أوليس من نعمة الله عليك أن تتحدث وأنا شاهد، فإن أصبت فذاك، وإن أخطأت علمتك[٢].

٢ـ حرصه على نشر علمه:

كان ـ رحمه الله ـ محبًا لتبليغ ما علم، ويتحزن حين لا يُسأل، فعن عطاء بن السائب، قال: قال لي سعيد بن جبير، ألا تعجب أن أمكث من الجمعة إلى الجمعة ما يسألني أحد عن شيء[٣].

وكان يقول: سلوني يا معشر الشباب، فإني قد أوشكت أن أذهب من بين أظهركم[٤].

وكان يقول: وددت أن الناس أخذوا ما عندي من العلم، فإنه مما يهمني[٥].

---

(١) سبق الإشارة إلى ذلك.

(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٦)، والجرح (٤/ ٩)، وتهذيب الأسماء (١/ ٢١٦)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧١)، ومرآة الجنان (١/ ٢٢٥).

(٣) العلل لأحمد (١/ ١٨٢) ١٤٤، ورواه ابن سعد مختصراً (٦/ ٢٥٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (٩/ ٤٦) ٦٤٦٦، وطبقات المحدثين بأصبهان (١/ ٣١٨).

(٤) مصنف عبد الرزاق (٥/ ١٠٥)، والمعرفة (١/ ٧١٣).

(٥) الحلية (٤/ ٢٨٣)، وتهذيب الكمال (١٠/ ٣٦٧)، والبداية (٩/ ١٠٩).

ولما أنكر عليه بعض فقهاء الكوفة حرصه هذا، أخبر بأن ذلك أحب إليه من كتمه، وذهابه به معه إلى قبره؛ فعن حبيب قال: كان أصحاب سعيد بن جبير يعذلونه[١] يحدث، فقال: إني أحدثك وأصحابك، أحب إلي من أن أذهب به معي إلى حُفرتي[٢].

وعن كثير بن كثير قال: كنت أنا وعثمان بن أبي سليمان في أناس مع سعيد بن جبير ليلاً، فقال سعيد بن جبير للقوم: سلوني قبل ألا تسألوني، فسأله القوم، فأكثروا[٣].

٣ـ قربه من عكرمة:

فقد أفاد سعيد من تلك العلاقة بينه، وبين عكرمة، الذي كان متزوجًا بأم سعيد[٤]، ولذا نجد تقاربًا كبيرًا بينهما في كثير من التأويلات[٥].

٤ـ كتابته للتفسير:

وهذا مما ساعد على حفظ تفسيره، فكان ـ رحمه الله ـ يكتب ويحرص على تدوين ما يسمعه، خشية نسيانه، مع أن الكتابة عن الصحابة كانت قليلة، وكان بعضهم لا يرضى أن يكتب رأيه وعلمه، وكان يكتب عن ابن عمر في صحيفة، ويقول: لو علم بها كانت الفيصل بيني، وبينه[٦].

---

(١) عذل: عَذَلْتُ الرجل: إذا لمته، ينظر مجمل اللغة (٣/ ٦٥٦)، والمصباح المنير (١/ ٤٧٤).

(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٨).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٢٣٢).

(٤) مشاهير علماء الأمصار (٨٢)، والثقات (٥/ ١٣٠)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٧١) والسير (٥/ ١٦).

(٥) سوف يأتي تفصيل ذلك، عند الحديث عن أصحاب ابن عباس، والمقارنة بينهم في المدرسة المكية ص (٤٠٢).

(٦) طبقات بن سعد (٦/ ٢٥٨)، والمصنف لابن أبي شيبة (٩/ ٥٤) ٦٥٠١، والسير (٤/ ٣٣٥).

وكان بعض تلاميذه يكتبون عنه التفسير، فيقرهم على ذلك، فكان ابن يحيى يختلف إلى سعيد بن جبير، معه التفسير في كتاب، ومعه الدّواة يُغير[١].

وقد كتب تفسيراً للقرآن، أرسل بنسخة منه إلى عبد الملك بن مروان بناءً على طلبه، وقد انتشر تفسيره هذا في الشام ومصر، رواه عطاء بن دينار بعد أن أخذه من ديوان عبد الملك فأرسله عن سعيد[٢].

ومع هذا القرب من ابن عباس، والحرص على نشر تراث تلك المدرسة إلا أن ثمة أسبابًا وعوامل، كان لها الأثر في تقدم بعض أصحاب ابن عباس عليه، من أهمها:

١ـ عدم تخصصه في التفسير:

فمع تقدم سعيد في مدرسة مكة، إلا أن عدم تخصصه، وتفرغه لعلم التفسير، كحال مشاهير أقرانه[٣]، كان له أثره في قلة نتاجه في علم التأويل خاصة، فقد اعتنى بعلوم أخرى حتى بلغ فيها شأوًا لا يضاهى، مع اشتغاله بعلم التفسير.

وعند الرجوع إلى كتب التراجم نجد شاهد ذلك في تصدير كثير من الأئمة ترجمته، بأبرز العلوم التي تقدم فيها واهتم بها.

يقول أبو نعيم في صدر ترجمته: الفقيه البكاء[٤].

وقال فيه ابن حيان: من عباد وفقهاء التابعين[٥]. وقدم الذهبي ترجمته بقوله: المقرئ الفقيه[٦].

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٦٦)، والمعرفة (٣/ ٣٢٦)، والتاريخ الصغير (١/ ٢٢٧).

(٢) الجرح (٦/ ٣٣٢)، والتهذيب (٧/ ١٩٨)، والفهرست لابن النديم (٣٤)، ودراسات في الحديث النبوي (١/ ١٤٩).

(٣) كمجاهد وعكرمة.

(٤) الحلية (٤/ ٢٧٢).

(٥) مشاهير علماء الأمصار (٨٢).

(٦) تذكرة الحفاظ (١/ ٧٦).

وقد أثنى عليه جمع من الأئمة؛ لتميزه بين التابعين بجمع العديد من العلوم، والتقدم فيها، فعن خصيف بن عبد الرحمن قال: كان أعلمهم بالحج: عطاء، وأعلمهم بالطلاق: سعيد بن المسيب، وأعلمهم بالحلال والحرام: طاووس، وأجمعهم لهذا كله: سعيد بن جبير[١].

وقال النووي في ترجمته: سعيد من كبار أئمة التابعين ومتقدميهم في التفسير والحديث والفقه والعبادة[٢].

وأثنى عليه ابن كثير بقوله: كان من أئمة الإسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم والتفسير[٣].

وقال اليافعي: هو المقرئ الفقيه المحدث المفسر[٤].

ومما لا شك فيه أن جمعه لهذه العلوم كان له الأثر في عدم تفرغه لعلم التفسير واشتغاله به.

٢ـ اشتغاله بالرواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ:

اهتم بنقل تفسير شيخه وروايته أكثر من اهتمامه بالدراية، وقد كان سعيد من أكثر مفسري مكة كتابة، وحفظًا، وإتقانًا لما يروي عنه أستاذها. ومن أكثرهم نقلاً رواية لتفسير ابن عباس[٥]، مع أنه من أقلهم بقاءً في مكة![٦] بسبب رحلته إلى الكوفة،

(١) تاريخ أبي زرعة (١/ ٥١٥)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧٢)، ومرآة الجنان (١/ ٢٢٥) والشذرات (١/ ١٠٨).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٦).

(٣) البداية (٩/ ١٠٩).

(٤) مرآة الجنان (١/ ٢٢٥).

(٥) روى ما نسبته (١٢,٠) من مجموع تفسير ابن عباس، في حين بلغ نسبة المروي من طريق عكرمة (٠٩,٠)، وعن مجاهد (٠٣,٠)، وعن عطاء (٠٢,٠) من مجموع تفسيره ـ رضي الله عنهما ـ.

(٦) خصوصًا إذا ما قورن بمجاهد وعكرمة وعطاء.

وبقائه فيها زمنًا، ثم اشتراكه في فتنة ابن الأشعث، وغيرها، واختفائه طويلاً عن الحجاج، ومع هذا كان من أكثر التلاميذ حرصًا على رواية تفسير ابن عباس، وقد تميز منهجه في ذلك بالدقة، وشدة التحري في الرواية عامة، وعن شيخه خاصة، ولذا عده ابن المديني من أعلم تلاميذ ابن عباس، وأثبتهم فيه[١].

ومما يدل على شدة إتقانه، وضبطه في رواية السنن، والآثار، تقديم بعض الأئمة مراسيله على مراسيل غيره من أصحابه، وفي ذلك يقول يحيى بن سعيد: مرسلات سعيد بن جبير أحب إلي من مرسلات عطاء ومجاهد[٢].

ولعله استفاد هذا المنهج الدقيق في التحري من مدرسة الكوفة التي عاش فيها، فإن الكوفيين من أكثر المدارس شدة، وتحريًا في الرواية.

ومع أنه روى عن كثير من الصحابة، فقد كان يقدم ابن عباس على غيره في التفسير، ويقول: كان ابن عمر حسن السرد للرواية عن النبي ﷺ، ولم يبلغ في الفقه، والتفسير شأو ابن عباس[٣].

وبلغ من كثرة روايته عن ابن عباس انفراده بين التابعين بإطلاق اسم عبد الله على ابن عباس، وأما إذا روى عن غيره فيقيد[٤].

وكان يميل إلى رواية التفسير عن ابن عباس، ويعتني بها أكثر من عنايته بالاجتهاد، فقد سأله رجل أن يكتب له تفسير القرآن من تأويله، فغضب وقال: لأن يسقط شقي

---

(١) العلل (٤٩).

(٢) التهذيب (٤/ ١٤).

(٣) الإرشاد في معرفة علماء الحديث (١/ ١٨٤).

(٤) ذكر ذلك الإمام أحمد في كتاب العلل ومعرفة الرجال (٢/ ١١٤٧) ١٨٢١.
وقد تميز بذلك بين التابعين؛ لأن الغالب أن عبد الله إذا أطلق ـ فإنما يراد به ابن مسعود ـ رضي الله عن الجميع.

أحب إليَّ من ذلك[١] .

وسأله رجل عن آية من كتاب الله، فقال سعيد: الله أعلم، فقال الرجل: قل فيها أصلحك الله برأيك، فقال: أقول في كتاب الله برأيي؟ فردد ذلك مرتين[٢] .

والناظر في تفسيره، يجد قلة مخالفته لأقوال شيخه[٣]؛ ولذا قل أن نجد لسعيد رأيًا انفرد به واستغرب عليه.

٣ـ قلة المعتنين برواية تفسيره:

وهذا من الأسباب المشتركة بين جلة من التابعين، في قلة المروي عنهم، وهي عدم تفرغ، أو اشتغال، بعض التلاميذ في تدوين ورواية تفاسيرهم؛ مما أفقدنا الكثير منها[٤] .

٤ـ ما وقع له من الفتن:

كان رحمه الله من جملة من خرج مع ابن الأشعث على الحجاج، فلما ظهر الحجاج، هرب سعيد إلى أصبهان، ثم كان يتردد في كل سنة إلى مكة مرتين، وربما دخل الكوفة في بعض الأحيان، فحدّث بها، واستمر على هذا الحال مختفيًا من الحجاج قريبًا من ثنتي عشرة سنة، ثم أرسله خالد القسري من مكة إلى الحجاج[٥] .

قال الذهبي: طال اختفاؤه، فإن قيام القراء على الحجاج كان سنة اثنتين

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٣٧١).

(٢) شعب الإيمان (٢/ ٤٢٥) ٢٢٨٥.

(٣) يتضح ذلك عند مقارنة ذلك بمخالفات مجاهد، وعكرمة لابن عباس، وقلة ذلك عند سعيد.

(٤) فمجاهد وقتادة وعطاء والسدي وجدوا من تخصص في العناية، بنقل ورواية تفاسيرهم، في حين أن آخرين: كعكرمة، وسعيد، وطاوس لم نجد من انقطع وتفرغ لنقل تفاسيرهم.

(٥) البداية (٩/ ١٠٩)، وكتاب المتوارين الذين اختفوا خوفًا من الحجاج (٥٨)، وكتاب الثبات عند الممات، ونهاية الأرب (٢١/ ٣٢٢).

وثمانين، وما ظفروا بسعيد إلا سنة خمس وتسعين[١] ، فقتله الحجاج ظلمًا سنة ٩٤[٢]هـ وقيل: ٩٥ هـ[٣] وهو قول الجمهور، وهو ابن ٤٩ سنة[٤] ، ودفن بواسط - رحمه الله[٥] -.

❁ ❁ ❁

(١) السير (٤/ ٣٣٧).

(٢) رجال صحيح البخاري (١/ ٢٨٣)، ورجال صحيح مسلم (١/ ٢٣٨)، والمعارف (١٩٧)، ومروج الذهب (٣/ ١٧٣).

(٣) علل ابن المديني (٨٩)، ومصنف ابن أبي شيبة (١٣/ ٦٧) ١٥٧٨١، والتاريخ الصغير (١/ ٢١٠)، وتاريخ خليفة (٣٠٧)، والوفيات لابن قنفذ (١٠١)، وتاريخ الخميس (٢/ ٣١٣)، ودول الإسلام (٦٥).

(٤) العلل لأحمد (٢/ ٤٤١) ٢٩٥١، وأخبار أصبهان (١/ ٣٢٤)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٥٠)، وطبقات المحدثين الواردين على أصبهان (١/ ٣١٧)، وأخبار القضاة (٢/ ٤١٢).

(٥) معرفة القراء الكبار (١/ ٥٦)، والغاية (١/ ٣٠٦)، والشذرات (١/ ١١٠)، ومرآة الجنان (١/ ٢٢٦).

عكرمة

هو عكرمة القرشي الهاشمي مولاهم، أبو عبد الله[١] ، مولى لابن عباس، أصله من بربر المغرب، كان لحصين بن أبي الحر العنبري، فوهبه لابن عباس لما ولي البصرة لعلي ابن أبي طالب[٢] .

وعكرمة من أعلام المدرسة المكية، وقد نال من ثناء الأئمة من معاصريه، ومن بعدهم حظًا لم ينله عالم قبله، ولا سيما في باب العلم بتفسير كتاب الله.

وفي ذلك يقول الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة[٣] .

وقال قتادة: أعلم الناس بالتفسير عكرمة[٤] .

وقيل لسعيد بن جبير: تعلم أحدًا أعلم منك؟ قال: نعم! عكرمة[٥] .

ويقول جابر بن زيد: هذا عكرمة مولى ابن عباس، هذا البحر فسلوه[٦] .

---

(١) الكنى للإمام مسلم (ق ٦٠)، والكنى للدولابي (٢/ ٥٨).

(٢) تهذيب الأسماء (١/ ٣٤١)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٢٦٤)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٦٥)، ورجال صحيح مسلم (٢/ ١٠٩)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٦٣).

(٣) طبقات علماء الحديث (١/ ١٦٨)، والمنتظم (٧/ ١٠٢)، والميزان (٣/ ٩٥)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٨١)، ومعجم الأدباء (١٢/ ١٨٦).

(٤) المعرفة والتاريخ (١/ ٧٠١)، والتمهيد (٢/ ٣١)، ورياض النفوس (١/ ١٤٥)، وصفة الصفوة (٢/ ١٠٤)، والبداية (٩/ ٢٧٥).

(٥) رياض النفوس (١/ ١٤٥)، والحلية (٣/ ٣٢٦)، والتذكرة (١/ ٩٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٦٥).

(٦) طبقات ابن سعد (٥/ ٢٨٨)، والتاريخ الكبير (٧/ ٤٩)، والتمهيد (٢/ ٢٩)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧١).

وقال أبو حاتم: أصحاب ابن عباس عيال في التفسير على عكرمة[١].

وعده ابن عبد البر من المقدمين بين سائر التابعين في التفسير والسير[٢].

وكان لهذا التفوق أسباب من أهمها:

١ ـ طول ملازمته لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وحبه له:

فقد لمس ابن عباس في عكرمة مخايل الذكاء والنجابة، فكان يحثه ويحرضه على التعلم، وبلغ من شدة حرصه على ذلك أن كان يقيده لتعلم العلم.

قال عكرمة: كان ابن عباس يضع في رجلي الكبل على تعليم القرآن، والسنن[٣].

حتى إذا اطمأن إلى علمه، وفقهه، أمره بالانطلاق لإفتاء الناس، وفي ذلك يقول عن نفسه: قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ لي: انطلق فأفت الناس، وأنا لك عون. قال: قلت: لو أن مع الناس مثلهم مرتين لأتيتهم، قال: انطلق فأفتهم، فمن جاءك يسألك عما يعنيه فأفته، ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته، فإنك تطرح ثلثي مؤنة الناس[٤].

وعن عبد الرحمن بن حسان قال: سمعت عكرمة يقول: طلبت العلم أربعين سنة، وكنت أفتي بالباب، وابن عباس في الدار[٥].

---

(١) الجرح (٧/ ٩)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٧٩)، والتعديل والجرح (٣/ ١٠٢٣)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٤١).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٥٥).

(٣) المعرفة والتاريخ (١/ ٥٢٧)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٦٧)، والمنتظم (٧/ ١٠٢)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٨١)، والتحفة اللطيفة (٣/ ٢٠٦).

(٤) الجرح (٧/ ٨)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٦٨)، والبداية (٩/ ٢٧٥).

(٥) تاريخ دمشق (١١/ ٧٦٨)، والسير (٥/ ١٤)، وطبقات الحفاظ (٣٧).

وكان لكثرة ملازمته لابن عباس يعرف ما يتقدم فيه ابن عباس على غيره، وما يتقدم فيه غيره عليه.

فكان يقول: ابن عباس أعلم بالقرآن من علي بن أبي طالب، وكان علي أعلم بالمبهمات[١].

٢ ـ تقدمه في معرفة أسباب النزول:

من أبرز المعالم في تفسير عكرمة، عنايته، واهتمامه بعلم أسباب النزول، هذا العلم الذي يعد من أقوى الطرق لفهم معاني آيات القرآن. وقد تميز في ذلك عن غيره من التابعين[٢].

وقد صرف عكرمة إلى هذا العلم معظم عنايته، وغاية جهده وطاقته، بل وجاء كثير مما روي عن ابن عباس في أسباب النزول من روايته ومن طريقه[٣].

وبعد الرجوع إلى المصنفات في أسباب النزول، وجدت أن عكرمة من أكثر التابعين عناية، واعتماداً على معرفة الأسباب في تفسيره[٤].

ومما يدل على اهتمامه بهذا، ما جاء عن حبيب بن أبي ثابت، قال: اجتمع عندي خمسة لا يجتمع مثلهم أبداً: عطاء، وطاووس، ومجاهد، وسعيد بن جبير،

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٢)، والمعرفة (١/ ٤٩٥، ٥٢٧).

(٢) بعد مراجعة تفسير الطبري، وجدت أن (١٤, ٠) من مجموع تفسير عكرمة كان في بيان أسباب النزول، في حين بلغ عن سعيد بن جبير وقتادة (٠٧, ٠)، وعن مجاهد وعطاء (٠٥, ٠)، وعن الحسن (٠٣٥, ٠).

(٣) المروي من تفسير ابن عباس في أسباب النزول جاء (٢٥, ٠) منه من رواية عكرمة، و(١٩, ٠) من رواية سعيد بن جبير، و (٠٢, ٠) من رواية عطاء.

(٤) بعد مراجعة كتابي أسباب النزول للواحدي، ولباب النقول للسيوطي، وجدت أن المروي عن عكرمة فيهما (١٢٧) رواية، في حين بلغت عن ابن جبير (١٠٤) روايات، وعن قتادة (٨٦) رواية، وعن مجاهد، والسدي كل واحد منهما (٧٢) رواية، وعن عطاء (٣٣) رواية.

وعكرمة، فأقبل مجاهد وسعيد يلقيان على عكرمة التفسير، فلم يسألاه عن آية إلا فسرها لهما، فلما نفد ما عندهما جعل يقول: أنزلت آية كذا في كذا، وآية كذا في كذا[١].

وعن أيوب السختياني قال: سألت عكرمة عن آية ونحن بالمدينة، فقال: نزلت في سفح ذلك الجبل، وأشار إلى سلع[٢].

كما أنه فاق غيره من المكيين في معرفة المكي والمدني، وجاءت عنه العديد من الروايات في ذلك[٣]. وقد أعانه على هذا تقدمه في معرفة السير، والمغازي، وإتقانه لأحداث السيرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة، وأتم التسليم.

فعن قتادة قال: كان عكرمة أعلمهم بسيرة النبي ﷺ[٤].

وعن عمرو بن دينار قال: كنت إذا سمعت عكرمة يحدث عنهم، كأنه مشرف عليهم ينظر إليهم[٥].

وقال سفيان بن عيينة: والوجه الذي غلب فيه عكرمة: المغازي، وكان إذا تكلم، فسمعه إنسان قال: كأني به مشرف عليهم يراهم[٦].

---

(١) الحلية (٣/ ٣٢٦)، والسير (٥/ ١٨)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٣)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٦٦)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٧٢)، والبداية (٩/ ٢٧٥).

(٢) العلل ومعرفة الرجال لأحمد (٢/ ٣٨٧) ٢٧٢٤، والحلية (٣/ ٣٢٧)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٧٣)، والبداية (٩/ ٢٧٥).

(٣) جاء في المرتبة الثالثة بعد قتادة، والحسن؛ حيث روي عنه في هذا بعد مراجعة زاد المسير (٢٦) رواية، في حين كان المروي عن مجاهد (١٩) رواية، وعن عطاء (١٤) رواية، وعن سعيد بن جبير (٣) روايات فقط.

(٤) المعرفة والتاريخ (٢/ ١٦)، والسير (٥/ ١٧)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٧١)، وطبقات الحفاظ (٣٧).

(٥) الحلية (٣/ ٣٢٧)، والمعرفة (٢/ ٦)، والبداية (٩/ ٢٧٥).

(٦) الكامل لابن عدي (٩/ ١٩٠٦)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٧٠)، والسير (٥/ ١٦)، والتهذيب (٧/ ٢٦٦).

وكان هذا التقدم نتاج حرص، وجهد، ورغبة بذلها لمعرفة ما نزل، وما سببه، ومن نزلت فيه، ولنذكر واحدة من هذه الحوادث التي تكشف وتجلي ما ذكرنا.

يقول عن نفسه: طلبت اسم هذا الرجل الذي خرج من بيته مهاجرًا أربع عشرة سنة حتى وجدته[١].

وهو مع هذا - أيضًا - يُعد من المُقدمين بين التابعين في معرفة المبهمات، والعناية بها[٢].

٣ - قدرته على الاجتهاد، والفهم، والاستنباط:

فإلى جانب حرصه على الرواية عن شيخه، والأخذ عنه، فقد رزقه الله نظرًا ثاقبًا، وقدرة عقلية لاستنباط المعاني، مما أعان على تفوقه وتقدمه في علم القرآن وتفسيره، وكان يقول عن نفسه: إني لأخرج إلى السوق فأسمع الرجل يتكلم بالكلمة فينفتح لي خمسون بابًا من العلم[٣].

وقد فطن ابن عباس إلى هذا الذكاء وتلك النجابة، فكان يضع رجله في الكبل ليجلسه على التعلم والعلم[٤]. وحين اطمأن إليه أمره بالانطلاق إلى الناس وإفتائهم[٥].

وقد جمع - رحمه الله - بين المأثور، والمعقول، وإن كان أكثر حاله تغليب المأثور

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٢١)، ومفتاح السعادة (٢/ ٥٥٣).

(٢) أورد السيوطي في مفحمات الأقران (٧٠) قولاً عن مجاهد وقتادة، وكان الذي يليهما في الاعتماد على أقواله عكرمة؛ حيث روى عنه أكثر من أربعين (٤٠) قولاً، وعندما تنسب هذه الأقوال إلى تفسيرهم، نجد أن عكرمة في ذلك أكثر اهتمامًا منهما.

(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ٢٨٨)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٧٣)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٤)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٩٦)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٨١).

(٤)، (٥) سبقت قبل ورقات.

على الرأي[١] ، بل والتحري في حديثه، ومذاكرته، وتمييز هذا من ذاك.

فعن القاسم بن معن بن عبد الرحمن قال: حدثني أبي عن عبد الرحمن قال: حدث عكرمة بحديث فقال: سمعت ابن عباس يقول كذا، وكذا، فقلت: يا غلام! هات الدواة والقرطاس، فقال: أعجبك؟ قلت: نعم، قال: إنما قلته برأيي[٢].

٤ ـ تفرغه لعلم التفسير:

وقد تخصص في علم التفسير رواية عن شيخه ودراية، حتى كان من أكثر التابعين اشتغالاً بهما[٣] ، ولعل هذا من الأسباب الرئيسة في تفوق هذا الإمام، وسبقه لغيره، والناظر في تفسيره يجد شاهد هذا الانقطاع، فإنه تفرغ لهذا العلم، ولم يشتغل بغيره.

ولذا نجد أن المروي عنه في الفقه كان قليلاً[٤] ؛ بل إن حظه من بعض العلوم المساعدة للتفسير كعلم القراءات كان قليلاً أيضاً[٥] ، مما يدل على أن جل اهتمامه كان في بيان أسباب النزول، وإيضاح مشكل الآيات، وبيان معاني المفردات.

ولذا نجد أن من ترجم له، أشار في صدر ترجمته إلى أهم علم اشتهر به، وفاق غيره.

---

(١) وأما مجاهد فإن الرأي عنده أكثر من عكرمة.

(٢) تاريخ دمشق (١١/ ٧٨١)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٢٨٦)، والسير (٥/ ٢٩)، وهدي الساري (٤٢٦).

(٣) بعد مجاهد، وهذه ميزة، امتاز بها مجاهد ـ في المقام الأول ـ وتلاه بلا منازع عكرمة، وأما غيرهم من التابعين، فقل من تخصص واستفرغ علمه التفسير.

(٤) المروي عنه في تفسير آيات الأحكام بلغ (٠,٠٤) من مجموع تفسيره، في حين بلغ عن سعيد (٠,٠٩)، وعن عطاء (٠,٣٣) من مجموع تفسيرهما.

(٥) وخاصة إذا ما قورن بغيره كمجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهما، فهو من أقلهم في هذا، ولم يترجم له الذهبي في كتاب القراء الكبار، وذكره ابن الجزري، ولم يثن عليه في هذا الجانب. ولذا لا نجد أحداً من القراء أو رواتهم أخذ عنه القراءة.

فقال أبو حاتم: أصحاب ابن عباس في التفسير عيال على عكرمة[١].

وقال أبو نعيم: مفسر الآيات المحكمة[٢].

وقال الذهبي: الحافظ المفسر[٣].

وقال ابن كثير: أحد التابعين، والمفسرين المكثرين[٤].

وقال ابن حجر: ثقة، ثبت، عالم بالتفسير[٥].

فأنت تجد هؤلاء الأئمة افتتحوا ترجمة هذا الإمام بأهم علم تميز به وتقدم فيه[٦]، بل ومن قبل أثنى عليه قتادة فقال: لا تسألوا العبد إلا عن القرآن[٧]. مما يدل على تخصصه فيه، وانقطاعه له.

٥ ـ معرفته الواسعة بلغات قبائل العرب، وأشعارها:

ومن المصادر التي اعتمد عليها عكرمة في تفسيره، وكانت من أسباب نبوغه وتقدمه في التفسير، معرفته بلغات قبائل العرب، وما دخل في تلك اللغة من كلمات معربة، والاعتماد عليها في إيضاح بعض المفردات القرآنية[٨].

---

(١) الجرح (٧/ ٩).

(٢) الحلية (٣/ ٣٢٦).

(٣) السير (٥/ ١٢).

(٤) البداية (٩/ ٢٧٥).

(٥) التقريب (٣٩٧).

(٦) قارن ذلك بما قدمت به ترجمة سعيد بن جبير، حيث قال عنه الذهبي: المُقرئ الفقيه، ينظر التذكرة (١/ ٧٦)، وقال في ترجمة مُجاهد: المقرئ المفسر، ينظر التذكرة (١/ ٦٢)، وقال في ترجمة عطاء: مفتي الحرم، ينظر السير (٥/ ٧٨).

(٧) المعرفة (٢/ ١٢)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٧٢).

(٨) هو من أكثر التابعين عناية بذلك، بل ومن أدقهم فيه، ذكر الزركشي أن مذهب ابن عباس وعكرمة، أنه وقع في القرآن ما ليس من لغتهم، ينظر البرهان (١/ ٢٨٨).

ولعل لكثرة رحلاته، وتنقله بين البلدان الأثر الكبير في إثراء هذا الجانب عنده[١]، والناظر في تفسيره يجد عنايته وحرصه في رد كثير من الكلمات القرآنية إلى أصل اشتقاقها، وكيف كانت العرب تستعملها؛ ولذا نجده في بيان الاشتقاق كثيرًا ما يربط بين وضع اللفظ وأصل استعماله.

هذا ما يجده المراجع لتأويله، من حرصه على الرجوع لديوان العرب، وهو الشعر؛ فإنه من أكثر التابعين نصيبًا في هذا[٢].

ولعلنا في هذا المقام نذكر بعض الأمثلة لما سبق:

فمن أمثلة ما ورد عنه في الاعتماد على لغات قبائل العرب، ما جاء عند تأويل قوله سبحانه: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾[٣].

قال عكرمة: المشيد المجصص، والجص بالمدينة: يسمى المشيد[٤].

وعند قوله جل ثناؤه: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾[٥] قال: أتدعون ربًا، وهي لغة أهل اليمن، تقول: مَنْ بَعْل هذا الثور؟ أي: من ربُّه[٦]؟

وعند قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾[٧]. قال: هي شجرة ذات

---

(١) هو من أكثر مفسري التابعين على الإطلاق جولانًا في البلاد، كما سيأتي بيان ذلك بعد ورقات إن شاء الله.

(٢) يُراجع كتاب إيضاح الوقف والابتداء (١/ ٦٢ ـ ٦٩)، وقد أورد العديد من الأمثلة عن عكرمة.

(٣) سورة الحج: آية (٤٥).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ١٨١).

(٥) سورة الصافات: آية (١٢٥).

(٦) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٢)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٣٢)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد عن عكرمة بلفظ: بعلاً: ربًا باليمانية. يقول الرجل للرجل: من بعل الثوب؟ (٧/ ١١٩).

(٧) سورة الغاشية: آية (٦).

شوك، لاطئة بالأرض، فإذا كان الربيع سمتها قريش الشبرق، فإذا هاج العود سمتها الضريع[١].

ومن أمثلة ما جاء عنه في معرب القرآن، تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٢].

عن عكرمة قال: جبر: عبد، إيل: الله، وميكا قال: عبد، إيل: الله[٣].

وعند قوله جل وعلا ﴿طه...﴾، قال: يا رجل! كلمة بالنبطية[٤]. وفي لفظ قال: طه بالحبشية: يا رجل![٥].

ومن الأمثلة التي تدل على معرفته الواسعة بتلك اللغات، بل والتقدم في هذا على غيره من التابعين، ما جاء عنه في تأويل قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾[٦] قال: «قسورة» الرماة، فقال رجال لعكرمة: هو الأسد بلسان

---

(١) تفسير الطبري (٣٠/ ١٦٢)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم عن عكرمة بلفظ مختصر (٨/ ٤٩٢).

(٢) سورة البقرة: آية (٩٧).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٣٩١) ١٦٢٨، وأخرجه الطبري بلفظ مقارب (٢/ ٣٩٠) ١٦٢٤، ورواه البخاري عن عكرمة معلقًا في صحيحه، ووصله ابن حجر في الفتح (٨/ ١٦٥)، والتغليق (٤/ ١٧٤) من رواية ابن جرير.

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ١٣٦)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عكرمة به (١٠/ ٤٧٢)، ١٠٠٢٥، ورواه البخاري في صحيحه معلقًا، وأشار إلى وصله بن حجر في الفتح (٨/ ٤٣٢)، والتغليق (٤/ ٢٥١)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي شيبة عن عكرمة به (٥/ ٥٥٠).

(٥) المصنف لابن أبي شيبة ١٠/ ٤٧٠) ١٠٠١٧، وأشار ابن حجر في التغليق إلى وصل هذه الرواية من طريق ابن أبي شيبة (٤/ ٢٥٢)، وأوردها السيوطي في المهذب في معرفة ما وقع في القرآن من المعرب (١١٠)، وذكرها في الدر، وعزاها إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة بنحوه (٥/ ٥٥٠).

(٦) سورة المدثر: آية (٥١).

الحبشة[١] . فقال عكرمة : اسم الأسد بلسان الحبشة : عنبسة[٢] .

ومما جاء عنه في معرفة أصل استعمال الكلمة، وبيان كيفية اشتقاقها، ما روي عنه عند قوله جل وعلا : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾[٣] قال : ذات الحبك : ذات الخلق الحسن، ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب قال : ما أحسن ما حبكه[٤] ؟! .

وعند قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾[٥] قال : يعذبون في النار يحرقون فيها، ألم تر أن الذهب إذا ألقي في النار قيل : فتن[٦] ؟ .

وعند قوله سبحانه : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾[٧] قال : ألم تر إلى الفرس إذا جرى كيف يضبح[٨] ! ، وعنى رحمه الله (الحمحمة) .

ومما فاق به غيره من التابعين كثرة استشهاده بالشعر، والاعتماد عليه في إيضاح معنى الآية؛ وقد تأثر في ذلك بشيخه ابن عباس الذي روى عنه قوله : إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب[٩] .

---

(١) وهذا القول مروي عن أبي هريرة، وابن عباس في رواية، وزيد بن أسلم وغيرهم، ينظر تفسير الطبري (٢٩/ ١٧٠)، والتغليق (٤/ ٣٥٢).

(٢) تفسر الطبري (٢٩/ ١٦٩)، وأخرجه الفراء في معاني القرآن بسنده عن عكرمة بنحوه (٣/ ٢٠٦)، وأشار ابن حجر إلي رواية الفراء في الفتح (٨/ ٦٧٦)، وللمزيد من الأمثلة يراجع تفسير الطبري، الآثار ذوات الأرقام ٦٠٠٠، ١٣٤٤٥، ١٧٣٩٥، ١٨٩٧٢، والصفحات (٢٧/ ٨٢، ٨٣)، (٣٠/ ٢٤٠).

(٣) سورة الذاريات : آية (٧).

(٤) تفسير الطبري (٢٦/ ١٩٠)، وتفسير البغوي (٤/ ٢٢٩).

(٥) سورة الذاريات : آية (١٣).

(٦) تفسير الطبري (٢٦/ ١٩٣).

(٧) سورة العاديات : آية (١).

(٨) تفسير الطبري (٣٠/ ٢٧١)، ولمزيد من الأمثلة يراجع تفسير الطبري (١٩/ ١٤)، (٢٧/ ١٦٧)، (٢٩/ ١٢٤، ٢٠٣)، (٣٠/ ١٢١).

(٩) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٩٣)، سنن البيهقي (١٠/ ٢٤١).

ومما جاء عنه في هذا: تأويله لقوله جل ثناؤه: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾[١].

قال عكرمة لداود بن أبي هند: ﴿ألا تعولوا﴾: ألا تميلوا، ثم قال: أما سمعت إلى قول أبي طالب:

. . . . . بميزان قسط وزنه غير عائل[٢]

وفي رواية عنه أنشد فقال:

بميزان قسط لا يُخسُّ شعيرةً ووازنِ صدقٍ وزنه غير عائل[٣]

وعند قوله تبارك وتعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾[٤] قال: ظل الأغصان على الحيطان. قال الشاعر:

ما هاج شوقك من هديل حمامة تدعو على فنن الغصون حماما

تدعوا أبا فرخين صادف ضاريًا ذا نخليين من الصقور قطاما[٥]

وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾[٦] قال: الساهرة: الأرض، أما

---

(١) سورة النساء: آية (٣).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٥٤٩) ٨٤٩٠.

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٥٥٠) ٨٤٩١، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه في كتاب التفسير عن عكرمة بنحوه (٣/ ١١٤٥) ٥٥٧، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ل ١٠٥/ أ). وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عكرمة بنحوه. الدر (٢/ ٤٣٠).

(٤) سورة الرحمن: آية (٤٨).

(٥) تفسير الطبري (٢٧/ ١٤٧)، وأخرجه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء عن عكرمة به (١/ ٦٥) وأبو عمرو الداني في المكتفى مختصراً (٥٤٩)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي بكر بن حبان في الفنون، وابن الأنباري في الوقف عن عكرمة بنحوه (٧/ ٧٠٩).

(٦) سورة النازعات: آية (١٤).

سمعت:

لهم صيد بحر وصيد ساهرة[١]

في رواية عنه قال: أولم تسمعوا ما قال أمية بن أبي الصلت:

لهم وفيها لحم ساهر وبحر[٢].

٦ ـ كثرة رحلاته:

هو من أكثر مفسري التابعين تنقلاً بين الأقاليم، ورحلة إلى البلدان، وقد أفاد من ذلك، وكان هذا من أسباب تفوقه، وتعدد مصادره.

يقول الإمام أحمد: ولم يدع موضعًا إلا خرج إليه: خراسان، والشام، واليمن، ومصر، وإفريقية[٣].

وصدر ابن كثير ترجمته بقوله: أحد التابعين، المفسرين المكثرين، والرحالين الجوالين[٤].

وقال ابن خلكان: كان عكرمة كثير التطواف، والجولان في البلاد[٥]، وأشار إلى كثرة دورانه في البلاد: الحاكم النيسابوري[٦]، والذهبي[٧]، وابن حجر[٨]،

(١) تفسير الطبري (٣٠/ ٣٦)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر عن عكرمة بنحوه (٨/ ٤٠٨).

(٢) تفسير الطبري (٣٠/ ٣٦)، (٣٠/ ٣٧) والبيت لأمية. ينظر الديوان (٥٤)، وفرائد القلائد (ص٣٢)، ولمزيد من الأمثلة ينظر تفسير الطبري (٢٩/ ١٤٥)، (٣٠/ ٣٩٩).

(٣) السير (٥/ ٣٠).

(٤) البداية (٩/ ٢٧٥).

(٥) وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٦).

(٦) نقله ياقوت في معجم الأدباء (١٢/ ١٨٢).

(٧) السير (٥/ ١٥)، والعبر (١٠٠/ ١)، وتاريخ الإسلام (١٧٦).

(٨) التهذيب (٧/ ٢٦٥).

واليافعي[١] . . . وغيرهم.

قال يحيى بن معين: كان عكرمة جوالاً في البلاد، قدم البصرة فسمع منه أهلها، والكوفة فحمل عنه كثير ممن بها، واليمن فكتب عنه بها كثير من أهلها، والمغرب فسمع منه به جماعة من أهله، والمشرق فكتب عنه به[٢].

وقد ترك الحسن البصري كثيراً من تفسيره حين دخل عكرمة البصرة[٣].

٧ ـ حرصه على نشر علمه:

ومن أسباب بروزه، وظهور علمه، وتفوقه؛ حرصه على نشر علمه في حله وترحاله، فعن أبي سلمة سعيد بن يزيد البصري قال: سمعت عكرمة يقول: ما لكم لا تسألونني! أفلستم[٤]؟

قال ابن سعد: يعني لا أراكم تسألونني.

وعن أيوب السختياني قال: كان خالد الحذاء يسأل عكرمة، فسكت خالد! فقال عكرمة: مالك أجبلت (أي: أكديت). قال: إني تعبت[٥].

وساق أحمد بسنده، عن أيوب السختياني، قال: كنا نأتي عكرمة (في البصرة) فيحلف بالله ألا يحدثنا، فما نكون قط بأطمع منه في الحديث عند ذلك، فيحدثنا، فنقول: ألم تحلف بالله؟ فقال: ما يدريكم كفارة يميني أن أحدثكم[٦].

---

(١) مرآة الجنان (١/ ٢٥٤).

(٢) تاريخ الطبري الذيل (٣/ ٢٤٨٥).

(٣) تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٣)، والسير (٥/ ١٨).

(٤) سنن الدارمي (١/ ١٣٧) بلفظ: أفشلتم، والتصحيح من كتاب العلل ومعرفة الرجال لأحمد (٢/ ١٩٣) ١٩٧٩، وابن سعد (٢/ ٣٨٦)، ومصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٤٥) ٦٤٦٤.

(٥) المعرفة والتاريخ (٢/ ١٠)، والحلية (٣/ ٣٢٨)، زاد ابن سعد: أكديت: أي نفد ما عندك (٥/ ٢٩١)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٧٤).

(٦) العلل لأحمد (٢/ ١٢٨) ١٧٧٥، و(٢/ ٤٥٥) ٣٠٢٧.

هذه هي أهم الأسباب، التي أحسب أنه كان لها الأثر الكبير في تفوق هذا الإمام في التفسير ، واعتبار بعض الأئمة أن المدرسة المكية وتلاميذ ابن عباس عيال في التفسير عليه. ولكن ثمة فرقٌ واضحٌ في الواقع العملي بينه، وبين مجاهد عند مراجعة كتب التفسير[١] ؛ حيث اعتمد كثير من المفسرين على تفسير مجاهد، وكان المنقول عن عكرمة قليلاً إذا ما قورن بمجاهد، وبعد النظر، والمراجعة، وجدت أن ثمة أسبابًا كانت وراء هذا النقص الكبير في المروي عنه، ولعل من أهمها: اتهامه بالكذب، وانتحاله بعض مقالة الخوارج، وسيأتي مناقشة ذلك قريبًا.

وأخيرًا لقد كان عكرمة ـ رحمه الله ـ من أعلم أصحاب ابن عباس بالتفسير، وقد شهد له بذلك أبو حاتم. بل إنه قام ـ رحمه الله ـ بتفسير القرآن الكريم كله، كما أخبر بذلك عن نفسه: لقد فسرت ما بين اللوحين[٢] .

أهم أسباب نقصان تفسيره عن مجاهد:

ومع ما سبق فإن ما وصل إلينا من نتاج هذا الإمام كان قليلاً، ويرجع ذلك لعدة أسباب من أهمها: اتهامه بالكذب، وانتحاله بعض مقالة الخوارج، مع ما يضاف إلى ذلك من كثرة اشتغاله بالرواية عن شيخه، وقلة المتخصصين في نقل تفسيره.

وقد أطال بعض أهل العلم الكلام في السببين الأولين، بل وصنف في ذلك جماعة، منهم: إمام المفسرين ابن جرير الطبري، ومحمد بن نصر المروزي، وابن منده، وأبو حاتم بن حبان، وقد لخص الحافظ ابن حجر ما ورد في تلك الكتب، ولاسيما ما اتهم به من الكذب، وأطال في رده. ولأهمية هذه النقطة سأبسط القول فيها؛ لأني أشعر أنه لولا ذلك لكان المأثور عنه قريبًا من المروي عن مجاهد.

---

(١) المروي عن مجاهد عند الطبري (٦١٠٩) قولاً، وعن عكرمة (٩٤٣) قولاً.

(٢) الحلية (٣/ ٣٢٧)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٧٢)، والبداية (٩/ ٢٧٥).

أولاً: اتهامه بالكذب:

من أشد ما جاء في ذلك، ما روي عن ابن عمر أنه قال لنافع: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس[١].

وقد نفى ابن حجر صحة هذا الأثر وقال: لم يثبت؛ لأنه من رواية أبي خلف الخزاز عن يحيى البكاء، ويحيى البكاء متروك الحديث. ثم أورد قول ابن حبان: من المحال أن يُجرح العدل بكلام المجروح[٢].

وقد سأل إسحاق بن الطباع مالكًا: هل بلغك أن ابن عمر قاله لنافع؟ قال: لا! ولكن بلغني أن سعيد بن المسيب قال ذلك لبرد مولاه[٣].

ثم نقل ابن حجر[٤] قول ابن جرير: إن ثبت هذا عن ابن عمر، فهو محتمل لأوجه كثيرة، لا يتعين منه القدح في جميع روايته، فقد يمكن أن يكون أنكر عليه مسألة من المسائل كذبه فيها، ثم قال: كان ابن حبان وأهل الحجاز يطلقون «كذب» في موضع «أخطأ»[٥].

وعن عطاء الخراساني قال: قلت لسعيد بن المسيب: إن عكرمة يزعم أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة، وهو محرم، فقال: كذب مُخبثان[٦].

---

(١) الميزان (٣/ ٩٧)، والسير (٥/ ٢٢)، والتهذيب (٧/ ٢٦٧).

(٢) هدي الساري (٤٢٧). ويحيى البكاء: تركه النسائي، والأزدي، ينظر الضعفاء لابن الجوزي (٣/ ٢٠٣). وقال عنه ابن حبان في كتاب المجروحين: ينفرد بالمناكير عن المشاهير، وضعفه إذا انفرد (٣/ ١١٥).

(٣) العلل ومعرفة الرجال لأحمد (٢/ ٧٠) ١٥٨٢، ١٥٨٣، والمعرفة والتاريخ (٢/ ٥)، والتمهيد (٢/ ٢٧)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٢٨٠).

(٤) هدي الساري (٤٢٧).

(٥) الثقات (٦/ ١١٤).

(٦) هدي الساري (٤٢٦)، والميزان (٣/ ٩٤)، والسير (٥/ ٢٣).

وقال فطر بن خليفة: قلت لعطاء إن عكرمة يقول: سبق الكتاب الخفين، فقال: كذب! سمعت ابن عباس يقول: امسح على الخفين وإن خرجت من الخلاء[١].

وقد نقل ابن حجر ما قاله ابن جرير في رده علي قول سعيد وعطاء، فقال: وأما قول سعيد بن المسيب، فليس ببعيد أن يكون الذي حكي عنه نظير الذي حكي عن ابن عمر، قلت ـ يعني: ابن حجر ـ وهو كما قال، فقد تبين ذلك من حكاية عطاء الخراساني عنه في تزويج النبي ﷺ بميمونة، ولقد ظلم عكرمة في ذلك، فإن ذلك مروي عن ابن عباس من طرق كثيرة، أنه كان يقول: إن النبي ﷺ تزوجها، وهو محرم. ومثله ما جاء عن عطاء، ويقوي صحة ما حكاه ابن حبان أنهم يطلقون الكذب في موضع الخطأ[٢].

وأما ما جاء عن ابن سيرين، عندما سئل عن عكرمة فقال: ما يسوؤني أن يدخل الجنة، ولكنه كذاب[٣]، فقد قال ابن حجر[٤]: إنه طعن عليه من حيث الرأي، وإلا فقد أخرج عنه كما قال خالد الحذاء: كل ما قال محمد بن سيرين: ثبت عن ابن عباس، فإنما أخذه عن عكرمة، وكان لا يسميه، لأنه لم يكن يرضاه[٥].

وأما ما جاء من تكذيب يحيى بن سعيد الأنصاري، وعدم رضى مالك عليه، بل وتكذيبه له، والأمر بعدم الأخذ عنه[٦]، فإن هذا كما قال ابن حجر: أما ما روي عن يحيى بن سعيد في ذلك، فالظاهر أنه قلد فيه سعيد بن المسيب[٧].

---

(١) الكامل لابن عدي (٥/ ١٩٠٥)، وتاريخ الإسلام (ح ١٠٦ هـ/ ١٧٩)، والتهذيب (٧/ ٢٦٨).

(٢) هدي الساري (٤٢٧).

(٣) الكامل (٥/ ١٩٠٥)، وتاريخ الإسلام (١٧٩)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٢٨٢).

(٤) هدي الساري (٤٢٧).

(٥) المرجع السابق (٤٢٧)، والمعرفة (١/ ٢٣٣)، و(٢/ ٥٥)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٦٩).

(٦) السير (٥/ ٢٦)، والهدي (٤٢٦).

(٧) هدي الساري (٤٢٧)، والتمهيد (٢/ ٢٧).

وأما ذم مالك، فقد بيّن سببه، وأنه لأجل ما رمي به من القول ببدعة الخوارج، وقد جزم بذلك أبو حاتم، قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن عكرمة، فقال: ثقة، قلت: يحتج بحديثه، قال: نعم، إذا روى عنه الثقات، والذي أنكر عليه مالك إنما هو بسبب رأيه[١].

وأما ما روي عن يزيد بن أبي زياد قال: دخلت على علي بن عبد الله بن عباس، وعكرمة مقيد عنده، فقلت: ما لهذا. قال: إنه يكذب على أبي[٢].

فقد رد هذه الرواية ابن حجر بقوله: إن رواية يزيد بن أبي زياد ردها أبو حاتم، وابن حبان لضعف يزيد، وقال: إن يزيد لا يحتج بنقله، قال ابن حجر: وهو كما قال[٣].

هذا أهم ما جاء من الروايات في اتهامه بالكذب وردها، والذي يظهر مما سبق أن اتهامه بالكذب على مصطلح المحدثين لم يثبت، والصواب في ذلك أن عكرمة قد وثقه، وأثنى عليه كثير من الأئمة المعتبرين، بل إن شيخه ابن عباس نفسه قد أثنى عليه.

فعن محمد بن فضل عن عثمان بن حكيم قال: كنت جالسًا مع أبي أمامة بن سهل ابن حنيف، إذ جاء عكرمة، فقال: يا أبا أمامة: أذكرك الله، هل سمعت ابن عباس يقول: ما حدثكم عني عكرمة فصدقوه، فإنه لم يكذب علي؟ فقال أبو أمامة: نعم[٤].

وعن أيوب السختياني قال: اجتمع حفاظ ابن عباس على عكرمة، منهم سعيد بن جبير، وعطاء، وطاوس، فكان كلما يحدث بحديث قال سعيد بن جبير هكذا (يعني

---

(١) الجرح (٧/ ٩)، وتهذيب الأسماء (١/ ٣٤١)، وأشار إليه ابن عبد البر في التمهيد (٢/ ٢٧).
(٢) الميزان (٣/ ٩٤)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٦٥)، والسير (٥/ ٢٣).
(٣) الثقات (٥/ ٢٣٠)، وهدي الساري (٤٢٧).
(٤) تاريخ دمشق (١١/ ٧٦٨)، وتاريخ ابن معين (٢/ ٤١٣)، وقال ابن حجر في الهدي: وإسناده صحيح (٤٢٨)، والتمهيد (٢/ ٣١).

أصاب) حتى أتى على حديث الحوت، فقال سعيد بن جبير: أشهد علي ابن عباس أنه قال: كان يُسايرهما في مكتل. قال أيوب السختياني: وأرى ابن عباس كان يقول القولين جميعًا[١].

وعن حماد بن زيد قال: قال لي أيوب: لو لم يكن عندي عكرمة ثقة لم أكتب عنه[٢].

وقد احتج الإمام البخاري بحديثه، وأخرج له في الصحيح[٣]، وقال عنه: ليس أحد من أصحابنا إلا احتج بعكرمة[٤].

وقال ابن معين: إذا رأيت إنسانًا يقع في عكرمة، فاتهمه على الإسلام[٥].

ووثقه أبو حاتم[٦]، والعجلي[٧]، والنسائي، وقال: ثقةٌ من أعلم الناس[٨].

وقال أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي: أجمع عامة أهل العلم على الاحتجاج بحديث عكرمة، واتفق على ذلك رؤساء أهل العلم بالحديث من أهل عصرنا، منهم أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو ثور، ويحيى بن معين، ولقد سألت إسحاق عن الاحتجاج بحديثه، فقال: عكرمة عندنا إمام أهل الدنيا. وتعجب من

---

(١) العلل ومعرفة الرجال لأحمد (٣/ ٣٧٩) ٥٦٦٧، والمعرفة والتاريخ (٢/ ٧).

(٢) الجرح (٧/ ٨)، والميزان (٣/ ٩٣)، والسير (٥/ ١٨).

(٣) أخرج له البخاري في صحيحه ما يزيد عن (١٣٠) حديثًا بالمكرر، و (٦٣) حديثًا بغير المكرر، ينظر رسالة عكرمة مولى ابن عباس وتتبع مروياته في صحيح البخاري، إعداد الباحث مرزوق الزهراني. جامعة أم القرى.

(٤) التاريخ الكبير (٧/ ٤٩).

(٥) تهذيب الأسماء (١/ ٣٤١)، والسير (٥/ ٣١).

(٦) الجرح (٧/ ٨).

(٧) تاريخ الثقات (٣٣٩).

(٨) عمل اليوم والليلة للنسائي (٢٠٢) ١٤١.

سؤالي إياه[١] .

وقال ابن حبان : كان من علماء زمانه بالفقه، والقرآن، ولا أعلم أحداً ذمه بشيء[٢] .

قال المروزي : وعكرمة قد ثبتت عدالته بصحبة ابن عباس، وملازمته إياه، وبأن غير واحد من أهل العلم رووا عنه، وعدلوه[٣] .

ثانيًا: اتهامه بالميل لرأي الخوارج :

وكما اتهم عكرمة بالكذب، فقد ـ اتهم أيضًا ـ بالميل لرأي الخوارج وانتحال بعض مقالاتهم .

فعن عطاء قال : إن عكرمة كان إباضيًا[٤] . واتهمه أحمد[٥] ، وابن المديني بذلك[٦] .

وقال ابن المديني[٧] ، في رواية عنه : كان يرى رأي نجدة[٨] .

---

(١) التمهيد (٢/ ٣٣)، وهدي الساري (٤٢٩).

(٢) الثقات لابن حبان (٥/ ٢٢٩)، ورجال صحيح مسلم (٢/ ١١٠).

(٣) التمهيد (٢/ ٣٣).

(٤) تاريخ الإسلام (ح / ١٨١)، والميزان (٣/ ٩٦)، والتهذيب (٧/ ٢٦٧)، والإباضية : هم أتباع عبد الله بن إباض المقاعي التميمي المتوفى سنة (٨٦ هـ)، قال الإباضية : إن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، ودار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد، إلا معسكر السلطان، فإنه دار بغي، وأجمعوا على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر النعمة، لا كفر الملة، ينظر الملل والنحل (١/ ١٣٤)، ومقالات الإسلاميين (١/ ١٠٨)، والفرق بين الفرق (١٠٣)، والفصل في الملل (٥/ ٥١)، والمواقف في علم الكلام (٤٢٤)، والإباضية يقولون بخلق القرآن وإنكار الرؤية وتخليد عصاة الموحدين في النار .

(٥) السير (٥/ ٢١)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٨)، والتهذيب (٧/ ٢٦٧)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٨٩).

(٦) تاريخ الإسلام (ح ١٨٠)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٨)، والتهذيب (٧/ ٢٦٧).

(٧) المعرفة (٢/ ٧)، والميزان (٣/ ٩٦)، وذكر أسماء من تكلم فيه، وهو موثق (١٣٧)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٦٧).

(٨) نجدة بن عامر الحنفي المتوفى سنة (٦٩ هـ)، وكان من أتباع نافع بن الأزرق، ثم خالفه واستقل بمذهبه، ينظر مقالات الإسلاميين (١/ ١٥٦)، والفرق بين الفرق (٨٧ ـ ٩٠)، والملل والنحل (١/ ١٢٢)، والفصل (٥/ ٥٣)، والمواقف (٤٣٤).

وقال الجوزجاني[١] ، قلت لأحمد بن حنبل : أكان عكرمة إباضيًا؟ فقال : إنه كان صفريًا[٢] .

وقال أبو طالب؛ عن أحمد : كان يرى رأي الخوارج الصفرية ، وعنه أخذ ذلك أهل إفريقية[٣] .

وقال ابن معين : كان ينتحل مذهب الصفرية[٤] ، ولأجل هذا تركه مالك[٥] .

وقال أبو سعيد بن يونس في تاريخ الغرباء : وبالمغرب إلى وقتنا هذا قوم على مذهب الإباضية ، يعرفون بالصفرية ، يزعمون أنهم أخذوا ذلك عن عكرمة[٦] .

وقال ابن قتيبة : كان عكرمة يرى رأي الخوارج[٧] .

ومما نسب إليه من أقوال الخوارج ، ما روي عن خالد بن أبي عمران قال : كنا بالمغرب ، وعندنا عكرمة في وقت الموسم ، فقال عكرمة : وددت أن بيدي حربة ،

---

(١) تاريخ دمشق (١١/ ٧٧٧)، والسير (٥/ ٢١)، والهدي (٤٢٦)، وذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق (١٣٧)، والتهذيب (٧/ ٢٦٧).

(٢) الصفرية : هم أتباع زياد بن الأصفر ، وقولهم في الجملة كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون ، غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم ، ينظر الفرق بين الفرق (٩٠-٩٣)، والملل والنحل (١/ ١٣٧)، ومقالات الإسلاميين (١/ ١٠١)، والمواقف (٤٢٤).

(٣) تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٨)، والميزان (٣/ ٩٦)، وتاريخ الإسلام (١٧٩)، وينظر المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية (٨٠).

(٤) السير (٥/ ٢١)، وهدي الساري (٤٢٦).

(٥) التمهيد (٢/ ٢٧)، والكامل (٥/ ١٩٠٥)، والتعديل (٣/ ١٠٢٣).

(٦) هدي الساري (٤٢٦).
وقد ذكرت أكثر المراجع ، أن مبدأ دخول الفكر الخارجي ، إنما حدث أول ما حدث عند مقدم عكرمة ، وكان له دور كبير في نشر المذهب الإباضي ، راجع المدارس الكلامية بإفريقية (٧٩-٨١).

(٧) المعارف (٢٠١)، والشذرات (١/ ١٣٠)، ومقالات الإسلاميين (١٢٠)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٦٥).

أعترض بها من شهد الموسم. قال: فرفضه أهل إفريقية[١].

وقال ابن المديني: حكي عن يعقوب الحضرمي، عن جده قال: وقف عكرمة على باب المسجد فقال: ما فيه إلا كافر. وكان يرى رأي الإباضية[٢].

وروى ابن عبد البر قصة عن أبي العرب، عن قدامة بن محمد، قال: كان خلفاء بني أمية، يرسلون إلى المغرب، يطلبون جلود الخرفان - التي لم تولد بعد - العسلية، قال: فربما ذبحت المائة شاة، فلا يوجد في بطنها إلا واحد عسلي، كانوا يتخذون منها الفراء، فكان عكرمة يستعظم ذلك ويقول: هذا كفر، هذا شرك، فأخذ ذلك عنه الصفرية، والإباضية، فكفَّروا الناس بالذنوب[٣].

ولما سئل عن نبيذ الجر، قال عكرمة: حرام. قال: فما تقول فيمن يشربه؟ قال: أقول إن من شربه كفر[٤].

وكان يرى كفر تارك الحج[٥].

هذا وقد برأه من هذه التهمة جمع من أهل العلم منهم: العجلي، وابن عبد البر، وابن حجر، وغيرهم.

قال العجلي: ثقة بريء مما يرميه الناس به من الحرورية[٦].

---

(١) الميزان (٣/ ٩٥)، وتاريخ دمشق (٢٠/ ٢٧٨)، والتهذيب (٧/ ٢٦٧)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٨).

(٢) تاريخ دمشق (١١/ ٧٨٨)، والسير (٥/ ٢٢)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٨).

(٣) التمهيد (٢/ ٣٢).

(٤) هدي الساري (٤٢٦).

(٥) أحكام القرآن للشافعي (١/ ١١١، ١١٢)، وكتاب الأم للشافعي (٢/ ١٠٩)، ومعرفة السنن والآثار (٧/ ٨)، والسنن الكبرى للبيهقي (٤/ ٣٢٤).

(٦) تاريخ الثقات (٣٣٩)، وتهذيب الأسماء (١/ ٣٤١)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٨١).

وقال ابن عبد البر: ويحتمل أن مالكًا رده لما نسب إليه من رأي الخوارج، وكل ذلك باطل عليه - إن شاء الله[١] -.

وقال ابن حجر: والذي أنكر عليه مالك إنما هو بسبب رأيه، على أنه لم يثبت عنه من وجه قاطع أنه كان يرى ذلك، وإنما كان يوافق في بعض المسائل، فنسبوه إليهم.

ثم أورد - أي: ابن حجر - قول ابن جرير الطبري: لو كان كل من ادعي عليه مذهب من المذاهب الرديئة ثبت عليه ما ادعي به، وسقطت عدالته وبطلت شهادته بذلك، للزم ترك أكثر محدثي الأمصار؛ لأنه ما منهم إلا وقد نسبه قوم إلى ما يُرغب به عنه[٢].

واختصر عبارته ابن حجر في التقريب، وقال: ثقة، ثبت، عالم بالتفسير، ولا تثبت عليه بدعة[٣].

وقال البيهقي: هو عند أكثر الأئمة من الثقات الأثبات[٤].

والذي تحصل من هذا أن ما رمي به من تهمة الكذب لم تصح ولم تثبت عنه، وهو أجل، وأعلى من ذلك، وأما الأخرى فقد يغضى فيها العين على قذى، ويجر الذيل على أذى، ويقال: لعل وعسى.

وقد لمست من الإمام الذهبي في كتبه ترددًا في تبرئة عكرمة من هذا الرأي، ولذا قال عنه في ختام ترجمته في السير: فالذين أهدروه كبار، والذين احتجوا به كبار، والله أعلم بالصواب[٥].

---

(١) التمهيد (٢/ ٢٧).
(٢) هدي الساري (٤٢٨)، والتهذيب (٧/ ٢٧٠).
(٣) تقريب التهذيب (٣٩٧)، وتبعه على ذلك الداودي في طبقات المفسرين (١/ ٣٨١).
(٤) السنن الكبرى (١/ ١٣٥)، (٨/ ٣٠٣).
(٥) السير (٥/ ٣٤).

وقال في موضع آخر: تكلموا فيه لرأيه لا لحفظه، اتهم برأي الخوارج[١].

وقال ـ أيضًا: ثبت، لكنه إباضي يرى السيف[٢].

وخلاصة القول كما قال ابن منده: أما حال عكرمة في نفسه، فقد عدله أمة من التابعين، منهم زيادة على سبعين رجلاً من خيار التابعين ورفعائهم، وهذه منزلة لا تكاد توجد فيهم لكبير أحد من التابعين، على أن من جرحه من الأئمة لم يمسك عن الرواية عنه، ولم يستغن عن حديثه[٣].

وهو كما قال؛ فإن من أشدهم رأيًا فيه ابن سيرين، ومع ذلك أخذ عنه، ولذا لما سئل ابن معين، فقيل له: ابن سيرين! سمع ابن عباس؟ فقال: لا! سمع من عكرمة[٤]، لكنه أسقط عكرمة، وكان يقول: نبئت عن ابن عباس، أخذه عن عكرمة، لقيه أيام المختار بالكوفة[٥].

فروايته عنه تدل على قبوله في نفسه، ولكنه لم يرض أن يصرح باسمه بسبب رأيه، وهذا ما فعله مالك[٦].

---

(١) المغني في الضعفاء (٢/ ٤٣٨)، والميزان (٣/ ٩٣).

(٢) الكاشف (٢/ ٢٧٦).

(٣) التهذيب (٧/ ٢٧٢)، هدي الساري (٤٢٩).

(٤) معرفة الرجال لابن معين (١/ ١٢٢، ١٣٢).

(٥) تاريخ دمشق (١١/ ٧٧٦)، المعرفة والتاريخ (١/ ٢٣٣)، (٢/ ٥٥)، طبقات ابن سعد (٥/ ٢٩١)، والحلية (٣/ ٣٢٨).

(٦) الموطأ (١/ ٣٨٤) ١٥٥، ١٥٧، علل الدارقطني (٢/ ٩)، وشرح علل الترمذي لابن رجب (١٩٥)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٨٥)، وقال أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي: أدخله مالك في موطئه، وكنى عن اسمه فقال: أخبرني مخبر عن ابن عباس. وهو عكرمة.

ويقول سعيد بن جبير: لو كف عكرمة عن بعض حديثه؛ لشدت إليه المطايا[١].

وعن طاوس قال: لو ترك من حديثه، واتقى الله، لشد إليه الرحال[٢].

وقد أطلت في هذه المسألة؛ لأني أحسب أن ما نسب إليه من رأي الخوارج كان من القواصم في سيرته، التي قللت من تداول روايات هذا الإمام، وجعلت بعض الأئمة يتوقى الرواية عنه في التفسير، مع تقدمه في العلم، والرواية، في مدرسة مكة، حتى إن الإمام الثوري قدمه على غيره من تلاميذ ابن عباس.

إلا إن هذه التهمة قد كان لها الأثر السلبي في الواقع العملي لمرويات عكرمة، سواء ما كان عن طريق شيخه، أو من تفسيره، فبعضهم كان يرد كثيراً من أحاديثه، كما صنع مسلم.

وآخرون كانوا يسقطون اسمه، كما نجده عند ابن سيرين ومالك[٣].

بل إن بعض تلاميذه كان يأخذ عنه، ويتحرج من الرواية أو التصريح باسمه.

فعن رجاء بن أبي سلمة قال: سمعت ابن عون يقول: ما تركوا أيوب حتى استخرجوا منه ما لم يكن يريد (يعني: الرواية عن عكرمة)[٤].

وقال ضمرة: قيل لداود بن أبي هند: هل تروي عن عكرمة؟ قال: هذا عمل أيوب؛ قال: عكرمة، فقلنا: عكرمة[٥].

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ٢٨٨)، والتمهيد (٢/ ٢٩)، والكامل لابن عدي (٥/ ١٩٠٥)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٢٨٧)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٨٠).

(٢) التعديل والجرح (٣/ ١٠٢٤)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٦٨)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٦٩) (١١/ ٧٨٠).

(٣) وقد سبق بيان ذلك.

(٤) المعرفة والتاريخ (٢/ ٥)، والسير (٥/ ٢٥)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٨٦).

(٥) المعرفة والتاريخ (٢/ ٨).

وحكى البخاري عن عمرو بن دينار قال: أعطاني جابر بن زيد صحيفة فيها مسائل عن عكرمة، فجعلت كأني أتباطأ، فانتزعها من يدي، وقال: هذا عكرمة مولى ابن عباس، هذا أعلم الناس[١].

بل كان جابر بن زيد يحدث - أحيانًا - عن عكرمة ويقول: أخبرني عين عن ابن عباس[٢].

ولعل هذا مما يفسر لنا شيئًا من قلة روايات عكرمة عن ابن عباس، خاصة وأنه من أكثر تلاميذ ابن عباس أخذًا ورواية عنه - رضي الله عنه[٣] -.

بل ويفسر لنا أيضًا قلة تفسير عكرمة مقارنة بغيره من تلاميذ المدرسة[٤]، كما أن هناك أسبابًا أخرى نشير إليها:

ثالثًا: إكثاره من الرواية عن شيخه:

اشتغل برواية حديث أستاذه ابن عباس - رضي الله عنهما - فقد اشتغل عكرمة بالرواية عنه أكثر من الدراية[٥]. وكان عكرمة من أكثر مفسري التابعين في مكة عناية

---

(١) التاريخ الكبير (٧/ ٤٩)، والجرح (٧/ ٨)، والحلية (٣/ ٣٣٦)، والمعرفة (٢/ ٩)، والتمهيد (٢/ ٢٩)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٧٠).

(٢) المعرفة والتاريخ (٢/ ١٠)، والكامل لابن عدي (٥/ ١٩٠٧، ١٩٠٨).

(٣) بعد مراجعة الطبري، وجدت أن المروي من تفسير ابن عباس كان نصيب عكرمة من روايته (٠,٠٩)، في حين كان المروي عن طريق علي بن أبي طلحة (٠,٢٥)، وعن سعيد بن جبير (٠,١٢).

(٤) روي عن مجاهد من خلال تفسير الطبري (٦١٠٩) أقوال، وعن سعيد (١٠١٠) أقوال في حين كان المروي عن عكرمة (٩٤٣) قولاً.

(٥) هذا من المفارقات بينه، وبين صاحبه مجاهد، الذي أخذ كثيرًا عن ابن عباس لكنه لم يشتغل كثيرًا بالرواية ونقل تفسير ابن عباس، كما اشتغل بذلك عكرمة.
بل إن الكثير من التابعين، ومن بعدهم حرصوا على لقاء عكرمة لأخذ تفسير ابن عباس، لاهتمام عكرمة بنقل رواية تفسير شيخه.

بنشر علم شيخه، والتحديث به.

يقول أبو بكر المالكي: كان كثير الرواية عن مولاه وعليه معتمده[١].

وساق ابن عدي بسنده، عن سماك بن حرب، عن عكرمة قال: كل شيء حدثتك في التفسير، فهو عن ابن عباس[٢].

وأخرج ابن سعد عن أيوب قال: حدثني صاحب لنا قال: كنت جالسًا إلى سعيد، وعكرمة، وطاوس ـ وأظنه قال: وعطاء ـ في نفر، قال: فكان عكرمة صاحب الحديث عن ابن عباس[٣].

ولذا فقد كان حفاظ ابن عباس يجتمعون عند عكرمة يسألونه عن حديث ابن عباس[٤].

ولما سئل يحيى بن معين عن عكرمة، وعن نافع، قال: كان عكرمة أعلمهم بابن عباس، ونافع أعلمهم بابن عمر[٥].

وكان مجاهد أكثر ما يذكر عن ابن عباس مما فاته عنه، أخذه عن عكرمة[٦].

ولما قدم عكرمة على طاوس باليمن، حمله طاوس على نجيب، وأعطاه ثمانين دينارًا، فقيل لطاوس في ذلك، فقال: ألا أشتري علم ابن عباس لعبد الله بن طاوس بنجيب وثمانين دينارًا[٧].

(١) رياض النفوس (١/ ١٤٥).
(٢) الكامل (٥/ ١٩٠٨)، والإتقان (٢/ ٢٤٣).
(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ٢٩٠)، والتمهيد (٢/ ٣٠)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٧٢).
(٤) تاريخ دمشق (١١/ ٧٧٢)، وطبقات الحفاظ (٣٧).
(٥) رياض النفوس (١/ ١٤٥).
(٦) الإرشاد (١/ ٣٢٣).
(٧) تاريخ دمشق (١١/ ٧٧٥)، والتمهيد (٢/ ٣١)، والعلم لأبي خيثمة (١٤٠)، وطبقات ابن سعد (٥/ ٢٨٩)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٠).

ولما مات ابن عباس وعكرمة عبد، باعه علي بن عبد الله بن عباس، فقيل له: تبيع علم أبيك؟ فاسترجعه[١].

ومع هذا فقد كان تحديثه عمن دونه أو مثله قليلاً، فإن أكثر حديثه عن ابن عباس، والصحابة.

يقول أحمد بن زهير: ولم يحدث عكرمة عمن دونه أو مثله، حديثه أكثره عن الصحابة[٢]، وكان هذا من الأسباب التي تلتمس في قلة المروي من تفسير عكرمة، فقد صرف جهده ووسعه في رواية علم وتفسير حبر الأمة وترجمان القرآن - رضي الله عنه[٣] -.

رابعًا: قلة المتخصصين في نقل تفسيره:

وهناك سبب رابع قد يضاف إلى ما سبق ألا وهو: قلة التلاميذ الذين تخصصوا لرواية تفسيره، والعناية به، وقد يكون لكثرة أسفاره وجولاته في البلاد أثرًا في ذلك؛ ولذا قلَّ عدد المروي عنه[٤].

---

(١) التمهيد (٢/ ٣١)، والمعارف (٢٠١)، ورياض النفوس (١/ ١٤٥)، والمنتظم (٧/ ١٠٢)، والشذرات (١/ ١٣٠).

(٢) الكامل لابن عدي (٥/ ١٩٠٧)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٨٠)، والسير (٥/ ٣٠)، وهدي الساري (٤٢٩).

(٣) وعند المقارنة نجد أن عكرمة، قد فاق مجاهداً، وعطاء في نسبة ما روى من تفسير ابن عباس، فقد روى عكرمة ما نسبته (٠,٠٩) في حين لم يرو مجاهد إلا (٠,٠٣)، وعطاء (٠,٠٢) من مجموع تفسيره، ومع أن سعيد بن جبير قد روى عنه (٠,١٢) من مجموع تفسير ابن عباس وفاق عكرمة، فلعل السبب الرئيس في ذلك أن بعض الأئمة اتقى روايات عكرمة. وقد شهد لعكرمة بالتقدم في التفسير جمع من الأئمة، وقد فضله بعضهم على مجاهد.

(٤) بعد المقارنة وجدت أن مجاهداً تخصص في رواية تفسيره ابن أبي نجيح، فروى ما يزيد عن (٠,٥٦) من تفسيره، وروى ابن جريج (٠,١٥)، في حين روى ابن جريج (٠,٥٠) من تفسير عطاء، وجعفر بن أبي المغيرة روى (٠,١٢) من تفسير سعيد.
وأما عكرمة فكان أكثر من روى عنه ابن جريج، ولم تزد نسبة ما رواه عنه عن (٠,٠٨) من مجموع تفسيره.

وفاته :

استقر عكرمة في آخر حياته بالمدينة، وسكن بها، ولم يرض أهل المدينة عنه، ويشهد لهذا عزوف الكثير منهم عن حضور جنازته.

فقد روى إسماعيل بن أبي أويس عن مالك بن أنس عن أبيه قال: أتي بجنازة عكرمة مولى ابن عباس، وكُثَيِّر عزة، بعد العصر، فما علمت أن أحداً من أهل المسجد حل حبوته إليهما[١].

قال الذهبي: ولم يفعلوا ذلك إلا عن بلية كبيرة في نفوسهم له ـ رضي الله عنه[٢]ـ.

وقد روى البخاري، وابن المديني قالا: مات عكرمة بالمدينة سنة أربع ومائة. وزاد الفسوي في تاريخه: فما حمله أحد، اكتروا له أربعة[٣].

وقد اختلف في سنة وفاته، فذهب الأكثرون إلى أنه توفي سنة ١٠٧ هـ، قاله أبو نعيم، واختاره الذهبي، وابن كثير، وغيرهم[٤].

وذهب ابن المديني، والبخاري، والفسوي إلى أنه توفي سنة أربع ومائة[٥].

ورجح خليفة، وابن قتيبة، وابن قنفذ، وابن الجوزي، أنه توفي سنة خمس

---

(١) تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٩٠)، والسير (٥/ ٣٣)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٩٠)، وتاريخ الإسلام (١٨١).

(٢) السير (٥/ ٣٤).

(٣) التاريخ الصغير (١/ ٢٥٧)، والمعرفة (٢/ ٦)، والسير (٥/ ٣٤).

(٤) التاريخ الصغير (١/ ٢٤٣)/ ٢٥٨)، ودول الإسلام (١/ ٧٥)، والعبر (١/ ١٠٠)، وتاريخ الخميس (٢/ ٣١٩).

(٥) التاريخ الصغير (١/ ٢٥٧)، والمعرفة (٢/ ٦).

ومائة[١] .

وقال ابن حبان : وكان عمره أربعًا وثمانين سنة[٢] .

❁ ❁ ❁

(١) طبقات خليفة (٢٨٠)، وتاريخ خليفة (٣٣٦)، والمعارف (٢٠١)، والوفيات لابن قنفذ (١٠٦)، والمنتظم (٧/ ١٠٢).

(٢) مشاهير علماء الأمصار (٨٤)، ورجال مسلم (٢/ ١١٠).

عطاء بن أبي رباح

هو أبو محمد القرشي، مولاهم المكي[١]، ويقال: ولاؤه لبني جُمح[٢]، كان من مولَّدي الجُند[٣]، ولد في أثناء خلافة عثمان، ونشأ بمكة[٤].

قال علي بن المديني: اسم أبي رباح: أسلم مولى حبيبة بنت ميسرة ابن أبي خثيم[٥]، وعطاء معدود من كبار التابعين، أدرك مائتين من أصحاب رسول الله ﷺ[٦].

أسباب قلة الرواية عند عطاء:

ومع أن عطاء من مشاهير مدرسة مكة، إلا إنه من أقلهم خوضًا في التفسير دراية،

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٨)، وطبقات خليفة (٢٨٠)، والمعارف (١٩٦)، والتاريخ الكبير (٦/ ٤٦٣)، والجرح (٦/ ٣٣٠)، والحلية (٣/ ٣١٠)، والثقات (٥/ ١٩٨)، وتهذيب الأسماء (١/ ٣٣٣)، ذيل المذيل (١٣/ ١٢٠).

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٧)، وطبقات خليفة (٢٨٠)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٦١)، والعقد الثمين (٦/ ٨٤)، وصفة الصفوة (٢/ ٢١١)، والجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٣٨٥).
وبنو جُمح بطن من قريش، انظر اللباب في تهذيب الأنساب (١/ ٢٩١)، وأنساب القرشيين (٥٤).

(٣) بلدة مشهورة باليمن، بينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخًا، ينظر معجم ما استعجم (١/ ٣٩٧)، ومعجم البلدان (٢/ ١٧٠).

(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٧)، والجرح (٦/ ٣٣٠)، ومشاهير علماء الأمصار (٨١)، والثقات (٥/ ١٩٩)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٦١)، وتهذيب الأسماء (١/ ٣٣٣)، والتذكرة (١/ ٩٨).

(٥) تهذيب الكمال (٢٠/ ٧٥)، والسير (٥/ ٨٠)، وتاريخ ابن معين (٢/ ٤٠٣)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٠٢)، ورجال صحيح البخاري (٢/ ٥٦٦).

(٦) التاريخ الكبير (٦/ ٤٦٤)، والبداية (٩/ ٣٤٣)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٧٧)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٠٠)، وتاريخ دمشق (١١/ ٦٣١)، وطبقات الحفاظ (٣٩).

ورواية[١] ، ولعل من أهم الأسباب في ذلك :

١ ـ تحرجه من تفسير القرآن برأيه :

كان من الأسباب الرئيسة لإقلال عطاء في التفسير ، تحرجه من القول فيه برأيه ، وقد اتضح ذلك في منهجه ، ومسلكه ، وتميز بهذا بين مشاهير أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما .

ويروي لنا ذلك أقرب الناس إليه ، وأعرفهم بحاله ، تلميذه ابن جريج ؛ فيقول : كنت أسأل عطاء عن كل شيء يعجبني ، فلما سألته عن البقرة ، وآل عمران ، أو عن البقرة ، قال : أعفني عن هذا ، أعفني عن هذا[٢] .

وكان يغلب الأثر ، والسماع ، على الرأي ، فيتحرج في كثير من المسائل أن يقول فيها برأيه .

فعن عبد العزيز بن رفيع قال : سئل عطاء عن شيء ، قال : لا أدري . قال : قيل له : ألا تقول فيه برأيك؟ قال : إني أستحي من الله أن يُدان في الأرض برأي[٣] .

وكان يقول : لا أدري نصف العلم[٤] .

ومما جاء عنه أنه سأله ابن جريج عن قوله : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ** ﴾[٥] . فيمن نزلت؟ قال : لا أدري[٦] .

---

(١) المروي عن مجاهد (٦١٠٩) أقوال ، وعن سعيد (١٠١٠) أقوال ، وعن عكرمة (٩٤٣) قولاً ، وعن عطاء (٤٨٠) قولاً : ومع هذا فثلث المروي منها جاء في تأويل آيات الأحكام .

(٢) العلل لأحمد (٢/ ١٣١) ١٧٨٢ .

(٣) سنن الدارمي (١/ ٤٧) ، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٨٢) ، وتاريخ دمشق (١١/ ٦٤٥) ، والتهذيب (٧/ ٢٠٢) .

(٤) السير (٥/ ٨٥) .

(٥) سورة البقرة : آية (٢١٧) .

(٦) تفسير الطبري (٤/ ٣١٠) ٤٠٩١ .

وعن حبيب بن أبي ثابت قال: أرسلت إلى عطاء أسأله عن المُولي[١]، فقال: لا علم لي به[٢].

وما كان قوله: لا أدري، عن عجز مطلق كما يُتوهم؛ ولكن يقول: لا أدري، عندما يكون الذي وصل إليه ظنًا، لا ينبغي عنده إعلانه.

والمتتبع لما روي عنه يجد أن كثيراً من تفسيره جاء من طريق صاحبه ابن جريج[٣]، وأن غالب ما ورد عنه من الآراء والتفاسير التي أخذها منه، كان جوابًا لما يسأل عنه، ولم يتحدث به عن عطاء ابتداءً[٤].

وقد ذكر أبو بكر بن عياش، أن عطاء كان لا يتكلم حتى يُسأل[٥].

وكان ـ رحمه الله ـ من أكثر أصحاب ابن عباس ـ أخذًا وتفسيراً للآية بظاهر نصها، من ذلك ما روي عنه في تفسيره لقوله جل ثناؤه: ﴿ **أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾[٦].

قال عطاء: يفطر من المرض كله كما قال الله تعالى[٧].

---

(١) المُولي: الحالف الذي يحلف على اعتزال امرأته. ينظر تفسير الطبري (٤/ ٤٥٦ ـ ٤٦٥).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٤٩٧) ٤٦٦٣، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٤٤٩).

(٣) حيث روى (٥٠ ، ٠) من تفسير عطاء، ولازمه أكثر من ثماني عشرة سنة.

(٤) هذا من المفارقات بينه، وبين أقرانه من تلاميذ ابن عباس؛ حيث نجد ابن جريج يروي عن مجاهد، وعكرمة، وسعيد، ولكننا نلاحظ أنه في الرواية عن أولئك يقول: سمعت مجاهداً وعكرمة وسعيداً، أما في كثير مما يرويه عن عطاء فيقول: سألت عطاء عن كذا، فقال: كذا.

(٥) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٧٥).

(٦) سورة البقرة: آية (١٨٥).

(٧) رواه البخاري تعليقًا في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾، وأشار ابن حجر إلى وصله في التغليق من طريق عبد الرزاق عن عطاء بنحوه. وينظر التغليق (٤/ ١٧٦) ٦٥٦٨، والفتح (٨/ ١٧٩)، والمصنف لعبد الرزاق (٤/ ٢١٩).

وعند قوله جل وعلا: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[١].

عن ابن جريج قال: قال عطاء: لو أن حاجًا أفاض بعد رمي جمرة العقبة، فطاف بالبيت ولم يسع فأصابها ـ يعني امرأته ـ لم يكن عليه شيء، لا حج ولا عمرة؛ من أجل قول الله في مصحف ابن مسعود: «فمن حج البيت، أو اعتمر، فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما» فعاودته بعد ذلك فقلت: إنه قد ترك سنة النبي ﷺ، قال: ألا تسمعه يقول: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فأبي أن يجعل عليه شيئًا»[٢].

وعن ابن جريج قال: قلت لعطاء: قوله تعالى ذكره: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾[٣]؟ قال: مثل ما ذكره الله تعالى ذكره[٤].

وعنه قال: سُئل عطاء عن رجل صلى ولم يتمضمض، قال: ما لم يسمَّ في الكتاب يُجزئه[٥].

وقد ذكر النووي شيئًا من غريب إفتائه يدل على ما سبق.

من ذلك قوله: إذا أراد الإنسان سفرًا، فله القصر قبل خروجه. ومنها: إذا كان العيد يوم الجمعة وجبت صلاة العيد، ولا يجب بعدها لا جمعة ولا ظهر، ولا صلاة بعد العيد إلا العصر[٦].

ومع هذا الإقلال في إعمال الرأي، فإنه كان إذا قال في المسألة من اجتهاده، بيَّنه

---

(١) سورة البقرة: آية (١٥٨).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٤١) ٢٣٥٦، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن عطاء مختصرًا (١/ ٣٨٧).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٣٣).

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٦٥) ٥٠٤٠، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد عن ابن جريج عن عطاء بزيادة في آخره (١/ ٦٨٩).

(٥) تفسير الطبري (١٠/ ٢٩) ١١٣٦٢.

(٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٤٤)، والعقد الثمين (٦/ ٨٦).

ووضحه، فعند قوله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾[١] قال ابن جريج: قلت لعطاء: ما عدل ذلك صيامًا؟ قال: عَدْل الطعام من الصيام. قال: لكل مُدّ يومًا، يأخذ زعم بصيام رمضان، وبالظهار. وزعم أن ذلك رأي يراه، ولم يسمعه من أحد، ولم تمض به سُنة[٢].

ولعل هذا البعد عن الرأي، كان بسبب كثرة اشتغاله بعلم الأثر والحديث، فاستغنى بمحفوظه عن الرأي في كثير مما يعرض له.

ولذا قال الشافعي: ليس من التابعين أحد أكثر اتباعًا للحديث من عطاء[٣].

وكان لاتصاله برجالات مدرسة المدينة، أكبر الأثر في تأكيد هذا المعنى في نفسه، فقد رحل إلى مدينة الحديث والأثر، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وتأثر بها، ويدل لذلك ما رواه عمرو بن دينار قال: لم يزالوا متناظرين (يعني: أصحاب ابن عباس) حتى خرج عطاء بن أبي رباح إلى المدينة، فلما رجع إلينا، استبان فضله علينا[٤].

ولعل مما يؤكد حبه للأثر والحديث. وكثرة اشتغاله بهما، توسعه في الرواية وأخذه عن كل من حدثه؛ ولذا اعتبر العلماء مراسيله من أضعف المراسيل؛ لأنه يأخذ عن كل أحد.

يقول يحيى بن سعيد القطان: مرسلات مجاهد أحب إلينا من مرسلات عطاء

---

(١) سورة المائدة: آية (٩٥).

(٢) تفسير الطبري (١١/ ٤٥) ١٢٦٣٠.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٣٣)، وتاريخ دمشق (١١/ ٦٤٤)، وترتيب المدارك (١/ ٦٣).

(٤) المعرفة والتاريخ (١/ ٤٤٣)، وتاريخ دمشق (١١/ ٦٣٩)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٧٨)، والسير (٥/ ٨٢).

بكثير، كان عطاء يأخذ من كل ضرب[١].

وقال أحمد: ليس في المرسل أضعف من مرسل الحسن، وعطاء؛ كانا يأخذان عن كل أحد[٢].

٢ ـ اشتغاله بالفقه، والإفتاء:

كانت عناية عطاء القصوى متجهة إلى الفقه، والفتوى، لا سيما ما يتعلق بأحكام الحج ومناسكه[٣]، وقد غلب هذا على منهجه، ومسلكه، بل تميز بين أصحاب ابن عباس بذلك، وفاقهم فيه[٤].

يقول ربيعة الرأي: فاق عطاء أهل مكة في الفتوى[٥].

بل كان ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ يقول لأهل مكة: تجتمعون عليَّ وعندكم عطاء[٦]؟!.

---

(١) الميزان (٣/ ٧٠)، والتهذيب (٧/ ٢٠٢)، والعقد الثمين (٦/ ٨٥)، وقواعد في علوم الحديث للتهانوي (١٥٦).

(٢) المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٣٩)، والسنن الكبرى للبيهقي (٦/ ١٣٧)، وميزان الاعتدال (٣/ ٧٠)، وبحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم (٦٤).

(٣) بعد مراجعة تفسير الطبري وجدت مجموع ما روي عنه (٤٨٠) قولاً، منها (١٦٠) رواية في تفسير آيات الأحكام، (٩٦) قولاً منها في آيات الحج، أي: أن ما نسبته (٦٠, ٠) من تفسيره الفقهي كان عن الحج، ومناسكه.

(٤) إذ بلغت نسبة ما روى عنه في تفسير آيات الأحكام (٣٣, ٠) من مجموع ما روى عنه في التأويل. في حين بلغت عن مجاهد ما يقرب من (٠٣, ٠)، وعن عكرمة (٠٤, ٠)، وعن سعيد (٠٩, ٠) من مجموع تفسيرهم.

(٥) الجرح (٦/ ٣٣٠)، والتعديل والتجريح (٣/ ١٠٠٢)، وتهذيب الأسماء (٣٣٤/ ١)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٧٨)، والعقد الثمين (٦/ ٨٥).

(٦) التذكرة (١/ ٩٨)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٧٧)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٧٢)، والتهذيب (٧/ ٢٠١)، والسير (٥/ ٨١).

وكان ابن عمر يقول: تجمعون لي المسائل، وعندكم عطاء[١] ؟!.

ويقول ابن سعد: وقد انتهت فتوى أهل مكة إليه[٢].

وكان قتادة يقول: إذا اجتمع لي أربعة لم ألتفت إلى غيرهم، ولم أبال من خالفهم: الحسن، وابن المسيب، وإبراهيم، وعطاء، هؤلاء أئمة الأمصار[٣].

ويقول الإمام الأوزاعي: ذهب عليهم الحسن بالمواعظ، وذهب عطاء بالمناسك[٤].

وعن أبي جعفر قال: ما بقي على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحج من عطاء[٥]، وكانوا يأمرون مناديًا يصيح في موسم الحج: لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح[٦]. بل بلغ من رفعة شأنه في هذا أن خالد بن عبد الله القسري لما أمر بفقهاء أهل مكة أن يلقوا في السجن: عطاء، وعمرو بن دينار، وطلق بن حبيب، وصهيب مولى ابن عامر، فكُلِّم في عطاء أن يخرج في أيام الموسم ليفتي الناس، فلما رآه أهل مكة كبّروا[٧].

وتميز منهجه في تأويله لآيات الحج ومناسكه، باليسر والسهولة، والقول بعموم

---

(١) الحلية (٣/ ٣١١)، والجرح (٦/ ٣٣٠)، والمعرفة (١/ ٧٠٣)، وتهذيب الأسماء (١/ ٣٣٤)، والبداية (٩/ ٣٤٦)، وتاريخ دمشق (١١/ ٦٣٧).

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٧٠)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٦١)، والعقد الثمين (٦/ ٨٥)، ورجال صحيح مسلم (٢/ ١٠٠)، وطبقات الحفاظ (٣٩).

(٣) تهذيب الأسماء (١/ ٣٣٣)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٧٩)، وتاريخ دمشق (١١/ ٦٤٠)، وتاريخ الإسلام (ح ١١٤ هـ/ ٤٢٢)، والبداية (٩/ ٣٤٤)، وطبقات الحفاظ (٣٩).

(٤) العلل لأحمد (١/ ٤٩٢) ١١٤٠.

(٥) العلل لأحمد (٣/ ٤٤٤) ٥٨٨٨، والمعرفة (١/ ٧٠٣)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٣٨٦)، (٥/ ٤٦٨)، والتعديل (٣/ ١٠٠٢)، ومعرفة علماء الحديث (١/ ١٧٢).

(٦) المعرفة (١/ ٧٠٢)، والتاريخ الكبير (٦/ ٤٦٤)، والمنتظم (٧/ ١٦٥)، والبداية (٩/ ٣٤٤)، وتاريخ دمشق (١١/ ٦٣٧ـ٦٣٩)، ومرآة الجنان (١/ ٢٧٠).

(٧) العلل لأحمد (٢/ ٤٦٨) ٣٠٧٠.

لفظ الآية، وترك كثير من القيود التي كان يحتاط بها الفقهاء من التابعين ومن بعدهم.

ومن أمثلة ذلك: ما جاء عنه، عند قوله سبحانه: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[١].

فعن ابن جريج قال: قال عطاء: لو أن حاجًا أفاض بعد رمي جمرة العقبة، فطاف بالبيت، ولم يسع، فأصابها ـ يعني: امرأته ـ لم يكن عليه شيء، لا حج ولا عمرة[٢].

فكان عطاء يرى أن سعي الإفاضة تطوع، ولا شيء على من تركه.

وعن أحمد بن محمد الشافعي قال: كانت الحلقة في الفتيا بمكة في المسجد الحرام لابن عباس، وبعد ابن عباس عطاء بن أبي رباح[٣].

ومما يشهد لهذا البروز في الفتيا والنبوغ في الفقه، اعتماد كثير من كتب الفروع على أقواله الفقهية، وإكثارهم في إيراد آرائه، فنجده مثلاً يأتي في المرتبة الأولى من بين تابعي المدرسة المكية في مغني ابن قدامة من حيث كثرة المروي عنه، وفي المرتبة الثانية من بين التابعين عمومًا[٤]، وكان أكثر حديثه في الحج، ومناسكه، فقد حج أكثر من سبعين حجة[٥].

وشهد له كثير من الأئمة بالإمامة في هذا الباب، يقول عبد العزيز بن أبي حازم عن

(١) سورة البقرة: آية (١٥٨).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٤١) ٢٣٥٦، وتقدم قريبًا.

(٣) الحلية (٣/ ٣١١)، وصفة الصفوة (٢/ ٢١٢)، والبداية (٩/ ٣٤٥)، وتاريخ دمشق (١١/ ٦٤٠).

(٤) جاء عطاء في المرتبة الثانية بعد الحسن في عموم ما جاء عن التابعين في المغني، فقد ورد ذكر الحسن في (٩١٢) موضعًا، في حين ذكر عن عطاء (٧٣٨) موضعًا، ثم إبراهيم النخعي في (٦٩٦) موضعًا، ثم الشعبي في (٥٠١) موضع، وغيرهم أقل منهم في ذلك.

(٥) وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٣)، وتهذيب التهذيب (١/ ٣٣٣)، وتاريخ دمشق (١١/ ٦٤١)، وغاية النهاية (١/ ٥١٣)، والعقد الثمين (٦/ ٨٦).

أبيه: ما أدركت أحدًا أعلم بالحج من عطاء[١].

وقال قتادة: أعلم الناس بالحلال والحرام الحسن، وأعلمهم بالمناسك عطاء بن أبي رباح، وأعلمهم بالتفسير عكرمة[٢].

وعنه قال: عطاء أعلم أهل زمانه بالمناسك[٣].

وكان يتأول الإحصار في قوله: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[٤]. بأن الإحصار: كل شيء يحبسه[٥].

ومن ذلك أيضًا أنه لما سأله ابن جريج عن قوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾[٦]، ما «أذى من رأسه»؟ قال: القمل وغيره، والصداع، وما كان في رأسه[٧].

هذه صور ونماذج لما روي عن عطاء تدل علي تسهيله، وبعده عن التشديد في آيات الأحكام، وأخذ الحكم من ظاهر الآية، وكان هذا المنهج سمة غالبة على تلاميذ ابن عباس، ولا سيما في مسائل الحج والعمرة وأحكامهما.

---

(١) المعرفة (١/ ٧٠٢)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٧٨)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٠١)، وتاريخ دمشق (١١/ ٦٣٨).

(٢) المعرفة (١/ ٧٠٢)، ووفيات الأعيان (٢/ ٢٦١)، وتاريخ دمشق (١١/ ٦٣٨).

(٣) تاريخ دمشق (١١/ ٦٣٨)، وطبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٨).

(٤) سورة البقرة: آية (١٩٦).

(٥) تفسير الطبري (٤/ ٢٢) ٣٢٢٩، وأخرجه البخاري معلقًا في صحيحه، في كتاب أبواب العمرة باب المحصر، عن عطاء بنحوه، وأشار ابن حجر في الفتح إلى وصله من طريق عبد بن حميد عن عطاء بنحوه (٤/ ٣)، وأخرجه الثوري في تفسيره عن عطاء بنحوه (٦١).

(٦) سورة البقرة: آية (١٩٦).

(٧) تفسير الطبري (٤/ ٥٤) ٣٣٢٣، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى وكيع وعبد بن حميد وابن جرير، عن عطاء بنحوه (١/ ١٥)، ولمزيد من الأمثلة يراجع تفسير الطبري الآثار ذوات الأرقام: ١٩٩٢، ٣٣٠٣، ٣٤٠١، ٣٤٧٨، ٣٥١١، ٣٩٢٩، وغيرها.

وهذا الاشتغال بالفقه، والإفتاء، كان من أسباب قلة تفرغه لعلم التفسير، مع ما كان عنده من الهيبة والورع في جانب التأويل، ولذا يجد المراجع لترجمته، أن كثيراً ممن ترجم له قدم ترجمته بإبراز المعالم الواضحة في شخصيته، فاتفقت كلمة كثير من المحققين، والمؤرخين، في تصدير ترجمته بقولهم: فقيه الحرم[١]، مفتي أهل مكة[٢]، فقيه الحجاز[٣].

كما نجد في المقابل أن من تعرض لبيان طبقات المفسرين من التابعين، ومن بعدهم، لم يعرض لترجمة عطاء، مع تعرضه لترجمة غيره من أصحاب ابن عباس[٤].

٣ ـ قلة الناقلين لتفسيره :

كان مجلس عطاء من مجالس العلم التي قلَّ الحاضرون فيها، والشاهدون لها، فما كان يشهد مجلسه إلا تسعة، أو ثمانية، كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم[٥].

يقول الإمام الأوزاعي: كان عطاء من أرضى الناس عند الناس، وما كان ينهد[٦] إلى مجلسه إلا سبعة، أو ثمانية[٧].

---

(١) الحلية (٣/ ٣١٠)، والسير (٥/ ٧٨).

(٢) تاريخ الثقات (٣٣٢)، وتهذيب الأسماء (١/ ٣٣٣)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٧٠).

(٣) دول الإسلام (٧٩)، والعبر (١/ ١٠٨)، ومرآة الجنان (١/ ٢٧٠)، وتاريخ الخميس (٢/ ٣١٩).

(٤) كما نجد ذلك عند مراجعة كتاب طبقات المفسرين للداودي حيث ذكر ترجمته لمجاهد، وعكرمة، وسعيد، وغيرهم، ولم يذكر عطاء لعده من الفقهاء.

(٥) الحلية (٣/ ٣١١)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٤٤٩)، والمعرفة (١/ ٧٠٢)، وتهذيب الأسماء (١/ ٣٣٣)، والتذكرة (١/ ٩٨)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٨٠)، والبداية (٩/ ٣٠٦).

(٦) ينهد أي: ينهض، النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٣٤).

(٧) تاريخ أبي زرعة (٢/ ٧٢١)، وأبو نعيم في الحلية بلفظ: وكان أكثر من يسند إليه (٣/ ٣١١)، وذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق باللفظين (١١/ ٦٤٢).

وزاد في رواية عنه : وما كان أكثرهم من يهتدي إليه[١] .

قلت : ولكن ابن جريج ممن اهتدى إليه، وأطال في ملازمته، واستخرج كثيراً من علمه بالسؤال، وأحسب أنه لولا هذا المسلك الذي سلكه ابن جريج مع عطاء لضاع كثير من علمه .

وابن جريج قد حدث عن عطاء فأكثر وجود[٢] ، ولازمه أكثر من ثماني عشرة سنة[٣] .

وعده الإمام أحمد من أثبت الناس في عطاء، هو وعمرو بن دينار[٤] .

وبلغ من شدة إتقانه لحديث عطاء، أن قال الثوري عنه : ما ترك ابن جريج أحداً سمع من عطاء إلا فضحه[٥] .

فعناية ابن جريج وإتقانه في روايته عن عطاء ، وكثرة سؤاله له، أبقت على بقية من علم عطاء .

٤ ـ ضعف اعتماده على اللغة في تفسيره :

قد يكون هذا من الأسباب المفضية إلى قلة الوارد، وندرة المروي عنه، فإن المتأمل لتفسيره يلحظ أن اتكاءه على لغة العرب كان قليلاً، فإن رمت شاهداً من أشعار البلغاء، أو حجة من كلام الفصحاء، لم تكد تظفر بطائل، كما إنه لم يرد عنه القول بوقوع المعرب في الفرقان إلا في موضع فذ[٦] .

(١) المعرفة (١/ ٧٠٢)، وتاريخ دمشق (١١/ ٦٤٢).
(٢) السير (٦/ ٣٢٦).
(٣) المعرفة (١/ ٧٠٣)، والحلية (٣/ ٣١٠)، وتاريخ دمشق (١١/ ٦٤٣)، وصفة الصفوة (٢/ ٢١٣).
(٤) العلل لأحمد (٢/ ٤٩٦) ٣٢٧٢ ، (٣/ ٢١٩) ٤٩٥٠ .
(٥) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤٥٠)، والمعرفة (٢/ ٢١).
(٦) لم يرد عنه إلا رواية واحدة في تفسير «أواه» قال : الموقن بلغة الحبشة، ينظر تفسير الطبري (١٤/ ٥٢٨) ١٧٣٩٥ .

ولم يكن هذا الشح في الأشعار، والندر في لغة العرب زهداً منه في ذلك، بل كان لعدم تضلعه في العربية، وقد عرف ذلك من نفسه ـ رحمه الله ـ وأقرَّ به، فقال: وددت أني أحسن العربية. قال ذلك وهو يومئذ ابن تسعين سنة[١].

ما انفرد به من أمور في منهجه:

وبعد هذا البيان لأهم الأسباب التي كانت وراء قلة المروي عن عطاء في التفسير، أحب أن أشير إلى جملة من الأمور في منهجه، انفرد بها عن أصحاب ابن عباس منها:

١ ـ قلة اعتماده على روايات بني إسرائيل:

تميز ـ رحمه الله ـ بمنهج فريد بين سائر التابعين، وعلى الأخص بين المكيين؛ فالمدرسة المكية من أكثر المدارس توسعًا في الرواية عن بني إسرائيل؛ ولكن عطاء خالفها مخالفة بينة واضحة في كم المروي ونوعه[٢].

فعند مراجعة ما روي عنه في التفسير، نجده في كثير من المواضع التي روي فيها شيء من الإسرائيليات عن التابعين قد أعرض عنها، فعند مروره بتأويل سورة البقرة ـ في قصة عداوة آدم وإنزاله إلى الأرض ـ ضرب صفحًا عما جاء في قصة البقرة من روايات، ولما مرّ بقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾[٣] تلك الآية التي ورد فيها العديد من الروايات عن الصحابة والتابعين[٤]، قال عندها: نراه: ما

---

(١) تهذيب الكمال (٢٠/ ٨٤)، والسير (٥/ ٨٧)، والعقد الثمين (٦/ ٨٦)، وتاريخ دمشق (١١/ ٦٤٩).

(٢) حيث روي عنه ما نسبته (٠١, ٠) من مجموع تفسيره، في حين روي عن مجاهد، وعكرمة (٠٣, ٠) من مجموع تفسيرهما، وروي عن سعيد (٠٦, ٠) من مجموع تفسيره.

(٣) سورة البقرة: آية (١٠٢).

(٤) ورد في ذلك العديد من الروايات عن الصحابة كعلي، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم من التابعين مثل مجاهد، وسعيد، والربيع، والسدي، وقتادة. وكثير من هذه الروايات فيها من نكارة الخبر ما يوجب رده. ينظر تفسير الطبري (٢/ ٤٠٥ ـ ٤٣٦).

تُحدِّث. ولم يزد على ذلك[١].

بل ويتضح منهجه المتميز أكثر عندما مرَّ بقصة الذين خرجوا من ديارهم، نجد أنه تعامل مع القصة على ظاهرها القرآني، ولم يرض عما جاء فيها من روايات، ولم يعتمده، ولذا خالف جمهور المفسرين[٢]، عندما فسر قوله تعالى ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٣] قال: ما يعرفون من الآيات، يسكنون إليها[٤].

وعندما مرَّ بقوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾[٥] قال في تفسير البقية: العلم والتوراة[٦].

في حين روي عن كثير من التابعين أن البقية هي: عصا موسى ورُضاض الألواح[٧].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤١٠) ١٦٥٣.

(٢) قال علي بن أبي طالب: هي ريح هفافة، لها وجه كوجه الإنسان، ينظر تفسير الطبري (٥/ ٣٢٦) ٥٦٦٥-٥٦٧١، وزاد المسير (١/ ٢٩٤).
وقال مجاهد: السكينة: لها رأس كرأس الهر وجناحان، ينظر تفسير الطبري (٥/ ٣٢٧) ٥٦٧٢-٥٦٧٥، وزاد المسير (١/ ٢٩٤).
وقال ابن عباس، والسدي: هي طست من ذهب من الجنة، كان يغسل فيه قلوب الأنبياء. ينظر تفسير الطبري (٥/ ٣٢٨) ٥٦٧٨، ٥٦٧٩، وزاد المسير (١/ ٢٩٤).
قال ابن جرير معلقًا على هذا الخلاف: وأولى هذه الأقوال بالحق في معنى الآية ما قاله عطاء ابن أبي رباح (٥/ ٣٢٩).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٤٨).

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٣٢٩) ٥٦٨٢.

(٥) سورة البقرة: آية (٢٤٨).

(٦) تفسير الطبري (٥/ ٣٣٤) ٥٦٩٩، وزاد المسير (١/ ٢٩٥).

(٧) قاله ابن عباس، وقتادة، والسدي، والربيع، تفسير الطبري (٥/ ٣٣١)، (٥٦٨٥-٥٦٩١)، وزاد المسير (١/ ٢٩٥).
وانظر بعض الأقوال القريبة من ذلك في تفسير الطبري (٥/ ٣٣٢)، (٥٦٩٤-٥٦٩٨)، وزاد المسير (١/ ٢٩٥).

وعندما مرَّ بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾[١]، لم يذكر شيئًا من الإسرائيليات المروية في ذلك[٢]، إنما قال: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾[٣].

وعطاء ـ رحمه الله ـ لم يرد عنه سوى خمس روايات إسرائيلية، أربع منها في قصة بناء الكعبة[٤]، مع أنه ـ رحمه الله ـ عاش في وسط الشيوخ والأقران الذين أكثروا من النقل، والرواية عن أهل الكتاب، ومع ذلك كله تميز منهجه بالإعراض، والتحرز الشديد من قبول شيء منها أو روايته.

كما أن مما يشار إليه هنا، أن تلميذه الخاص الذي عني بنقل جل تفسيره ابن جريج، والذي صحبه ثمانية عشر عامًا، كان من المهتمين والمكثرين من الرواية عن بني إسرائيل، ولو وجد شيئًا من ذلك عن شيخه، وعن أقرب الناس إليه لكان به أسعد، وله أروى، ولكنه لم يجد من ذلك شيئًا. مما يدل على أن إعراض عطاء كان نتاج منهج، ومسلك اتخذه لنفسه.

ذكرت هذا للتأكيد على نقطة تميز بها عطاء عن غيره من التابعين، كعامر الشعبي الذي قاربه في هذا المسلك، لكن يظل هناك فارق رئيس بينهما، ألا وهو أن عامرًا الشعبي في مدرسة كانت بعيدة كل البعد عن الرواية عن بني إسرائيل، على عكس البيئة، والمدرسة التي تتلمذ فيها عطاء، واستفاد منها.

٢ ـ قلة الملازمة والمصاحبة لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ :

فعند الرجوع لكتب التراجم، والسير، والتاريخ، لا نجد شيئًا من الإشارة إلى

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٦٠).
(٢) تفسير الطبري (٥/ ٤٨٦ ـ ٤٩٠).
(٣) تفسير الطبري (٥/ ٤٩٠) ٥٩٧٢، وزاد المسير (١/ ٣١٣).
(٤) تفسير الطبري (٣/ ٥٧ ـ ٦١) ٢٠٣٧، ٢٠٤١، ٢٠٤٥، ٢٠٤٧.

طول ملازمة أو كثرة رواية من عطاء[١] لابن عباس، إلا ما قيل أن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: يا أهل مكة تجتمعون علي وعندكم عطاء.

أما غير ذلك فلا نجد شيئًا، بخلاف ما ذكر من أحوال بقية أصحابه، كمجاهد، وعكرمة، وسعيد، وغيرهم، من طول مصاحبة، وكثرة تردد، ومجالسة، ومساءلة، ولعل هذا مما يفسر الفرق والتباين في المنهج بين عطاء وغيره من أصحاب ابن عباس الذين كان تأثرهم به أكثر.

بل إن مما ظهر لي أن بعض كبار التابعين كأبي العالية البصري - مع أنه بصري - فإنه تأثر بأقوال ابن عباس وتفسيره أكثر من تأثر عطاء.

كما أن هذا مما يفسر، ويوضح قصر باع عطاء في التفسير، وقلة المروي عنه، إذا ما قورن بغيره من المكيين.

٣ - توسعه في الفقه، والإفتاء:

فقد سبق في ماضي القول أن أشرت إلى تقدمه في هذا الجانب، حتى إنه فاق غيره من المكيين في الفتوى بعامة وفي المناسك بخاصة.

ومما يسجل هنا أن مدرسة مكة لم تعن كثيراً بالفقه كعنايتها بالتفسير، وخالف عطاء منهج المدرسة في هذا، وانفرد بطول الباع في الرواية، والعناية بالفقه، والإفتاء، وقد شغله هذا عن التفسير والإقراء[٢].

---

(١) وجدت ذلك عند مراجعة تفسير ابن عباس، فإن عطاء كان من أقل مفسري المدرسة المكية رواية لتفسير ابن عباس؛ فقد روى سعيد بن جبير (١٢, ٠) من مجموع تفسير ابن عباس، وروى عكرمة (٠٩, ٠) من مجموع تفسيره، ومجاهد (٠٣, ٠)، وعطاء روى (٠٢, ٠) فقط من مجموع تفسيره.

(٢) المروي عن مجاهد بلغ (٦١٠٩) رواية، وعن سعيد (١٠١٠) رواية، وعن عكرمة (٩٤٣) رواية، وعن عطاء (٤٨٠) رواية، فهو من أقلهم رواية في التفسير.

وقد امتد به الأجل، فبارك الله له في عمره، فقارب التسعين عند وفاته عام خمسة عشر ومائة على قول الجمهور[١].

وذهب بعضهم إلى أنه توفي سنة أربع عشرة ومائة، واختار هذا القول جمع من المؤرخين[٢]. وكان مولده سنة سبع وعشرين[٣]، وعاش ثمانيًا وثمانين سنة[٤].

❁ ❁ ❁

(١) التاريخ الكبير (٦/ ٤٦٤)، وتاريخ خليفة (٣٤٦)، والمصنف لابن أبي شيبة (١٣/ ٦٩) ١٥٧٨١، والمعارف (١٩٦)، والعلل لأحمد (٢/ ١٧٣) ١٩٠٨، والجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٣٨٥)، ورجال صحيح مسلم (٢/ ١٠٠)، ورجال صحيح البخاري (٢/ ٥٦٦)، والوفيات لابن قنفذ (١١٢)، والكامل في التاريخ (٥/ ١٧٩)، ومروج الذهب (٣/ ٢١٥)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٣).

(٢) التذكرة (١/ ٩٨) ودول الإسلام (٧٩)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٧٢)، والبداية (٩/ ٣٤٣)، والنجوم الزاهرة (١/ ٢٧٣)، ومرآة الجنان (١/ ٢٧٠)، وتاريخ الخميس (١/ ٣١٩).

(٣) الثقات (٥/ ١٩٩)، ورجال صحيح مسلم (٢/ ١٠٠)، والتهذيب (٧/ ٢٠٢)، والعقد الثمين (٦/ ٨٦).

(٤) الجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٣٨٥)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٦٢)، والكامل (٥/ ١٧٩)، وغاية النهاية (١/ ٥١٣)، وطبقات الحفاظ (٣٩).

الحسن البصري

الحسن بن أبي الحسن يسار[١] أبو سعيد مولى زيد بن ثابت، ويقال: مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السَّلمي[٢].

ولد الحسن في بيت أم سلمة زوج النبي ﷺ بالمدينة سنة إحدى وعشرين للهجرة النبوية لسنتين بقيتا من خلافة عمر ـ رضي الله عنه[٣] ـ. وكانت أم الحسن مولاة لأم سلمة أم المؤمنين[٤].

نشأ الحسن بوادي القرى، وكان فصيحًا[٥].

روى عن عمر، وعثمان، وعلي، وابن عمر، وابن عمرو، وابن عباس، وأنس بن مالك، وعمرو بن العاص، وعمران بن حصين، وأسامة بن زيد، وجابر بن عبد الله، وثوبان، وغيرهم[٥].

قدم البصرة مع أنس بن مالك ـ رضي الله عنه[٦] ـ.

عوامل السبق عند الحسن:

هناك عاملان رئيسان كانا وراء تفوق الحسن، وسبقه في علم التأويل.

---

(١) التاريخ الكبير (٢/ ٢٨٩)، والحلية (٢/ ١٣١)، والتذكرة (١/ ٦٦).
(٢) الجرح (٢/ ٤٠)، والمعرفة والتاريخ (٢/ ٣٢)، والتهذيب (١/ ١٣٣).
(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٦)، والثقات (٤/ ١٢٣)، والعبر (١/ ١٠٣)، والتهذيب (٢/ ٢٦١)، والتحفة اللطيفة (١/ ٤٧٦)، وتهذيب الأسماء (١/ ١٦٢).
(٤) تهذيب الكمال (٦/ ٩٧).
(٥) تهذيب الكمال (٦/ ٩٧ ـ ٩٨)، وتهذيب التهذيب (١/ ١٣٤).
(٦) السير (٤/ ٥٦٤).

أولهما : تقدمه في علوم اللغة العربية ، يتضح هذا من خلال ما يلي :

أ ـ فصاحته :

كان لنشأته في البادية[١] ، حيث الفصاحة ، واللسان العربي المبين البعيد عن لوثة المدن ، وما يخالطها من عجمة الرقيق ، ثم نشأته منذ نعومة أظفاره في بيت من بيوتات النبوة ـ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ في بيت أم المؤمنين أم سلمة ـ رضي الله عنها[٢] ـ ، ثم تتلمذه المبكر علي يد جلة من أكابر الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ، كان لذلك الأثر الأكبر على منطقه وحسن عبارته ، مما يجعل القارئ لتفسيره[٣] ، يلحظ ذلك التفوق ، والتميز ، وتلكم الفصاحة التي فاق بها الحسن أقرانه من التابعين ، ومن بعدهم .

إن السبك القوي في نظم الكلام ، والقدرة الفائقة في اختيار أعذب الألفاظ ، وأخصرها ، وأبلغها وقعًا في نفوس السامعين ، وأشدها تأثيرًا في أحاسيسهم ، كان من الأسباب الرئيسة في قبول ، وانتشار أقواله وتفاسيره ، وحرص الناس على روايتها ، وحفظها .

لقد عني ـ رحمه الله ـ بمنطقه فانتقى ألفاظه ، واختار كلماته حتى قال الأعمش عنه : ما زال الحسن يعتني بالحكمة حتى نطق بها ، وسمعه آخر وهو يعظ فقال : لله دره إنه لفصيح إذا لفظ ، نصيح إذا وعظ[٤] .

---

(١) الطبقات لابن سعد (٧/ ١٥٧) ، والسير (٤/ ٥٦٤) .

(٢) قال ابن سعد : يذكرون أن أمه (وهي مولاة لأم سلمة) كانت ربما غابت فيبكي الصبي ، فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به ، إلى أن تجيء أمه ، فدرَّ عليه ثديها فشربه ، فيرون أن تلك الحكمة ، والفصاحة من بركة ذلك ، ينظر طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٧) ، والمنتظم (٧/ ١٣٦) ، وتاريخ الإسلام (ح ١١٠ هـ/ ٥١) .

(٣) ولجميع كلماته من مواعظ وأحكام وخطب وآداب .

(٤) الحسن البصري لابن الجوزي (١٤) .

وكان الحسن إذا ذكر عند أبي جعفر الباقر قال: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء[١].

وبلغ من فصاحته ـ رحمه الله ـ أن قال عنه أبو عمرو بن العلاء[٢]: ما رأيت أفصح من الحسن، والحجاج، فقيل له: فأيهما كان أفصح؟ قال: الحسن[٣].

وقال ابن عون: كنت أشبه لهجة الحسن بلهجة رؤبة بن العجاج[٤]، يعني في الفصاحة[٥].

وقال ابن الجزري: روينا عن الشافعي قوله: لو أشاء أقول: إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت، لفصاحته[٦].

وعن خالد بن صفوان قال: ليس أحد يتكلم إلا وكلامه يحتاج بعضه إلى بعض، إلا الحسن فإن الكلمة الواحدة منه تجزئ[٧].

وعن أيوب قال: ما سمع أحد كلام الحسن إلا ثقل عليه غيره[٨].

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٤٧)، وتهذيب الكمال (٦/ ١١٨)، وإحياء علوم الدين (١/ ٧٧)، وتاريخ الإسلام للذهبي (ج ١١٠ هـ/ ص ٥٦).

(٢) أبو عمرو بن العلاء المازني، النحوي القارئ البصري، من علماء العربية، ينظر معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ٨٣).

(٣) وفيات الأعيان (٢/ ٧٠)، والكامل لابن الأثير (٤/ ١٣٢)، والسير (٤/ ٥٧٨)، والتهذيب (٢/ ٢٧٠)، والبيان والتبيين (١/ ١٦٣).

(٤) رؤبة بن عبد الله العجاج التميمي، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة، ولما مات قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة، ينظر وفيات الأعيان (١/ ١٨٧)، وخزانة الأدب (١/ ٤٣)، والبداية (١٠/ ٩٦).

(٥) طبقات ابن سعد (٧/ ١٦٦)، والتهذيب (٢/ ٢٧٠)، وخزانة الأدب (١/ ٩٠)، والشذرات (١/ ١٣٨)، ومفتاح السعادة (٢/ ١٦٤)، والأغاني (٢٠/ ٣٦٦).

(٦) غاية النهاية (١/ ٢٣٥)، ومفتاح السعادة (٢/ ٢٤).

(٧) أخبار القضاة (٢/ ١٢).

(٨) المرجع السابق (٢/ ١٣)، والمعرفة والتاريخ (٢/ ٥١).

وعن أيوب قال: كان الحسن يتكلم بكلام كأنه الدُّر؛ فتكلم قوم من بعده بكلام يخرج من أفواههم كأنه القيء[١].

ومما روي عنه أن يزيد بن أبان الرقاشي تكلم، ثم تكلم الحسن البصري بعده، وأعرابيان حاضران، فقال أحدهما لصاحبه: كيف رأيت الرجلين؟ فقال: أما الأول فقاصٌّ مُجيد، وأما الآخر فعربي مُحَكٌّ[٢].

وقد شهد له كثير من الأئمة بالسبق، والإمامة في الفصاحة، حتى فاق أهل زمانه[٣].

والمطالع لتفسيره يجده من أحسن التابعين كلامًا في تفسير القرآن الكريم[٤].

هذا ما يتعلق بجانب الفصاحة، وجزالة الألفاظ، والإمامة في البلاغة.

ب ـ تقدمه في النحو، وعدم لحنه:

فما عرف عن الحسن لحن، بل إن رجلاً قال له: يا أبا سعيد: والله ما أراك تلحن، فقال يا ابن أخي، سبقت اللحن[٥].

وكان ـ رحمه الله ـ يُلَحِّن الفرزدق، والكميت، وذا الرمة[٦].

ولم ير اللُّحَنَة أهلاً لأن يتقدم الناس، فقد سئل عن إمام يلحن، فقال أخِّروه[٧].

---

(١) السير (٤/ ٥٧٧).

(٢) البيان والتبيين (١/ ٢٠٤).

(٣) قال عنه ابن حبان، والذهبي، وابن حجر: إنه من أفصح أهل البصرة، يُنظر الثقات (٤/ ١٢٣)، والسير (٤/ ٥٦٥)، والتهذيب (٢/ ٢٧٠).

(٤) التسهيل (١/ ١٠).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٥٨) ٩٩٦٩.

(٦) خزانة الأدب (١/ ٦)، والسير (٤/ ٥٧٧)، والبيان والتبيين (٢/ ٢١٩).

(٧) غريب الحديث للخطابي (١/ ٦١)، والتذكار في أفضل الأذكار (١٢٤)، وشعب الإيمان (٢/ ٤٣٠) ٢٣٠٣.

وكان يقول : تعلموا ـ وفقكم الله ـ العلم للأديان، والطب للأبدان، والنحو لتقويم اللسان[١] .

وكان يحث على تعلم اللغة، فعندما سئل عن قوم يتعلمون العربية قال : أحسنوا، يتعلمون لغة نبيهم ﷺ[٢] .

قال يحيى بن عتيق : سألت الحسن، فقلت : أريت الرجل يتعلم العربية يطلب بها حسن المنطق، ويتلمس أن يقيم قراءته؟ قال : حسن يابن أخي فتعلمها ، فإن الرجل يقرأ الآية، فيعياه توجيهها، فيهلك فيها[٣] ، وعنه ـ أيضًا ـ قال : أهلكتكم العجمة، تتأولون القرآن على غير تأويله[٤] .

ولحرصه على حسن التلاوة ، وخوفه من وقوع اللحن، والتحريف في القرآن، كان ممن يرى جواز نقط المصاحف؛ خوفًا من اللحن والتحريف، فقد سأل أبو رجاء ابن سيرين عن نقط المصاحف فقال : إني أخاف أن تزيدوا في الحروف، أو تنقصوا منها، وسألت الحسن فقال : ما بلغك ما كتب به عمر : أن تعلموا العربية، وحُسن العبارة، وتفقهوا في الدين؟![٥] .

هذا بالإضافة إلى ما كان عليه ـ رحمه الله ـ من الاطلاع الواسع، وحفظ لغات العرب، وكلامهم، ومن أمثلة ذلك :

ما ورد عنه عند تأويل قوله تعالى : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾[٦] الآية، قال :

---

(١) الحسن البصري لابن الجوزي (٣٧).
(٢) التذكار في أفضل الأذكار (١٢٤)، ومفتاح السعادة (٢/ ٥٨٥).
(٣) الاعتصام (٢/ ٢٣٩)، والإتقان (١/ ٤٨٨)، ومفتاح السعادة (٢/ ٥٨٥).
(٤) المحرر الوجيز (١/ ١٥)، والاعتصام (٢/ ٢٣٩).
(٥) المصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٤٥٨) ٩٩٧١؛ وفضائل القرآن لأبي عبيد (٢٤٠)، وكنز العمال (٢/ ٣٦٥)، ومفتاح السعادة (٢/ ٣٧٥).
(٦) سورة الأنعام : آية (١٠٠).

خرقوا ـ بالتخفيف ـ كلمة عربية، كان الرجل إذا كذب في النادي قيل: خرقها ورب الكعبة[١].

ومنها ما ورد عنه عند تفسير قوله سبحانه: ﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ﴾[٢]، فعن أيوب قال: سألت الحسن عن هذه الآية، فقال: لو كنت امرأ عربيًا لعرفت ما هي، إنما هي فاستمرت به[٣].

وروي عنه عند قوله جل وعلا: ﴿كَلاَّ لا وَزَرَ﴾[٤] عن قتادة، قال: قال الحسن: كانت العرب في الجاهلية إذا خشوا عدوًا قالوا: عليكم الوزر: أي عليكم الجبل[٥].

جـ ـ سبقه في معرفة الغريب من اللغة:

وكان من نتاج تلك الفصاحة، والتقدم في معرفة لسان العرب ولغاتها، أن اتخذه كثير من الأئمة حجة في اللغة، واستشهدوا بجمل من كلماته في ذلك، منهم: ابن قتيبة[٦]، والزمخشري[٧]، وأبو عيسى المديني الأصفهاني[٨]، وابن الأثير[٩]، وابن

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٣٦)، وأورده السيوطي في الدر، عن أبي الشيخ عن الحسن بلفظ مقارب (٣/ ٣٣٥).

(٢) سورة الأعراف: آية (١٨٩).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٣٠٤) ١٥٥٠٠، وتفسير ابن عطية (٧/ ٢٢٣)، وأورده السيوطي في الدر وعزاه إلى ابن جرير، وأبي الشيخ عن أيوب، عن الحسن به (٣/ ٦٢٥).

(٤) سورة القيامة: آية (١١).

(٥) تفسير الطبري (٢٩/ ١٨٢)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد عن الحسن بلفظ: كانت العرب إذا نزل بهم الأمر الشديد قالوا: الوزر الوزير، فلما أن جاء الله بالإسلام قال: ﴿كَلاَّ لا وَزَرَ﴾، قال: لا جبل (٨/ ٣٤٥).

(٦) في غريب الحديث؛ حيث استشهد بقول الحسن في (١٦) موضعًا.

(٧) في الفائق في غريب الحديث؛ حيث استشهد بقوله في (٧٢) موضعًا.

(٨) في المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث؛ حيث استشهد بقوله في (٤٦) موضعًا.

(٩) في النهاية في غريب الحديث والأثر؛ حيث استشهد بقوله في (١٥٠) موضعًا.

منظور[١] . . . وغيرهم.

وكان الحسن ـ رحمه الله ـ من أكثر التابعين[٢] معرفة، واستخدامًا للكلمات الغريبة في وعظه، وحديثه، وفي إجابته لمن يستفتيه، ومن أمثلة ذلك:

ما ورد عنه في مقام الوعظ؛ حيث قال: ما تشاء أن ترى أحدهم أبْيَض بَضّا يَمْلَخُ في الباطل مَلْخًا، ينفض مذْرَوَيه، ويضرب أسْدَرَيه، يقول: هأنذا فاعْرفوني! قد عرفناك، فمقتك الله، ومقتك الصالحون[٣].

ومنها ما روي عنه في فتنة ابن الأشعث؛ حيث قال: «والله إنها لعقوبة فما أدري أمستأصلة أم مجحجحة»[٤].

ومنها ما ورد عنه في بعض مواعظه؛ حيث قال: «حادثُوا هذه القلوب بذكر الله،

---

(١) في لسان العرب؛ حيث استشهد بقوله في (٢٦١) موضعًا.

(٢) من خلال النظر، والمقارنة، لما روي عن التابعين في هذا، وبالتتبع والمراجعة لكتب هؤلاء الأئمة الخمسة، تبين أن أكثر من استشهد بقوله في الغريب هو الحسن؛ حيث بلغ مجموع ما روي عنه في هذه الكتب (٥٤٥) رواية، في حين بلغ مجموع ما روي عمن يليه، وهو مجاهد (٢٤٢) رواية، ثم الشعبي (٢٢٨) رواية، ثم قتادة (١٨١) رواية، ثم النخعي (١٥٧) رواية، ثم ابن سيرين (١٢٧) رواية، وعطاء (١٢٧)، رواية، ثم ابن المسيب (١٠٩) رواية، ثم ابن جبير (٨٦) رواية، ثم عكرمة (٦٢) رواية.

(٣) أورده الزمخشري في الفائق (١/ ١١٦)، وقال في شرحه: والبض: الرقيق البشرة الرَّخص الجسد، والملخ: الإسراع، والمرّ السهل، يقال: بَكرة ملوخ: أي: سريع، والمذْرَوان: فرعا الأليتين، والأسدَران: العطفان؛ أي يضرب بيديه عليهما، عن ابن الأعرابي: وهو مثل للفارغ، ونفض المذْرَوَين للمختال اهـ.
وأورد هذا الأثر مختصرًا ابن الأثير في النهاية (١/ ١٣٢)، وابن منظور في اللسان (٧/ ١١٩).

(٤) النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٤٠)، والمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (١/ ٢٩٨)، والفائق (١/ ١٩١)، وقال الزمخشري: أراد متوقفة كافة عن الاستئصال، يُقال: جَحْجَحَ عن الأمر، وجَحْجَحَ عليه، إذا لم يقدم عليه.

فإنها سريعة الدُّثور، واقْدعُوا هذه الأنفس فإنها طُلَعَة»[١] .

ونجد هذا أيضًا في حديثه العابر، وخبره، فمن ذلك قوله: كان أول من عُرف بالبصرة صعد المنبر، فقرأ البقرة، وآل عمران، ففسَّرها حرفًا، حرفًا، وكان مِتَجًّا يسيل غَرْبًا[٢] .

ومنها قوله: جشأت الروم على عهد عمر ـ رضي الله عنه[٣] ـ.

وأما ما ورد عنه من غريب الألفاظ في فتاويه فكثير، من ذلك: أنه سُئل عن كسب التَّيَّاس، فقال الحسن: لا بأس به ما لم يَبْسُر ولم يَمْصُر[٤] .

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد (٤/ ٤٥٩)، وغريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٤٧)، والمجموع المغيث (٢/ ٣٦١)، وكتاب القصاص والمذكرين (١٢٥)، والنهاية في غريب الحديث (١/ ٢٦٨).
قال ابن الأثير: الطُّلَعَة: التي تطلّع إلى هواها، وشهواتها، ويُنظر لسان العرب (٨/ ٢٦٠)، وأخبار النحويين البصريين لأبي سعيد السيرافي (ص ٩٠)، وزاد أن عبد الله بن أبي إسحاق (أحد النحويين) أخرج ألواحه فكتبها، وقال: استفدناها منك يا أبا سعيد، وأورد الأثر الجاحظ في البيان (١/ ٢٩٧)، وزاد أن أبا عمرو بن العلاء حُدث بهذا فتعجب، وينُظر أمالي المرتضى (١/ ١٥٥).
ولمزيد من الأمثلة الدالة على كثرة استعماله للغريب في الوعظ يُنظر النهاية (١/ ٩٢)، (١/ ١٣١)، و(١/ ٢٣٢)... وغيرها.

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ١٠٤)، والفائق (١/ ١٦٣)، والنهاية (١/ ٢٠٧)، والبيان (٢٣١)، قال الزمخشري: شبه فصاحته وغزارة منطقه بماء يثج ثجا، الغَرْب: ما سال بحدَّة واتصال، بغير انقطاع اهـ، وأورد الأثر ابن الجوزي مختصراً (١/ ١١٩).

(٣) النهاية (١/ ٢٧٢)، والمجموع المغيث (١/ ٣٢٩)، قال ابن الأثير: جشأت: أي نهضت، وأقبلت من بلادها، ولمزيد من الأمثلة الدالة على كثرة استعماله للغريب في الأخبار، ينظر: الفائق (١/ ١٥٨)، و(١/ ٣٥٣)، والنهاية (١/ ٦٩)، و(٢/ ٦).

(٤) الفائق (١/ ١٠٩)، والنهاية (١/ ١٢٦)، ولسان العرب (٤/ ٥٧)، قال ابن الأثير: البَسْر: ضَرْب الفحل الناقة قبل أن تطلب. يقول: لا تحمل على الناقة والشاة قبل أن تطلب الفحل، وقال الزمخشري، والمصر: أن يحلب بإصبعين، أراد ما لم يسترق اللبن.

ومنها أنه سئل: أيُدَالك الرجلُ امرأته؟ قال: نعم إذا كان مُلْفَجًا[١].

بل كان ـ رحمه الله ـ قد يجيب السائل، فلا يدري ما يقول لغرابة مقاله، فمن ذلك، أنه سُئل عن القيء يذرع الصائم، فقال: هل راع منه شيء؟.

فقال السائل: ما أدري ما تقول، فقال: هل عاد منه شيء[٢].

وقد تميز ـ رحمه الله ـ بعناية كبيرة ودراية في التفريق بين مشتبه الألفاظ القرآنية، حتى إن كان ليصحح لبعض كبار مُعاصريه. من ذلك ما أخرجه عبد الرزاق بسنده، أن أبا العالية سُئل عن قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٣]، ما هو؟ فقال أبو العالية: هو الذي لا يدري عن كم انصرف: عن شفع، أو عن وتر؟ فقال الحسن: مه، ليس كذلك، ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، الذي يسهو عن ميقاتها حتى تفوت[٤].

قال الزركشي: لم يتدبر أبو العالية حرف (في) وَ(عن) وتنبه له الحسن، لو كان المراد ما فهم أبو العالية لقال: «في صلاتهم»، فلما قال: ﴿عَن صَلاتِهِمْ﴾ دلّ على أن المراد به الذهاب عن الوقت[٥].

وروى أبو حيان عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، أنه تكلم عند الحسن

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد (٤/ ٤٥٩)، والفائق (١/ ٤٣٧)، والنهاية (٢/ ١٣٠)، ولسان العرب (١٠/ ٤٢٨)، وطبقات النحويين، واللغويين (١٦٦)، وقال أبو عبيد: قوله: يُدالك يعني المطل بالمهر، وكل مماطل فهو مُدالك، والملفج، المُعدم الذي لا شيء له.
ولمزيد من الأمثلة يُنظر الفائق (١/ ٤٢٤)، والنهاية (١/ ٢٢٠)، (١/ ٢٣٠)، و(١/ ٤٢٨)، وغيرها.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (٤/ ٤٥٨).

(٣) سورة الماعون: آية (٥).

(٤) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٠٠)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن المنذر عن مالك بن دينار، به (٨/ ٦٤٣).

(٥) البرهان (١/ ٢٩٤)، (٢/ ١٠٥).

فقال: رَعُفْتُ، فقال الحسن: تقول رَعُفتُ، وأنت رأس في العربية؟ قل: رَعَفْتُ[١].

ثانيًا: إمامته في باب الوعظ والتذكير:

من أهم المميزات التي تميز بها تأويل الحسن عن غيره من التابعين ميله إلى الوعظ في تفسيره، والإكثار من ذلك، وقد عُني - رحمه الله - بانتقاء الكلمات البليغة في لفظها، المؤثرة في سامعها؛ ولذا يجد الناظر في كتب التفسير، والزهد، والرقائق[٢]، بل والأدب[٣] أنها عُنيت بإيراد أقوال هذا الإمام وتفسيراته أكثر من غيره، وقد حاز قصب السبق في الوعظ، فلا يجارى فيه، ولا يدانى في مبلغ تأثيره في قلوب سامعيه.

وقد سلك - رحمه الله - في تفسيره المسلك الوعظي التذكيري، فكلما سنحت له فرصة للوعظ، من خلال تفسير آية، وعظ وذكر، ولا يجد مجالاً من مجالات الدعوة، والنصح، والإرشاد، والأمر، والنهي، إلا دعا، ووعظ، وأرشد، ونصح، وحذر.

---

(١) تذكرة النحاة لأبي حيان محمدبن يوسف الغرناطي (١٥٨).

(٢) القارئ في كتب الزهد، والرقائق، والتي عني مصنفوها باختيار أبلغ الألفاظ وأجزلها عبارة، وأحسنها صياغة يجد أن تفسير الحسن، وأقواله، احتلت المرتبة الأولى في مرويات هذه الكتب، بل كانت هي مادة تلك الكتب الرئيسة.
وقد رجعت في ذلك إلى أهم كتب الزهد، ككتاب الزهد لابن المبارك ولوكيع، ولهناد، فكان مجموع ما روي فيها عن الحسن ما يُقارب (٤٦٤) رواية، وكان الذي يليه في عدد المروي مجاهد، وبلغ ما روي عنه ما مجموعه (١٧١) رواية، ثم الربيع بن خثيم (٧٢) رواية... وهكذا.
ومما يجدر التنبيه عليه أنه مع هذا الفارق بين الحسن، ومجاهد، في عدد المروي، فإن هناك فارقًا آخر في طريقة تفسير الآية، فالحسن يغلب على تفسيره اختيار العبارة البليغة في لفظها، المؤثرة على سامعها، أما مجاهد: فقد كان جلُّ المروي عنه في هذه المرويات توضيح الغامض من الآية بعبارة قصيرة موجزة، ولم يتجه الوجهة الوعظية التربوية العاطفية كما فعل الحسن عند مروره بتلك الآيات.

(٣) وعند الرجوع لكتب الأدب نجد الكثير من الروايات عن الحسن، ولا سيما في الوعظ والتذكير، وفي بيان أحوال الناس، وما ينبغي أن يكونوا عليه من الأدب مع الله، ومع عباد الله.

والناظر في سيرته يجد الأثر البالغ لنشأته في المدينة في سني شبابه الأولى، فقد تأثر بأحوال أزواج النبي ﷺ، فأمه كانت مولاة لأم سلمة أم المؤمنين كما تقدم[١].

يقول ـ رحمه الله ـ: كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان، فأتناول سقفها بيدي[٢].

هذا بالإضافة إلى كون والده وأمه كانا يُعلمان الناس[٣]، فعن أسامة بن زيد، عن أمه قالت: رأيت أم الحسن تقص على النساء[٤].

مع ما لصحبته لأنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ وقدومه معه إلى البصرة من أثر[٥]، ثم تأثره بعابد البصرة وزاهدها عامر بن عبد القيس[٦].

لهذا وغيره غلب على منهجه الوعظ، والتذكير، وكان طويل الحزن كثير البكاء، رحمه الله تعالى.

فعن إبراهيم بن عيسى اليشكري قال: ما رأيت أحدًا أطول حزنًا من الحسن، ما رأيته إلا حسبته حديث عهد بمصيبة[٧].

وساق ابن الجوزي بسنده عن مسمع قال: لو رأيت الحسن، لقلت: قد بث عليه حزن الخلائق من طول تلك الدمعة، وكثرة ذلك النشيج[٨]، وكان من أحسن الناس

(١) السير (٤/ ٥٦٤)، وتهذيب الكمال (٦/ ٩٦)، وأخبار القضاة (٢/ ٤).
(٢) المصنف لابن أبي شيبة (١٣/ ٢٤٠) ١٦٢٢٣، والأدب المفرد، باب التطاول في البنيان (٦٦).
(٣) أخبار القضاة (٢/ ٥).
(٤) المرجع السابق (٢/ ٥).
(٥) السير (٤/ ٥٦٤).
(٦) الحلية (٢/ ٩٣).
(٧) تهذيب الكمال (٧/ ١١٢)، وزهد الثمانية من التابعين (٦٤)، وتاريخ الإسلام، (حوادث ١١٠ هـ/ ص ٥٧).
(٨) المنتظم (٧/ ١٣٦).

بكاءً، وكان إذا بكى يُبكي ببكائه[١] .

وقد تميز عن أقرانه من التابعين بهذه الصفة، وتلكم الحالة، فضلاً عن تأثيرها عليه في حديثه، وتفسيره.

أخرج ابن سعد بسنده عن الأشعث قال: كنا إذا أتينا الحسن لا نُسأل عن خبر، ولا نخبر بشيء، وإنما كان في أمر الآخرة، قال: وكنا نأتي محمد بن سيرين، فيسألنا عن الأخبار، والأشعار[٢] .

وعن يونس قال: كان الحسن رجلاً محزونًا، وكان ابن سيرين صاحب ضحك، ومزاح[٣] .

قال رجل ليونس، تعلم أحدًا يعمل بعمل الحسن؟ قال: والله ما أعرف أحدًا يقول بقوله، فكيف يعمل بعمله؟! قيل له: فصفه لنا؛ قال: كان إذا أقبل، فكأنه أقبل من دفن حميمه، وإذا جلس فكأنه أسيرٌ أمر بضرب عنقه، وإذا ذكرت النار، فكأنها لم تخلق إلا له[٤] .

وعن الأوزاعي قال: ذهب عليهم الحسن بالمواعظ، وذهب عطاء بالمناسك[٥] .

وقد بلغ في مقام الزهد والوعظ مرتبة جعلت كثيراً من النُساك والزهاد والعباد يأتون إليه، ويسمعون كلامه، قال أبو سعيد الأعرابي «في طبقات النُساك»: كان عامة من ذكرنا من النساك يأتون الحسن، ويسمعون كلامه، ويذعنون له بالفقه، في هذه المعاني خاصة، وكان له مجلس خاص في منزله، لا يكاد يتكلم فيه إلا في معاني الزهد

(١) العلل لأحمد (٣/ ٢٢٧) ٤٩٩٤.
(٢) طبقات أحمد بن سعد (٧/ ١٦٧).
(٣) المرجع السابق (٧/ ١٦٢)، وأورده الفسوي بلفظ مقارب، ينظر المعرفة (٢/ ٣٣).
(٤) عيون الأخبار (٢/ ٣٥٥).
(٥) العلل لأحمد (١/ ٤٩٢) ١١٤٠.

والنسك، فإن سأله إنسان غيرها تبرم به، وقال: إنما خلونا مع إخواننا نتذاكر[١].

ولقد كان لتذوقه المرهف لنصوص كتاب الله، وما تتركه الآية من عبر في نفسه فيدفعه ذلك إلى التعبير عنها بأسلوب مؤثر يترجم إحساسًا صادقًا في نفسه، مما يدل على رهافة حسه، فعن جعفر بن سليمان قال: سمعت حوشبًا يقول: سمعت الحسن يقول: والله يابن آدم، لئن قرأت القرآن، ثم آمنت به، ليطولنَّ في الدنيا حزنك، وليشتدَّنَّ في الدنيا خوفك، وليكثرن في الدنيا بكاؤك[٢].

من أساليب الوعظ في تفسيره:

والقارئ لتفسيره يجد شاهد هذا من حاله ـ رحمه الله ـ وقد حرص على نشر تلك التوجيهات القرآنية، والتذكير بها، حتى غلب هذا على منهجه، وقد اختص بخصائص في هذا المسلك قلَّ أن توجد عند غيره، من أهمها:

١ ـ أسلوب المخاطبة في تفسيره الوعظي:

فالمخاطبة، والحوار، والوعظ المباشر الموجه للسامعين كان من الأساليب التي كثرت في تفسيره الوعظي[٣]، ومن أمثلة ذلك ما ورد عنه عند قوله جل وعلا: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾[٤].

فعن أبي رجاء قال: قرأ الحسن آيات في البقرة، فأتى على هذه الآية: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ قال: ألم تروا إلى ثمار الدنيا كيف ترذلون بعضه؟ وإن ذلك ليس فيه رَذْل[٥].

---

(١) السير (٤/ ٥٧٩)، وتاريخ الإسلام (ح ١١٠ هـ/ ٦٢).

(٢) الزهد لأحمد (٢/ ٢٢٦)، والحلية (٢/ ١٣٣)، وتهذيب الكمال (٧/ ١١١).

(٣) وقد تأثر به تلميذه قتادة، ومما ينبغي الإشارة إليه، والتأكيد عليه، هو أن أسلوب المخاطبة في التأويل الوعظي للآيات، قد تميز به الحسن في تفسيره، وتبعه على ذلك قتادة، وقلَّ أن نجد هذا عند غيرهما.

(٤) سورة البقرة: آية (٢٥).

(٥) تفسير الطبري (١/ ٣٨٩) ٥٢٠، وزاد المسير (١/ ٥٣)، وأورده السيوطي في الدر بزيادة في أوله، ثم ساقه بلفظه عن الحسن، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير (١/ ٩٦).

ومنها ما ورد عند قوله سبحانه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[١]، قال: اعملوا وأبشروا، فإنه حقٌّ على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويزيدهم من فضله[٢].

ومنها ما ورد عنه عند قوله تعالى: ﴿تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾[٣]، قال: هل علمتم أن الكافر يلد مؤمنًا، وأن المؤمن يلد كافرًا؟ فقال: هو كذلك[٤].

ومنها ما ورد عنه عند قوله سبحانه: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[٥] قال: جعلها يدًا، وجعلها أصابع يقبضهنَّ، ويبسطهنَّ، ولو شاء لجمعهنَّ، فاتقيت الأرض بفيك، ولكن سوّاك خلقًا حسنا[٦]، إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة عنه في هذا الباب[٧].

ومما اختص به في تفسيره الوعظي:

٢ ـ أسلوب القسم:

وقد كثر في تفسيره الوعظي هذا الأسلوب، مما يدل على اهتمامه بتأكيد تلك

(١) سورة غافر: آية (٦٠).
(٢) تفسير الطبري (٣/ ٤٨٦) ٢٩١٩.
(٣) سورة آل عمران: آية (٢٧).
(٤) تفسير الطبري (٦/ ٣٠٨)، ٦٨٢٢، وتفسير الماوردي (١/ ٣٨٥)، وتفسير ابن عطية (٣/ ٥١)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢١)، وزاد المسير (١/ ٣٧٠)، وتفسير القرطبي (٤/ ٣٧)، وأورده السيوطي في الدر بلفظ مقارب عن الحسن، وعزاه إلى ابن جرير، وأبي الشيخ (٢/ ١٧٤).
(٥) سورة القيامة: آية (٤).
(٦) تفسير الطبري (٢٩/ ١٧٥)، وأورده السيوطي في الدر بنحوه عن الحسن، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (٨/ ٣٤٤).
(٧) ولمزيد من الأمثلة ينظر تفسير الطبري الآثار ٢٦١، ٢١٣٤، ٧٦٢٩، ٧٨٦٧، ٨٠٤٣، ١١٨٠١، ١٣٠٦١، (١٥/ ٥٣)، (٢٦/ ١٥٩)... وغيرها.

المعاني الواردة في الآية، من ذلك: ما ورد عنه عند قوله سبحانه: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[١]، قال: والله ما لهم عليها من صبر، ولكن ما أجرأهم على النار[٢].

ومنها: ما ورد عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[٣]، قال: عظَّم والله في الوزر كما تسمعون، ورغَّب والله في الأجر كما تسمعون! إذا ظننت يا ابن آدم، أنك لو قتلت الناس جميعًا، فإن لك من عملك ما تفوز به عن النار!!، كذبتك والله نفسك، وكذَبَك الشيطان[٤].

ومنها: أنه قرأ هذه الآية يومًا: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[٥]، ثم وقف فقال: إنه والله ما أمسى على ظهر الأرض عالم إلا فوقه من هو أعلم منه، حتى يعود العلم إلى الذي علَّمه[٦].

---

(١) سورة البقرة: آية (١٧٥).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣٣١) ٢٥٠٢، وتفسير البغوي (١/ ١٤٢)، وزاد المسير (١/ ١٧٦)، وتفسير القرطبي (٢/ ١٥٩).

(٣) سورة المائدة: آية (٣٢).

(٤) تفسير الطبري (١٠/ ٢٣٩) ١١٨٠١، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٢).

(٥) سورة يوسف: آية (٧٦).

(٦) تفسير الطبري (١٦/ ١٩٣)، ١٩٥٩٣، وأورده السيوطي في الدر بلفظ مختصر، وعزاه إلى ابن جرير، وأبي الشيخ عن الحسن (٤/ ٥٦٢).

ولمزيد من الأمثلة تراجع الآثار التالية في تفسير الطبري: ١٩٣٤، ٢١٣٤، ٤٤٩٤، ٨٤٥٥، ١٠٥١٤، ١٠٧٩٨، ١١٨٠٠، ١٢١٧٨، ١٢١٧٩، ١٧٢٧٦، ١٨٢٠٩، ١٨٢١، ١٨٢١٤، ١٨٢٢١، ١٨٢٤٦، ١٩٧٣٣، ٢٠١١٣، (١٥/ ١١٩)، (١٥/ ١٢١)، (١٨/ ٥١)، (١٨/ ١٤٢)، (١٩/ ٣٤)، (٢٠/ ١٣٤)، (٢٢/ ٨٨)، (٢٣/ ١٠١)، (٢٣/ ١٥٦)، (٢٥/ ٦٨)، (٢٦/ ١٥٩)، (٢٦/ ٢٠٥)، (٣٠/ ٢٥٩).

ولمزيد من الأمثلة يراجع كتاب الزهد للإمام أحمد: (٢/ ٢٢٥ ـ ٢٥١) في جميع مواعظه يبدؤها بهذا القسم مُؤكدًا المعنى المُراد.

أثر الوعظ في تفسيره :

أ ـ شدة عبارته على المخالفين :

إن القارئ لتفسيره يجد أثر ذلك المنهج الوعظي في شدة عبارته وحدتها على المخالفين لأمر الله ـ عز وجل ـ ، وأمر رسوله ﷺ .

فمن ذلك : ما ورد عنه عند قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[١] ، قال الحسن ـ وصفق بيديه ـ : وكيف عفا عنهم ، وقد قُتل منهم سبعون ، وقُتل عم رسول الله ﷺ ، وكسرت رباعيته ، وشج في وجهه؟ قال : ثم يقول : قال الله ـ عز وجل ـ : «قد عفوت عنكم إذ عصيتموني ألا أكون استأصلتكم» . ثم قال : هؤلاء مع رسول الله ﷺ في سبيل الله ، غضابٌ لله ، يقاتلون أعداء الله ، نهوا عن شيء فصنعوه فوالله ما تركوا حتى غُمُّوا بهذا الغم ، فأفسق الفاسقين اليوم يتجرثم[٢] كل كبيرة ، ويركب كل داهية ، ويسحبُ عليها ثيابه ، ويزعم أن لا بأس عليه! فسوف يعلم[٣] .

ومنها : ما ورد عنه عند قوله سبحانه : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** ﴾[٤] ، قال الحسن : هذا نبيي ، هذا خياري ، استنوا به ، خذوا في سننه ، وسبيله ، لم تغلق دونه الأبواب ، ولم تُقم دونه الحَجَبَة ، ولم يُغدَ عليه بالجفان ، ولم يُرجع عليه بها ، وكان يجلس بالأرض ويأكل طعامه بالأرض ، ويلعق يده ، ويلبس الغليظ ، ويركب الحمار ، ويُرْدِف بعده ، وكان يقول : «**من رغب عن سنتي فليس مني**» .

---

(١) سورة آل عمران : آية (١٥٢) .

(٢) يتجرثم الرجل ، تَجَرْثَم : إذا سقط من عُلو إلى سُفْل ، ينظر لسان العرب (١٢/ ٩٥) ، والنهاية في غريب الحديث (١/ ٢٥٤) .

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٢٩٨) ٨٠٤٣ ، وأورده السيوطي في الدر بلفظه عن الحسن وعزاه إلى ابن جرير (٢/ ٣٤٩) .

(٤) سورة الأعراف : آية (٣٢) .

ثم قال الحسن : فما أكثر الراغبين عن سننه التاركين لها! ثم إنّ عُلُوجًا فُسّاقًا أكلة الربا والغُلول، قد سفَّههم ربي ومقتهم، زعموا أن لا بأس عليهم فيما أكلوا، وشربوا، وزخرفوا هذه البيوت، يتأولون هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾.

وإنما جعل ذلك لأولياء الشيطان، قد جعلها ملاعب لبطنه وفرجه[1].

ومنها ما ورد عنه عند تأويل قوله عز وجل: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[2].

فعن أبي رجاء قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه، فلا يقوم به، إنما يصلي المكتوبة؟ قال: يتوسد القرآن، لعن الله ذاك، قال الله للعبد الصالح: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾[3].

قلت: يا أبا سعيد، قال الله: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾، فقال: نعم ولو خمسين آية[4].

ب ـ سلوك الوعظ من خلال إيضاحه لآيات الأحكام:

وكان للمنهج الذي سلكه الحسن أثره في تأويله لآيات الأحكام؛ حيث سلك في بعضها مسلك التوجيه، والإرشاد، فعند قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾[5].

قال: على هذا الطالب أن يطلب بالمعروف، وعلى هذا المطلوب أن يؤدي

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٣٩٦)، ١٤٥٣٧، وأورده أبو نعيم في الحلية عن الحسن بلفظ مُقارب (٢/ ١٥٣). وقد أبعد النجعة في تأويل هذه الآية، فهي عامة، وليست خاصة، وهذا منه ـ رحمه الله ـ انسياق وراء الأسلوب الوعظي، الذي خالط شغاف قلبه، فملك تفسيره وأصبح لسانه أسيره.

(٢) سورة المزمل: آية (٢٠).

(٣) سورة يوسف: آية (٦٨).

(٤) تفسير الطبري (٢٩/ ١٤١).

(٥) سورة البقرة: آية (١٧٨).

بإحسان[١] .

وقال أيضًا: أخذ الدية عفوٌ حسن[٢] .

وعند تأويل قوله جل وعلا: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[٣] . قال: هي ثابتة، ولكن الناس بخلوا، وشحُّوا[٤] .

جـ ـ دقة استنباط الفوائد الدعوية:

كما كان لهذا المسلك أثره في دقة استنباطه لكثير من الفوائد الدعوية عند تفسيره لبعض الآيات.

فمن ذلك ما ورد عنه، عند تأويله لقوله جل ثناؤه: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾[٥] .

قال: قد علم الله أنه ما به إليهم من حاجة، ولكن أراد أن يستن به من بعده[٦] .

وقال أيضًا: ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم[٧] .

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٦٨) ٢٥٧٩.

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣٦٩) ٢٥٨٨.

(٣) سورة النساء: آية (٨).

(٤) تفسير الطبري (٨/ ٨) ٨٦٦٧، ٨٦٦٨، وتفسير الماوردي (١/ ٤٥٦)، وتفسير ابن عطية (٤/ ٢٧)، وزاد المسير (٢/ ٢١)، وتفسير القرطبي (٥/ ٣٣).

(٥) سورة آل عمران: آية (١٥٩).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (ص ٦٣٢) ١٧٤٥، وروضة العقلاء (١٩١)، والبيهقي في السنن بلفظ: ولكن أراد أن يستن بذلك الحكام بعده (٧/ ٤٦)، وأشار إلى هذه الرواية النووي في تهذيب الأسماء (١/ ١٦٣)، وأوردها السيوطي في الدر، وعزاها إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن الحسن به (٢/ ٣٥٨).

(٧) تفسير الطبري (٧/ ٣٤٤) ٨١٣٠، وابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره، بلفظ: والله ما تشاور قوم قط، إلا عزم الله لهم بالرشد وبالذي ينفع (٦٣٢) ١٧٤٣، وينظر تفسير الماوردي (١/ ٤٣٣)، وتفسير ابن عطية (٣/ ٢٨١)، وزاد المسير (١/ ٤٨٨)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن الحسن به (٢/ ٣٥٩).

ومنها: أن الحسن تلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[١].

فقال: الحمد لله بها، والحمد لله عليها، ما كان مؤمن فيما مضى، ولا مؤمن فيما بقي، إلا وإلى جانبه مُنافق يكره عمله[٢].

وعند تأويله قوله جل وعلا: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[٣].

قال الحسن: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾: أما أهل رحمة الله، فإنهم لا يختلفون اختلافًا يضرُّهم[٤].

وقال أيضًا: الناس كلهم مختلفون على أديان شتى، إلا من رحم ربك، فمن رحم غير مختلف[٥].

ومما يحسن ذكره في ختام هذا المبحث:

ما تميز به هذا الإمام ـ رحمه الله ـ في الجانب الوعظي، من الدقة في معرفة أحوال الناس، وجمال العبارة في وصفهم، مما جعل مقولته في هذا الجانب مادة لكثير من كتب الأدب[٦].

وصارت أقواله حكمًا، ومواعظ تحفظ، وتُروى، وتسير بها الركبان، وعُدَّت

(١) سورة المائدة: آية (١٠٥).

(٢) تفسير الطبري (١١/ ١٤٨)، ١٢٨٦٨، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير عن الحسن به (٣/ ٢١٩).

(٣) سورة هود: آية (١١٨، ١١٩).

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ٥٣٥)، ١٨٧٢٥، وأورد الفسوي في المعرفة بلفظ مُقارب (٢/ ٤١).

(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٥٣٢)، ١٨٧٠٦، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، عن الحسن به (٤/ ٤٩١)، ولمزيد من الأمثلة. ينظر تفسير الطبري الآثار ٢١٥٨، ٤١٦٢، ٧٦٠٥، ٧٨٦٠، ١٧٣١٦، . . . وغيرها.

(٦) بعد مراجعة بعض كتب الأدب، كعيون الأخبار لابن قتيبة، والعقد الفريد لابن عبد ربه، =

من عيون الأخبار .

ومن النماذج المأثورة عنه في هذا المقام قوله : إن قومًا جعلوا تواضعهم في ثيابهم، وكِبْرَهم في صدورهم، حتى لصاحب المدرعة بمدرعته، أشد فرحًا من صاحب المُطرف بمطرفه[١] .

ويقول أيضًا : كان من قبلكم أرقَّ منكم قلوبًا وأصفق ثيابًا، وأنتم أرقُ منهم ثيابًا أصفق منهم قلوبًا[٢] .

ومن ذلك : ما ورد عنه ـ رحمه الله ـ في وصف قراء القرآن ؛ حيث قال : قُراءُ القرآن ثلاثة : رجلٌ اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر، يطلب به ما عند الناس، وقومٌ حفظوا حروفه، وضيعوا حدوده، واستدروا به الولاة ؛ واستطالوا به على أهل بلادهم، وقد كثر الله هذا الضرب في حملة القرآن لا كثرهم الله، ورجلٌ قرأ القرآن فبدأ بما يعلم من دواء القرآن فوضعه على داء قلبه، فسهر ليله وهملت عيناه، تسربلوا الخشوع، وارتدوا بالحزن، وكدوا في محاريبهم، وجثوا في برانسهم، فبهم يُسقي الله الغيث، ويُنزل النَّصر، ويرفع البلاء، والله لهذا الضَّرْبُ في حملة القرآن أقلُّ من الكبريت الأحمر[٣] .

ويقول ـ رحمه الله في الحث على التواضع : إن خفق النعال خلف الرجال قل ما

= والبيان والتبيين للجاحظ، وجدت أن أكثر من روي عنه من التابعين في هذه الكتب : الحسن ؛ حيث بلغ مجموع ما روي عنه (٢٢٩) رواية، وجاء بعده في عدد المروي : عامر الشعبي ؛ حيث بلغ مجموع ما روي عنه (١٣٢) رواية، ثم محمد بن سيرين ؛ حيث بلغ مجموع ما روي عنه (٦٢) رواية، ثم سعيد بن المسيب ؛ حيث بلغ (٣٤) رواية، ثم محمد بن شهاب الزهري ؛ حيث بلغ (٣١) رواية، ثم قتادة ؛ حيث بلغ (٢٦) رواية .

(١) المطرف : رداء من خز مُربع، له أعلام ، البيان والتبيين (٣/ ١٥٣)، وعيون الأخبار (٢/ ٣٧٢).

(٢) البيان والتبيين (٣/ ١٧٠).

(٣) جمال القراء (١/ ١٠٦)، وكنز العمال (١/ ٦٢٣)، وعيون الأخبار (٢/ ١٢٣).

تلبث الحمقى[١] .

أسباب كثرة المروي عنه :

هذا من أهم ما تميز به الحسن، وكان له الأثر البالغ في كثرة المروي عنه، فسبق غيره في هذا الباب مع وجود أسباب أخرى، كان لها الأثر في كثرة الرواية عنه في باب التفسير، منها :

١ ـ التساهل في الرواية :

ومن أسباب كثرة المروي عنه تساهله في الرواية متنًا، وسندًا .

ففي جانب السهولة في رواية النص، والمتن، كان الحسن ممن يرى جواز الرواية بالمعنى، ويرى جواز التقديم، والتأخير في الألفاظ، وكذا الزيادة والنقصان إن كان قد أصاب المعنى .

فعن مهدي بن ميمون قال : قلت للحسن : الرجل يحدث بالحديث لا يألو، فيكون فيه الزيادة، والنقصان؟ قال : ومن يطيق ذلك؟ ![٢] .

وعن مبارك بن فضالة ، قال : سمعت الحسن يقول : لا بأس بالحديث أن تُقدِّم أو تؤخر إذا أصيب المعنى[٣] .

وعن جرير بن حازم قال : كان الحسن يحدث بالحديث؛ الأصل واحد، والكلام مختلف[٤] .

---

(١) سنن الدارمي (١/ ١٣٤)، وعيون الأخبار (٢/ ٣٧٢).

(٢) العلم لأبي خيثمة (١٣٩)، طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٩)، والمحدث الفاصل (٥٤٢)، (٧١٣)، والكفاية (٢٠٨)، وتهذيب الكمال (٦/ ١٢١).

(٣) سنن الدارمي (١/ ٩٣)، والمحدث الفاصل (٥٤١) ٧٠٨، والكفاية (٢٠٧)، والجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٣٢).

(٤) سنن الدارمي (١/ ٩٣)، والكفاية (٢٠٧)، والجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٣١)، وعيون الأخبار (٢/ ١٣٦).

ولذا فقد عده أهل العلم ممن يرى جواز الرواية بالمعنى، وممن يرخص في ذلك.

فعن ابن عون قال: كان القاسم بن محمد، وابن سيرين، ورجاء بن حيوة، يحدثون الحديث على حروفه، وكان الحسن، وإبراهيم، والشعبي، يحدثون بالمعاني[١].

واحتج على ما ذهب إليه من جواز الرواية بالمعنى بقوله: يحكي الله تعالى عن القرون السالفة بغير لغاتها، أفكذب هذا؟[٢].

وقد عرف بهذا المنهج واشتهر به بين معاصريه، فهذا محمد بن سيرين إمام التأويل في زمانه يقول في تعبير رؤيا عرضت عليه؛ حيث قال له رجل: رأيت في المنام حمامة التقمت لؤلؤة فخرجت منها أعظم مما دخلت، ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة، وخرجت منها أصغر مما دخلت، ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة، فخرجت مثلما دخلت سواء.

فقال ابن سيرين: أما الحمامة التي التقمت اللؤلؤة فخرجت أعظم مما دخلت، فهو الحسن يسمع الحديث فيُجَوده بمنطقه، وأما التي خرجت أصغر مما دخلت، فذاك محمد ابن سيرين يسمع الحديث فيشك فيه وينقص منه، وأما التي خرجت كما دخلت، فذاك قتادة أحفظ الناس[٣].

وبالجملة، فالحسن من أكثر التابعين تساهلاً في هذا، ولعل هذا من أهم الأسباب التي جعلت المروي من أقواله كثيراً.

وأما تساهله في جانب الإسناد، فيتضح جليًا في إرساله لجملة من الأحاديث، والآثار، عن كثير من الصحابة، والتابعين، ولذا نجد إطالة الأئمة ممن كتب في المراسيل

(١) العلم لأبي خيثمة (١٤١)، والعلل لأحمد (٢/ ٢٦٦) ٢٢٠٦، (٣/ ١٩٨) ٣٨٥٩، والكفاية (٢٠٦)، (١٨٦)، والمحدث الفاصل (٥٣٥)، وجامع بيان العلم وفضله (١/ ١٣٣).

(٢) المحدث الفاصل (٥٣١).

(٣) العلل لأحمد (٢/ ٣١٥) ٢٣٩٥.

عند تعرضهم لإرسال الحسن خاصة[١] .

وكان يقول عن نفسه ـ رحمه الله ـ : كنت إذا اجتمع لي أربعة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تركتهم وقلت: قال رسول الله ﷺ[٢] .

وقال رجل للحسن يا أبا سعيد، إنك تحدثنا فتقول: قال رسول الله ﷺ، فلو كنت تسنده لنا إلى من حدثك؟ فقال الحسن: أما أيُها الرجل ما كذبنا ولا كُذبنا، ولقد غزونا غزوة إلى خراسان، ومعنا فيها ثلاثمائة من أصحاب محمد ﷺ[٣] .

وعن علي بن زيد قال: كنت أحدث الحسن بالحديث، فأسمعه يحدث به فأقول: من حدثك فيقول: لا أدري، إلا أنه ثقة[٤] .

ومن مظاهر تساهله، أخذه عن كل أحد ، ولذا ردَّ بعض الأئمة مراسيله، وفي ذلك يقول ابن سيرين: ثلاثة كانوا يصدقون من حدثهم، وذكر منهم الحسن[٥] .

وكان ابن سيرين يقول لعاصم الأحول: لا تحدثني عن الحسن، ولا عن أبي العالية؛ فإنهما لا يباليان عمن أخذا الحديث[٦] .

وعد الإمام أحمد مراسيل الحسن من أضعف المراسيل، وقال: إنه كان يأخذ عن

---

(١) ينظر في ذلك المراسيل لابن أبي حاتم (من ص ٣١ ـ ص ٤٦)، وجامع التحصيل للعلائي (من ص ١٦٢ ـ ص ١٦٦).

(٢) جامع التحصيل ص (٨٧، ٩٤)، وأصول السرخسي (١/ ٣٦١).

(٣) تدريب الراوي (١/ ٢٠٤).

(٤) الكفاية (٣٧٣)، وتهذيب الكمال (٦/ ١٢٢).

(٥) المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٥)، والكفاية (٣٧٣)، والعلل لأحمد (١/ ٤٤٢) ٩٨٩، وكذا أخرجه الدارقطني في السنن (١/ ١٧١) بلفظ: أربعة يصدقون من حدثهم.

(٦) المعرفة (٢/ ٣٦)، والكفاية (٣٩٢)، وتاريخ دمشق (٦/ ٢٧٣)، وتهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٣٢٩).

كل أحد[١] .

وكان ـ رحمه الله ـ يتساهل في صيغ التحمل عنه، فكان يرى أن القراءة عليه هي بمقام التحديث عنه، عند الإجازة.

فعن عوف قال: أتى رجل الحسن، فقال: يا أبا سعيد، إن منزلي ناء، وإن الاختلاف يشق علي، ومعي أحاديث من أحاديثك، فإن لم تكن ترى بالقراءة بأسًا قرأت، قال: ما أبالي أقَرَأت علي فأخبرتُك أنه حديثي أو حدثتك به؟ قال: فأقول: حدثني الحسن؟، قال: نعم قل: حدثني الحسن[٢] .

وكان ـ رحمه الله ـ يعدُّ أصح السماع القراءة على العالم[٣] .

وسئل مرة عن أحاديث حدث بها عمن؟ فقال: صحيفة وجدناها[٤] .

ولعل من أسباب هذا التساهل عنده، وعدم الاعتناء بالإسناد، اشتهاره بالدعوة، والمواعظ، والتدريس، ومن كان هذا شأنه لا ينتظر منه في موطن التأثير على الناس أن يأتي بالسند، بل يأتي بالمتن خاليًا من السند لضرورة الخطبة والموعظة[٥] ، وقد درج على ذلك الخطباء، والوعاظ.

قال الخطيب البغدادي: ربما أرسلوها اقتصارًا، وتقريبًا على المتعلم لمعرفة أحكامها كما يفعل الفقهاء[٦] .

---

(١) بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم (ص ٦٤)، والكفاية (٣٨٦)، وسنن البيهقي (٦/ ٤٢).

(٢) تاريخ ابن معين (٢/ ١١٠)، والفتح (١/ ١٥٠).

(٣) الإلماع (٨٠).

(٤) المعرفة والتاريخ (٢/ ٤٥).

(٥) الحسن البصري، وحديثه المرسل د. عمر الجغيبر (٣٤٧).

(٦) الكفاية (٣٩٦).

والحسن معلم وداع إلى الله، وفقيه جالس العوام وأثر فيهم، واشتهر بمليح وعظه وقصه، فقد يثقل عليه في كثير من الأحيان إيراد الإسناد، فكان بعض إرساله من هذا. حدث مرة بحديث فقال له رجل: يا أبا سعيد، عمن؟، قال: وما يصنع بعمن؟ أما أنت فقد نالتك موعظته وقامت عليك حُجته[١].

وعن علي بن زيد، قال: حدثت الحسن بحديث، وهو عندي متوار في منزلي، فاستعاده ست مرات، فلما أن ظهر جعل يحدث بذاك الحديث، فقلت: يا أبا سعيد: من حدثك بهذا؟ قال: دعنا منك، فلما أكثرت عليه قال: أنت حدثتنيه[٢].

ولعل من الأسباب التي جعلت الحسن يرسل في بعض الأحيان، الجانب السياسي، فسكوت الحسن عن الرواية عن بعض الصحابة في ذلك الوقت كعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ مثلاً قطعًا للفتنة، فكان يفضل الإرسال بزمن الأمويين، والحجاج سيفهم على البصرة[٣].

فعن يونس بن عبيد أنه قال: سألت الحسن، قلت: يا أبا سعيد: إنك تقول: قال رسول الله ﷺ وإنك لم تدركه؟ فقال: يابن أخي، لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك، ولولا منزلتك مني ما أخبرتك؛ إني في زمان كما ترى ـ وكان في زمن الحجاج ـ كل شيء سمعتني أقوله: قال رسول الله ﷺ، فهو عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر فيه عليًا[٤].

---

(١) عيون الأخبار (٢/ ١٣٧).

(٢) المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٦).
وهذا يدل على ضبط الحسن، وإتقانه ـ رحمه الله ـ لكنه أضرب عن إيراد الإسناد لضرورة ما يصبو إليه من وعظ الناس، وإرشادهم، وفيهم عوام لا قيمة للإسناد عندهم، غاية قصدهم ما دل عليه النص من حكم، ومواعظ، والله أعلم.

(٣) الحسن البصري وحديثه المرسل (٣٤٩).

(٤) تدريب الرواي (١/ ٢٠٤)، ولمعرفة المزيد من الأسباب، يراجع كتاب الحسن البصري وحديثه المرسل (٣٤٦ـ٣٥١).

إلى غير ذلك من الأسباب التي أدت إلى تساهل الحسن ـ رحمه الله ـ في جانب الرواية سنداً ومتناً .

٢ ـ حرصه على نشر العلم، وتأثمه من كتمانه :

فعن يونس بن عبيد قال : قال الحسن احتساباً، وسكت محمدٌ بن سيرين احتساباً[١] .

وعن قتادة، عن الحسن قال : لولا الميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم ما حدثتكم بكثير مما تسألون عنه[٢] .

وقد أكثر من التحديث حرصاً على البلاغ، حتى بلغ حداً كره ذلك منه بعض التابعين .

فعن الشعبي قال : لو لقيت هذا (يعني : الحسن) لنهيته عن قوله : قال رسول الله ﷺ، صحبت ابن عمر ستة أشهر فلم أسمعه يقول : قال رسول الله : إلا في حديث واحد[٣] .

٣ ـ حرصه على الكتابة :

فقد كانت له كتب يراجعها، وكان يرى أن من أهم ما يحفظ العلم الكتاب .

فعن الأعمش عن الحسن قال : إن لنا كتباً نتعاهدها[٤] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ١٦٢)، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد (٣/ ١٣٧) ٤٦٠١ .

(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٨) .

(٣) العلل ومعرفة الرجال لأحمد (٣/ ٣٦٧) ٥٦١٤ .

(٤) العلم لأبي خثيمة (١/ ١٢٥)، وتقييد العلم (١٠١)، والمحدث الفاصل (٣٧١)، وجامع بيان العلم وفضله (١/ ١٢٤) .

ويقول أيضًا: إنما نكتبه لنتعاهده[١]، وعنه قال: ما قيد العلم بمثل الكتاب[٢]، وكان يأمر بنيه وبني أخيه بالكتابة.

فعن شرحبيل بن سعيد قال: دعا الحسن بنيه، وبني أخيه، فقال: يا بني، وبني أخي، إنكم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يرويه - أو قال: يحفظه - فليكتبه وليضعه في بيته[٣].

وقد أملى - رحمه الله - التفسير فكتبه الناس[٤].

ولم يكتف بهذا، بل كتب لهم[٥].

٤ - اهتمامه بمعرفة أسباب النزول، وتقدمه في هذا:

يقول عن نفسه: ما أنزل الله آية إلا أحب أن أعلم فيم أنزلت وماذا عني بها[٦].

ولذا كان لا يخرج من سورة إلى أخرى، حتى يعرف تأويلها وفيم أنزلت[٧].

ومما تميز به الحسن في هذا الجانب: ميله إلى القول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، يحدوه إلى ذلك ما عني به من التعليم، والدعوة والوعظ والتذكير، فقد ورد عنه عند تأويل قوله سبحانه: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ...**﴾ الآية[٨]، قيل للحسن: أهي لنا يا أبا سعيد، كما كانت لبني إسرائيل؟

---

(١) تقييد العلم (١٠١).

(٢) المرجع السابق (١٠١)، والمحدث الفاصل (٣٧٥).

(٣) سنن الدارمي (١/ ١٣٠).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٢٤).

(٥) تقييد العلم (١٠٢).

(٦) زاد المسير (١/ ٤)، والمحرر الوجيز (١/ ١٥)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ١١٤، ٢٨٤).

(٧) شذرات الذهب (١/ ١٣٧).

(٨) سورة المائدة: آية (٣٢).

فقال: إي والذي لا إله غيره، كما كانت لبني إسرائيل! وما جعل دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا[١].

وعند قوله جل وعلا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٢].

قال الحسن: نزلت في اليهود، وهي علينا واجبة[٣].

٥ ـ كثرة الاجتهاد، وقوة الاستنباط:

لقد كان للقدرة العلمية، والقدرة العقلية التي تمتع بها الحسن ـ رحمه الله ـ أثر على كثرة المروي عنه؛ حيث كثر اجتهاده لكثرة ما يعرض عليه، وقد أعمل رأيه في الاستنباط لبعض ما يعرض له، واجتهد فيما يرد عليه، لا سيما وأنه إمام عامة وخاصة، وقد غشيه الناس، وأكثروا عليه السؤال، حتى قال ثابت البناني: لولا أن تصنعوا بي ما صنعتم بالحسن لحدثتكم أحاديث مونقة، ثم قال: منعوه القائلة، منعوه النوم[٤]، وهذا الإقبال من الناس جعله من أكثر التابعين تعرضًا للسؤال في بيان مشكل الآيات[٥]، فأعطى لفهمه وعقله، شيئًا من السعة في النظر والتأمل، حتى إن بعض معاصريه نصحه، ونهاه عن ذلك؛ فعن أبي نضرة قال: قدم أبو سلمة البصرة، فأتيته أنا والحسن، فقال للحسن: ما كان أحد بالبصرة أحب إليَّ لقاء منك؛ وذلك أنه بلغني أنك تفتي برأيك،

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٢٣٩) ١١٨٠٠، وتفسير البغوي (١/ ٣٢)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٨٧)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير عن الحسن به (٣/ ٦٥).

(٢) سورة المائدة: آية (٤٤).

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ٣٥٧) ١٢٠٦٠، وتفسير ابن كثير (٣/ ١١٠)، والبحر المحيط، وأورد هذه الرواية السيوطي في الدر، وعزاها إلى عبد بن حميد، وابن جرير عن الحسن، به (٣/ ٨٨).

(٤) السير (٤/ ٥٨٤).

(٥) وإن كان مجاهد ممن سبق الحسن في هذا، ولكن كان لكل واحد منهما منهج يأتي تفصيله فيما بعد.

فلا تفت برأيك إلا أن تكون سنة عن رسول الله ﷺ أو كتاب منزل[١].

وجاء عنه أيضًا أنه لما قدم البصرة، ورأى تعظيم أهلها للحسن، قال: يا أبا سعيد، إني أرى قومًا (يعني: أنهم يأخذون برأيه): فاتق رأيك[٤].

ولما سُئل طاوس بن كيسان عن الحسن، قال: ذاك رجل جريء[٢]، وقد تعجب بعض من يستفتيه من إفتائه، فقيل له: ما تفتي به الناس، شيئًا سمعته، أو تقوله برأيك؟ قال: لا والله ما كل ما نفتي به سمعنا، ولكن رأينا خير لهم[٣].

وكان ـ رحمه الله ـ يقول: ما أنزل الله آية، إلا وهو يُحب أن يُعلم في ماذا أنزلت، وماذا عنى بها، وما استثنى من ذلك لا متشابها ولا غيره[٥].

وهذه نماذج لبعض تلك الآيات المشكلة، والتي تعرض لها الحسن بالتفسير والبيان:

فمن ذلك: ما ورد عنه عند قوله جل وعلا: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[٦].

قال الحسن: أربع في القرآن ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾: ما كان مكرهم لتزول منه الجبال، وقوله: ﴿لَاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[٧]: ما كنا فاعلين، وقوله: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾[٨]: ما كان للرحمن ولد، وقوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾[٩].

---

(١) سنن الدارمي (١/ ٥٨).
(٢) المعرفة والتاريخ (٢/ ٤٤).
(٣) تهذيب الكمال (٦/ ١٠٨).
(٤) تهذيب الكمال (٦/ ١٠٩).
(٥) مجموع فتاوى (١٣/ ٢٨٤).
(٦) سورة إبراهيم: آية (٤٦).
(٧) سورة الأنبياء: آية (١٧).
(٨) سورة الزخرف: آية (٨١).
(٩) سورة الأحقاف: آية (٢٦).

وفي رواية عنه زاد خامسة فقال: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾[١] : ما كنت في شك ﴿مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾[٢] .

ومن ذلك: ما ورد عنه عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٣] .

فعن الحسن قال: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس[٤] .

ومما ورد عنه أيضًا: ما جاء عند تأويله لقوله تبارك وتعالى: ﴿يَا مُوسَىٰ لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾[٥] .

عن الحسن قال: قال الله: إني إنما أخفتك لقتلك النفس، ثم قال: كانت الأنبياء تذنب فتعاقب[٦] .

ومنه ما نُقل عنه عند تفسير قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٧]، حيث قال: ليس أحد إلا يعطى نورًا يوم القيامة؛ يعطى المؤمن والمنافق، فيطفأ نور المنافق، فيخشى المؤمن أن يطفأ نوره، فذلك قوله: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[٨]. قال: يدعونه تقريبًا إليه، كقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ

---

(١) سورة يونس: آية (٩٤).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٢٤٧).

(٣) سورة البقرة: آية (٣٤).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٥٠٦) ٦٩٦، وأورده ابن كثير في تفسيره، وصحح إسناده (١/ ١١٠).

(٥) سورة النمل: آية (١٠).

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ١٣٦)، وتفسير القرطبي (١٣/ ١٠٩).

(٧) سورة التحريم: آية (٨).

(٨) تفسير الطبري (٢٨/ ١٦٩)، والبحر المحيط (٨/ ٢٩٤).

لِذَنْبِكَ﴾[١]، وهو مغفور له[٢].

وقد بلغ الحسن في هذا العلم شأنًا كبيراً، حتى إن التابعين من المدرسة المكية، كانوا يسألونه عن بعض ما أشكل عليهم، عندما قدم إلى مكة؛ يقول ابن سعد: إن الحسن لما قدم مكة أجلسوه على سرير، واجتمع الناس إليه فحدثهم، وكان فيمن أتاه مجاهد، وعطاء، وطاوس، وعمرو بن شعيب، فقالوا، أو قال بعضهم: لم نر مثل هذا قط[٣].

ويقول عقبة بن أبي حمزة: شهدت الحسن بمكة، قال: وجاءه طاوس، وعطاء ومجاهد، فسألوه عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ﴾[٤]، قال الحسن: اللهو المرأة[٥].

وقد أفضى به هذا التوسع في بيان مشكل الآية إلى مخالفة الظاهر من النص القرآني، وصرفه عن المعنى القريب إلى معنى بعيد غير ظاهر، ولعل من أسباب ذلك أن الحسن إمام غلب على حسه وفهمه الجانب الوعظي، مما جعله يصرف بعض معاني الآيات عن الظاهر خشية أن يحدث إشكال في أذهان سامعيه للمعنى القريب الظاهر.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك، ما ورد عنه عند تأويل قوله سبحانه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾[٦].

---

(١) سورة محمد: آية (١٩).

(٢) البحر المحيط (٨/ ٢٩٤).

(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٨)، وتهذيب الأسماء (١/ ١٦٢)، وتهذيب الكمال (٦/ ١٢٥).

(٤) سورة الأنبياء: آية (١٧).

(٥) تفسير الطبري (١٧/ ١٠)، وتفسير القرطبي (١١/ ١٨٣)، ولمزيد من الأمثلة الدالة على اهتمامه ببيان المشكل وإيضاحه، يُراجع تفسير الطبري الآثار: ١٦٨٠، ١٦٩٧، ٢٥٠٢، ٣٤٩٨، ٥٦٠٩، ٥٦١٠، ٧٠٢٢، ٧١٣٥، ٧١٤٠، ٧٣٥١، ٧٦٢٩، ١١٨٠٢...، وغيرها.

(٦) سورة المائدة: آية (٢٧).

قال ـ رحمه الله ـ: كان الرجلان اللذان في القرآن، اللذان قال الله: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾، من بني إسرائيل، ولم يكونا ابني آدم لصلبه، وإنما كان القُربان في بني إسرائيل، وكان آدم أول من مات[١].

ومنها: ما ورد عنه عند تفسير قوله جل ثناؤه: ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ... ﴾[٢] الآية. عن قتادة قال: كان الحسن يقول: لما قيل لهم: ﴿ فمن يكفر بعد منكم... ﴾، إلى آخر الآية، قالوا: لا حاجة لنا فيها! فلم تنزل[٣].

وعن منصور بن زاذان، عن الحسن: إنه قال في المائدة: لم تنزل[٤].

ومنها: ما نُقل عنه عند تأويل قوله تبارك وتعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً ﴾[٥]، قال ﴿ فِي مَنَامِكَ ﴾: بعينك[٦].

ومنها: ما جاء عنه في تفسير قوله جل وعلا: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾[٧]، قال الحسن: لم يكن سجودًا، لكنه سنة كانت فيهم، يومئون برؤوسهم

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٢٠٨) ١١٧١٩، وتاريخ الطبري (١/ ٧١)، وزاد المسير (٢/ ٣٣١)، والمحرر الوجيز (٥/ ٧٧)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير عن الحسن به (٣/ ٥٦).
وقد انفرد بهذا القول، وخالفه أخص تلاميذه: قتادة.

(٢) سورة المائدة: آية (١١٤).

(٣) تفسير الطبري (١١/ ٢٣١) ١٣٠٢٠)، وأورده ابن كثير في تفسيره، وصحح إسناده (٣/ ٢٢٥)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير وابن أبي حاتم، وابن الأنباري، عن الحسن به (٣/ ٢٣٧).

(٤) تفسير الطبري (١١/ ٢٣١) ١٣٠٢١، تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢٥).

(٥) سورة الأنفال: آية (٤٣).

(٦) أورده ابن كثير في تفسيره من رواية ابن أبي حاتم، ثم قال: وهذا القول غريب، وقد صُرح بالمنام هنا، فلا حاجة إلى التأويل، الذي لا دليل عليه اهـ. (٤/ ١٣)، وقد ضعف هذا القول كثير من المفسرين منهم الزمخشري، وأبو حيان، يُنظر البحر المحيط (٤/ ٥٠١).

(٧) سورة يوسف: آية (١٠٠).

إيماء[١] ، وجعل الضمير في قوله: (وخروا له) عائداً على الله[٢] .

وروي عنه في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾[٣] ، أنه كان يحلف أنه ليس ابنه لصلبه، قال قتادة: فقلت له: إن الله حكى عنه: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾، وأنت تقول: لم يكن ابنه، وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه، فقال: ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب؟! ثم قال: يقول: من أهلي، ولم يقل: مني[٤] .

وكان ـ رحمه الله ـ يرى أن الإسراء كان بالروح دون الجسد، ويستدل بقوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[٥] ، ويستدل بقول الله في الخبر عن إبراهيم، إذ قال لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾[٦] ، ثم يقول: فعرفت أن الوحي يأتي للأنبياء من الله أيقاظًا، ونيامًا[٧] .

هذه جملة من أبرز الأمثلة المروية عنه في ذلك، ومع هذا فإن المستقرئ، والمتتبع لتفسيره ـ رحمه الله ـ يجد أن أكثره، كان بالمأثور، وأما تفسيره بالرأي فقد كان قليلاً .

٦ ـ عدم دخوله في الفتن :

وهذا من المعالم البارزة في شخصية هذا الإمام، فإنه قد عاصر منذ صباه الاضطرابات الداخلية التي أصابت دولة الخلافة، وانتهت بمقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) تفسير ابن عطية (٩/ ٣٧٨)، وتفسير القرطبي (٩/ ١٧٣) .

(٢) المرجعان السابقان .

(٣) سورة هود : آية (٤٢) .

(٤) البحر المحيط (٥/ ٢٢٦)، وأشار إلى هذه الرواية ابن عطية في المحرر بلفظ مُختصر (٩/ ١٦١) .

(٥) سورة الإسراء : آية (٦٠) .

(٦) سورة الصافات : آية (١٠٢) .

(٧) تفسير الطبري (١٥/ ١٦)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٤١) .

وفي ذلك يقول: كنت بالمدينة يوم قتل عثمان وأنا ابن أربع عشرة سنة[١]، ثم نشأ وعاصر أحداث هذه الثورة، وما تلاها من انشقاق وفتن، وعاش فتنة ابن الأشعث في البصرة، التي خرج فيها عامة القراء، والزهاد، والعلماء، التي هزم فيها ابن الأشعث وأصحابه[٢].

هذا وغيره مما جعل الحسن يبتعد عن هذه الفتن، وينهى عنها.

ولم يكن ذلك جبنًا، وخوفًا، فهو الذي شغل في صباه بالجهاد عن طلب العلم[٣]، وهو الواعظ المشهور الذي كان يأتي الحكام فيأمرهم، وينهاهم ويذكرهم بالله، ولا يخاف في الله لومة لائم، وإنما كان هذا البعد من الفتن منهجًا اختطه هذا الإمام عن قصد، وتوجه؛ ولذا عده بعض الأئمة من رؤوس العلماء في الفتن، والدماء[٤].

ومما جاء من خبره في هذه الفتن، أن الناس أشاروا على ابن الأشعث إن أراد أن يخرج الناس معه أن يخرج الحسن، يقول ابن عون: استبطأه الناس أيام ابن الأشعث، فقالوا له: أخرج هذا الشيخ (يعني: الحسن)، قال ابن عون: فنظرت إليه بين الجسرين، وعليه عمامة سوداء، قال: فغفلوا عنه، فألقى نفسه في بعض تلك الأنهار حتى نجا منهم، وكاد يهلك يومئذ[٥].

ولما سئل عن الحجاج، فقيل له، يا أبا سعيد، ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وترك الصلاة، وفعل وفعل؟

---

(١) السير (٤/ ٥٦٩)، وأخبار القضاة (٢/ ٦).

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه الفتنة: فهزموا، وهزم أصحابهم، فلا أقاموا دينًا ولا أبقوا دنيا، والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين والدنيا، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة، ينظر منهاج السنة (٤/ ٥٢٨).

(٣) السير (٤/ ٥٧٢).

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ١٦٣)، والسير (٤/ ٥٧٥).

(٥) طبقات ابن سعد (٧/ ١٦٣)، وتاريخ الإسلام (ح ١١٠ هـ/ ٥٣).

فقال الحسن: أرى ألا تقاتلوه، فإنها إن تكن عقوبة من الله، فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء، فاصبروا حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين[١].

وكان يقول: الحجاج عذاب الله، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم، ولكن عليكم بالاستكانة، والتضرع، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[٢].

وسأله رجل (وأناس من أهل الشام عنده)، فقال: يا أبا سعيد: ما تقول في الفتن مثل يزيد بن المهلب، وابن الأشعث؟ فقال: لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، فقال رجل من أهل الشام: ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد، فقال: نعم، ولا مع أمير المؤمنين[٣].

ولذا فقد احتاج الناس إلى علم الحسن، لبعده عن هذه الفتن، يقول عبد الله بن عون: كان مسلم بن يسار[٤] أرفع عند أهل البصرة من الحسن، حتى خف مع ابن الأشعث، وكف الحسن، فلم يزل أبو سعيد في علو منها بعد، وسقط الآخر[٥].

وعن مالك بن دينار، قال: لقيت معبدًا الجهني بمكة، بعد ابن الأشعث وهو جريح، وقد قاتل الحجاج في المواطن كلها، فقال: لقيت الفقهاء والناس، لم أر مثل الحسن، يا ليتنا أطعناه![٦].

بل وكان ـ رحمه الله ـ ينهى عن الدخول في الفتن، ويغلظ القول في ذلك.

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ١٦٤).

(٢) سورة المؤمنون: آية (٧٦)، منهاج السنة (٤/ ٥٢٩)، وتاريخ الإسلام (١١٠ هـ/ ٥٤).

(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ١٦٤).

(٤) مسلم بن يسار البصري، أبو عبد الله الفقيه، ثقة عابد مات سنة مائة، قال عنه قتادة: خامس خمسة من فقهاء البصرة، ينظر التقريب (٥٣١)، المعرفة (٢/ ٨٨).

(٥) طبقات ابن سعد (٧/ ١٦٥)، والسير (٤/ ٥١٣).

(٦) التاريخ الصغير (١/ ٢٠٤).

فعن شعبة قال: انتهيت إلى الحسن البصري، قال: كلما نعر كلب أو ديك تبعتموه[١].

ولذا نجد أن بعض الفرق كرهوا الحسن، وشنعوا عليه من هذا الباب، وفي ذلك يقول قتادة: والله لا يبغضه إلا حروري[٢].

٧ ـ تقدمه، وجمعه لفروع عديدة من العلم:

يقول ابن سعد: وكان الحسن جامعًا عالمًا عاليًا رفيعًا كبير العلم فصيحًا[٣].

وعن الحجاج بن الأسود، قال: تمنى رجل فقال: ليتني بزهد الحسن، وورع ابن سيرين، وعبادة عامر بن عبد قيس، وفقه سعيد بن المسيب! فنظروا ذلك، فوجدوه كلامًا كله في الحسن[٤].

ويقول عنه ابن حبان: كان من علماء التابعين، بالقرآن والفقه والأدب[٥].

والمطالع في تفسيره يجد شاهد ذلك، في كثرة تعرضه لآيات الأحكام والقراءات والغريب وغير ذلك، مما يدل على تقدمه في كثير من فروع العلم، مما كثر المنقول عنه في هذه الفروع، وكان من الأسباب في كثرة المروي عنه في التفسير وغيره.

وقد كانت حلقته في المسجد يمر فيها الحديث، والفقه، وعلم القرآن، واللغة،

---

(١) المرجع السابق (١/ ٢٤٧).

(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ١٧٤)، وتهذيب الكمال (٦/ ١٠٨).
الحرورية: نسبة إلى حروراء، قرية من قرى الكوفة، تجمع بها المحكمة الأولى الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، بعد تحكيم الحكمين، فكفروا عليًا وتبرؤوا منه فحاربهم بالنهروان، ومنهم افترقت فرق الخوارج كلها. يراجع مقالات الإسلاميين (١/ ١٢٨) والفرق بين الفرق ص (٧٥)، والملل والنحل (١/ ١١٥).

(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٧).

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ١٦٥)، والمعرفة (٢/ ٦١).

(٥) مشاهير علماء الأمصار (٨٨)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٤٢).

وسائر العلوم، وكان ربما يُسأل عن التصوف فيجيب، وكان منهم من يصحبه للحديث، ومنهم من يصحبه للقرآن، والبيان، ومنهم من يصحبه للبلاغة[١].

بل كان ـ رحمه الله ـ يستثنى من كل غاية فيقال: فلان أزهد الناس إلا من الحسن، وأفقه الناس إلا من الحسن، وأفصح الناس إلا من الحسن، وأخطب الناس إلا من الحسن[٢].

٨ ـ تقدمه في القراءة:

يعد الحسن أحد القراء الأربعة[٣]، الذين تنسب إليهم القراءات الزائدة على العشر[٤].

ولذا نجد الأئمة من المفسرين يعتنون بإيراد قراءته والترجيح بها.

ومما تميز به بين عموم مفسري التابعين في هذا الباب، عنايته بتصحيح الأداء، والنطق في القراءة[٥].

ولذا كان له اختيار في القراءة، وقد جعله الحجاج رئيس اللجنة في كتابة

---

(١) السير (٤/ ٥٧٩).

(٢) المستطرف (١/ ١٥٧).

(٣) القراء الأربعة هم: الحسن البصري (-١١٠ هـ)، وابن محيصن (- ١٢٣هـ)، ويحيى اليزيدي (-٢٠٢ هـ)، والشنبوذي (- ٣٨٨ هـ).

(٤) العشرة هم: القراء السبعة: ابن عامر (- ١١٨ هـ)، وابن كثير (- ١٢٠ هـ)، وعاصم (-١٢٧هـ)، وأبو عمرو (- ١٥٤ هـ)، وحمزة (- ١٨٨ هـ)، ونافع (- ١٦٩ هـ)، والكسائي (-١٨٩ هـ)، والثلاثة الباقون: هم أبو جعفر (- ١٣٠ هـ) ويعقوب (٢٢٥ هـ)، وخلف (-٢٢٩هـ).

(٥) من الأمثلة الدالة على ذلك، ينظر تفسير الطبري الآثار ٢٧٩٢، ٨٠٤٧، ٨١٥١، ١٣٧٣١، ١٤٦٢٦، ١٨٨١٢، ١٩١٧٠، ٢٠٥٤٨، ٢٠٥٤٩، والصفحات ذوات الأرقام (١٦/ ١٢)، (١٦/ ٢٠٦)، (٢٣/ ٧٣)، (٢٣/ ١١٧)، (٢٨/ ١٨)، (٢٨/ ٣٠)، (٢٨/ ١٦٠)، (٢٩/ ٢٤٠)، (٣٠/ ٣٩)، (٣٠/ ٢١٥)، (٣٠/ ٢١٨)، (٣٠/ ٢٩٤).

المصحف[١] .

مع ما سبقت الإشارة إليه من فصاحة الحسن، وقدرته الفائقة على الإيضاح، والبيان بأجمل عبارة، وأقواها، وكذا سعة علمه بمعرفة الغريب من كلام العرب، هذا، وغيره من العوامل التي ساعدت على نشر تفسيره ـ رحمه الله ـ وروايته .

٩ ـ إكثاره في باب الوعظ، والتذكير :

فالحسن جمع بين التعليم، والدعوة، فكثر توجيهه، وتعليمه، وقد أوتي حظًا وافرًا من الفصاحة والبيان والقدرة على التأثير، حتى كان فردًا في زمانه في هذا الباب[٢] .

يقول عنه الإمام الذهبي : كان مليح التذكير، بليغ الموعظة، رأسًا في أنواع الخير[٣] .

وقد نقل عنه كثير من هذه المواعظ والحكم، في آيات الوعد والوعيد، وآيات الترغيب، والترهيب، لما لتفسيره من أثر بالغ على قلب السامعين؛ ولذا حرص المفسرون على نقل تلك الكلمات، وروايتها، فكان هذا من أسباب كثرة المروي عنه .

سئل الأوزاعي : أي الناس أعلم؟ قال : ذهب عليهم الحسن بالمواعظ، وذهب عليهم عطاء بالمناسك[٤] .

وقد أقر له بعض معاصريه من أئمة التابعين بهذا التقدم في باب الوعظ، روى معمر قال : جاء رجل إلى ابن سيرين، فقال : رأيت حمامة التقمت لؤلؤة، فخرجت منها أعظم مما دخلت، ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة، فخرجت أصغر مما

(١) نكتب الانتصار، لنقل القرآن (٣٩٦).
(٢) صبح الأعشى (١/ ٥١٧)، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.
(٣) تذكرة الحفاظ (١/ ٧٢).
(٤) العلل لأحمد (١/ ١٩٧).

دخلت، ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة، فخرجت كما دخلت سواء، فقال ابن سيرين : الحمامة الأولى الحسن يسمع الحديث فيجوده بمنطقه، ثم يصل فيه من مواعظه، والثانية : ابن سيرين يشك فيه فينقص منه، والثالثة : قتادة فهو أحفظ الناس[1].

العوامل التي أدت إلى تقليل نتاجه مقارنة بغيره :

ومع هذه الأسباب التي أدت إلى كثرة المروي عنه إلا أن هناك عوامل أخرى أدت إلى تقليل هذا النتاج مقارنة بغيره، وإلا لكان المروي عنه أكثر من هذا، من هذه العوامل :

١ ـ عدم تخصص أحد من تلاميذ الحسن لرواية تفسيره والانقطاع لذلك :

فالناظر في المروي عنه في التفسير، يلاحظ عدم تفرغ أحد من تلاميذه لنقل مروياته، فقتادة وهو من أكثر الملازمين له ، بل ومن أكثر التلاميذ رواية عنه، لم يرو إلا نسبة قليلة من تفسيره[2] ، مع ما يلاحظ من أن بعض من روى تفسير الحسن غير مرضي

---

(١) تهذيب الأسماء (٢/ ٥٧)، وسبق قريبًا.

(٢) حيث بلغ ما نقله عنه (١٨٠) رواية من مجموع تفسيره (في تفسير الطبري) ، البالغ (١٤٨٧) رواية أي ما نسبته (١٢ , ٠)، وكان الذي يليه في العناية بنقل تفسير الحسن، معمر بن راشد؛ حيث روى (١٧٢) رواية، أي ما نسبته (٥ , ١١ , ٠)، وغيرهم دونهم في ذلك.
في حين أن مجاهدًا، وقتادة، وغيرهم، وجد من تلاميذهم من يُعنى ويتخصص في نقل تفسيرهم، فهذا مجاهد عني بنقل تفسيره ابن أبي نجيح، فروى ما يزيد على نصفه؛ حيث بلغ نسبة ما رواه (٥٦ , ٠) من مجموع ما ورد عنه في تفسير الطبري البالغ (٦١٠٩) أثرًا، وعني بجزء من الباقي ابن جريج؛ حيث نقل ما نسبته (١٥ , ٠) من مجموع تفسيره.
ومثله قتادة؛ حيث تفرغ لنقل تفسيره سعيد بن أبي عروبة، فروى ما نسبته (٦٢ , ٠) من مجموع تفسيره، البالغ (٥٣٧٩) رواية، وقريبًا منه ما رواه معمر بن راشد؛ حيث روى عنه ما نسبته (٣٠ , ٠) من مجموع تفسيره.
وأحب هنا أن أسجل نتيجة ظهرت لي، وترجحت عندي، وهي أن قطعة كبيرة من تفسير =

الحال كعمرو بن عبيد[١] ، وواصل بن عطاء[٢] ؛ لذا فقد أعرض كثير[٣] من المفسرين عن نقل ما جاء من طريقهم ، كعبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم . . . وغيرهم .

٢ ـ اشتغاله بالفقه ، وتصدره للفتوى :

كان ـ رحمه الله ـ إمامًا في هذا ، وممن تصدى لتدريس العامة والخاصة ، ووعظهم ، وتعليمهم ، ومن كانت هذه حاله ؛ فإن من أحوج ما يحتاج إليه الناس السؤال عن

= الحسن نقلها المفسرون عن قتادة ، وهي في الأصل من تفسير الحسن ، يشهد لذلك ويؤيده جملة من القرائن والأدلة من أهمها :

١ ـ أن قتادة تتلمذ على الحسن ، ولازمه أكثر من اثنتي عشرة سنة ، كما سيأتي إن شاء الله .

٢ ـ كان قتادة ممن يحرص على الآثار بعامة ، وبخاصة ما يتعلق منها بالتفسير ، وكان يقول : ما من آية إلا وسمعت فيها شيئًا ، مع ما يُعلم من حاله من كرهه للاجتهاد بالرأي .

٣ ـ مع ما يلاحظه القارئ لتفسيره (أعني : قتادة) من التشابه ، والتطابق مع تفسير الحسن في كثير من الأحيان ، مما يؤكد أن كثيراً من تفسيره مستفاد من تفسير الحسن ، ورواه قتادة من تأويله ، لاسيما وأن قتادة كان آية في الحفظ بين التابعين ، بل كان مضرب المثل في ذلك .

٤ ـ ومما يؤكد هذا أن المراجع لكتب الفقه ، والوعظ ، والأدب ، يجدها مليئة بكم كبير من فتاوى الحسن ، في حين أن كتب التفسير بالمأثور قل فيها الرواية عنه ، وخصوصًا ما كان منها في تلك الجوانب ، ولم ينقل إلا شطر منها ، وأغلب الظن بعد التتبع ، والمقارنة ، أن جزءًا كبيراً من تأويلات الحسن وصلت إلينا في كتب التفسير منسوبة إلى تلاميذه ، وخاصة ، ما كان من تفسير قتادة .

(١) عمرو بن عبيد أبو عثمان البصري ، كبير المعتزلة ، مات سنة (١٤٤ هـ) ، ينظر الخلاصة (١٠٩) ، ومروج الذهب (٣/ ٣١٣) ، وغاية النهاية (١/ ٦٠٢) .

(٢) واصل بن عطاء أبو حذيفة ، مولاهم البصري ، وكان رأسًا في الاعتزال ، مات سنة (١٣١ هـ) ، ينظر معجم الأدباء (١٩/ ٢٤٣) ، والفرق بين الفرق (١١٧) ، وميزان الاعتدال (٤/ ٣٢٩) .

(٣) تاريخ التراث (١/ ٧٢) . وأما الثعلبي في الكشف فقد نقل تفسير الحسن من طريق عمرو بن عبيد ، وتبعه على ذلك البغوي في المعالم .
ينظر مقدمة تفسير البغوي (١/ ٢٨) ، وتاريخ التراث (١/ ٧٢) .

الأحكام العملية التي ترتبط بعباداتهم وعلاقاتهم، وسلوكهم، فاشتغل ـ رحمه الله ـ بهذا، وكان له الأثر في عدم تفرغه، وانقطاعه لعلم التفسير[١].

وقد أثنى عليه قتادة ـ وهو أقرب الناس إليه، وأخصهم بمعرفة حاله ـ أثنى عليه في الجانب الفقهي، وقدم غيره عليه في الجانب التفسيري.

فعنه قال: أعلم الناس بالحلال والحرام الحسن، وأعلمهم بالمناسك عطاء بن أبي رباح، وأعلمهم بالتفسير عكرمة[٢].

ولذا عدَّ الحسن فقيه البصرة بلا مُنازع[٣]، وقد أثنى عليه الأئمة في هذا.

فعن علي بن زيد قال: أدركت عروة بن الزبير، ويحيى بن جعدة، والقاسم بن محمد، فلم أر فيهم مثل الحسن، ولو أن الحسن أدرك أصحاب النبي ﷺ ـ وهو رجل ـ لاحتاجوا إلى رأيه[٤].

وكان قتادة يقول: ما جالست فقيهًا قط، إلا رأيت فضل الحسن عليه[٥].

وقال بكر بن عبد الله: الحسن أفقه من رأينا[٦].

وقد بلغ من كثرة المروي عنه في الفقه، أن جمع بعض العلماء[٧] فتاواه في سبعة

---

(١) بخلاف ما كان عليه مجاهد، وقتادة؛ حيث تفرغا لهذا العلم، ولم يُنقل عنهم في العلوم الأخرى من الروايات مثل ما نُقل عنهما في التفسير.

(٢) المعرفة (١/ ٧٠١)، (٢/ ١٦)، والسير (٥/ ١٧).

(٣) شذرات الذهب (١/ ١٣٧).

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ١٦١)، والمعرفة (٢/ ٣٢)، وطبقات الفقهاء (٨٧).

(٥) تهذيب الكمال (٦/ ١٠٧).

(٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٦٢)، والتحفة اللطيفة (١/ ٤٧٧).

(٧) وهو محمد بن أحمد بن يحيى بن مُفرج القاضي، قال: الحميدي في جذوة المقتبس: وصنف محمد بن أحمد في فقه التابعين منها «فقه الحسن البصري» في سبع مجلدات، الجذوة (٤٠).

أسفار ضخمة[١] .

وقد فاق غيره من التابعين في سعة علمه، وإحاطته بسائر الأحكام.

فعن مطر، قال: كان علم عطاء في المناسك، وكان علم إبراهيم في الصلاة، وكان علم صاحبنا في كل، يعني الحسن[٢] .

وشاهد ذلك ما يجده المراجع لتفسيره، من كثرة تعرضه لتأويل آيات الأحكام، وبيان ما فيها من الأحكام، والفوائد الفقهية[٣] .

وهذا الاشتغال كان من أهم الأسباب في عدم تفرغه لعلم التفسير، وانصرافه عنه، مما كان له الأثر الأكبر في قلة المروي عنه.

٣ ـ ضعف حافظته وإحراقه لكتبه :

فكان علمه ـ رحمه الله ـ في صحيفة[٤] .

وكان يقول عن نفسه : لولا النسيان كان العلم كثيراً[٥] .

---

(١) أعلام الموقعين (١/ ١٩).
ويشهد لكون الحسن من أكثر التابعين اهتمامًا بالفقه، ما نجده من عناية الفقهاء بأقواله في كتبهم، فمن ذلك ما ورد في كتاب المغني في الفقه لابن قدامة؛ حيث روى عن الحسن (٩١٢) رواية، في حين كان المروي عن مجاهد أقل من ذلك بكثير، روى عنه (٢٥٧) رواية، وعن قتادة (٣٣٤) رواية.

(٢) تاريخ أبي زرعة (٢/ ٦٨٣)، وتاريخ دمشق (١١/ ٦٣٨).

(٣) حيث بلغ المروي عنه في ذلك ما نسبته (١١,٠) من تفسيره، في حين بلغ ذلك عن مجاهد ما نسبته (٠٢٨,٠) من تفسيره، وعند قتادة ما نسبته (٠٢,٠) من تفسيره، والمراجع لكتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي يجد ما يؤكد سبقه وتقدمه في هذا.

(٤) تاريخ الإسلام (ح ١١٠ هـ/ ص ٥٢).

(٥) المعرفة (٢/ ٣٣)، وتهذيب الكمال (٦/ ١٢١)، والسير (٥٦٩).
حيث لا يمكن أن يُقارن الحسن في حافظته مع صاحبه ابن سيرين، ولا مع تلميذه قتادة. رحمة الله عليهم أجمعين.

ومع أن كثيراً من علمه كان في صحيفة إلا أنه أمر بها فأحرقت، فعن سهل بن الحصين الباهلي، قال: بعثت إلى عبد الله بن الحسن البصري: ابعث إلي بكتب أبيك، فبعث إلي: أنه لما ثُقل والدي، قال: لي: اجمعها لي، فجمعتها له، وما أدري ما يصنع بها، فأتيت بها، فقال للخادم: اسجري التنور، ثم أمر بها فأحرقت غير صحيفة واحدة[١].

٤ ـ قلة أسفاره، ورحلاته:

الحسن قضى سني عمره الأولى بالمدينة منذ الطفولة إلى سن الاحتلام، ولم يغادرها إلا بعد هذا السن، ثم لم يرجع إليها، وقد سأله أبو رجاء، فقال له: متى عهدك بالمدينة؟ قال: ليالي صفين[٢].

ثم إنه اشتغل في شبابه وصباه بالجهاد، فلم يطلب العلم، ولم يرحل فيه[٣].

فعن أبي معتمر قال: كان الحسن قد أفنى عمره في الغزو[٤].

وأما المرحلة الأخيرة من عمره ـ وهي أطول المراحل[٥] ـ فقد استقر في البصرة، ولم يخرج منها، بل إن خروجه إلى الأماكن المقدسة قليل، فلم يخرج إلا حاجًا، ولم يحج إلا مرتين[٦].

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ١٧٤)، والمنتخب من ذيل المذيل (٦٣٩).

(٢) العلل لأحمد (٣/ ١٧٦، ١٨٢) ٤٧٨٤، وطبقات ابن سعد (٧/ ١٥٧)، والثقات (٤/ ١٢٣)، والتذكرة (١/ ٧١)، والبداية (٧/ ٢٥٩)، والتحفة اللطيفة (١/ ٤٧٧)، وليلة صفين كانت في غرة صفر سنة (٣٧) هـ.

(٣) السير (٤/ ٥٧٢).

(٤) العلل لأحمد (٣/ ٢٢٧) ٤٩٩٤.

(٥) والتي كانت بين (٥٣ هـ ـ ١١٠).

(٦) طبقات ابن سعد (٧/ ١٧٥)، وتاريخ الإسلام (ح ١١٠ هـ/ ص ٥٦).

٥ ـ هيبته في قلوب تلاميذه :

فقد قذف الله الهيبة في قلوب تلاميذ هذا الإمام، فكان الواحد منهم يبقى الأيام، بل السنين لا يسأله عن المسألة مهابة له، يقول أيوب السختياني : كان الرجل يجلس إلى الحسن ثلاث حجج ما يسأله عن المسألة هيبة له[١] .

٦ ـ قلة اهتمام المشارقة بتفسيره :

كان اهتمام وعناية المفسرين من المشرق، بنقل ورواية ما جاء عن مجاهد، وعكرمة، وعموم تلاميذ المدرسة المكية، أكثر من اهتمامهم وعنايتهم بتفسير الحسن[٢] .

هذه بعض العوامل والأسباب التي كان لها الأثر في تقليل النقل عن هذا الإمام رحمه الله رحمة واسعة .

أثره في بعض علوم القرآن :

أولاً : موقفه من النسخ :

عني ـ رحمه الله ـ بمعرفة الناسخ، والمنسوخ، ومال كثيراً إلى القول بإعمال، وإحكام كثير من الآيات[٣] .

والناظر في تفسيره يجد ترادف عبارة النسخ والاستثناء عنده، وهذا التساهل كان

---

(١) تهذيب الكمال (٦/ ١٠٧)، وتاريخ الإسلام (ح ١١٠ هـ/ ٥٧)، والسير (٤/ ٥٧٣).

(٢) على عكس المغاربة الذين كانت عنايتهم في الدرجة الأولى بتفسير الحسن، وقد سبق الإشارة إلى ذلك في مبحث كتب التفسير بالمأثور ص ٧٣ .

(٣) بعد مراجعة كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس، وكتاب الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي، وجدت أن الحسن ممن مال إلى إعمال كثير من الآيات، ولذا روي عنه القول بإحكام (١٥) آية، ونسخ (٧) آيات .

دارجًا في عبارات المتقدمين من السلف.

فعند قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾[١] قال: فنسخ، واستثنى من ذلك[٢] فقال: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾[٣].

وعند قوله تبارك وتعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٤].

ثم قال: ثم نسخ واستثنى من ذلك[٥]، فقال:

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٦].

ثانيًا: معرفة المكي، والمدني:

كما كان ـ رحمه الله ـ من المهتمين بمعرفة المكي، والمدني، وقد عُني بتحديد كثير من السور المكية، والمدنية، وفاق غيره من التابعين[٧] في هذا المضمار، ومما يدل على اهتمامه بهذا الجانب عنايته بتحديد بعض المستثنى من سور محدودة، ولم يتوسع في ذلك[٨].

= ينظر بعض الأمثلة في كتاب الإيضاح الصفحات التالية: (١٤٨)، (١٦٩)، (٢٧٠)، (٢٧٢)، (٢٨٣)، (٢٨٧)، (٢٩٥)، (٣٦٠)، (٣٨٦)، (٤٠٥)، (٤١١).

(١) سورة الأنعام: آية (١٢١).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٨٧) ١٣٨٣٥.

(٣) سورة المائدة: آية (٥).

(٤) سورة النحل: آية (١٠٦).

(٥) تفسير الطبري (١٤/ ١٨٤).

(٦) سورة النحل: آية (١١٤).

(٧) باستثناء قتادة فإنه قد فاق شيخه في هذا الباب، وجاء الحسن بعده.

(٨) ينظر زاد المسير (٦/ ٣١٥)، (٨/ ٤٢٧).

فمن ذلك ما جاء عنه عند تفسير سورة غافر؛ حيث قال: وهي مكية إلا قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾[١]؛ لأن الصلوات نزلت في المدينة[٢].

وكذلك عند تفسيره لسورة لقمان قال: هي مكية إلا آية نزلت في المدينة، وهي قوله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾[٣]؛ لأن الصلاة والزكاة مدنيتان[٤].

كما عني -رحمه الله- بالإشارة إلى بعض الضوابط العامة في معرفة المكي من المدني فكان يقول: ما في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، فهو مكي، وما كان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فبالمدينة[٥].

ثالثًا: المعرب في تفسيره:

يعد الحسن ممن قال بوقوع المُعرب في القرآن، ولكنه امتاز عن غيره من التابعين[٦] بعدم التوسع في ذلك، حتى إنه لم يرد عنه القول بوقوع المعرب إلا في موضع واحد من القرآن، وذلك عند تأويل قوله تعالى: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[٧].

قال: كلمة بالسريانية، أي: عليك[٨].

---

(١) سورة غافر: آية (٥٥).

(٢) فتح القدير (٤/ ٤٧٩).

(٣) سورة لقمان: آية (٤).

(٤) زاد المسير (٦/ ٣١٤).

(٥) البرهان (١/ ١٩١).

(٦) كمجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير... وغيرهم.

(٧) سورة يوسف آية (٢٣).

(٨) تفسير الطبري (١٦/ ٢٧) ١٨٩٧٦، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٧)، وأورده السيوطي في المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، وعزاه ابن جرير إلى الحسن به (١٥٧)، وأشار إليه السيوطي في الإتقان (١/ ٣٧٨).

رابعًا: موقفه من الإسرائيليات :

ومما تميز به تفسير الحسن عن سائر التابعين[١] ، بُعده وإعراضه عن كثير من روايات بني إسرائيل، مع أنه من الوعاظ والمذكرين، إلا أنه لم يرض عن كثير من تلك الروايات، بل ضرب عنها صفحًا؛ فنجده مثلاً في سورة البقرة ـ التي روي فيها مئات الروايات عن التابعين [٢] ـ لا نجد له شيئًا، بل إن المروي عنه في ذلك يُوضح عدم الرضى، فعند تفسير قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾[٣] .

قال: خرجوا فرارًا من الطاعون، فأماتهم قبل آجالهم، ثم أحياهم إلى آجالهم[٤].

وعند قوله جل ثناؤه: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٥] خاض كثير من التابعين في المراد بها[٦] ، وأعرض الحسن عن هذا كله، وقال في تفسيرها: شيء تسكن إليه النفوس[٧].

وكان ـ رحمه الله ـ يرد وينكر، بعض الروايات الواردة في حق الأنبياء، ويفسر الآية بتفسير بعيد عن كل هذا.

---

(١) تميز حتى عن أقرب الناس إليه، فتلميذه قتادة مع أنه من أكثر الناس تأثرًا بمنهجه، وبعدًا عن روايات بني إسرائيل، إلا أنه قد وقع في شيء منها.

(٢) من خلال تفسير ابن جرير الطبري.

(٣) سورة البقرة: آية (٢٤٣).

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٢٧٤) ٥٦٠٩، وقارن ذلك بما روي عن غيره من التابعين عند هذه الآية.

(٥) سورة البقرة: آية (٢٤٨).

(٦) فقيل في تفسير السكينة: إنها برأس كرأس الهرة، وجناحان، وقيل: لها جناحان وذنب، وقيل: لها جناحان وذنب مثل ذنب الهرة، رويت هذه الأقوال عن مجاهد كما في تفسير الطبري في الآثار: ٥٦٧٢، ٥٦٧٣، ٥٦٧٤، ٥٦٧٥، وقيل: السكينة: طست من ذهب من الجنة، كان يغسل فيه قلوب الأنبياء أعطاه الله موسى، وفيها وضع الألواح، وكانت الألواح من دُر، وياقوت وزبرجد، ينظر الأثر ٥٦٧٩.

(٧) أورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن الحسن به (١/ ٧٥٨).

فعند قوله جل وعلا: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾[١].

انفرد الحسن بالقول: بأن هذا كان في بعض الملل، ولم يكن بآدم[٢].

وفي رواية له، قال: عُني بهذا ذرية آدم. ومن أشرك منهم بعده[٣]، وورد عنه أيضًا قاله: هم اليهود، والنصارى، رزقهم الله أولادًا فهوَّدوا ونصَّروا[٤].

وقال أيضًا: هذا في الكفار، يدعون الله، فإذا آتاهما صالحًا هوَّدا ونصَّرا، ثم قال: قال الله: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ يقول: يطيعون مالا يخلق شيئًا، وهي الشياطين[٥].

ومما ورد عنه من إنكار لروايات بني إسرائيل، ما جاء عند تفسير قوله جل ثناؤه: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾[٦]، أنكر على من قال: إن سليمان كان يأتي نساءه، وهن حيض، بعد تلك الفتنة[٧]، وقال: ما كان الله يسلطه (يعني: الشيطان) على نسائه[٨].

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٩٠).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٣١٤) ١٥٥١٦، وتفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٩).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٣١٤) ١٥٥٢٧، وتفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٠)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير عن الحسن به. (٣٠/ ٦٢٦).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٣١٥) ١٥٥٢٨، وتفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٠)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة، عن الحسن، بلفظه (٣/ ٦٢٦).
قال ابن كثير بعد سوق تلك الروايات عن الحسن: وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن ـ رحمه الله ـ أنه فسر الآية بذلك، وهو أحسن التفاسير، وأولى ما حملت عليه الآية (٣/ ٥٣٠).

(٥) أورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ عن الحسن به (٣/ ٦٢٧).

(٦) سورة ص: آية (٣٤).

(٧) روي ذلك عن سعيد بن المسيب، وغيره كما في الدر (٧/ ١٨٤).

(٨) أورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، والحكيم الترمذي، عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب، وساقها عن سعيد بطولها، ثم ذكر في آخرها سؤال علي بن زيد للحسن: عن إتيان سليمان نساءه؛ فأنكره (٧/ ١٨٤).

ومما يلفت النظر عند استعراض ما ورد عنه من آثار عن بني إسرائيل مع قلتها إلا أن المتأمل فيها يجد اختصاراً عجيباً في إيرادها تميز به الحسن عن غيره من التابعين، فهو يورد الشاهد من القصة بعبارة موجزة: مكتفيًا بما يُزيل الغموض الظاهر في الآية دون إسهاب أو إطالة بذكر مشاهد القصة، وأحداثها[١].

وفي ختام هذا المبحث، فبالتتبع[٢] لم أجد له من الروايات الغريبة، أو المنكرة، إلا رواية واحدة، جاءت عند تأويل قوله سبحانه: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾[٣]، فعنه قال: إن داود جزأ الدهر أربعة أجزاء: يومًا لنسائه، ويومًا لعبادته، ويومًا لقضاء بني إسرائيل، ويومًا لبني إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه، ويبكيهم ويبكونه، فلما كان يوم بني إسرائيل قال: ذكروا، فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنبًا؟ فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك: فلما كان يوم عبادته، أغلق أبوابه، وأمر ألا يدخل عليه أحد، وأكبَّ على التوراة، فبينما هو يقرؤها، فإذا حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن، قد وقعت بين يديه، فأهوى إليها ليأخذها، قال: فطارت فوقعت غير بعيد، من غير أن تؤْيسه من نفسها، قال: فما زال يتبعها، حتى أشرف على امرأة تغتسل، فأعجبه خَلْقها، وحُسنها، قال: فلما رأت ظله في الأرض، جللت نفسها بشعرها، فزاده ذلك أيضًا إعجابًا

---

(١) ومن يراجع تلك الآثار، ويقارن بينها، وبين غيرها مما ورد عن أئمة التابعين وغيرهم، يلحظ تلك المزية التي امتاز بها الحسن من الاختصار الشديد في الإيراد، وهذه أرقام جميع ما روي عنه من خلال تفسير ابن جرير، الآثار: ١٤٨١٤، ١٤٨١٥، ١٤٩٦٣، ١٤٩٦٤، ١٨١٣٥، ١٨٨٥٤، ١٨٨٦٤، ١٩٠٤٨، ١٩٠٤٩، ١٩٠٧٠، ١٩٠٧٣، ١٩٠٧٥، ١٩٠٧٥، ١٩٠٨١، ١٩٤٣٨، ١٩٧٣٣، ١٩٨١٣، ١٩٩٢٢.
والصفحات التالية: (١٤/ ٩٠)، (١٦/ ٦)، (١٦/ ٥٩)، (٢٠/ ٦٢)، (٢٠/ ١١٥)، (٢٢/ ٦٩)، (٢٢/ ٨٤)، (٢٣/ ٨٧).

(٢) بعد تتبع تفاسير: ابن جرير الطبري، وابن كثير، والسيوطي.

(٣) سورة ص: آية (٢٤).

بهـا، وكـان قد بعث زوجها على بعض جيوشه، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا؛ مكان إذا سار إليه لم يرجع، قال: ففعل، فأصيب، فخطبها، فتزوجها[1].

❁ ❁ ❁

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٨)، وأورده السيوطي في الدر بزيادة قصة في آخره نسبها للحسن، وهي من قول قتادة، وعزى الأثر لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر (٧/ ١٥٨).
ولعل الحسن ـ رحمه الله ـ اعتمد في هذه الرواية الوحيدة عنه على ما روي مرفوعًا من طريق أنس، ولكن الحديث لا يصح؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي، كما ذكر ذلك ابن كثير (٧/ ٥١)، والسيوطي (٧/ ١٥٦).

قتادة

هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز[١] ، وقيل: قتادة بن دعامة بن عُكابة[٢] ، أبو الخطاب[٣] ، السدوسي البصري الضرير الأكمه[٤] .

وسدوس هو ابن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن بكر بن وائل[٥] .

قال ابن خلكان: وكان تابعيًا ، وعالمًا كبيرًا[٦] .

قال الإمام أحمد: ما أعلم قتادة روى عن أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا عن أنس[٧] .

قال شعبة: نصصت على قتادة سبعين حديثًا كلها يقول: سمعت أنس بن مالك[٨] .

---

(١) الجرح (٧/ ١٣٣)، والثقات (٥/ ٣٢١)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٩٥).
(٢) الجرح (٧/ ١٣٣)، والثقات (٥/ ٣٢٢)، والتاريخ الكبير (٧/ ١٨٥).
(٣) الكنى لأحمد (٦٦) والكنى لمسلم (ق ٣٣)، والكنى للدولابي (١/ ١٦٦).
(٤) نكتب الهميان (٢٣٠).
(٥) الإنباه على قبائل الرواة، لابن عبد البر (٨٧)، ونُسب عدنان وقحطان، للمبرد (ص ٣٨) ضمن مجموعة الرسائل الكمالية، والأنساب للسماعاني (٧/ ٥٧)، واللباب لابن الأثير (٢/ ١٠٩)، ولباب الألباب في تحرير الأنساب، للسيوطي (٢/ ١٤)، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (٢٦١).
(٦) وفيات الأعيان (٤/ ٨٥)، وعدّه ابن عبد الهادي الصالحي من الطبقة الثالثة من طبقات التابعين، وينظر كتاب طبقات علماء الحديث (١/ ١٩٥).
(٧) بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم (١٢٩)، والمراسيل (١٦٨)، وجامع التحصيل (٢٥٤)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٣٥٥)، والجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٤٢٢).
(٨) السير (٥/ ٢٧٧).

وصحح أبو زرعة سماعه من عبد الله بن سرجس[١] ، وزاد ابن المديني أبا الطفيل[٢].

روى عن سعيد بن المسيب، والحسن البصري، وأبي العالية، وصفوان بن مُحرز، وأبي عثمان النهدي، والنضر بن أنس، وعكرمة مولى ابن عباس، وبكر بن عبد الله المزني، وهلال بن يزيد، وعطاء بن أبي رباح، ومعاذة العدوية، وبشير بن كعب، وأبي الشعثاء جابر بن زيد، وخالد بن عرفطة، وخلاس الهجري، وعبد الله بن شقيق، وعامر الشعبي، وخلق كثير[٣] .

وقد أخذ عن الحسن فأكثر، يقول معمر: قال قتادة: جالست الحسن اثنتي عشرة سنة، أصلي معه الصبح ثلاث سنين، قال: ومثلي يأخذ عن مثله[٤] .

والناظر في تفسيره يجد أثر ذلك الإكثار في الأخذ عن الحسن وتأثره به[٥] .

كما أخذ عن سعيد بن المسيب وتأثر به أيضاً[٦] .

---

(١) العلل لأحمد (٣/ ٢٨٤) ٥٢٦٤.

عبد الله بن سرجس المزني؛ صحابي سكن البصرة، ينظر كتاب تسمية أصحاب النبي ﷺ (٦٦)، وأسد الغابة (٣/ ٢٥٦)، وتجريد أسماء الصحابة (١/ ٣١٣)، والإصابة (٢/ ٣١٥).

(٢) هو عامر بن واثلة بن عبد الله الليثي، ولد عام أحد، ورأى النبي ﷺ وعُمر إلى أن مات سنة (١١٠) هـ؛ يُنظر كتاب تسمية أصحاب النبي ﷺ (٧٥)، وأسد الغابة (٦/ ١٧٩)، والتجريد (١/ ١٨٠)، والإصابة (٢/ ٢٦١).

(٣) تهذيب الكمال (٢٣/ ٤٩٩)، والسير (٥/ ٢٧٠)، والتهذيب (٨/ ٣٥٢).

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٩)، والمعرفة (٢/ ٢٧٩)، والتاريخ الكبير (٧/ ١٨٦)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٥٧).

وقتادة من أكثر الرواة الذين نقلوا لنا تفسير الحسن؛ حيث روى (١٢, ٠) من مجموع تفسيره.

(٥) لا سيما في الجانب الوعظي، ويأتي لذلك مزيد بحث إن شاء الله بعد ورقات.

(٦) وقد كان قتادة من أكثر تلاميذ سعيد عناية بنقل تفسيره؛ حيث روى ما نسبته (٣٧, ٠) من مجموع تفسيره، وقد تأثر به في الحرص على الأثر، والبعد عن الرأي، في حين جاء الذي يليه يحيى بن سعيد، فلم تزد نسبة ما روى عنه عن (١٦, ٠) من مجموع تفسيره.

ما تميز به قتادة مما أثر في تفسيره :

كان ـ رحمه الله ـ أكثر التابعين أقوالاً في التفسير، وقد سبق مجاهداً في عدد الآيات التي تعرض لها[١] .

وقد تميز ـ رحمه الله ـ بين مفسري التابعين بعدد من المميزات من أهمها ما يلي :

أولاً : قوة حافظته :

اتفقت كلمة الأئمة على الثناء عليه في هذا الجانب، وكان مضرب المثل في عصره[٢] ولعلنا نسوق طرفًا من هذه الشهادات، التي تدل على ذلك :

فعن معمر قال : قال محمد بن سيرين : قتادة أحفظ الناس[٣] .

وعن سعيد بن المسيب قال : ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة[٤] .

وكان ابن المسيب، يسأله فيقول : تحفظ كل ما سألتني عنه؟ قال : نعم، سألتك عن كذا، فقلت : كذا، وسئلت عن كذا، فقلت فيه : كذا، وقال فيه : ما كنت أظن الله خلق مثلك[٥] .

وعن معمر قال : قال قتادة لسعيد بن المسيب : يا أبا النضر : خذ المصحف، قال :

---

(١) بعد مراجعتي لتفسير الطبري، وجدت أن المروي عن قتادة في التفسير بلغ (٥٣٧٩) قولاً، وكان المروي عنه بغير المكرر (٤٤٤٣) قولاً، في حين بلغ المروي عن مجاهد بالمكرر (٦١٠٩) أقوال، وبغير المكرر (٣٣٤٣) قولاً.

(٢) السير (٥/ ٢٧٠) وهدي الساري (٤٣٦)، وغاية النهاية (٢/ ٢٦)، وتاريخ الخميس (٢/ ٣١٩)، ونكت الهميان (٢٣٠).

(٣) الجرح (٧/ ١٣٤)، والعبر (١/ ١١٢)، والبداية (٩/ ٣٥٢)، وطبقات المفسرين (٢/ ٤٣).

(٤) الجرح (٧/ ١٣٣)، والتذكرة (١/ ١٢٣)، وتهذيب الأسماء (٢/ ٥٧)، وطبقات الحفاظ (٤٧).

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٥٨)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٣٥٢)، وكتاب الحث على الحفظ، وذكر كبار الحفاظ (١٠٥).

فعرض عليه سورة البقرة، فلم يُخْطِ فيها حرفًا، قال: فقال: يا أبا النضر، أحكمتُ؟ قال: نعم، قال: لأنا لصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ مني لسورة البقرة[١].

وقال الإمام أحمد: كان قتادة أحفظ أهل البصرة، لايسمع شيئًا إلا حفظه، قرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها[٢].

وعن بكر المزني قال: من سره أن ينظر إلى أحفظ من أدركنا فلينظر إلى قتادة[٣].

وكان من قوة حافظته يرغب عن تكرار الحديث، وفي ذلك يقول: تكرير الحديث في المجلس يذهب نوره، وما قلت لأحد قط: أعدْ علي[٤].

عن معمر قال جاء رجل إلى ابن سيرين، فقال: رأيت حمامة التقمت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة فخرجت أصغر مما دخلت، ورأيت حمامة التقمت لؤلؤة فخرجت كما دخلت سواء، فقال ابن سيرين: الحمامة الأولى: الحسن يسمع الحديث، فيجوده بمنطقه، ثم يصل فيه من مواعظه، والثانية: ابن سيرين يشك فيه فينقص منه، والثالثة: قتادة فهو أحفظ الناس[٥].

ولقد بلغ من شدة حفظه ـ كما يقول عن نفسه ـ أنه ما سمع بشيء إلا حفظه[٦].

ومع هذه الحافظة الفطرية فقد كانت عنده الرغبة القوية، والحرص الشديد على

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٩)، والمعرفة والتاريخ (٢/ ٢٧٩)، والتاريخ الكبير (٧/ ١٨٦).

(٢) بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم (١٢٩)، والتهذيب (٨/ ٣٥٥)، وتهذيب الأسماء (٢/ ٥٨)، وطبقات الحفاظ (٤٧)، والبداية (٩/ ٣٥٢).

(٣) الجرح (٧/ ١٣٣)، والتذكرة (١/ ١٢٣)، وتهذيب الأسماء (٢/ ٥٧)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٩٧)، وطبقات المفسرين (٢/ ٤٤).

(٤) تاريخ الإسلام (ح/ ١٠١ هـ/ ٤٥٤)، والتهذيب (٨/ ٣٥٤)، ونكت الهميان (٢٣٠)، ومرآة الجنان (١/ ٢٧٧).

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٥٨)، والجرح (٧/ ١٣٤)، والسير (٥/ ٢٧٦).

(٦) السير (٥/ ٢٧١)، وتاريخ الخميس (٢/ ٣١٩).

حفظ ما يسمع، واستيعابه، فعن مطر قال: كان قتادة إذا سمع الحديث يختطفه اختطافًا، يأخذه العويل والزويل[١] حتى يحفظه[٢].

وكان من اهتمامه بالحفظ وحرصه أن جعله مقدمًا على العبادة، وفي ذلك يقول: باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه، وصلاح من بعده، أفضل من عبادة حول[٣].

وكان واعيًا لهذا المحفوظ، فعنه قال: ما سمعت أذناي شيئًا قط إلا وعاه قلبي[٤].

ولذا عده الإمام الذهبي حافظ العصر، وقال عنه: يُضرب به المثل في قوة الحفظ[٥].

وقال ابن ناصر الدين: قتادة مُفسر الكتاب آية في الحفظ[٦].

وقال الزيلعي: هو أحفظ أهل زمانه[٧].

أثر حافظته على تفسيره:

إنما أكثرت من إيراد أقوال العلماء في سياق توكيد أهم صفة تميز بها هذا الإمام، لما ترتب على ذلك من آثار في جوانب عديدة من منهجه في التفسير، يتضح ذلك فيما يلي:

---

(١) الزويل أي: القلق والإنزعاج، ينظر اللسان (١١/ ٣١٥).

(٢) المعرفة (٢/ ٢٨٢)، والبداية (٩/ ٣٥٢)، والسير (٥/ ٢٧٢)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٣٥٣).

(٣) السير (٥/ ٥٧٥)، والبداية (٩/ ٣٥٢).

(٤) العبر (١/ ١١٢)، وكتاب الحث على الحفظ، وذكر كبار الحفاظ (١٠٥)، وطبقات المفسرين (٢/ ٤٣)، ومرآة الجنان (١/ ٢٧٧).

(٥) السير (٥/ ٢٧٠).

(٦) شذرات الذهب (١/ ١٥٣).

(٧) نصب الراية (١/ ٢١٤، ٣٥٢).

أ ـ بعده عن مخالفة الظاهر، وقلة الاجتهاد، والرأي في تفسيره[١] :

كان لهذه الحافظة أثر واضح في إبعاد كثير من تأويلات هذا التابعي عن التفسير المخالف لظاهر النص القرآني، وقد استغنى ـ رحمه الله ـ بمحفوظه، ومسموعه، عن القول برأيه، واجتهاده في كثير من المسائل، فعن أبي هلال قال: سألت قتادة عن مسألة فقال: لا أدري، فقلت: قل برأيك، قال: ما قلت برأيي منذ أربعين سنة، فقلت: ابن كم هو يومئذ؟ قال: ابن خمسين سنة[٢].

وعن همام بن يحيى قال: سمعت قتادة يقول: ما أفتيت بشيء من رأيي منذ عشرين سنة[٣].

ولذا فمن أقوى الأسباب ـ فيما أحسب ـ التي قللت الرأي عنده تلك الحافظة القوية، يضاف إلى ذلك ما اشتهر به من الحرص على السماع، ولاسيما فيما يتعلق بالقرآن، فعن معمر قال: سمعت قتادة يقول: ما في القرآن آية إلا قد سمعت فيها بشيء[٤].

ومن كانت هذه حاله من قوة الحافظة، وكثرة المحفوظ، فإنه يصعب عليه أن يتحرر مما حفظ، بل نجد أثر ذلك واضحًا في تفسيره، فقتادة قلَّما يخرج عن الأثر، فتفسيره يغلب عليه المسلك النقلي الأثري، وهذا يفسر لنا قلة تعرضه واعتماده على الاجتهاد، وقلة

---

(١) وهذا من المفارقات الرئيسة بينه، وبين شيخه الحسن، الذي كان أسهل منه في هذا بكثير.

(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٩)، وسنن الدارمي (١/ ٤٧)، والمعرفة (٢/ ٢٨٠)، والعلل لأحمد (٢/ ٢٣٣) ٥٠٢١، والسير (٥/ ٢٧٣).

(٣) الجرح (٧/ ١٣٤)، والتذكرة (١/ ١٢٣)، وتاريخ الإسلام (ح ١٠١ هـ/ ٤٥٤)، وطبقات المفسرين (٢/ ٤٤).

(٤) سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه (٥/ ٢٠٠)، والجرح (٧/ ١٣٤)، وتاريخ الإسلام (ح ١٠١ هـ/ ٤٥٤)، وأوردها صاحب تاريخ الخميس (٢/ ٣١٩) بلفظ: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئًا من النكت.

تعرضه للآيات المشكلة، وإنما كان جلُّ همه في حفظ الآثار والاعتماد عليها في تأويله.

ولذا فمن الطبعي ما يلحظه القارئ لتفسيره من الاعتماد الكبير على المصادر النقلية، فرجوعه إلى المصدر الثاني وهو السنة[١]، وكذا قول الصاحبي[٢]، بل وقول التابعي[٣] كثير، وفاق غيره فيه.

ب ـ اهتمامه برواية أسباب النزول:

وهذه الحافظة قد أعانته على استحضار أسباب النزول، والاعتماد عليها في تأويله[٤].

وكان لهذا الاهتمام أثره في قوله بخصوص المعنى، في جملة من المنقول عنه[٥].

ثانيًا: إقلاله من الرواية عن بني إسرائيل:

ومما ينبغي الإشارة إليه عند بيان منهجه ـ رحمه الله ـ أنه مع حرصه على الرواية،

---

(١) رجعت إلى تفسير الطبري، وقارنت بين مجاهد وقتادة في اعتماد هذه المصادر، فوجدت أن المروي عن مجاهد في اعتماد الحديث جاء في (٢٥) رواية، في حين كان اعتماد قتادة عليه في (٢٠٥) روايات.

(٢) المروي عن مجاهد في الاعتماد على قول الصاحبي، جاء فيما يزيد عن (٢٦) رواية، في حين كان المروي عن قتادة يزيد عن (١٠٠) رواية.

(٣) أما الاعتماد على قول التابعي، فهذا قليل جداً عند مجاهد، ولعل ما بينهما من الفارق الزمني قد قلل هذا عند مجاهد، وكثره عند قتادة حتى إننا نجد أن (٠,٣٧) من تفسير سعيد بن المسيب جاء من رواية قتادة، و (٠,١٢) من تفسير الحسن كان من طريق قتادة وغيرهم من التابعين.

(٤) بعد مراجعة تفسير الطبري، وجدت أن اعتماده على أسباب النزول بلغ ما نسبته (٠,٠٧) من مجموع تفسيره، في حين بلغ عند مجاهد ما نسبته (٠,٠٥) من مجموع تفسيره.
وقد رجعت إلى كتب أسباب النزول، ككتاب الواحدي، فوجدت أنه أورد عن قتادة ما يزيد عن (٤١) رواية، في حين بلغت عن مجاهد (٣٦) رواية، وفي كتاب السيوطي لباب النقول، روي عن قتادة (٤٥) رواية، في حين كان المروي عن مجاهد (٣٧) رواية.

(٥) بخلاف مجاهد، الذي كان يميل إلى القول بعموم اللفظ في كثير مما روي عنه.

ونقل الأخبار، وحب الآثار، إلا أنه في جانب الرواية عن أهل الكتاب تميز منهجه بميزات لعل من أهمها :

أ ـ قلة تعرضه للرواية عن أهل الكتاب :

فعند مراجعة كثير من المواطن، التي سبق فيها العديد من الروايات الإسرائيلية لم نجد لقتادة حين مر بها شيئًا يذكر[١] .

ب ـ مخالفته لكثير من تفسيرات التابعين بالروايات الإسرائيلية، وإيراده تفسيرًا بعيدًا عن تلك الروايات :

فمن ذلك ما ورد عنه عند قوله سبحانه : ﴿ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾[٢] .

قال : الرعد خلق من خلق الله، سامع مطيعٌ لله جل وعز[٣] .

وعند قوله جل وعلا : ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[٤] ، قال : وقار[٥] .

وعند قوله تعالى : ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن

---

(١) ولذا نجد أن ابن جرير لم يورد عنه شيئًا في قصة البقرة، وفي قصة الزهرة عند تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ سورة البقرة آية (١٠٢) التي خاض فيها كثير من التابعين بأقوال منكرة وغريبة، وفي قصة بناء البيت، بل وعند كل الآيات الواردة في سورة آل عمران في شأن مريم وعيسى عليهما الصلاة والسلام، وينظر في ذلك الآيات : (٣٥، ٣٧، ٤٠، ٤٩)، وعند قصة تحريم القرية على بني إسرائيل أربعين سنة الواردة في سورة المائدة، آية (٢٦)، وغيرها من المواطن.

(٢) سورة البقرة : آية (١٩).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٤٠) ٤٣٠ .

(٤) سورة البقرة : آية (٢٤٨).

(٥) تفسير الطبري (٥/ ٣٢٩) ٥٦٨٤، تفسير عبد الرزاق (١/ ٩٨)، وتفسير الماوردي (١/ ٣١٦)، وتفسير البغوي (١/ ٢٢٩)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد الرزاق به (١/ ٧٥٨).

﴿سَاقَيْهَا﴾[١] .

قال : وكان من قوارير، وكان الماء من خلفه فحسبته لجة[٢] .

ولم يدخل في شيء من الإسرائيليات في ماهية الرعد، أو في بيان المراد بالسكينة، أو ذكر السبب الذي من أجله جعل سليمان هذا الصرح من القوارير .

جـ ـ تحرجه من رواية الإسرائيليات :

ويظهر ذلك للمتأمل في طريقة إيراده لها؛ حيث يُقدمها، ويصدرها بقوله : ذكر لنا والله أعلم . ثم يسوقها مُختصرة، مع أن الغالب على تفسيره، ورواياته، الطول، والشرح، والبيان، ومع هذا يختصر من هذا المحفوظ، ويحتاط، ويسوق طرفًا منه كشاهد، وهذا يؤكد لنا أن فعله هذا كان نتاج منهج اختطه، وطريقة سلكها عن قصد، ولم يقتصر عمله في هذه المنقولات على الرواية فحسب، ولعلي أسوق طرفًا من الأمثلة المبينة لذلك :

فقد روي عنه عند تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾[٣] ، قال : من الكهانة والسحر، وذُكر لنا والله أعلم أن الشياطين ابتدعت كتابًا فيه سحر، وأمر عظيم، ثم أفشوه في الناس وعلّموهم إياه[٤] .

وعند قوله سبحانه : ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾[٥] قال : كان موسى تركه عند فتاه يوشع بن نون، وهو بالبرية، وأقبلت به الملائكة تحمله حتى وضعته في دار طالوت، فأصبح في داره[٦] .

---

(١) سورة النمل : آية (٤٤) .

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ١٦٩)، (٢/ ٨٢)، وتفسير القرطبي (١٣/ ١٣٩) .

(٣) سورة البقرة : آية (١٠٢) .

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٤١٠) ١٦٥٢، ثم قارن ذلك بما روي عن غيره .

(٥) سورة البقرة : آية (٢٤٨) .

(٦) تفسير الطبري (٥/ ٣٢٤) ٥٦٦٢، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره بلفظ مختصر (١/ ٩٨)، وعند المقارنة بما روي عن غيره في هذا الأثر يتضح الفرق واضحًا جليًا .

وعندما جاء إلي تفسير قوله سبحانه: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾[١]، لم يستطرد في بيان عظيم خلقهم، وما نقل في ذلك من روايات أهل الكتاب، إنما قال: ذكر لنا أنهم كانت لهم أجسام، وخلق، ليست لغيرهم[٢].

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾[٣].

قال: ذكر لنا أن طول السفينة ثلثمائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعًا، وطولها في السماء ثلاثون ذراعًا، وبابها في عرضها[٤].

ومما يشار إليه في هذا الباب أنه ـ رحمه الله ـ قد روى شيئًا من الروايات الغريبة، وقد تبين لي من خلال التأمل أنه قلما يوردها إلا عندما لا يجد شيئًا من المرفوع للنبي ﷺ وبعضًا من الموقوف على الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فيستأنس بهذا أو ذاك فيروي شيئًا منها.

من ذلك ما ورد عنه عند تأويل قول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٥]؛ قال: ذكر لنا أنه كان لا يعيش لهما ولد، فأتاهما الشيطان، فقال لهما: سمياه (عبد الحارث)! وكان من وحي الشيطان،

---

(١) سورة المائدة: آية (٢٢).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ١٧٣) ١١٦٥٨، وزاد المسير (٢/ ٣٢٤)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر عن قتادة به (٣/ ٤٨).

(٣) سورة هود: آية (٣٨).

(٤) تفسير الطبري (١٥/ ٣١١) ١٨١٣٤، وتفسير ابن عطية (٩/ ١٤٦)، وزاد المسير (٤/ ١٠٣)، وتفسير القرطبي (٩/ ٢٢)، وللمزيد من الأمثلة تُنظر الآثار في تفسير الطبري، ٩٤٢، ١٦٦٣، ٥٦٨٨، ١١٦٩٦ . . . وغيرها.

(٥) سورة الأعراف: آية (١٩٠).

وأمره، وكان شركًا في طاعة، ولم يكن شركًا في عبادة[١].

وورد عنه عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ الآية[٢]، قال قتادة: بلغنا أنها

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٣١٢) ١٥٥٢١، وفي لفظ عند الطبري ١٥٥٢٠، عن قتادة قال: فأشركا في الاسم، ولم يُشركا في العبادة، وينظر تفسير الماوردي (٢/ ٢٨٧)، وزاد المسير (٣/ ٣٠٣)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة به (٣/ ٦٢٦).

وروي عن الحسن من طريق قتادة عند هذه الآية، قال: كان الحسن يقول: هم اليهود، والنصارى، رزقهم الله أولادًا، فهوَّدوا، ونصَّروا، ينظر تفسير الطبري (١٣/ ٣١٥)، ١٥٥٢٨.

وقد روي من طريق قتادة عن الحسن، عن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ قال: «كانت حواء لا يعيش لها ولد، فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمينه عبد الحارث، فعاش لها ولد فسمته عبد الحارث، وإنما كان ذلك عن وحي الشيطان»، ينظر الطبري (١٣/ ٣٠٩) ١٥٥١٣، وهذا الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١١)، والترمذي في سننه وحسنه (٥/ ٢٦٧) ٣٠٧٧، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٠٩) ١٥٥١٣، والحاكم في مستدركه، وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ٥٤٥)، وابن عدي في الكامل، وضعفه (٥/ ١٧٠٠)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه عن سمرة به (٣/ ٦٢٣).

والحديث جاء من رواية سمرة، من طريق عمر بن إبراهيم، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة، وفي إسناده عمر بن إبراهيم العبدي البصري، ضعيف الحديث إذا روى عن قتادة، أشار إلى ذلك الإمام أحمد، وابن حبان، وابن عدي، وابن حجر، ينظر تهذيب الكمال (٢١/ ٢٧٠)، والمجروحين (٢/ ٨٩)، والكامل (٥/ ١٧٠٠) والتقريب (٤١٠).

وقد أعلَّ هذا الحديث الحافظ ابن كثير بقوله: إن الحسن البصري الذي روى الحديث، صح عنه تفسير الآية بغير هذا، ثم قال: ولو كان هذا الحديث عنده محفوظًا عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو، ولا غيره، ولا سيما مع تقواه لله وورعه، ثم ذكر أن الحديث موقوف على الصحابي، يعني سمرة، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب، ينظر تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٩، ٥٣٠)، وقد أطال المباركفوري في إيراد الشواهد والأقوال الدالة على ضعف هذا الحديث فتراجع في تحفة الأحوذي (٨/ ٤٥٩-٤٦٦).

(٢) سورة (ص): آية (٢٣).

أم سليمان، قال: فبينما هو في المحراب، إذا تسوَّر الملكان عليه، وكان الخصمان إذا أتياه يأتيانه من باب المحراب، ففزع منهم حين تسوروا المحراب، فقالوا: ﴿ **لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ . . . حتى بلغ: ﴿ **وَلَا تُشْطِطْ** ﴾ أي: لا تمل ﴿ **وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ** ﴾؛ أي: أعدله وخيره ﴿ **إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً** ﴾، وكان لداود تسع وتسعون امرأة ﴿ **وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ** ﴾[1] قال: وإنما كان للرجل امرأة واحدة. . . وذكر الخبر، ثم قال قتادة: فعلم داود إنما صُمد له، أي: عني به ذلك[2].

وعند قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ** ﴾[3].

قال: إن سليمان أمر ببناء بيت المقدس، فقيل له: ابنه، ولا يسمع فيه صوت حديد، قال: فطلب ذلك فلم يقدر عليه، فقيل له: إن شيطانًا في البحر يقال له: صخر شبه المارد، قال: فطلبه، وكانت عين في البحر يردها في كلِّ سبعة أيام مرّة، فنزح ماؤها وجعل فيها خمر، فجاء يوم وروده فإذا هو بالخمر، فقال: إنك لشراب طيب، إلا أنك تصيبين الحليم، وتزيدين الجاهل جهلاً، قال: ثم رجع، حتى عطش عطشًا

---

(١) سورة ص: آية (٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٨). وقد أورد السيوطي في الدر حديثًا مرويًا من طريق أنس، عن النبي ﷺ قال: «إن داود النبي ﷺ حين نظر إلى المرأة قطع على بني إسرائيل، فأوصى صاحب البعث، فقال: إذا حضر العدو، فقرب فلانًا بين يدي التابوت، وكان التابوت في ذلك الزمان يُستنصر به؛ من قُدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل، أو ينهزم عنه الجيش، فقتل زوج المرأة ونزل الملكان على داود يقصان عليه قصته، ففطن داود فسجد، فمكث أربعين ليلة ساجدًا. . .» الحديث، وقد عزاه السيوطي إلى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وابن أبي حاتم، وضعف إسناده (٧/ ١٥٦).
وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ عن رواية ابن أبي حاتم لهذا الحديث: لا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي، عن أنس، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة، اهـ. (٧/ ٥١).

(٣) سورة (ص): آية (٣٤).

شديداً حتى غلبت على عقله، قال: فأرى الخاتم، أو ختم به بين كتفيه، فذل، قال: فكان مُلكه في خاتمه، فأتي به سليمان، فقال: إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت، وقيل لنا: لا يسمعنَّ فيه صوت حديد، قال: فأتى ببيض الهدهد، فجعل عليه زجاجة، فجاء الهدهد، فدار حولها، فجعل يرى بيضه، ولا يقدر عليه، فذهب فجاء بالماس، فوضعه عليه، فقطعها به حتى أفضى إلى بيضه، فأخذ الماس، فجعلوا يقطعون به الحجارة، فكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء، أو الحمام، لم يدخلها بخاتمه؛ فانطلق يومًا إلى الحمام، وذلك الشيطان صخر معه، وذلك عند مقارفة ذنب قارف فيه بعض نسائه، قال: فدخل الحمام، وأعطى الشيطان خاتمه، فألقاه في البحر، فالتقمته سمكة، ونُزع مُلك سليمان منه، وألقي على الشيطان شبه سليمان، قال: فجاء فقعد على كرسيه وسريره، وسُلِّط على مُلك سليمان كله غير نسائه، فجعل يقضي بينهم، وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا: لقد فُتن نبي الله، وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر ابن الخطاب في القوة، فقال: والله لأجربنه، قال: فقال له: يا نبي الله - وهو لا يرى إلا أنه نبي الله - أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة، فيدع الغُسل عمدًا حتى تطلع الشمس، أترى عليه بأسًا؟ . قال لا، قال: فبينا هو كذلك أربعين ليلة، حتى وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة، فأقبل فجعل لا يستقبله جنيّ، ولا طير، إلا سجد له، حتى انتهى إليهم ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ﴾ قال: هو الشيطان صخر[1] .

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٧)، وأورده السيوطي في الدر وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة بنحوه (٧/ ١٨٠)، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره بلفظ مقارب عن قتادة (٢/ ١٦٤). وأورد هذه الرواية، وغيرها ابن كثير في تفسيره (٧/ ١٥٨)، ثم قال: ومن أنكرها ما قال ابن أبي حاتم. . . وساق روايةً عن ابن عباس (سندها قوي كما قال)، والسبب في شدة نكارتها أن هذه الرواية ذُكر فيها إتيان الشيطان نساء سليمان، بخلاف المروي عن قتادة؛ =

ثالثًا : الوعظ في تفسيره :

ومن أبرز المعالم في تفسيره وضوح الجانب الدعوي، والتربوي، والأثر البالغ لتتلمذه على الحسن البصري ـ رحمه الله ـ فنجده في كثير من جوانب تفسيره لا يكاد يدع مجالاً للوعظ والتذكير إلا وَعَظ وذكّر، ولا يجد مناسبة للدعوة إلا دعا ، وقد اتضح هذا النهج في تفسيره فأصبح من أكثر التابعين اهتمامًا بهذا المسلك، وتوجهًا إليه[١] .

وهذا المعلم في تفسيره ، قد استغرق أكثر اهتمام هذا الإمام[٢] .

خصائص تفسيره :

من خلال تتبع تأويله للآيات في ذلك، نجد أنه اختص بخصائص استفادها من أستاذه الحسن البصري، وقلَّ أن توجد عند غيره، من أهمها :

١ ـ أسلوب المخاطبة والحوار في تفسيره :

فالقارئ لتفسيره يشعر بتلك الصلة الحية بينه، وبين قارئه، أو المستمع إليه ، وكأن القارئ لهذا التفسير يشعر بتلك الرابطة ، وبذلك الحرص من هذا الإمام على تلاميذه، وسامعيه، للتأثير عليهم وتربيتهم بهذا القول، والتوجه بالحديث، والتفسير إليهم، ووعظهم به .

= حيث صرح ـ رحمه الله ـ بقوله : وسُلِّط على مُلك سليمان كله غير نسائه .
وأورد السيوطي الرواية عن ابن عباس، وقال : أخرج النسائي وابن جرير وابن أبي حاتم بسند قوي عن ابن عباس، ثم ساق الرواية بطولها ونكارتها وفيها . . . فأرسلوا إلى نساء سليمان عليه السلام فقالوا لهن : أيكون من سليمان شيء؟ قُلْنَ : نعم إنه يأتينا ونحن حيض، وما كان يأتينا قبل ذلك، الدر (٧/ ١٧٩) .

(١) استفاد هذا الأسلوب، والمسلك من شيخه الحسن البصري .

(٢) حيث بلغ ما يزيد على (١٧ , ٠) من مجموع تفسيره، والناظر في تفسيره يجد أنه قد فاق شيخه الحسن في عدد ما روي عنه في جانب الوعظ في التفسير، والذي بدا لي أن كثيرًا من هذه الآثار التفسيرية الوعظية هي من محفوظات قتادة عن شيخه الحسن، حفظها ورواها من تفسيره، والله أعلم .

ومن أمثلة ذلك، ما ورد عنه عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾[١]، بقول: لا تعتلُّوا بالله، أن يقول أحدكم: إنه تألَّى ألا يصل رحمًا، ولا يسعى في صلاح، ولا يتصدق من ماله، مهلاً مهلاً، بارك الله فيكم، فإن هذا القرآن إنما جاء بترك أمر الشيطان، فلا تطيعوه، ولا تنفذوا له أمرًا في شيء من نذوركم ولا أيمانكم[٢].

وعند تأويل قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[٣]، قال: يرغبكم في المعروف، ويحثكم على الفضل[٤].

وعند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾[٥]، قال: قد تقدم الله إليكم فيهم كما تسمعون، وحذركم، وأنبأكم بضلالتهم، فلا تأتمنوهم على دينكم، ولا تنتصحوهم على أنفسكم، فإنهم الأعداء الحسدة الضلاَّل، كيف تأتمنون قومًا كفروا بكتابهم، وقتلوا رُسلهم، وتحيَّروا في دينهم، وعجزوا عن أنفسهم؟ أولئك والله هم أهل التهمة، والعداوة![٦].

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٢٤).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٤٢٠) ٤٣٥٤، وتفسير الماوردي (١/ ٢٨٥)، وزاد المسير (١/ ٢٥٤).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٣٧).

(٤) تفسير الطبري (٥/ ١٦٥) ٥٣٧٠، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة بنحوه (١/ ٧٠٠).

(٥) سورة آل عمران: آية (١٠٠).

(٦) تفسير الطبري (٧/ ٦٠) ٧٥٣١، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة به (٢/ ٢٨٠).
ولمزيد من الأمثلة تُراجع الآثار الواردة في تفسير الطبري: ٥٧٢، ٢٩٨٠، ٣٠٦٢، ٣٠٦٣، ٤١٠٤، ٤٣١٦، ٥٥٤٧، ٥٧٦١، ٦١٤٦، ٦١٦٩، ٦١٥٨، ٦٢٦٤، ٦٣٦٩، ٦٥٢٥، ٦٦٠٣، ٧٣٨٩، ٧٣٩١، ٧٥٧٥، ٧٥٨٢، ٧٥٩١، ٧٦٠١، ٧٦٤٣، ٧٨٤٠، ٧٨٥٨، ٧٨٨٥، ٧٩٠٣، ٧٩٣٢، ٨٠٩٩، ٨٣٥٥، . . وغيرها.

٢ ـ أسلوب القسم لتأكيد المعنى المراد :

وهذا ما يدل على اهتمامه بذلكم التفسير الوعظي التذكيري، فكثيراً ما يؤكد المعنى بقوله : إي والله، بلى والله، نعم والله، وغيرها من ألفاظ القسم.

من ذلك ما ورد عنه عند قوله : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾[١]، قال : إي والله! من الإثم، والأذى[٢].

وعند قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[٣]، قال : نعم والله! سخر لكم ما في الأرض[٤].

وعند قوله سبحانه : ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ ﴾[٥]، قال : والله ما غرُّوا نبي الله، ولا وكل إليهم شيئًا من أمر الله حتى قبضه الله على ذلك[٦]، والأمثلة على ذلك كثيرة[٧].

٣ ـ شدة عباراته على المخالفين :

إضافة إلى ما سبق، فإن مما تميز به تفسيره الوعظي، قسوته في العبارة على

---

(١) سورة البقرة : آية (٢٥).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٩٦) ٥٤٦.

(٣) سورة البقرة : آية (٢٩).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٤٢٧) ٥٨٧.

(٥) سورة آل عمران : آية (١٩٦).

(٦) تفسير الطبري (٧/ ٤٩٣) ٨٣٧٢، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة بمثله (٢/ ٤١٥).

(٢) يُراجع تفسير الطبري الآثار : ٥٧٤، ١٤٧٥، ٢٤٠٥، ٥٧٣٦، ٦٥٧٠، ٦٩٦٦، ٧٥٣٣، ٧٥٨٢، ٧٦٩٦، ٧٨٤٠، ٧٩٠٣، ٧٩٩٤، ٨١٢٠، ٨١٧٧، ٨٢٥٦، (٢٩/ ٤٣)، (٢٩/ ٧٤)، (٢٩/ ١٠١)، (٢٩/ ١٠٧)، (٢٩/ ١٢٧)، (٢٩/ ١٣٧)، (٢٩/ ١٨٥)، (٢٩/ ٢٠٩)، (٣٠/ ٨٢)، (٣٠/ ٨٢)، (٣٠/ ٩٩)، (٣٠/ ١٨٩)، (٣٠/ ٢٨٣)، وقد استفاد ذلك من شيخه الحسن ـ رحمه الله ـ.

المخالفين، فنجد عند مروره بآيات وصف الكافرين والمنافقين، وغيرهم من المخالفين يشتد أكثر من غيره عليهم في وصفهم وتأنيبهم، وزجرهم.

من ذلك مثلاً ما ورد عنه عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[١]؛ قال:

شديد القسوة في معصية الله، جَدِلٌ بالباطل، وإذا شئت رأيته عالم اللسان، جاهل العمل، يتكلم بالحكمة، ويعمل بالخطيئة[٢].

وعند تأويله لقوله سبحانه: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[٣]؛ قال:

تلك والله أمنية الفاجر، كثرة المال، وعزة النفر[٤].

ثم قال عند قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾: كفور لنعم الله، مكذب بلقائه، متمن على الله[٥].

وعند قوله سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ قال:

يعذر الله الجبل الأصم، ولم يعذر شقي بن آدم، هل رأيتم أحدًا قط تصدعت جوانحه من خشية الله؟، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾[٦] يقول تعالى ذكره: وهذه الأشياء نشبهها للناس، وذلك تعريفه جل ثناؤه إياهم أن الجبال أشد تعظيمًا لحقه منهم مع قساوتها وصلابتها[٧].

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٠٤).
(٢) تفسير الطبري (٤/ ٢٣٥) ٣٩٧٤، وتفسير الماوردي (١/ ٢٦٥)، وتفسير البغوي (١/ ١٨٠).
(٣) سورة الكهف: آية (٣٤).
(٤) تفسير الطبري (١٥/ ٢٤٦).
(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٢٤٧).
(٦) سورة الحشر: آية (٢١).
(٧) تفسير الطبري (٢٨/ ٥٣).

وعند قوله جل وعلا: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾[١]؛ قال:

هو الهالك المفرط العاجز، وما يمنعه أن يقول ذلك، وقد راج عليه عورات عمله، وقد استقبل الرحمن، وهو عليه غضبان، فتمنى الموت يومئذ، ولم يكن في الدنيا شيء أكره عنده من الموت[٢].

٤ ـ جمال العبارة، وصدقها، وتأثيرها في وعظه:

وعند تعرضه لآيات ذم الدنيا. يرد عنه ذلك بأجمل عبارة، وأكثرها تأثيرًا، فمن ذلك ما ورد عنه عند قوله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[٣]؛ قال:

وإنه من تفكر فيهما عرف فضل إحداهما على الأخرى، وعرف أن الدنيا دار بلاء، ثم دار فناء، وأن الآخرة دار جزاء، ثم دار بقاء، فكونوا ممن يصرم حاجة الدنيا لحاجة الآخرة[٤].

ومنه ـ أيضًا ـ ما جاء عنه عند قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[٥]؛ قال:

---

(١) سورة النبأ: آية (٤٠).

(٢) تفسير الطبري (٣٠/ ٢٦).
ولمزيد من الأمثلة يُنظر تفسير الطبري الآثار ذات الأرقام: ١٣٥٩، ١٦٤٥، ١٨٢٣، ٦٢٤٣، ٦٢٦٤، ٦٦٠٣، ٦٨٣٦، ٧٢٨٥، ٧٢٩٢، ٧٣٧٣، ٧٦٩١، ٧٦٩٦، ٧٦٩٩، ٨٠٨٧، ٨١٧٧، ٨٢٠٠، ٨٢٥٦، ٨٣٥٠، وغيرها.

(٣) سورة البقرة: آية (٢١٩، ٢٢٠).

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٣٤٨)، ٤١٨١، وأورده السيوطي في الدر وعزاه إلى عبد بن حميد عن قتادة بمثله (١/ ٦١١).

(٥) سورة الحاقة: آية (٢٤).

إن أيامكم هذه أيام خالية هي أيام فانية، تؤدي إلى أيام باقية، فاعملوا في هذه الأيام، وقدموا فيها خيراً إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله[١] .

٥ ـ الوعظ في آيات الأحكام :

وقد اتضح هذا المنهج الوعظي عنده في تأويله لآيات الأحكام، فما كان ـ رحمه الله ـ يفسر تلك الآيات مبينًا الحكم الفقهي المستنبط ، والرأي المختار فحسب، بل كان يزيد على ذلك بربطه بالجانب الدعوي التذكيري، فمن ذلك ما ورد عند تأويل قوله جل وعلا : ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾[٢]؛ قال :

علم الله أن ستكون حقوق، فأخذ لبعضهم من بعض الثقة، فخذوا بثقة الله ، فإنه أطوع لربكم، وأدرك لأموالكم، ولعمري لئن كان تقيًا لا يزيده الكتاب إلا خيراً، وإن كان فاجراً فبالحري أن يؤدي إذا علم أنَّ عليه شهوداً[٣] .

وعند قوله : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾[٤] ؛ قال :

اتقى الله شاهد في شهادته لا ينقص منها حقًا، ولا يزيد فيها باطلاً، اتقى الله كاتب في كتابه، فلا يَدَعنَّ منه حقًا، ولا يزيدنَّ فيه باطلاً[٥] .

---

(١) تفسير الطبري (٢٩/ ٦١)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد عن قتادة به (٨/ ٢٧٢). ولمزيد من الأمثلة تراجع الآثار في تفسير الطبري ١٥٩٣، ٣٨٨٤، (٢٩/ ١)، (٣٠/ ٥٠) (٣٠/ ١٨٢). . . وغيرها.

(٢) سورة البقرة: آية (٢٨٢).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٦٧) ٦٣٦٢.

(٤) سورة البقرة: آية (٢٨٢).

(٥) تفير الطبري (٦/ ٨٦) ٦٤١٠، وتفسير البغوي (١/ ٢٧٠)، والبحر المحيط (٢/ ٣٥٣)، وتفسير القرطبي (٣/ ٢٦١)، ولمزيد من ذلك تراجع الآثار في تفسير الطبري: ٤٩٧٦، ٤٩٧٧، ٥٣٧٠، ٦٣٣٨، ٦٣٦٩ . . . وغيرها.

٦ ـ الدقة في استنباط الفوائد الدعوية :

وهذا المنهج الوعظي جعله يتميز بدقة استنباط كثير من الفوائد الدعوية من الآيات، مما يدل على تقدمه في معرفة أحوال الدعوة والمدعوين، فمن ذلك ما ورد عنه في تفسير قوله تعالى : ﴿ **فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ** ﴾[١] ؛ قال :

فلعمري لمن رجع من أهل الشرك أكثر ممن رجع من أهل الكتاب، إنما آمن من أهل الكتاب رهط يسير[٢] .

وعند قوله جل وعلا : ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾[٣] ؛ قال :

أكره عليه هذا الحيُّ من العرب ؛ لأنهم كانوا أمة أمية ليس لهم كتاب يعرفونه، فلم يقبل منهم غير الإسلام، ولا يكره عليه أهل الكتاب إذا أقروا بالجزية، أو بالخراج، ولم يُفتنوا عن دينهم، فيخلَّى عنهم[٤] .

وعند قوله سبحانه : ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾[٥] ؛ قال :

أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يشاور أصحابه في الأمور، وهو يأتيه وحي السماء ؛ لأنه أطيب لأنفس القوم، وأنَّ القوم إذا شاور بعضهم بعضًا، وأرادوا بذلك وجه الله، عزم لهم على أرشده[٦] .

---

(١) سورة البقرة : آية (٨٨).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٣٢٩) ١٥١٤، وتفسير الماوردي (١/ ١٥٧)، والبحر المحيط (١/ ٣٠٢)، وزاد المسير (١/ ١١٣).

(٣) سورة البقرة : آية (٢٥٦).

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٤١٢) ٥٨٢٧، وتفسير الماوردي (١/ ٣٢٧)، وتفسير البغوي (١/ ٢٤٠)، والبحر المحيط (٢/ ٢٨١)، وتفسير القرطبي (٣/ ١٨٢)، وأورده السيوطي في الدر عن قتادة بلفظ مقارب، وعزاه إلى عبد بن حميد وأبي داود في ناسخه، وابن جرير (٢/ ٢١).

(٥) سورة آل عمران : آية (١٥٩).

(٦) تفسير الطبري (٧/ ٣٤٣) ٨١٢٦، وتفسير الماوردي (١/ ٤٣٣)، وتفسير البغوي (١/ ٣٦٥)، وزاد المسير (١/ ٤٨٨)، وتفسير القرطبي (٤/ ١٦١)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة به (٢/ ٣٥٨).

وعند قوله جل وعلا: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[١]، قال:

فما بال أقوام يتكلفون علم الناس؟ فلان في الجنة، وفلان في النار! فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال: لا أدري! لعمري أنت بنفسك أعلم منك بأعمال الناس، ولقد تكلفت شيئًا ما تكلفته الأنبياء قبلك! قال نبي الله نوح عليه السلام: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢]، وقال نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[٣]، وقال لنبيه عليه السلام: ﴿لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[٤].

وعند قوله تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾[٥]، قال: رأى نوح قومًا تجزَّعت أعناقهم حرصًا على الدنيا، فقال: هلموا إلى طاعة الله، فإن فيها درك الدنيا، والآخرة[٦].

٧ ـ اهتمامه بأمثال القرآن:

وهذا المَعلم التربوي والدعوي في تفسيره، جعله ـ أيضًا ـ من أكثر التابعين اهتمامًا

---

(١) سورة التوبة: آية (١٠١).

(٢) سورة الشعراء: آية (١١٢).

(٣) سورة هود: آية (٨٦).

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٤٤١)، ١٧١٢١، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٨٥)، وتفسير بن كثير (٤/ ١٤٣)، والبحر المحيط (٥/ ٩٣).

(٥) سورة نوح: آية (١٢).

(٦) تفسير الطبري (٢٩/ ٩٤)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة به (٨/ ٢٩٠)، ولمزيد من الأمثلة يراجع تفسير الطبري (٥٨٣٠، ٧٦٦٥، ٧٥٨٢، ٧٦٢٥، ٨٣٢٤، والصفحات ذات الأرقام (٢٨/ ٤٧)، (٢٨/ ٨٦)، (٢٨/ ٩٩)، (٢٨/ ١٢٧)، (٢٨/ ١٦٩)، (٢٩/ ٣٥)، (٢٩/ ١٠١)، (٢٩/ ١١٨)، (٢٩/ ١٣٣)، (٢٩/ ١٤١)، (٢٩/ ١٧١)... وغيرها من الأمثلة.

بأمثال القرآن شرحًا، وبيانًا، واستنباطًا للفائدة والعبرة، بل فاق غيره حتى في عدد الأمثال التي عرض لها بالشرح والتفصيل، وبذلك تميز عن غيره في هذا كمًا، ونوعًا، ونسوق بعض الأمثلة الدالة على ذلك:

فعند قوله سبحانه: ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ﴾[1]، قال: أجبن قوم لا يسمعون شيئًا إلا إذا ظنوا أنهم هالكون فيه حذرًا من الموت، والله محيط بالكافرين، ثم ضرب لهم مثلاً آخر: فقال: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾، يقول: هذا المنافق، إذا كثر ماله، وكثرت ماشيته، وأصابته عافية قال: لم يُصبني منذ دخلت في ديني هذا إلا خير. ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾، يقول: إذا ذهبت أموالهم، وهلكت مواشيهم، وأصابهم البلاء، قاموا متحيرين[2].

ومنها ما ورد عند قوله عز وجل: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[3]، قال:

أصابها ريح فيها سموم شديد ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾، فهذا مثلٌ، فاعقلوا عن الله ـ جل وعز ـ أمثاله فإنه قال: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾[4] هذا رجل كبرت سنه، ورق عظمه، وكثر عياله، ثم احترقت جنته على بقية ذلك، كأحوج ما يكون إليه، يقول: أيحب أحدكم أن يضلَّ عنه عمله يوم القيامة كأحوج ما يكون إليه[5]؟.

---

(١) سورة البقرة: آية (١٩).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٥٠) ٤٥٩.
(٣) سورة البقرة: آية (٢٦٦).
(٤) سورة العنكبوت: آية (٤٣).
(٥) تفسير الطبري (٥/ ٥٤٧) ٦٠٩٩.

ومنها ـ أيضًا ـ ما ورد عند قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ** ﴾[١] .

قال: وليس ببالغه حتى يتمزع عنقه، ويهلك عطشًا، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ** ﴾. هذا مثل ضربه الله، أي: هذا الذي يدعو من دون الله هذا الوثن، وهذا الحجر، لا يستجيب له بشيء أبدًا ولا يسوق إليه خيرًا، ولا يدفع عنه سوءًا حتى يأتيه الموت، كمثل هذا الذي بسط ذراعيه إلى الماء ليبلغ فاه، ولا يبلغ فاه، ولا يصل إليه ذلك حتى يموت عطشًا[٢] .

٨ ـ عنايته بعلم المناسبات :

وكان لهذا النهج الدعوي عنده أثره في اهتمامه ببيان تناسب الآيات، وأسرار ختمها، والربط في تفسيره بين أول الآية وآخرها، عند إيضاحه لمعناها، من ذلك ما ورد عنه عند قوله جل وعلا: ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً** ﴾[٣] .

قال: ثم عذر الحجارة ولم يعذر شقيَّ ابن آدم فقال: ﴿ **وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ﴾[٤] .

---

(١) سورة الرعد: آية (١٤).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٤٠١) ٢٠٢٩٣، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، وأبي الشيخ، عن قتادة بلفظه (٤/ ٦٢٨).
والمراجع لتفسيره يجد أنه قلَّ أن يوجد مثلٌ من أمثلة القرآن، إلا وله وقفة وشرح له، وهو من أكثر التابعين في هذا.

(٣) سورة البقرة: آية (٧٤).

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٢٤١) ١٣١٩، وتفسير ابن عطية (١/ ٢٦٥)، وتفسير القرطبي (١/ ٣١٥)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة، بزيادة في أوله (١/ ١٩٧).

وعند تأويل قوله سبحانه: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾[١]، قال:

ثم عير المشركين بأعمالهم أعمال السوء فقال: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾، أي: الشرك بالله أكبر من القتل[٢].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾[٣]، قال:

مغفرة لفحشائكم، وفضلاً لفقركم[٤].

وعند تفسير قوله سبحانه: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾[٥]، قال:

قال الله تعالى ذكره: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ فبين الله على من يقع ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[٦].

وأختم هذا المبحث بالتأكيد على الأثر الواضح للإمام الحسن البصري في قتادة، وخاصة في جانب التفسير الوعظي الدعوي، فعند المقارنة بين تفسيري هذين الإمامين

---

(١) سورة البقرة: آية (٢١٧).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٣١١) ٤٠٩٥.

(٣) سورة البقرة: آية (٢٦٨).

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٥٧١)، ٦١٦٩، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة به (٢/ ٦٥).

(٥) سورة المدثر: آية (٩).

(٦) تفسير الطبري (٢٩/ ١٥٢)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، عن قتادة بلفظ مقارب (٨/ ٣٢٨).
ولمزيد من الأمثلة يُراجع تفسير الطبري الآثار: ٤٩٦، ٧٦٤٦، ٨٠٨٧، (٢٨/ ٧)، (٢٨/ ٦٥)، (٢٩/ ٦٩)، (٢٩/ ٧٥)، (٢٩/ ٧٩)، (٣٠/ ٣٧)، (٣٠/ ١٦٦)، (٣٠/ ٢٠٣)، (٣٠/ ٣٠٨).

نجد أن من أهم أوجه التشابه بينهما في التفسير الاتفاق في هذا الجانب[١]، فكان لطول الملازمة والمجالسة أثر في ذلك.

فعن معمر قال: قال قتادة: جالست الحسن اثنتي عشرة سنة أصلي معه الصبح ثلاث سنين، ومثلي أخذ عن مثله[٢].

وقد ساعدته حافظته على حفظ كثير من أقوال شيخه، وسوقها أو روايتها بعبارة مطابقة، أو مشابهة[٣] ولذا عده الأئمة من أكبر أصحاب الحسن[٤].

ومع تأثر قتادة الكبير، بهذا الإمام في ذلكم المسلك، إلا أنه خالفه في جملة أخرى من تفسيره، مثل: توسعه في النسخ، والإسرائيليات، وعدم إكثاره منها، وعدم تأويل آيات الأحكام، والتزامه بظاهر النص في تفسيره، وعدم مخالفته، ونلاحظ في المسائل التي قال الحسن فيها برأيه أن قتادة خالفه، وكان محبًا لشيخه غاية المحبة، فقد روى ابن عساكر، عن قتادة، أنه قال: لن تخلو الأرض من أربعين، بهم يُغاث الناس، وبهم ينصرون، وبهم يرزقون، كلما مات منهم أحد أبدل الله مكانه رجلاً، قال قتادة: والله إني لأرجو أن يكون الحسن منهم[٥].

رابعًا: أثره في بعض علوم القرآن:

ومن الأمور التي عني بها ـ رحمه الله ـ اهتمامه ببعض المباحث المهمة من علوم

---

(١) من المعالم البارزة في تفسير الحسن وضوح الجانب الوعظي والتذكيري في تفسيره، وقتادة قد تأثر بالحسن في هذا المسلك حتى إنه نحا منحى إمامه في طريقة تأويله لآيات الوعد والوعيد، من المخاطبة للسامعين، وتأكيد كثير من المعاني بالقسم.

(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٩)، والتاريخ الكبير (٧/ ١٨٦)، والمعرفة والتاريخ (٢/ ٢٧٩)، والثقات (٥/ ٣٢٢).

(٣) وإن كان قتادة ـ رحمه الله ـ يميل إلى الشرح، والإطالة في العبارة.

(٤) كما ذكر ذلك الإمام أبو حاتم، وأبو زرعة، ينظر الجرح (٧/ ١٣٥)، وتهذيب الأسماء (٢/ ٥٨).

(٥) أورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن عساكر (١/ ٧٦٦).

القرآن[١] وخاصة ما يتعلق بالناسخ والمنسوخ ، ومعرفة المكي والمدني ، ونزول القرآن .

أ ـ توسعه في النسخ :

قتادة من أوائل من ألف في هذا العلم[٢] ، ومن أكثرهم توسعًا[٣] وعناية به ، فقد عدَّ رفع دلالة العام ، والمطلق ، والظاهر ، وغيرها ، إما بتخصيص ، أو تقييد ، أو حمل مُطلق على مُقيد ، وتفسيره وتبينه ـ عدَّها نسخًا ، حتى إنه توسع في الاستثناء والشرط والصفة فعدها نسخًا[٤] أيضًا . مع أن هذا لم يكن مسلكًا لجميع التابعين ، بل على العكس من ذلك فأكثر التابعين أعمل الكثير من الآيات[٥] .

---

(١) مع العلم أنه ـ رحمه الله ـ لم يهتم ببعض العلوم الأخرى كالحديث عن وقوع المعرب في القرآن ، فعند النظر فيما ورد عنه نجده شيئًا قليلاً ، وأقل منه الحديث عن كليات القرآن ومعرفة الأوجه والنظائر ، ويمكن ملاحظة هذا عند مقارنة ما روي عنه بما روي عن غيره من التابعين ـ وخاصة ـ تلاميذ ابن عباس كعكرمة ، وابن جبير ، ومجاهد .

(٢) البرهان (٢/ ٢٨)، والناسخ والمنسوخ لابن سلامة (١٠٦)، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق د . حاتم الضامن ، والكتاب لم يستوف جميع ما روي عن قتادة في النسخ .

(٣) هو أكثر التابعين توسعًا في هذا الباب ، وقد راجعت في ذلك كتابي (الناسخ والمنسوخ) لأبي جعفر النحاس ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ، فوجدت أن قتادة روي عنه (٣٣) موضعًا ، قال في (٢٥) بالنسخ ، في حين أن مجاهدًا روي عنه (٣١) موضعًا ، قال في (٥) مواضع بالنسخ ، وفي (٢٦) موضعًا بالإحكام ، وللمزيد من التأمل يُراجع كتاب النحاس للنظر في المواضع التي قال فيها قتادة بالنسخ ص (١٦ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٧٦ ، ٨٨)، وينظر كتاب مكي : الإيضاح ص (١٢٤ ، ١٣١ ، ١٥٠ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٧٦ ، ١٨٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٢٣٠ ، ٢٥٥ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣٢٩ ، ٣٧٧ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩)، والفوز الكبير في أصول التفسير ص ٨٣ .

(٤) أعلام الموقعين (١/ ٢٩) .

(٥) سيأتي لذلك مزيد بيان ـ إن شاء الله ـ في فصل أثر التابعين في أصول التفسير ص (١٠٨١) .

ومن أكثر الآيات التي توسع في القول بنسخها، آيات الصفح[١]، والعفو[٢]، وترك القتال[٣]، وعدم المجادلة لأهل الكتاب[٤]؛ إذ جعل جميع هذه الآيات منسوخة بآية السيف[٥].

وقد يكون للمنهج الوعظي أثره في قول قتادة بنسخ كثير من آيات الصفح، والعفو، فقد سبق أن بينا أن المتأمل لتفسيره يلمس تلك الشدة على المخالفين، لا سيما من الكفار، والمنافقين، فلعل هذا نتاج ذاك[٦].

والمراجع لتفسير قتادة لمعنى النسخ يلحظ توسعه في تفسير النسخ الوارد في قوله تبارك وتعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[٧].

---

(١) كما في قوله سبحانه: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ المائدة (١٣)، يُنظر الإيضاح (٢٦٩)، وعند قوله جل وعلا: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ الحجر (٨٥)، ينظر الإيضاح (٣٢٩)، وعند قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ الزخرف (٨٩) ينظر الإيضاح (٤٠٧).

(٢) كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ الأنفال (٦١)، يُنظر الإيضاح لمكي (٣٠٠)، وعند قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ الجاثية (١٤)، ينظر الإيضاح (٤٠٩).

(٢) كما في قوله جل وعز: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ البقرة (١٩١)، ينظر الإيضاح (١٥٧)، وعند قوله سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ (٢١٧)، ينظر الإيضاح (١٦٠)، وعند قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ النساء (٩٠) ينظر الإيضاح (٢٣٠)، وعند قوله جل وعلا: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ المائدة (٢)، ينظر الإيضاح (٢٥٥)، ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ الأنعام (٧٠) ينظر الإيضاح (٢٨٢).

(٤) كما في قوله جل ثناؤه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ العنكبوت (٤٦)، ينظر الإيضاح (٣٧٧).

(٥) وهي قوله سبحانه: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ التوبة (٢٩).

(٦) والعجيب في ذلك أنه خالف مسلك شيخه الحسن في ذلك مخالفة بينة واضحة، ولعله تأثر في ذلك بمسلك ابن المسيب، وخاصة أن قتادة قد روى كثيراً من أقوال سعيد بن المسيب، التي قال فيها بالنسخ، كما أن ابن المسيب هو الشيخ الثاني لقتادة.

(٧) سورة البقرة: آية (١٠٦).

قال: آية فيها تخفيف، فيها رخصة، فيها أمر، فيها نهي[١].

وأكثر النسخ ورودًا في تفسيره نسخ القرآن بالقرآن، وأما نسخ القرآن بالسنة فلم أجد له قولاً في ذلك.

ب ـ أسباب النزول: عني ـ رحمه الله ـ بأسباب النزول[٢] عناية كبيرة، وأكثر من إيرادها في تفسيره، ولعل مما أعانه على ذلك، تلك الحافظة التي متع بها. وخاصة أن أسباب النزول علم قائم على الرواية.

جـ ـ المكي والمدني:

هو أكثر التابعين تعرضًا، وبيانًا لهذا النوع من علوم القرآن[٣]، بل تميز منهجه بالدقة، والتفصيل في كثير من السور، والآيات، وذلك ببيان نوع السورة، وقدر المستثنى من آياتها إن كان من غير نوعها، وهذا التحديد، والاهتمام بالمستثنى من السورة، قلَّ من اهتم به من التابعين غير قتادة.

ومن أمثلة ذلك، ما ورد عنه في تحديد سورة الأعراف؛ حيث قال: آية من الأعراف مدنية، وهي: ﴿**وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ**...﴾[٤] إلى آخر الآية، وسائرها مكية[٥].

---

(١) تفسير عبد الرزاق (١/ ٥٥)، وتفسير الطبري (٢/ ٤٨١) ١٧٧٢، وتفسير ابن أبي حاتم (٣٢٧) ١٠٧٧، وتفسير ابن كثير (١/ ٢١٧)، وتفسير الماوردي (١/ ١٧١).

(٢) نسبة المروي عنه في أسباب النزول (٠٧, ٠) من مجموع تفسيره، في حين بلغت عن شيخه الحسن (٠٣, ٠) من مجموع تفسيره، وعن مجاهد (٠٥, ٠) من مجموع تفسيره.

(٣) يتضح ذلك عند مراجعة تفسير زاد المسير لابن الجوزي؛ حيث روى عن قتادة أكثر من (٥٣) قولاً في تحديد نوع السورة، في حين جاء بعده الحسن في (٣٤) قولاً، ثم عكرمة في (٢٦) قولاً، ثم جبر بن زيد في (٢٠) قولاً، ثم مجاهد في (١٩) قولاً، فعطاء في (١٤) قولاً، ولم يرد عن ابن جبير إلا قولان في ذلك.

(٤) سورة الأعراف: آية (١٦٣).

(٥) أورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ عن قتادة به (٣/ ٤١٢)، وينظر فتح القدير (٢/ ١٨٧).

ومنه ما ورد عنه في تحديد سورة يونس؛ حيث قال: إنها مكية، غير ثلاث آيات من المدني، أولها قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾[١] إلى رأس ثلاث آيات[٢]، إلى غير ذلك من الأمثلة[٣].

كما ورد عنه التحديد العام لسور القرآن، فعن همام قال: قال قتادة: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والرعد، والنحل، والحجر، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والرحمن، والحديد إلى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾[٤]: عشر متواليات، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله والفتح، قال: هذا مدني، وسائر القرآن مكي[٥]، هذه بعض أهم ما تميز به تفسيره.

أسباب كثرة المنقول عنه في التفسير:

وكما سبق فيما مضى من القول أن قتادة من أكثر من تعرض للتفسير من التابعين، وأحسب أن ثمة أسبابًا كانت وراء هذه الكثرة في المروي عنه، من أهمها:

١ ـ عناية تلاميذه بنقل تفسيره:

تخصص بعض تلاميذه ـ رحمه الله ـ في رواية تفسيره، والعناية به، كسعيد بن أبي عروبة، ومعمر بن راشد، وكان لهذا الاهتمام والعناية أكبر الأثر في انتشار هذا التفسير، وعند المراجعة لتفسيره نجد أن أكثر هذا التأويل جاء من طريق سعيد بن أبي

---

(١) سورة يونس: آية (٩٤).

(٢) زاد المسير (٤/ ٣).

(٣) ولمزيد من الأمثلة التي تدل على عنايته ـ رحمه الله ـ بالمستثنى في السور، يُراجع زاد المسير في الصفحات التالية: (٣/ ١٦٤)، (٤/ ٢٥٦)، (٤/ ٣٤٣)، (٤/ ٤٢٣)، (٥/ ١)، (٦/ ٦٩)، (٧/ ٢٠٥)، (٧/ ٢٧١)، (٧/ ٣٥٥)، (٨/ ٣)، (٨/ ٦٣)، (٩/ ٥١).

(٤) سورة التحريم: آية (١).

(٥) كتاب الناسخ، والمنسوخ لقتادة (٥٢)، والبرهان (١/ ١٩٣)، والإتقان (١/ ٢٨).

عروبة[١] ، الذي عده بعض الأئمة من أحفظ أهل زمانه[٢] ، بل قال عنه ابن معين : إنه من أثبت الناس في قتادة[٣] .

وقال عنه أبو حاتم : من أعلم الناس بحديث قتادة[٤] ، وقال أبو داود الطيالسي : كان سعيد أحفظ أصحاب قتادة[٥] .

وقال علي بن المديني : أصحاب قتادة ثلاثة : سعيد ، وهشام ، وشعبة ، فأما سعيد فأتقنهم[٦] .

وكان قتادة يحس من سعيد هذا الاهتمام والإتقان لحديثه ، فقد روى ابن المديني بسنده عن جرير قال : كتب إليَّ يعلى بن حكيم أن سل قتادة عن حديث ثم اكتب إلي ، فأتيته فقال : ائت سعيد بن أبي عروبة فقد أخذ حديثي ، يملي عليك ، ثم ائتني بها ، فأتيت سعيداً فأملاها عليَّ ، ثم جئت به قتادة فما غير منها إلا حرفين[٧] .

---

(١) بعد المراجعة لتفسير الطبري وجدت أن المروي عن قتادة هو (٥٣٧٩) قولاً ، منها (٣٣٣٥) قولاً من طريق سعيد بن أبي عروبة ، و(١٦١٣) قولاً عن رواية معمر بن راشد ، أي (٠,٦٢) جاء من طريق سعيد بن أبي عروبة و (٠,٣٠) من طريق معمر بن راشد .
وفي هذا يقول سزكين : يبدو أن قتادة كان له تفسير كبير الحجم ؛ ذلك لأن الطبري ذكر الرواية عن قتادة أكثر من ثلاثة آلاف مرة بهذه الرواية : بشر بن معاذ قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة اهـ . ينظر تاريخ التراث العربي (١/ ٥٢) .

(٢) كما ذكر ذلك أبو عوانة ، حيث قال : لم يكن عندنا في ذلك الزمان أحدٌ أحفظ من سعيد بن أبي عروبة ، الجرح (٤/ ٦٥) ، والسير (٦/ ٤١٤) .

(٣) سؤالات ابن الجنيد لابن معين (٣٤٩) ، والجرح (٤/ ٦٥) ، وهدي الساري (٤٠٦) ، التهذيب (٤/ ٦٤) ، والتذكرة (١/ ١٧٧) .

(٤) التهذيب (٤/ ٦٤) ، وشرح علل الترمذي لابن رجب (٢٨٣) .

(٥) الجرح (٤/ ٦٥) ، وهدي الساري (٤٠٦) ، والسير (٦/ ٤١٧) .

(٦) المعرفة والتاريخ (٢/ ١٤١) ، وفتح الباري (٥/ ١٨٥) .

(٧) المعرفة والتاريخ (٢/ ٨٩) .

وأما الراوي الثاني : فهو معمر بن راشد الأزدي الذي سمع من قتادة كما يقول عن نفسه : سمعت وأنا ابن أربع عشرة سنة، فما شيء سمعت في تلك السنين إلا وكأنه مكتوب في صدري[١] .

وهذان الراويان هما من أئمة الحفاظ، والرواة في زمانهم ، وفي ذلك يقول ابن المديني، نظرتُ في الأصول من الحديث، فإذا هي عند ستة ممَّن مضى ؛ من أهل المدينة : الزهري، ومن أهل مكة : عمرو بن دينار، ومن أهل البصرة : قتادة، ويحيى بن كثير، ومن أهل الكوفة : أبو إسحاق، والأعمش، ثم نظرت فإذا حديث هؤلاء الستة يصير إلى أحد عشر رجلاً؛ وذكر منهم سعيد بن أبي عروبة، ومعمر بن راشد[٢] .

وقد ساعد على حفظ تراث هذا الإمام ونشره، أن هذين التلميذين كانا من أوائل من صنف الكتب، وفي ذلك يقول أبو محمد الرامهرمزي : أول من صنف وبوب الربيع بن صبيح بالبصرة، ثم سعيد بن أبي عروبة بها، ومعمر باليمن، وابن جريج بمكة[٣] .

ومع هذا التقدم لهذين الراويين في الحفظ، والإتقان بعامة، ولاسيما ما رواياه عن قتادة بخاصة ، وكذا تفرغهما، واهتمامهما بنشر ما أثر عن قتادة، فإنه يضاف إلى ذلك كله حرصهما على الكتابة، والتصنيف، فهذا مما يجعلنا نؤكد أن هذا الإمام تيسر له من

---

(١) المعرفة والتاريخ (٢/ ١٤٢)، والسير (٧/ ٦).
وقد اعتمد الإمام عبد الرزاق الصنعاني على طريق معمر في جل تفسيره المسند، الذي لا تخلو ورقة منه إلا وفيها أثرٌ أو آثار عن قتادة من طريق معمر، وانظر مثل ذلك ما جاء عنه في المصنف، فقد اعتمد على هذا الطريق كثيراً.

(٢) السير (٧/ ٧).

(٣) المحدث الفاصل (٦١١)، والعلل لابن المديني (٢٨، ٣١)، وشرح علل الترمذي لابن رجب (٥٢، ٥٣)، وتذكرة الحفاظ (١/ ١٦٩، ١٧٧).

عناية تلاميذه بمروياته ما لم يتيسر لغيره، ولذا كثرت الرواية عنه.

٢ ـ حضه على الكتابة :

فعن أبي هلال، قال: قيل لقتادة: يا أبا الخطاب أنكتب ما نسمع؟ قال: وما يمنعك أحد أن تكتب، وقد أنبأك اللطيف الخبير أنه قد كتب، وقرأ: ﴿فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[١].

٣ ـ كثرة رحلاته :

ومما ساعد على انتشار علمه كثرة تنقله في البلدان، وحرصه على التلقي، والأخذ عن أئمة تلك الأمصار، فعن معمر قال: أقام قتادة عند سعيد بن المسيب ثمانية أيام، فقال له في اليوم الثامن: ارتحل عني يا أعمى فقد أنزفتني[٢].

ولذا كان سعيد بن المسيب يقول: ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة[٣].

ورحل ـ رحمه الله ـ إلى الكوفة، وفي هذا يقول قيس بن الربيع: قدم علينا قتادة الكوفة، فأردنا أن نأتيه فقيل لنا: إنه يبغض عليًا رضي الله عنه فلم نأته، ثم قيل لنا بعد: إنه أبعد الناس من هذا، فأخذ عن رجل عنه[٤]، وحرص في ذهابه للكوفة على لقاء الشعبي فلم يجده[٥]، ورحل إلى واسط وتوفي بها[٦].

---

(١) سورة طه: آية (٥٢)، وينظر طبقات ابن سعد (٧/ ٢٣٠)، وتقييد العلم (١٠٣)، والكفاية (٣٥٤)، وتهذيب الكمال (٢٣/ ٥٠٨).

(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٩)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٦١٤)، والثقات (٥/ ٣٢٢)، ورجال صحيح مسلم (٢/ ١٥٠).

(٣) الجرح (٧/ ١٣٣)، والسير (٥/ ٢٧٢)، والبداية (٩/ ٣١٣)، والتهذيب (٨/ ٣٥٣).

(٤) السير (٥/ ٢٧٢)، والقصة في تاريخ أبي زرعة مختصرة (١/ ٣٠٠).

(٥) العلل لأحمد (١/ ٣٦٥) ٦٩٩، ٧٠٠.

(٦) التهذيب (٨/ ٣٥٥).

٤ ـ تعدد مصادره :

وهذا مما ميز قتادة بين عموم التابعين، ولعل لقوة حافظته، وتأخر وفاته، وكثرة رحلاته، الأثرَ الكبير في تعدد مصادره وكثرة شيوخه، والمتأمل في كتب التراجم يجد ويلحظ كثرة من سمع منهم، وروى عنهم، فقد زاد عددهم عن مائة وعشرين صحابيًا، وتابعيًا[١] ولم يقاربه في هذا العدد أحد من التابعين.

وقد كان من أكثر التابعين رواية ونقلاً لتفسير عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٢]، كما كان من أكثرهم نقلاً لتفسير الحسن البصري[٣] وسعيد بن المسيب[٤]؛ بل كان من أكثر التابعين نقلاً عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بعد أصحابه من الكوفيين[٥].

وحاصل القول أن قتادة فاق غيره من التابعين في تعدد مصادره، وكثرة شيوخه واهتمامه بالنقل عن عدد كبير من الصحابة والتابعين.

ولذا عده كثير من الأئمة من أعلم الناس بالخلاف.

فعن الإمام أحمد قال: كان قتادة عالمًا بالتفسير، وباختلاف العلماء، وقال: قلما تجد من يتقدمه[٦].

---

(١) تهذيب الكمال (٢٣/ ٤٩٩).

(٢) بعد مراجعتي لتفسير عمر بن الخطاب ـ جمع إبراهيم بن حسن ـ وجدت أن التفسير المسند عن عمر بلغ (٣٢٩)، وأن قتادة روى (١٤, ٠) من مجموع تفسيره، وعن الحسن (٠٩, ٠)، وعن الشعبي (٦, ٠). وعن زيد بن أسلم (٠٥, ٠) وعكرمة، ومجاهد (٠٤, ٠)، وعن عطاء، وعن ابن جبير (٠٣, ٠)، وغيرهم دونهم في ذلك.

(٣) روى (١٢, ٠) من مجموع تفسير الحسن، البالغ (١٤٨٧) قولاً في تفسير الطبري.

(٤) روى (٣٧, ٠) من مجموع تفسير سعيد البالغ (١٨١) قولاً في تفسير الطبري.

(٥) روى (٠٢, ٠) من مجموع تفسير ابن مسعود رضي الله عنه، وكان غالب هذه الروايات في قراءة ابن مسعود.

(٦) السير (٥/ ٢٧٦).

وعن سعيد بن المسيب قال: لم أر أحدًا أسأل عما يُختلف فيه منك[١].

٥ ـ حافظته:

ومن الأسباب ـ التي أدت إلى كثرة المروي عنه ـ قوة حافظته، وبروزه في هذا الجانب، بل وتقدمه على غيره فيه؛ فإن هذه الذاكرة المتقدة ساعدته على حفظ كثير من الأحاديث والآثار، التي استعان بها في تأويله لكثير من الآيات، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

لذا فقد وجدناه من أكثر التابعين حفظًا، واهتمامًا واعتمادًا على المصدر الثاني من مصادر التفسير، وهو تفسير القرآن بالسنة، وكذا اعتماده على المصدر الثالث، وهو تفسيره بما ورد عن الصحابة وكبار التابعين، هذا المحفوظ ساعده في كثرة تعرضه وتفسيره لآيات كتاب الله.

٦ ـ سبقه في علوم اللغة:

ومن الأسباب التي قدمته في علم التفسير تقدمه في معرفة اللغة واطلاعه الواسع على لغات العرب.

أما تقدمه في معرفة اللغة، فقد قال الإمام الذهبي: ومع حفظ قتادة وعلمه بالحديث كان رأسًا في العربية، واللغة، وأيام العرب، والنسب[٢].

ويثني عليه القفطي[٣] بقوله: تابعي بصري مُقدم في علم العربية والعرب، عالم بأنسابها، وأيامها، لم يأت عن أحد من ذلك أصح مما أتى عنه في علم العرب اهـ.

---

(١) السير (٥/ ٢٧٦).

(٢) تذكرة الحفاظ (١/ ١٢٣)، والسير (٥/ ٢٧٧)، وطبقات المفسرين للداودي (٢/ ٤٤).

(٣) استفاد هذا القول من كلام محمد بن سلام الجُمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء (١/ ٦١)، وينظر إنباه الرواة (٣/ ٣٥)، والمزهر للسيوطي (٢/ ٣٣٤).

ويقول أيضًا: كان الرجلان من بني أمية يختلفان في البيت من الشعر، فيبردان بريداً إلى قتادة، فيسألانه عن ذلك[١].

وبلغ من شهرته وعلمه ـ في هذا ـ أن أبا عبيدة قال: ما كنا نفقد في كل يوم راكبًا، من ناحية بني أمية ينيخ على باب قتادة، فيسأله عن خبر، أو نسب، أو شعر[٢].

ويقول همام بن يحيى[٣]: أعربوا الحديث فإن قتادة لم يكن يلحن[٤].

وعن سعيد بن أبي عروبة قال: قيل لقتادة: مالك لا تروي عن نافع ورويت عن غيره؟! قال: إن نافعًا كان علجًا لحّانًا[٥].

وعن معمر قال: سألت أبا عمرو بن العلاء[٦] عن قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[٧]، فلم يجبني، فقلت: إني سمعت قتادة يقول: مُطيقين، فسكت، فقلت له: ما تقول يا أبا عمرو؟ فقال: حسبك قتادة، فلولا كلامه في القدر، لما عدلتُ به أحدًا من أهل دهره[٨].

وعن ابن أبي عروبة قال: كان قتادة، ربما حدثني بالحديث، فينشد بعده بيت شعر أو بيتين[٩].

---

(١) طبقات فحول الشعراء (١/ ٦١)، وإنباه الرواة (٣/ ٣٥)، والسير (٥/ ٢٧٨)، والمزهر (٢/ ٣٣٤)، ومعجم الأدباء (١٧/ ١٠).

(٢) وفيات الأعيان (٤/ ٨٥)، ومعجم الأدباء (١٧/ ١٠).

(٣) همام بن يحيى بن دينار البصري ثقة ربما وهم، ينظر التقريب (٥٧٤).

(٤) غريب الحديث للخطابي (١/ ٦١)، وطبقات ابن سعد (٧/ ٢٣٠).

(٥) العلل لأحمد (٣/ ٨٣)، ٤٢٨١، وأخبار النحويين لعبد الواحد بن أبي هاشم (١٥).

(٦) أبو عمرو بن العلاء النحوي القارئ شيخ القراء، ومن علماء العربية، ينظر السير (٦/ ٤٠٧)، والتقريب (٦٦٠).

(٧) سورة الزخرف: آية (١٣).

(٨) وفيات الأعيان (٤/ ٨٥)، ونكت الهميان (٢٣٠).

(٩) العلل لأحمد (٣/ ٣٠٨) ٥٣٧٢، والجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٢٩).

والمتأمل لتفسيره يجد شاهد ما ذكره الأئمة من تقدمه في معرفة لغات العرب، فمن ذلك ما ورد عنه عند قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾[١]، قال: وهذه كلمة من كلام العرب ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَد﴾: أي: إن ذلك لم يكن، ولا ينبغي[٢].

وعند قوله سبحانه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٣] قال: وهي كلمة عربية كانت العرب تقولها: طهر ثيابك، أي من الذنب[٤]، وفي رواية عنه قال: طهرها من المعاصي، فكانت العرب تسمي الرجل إذا نكث ولم يف بعهد أنه دنس الثياب، وإذا وفى وأصلح قالوا: مطهَّر الثياب[٥].

وعند قوله جل وعلا: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾[٦]. فعنه قال: أمه هاوية: هي كلمة عربية، وكان الرجل إذا وقع في أمر شديد قالوا: هوت به أمه[٧].

وكان ـ رحمه الله ـ من أكثر التابعين اهتمامًا ببيان اشتقاق الأسماء، فعند قوله جل وعلا:

---

(١) سورة الزخرف: آية (٨١).

(٢) تفسير الطبري (٢٥/ ١٠١)، وأورده ابن حجر في الفتح (٨/ ٥٦٩)، والسيوطي في الدر، وعزاه لابن جرير (٧/ ٣٩٥)، وينظر تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢٨)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٤٠).

(٣) سورة المدثر: آية (٤).

(٤) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٣٢٧)، وتفسير الطبري (٢٩/ ١٤٥).

(٥) تفسير الطبري (٢٩/ ١٤٥)، وتفسير البغوي (٤/ ٤١٣)، وزاد المسير (٨/ ٤٠٠)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٤٢)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٢٨٩)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد ابن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة بلفظ مقارب (٨/ ٣٢٥).

(٦) سورة القارعة: آية (٨/ ٩).

(٧) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٣٩٢)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٢٨٢)، وتفسير البغوي (٤/ ٥١٩)، وزاد المسير (٩/ ٢١٥)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن المنذر عن قتادة به (٨/ ٦٠٦).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ﴾[١] ، قال: إنما سموا نصارى؛ لأنهم كانوا بقرية يقال لها: ناصرة، ينزلها عيسى بن مريم، فهو اسم تسموا به ولم يؤمروا به[٢].

وعند قوله جل ثناؤه: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾[٣] ، قال: إنما سمي يحيى؛ لأن الله أحياه بالإيمان[٤].

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾[٥] ، قال: فإن الله بكَّ به الناس جميعًا، فيصلي النساء قدام الرجال، ولا يصلح ببلد غيره[٦].

وبالإضافة إلى ما سبق فمن أسباب الكثرة:

٧ ـ عنايته وحرصه على بيان وتفسير آيات الوعد والوعيد :

فقلَّ أن توجد آية فيها وعظ، إلا ويعظ بها ويذكر، ويأتي عنه فيها العديد من

---

(١) سورة البقرة: آية (٦٢).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ١٤٥)، ١٠٩٧، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن المنذر عن قتادة به (١/ ١٨٢).

(٣) سورة آل عمران: آية (٣٩).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٣٧٠) ٦٩٥٠، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٢٣٥) ٤٥٨، وتفسير ابن عطية (٣/ ٧٣)، والبحر المحيط (٢/ ٤٤٧)، وتفسير البغوي (١/ ٢٩٨). وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، عن قتادة به (٢/ ١٨٨).

(٥) سورة آل عمران: آية (٩٦).

(٦) تفسير الطبري (٧/ ٢٤)، ٧٤٤١، ٧٤٤٢، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٠٥)، ٩٦٩، ورواه عبد الرزاق في تفسيره بلفظ: وبكة يبك الناس بعضهم بعضًا الرجال والنساء، يصلي بعضهم بين يدي بعض، ويمر بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك إلا بمكة. تفسير عبد الرزاق (١/ ١٢٧)، ورواه البيهقي في شعب الإيمان عن قتادة به (٣/ ٤٤٤) ٤٠١٥.
وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، والبيهقي في الشعب، عن قتادة به (٢/ ٢٦٦).

الأقوال[١] .

٨ ـ عدم دخوله في الفتن :

والمراجع لسيرته، يجد أنه لم يرد عنه في الناحية السياسية شيء، بل عاش حياة سالمة هادئة، ولم يرد عنه أي ذكر في فتنة قط، ولا خروج ولا ثورة، مع أن العصر الذي عاش فيه كان عصراً يموج بالفتن، ولكنه عاش بعيداً عن هذا كله، وليس هذا بمستغرب على قتادة، فهو تلميذ الحسن البصري الذي عاصر الفتن، وكان له منهج متميز بين سائر التابعين في البعد عنها[٢] .

وقد وهب نفسه ـ رحمه الله ـ للعلم والدرس، يقول مطر الوراق : ما زال قتادة متعلماً حتى مات[٣] .

٩ ـ تأخر وفاته :

وهذا مما ساعده على انتشار علمه، وكثرة الآخذين لتفسيره، فقد توفي سنة سبع عشرة ومائة[٤] ، وهو معدود في صغار التابعين رحمه الله رحمة واسعة .

❁ ❁ ❁

(١) وقد كان جلُّ تفسيره في الوعظ والدعوة؛ حيث بلغ (١٧ , ٠) من مجموع تفسيره كما سبق بيانه.

(٢) كما جاء بيان ذلك فيما مضى من ترجمة الحسن ص (٢٣٢).

(٣) التهذيب (٨/ ٣٥٣).

(٤) طبقات خليفة (٢١٣)، والتاريخ الصغير (١/ ١٢٩)، والعلل لابن المديني (٨٩)، وتهذيب الكمال (٢٣/ ٥١٧)، وتاريخ الخميس (٢/ ٣١٩).

أبو العالية

هو أبو العالية ، رُفيع الرياحي[١] - بكسر الراء - نسبته إلى قبيلة رياح ، بطن من تميم ، وأبو العالية الرياحي ينسب إليها ولاءً ، واسمه رفيع بن مهران ، مولى امرأة من يربوع من بني رياح[٢] ، وهو من كبار التابعين بالبصرة المخضرمين ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين[٣] .

إمامته في القراءة :

حاز أبو العالية قصب السبق في القراءة ، حتى عدّه بعض الأئمة من أكثرهم علمًا في هذا ؛ يقول أبو بكر بن أبي داود في كتابه شريعة القارئ : ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية ، وبعده سعيد بن جبير ، ثم السدي ، ثم سفيان الثوري[٤] .

---

(١) الكنى لأحمد (٧٥) ، والكنى لمسلم (٨٣) ، والكنى للدولابي (٢/ ٢٠) ، والكنى لابن عبد البر المسمى بالاستغناء (٢/ ٨٣٦) .

(٢) الأنساب (٦/ ١٩٩) ، واللباب في تهذيب الأنساب (٢/ ٤٦) ، وتاريخ دمشق (٦/ ٢٦٠) ، وبغية الطلب في تاريخ حلب (٨/ ٣٦٧٩) .

(٣) تهذيب الأسماء (٢/ ٢٥١) ، والاستغناء (٢/ ٨٣٦) ، والثقات للعجلي (٥٠٣) ، والمعين في طبقات المحدثين (٣٣) ، وتاريخ دمشق (٦/ ٢٦٣) ، والإصابة (٤/ ١٤٤) ، وذكر أسماء التابعين (٢/ ٨١) ، وطبقات المحدثين بأصبهان (١/ ٣١٣) ، والتعديل والتجريح (٢/ ٥٧٨) ، وبغية الطلب (٨/ ٣٦٨١) .

(٤) تهذيب الأسماء (٢/ ٢٥١) ، ودول الإسلام (١/ ٦٤) ، وغاية النهاية (١/ ٢٨٥) ، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٧٣) ، وعند ابن حجر في التهذيب بلفظ : ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة (٣/ ٢٨٥) .

ولعل من أسباب ذلك ، أنه قرأ على سيد القراء أبي بن كعب[١] ، ولازمه[٢] .

وأبي من أقرأ الأمة ، كما شهد بذلك الصادق المصدوق ﷺ بقوله : «**وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب**»[٣] .

وقرأ على عمر أكثر من مرة ؛ تقول حفصة بنت سيرين : قال لي أبو العالية : قرأت القرآن على عمر ثلاث مرات[٤] .

وأخذ القراءة عرضًا عن زيد بن ثابت ، وابن عباس[٥] .

وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء[٦] وروى عنه القراءة عرضًا الأعمش والربيع بن أنس[٧] .

وهو من أقدم مفسري التابعين تلقيًا للقراءة ، وأعلاهم سندًا ، وفي ذلك يقول : قرأت القرآن بعد وفاة نبيكم ﷺ بعشر سنين[٨] ، ويقول أيضًا : قرأنا القرآن قبل أن

---

(١) التاريخ الصغير للبخاري (١/ ٢٢٥)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٥٠)، وتاريخ دمشق (٦/ ٢٦٦)، ومرآة الجنان (١/ ٢١٤)، وتاريخ الخميس (٢/ ٣١٣).

(٢) وقد عني بنقل قراءته وتفسيره ، وفي ذلك يقول السيوطي : ثمة نسخة كبيرة في التفسير رواها أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، أخرج منها ابن جرير الطبري في تفسيره ، وابن أبي حاتم كثيرًا ، كما أخرج منها الحاكم في المستدرك وأحمد في مسنده ، ينظر الإتقان (٢/ ٢٤٢).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب رقم (٣٣)، وقال : حديث حسن صحيح ، (٥/ ٦٦٥) ٣٧٩١.

(٤) معرفة القراء الكبار (١/ ٥٠)، وغاية النهاية (١/ ٢٨٥)، وتاريخ دمشق (٦/ ٢٦٥)، والإصابة (١/ ٥٢٨)، وصحح الجميع هذه الرواية ، وأشار إليها العلائي في جامع التحصيل (٢١٢)، والأصبهاني في المبسوط في القراءات العشر بلفظ أربع مرات (٧٧).

(٥) المبسوط في القراءات العشر (٧٧)، والسير (٤/ ٢٠٨)، وتاريخ الإسلام (ح ٩٣ هـ/ ٥٣٠).

(٦) السير (٤/ ٢٠٧)، ومرآة الجنان (١/ ٢١٤).

(٧) السير (٤/ ٢٠٨)، وتاريخ الإسلام (ح ٩٣ هـ/ ٥٣٠).

(٨) طبقات ابن سعد (٧/ ١١٣)، وأخبار أصبهان (١/ ٣١٤)، والمعرفة (١/ ٢٣٧)، وتاريخ دمشق (٦/ ٢٦٥)، وطبقات المحدثين بأصبهان (١/ ٣١٣)، والتذكرة (١/ ٦١)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٧٣).

يقتلوا صاحبهم، ويفعلوا ما فعلوا، باثني عشرة سنة (يعني: قبل أن يقتلوا عثمان)[١].

قال البخاري معلقًا على هذه الرواية: وقد قرأ القرآن، قبل أن يُولد الحسن بسنة[٢].

ويعد ـ رحمه الله ـ من المتقدمين بين قراء البصرة، ولذا فقد اختاره الحجاج عندما أراد عدَّ سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه[٣].

وشاهد ما ذكرت تقديم بعض الأئمة له ممن صنف في طبقات القراء؛ حيث جعلوه في طبقة متأخري الصحابة، وصغارهم، ولم يذكروا أحدًا من مفسري التابعين معه[٤].

والناظر فيما روي عنه من القراءة في تأويله، يجد أنه اهتم في إيراد تلك القراءات بجانب المعنى، فأورد القراءة شاهدًا لإيضاحه، وكان هذا واضحًا في تفسيره، أكثر من الاهتمام بإيراد منطوق القراءة، كما نجده عند غيره من التابعين[٥].

ومن أمثلة ذلك، ما ورد عنه عند قوله سبحانه: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ**﴾[٦].

قال: في قراءة أبي بن كعب: «هَلْ يَنظُرُون إلاّ أن يَأتِيَهُمُ اللَّهُ وَالملائِكَةُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ

---

(١) التاريخ الصغير (١/ ٢٢٥)، والمعرفة (٣/ ٢٦).

(٢) التاريخ الصغير (١/ ٢٢٥).

(٣) البرهان (١/ ٢٤٩).

(٤) كما نجد ذلك عند الإمام الذهبي في كتاب معرفة القراء الكبار؛ حيث عدَّ أبا العالية في الطبقة الثانية، ولم يذكر في هذه الطبقة أحدًا من المكثرين من مفسري التابعين، وإنما ذكر في الطبقة الثالثة سعيد بن جبير فحسب، وهذا يدل على علو إسناده وتقدمه في هذا العلم (أعني: علم القراءات)، ينظر: معرفة القراء الكبار (١/ ٥٠).

(٥) كالحسن، وقتادة، وغيرهم.

(٦) سورة البقرة: آية (٢١٠).

الْغَمَامِ»، قال: تأتي الملائكة في ظلل من الغمام، ويأتي الله ـ عز وجل ـ فيما شاء[١].

وكان يقرأ قوله سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾[٢] «فإن لم تجدوا كتابًا» ثم يقول: توجد الدواة، ولا توجد الصحيفة[٣].

وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾[٤]، قال: «أمَّرنا» مثقلة جعلنا عليها مترفيها: مستكبريها[٥].

تأثره بالمنهج المكي:

ومما يلفت النظر عند قراءة تفسيره، أن أبا العالية مع أنه من مفسري البصرة، وممن عاش ومات فيها، إلا أن تأثره بها كان قليلاً، إذا ما قورن بأثر المدرسة المكية فيه، فقد قال بقولها، ومال إلى رأيها في كثير من تأويلاته.

ولعل من العوامل، والأسباب التي أثرت عليه، كثرة تردده على مكة؛ فقد حج إليها ستًا وستين حجة[٦]. وكان ابن عباس يدنيه ويقربه منه، يقول عن نفسه: كنت ألزم

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٦١) ٤٠٣٢، وكتاب الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٩٤)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى أبي عبيد، وابن المنذر، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن أبي العالية بنحوه (١/ ٥٨٠).

(٢) سورة البقرة: آية (٢٨٣).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٩٦) ٦٤٤٢، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد عن أبي العالية به (٢/ ١٢٥)، وأورد القرطبي في تفسيره هذه القراءة عن أبي العالية، وأورد قراءة أخرى حكاها عنه المهدوي أن أبا العالية قرأ (كُتُبًا)، ينظر تفسير القرطبي (٣/ ٢٦٣)، ومختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع (١٨).

(٤) سورة الإسراء: آية (١٦).

(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٥٥)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن أبي العالية بلفظ مقارب (٥/ ٢٥٥).

(٦) المعارف لابن قتيبة (٢٠٠)، وشذرات الذهب (١/ ١٠٢). قارن هذا بحال الحسن الذي لم يحج إلا مرتين، ولم يلق ابن عباس، كما سبق بيانه.

ابن عباس، فيرفعني على السرير فتغامزت بي قريش، وهم أسفل من السرير، يقولون: يرفع هذا المولى على السرير، ففطن بهم ابن عباس، فقال: إن هذا العلم يزيد الشريف شرفًا، ويجلس المملوك على الأسرة[١].

وكان يقول: كان ابن عباس يُعلمنا اللحن (يعني: الإعراب)؛ لأنه به يظهر الحق[٢].

ولا ريب أن هذا جعله يستقل بكثير من الآراء عن مدرسته، فكان له شخصيته المتميزة، وبعد تفسيره عن السمة الغالبة على تفسير أصحابه من البصريين، لا سيما ما تعلق بالتفسير الوعظي.

بل إن المراجع لترجمته يلمس منه ـ رحمه الله ـ عدم الرضى التام عن منهج المدرسة البصرية بإكثارها من الوعظ والتذكير، على يد الحسن خاصة أو من تبعه في ذلك.

ولذا لما سئل مرة عن الحسن قال: رجل مسلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأدركنا الخير، وتعلمنا قبل أن يولد الحسن[٣].

وكان ـ رحمه الله ـ ينتقد منهج بعض الزهاد، فعندما زاره عبد الكريم أبو أمية[٤]، وعليه ثياب صوف، قال له: هذا زي الرهبان! إن المسلمين إذا تزاوروا تجملوا[٥].

---

(١) الجرح والتعديل (٣/ ٥١٠)، وتهذيب الكمال (٩/ ٢١٧)، والتذكرة (١/ ٦٢)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٧٣)، وتهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٣٢٨)، وبغية الطلب (٨/ ٣٦٨٢).

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٨/ ٣٢٩)، وتهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٣٢٨).

(٣) المعرفة (٢/ ٥٢)، وتاريخ دمشق (٦/ ٢٦٥)، وتاريخ الإسلام (ح ٩٣ هـ/ ٥٣٠).

(٤) أبو أمية عبد الكريم بن أبي المخارق البصري المعلم صاحب تعبد وخشوع، الخلاصة (٢٤٢)، والتاريخ الكبير (٦/ ٨٩)، والسير (٦/ ٨٣).

(٥) فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد (١/ ٤٤١) ٣٤٨، وطبقات ابن سعد (٧/ ١١٥)، وبغية الطلب (٨/ ٣٦٨٦).

وخالف منهج المدرسة في الحرص على كثرة التذكير بنصوص الوعيد والتخويف، وذكَّر بنصوص الوعد والرجاء؛ ولذا كان يقول: إني لأرجو ألا يهلك عبدٌ بين نعمتين: نعمة يحمد الله عليها، وذنب يستغفر الله منه[١].

وهذا وغيره من الأسباب التي ميزت تفسير أبي العالية، وجعلت له منهاجًا خاصًا انفرد به عن أصحابه.

جوانب تأثره بالمنهج المكي:

ولعلي بعد هذا أذكر أهم الجوانب التي تأثر فيها أبو العالية بالمدرسة المكية:

١ ـ اهتمامه بتأويل مشكل الآيات وقوله بقول المكيين في تبيين مشكلها:

من ذلك ما جاء عنه عند تأويل قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، قال: كان قبله مؤمنون، ولكن يقول: أنا أول من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة[٣].

وعند قوله جل ثناؤه: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤]، قال: دعا موسى، وأمّن هارون[٥]. إلى غير ذلك من الأمثلة[٦].

---

(١) الحلية (٢/ ٢١٩)، ومختصر تاريخ دمشق (٨/ ٣٣١)، وبغية الطلب (٨/ ٣٦٨٦).

(٢) سورة الأعراف: آية (١٤٣).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ١٠٢) ١٥٠٩٢، ١٥٠٩٣، وتفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٩)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ، عن أبي العالية به (٣/ ٥٤٧)، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، ولم يرد عند الطبري عن غيرهم هذا التأويل، ينظر الآثار (من ١٥٠٩٤ إلى ١٥١٠٥).

(٤) سورة يونس: آية (٨٩).

(٥) تفسير الطبري (١٥/ ١٨٦) ١٧٨٥١، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير عن أبي العالية به، (٤/ ٣٨٥).

(٦) من ذلك يراجع الطبري في تفسيره الآثار ذوات الأرقام: ٧٣٤٤، ٧٣٧٧، ٧٣٧٨، ٧٣٨٠، ٧٣٨١...، وهذه جل الأمثلة الواردة عنه في تأويل المشكل، وقلَّ أن يشابهه فيها أحدٌ من البصريين لاسيما الحسن.

٢ ـ عنايته ، ومتابعته لأشباه القرآن وكلياته :

فعند تأويله لقوله تبارك، وتعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١] قال: الأليم: الموجع في القرآن كله[٢] .

وعند قوله جل وعلا: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ ﴾[٣] ، قال: إن الظن هاهنا يقين[٤] .

وعند قوله سبحانه: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾[٥] ، قال: كل فرج ذكر حفظه في القرآن فهو من الزنا، إلا هذه ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[٦] ، فإنه يعني: الستر[٧] .

٣ ـ قلة تعرضه لتفسير آيات الأحكام:

ومال في هذا القليل المروي عنه إلى رأي المكيين[٨] ، فعند قوله تبارك وتعالى: ﴿ فلا رفث ﴾[٩] .

---

(١) سورة البقرة: آية (١٠).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٤٩) ١١٩ ، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن أبي العالية به (١/ ٧٦).

(٣) سورة البقرة: آية (٤٦).

(٤) تفسير الطبري (٢/ ١٩) ٨٦١، وتفسير ابن أبي حاتم (١٥٧) ٤٩٧.

(٥) سورة النور: آية (٣٠).

(٦) سورة النور: آية (٣١).

(٧) تفسير الطبري (١٨/ ١١٦)، جاء سياق الآية في غض الأبصار، فرجح بعض المفسرين أن المراد هنا الستر لتناسب السياق، وإلى هذا مال ابن جرير الطبري (١٨/ ١١٦).

(٨) بينما كان المروي عن البصريين ـ وخاصة ـ الحسن كثيراً.

(٩) سورة البقرة: آية (١١٧).

قال: لا يكون رفث إلا ما واجهت به النساء[١].

وعند تأويله لقوله سبحانه: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٢]، قال في تفسير المعروف: القرض[٣]، وأجاز الاستقراض من مال اليتيم.

٤ ـ تساهله في رواية الإسرائيليات:

كان عدد المنقول عنه كثيراً إذا ما نسب إلى مجموع تفسيره، وإن كان غالب ما جاء عنه في هذا من الروايات المقبولة، وحرص في نقلها على الاختصار[٤].

٥ ـ بعده عن الأهواء:

تميز ـ رحمه الله ـ ببعده عن الأهواء، والنحل، التي كانت منتشرة بالبصرة كالحرورية، والقدرية[٥]، وكان يقول: تعلموا القرآن، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وإياكم وهذه الأهواء فإنها توقع العداوة والبغضاء بينكم، فإنا قد قرأنا القرآن قبل أن

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ١٢٨) ٣٥٨٣، وإلى هذا ذهب ابن عباس في أكثر من رواية عنه. انظر الآثار ذوات الأرقام ٣٥٧١، ٣٥٧٣، ٣٥٧٤، بخلاف مذهب ابن عمر، ومحمد بن كعب القرظي الذين ذهبوا إلى أن الرفث هو التكلم بذلك للرجال والنساء، وإن ذكروا ذلك بأفواههم، ينظر الآثار (٣٥٧٥، ٣٥٧٦).

(٢) سورة النساء: آية (٦).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٥٨٥) ٨٦١٧، وهو مذهب ابن عباس ٨٥٩٨، ٨٦٠٤، ٨٦٠٥، وسعيد ابن جبير ومجاهد، وغيرهم، ولم ينقل ابن جرير عن أحد من البصريين وغيرهم هذا القول.

(٤) تراجع الآثار في تفسير الطبري ٧٤٥، ٧٧٩، ٨٢٠، ٨٩٣، ٩٤٠، ١٢٨٤، ١٣١٢، ١٤٧٠، ١٤٧٤، ١٤٧٩، ١٥١٣٨، (١٧/ ٨٨) (١٨/ ١)...، وغيرها، ولم ينقل عنه السرد، والإطالة، إلا في أثرين هما ٩١٤، ١١٧٣.

(٥) تأثر الحسن البصري برأي القدرية في أول أمره ثم رجع، وقال بقولهم قتادة في بعض المسائل. ويأتي لذلك مزيد بحث عند الحديث عن منهجهم في آيات الاعتقاد ص (٨١٤).

يقتل (يعني : عثمان) بخمس عشرة سنة[١] .

وكان ـ رحمه الله ـ كثيراً ما يوصي بلزوم الاتباع، ويحذر من الإحداث والابتداع[٢] .

ومما جاء عنه أيضاً قوله : قرأت المحكم بعد وفاة نبيكم بعشر سنين فقد أنعم الله علي بنعمتين لا أدري أيتهما أفضل، أن هداني للإسلام، أم لم يجعلني حروريًا[٣] .

هذه بعض أوجه الشبه بين أبي العالية وابن عباس وأصحابه، ومما ظهر لي أن أبا العالية كان في منهجه أقرب إلى منهج المدرسة المكية من بعض أصحاب ابن عباس، كعطاء بن أبي رباح . والله أعلم .

أسباب قلة المروي عنه في التفسير :

ومع هذا التقدم في السن، وفي علم القرآن، نجد أن المروي عنه في التفسير كان قليلاً إذا ما قورن بغيره من التابعين، لا سيما أصحابه من البصريين[٤] ، ولعل من الأسباب الرئيسة في ذلك ما يلي :

١ ـ قلة الرواة عن أبي العالية :

فقد ذهب كثير من علمه بسبب ذلك، فعن أبي داود قال : ذهب علم أبي العالية؛ لم يكن له رواة[٥] .

(١) مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٣٢٨)، وبغية الطلب (٨/ ٣٦٨٥)، والحلية بلفظ مقارب (٢/ ٢١٨).

(٢) الحلية (٢/ ٢١٧)، وتاريخ دمشق (٦/ ٢٦٥، ٢٦٦)، وبغية الطلب (٨/ ٣٦٨١).

(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ١١٣، ١١٤)، والحلية (٢/ ٢١٨)، وتاريخ دمشق (٦/ ٢٦٥)، والسير (٤/ ٢١٢).

(٤) بعد مراجعتي لتفسير الطبري ، وجدت أن المروي عن أبي العالية (٢٤٤) قولاً، في حين كان عن قتادة (٥٣٧٩)، قولاً، وعن الحسن البصري (١٤٨٧) قولاً.

(٥) تهذيب الكمال (٩/ ٢١٧)، والتهذيب (٣/ ٢٨٤)، والإصابة (١/ ٥٢٨).

٢ ـ جل تفسيره جاء من رواية الربيع بن أنس[١] :

وفي هذا يقول الإمام الذهبي : سمع أبا العالية ، وأكثر عنه[٢] ؛ بل إن كثيراً من الأقوال المروية من تفسير الربيع ، هي في الحقيقة من تفسير أبي العالية ، وليست من تفسير الربيع[٣] .

ولذا فإنه لو أضيف كثير من تفسير الربيع لأبي العالية لكان من أكثر التابعين بعد المشاهير منهم[٤] .

٣ ـ حبه للخفاء :

فقد كان ـ رحمه الله ـ يؤثر عدم الظهور ويحب الخفاء ، ويكره جلبة الناس ، وكثرة السائل ، والمتعلم ، ويؤثر الإقلال من الفتوى ، والبعد عن مجالس العامة ، وكان إذا جلس إليه أربعة قام[٥] ، وعنه قال : تعلمت الكتاب ، والقرآن ، فما شعر بي أهلي ، ولا رُئي في ثوبي مداد قط[٦] .

٤ ـ كراهيته لكتابة العلم :

فعن أبي خلدة قال : قلت لأبي العالية : أعطني بعض كتبك ، قال : لو كتبت شيئًا

---

(١) رجعت لتفسير أبي العالية عند الطبري فكان (٧٨ , ٠) من مجموع ما روى عنه من طريق الربيع ابن أنس يقول الداودي : لأبي العالية تفسير رواه عنه الربيع ، طبقات المفسرين (١/ ١٧٣) .

(٢) السير (٦/ ١٧٠) .

(٣) من خلال تتبعي ومقارنتي بين المروي عن أبي العالية والربيع ، وجدت أن (٧١ , ٠) من تفسير الربيع هو في الحقيقة من أقوال وتفاسير أبي العالية ، لكن الربيع نسبها لنفسه ، ولأهمية هذه النقطة فقد أفردتها بمزيد بحث ومقارنة ومتابعة ، يأتي الحديث عنها مفصلاً في مدرسة البصرة ، عند الحديث عن المقارنة بين الربيع بن أنس وأبي العالية .

(٤) كمجاهد ، والحسن ، وقتادة .

(٥) العلل لأحمد (٢/ ٤٤٧) ٢٩٨٤ ، والعلم لأبي خيثمة (١١٨) ، والمنتظم (٦/ ٢٩٧) ، وتاريخ دمشق (٦/ ٢٧٢) .

(٦) الحلية (٢/ ٢١٧) ، وتاريخ دمشق (٦/ ٢٦٧) ، وبغية الطلب (٨/ ٣٦٨٤) .

لأعطيتك وأكرمتك[١] .

٥ ـ تشدده في قبول الرواية :

فقد كان من أشد البصريين[٢] في قبول الأخبار، وفي هذا يقول عن نفسه: كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ ، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة ، فسمعناها من أفواههم[٣] .

وعنه قال: كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام، فأول ما أتفقد من أمره صلاته، فإن وجدته يقيمها ويتمها، أقمت، وسمعت منه، وإن وجدته يضيعها رجعت ولم أسمع منه، وقلت: هو لغير الصلاة أضيع[٤] .

وفاته :

ذهب كثير من أهل العلم إلى أنه توفي سنة ثلاث وتسعين[٥] ، وقيل: إنه توفي سنة تسعين[٦] ، وصحح القول الأول جماعة من المؤرخين كالصالحي[٧] ، والذهبي[٨] ، وابن كثير[٩] ، وابن عساكر[١٠] ، وغيرهم[١١] .

---

(١) العلل لأحمد (٣/ ٤٤١) ٥٨٧٥ .
(٢) بعد محمد بن سيرين ، وسوف يأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن مدرسة البصرة ـ إن شاء الله ـ ص (٤٢٢).
(٣) سنن الدارمي (١/ ١٤٠)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٤٠٢)، والكفاية (٤٠٢)، والرحلة في طلب الحديث (٩٣).
(٤) الحلية (٢/ ٢٢٠)، والرحلة في طلب الحديث (٩٣).
(٥) التاريخ الكبير (٣/ ٣٢٦)، والتاريخ الصغير (١/ ٢٢٥)، والثقات (٤/ ٢٣٩)، والأنساب (٦/ ١٩٩)، وبغية الطلب (٨/ ٣٦٩٠).
(٦) تاريخ أبي زرعة (١/ ٢٩٢)، وتاريخ ابن معين (٢/ ١٦٦)، والكامل (٤/ ٥٤٨)، والوفيات لابن قنفذ (٩٩).
(٧) طبقات علماء الحديث (١/ ١٢٤).
(٨) التذكرة (١/ ٦٢).
(٩) البداية (٩/ ٨٨).
(١٠) تاريخ دمشق (٦/ ٢٧٥).
(١١) طبقات المفسرين (١/ ١٧٣).

إسماعيل السدي

هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، مولى زينب بنت قيس بن مخرمة[١]، وقيل: مولى بني هاشم[٢]، أبو محمد القرشي[٣]، الأعور[٤]، أصله حجازي، سكن الكوفة[٥]، وكان يقعد في سدة باب الجامع بالكوفة، فسمي السدي[٦].

رأى أبا هريرة[٧]، والحسن بن علي[٨]، وابن عمر[٩]، وسمع أنس بن مالك، ومرة الهمداني[١٠]، وفي سماعه من ابن عباس نظر، وإنما قيل: إنه رآه[١١].

---

(١) التاريخ الصغير (١/ ٣١٢)، ورجال صحيح مسلم (١/ ٦٠)، والإكمال (٤/ ٥٦٨)، واللباب في تهذيب الأنساب (٥/ ٢١).

(٢) المعرفة والتاريخ (٣/ ١٨٦)، وتاريخ ابن معين (٢/ ٣٥)، ومعرفة الرجال لابن معين (١/ ١٤٤)، (٢/ ١٤٧)، والإكمال (٤/ ٥٦٧).

(٣) أخبار أصبهان (١/ ٢٠٤)، وتهذيب الكمال (٣/ ١٣٢)، والسير (٥/ ٢٦٤).

(٤) العلل ومعرفة الرجال لأحمد (٢/ ٣٤٣) ٢٥٢٢.

(٥) رجال صحيح مسلم (١/ ٦٠)، والجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٢٨)، واللباب في تهذيب الأنساب (٢/ ١١٠)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٠٩).

(٦) الإكمال (٤/ ٥٦٨)، واللباب في تهذيب الأنساب (٢/ ١١٠)، ولباب الألباب في تحرير الأنساب (٢/ ١٤).

(٧) تهذيب الكمال (٣/ ١٣٣)، والميزان (١/ ٢٣٦)، وكتاب من تُكلم فيه وهو مُوثق (٤٦)، والسير (٥/ ٢٦٤).

(٨) السير (٥/ ٢٦٤)، وتاريخ الإسلام (ح ١٢٧ هـ/ ٣٧)، وتهذيب الكمال (٣/ ١٣٣).

(٩) مختصر سنن أبي داود للمنذري (٤/ ٢٥١)، والثقات (٥/ ٢١)، واللباب (٢/ ١١٠).

(١٠) التاريخ الصغير (١/ ٣١٢)، والتاريخ الكبير (١/ ٣٦١)، ومختصر سنن أبي داود (٤/ ٢٥١)، وأخبار أصبهان (١/ ٢٠٤)، ونصب الراية (٣/ ٤٤٥)، والضعفاء لابن الجوزي (١/ ١١٥).

(١١) مختصر سنن أبي داود (٤/ ٢٥١)، ونصب الراية (٣/ ٤٤٥).

ساق أبو نعيم بسنده عن محمد بن أبان عن السدي، قال: رأيت نفراً من أصحاب النبي ﷺ، منهم: أبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وابن عمر[١].

وعِداده في صغار التابعين[٢].

وثقه العجلي[٣]، وأحمد[٤]، وقال أحمد في رواية عنه: مُقارب الحديث، وقال النسائي: صالح الحديث، وقال يحيى بن سعيد: لا بأس به[٥].

والسدي ينسب إلى المدرسة الكوفية، التي عاش فيها واستقر بها[٦]، وهذه المدرسة من أكثر المدارس ورعًا، وإحجامًا في التفسير، إلا أنه كان من المكثرين بين التابعين في التفسير، بل كان من أكثر تابعي الكوفة رواية، ودراية فيه[٧].

وقد نهج منهجًا انفرد به عن غيره من أصحابه الكوفيين، ولعل من أبرز معالم هذا المنهج ما يلي:

مميزات تفسيره، التي أدت إلى انتشاره:

١ ـ إكثاره في باب التفسير[٨]:

من حيث الرواية ـ في المقام الأول ـ ثم من حيث الدراية في المقام الثاني، وقد بلغ

(١) أخبار أصبهان (١/ ٢٠٥)، وطبقات المحدثين بأصبهان (١/ ٣٣٣)، وتهذيب الكمال (٣/ ١٣٧).

(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٣٢٣)، والمعين في طبقات المحدثين (٤٤)، والنجوم الزاهرة (١/ ٣٠٨).

(٣) تاريخ الثقات (٦٦).

(٤) بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم (٢٤).

(٥) الجرح (٢/ ١٨٤)، والكامل (١/ ٢٧٦).

(٦) أخبار أصبهان (١/ ٢٠٤).

(٧) سيأتي مزيد بسط لهذا، عند الحديث عن مدرسة الكوفة ص (٤٥٧، ٥٧٩).

(٨) جاء في المرتبة الثالثة بعد مجاهد، وقتادة؛ حيث بلغ مجموع ما روي من تفسيره عند الطبري (١٦٨٢) رواية.

من إكثاره أن أنكر عليه بعض معاصريه من التابعين وعلى رأسهم إمام الكوفة في زمانه عامر الشعبي، فكان يمر به، وحوله شباب يفسر لهم القرآن، فقام عليه، وقال: ويحًا للآخر لو كنت نشوان يُضرب على استك بالطبل، خيرًا لك مما أنت فيه[١].

وعن عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت قال: سمعت الشعبي، وقيل له: إنَّ إسماعيل السُدي قد أعطي حظًا من علم بالقرآن، فقال: إنَّ إسماعيل قد أعطي حظًا من جهل بالقرآن[٢].

وقد رد على ذلك إسماعيل بن أبي خالد (وهو من أعلم الناس بالشعبي وأثبتهم فيه)[٣]، بقوله: كان السدي أعلم بالقرآن من الشعبي[٤].

وقال الذهبي: ما أحد إلا وما جهل من القرآن أكثر مما علم[٥].

قلت: ولعل ما أنكره الشعبي على السدي هو توسعه في التفسير وإكثاره فيه.

ولذا نجد السدي يرد هذا بقوله: هذا التفسير أخذته عن ابن عباس، فإن كان صوابًا فهو قاله، وإن كان خطأ فهو قاله[٦].

٢ ـ تعدد مصادره:

كان جل اهتمام أصحاب ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ومن جاء بعدهم من تابعي الكوفة هو نقل، ورواية تفسيره، وانفرد السدي بإضافة مصدر آخر مهم، وهو النقل،

(١) الكامل لابن عدي (١/ ٢٧٤)، وتهذيب الكمال (٣/ ١٣٥)، وأشار إلى هذه الرواية مختصرة الطبري في تفسير (١/ ٩٢) ١١٤، وابن عطية في المحرر (١/ ١٩).
(٢) العلل لأحمد (٢/ ٣٣٤) ٢٤٧٧، والضعفاء الكبير (١/ ٨٧)، والكامل (١/ ٢٧٤)، وتهذيب الكمال (٣/ ١٣٦)، والميزان (١/ ٢٣٦)، والسير (٥/ ٢٦٥).
(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤٠)، وتهذيب الكمال (٣/ ٧٣)، والجرح (٢/ ١٧٥).
(٤) أخبار أصبهان (١/ ٢٠٥)، والتاريخ الكبير (١/ ٣٦١)، والسير (٥/ ٢٦٥).
(٥) السير (٥/ ٢٦٥)، وتاريخ الإسلام (ح ١٢٧ هـ/ ٣٨).
(٦) أخبار أصبهان (١/ ٢٠٤)، ومعجم الأدباء (٧/ ١٦).

والرواية من أقوال ابن عباس، لا سيما ما كان منها في التفسير، فنقل وأكثر حتى أنكر البعض توسعه، فكان يبين لهم أن عمله في هذا إنما هو النقل، فصنيعه ذاك مرشد إلى تعدد مصادره، وتنوعها، ولا ريب أن ذلك أثرى جانب التفسير عنده.

٣ ـ الاهتمام بالتفسير الروائي :

برز السدي بين أصحابه في جانب العناية بالآثار المروية في التفسير، وأكثر من النقل عن الصحابة كابن عباس، وابن مسعود، وعن كبار التابعين من الكوفيين، كأبي مالك غزوان الغفاري، وغيره، كما دأب على رواية قصص بني إسرائيل، وأكثر من نقل أسباب النزول.

وحري بنا أن نشير هنا إلى أن السدي من أكثر التابعين على الإطلاق اعتماداً على تفسير الصحابة؛ فقد روى الكثير منه، وغلب جانب الرواية في تأويله على الدراية[١].

ومن خلال التتبع، والاستقراء اتضح لي جليًا أن جانب الرواية كان أغلب على تفسيره من جانب الدراية وأظهر، وقد أشار بعض من ترجم له إلى هذا المَعلم في شخصيته.

فهذا العجلي يقول: عالم بالتفسير راوية له[٢].

ويقول حاجي خليفة: تفسير السدي على طريق الرواية[٣].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وغالب ما يرويه إسماعيل بن عبد الرحمن السدي في تفسيره عن هذين الرجلين: ابن مسعود وابن عباس[٤].

---

(١) اجتهاده في التفسير كان قليلاً، وقل أن ينفرد بشيء من التفسير، لم يسبق إليه.
(٢) تاريخ الثقات (٦٦).
(٣) كشف الظنون (١/ ٣١٠).
(٤) مقدمة في أصول التفسير (٩٨)، ومجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٦).

ولذا كان السدي أكثر العراقيين[١] رواية لتفسير ابن مسعود، وابن عباس، وقد روى ما يزيد عن ربع التفسير المسند عن ابن مسعود، وروى الكثير من تفسير ابن عباس، وقد بالغ في حبه للمسند من تفسير هؤلاء، حتى عاب بعض الأئمة من المحدثين صنيعه ذلك.

فقال الإمام أحمد: إنه ليحسن الحديث إلا أن هذا التفسير الذي يجيء به قد جعل له إسنادًا، استكلفه[٢].

٤ ـ عناية تلاميذه بنقل آثاره:

مما ميز السدي من بين عموم التابعين، تخصص أحد تلاميذه بنقل تفسيره، وانقطاعه لذلك، وهو أسباط بن نصر، فقد تفرغ للرواية عنه، وكان يوصف براوية السدي[٣]؛ حيث جاء من طريقه جل المروي عنه في التفسير.

٥ ـ انقطاعه للتفسير، واشتغاله به:

ومما ميزه، وأهّله للسبق على أصحابه في مدرسة الكوفة، تفرغه للتفسير، واشتغاله به، وقلة اهتمامه بالعلوم الأخرى، وشاهد ذلك، نجده في تصدير كثير من الأئمة ترجمته بإبراز تقدمه وعلمه في التفسير، وذكر إمامته فيه؛ فهذا العجلي صدر ترجمته بقوله: عالم بتفسير القرآن[٤].

وقال ابن سعد: السدي صاحب التفسير[٥].

---

(١) سواء من البصريين أو الكوفيين.
(٢) تهذيب التهذيب (١/ ٣١٤)، وشرح علل ابن رجب (٣٥١).
(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ٣٧٦)، روى أسباط بن نصر ما يُقارب (٩٥, ٠) من مجموع تفسيره.
(٤) تاريخ الثقات (٦٦).
(٥) طبقات ابن سعد الجزء المتمم (١٢٧).

وميز الذهبي السدي بقوله: المفسر المشهور[١].

ومع هذه الشهرة والتقدم في التفسير، نجد أن حظه من العلوم الأخرى قليل، لاسيما علم الفقه الذي صرف التابعون من الكوفيين جل جهدهم وعلمهم فيه، مما أهل مدرسة الكوفة أن تكون من أشهر المدارس، ولم يكن نصيبه في هذا الباب إلا أقل من القليل[٢] لانقطاعه للتفسير، وعدم اشتغاله بغيره.

٦ ـ اهتمامه بنقل أسباب النزول :

اهتم السدي ـ رحمه الله ـ بمعرفة أسباب النزول اهتمامًا كبيرًا، واعتنى بذلك عناية شديدة، وأطال في إيرادها بما لا تكاد تجده عند غيره، ورجح على ضوء ذلك كثيرًا من المعاني القرآنية، معتمدًا على دراية واسعة، بالمغازي وأيام العرب، ووقائعهم.

يقول الأتابكي: السدي صاحب التفسير والمغازي والسير، كان إمامًا عارفًا بالوقائع، وأيام الناس[٣].

وقد اعتمد في تفسيره على معرفة أسباب النزول اعتمادًا جعله في عداد المكثرين بين التابعين في هذا الباب[٤].

ويشهد لهذا أنه كان يطيل في سرد السبب، ويحرص إذا جاء في الآية نهي أن يبين سببه[٥]، وإن كان للآية قصة أوردها[٦]، ولعل من مظاهر حرصه على التفصيل،

(١) العبر (١/ ١٢٧)، وتاريخ الإسلام (١٢٧ هـ/ ٣٧).

(٢) رجعت إلى كتاب المغني لابن قدامة، فلم أجد له إلا رواية واحدة في الفقه، في حين بلغت عن إبراهيم النخعي (٦٩٦) رواية، وعن عامر الشعبي (٥٠١) رواية.

(٣) النجوم الزاهرة (١/ ٣٠٨)، وتاريخ التراث (١/ ٧٧).

(٤) بلغ نسبة ما روي عنه في أسباب النزول (١١,٠) من تفسيره، فكان الرابع بين عموم التابعين في عنايته بالأسباب.

(٥) تراجع الآثار في تفسير الطبري: ١٧٣٨، ٣٠٨٥، ٣٨٣٨، ٣٨٦٦، ٣٨٧٤، ٤١٩٥.

(٦) من ذلك الآثار ذوات الأرقام: ١٤٠١، ١٥٢٧، ١٤٧٢، ١٨٣٤، ٢٥٦٣، ٢٧٢١، ٤١٤٧، ٧١٨٣، ٧٢٣٣، ٧٧١٧، ٧٧٢٣، ٨١٠١، ٨٢٣٧.

والإطالة في ذلك: العناية بذكر الأسماء والأماكن[١] .

بل وذهب إلى أبعد من ذلك ، فكان يجزم بأن الآية نزلت في كذا ، وكذا، ويقطع بذلك، وكأن القارئ لتفسيره لتلك الآية يشعر أن هذا السبب أو ذاك كان وراء نزول هذه الآية فحسب[٢] .

٧ ـ إكثاره من الرواية عن أهل الكتاب :

هو أكثر التابعين على الإطلاق في اتخاذ رواية أهل الكتاب مصدراً ومعتمداً في التفسير، ولم يشاركه بل لم يقاربه أحدٌ في هذا، والعجيب من أمر السدي أنه عاش واستقر في الكوفة، التي كانت من أكثر المدارس حذراً وبعداً عن روايات بني إسرائيل، ولكنه خالف منهج تلك المدرسة، وأورد العديد من الروايات المنكرة، وكان من أكثر التابعين تساهلاً في ذلك[٣]

وأحسب أن هذا التوسع، والخوض في التفسير بعامة، والإكثار من النقل عن بني إسرائيل بخاصة، هو من أهم أسباب إنكار الشعبي عليه .

وقد فاق السدي في تساهله هذا، حتى المشاهير من رواة الإسرائيليات كوهب بن منبه، وكعب الأحبار، وعبد الله بن سلام، وقد تتبعت المروي عنهم جميعًا، وحاولت استقراء العديد من كتب التفسير كالطبري، وابن أبي حاتم، وابن كثير، والسيوطي، فوجدت أن السدي أكثر منهم عدداً، وأكثر تفصيلاً وإغرابًا، بل إن المروي عن هؤلاء

---

(١) ينظر في هذا تفسير الطبري الآثار ذوات الأرقام: ٢٧٢١، ٢٩٤٩، ٣٩٦١، ٤٠٨٣، ٤١٤٧، ٤٢٢٥، ٤٢٣٤، ٤٩٢٠، ٤٩٣٩، ٦٢٥٨، ٦٣٠٢، ٧١٦٣، ٧١٨٣، ٧٣٦٤، ٧٩٤٣، ٨٠٠٣، ٨١٩٥، ٨٢٠١، ٨٣٠٢.

(٢) من ذلك : ٢٤١٨، ٢٧٠٢.

(٣) بلغ نسبة المروي عنه (١٦ , ٠) من مجموع تفسيره، في حين جاء الذي يليه محمد بن كعب القرظي بنسبة (٠٧ , ٠).

المشاهير ـ الذين تخصصوا في نقل روايات بني إسرائيل ـ يعد قليلاً إذا ما نسب إلى ما نقله السدي ورواه.

واختص في كثير من روايته بالرغبة في إيراد تفاصيل القصص والاستطراد في السرد، والقص، وهذه صفة عامة في أغلب ما يرويه، ولم أجد من شابهه أو قاربه من مفسري التابعين في هذا المسلك، وهذا المنهج من أهم ما يلاحظه الناظر في تفسيره.

ولذا سوف أعرض بشيء من التفصيل بعضًا من الشواهد الموضحة لمنهجه في هذا، فمن ذلك ما جاء عنه عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1]، أورد الطبري قصة سبب استنصار عيسى عليه السلام من استنصر من الحواريين، فساق عن السدي قوله: لما بعث الله عيسى، فأمره بالدعوة، نفته بنو إسرائيل وأخرجوه، فخرج هو وأمه يسيحون في الأرض، فنزل في قرية على رجل فضافهم وأحسن إليهم.

وكان لتلك المدينة ملك جبار معتد، فجاء ذلك الرجل يومًا وقد وقع عليه همٌ وحزن، فدخل منزله ومريم عند امرأته، فقالت مريم لها: ما شأن زوجك؟ أراه حزينًا! قالت: لا تسألي! قالت: أخبريني! لعل الله يُفرج كربته! قالت: فإن لنا ملكًا يجعل على كل رجل منا يومًا يطعمه هو، وجنوده، ويسقيهم من الخمر، فإن لم يفعل عاقبه، وإنه قد بلغت نوبته اليوم الذي يريد أن نصنع له فيه، وليس لذلك عندنا سعة!

قالت: فقولي له لا يهتم، فإني آمر ابني فيدعو له، فيكفي ذلك. قالت مريم لعيسى في ذلك، قال عيسى: يا أمَّه إني إن فعلت كان في ذلك شرٌ. قالت: فلا تبال، فإنه قد أحسن إلينا وأكرمنا! قال عيسى: فقولي له: إذا اقترب ذلك، فاملأ قدورك وخوابيك ماء، ثم أعلمني. قال: فلما ملأهنَّ أعلمه، فدعا الله فتحول ما في القدر لحمًا، ومرقًا، وخبزًا، وما في الخوابي خمرًا لم ير الناس مثله قط، وإياه طعامًا.

---

(١) سورة آل عمران: آية (٥٢).

فلما جاء الملك أكل، فلما شرب الخمر سأل: من أين هذا الخمر؟ قال له: هي من أرض كذا، وكذا. قال الملك فإن خمري أوتى بها من تلك الأرض، فليس هي مثل هذه! قال: هي من أرض أخرى. فلما خلط على الملك اشتد عليه، قال: فأنا أخبرك، عندي غلام لا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه، وإنه دعا الله فجعل الماء خمرًا. قال الملك - وكان له ابن يريد أن يستخلفه، فمات قبل ذلك بأيام، وكان أحب الخلق إليه - فقال: إن رجلاً دعا الله حتى جعل الماء خمرًا، ليستجابن له، حتى يحيي ابني!

فدعا عيسى فكلمه، فسأله أن يدعو الله فيحيي ابنه، فقال عيسى: لا تفعل، فإنه إن عاش كان شرًا، فقال الملك: لا أبالي، أليس أراه؟ فلا أبالي ما كان. فقال عيسى عليه السلام: فإن أحييته تتركوني أنا وأمي نذهب أينما شئنا؟ قال الملك: نعم. فدعا الله فعاش الغلام. فلما رآه أهل مملكته قد عاش، تنادوا بالسلاح، وقالوا: أكلنا هذا، حتى إذا دنا موته يريد أن يستخلف ابنه، فيأكلنا كما أكلنا أبوه!! فاقتتلوا.

وذهب عيسى، وأمه، وصحبهما يهودي. وكان مع اليهودي رغيفان ومع عيسى رغيف، فقال له عيسى: شاركني، فقال اليهودي: نعم، فلما رأى أنه ليس مع عيسى إلا رغيف ندم، فلما ناما جعل اليهودي يريد أن يأكل الرغيف، فلما أكل لقمة، قال له عيسى: ما تصنع؟ فيقول: لا شيء! فيطرحها، حتى فرغ من الرغيف كله. فلما أصبحا قال له عيسى: هلمَّ طعامك! فجاء برغيف، فقال عيسى: أين الرغيف الآخر؟ قال: ما كان معي إلا واحد. فسكت عنه عيسى، فانطلقوا، فمروا براعي غنم، فنادى عيسى: يا صاحب الغنم، أجزرنا شاة من غنمك.

قال: نعم أرسل صاحبك يأخذها. فأرسل عيسى اليهودي، فجاء بالشاة فذبحوها، وشووها، ثم قال لليهودي: كل ولا تكسرن عظمًا. فأكلا. فلما شبعوا، قذف عيسى العظام في الجلد ثم ضربها بعصاه وقال: قومي بإذن الله، فقامت الشاه تثغو! فقال: يا صاحب الغنم، خذ شاتك. فقال له الراعي: من أنت؟ فقال: أنا عيسى ابن مريم. قال: أنت الساحر! وفرَّ منه. قال عيسى لليهودي: بالذي أحيا هذه الشاة

بعدما أكلناها، كم كان معك رغيفًا؟ فحلف ما كان معه إلا رغيف واحد، فمروا بصاحب بقر، فنادى عيسى فقال: يا صاحب البقر، أجزرنا من بقرك هذه عجلاً. قال: ابعث صاحبك يأخذه.

قال: انطلق يا يهودي فجئ به. فانطلق فجاء به. فذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر، فقال له عيسى: كل ولا تكسرن عظمًا فلما فرغوا، قذف العظام في الجلد، ثم ضربه بعصاه، وقال: قم بإذن الله. فقام وله خُوار، قال: خُذ عجلك. قال: ومن أنت؟ قال: أنا عيسى قال: أنت السحَّار! ثم فرَّ منه.

قال اليهودي: يا عيسى أحييته بعدما أكلناه! قال عيسى: فبالذي أحيا الشاة بعدما أكلناها، والعجل بعدما أكلناه، كم كان معك رغيفًا؟ فحلف بالله ما كان معه إلا رغيف واحد. فانطلقا، حتى نزلا قرية، فنزل اليهودي أعلاها، وعيسى في أسفلها، وأخذ اليهودي عصا مثل عصا عيسى، وقال: أنا الآن أحيي الموتى! وكان ملك تلك المدينة مريضًا شديد المرض، فانطلق اليهودي يُنادي: من يبتغي طبيبًا؟ حتى أتى ملك تلك القرية، فأخبر بوجعه، فقال: أدخلوني عليه فأنا أبرئه، وإن رأيتموه قد مات فأنا أحييه.

فقيل له: إن وجع الملك قد أعيى الأطباء قبلك، ليس من طبيب يداويه، ولا يُفيء دواؤه شيئًا إلا أمر به فصلب. قال: أدخلوني عليه، فإني سأبرئه. فأدخل عليه فأخذ برجل الملك فضربه بعصاه حتى مات، فجعل يضربه بعصاه، وهو ميت، ويقول: قم بإذن الله! فأخذ ليصلب، فبلغ عيسى، فأقبل إليه وقد رفع على الخشبة، فقال: أرأيتم إن أحييت لكم صاحبكم، أتتركون لي صاحبي؟ قالوا: نعم، فأحيا الله الملك لعيسى.

فقام وأنزل اليهودي فقال: يا عيسى أنت أعظم الناس عليّ منة، والله لا أفارقك أبدًا. قال عيسى ـ فيما حدثنا به محمد بن الحسين بن موسى قال: حدثنا أحمد بن المفضل قال: حدثنا أسباط، عن السدي ـ لليهودي: أنشدك بالذي أحيا الشاة والعجل

بعدما أكلناهما، وأحيا هذا بعدما مات، وأنزلك من الجذع بعدما رفعت عليه لتصلب، كم كان معك رغيفًا؟ قال فحلف بهذا كله ما كان معه إلا رغيف واحد، قال: لا بأس! فانطلقا، حتى مرا على كنز قد حفرته السباع، والدواب، فقال اليهودي: يا عيسى، لمن هذا المال؟ قال عيسى: دعه، فإن له أهلاً يهلكون عليه. فجعلت نفس اليهودي تطلع إلى المال، ويكره أن يعصي عيسى، فانطلق مع عيسى.

ومر بالمال أربعة نفر، فلما رأوه اجتمعوا عليه، فقال: اثنان لصاحبيهما: انطلقا فابتاعا لنا طعامًا، وشرابًا، ودواب نحمل عليها هذا المال. فانطلق الرجلان، فابتاعا دواب وطعامًا وشرابًا، وقال أحدهما لصاحبه: هل لك أن نجعل لصاحبينا في طعامهما سمًا، فإذا أكلا ماتا، فكان المال بيني، وبينك؟ فقال الآخر: نعم! ففعلا، وقال الآخران: إذا ما أتيانا بالطعام، فليقم كل واحد إلى صاحبه فيقتله، فيكون الطعام والدواب بيني، وبينك.

فلما جاءا بطعامهما قاما فقتلاهما، ثم قعدا على الطعام فأكلا منه، فماتا. وأعلم ذلك عيسى، فقال لليهودي: أخرجه حتى نقتسمه، فأخرجه فقسمه عيسى بين ثلاثة، فقال اليهودي: يا عيسى، اتق الله ولا تظلمني، فإنما هو أنا، وأنت!! وما هذه الثلاثة؟ قال له عيسى: هذا لي، وهذا لك، وهذا الثلث لصاحب الرغيف. قال اليهودي: فإن أخبرتك بصاحب الرغيف، تعطيني هذا المال؟ فقال: عيسى: نعم. قال: أنا هو. قال عيسى: خذ حظي وحظك، وحظ صاحب الرغيف، فهو حظك من الدنيا، والآخرة.

فلما حمله مشى به شيئًا، فخسف به. وانطلق عيسى بن مريم، فمر بالحواريين، وهم يصطادون السمك، فقال: ما تصنعون؟ فقالوا: نصطاد السمك. فقال: أفلا تمشون حتى نصطاد الناس؟ قالوا: ومن أنت؟ قال: أنا عيسى بن مريم. فآمنوا به، وانطلقوا معه. فذلك قول الله عز وجل: ﴿**مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران: آية (٥٢). ينظر تفسير الطبري (٦/ ٤٤٤) ٧١٢٢.

ومع هذا التساهل والإغراق في إيراد تلك التفاصيل، والسرد الذي لا طائل تحته، ولا حاجة للناس به، كان السدي ممن تجاوز إلى رواية بعض القصص، والحكايات المنكرة، فمن هذا ما جاء عنه عند قوله سبحانه: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾[1].

قال: كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام: يوم يقضي فيه بين الناس، ويوم يخلو فيه لعبادة ربه، ويوم يخلو فيه لنسائه، وكان له تسع وتسعون امرأة، وكان فيما يقرأ من الكتب أنه كان يجد فيه فضل إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، فلما وجد ذلك فيما يقرأ من الكتب قال: يا رب إن الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي، فأعطني مثل ما أعطيتهم، وافعل بي مثل ما فعلت بهم، قال: فأوحى الله إليه: إن آباءك ابتلوا ببلايا، لم تبتل بها: ابتلي إبراهيم بذبح ابنه، وابتلي إسحاق بذهاب بصره، وابتلي يعقوب بحزنه على يوسف، وإنك لم تبتل من ذلك بشيء.

قال: يارب ابتلني بمثل ما ابتليتهم به، وأعطني مثل ما أعطيتهم، قال: فأوحى إليه: إنك مبتلى فاحترس؛ قال: فمكث بعد ذلك ـ ما شاء الله ـ أن يمكث؛ إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب، حتى وقع عند رجليه، وهو قائم يصلي، فمد يده ليأخذه، فتنحى فتبعه، فتباعد حتى وقع في كوة، فذهب ليأخذه، فطار من الكوة، فنظر أين يقع، فيبعث في أثره، قال: فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها، فرأى امرأة من أجمل الناس خلقًا، فحانت منها التفاتة، فأبصرته، فألقت شعرها، فاستترت به، قال: فزاده ذلك فيها رغبة، قال: فسأل عنها، فأخبر أن لها زوجًا، وأن زوجها غائب بمسلحة كذا وكذا؛ قال: فبعث إلى صاحب المسلحة أن يبعث «أهريا» إلى

= ولمزيد من الأمثلة الدالة على حبه السرد، والتفصيل في قصه وتحديثه، تراجع الآثار التالية في تفسير الطبري: ٨٩٥، ٩٣٧، ٩٩١، ١١٤٢، ١١٧٤، ١٦٤٦، ١٦٨٦، ١٦٩٦، ٥٦٠٢، ٥٦٣٥، ٥٦٣٨، ٥٧٤٤، ٦٩٠٤، ١١٦٥٦، ١١٦٩٤، ١٥٥٢٥، ١٩٠١٣، (٢٣/ ١٤٧)، (٢٣/ ١٥٨).

(١) سورة ص: آية (٢١).

عدو كذا وكذا، قال: فبعثه، ففتح له، قال: وكتب إليه بذلك، قال: فكتب إليه أيضًا: أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا، أشد منهم بأسًا، قال: فبعثه ففتح له أيضًا. قال: فكتب إلى داود بذلك، قال: فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا، فبعثه فقُتل المرة الثالثة، قال: وتزوج امرأته.

قال: فلما دخلت عليه، قال: لم تلبث عنده إلا يسيرًا، حتى بعث الله ملكين في صورة إنسيين، فطلبا أن يدخلا عليه، فوجداه في يوم عبادته، فمنعهما الحرس أن يدخلا، فتسوروا عليه المحراب، قال: فلما شعر وهو يصلي، إذ هو بهما بين يديه جالسين، قال: ففزع منهما فقالا: ﴿لا تَخَفْ﴾، إنما نحن ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ يقول: لا تخف ﴿وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾: إلى عدل القضاء. قال: فقال: فقال: قصا عليّ قصتكما، قال: فقال: أحدهما: ﴿إِنَّ هَـٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ فهو يريد أن يأخذ نعجتي، فيكمل بها نعاجه مائة. قال فقال للآخر: ما تقول؟ فقال: إن لي تسعًا وتسعون نعجة، ولأخي هذا نعجة واحدة، فأنا أريد أن آخذها منه، فأكمل بها نعاجي مائة، قال: وهو كاره؟ قال: وهو كاره، قال: وهو كاره؟

قال: إذن لا ندعك، وذاك، قال: ما أنت على ذلك بقادر، قال: فإن ذهبت تروم ذلك، أو تريد، ضربنا منك هذا، وهذا، وهذا، وفسر أسباط: طرف الأنف، وأصل الأنف، والجبهة، قال: يا داود أنت أحق أن يُضرب مثل هذا، وهذا، وهذا؛ حيث لك تسع وتسعون نعجة امرأة، ولم يكن لأهريا إلا امرأة واحدة، فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قتلته، وتزوجت امرأته قال: فنظر فلم ير شيئًا، فعرف ما قد وقع فيه، وما قد ابتلي به. قال: فخر ساجدًا. قال: فبكى. قال: مكث يبكي ساجدًا أربعين يومًا لا يرفع رأسه إلا لحاجة منها، ثم يقع ساجدًا يبكي، ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه، قال: فأوحى الله إليه بعد أربعين يومًا: يا داود، ارفع رأسك فقد غفرت لك، فقال: يا رب

كيف أعلم أنك قد غفرت لي، وأنت حكم عدل لا تحيف في القضاء، إذا جاءك أهربا يوم القيامة آخذًا رأسه بيمينه، أو بشماله، تشخب أوداجه دمًا قبل عرشك يقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني؟ قال: فأوحى إليه: إذا كان ذلك دعوت أهريًا فأستوهبك منه، فيهبك لي، فأثيبه بذلك الجنة، قال: رب الآن علمت أنك قد غفرت لي، قال: فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياء من ربه، حتى قبض ﷺ[1].

والسدي قد سلك طريقةً مغايرة لطريقة غيره من مشاهير مفسري التابعين، فكان كثيرًا ما يورد الآيات القرآنية في ثنايا حديثه وروايته، وكأنه بذلك يرد على المنكرين لصنيعه في إكثاره، وكأنه يشعر بشيء من عدم الرضى من معاصريه، فكان يذكر الآيات القرآنية في تضاعيف تلك الروايات لدعم موقفه، والرد على مخالفيه، والاحتجاج بتلك الإطالة والتفصيل، ومن أمثلة ذلك ما جاء عنه عند تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾[2].

قال السدي: لما تاب الله على قوم موسى، وأحيا السبعين الذين اختارهم موسى بعدما أماتهم، أمرهم الله بالسير إلى أريحا، فساروا، حتى إذا كانوا قريبًا منهم، بعث موسى اثني عشر نقيبًا، فكان من أمرهم، وأمر الجبارين، وأمر قوم موسى، ما قد قص الله في كتابه، فقال قوم موسى لموسى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[3]، فغضب موسى، فدعا عليهم فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[4]، فكانت عجلة من موسى عجلها، فقال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٧).

ولمزيد من الأمثلة تراجع الآثار التالية في تفسير الطبري (١٦٨٦، ١٥٥٢٥، ١٩٠١٣، (٢٣/ ١٥٨)، وغيرها.

(٢) سورة البقرة: آية (٥٧).

(٣) سورة المائدة: آية (٢٤).

(٤) سورة المائدة: آية (٢٥).

مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾[١] ، فلما ضرب عليهم التيه، ندم موسى، وأتاه قومه الذين كانوا معه يطيعونه فقالوا له: ما صنعت بنا يا موسى؟، فلما ندم. أوحى الله إليه: أن لا تأس على القوم الفاسقين؛ أي: لا تحزن على القوم، الذين سميتهم فاسقين ـ فلم يحزن ، فقالوا: يا موسى، كيف لنا بماء هاهنا؟ أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المن فكان يسقط على شجر الترنجبين، والسلوى ـ وهو طير يشبه السمان ـ فكان يأتي أحدهم، فينظر إلي الطير، إن كان سمينًا ذبحه وإلا أرسله، فإذا سمن أتاه. فقالوا: هذا الطعام فأين الشراب؟

فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، فشرب كل سبط من عين. فقالوا: هذا الطعام، والشراب؟ فأين الظل؟ فظلل عليهم الغمام، فقالوا: هذا الظل، فأين اللباس؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان، ولا يتخرق لهم ثوب، فذلك قوله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾[٢] ، وقوله: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾[٣] .

وخلاصة القول: إن مما يؤخذ على السدي هذا التساهل، والإكثار في الأخذ والرواية عن بني إسرائيل.

٨ ـ توسعه في القول بالنسخ :

نأى السدي عن أصحابه الكوفيين، فتساهل في القول بالنسخ، وادعى نسخ كثير من الآيات[٤] ، ولم يرتض بعض الأئمة هذا الصنيع فرده عليه.

(١) سورة المائدة: آية (٢٦).
(٢) سورة البقرة: آية (٥٧).
(٣) سورة البقرة: آية (٦٠).
تفسير الطبري (٢/ ٩٧) ٩٩١، ولمزيد من الأمثلة تنظر الآثار: ٩٣٧، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٨، ٩٩١، ١١٤٢، ١١٧٤، ٥٦٣٧، ٦٩٠٤، ٧٠٠١، ٧١٠٧، ٧١٣٢. . . وغيرها.
(٤) من أمثلة هذا، يراجع تفسير الطبري الآثار ذوات الأرقام ١٨٠٠، ٢٢٠٤، ٢٢٦٠، ٤٠٦٨، =

يقول ابن الجوزي: ومن نظر في كتاب الناسخ والمنسوخ للسدي رأى من التخليط العجائب[١] . . . إلى أن يقول:

وإني أعرضت عن ذكر آيات ادعى عليها النسخ من حكاية لا تحصل إلا تضييع الزمان أفحش تضييع، كقول السدي: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾[٢] نسخها ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾[٤] نسخها ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾[٥]، وقوله: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴾[٦] نسخها ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾[٧]، وقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾[٨] نسخها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٩].

وقوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[١٠] نسخها ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[١١] ثم قال: لا أدري أي الأخلاط الغالبة حملته على هذا التخليط، فلما كان مثل هذا ظاهر الفساد، وريت[١٢] عنه غيرةً على الزمان أن يضيع، وإن كنت قد ذكرت مما يقاربه طرفًا، لأنبه

= ٤١٧٦، ٥٥٨٠، ٥٨١٩، ٧٥٥٩، ٨٨٢٧، ١٠٩٧٤، ١١٩٩٥، ١٣٣٩٧، ١٤٠٢٩، ١٤٠٣٢، ١٤٢٦٧، ١٥٥٤٤، ١٥٦٧٣، ١٦٢٨١، ١٦٣٣٧، ١٦٤٨٨، (٢٦/ ٤٠).

(١) نواسخ القرآن لابن الجوزي (٧٦).

(٢) سورة النساء: آية (٢).

(٣) سورة النساء: آية (٥).

(٤) سورة النساء: آية (٣٨).

(٥) سورة التوبة: آية (٥٣).

(٦) سورة المائدة: آية (١٠٦).

(٧) سورة المائدة: آية (١٠٦).

(٨) سورة الأنعام: آية (٦٢).

(٩) سورة محمد: آية (١١).

(١٠) سورة العنكبوت: آية (٤٥).

(١١) سورة البقرة آية (١٥٢).

(١٢) وريّ الشيء تورية عن كذا، أي: أراده، وأظهر غيره، ينظر القاموس المحيط (١٧٣٠).

بمذكوره على مغفله[١] .

٩ ـ عنايته بعلم القراءات :

فاق السدي المتأخرين من الكوفيين في علم القراءات حتى عدّ من المقدمين في هذا الشأن في زمانه، فعن أبي بكر بن أبي داود قال: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية، وبعده سعيد بن جبير، ثم السدي، ثم سفيان الثوري[٢] .

والذي روي عنه من القراءات في تفسيره قليل، وكان ـ رحمه الله ـ يستعين بالقراءة ليوضح بها معنى قراءة أخرى، فعند قوله سبحانه: ﴿ **وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ** ﴾[٣] .

قال: من قرأها خفيفة هم بنو مقرن، ومن قرأها بالتشديد، أي الذين اعتذروا بشيء ليس لهم عذر بحق[٤] .

١٠ ـ تأخر وفاته :

وأحسب أن مما ساعد على انتشار تفسير السدي في الكوفة خصوصًا، قلة المتعرضين فيها للتفسير، وندرة المكثرين فيه، مع ما صاحب هذا من تأخر وفاته. فقد اتفقت كلمة كثير من الأئمة على أنه توفي سنة سبع وعشرين ومائة[٥] .

* * *

(١) نواسخ القرآن (٧٧).
(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٥١)، وتاريخ الخميس (٢/ ٣١٣)، وغاية النهاية (١/ ٢٨٥)، وعند ابن حجر في التهذيب بلفظ: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة (٣/ ٢٨٥).
(٣) سورة التوبة: آية (٩٠).
(٤) أورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي حاتم (٤/ ٢٦١).
(٥) طبقات ابن سعد (٦/ ٣٢٣)، وطبقات خليفة (١٦٣)، وتاريخ خليفة (٣٧٨)، والجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٢٨)، وطبقات المحدثين بأصبهان (١/ ٣٣٥)، والثقات (٥/ ٢١)، واللباب (٢/ ١١٠)، ومرآة الجنان (١/ ٢٩٤)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٠٩).

عامر الشعبي

هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار[١] ، أبو عمرو[٢] ، الهمداني[٣] ثم الشعبي[٤] ، ولد في أواسط خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه[٥] ـ، وكانت أمه من سبي جلولاء[٦] .

وعده غير واحد من الأئمة في الطبقة الثانية، من تابعي مدرسة الكوفة[٧] .

أدرك خمسمائة من الصحابة[٨] ، وروى عن خمسين ومائة منهم[٩] ، وسمع من

(١) العلل لأحمد (٢/ ٥٢٢) ٣٤٤٤، (٣/ ٤٦٨) ٥٩٧٧، والسير (٤/ ٢٩٤).

(٢) الكنى للدولابي (٢/ ٤٣)، والكنى لمسلم (ق ٧٥)، والمعارف (١٩٩)، والجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٣٧٧).

(٣) رجال صحيح البخاري (٢/ ٥٥٦)، ورجال صحيح مسلم (٢/ ٨٤).

(٤) الأنساب (٧/ ٣٤١)، واللباب في تهذيب الأنساب (٢/ ١٩٨)، وطبقات ابن سعد (٦/ ٢٤٦)، والمعارف (١٩٩).

(٥) تهذيب الكمال (١٤/ ٢٨)، ورجال صحيح مسلم (٢/ ٨٤)، والمنتظم (٧/ ٩٣)، وطبقات الحفا (٣٣).

(٦) طبقات خليفة (١٥٧)، والتاريخ الكبير (٦/ ٤٥٠)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٧)، والأنساب (٧/ ٣٤٢)، ووفيات الأعيان (٣/ ١٥).

وجلولاء: قرية بناحية فارس، كانت بها الوقعة المشهورة على الفرس، والتي انتصر فيها المسلمون سنة ١٦ هـ، قُتل من الفرس فيها مائة ألف فجلّلت القتلى، فسميت جلولاء لما جللها من قتلاهم، ينظر معجم البلدان (٢/ ١٥٦)، ومعجم ما استعجم (١/ ٣٩٠).

(٧) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤٦)، وتاريخ دمشق (٨/ ٦٨٧).

(٨) التاريخ الكبير (٦/ ٤٥١)، والحلية (٤/ ٣٢٣)، والثقات (٥/ ١٨٦)، وتهذيب تاريخ دمشق (٧/ ١٤٢)، ومرآة الجنان (١/ ٢٤٥).

(٩) الثقات (٥/ ١٨٦)، ومشاهير علماء الأمصار (١٠٢)، والأنساب (٧/ ٣٤١).

ثمانية وأربعين صحابيًا[١] .

وكان لهذا الإدراك وكثرة السماع الأثر البالغ في تميز الشعبي بمنهج أثري روائي، حتى صار من أكثر العراقيين تتبعًا، واقتداءً، وإفتاءً بالأثر، بل صار من أبعدهم عن الرأي والقياس[٢] .

أسباب قلة المروي عنه :

المدرسة الكوفية التي عاش فيها الشعبي، من المدارس التي تورعت عن الخوض في التفسير، وعظمت القول فيه فقلَّ نتاجها، واشتغلت بعلوم أخرى غيره، وكان عامر ممن تورع في هذا، فكان من المقلين بين مشاهير المفسرين من التابعين[٣] .

ومن خلال النظر في أخباره، وتتبع آثاره، يظهر أن ثمة أسبابًا كانت وراء ذلك من أهمها ما يلي :

١ ـ شدة ورعه، وكراهيته الإكثار من التحديث، والفتيا :

فقد بلغ الشعبي ـ رحمه الله ـ الغاية في الاحتياط، والورع، وكان من أكثر التابعين ورعًا في هذا الباب، مع تقدمه في العلم.

وعند النظر والمراجعة والتأمل لما ورد عنه من أقوال في سائر فروع العلوم الشرعية، نجد أن هذا الاحتياط والورع كان سمة بارزة من سماته، بل كان ـ رحمه الله ـ ينكر على غيره من الأئمة إكثارهم من التحديث، والفتيا.

---

(١) تاريخ الثقات للعجلي (٢٤٣)، والسير (٤/ ٣٠١)، وتهذيب تاريخ دمشق (٧/ ١٤٢).

(٢) يأتي مزيد بسط لهذه المسألة ـ إن شاء الله ـ.

(٣) هو من أقلهم عددًا في المروي عنه، بين المكيين، والبصريين، والكوفيين، فقد بلغ مجموع ما روي عنه في تفسير الطبري (٤٦١) قولاً.

فعن توبة العنبري[١] قال: قال لي الشعبي: أرأيت حديث الحسن[٢] عن النبي ﷺ، وقاعدت ابن عمر قريبًا من سنتين، أو سنة ونصف، فلم أسمعه يحدث عن النبي ﷺ غير هذا.

وذكر حديث الضب، وأن رسول الله ﷺ قال: «**كلوا وأطعموا فإنه حلال**»[٣].

وعن داود بن أبي هند عن الشعبي قال: لو لقيت هذا - يعني الحسن - لنهيته عن قوله: قال رسول الله ﷺ؛ صحبت ابن عمر ستة أشهر فلم أسمعه يقول: قال رسول الله ﷺ إلا في حديث واحد[٤].

ولما سئل عن قتادة، لم يرض عنه بسبب كثرة تحديثه، وقال: حاطب ليل[٥].

وكان يقول: كره الصالحون الأولون الإكثار من الحديث، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما حدثت إلا بما أجمع عليه أهل الحديث[٦].

ولعله يضاف إلى ذلك: خوفه من الخطأ في حديث رسول الله ﷺ، فعن عاصم العدوي قال: سألت الشعبي عن حديث فحدثنيه، فقلت: إنه يرفع إلى النبي ﷺ، فقال: لا، على من دون النبي ﷺ أحب إلينا، فإن كان فيه زيادة أو نقص، كان على

---

(١) توبة العنبري: البصري أبو المورع. ثقة من الرابعة، ينظر التقريب (١٣١)، والخلاصة (٥٥).

(٢) قال ابن حجر في تعليقه على قول الشعبي (أرأيت حديث الحسن): كان الشعبي يُنكر على من يرسل الأحاديث عن رسول الله ﷺ، إشارة إلى أن الحامل لفاعل ذلك طلب الإكثار من التحديث عنه، وإلا كان يكتفي بما سمعه موصولاً، ينظر الفتح (١٣/ ٢٤٣).
وقال الكرماني: مراد الشعبي أن الحسن مع كونه تابعيًا كان يكثر الحديث عن النبي ﷺ، وابن عمر مع كونه صحابيًا يحتاط، ويقل مهما أمكن، ينظر الفتح (١٣/ ٢٤٣).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أخبار الآحاد، باب خبر المرأة الواحدة (٨/ ١٣٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيد، باب إباحة الضب (٣/ ١٥٤٣)، والدارمي في سننه (١/ ٨٤).

(٤) العلل لأحمد (٢/ ١٩٨) ١٩٩٩، (٣/ ٣٦٧) ٥٦١٤.

(٥) المعرفة (٢/ ٢٧٧)، والسير (٥/ ٢٧٢).

(٦) التذكرة (١/ ٨٣).

من دون النبي ﷺ [١] .

وكان من طبع الشعبي الانبساط في الحديث مع تلاميذه، وأصحابه، فإذا جاءت المسألة والفتيا انقبض، على عكس إبراهيم النخعي، الذي يكون منقبضًا، فإذا وقعت الفتوى انبسط[٢] .

يقول ابن عون: كان الشعبي إذا جاءه شيء اتقاه، وكان إبراهيم يقول، ويقول[٣] .

وذكر الشعبي وإبراهيم عند ابن عون، فقال: كان إبراهيم يسكت، فإذا جاءت الفتيا انبرى لها، وكان الشعبي يتحدث، ويذكر الشعر، وغير ذلك، فإذا جاءت الفتيا أمسك[٤] .

وكان الشعبي يكره كثرة السؤال، ويقول: لو أن هؤلاء كانوا على عهد النبي ﷺ لنزلت عامة القرآن: يسألونك يسألونك[٥] .

وعن داود بن أبي هند قال: سألت الشعبي: كيف كنتم تصنعون إذا سئلتم؟ قال: على الخبير وقعت، كان إذا سئل الرجل، قال لصاحبه: أفتهم، فلا يزال حتى يرجع إلى الأول[٦] .

وكان رحمه الله كثيرًا ما يقول: لا أدري[٧] .

---

(١) سنن الدارمي (١/ ٨٢).
(٢) تاريخ دمشق (٨/ ٦٩٩)، ومختصر تاريخ دمشق (١١/ ٢٥٤).
(٣) تاريخ دمشق (٨/ ٦٩٩)، ومختصر تاريخ دمشق (١١/ ٢٥٤).
(٤) تاريخ دمشق (٨/ ٦٩٧).
(٥) سنن الدارمي (١/ ٦٦).
(٦) سنن الدارمي (١/ ٥٣).
(٧) سنن الدارمي (١/ ٥٢، ٦٣)، وطبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٠)، والمعرفة (٢/ ٦٠٣)، والتذكرة (١/ ٨٥)، وتاريخ دمشق (٨/ ٦٩٨).

ولما قيل له: أما تستحي من كثرة ما تُسأل، فتقول: لا أدري. قال: أكثر ملائكة الله المقربين لم يستحيوا حيث سئلوا عما لا يعلمون أن قالوا: لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم[١].

وكان إذا سئل عن مسألة شديدة قال: زباذات[٢]، وبر، لا تنقاد، ولا تنساق، لو سُئل عنها أصحاب محمد ﷺ لعُضلت بهم[٣].

وأحسب أن المروي عنه سيكون كثيراً لولا غلبة هذا الجانب على نفسه، ومنهجه، مما جعله يؤثر جانب الإقلال في الرواية بعامة، وفي التفسير بخاصة، مع أنه من المقدمين بين التابعين في معرفة غريب اللغة وشعرها، ومن أفصحهم لسانًا، وأكثرهم حفظًا؛ بل إنه ما من آية إلا وسمع فيها شيئًا من التفسير، ومع هذا فقد أحجم، وتحرج عن نقل مسموعه وروايته، فضلاً عن الدراية والاجتهاد.

يقول عن نفسه: والله ما من آية إلا قد سألت عنها، ولكنها الرواية عن الله[٤].

وكان من شدة ورعه، أنه كان كثيراً ما يقول: يا ليتني أنفلت من علمي كفافًا؛ لا عليَّ ولا لي[٥].

٢ ـ كراهيته للرأي والقياس، وإقلاله في باب النظر والاجتهاد:

إضافة إلى ما ذكر سابقًا من إقلاله في الرواية، وشدة ورعه فيها فإنه كان أكثر

(١) أخبار القضاة (٢/ ٤٢٣)، والمزهر (٢/ ٣١٥)، وتذكرة النحاة لأبي حيان الغرناطي (٦٩٩)، وتاريخ دمشق (٨/ ٦٩٩).

(٢) زباذات: قال ابن شبرمة: مسألة شاقة وصعبة.

(٣) الحلية (٤/ ٣١٩)، والمعرفة (٢/ ٥٩٣)، تاريخ دمشق (٨/ ٧٠٠).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٨٧) ١٠٢، ومجموع الفتاوى (١٣/ ٣٧٤)، والمعرفة (٢/ ٦٠٣)، وتاريخ دمشق (٨/ ٦٩٨)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٧).

(٥) المعرفة (٢/ ٥٩٢، ٦٠٢)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٦٦٠)، والمنتظم (٧/ ٩٣)، وتهذيب وتاريخ دمشق (٧/ ١٤٣).

تحرجًا في جانب الدراية، وكان شديد الكراهية للرأي، والقياس.

الظاهر أن الشعبي قد استغنى بحفوظه، وما عنده من الآثار والسنن عن كثرة النظر، والاستنباط، والاجتهاد، ومما ساعده على ذلك إدراكه لخمسمائة من أصحاب النبي ﷺ، وروايته عن خمسين ومائة منهم، وسماعه من ثمانية وأربعين صحابيًا.

هذا مع ما كان عنده من قدرة فائقة، وحافظة نادرة، فعن ابن شبرمة قال: سمعت الشعبي يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا استعدت حديثًا من إنسان[١].

وعن عبد الملك بن عمير قال: مرَّ ابن عمر على الشعبي وهو يحدث بالمغازي، فقال: لقد شهدت القوم فلهو أحفظ لها، وأعلم بها[٢].

ومع أنه عاش في مدرسة الكوفة، وكان الغالب على منهجها التساهل في الرأي والقياس، إلا أنه كان من أشد العراقيين كراهية لذلك[٣].

فعن مالك بن مغول، قال: قال لي الشعبي: ما حدثوك عن أصحاب رسول الله ﷺ فخذ به، وما حدثوك برأيهم فألقه في الحش[٤].

وعن محمد بن جحادة أن عامرًا الشعبي سُئل عن شيء فلم يكن عنده فيه شيء، فقيل له: قل برأيك قال: وما تصنع برأيي؟ بُل على رأيي[٥].

ولما جاءه رجل، فسأله عن شيء فقال: كان ابن مسعود، يقول كذا أو كذا، قال:

---

(١) سنن الدارمي (١/ ١٢٥)، والعلم لأبي خيثمة (١١٦)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٩)، وكتاب الحث على الحفظ وذكر كبار الحفاظ (٩٦)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٥٥).

(٢) تهذيب الكمال (١٤/ ٣٤)، والتعديل والتجريح (٣/ ٩٩٣)، ووفيات الأعيان (٣/ ١٢)، والتذكرة (١/ ٨٢)، وطبقات الحفاظ (٣٣).

(٣) تأويل مختلف الحديث (٧٤).

(٤) العلل لأحمد (١/ ٢٨٣) ٤٥٤، وسنن الدارمي (١/ ٦٧)، وتأويل مختلف الحديث (٧٥)، والمعرفة والتاريخ (٢/ ٥٩٢)، وجامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٠).

(٥) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٠)، وشرف أصحاب الحديث (٧٤)، وتاريخ دمشق (٨/ ٧٠١).

أخبرني أنت برأيك، فقال: ألا تعجبون من هذا، أخبرته عن ابن مسعود، ويسألني عن رأيي، وديني عندي آثر من ذلك، والله لأن أتغنى أغنية أحب إلى من أن أخبرك برأيي[١].

وكان يقول: ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت: القرآن، والروح، والرأي[٢].

وكان ينكر على أصحاب الرأي ويقول: إنما هلكتم أنكم تركتم الآثار، وأخذتم المقاييس[٣].

وعن مجاهد، عن الشعبي قال: لعن الله أرأيت[٤].

وعنه قال: والله لئن أخذتم بالمقاييس لتُحرِّمُنَّ الحلال، ولتُحِلُّنَ الحرام[٥].

وكان يستدل على بطلان القياس، بمثل قوله لأبي بكر الهذلي: أرأيتم لو قتل الأحنف، وقتل معه صغير، أكانت ديتهما سواء؟ أم يفضل الأحنف لعقله وحلمه؟ قلت: بل سواء، قال: فليس القياس بشيء[٦].

وعن صالح بن مسلم، قال: لقيت الشعبي فمشيت معه، حتى حاذينا أبواب المسجد، فنظر إليه، فقال: الله يعلم لقد بَغَّضَ إليَّ هؤلاء هذا المسجد، حتى لهو أبغض لي من كناسة داري، فقلت: من يا أبا عمرو، قال: هؤلاء الرائيون أصحاب الرأي[٧].

---

(١) سنن الدارمي (١/ ٤٧).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٨٧) ١٠٣.
(٣) الحلية (٤/ ٣٢٠).
(٤) الحلية (٤/ ٣٢٠)، وتاريخ ابن معين (٢/ ٢٨٦)، وتاريخ الإسلام (ح ١٠٤ هـ/ ١٣٠).
(٥) سنن الدارمي (١/ ٦٥)، وتأويل مختلف الحديث (٧٥).
(٦) الحلية (٤/ ٣٢٠)، والتذكرة (١/ ٨٤).
(٧) تاريخ دمشق (٨/ ٦٩٧).

بل إنه ـ رحمه الله ـ لما تولى القضاء، كان يقول: ما قضيت لي رأياً[١].

٣ ـ ورعه في التفسير:

وإذا كانت تلك حاله في الفتيا والفقه وكراهيته للرأي والقياس، فكيف ستكون حاله في التفسير؟!!، لقد كان ـ رحمه الله ـ شديد الورع والتوقي للتفسير، وكان ينكر على كل من يتعرض لتفسير القرآن برأيه، أو يكثر من الرواية فيه، وكان يقول: إن الذي يفسر القرآن برأيه؛ إنما يرويه عن ربه[٢].

ويقول: من كذب على القرآن، فقد كذب على الله[٣].

وكان ينكر أشد الإنكار على السدي وأبي صالح؛ لأنه كان يراهما مقصرين في النظر[٤]، وأنهما أكثرا من التفسير، فعن صالح بن مسلم قال: مررت مع الشعبي على السدي، وحوله شباب يفسر لهم القرآن، فقام عليه الشعبي، فقال: ويحك! لو كنت نشوان يضرب على استك بالطبل كان خيراً لك مما أنت فيه[٥].

وعن عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت قال: سمعت الشعبي وقيل له: إن إسماعيل قد أعطي حظًا من علم القرآن، قال: إن إسماعيل قد أعطي حظًا من جهل القرآن[٦].

وكان يمر بأبي صالح فيأخذ بأذنه فيعركها، ويقول: تفسر القرآن، وأنت لا تقرأ القرآن[٧].

---

(١) الشرح والإبانة (١٢٧).
(٢) الحلية (٤/ ٣١٢).
(٣) الحلية (٤/ ٣٢١).
(٤) تفسير القرطبي (١/ ٢٨)، والوجيز في فضائل الكتاب العزيز (١٢٧).
(٥) تهذيب الكمال (٣/ ١٣٦)، والكامل في الضعفاء (١/ ٢٧٤).
(٦) تهذيب الكمال (٣/ ١٣٦)، والضعفاء الكبير (١/ ٨٧)، والكامل في الضعفاء (١/ ٢٧٤).
(٧) تفسير الطبري (١/ ٩١) ١١٢، وتاريخ ابن معين (٢/ ٢٨٧)، والمعرفة (٢/ ٢٨٥)، وأبو صالح هو باذام مولى أم هانئ بنت أبي طالب، ينظر: تاريخ أسماء الثقات لابن شاهين (٤٧)، وتاريخ الثقات للعجلي (٧٧).

٤ ـ اشتغاله بالآثار والسنن والأحكام الفقهية :

فقد كان جل همه ـ رحمه الله ـ تتبع الروايات، والسنن، والآثار ومعرفتها، فصرف غاية جهده وعلمه في تمحيص الروايات، ونقدها، ثم رواية ما خلص منها، وتميز في هذا بين أقرانه، ومعاصريه في الكوفة، وفي سائر الأمصار.

فعن عاصم بن سليمان قال: ما رأيت أحداً أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة، والحجاز، والآفاق من الشعبي[١].

وقال مكحول الشامي: ما رأيت أحداً أعلم بسنة ماضية من الشعبي[٢].

ويقول ابن عوف: إن كنا نتذاكر الشيء ما نرى أن فيه أثراً، فيحدثنا الشعبي فيه بحديث[٣].

وعن ابن شبرمة قال: قال الشعبي: ما جالست أحداً منذ عشرين سنة فحدث بحديث، إلا أنا أعلم به منه[٤].

ولذا يقول حماد بن زيد: لم يكن بالكوفة رجل أحسن اتباعًا، ولا أحسن اقتداء من الشعبي، وذلك لكثرة ما سمع[٥].

وكان من المفارقات بينه وبين أشهر معاصريه في مدرسة الكوفة، أن الشعبي عدَّ

---

(١) تاريخ دمشق (٨/ ٦٩٦)، والسير (٤/ ٣٠٢)، والتذكرة (١/ ٨٥).

(٢) أخبار القضاة (٢/ ٤٢٧)، وطبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٤)، والبداية (٩/ ٢٥٨)، والأنساب (٧/ ٣٤٢).

(٣) أخبار القضاة (٢/ ٤٢٢).

(٤) المعرفة (٣/ ٣٧٢)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٦٦١)، والمنتظم (٧/ ٩٣)، والتعديل والتجريح (٣/ ٩٩٣).

(٥) تهذيب تاريخ دمشق (٧/ ١٣٩).

صاحب آثار، وعدَّ إبراهيم النخعي صاحب قياس[١] .

ومع ميله للأثر، وانصرافه إلى رواية السنن، والآثار، والمغازي، والسير؛ فقد عني بالفقه، واشتغل به، ويتضح ذلك الاهتمام الفقهي في عنايته بآيات الأحكام، والإكثار من التطرق إليها[٢] .

وقد عده غير واحد من الأئمة من أفقه التابعين .

فعن أبي مجلز قال: ما رأيت أحدًا أفقه من الشعبي، لا ابن المسيب، ولا طاوس، ولا عطاء، ولا الحسن، ولا ابن سيرين، فقد رأيتهم كلهم[٣] .

وعدَّه ابن عيينه من أفقه أهل زمانه[٤] .

وكان ابن سرين يأمر أصحابه بملازمة الشعبي، ويقول: لقد رأيته يُستفتى والصحابة متوافرون[٥] .

وصدر كثير من أهل التراجم والسير ترجمته بقولهم: كان إمامًا حافظًا فقيهًا[٦] .

---

(١) سنن الدارمي (١/ ٤٧)، والحلية (٤/ ٣٢٠)، وأخبار القضاة (٢/ ٤٢٨)، والتذكرة (١/ ٨٢).

(٢) بلغت نسبة ما روي عنه من تأويل آي الأحكام (٢٣,٠) من مجموع تفسيره، وهو بهذا يأتي في المرتبة الرابعة، بعد كل من: النخعي، الذي بلغت نسبة المروي عنه (٣٨,٠) من مجموع تفسيره، وابن المسيب؛ حيث بلغ ما نسبته (٣٤,٠) من مجموع تفسيره، وعطاء؛ حيث بلغ ما نسبته (٣٣,٠) من مجموع تفسيره.

(٣) طبقات علماء الحديث (١/ ١٥٦)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢٣٠)، والتعديل (٣/ ٩٩٣)، والتذكرة (١/ ٨١).

(٤) التاريخ الكبير (٦/ ٤٥١)، وأخبار القضاة (٢/ ٤٢١)، وتهذيب تاريخ دمشق (٧/ ١٤٢)، وشذرات الذهب (١/ ١٢٨).

(٥) أخبار القضاة (٢/ ٤٢١)، والإرشاد (٢/ ٥٥٦)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٩)، والتعديل (٣/ ٩٩٣).

(٦) التذكرة (١/ ٧٩)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٥٥)، والبداية (٩/ ٢٥٨)، النجوم الزاهرة (١/ ٢٥٣).

٥ ـ قلة الرواة عنه :

كان من الأسباب المؤدية إلى قلة المأثور عن هذا الإمام، قلة الرواة عنه، وضآلة عدد الناقلين لعلمه من أصحابه، على عكس ما كان الأمر عليه عند أشهر معاصريه، كالنخعي مثلاً ، فقد عني أصحابه برواية ونقل آثاره وأخباره، وقد كان هذا من الفوارق الجلية بينهما، وكان الشعبي يشير إلى ذلك فيقول لما مات إبراهيم، وجلس حماد بن أبي سليمان يبث علمه ـ قال : إبراهيم ميتًا أفقه منه حيًا[١] .

ونجد شاهد ما قال عند النظر في المنقول من تفسيرهما؛ حيث اهتم أصحاب إبراهيم بنشر تفسيره وعلمه، أكثر من اهتمام الملازمين للشعبي[٢] .

٦ ـ ما تعرض له من الفتن :

وهذا سبب رئيس من الأسباب المشتركة بين الطبقة المتوسطة من تابعي مدرسة الكوفة[٣]؛ حيث تعرض كثير منهم لفتنة ابن الأشعث، فنتج عن ذلك اختفاء بعضهم، وسجن آخرين، وفرار الباقين.

وعامر الشعبي كان أحد المتعرضين لهذه الفتنة؛ حيث كان ممن خرج على الحجاج في فتنة ابن الأشعث، فتوعده الحجاج، فاختفى تسعة أشهر مغلقًا عليه بابه، ثم لحق

(١) العلل لأحمد (٣/ ٢٠٦)، ٤٨٨٤، والمعرفة (٢/ ٦٠٨)، وطبقات ابن سعد (٦/ ٢٨٤).

(٢) عند النظر والمقارنة بين الشعبي، والنخعي في هذا، نجد أن الشعبي، كان من أبرز أصحابه الناقلين لتفسيره اثنان: الأول: داود بن أبي هند، روى ما نسبته (٢٣ , ٠) من مجموع تفسيره، والثاني: مغيرة بن مقسم، روى ما نسبته (١١ , ٠) من مجموع تفسيره وغيرهم من التلاميذ كان أقل منهم.
في حين كان من أبرز أصحاب إبراهيم اثنان : الأول: مغيرة بن مقسم؛ حيث روى ما نسبته (٣٦ , ٠) من مجموع تفسيره، والثاني: منصور بن المعتمر؛ حيث روى (٢٦ , ٠) من مجموع تفسيره.

(٣) بخلاف غيرهم من تلاميذ المدارس الأخرى، وخاصة أقربها إليهم مدرسة البصرة؛ حيث لم يشارك أحد من مشاهير مفسري التابعين في هذه الفتنة، فاستقرت الأمور عندهم، وتفرغوا لنشر علمهم.

مختفيًا بعسكر قتيبة بن مسلم إلى خراسان، ثم بلغ خبره الحجاج، فأرسل في طلبه، فبعثه قتيبة بن مسلم إليه.

يقول الشعبي: فلما دنوت من واسط، استقبلني ابن أبي مسلم فقال: يا أبا عمرو، إني لأضنُّ بك عن القتل، إذ دخلت على الأمير فقل كذا وقل كذا. فلما أدخلت عليه ورآني قال: لا مرحبًا، ولا أهلاً، جئتني ولست في الشرف من قومك، ولا عريفًا، ففعلتَ وفعلت، ثم خرجت عليَّ وأنا ساكت!؛ فقال: تكلم. فقلت: أصلح الله الأمير، كل ما قلته حق، ولكنا قد اكتحلنا بعدك السهر، وتحلسنا الخوف، ولم نكن مع ذلك بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء، فهذا أوان حقنت لي دمي، واستقبلت بي التوبة. قال: قد فعلت ذلك[1].

خصائص تفسيره:

ومع قلة المروي عنه في التفسير، فإنه من خلال تتبع تفسيره وجدت أنه تميز بجملة من الخصائص، التي انفرد بها عن أصحابه الكوفيين، أو أنه عني بها أكثر من عنايتهم بها، ومن أهمها:

١ ـ غلبة الجانب الأثري على أقواله وآرائه أكثر من غيره:

فقد ذكرنا في ماضي القول، أنه أدرك الكثير من الصحابة، وسمع منهم أكثر من سماع غيره، كما أن مما ميزه أن مصادره تعددت بسبب كثرة أسفاره ورحلاته، فقد سافر إلى الحجاز، وصحب ابن عمر وتأثر به، ولقي غيره من الصحابة، وقد أشار ابن المديني إلى هذا فقال: وكان أصحاب عبد الله الذين يقرءون بقراءته، ويفتون الناس ستة: علقمة والأسود ومسروق... وكان أعلم أهل الكوفة بأصحاب عبد الله وطريقتهم ومذهبهم: إبراهيم والشعبي، إلا أن الشعبي كان يذهب مذهب مسروق،

(١) ينظر السير (٤/ ٣٠٤، ٣٠٥).

يأخذ عن علي وأهل المدينة وغيرهم، وكان إبراهيم يذهب مذهب أصحابه[١] .

وكان الشعبي إلى فقهاء الأثر أقرب منه إلى فقهاء الرأي[٢] .

والمراجع لكتب التراجم والسير يجد أن أهل الآثار والسنن من أتباع التابعين وغيرهم، يقدمون الشعبي على سائر فقهاء الكوفة، لغلبة هذا الجانب عنده؛ ولذا يقول الزهري: العلماء أربعة: ابن المسيب في المدينة، والشعبي في الكوفة، والحسن بالبصرة، ومكحول بالشام[٣] .

بل كان من حبه للآثار والاحتياط في روايتها أنه عدَّ أول من زكى وجرح بعد انقراض الصحابة[٤] .

وكان لذلك الميل إلى الأثر أثره في التفسير، فقد تبين لي أنه أكثر التابعين اعتماداً على أقوال الصحابة في تفسيره[٥] . كما أن هذا المسلك قد أثر في حرصه على معرفة أسباب النزول، وروايتها، حتى إنه احتل المرتبة الثانية بعد عكرمة من بين مشاهير المفسرين من التابعين[٦] ، ومن المعلوم أن علم أسباب النزول يعتمد في الدرجة الأولى على علم الرواية والأثر.

وأحسب أن الشعبي من أوائل من نشر هذا المنهج والمسلك في المدرسة الكوفية، ولكن الغلبة والظهور كان لمنهج مدرسة الرأي، الذي أسسه إبراهيم، وانتشر بعده.

---

(١) العلل لابن المديني (٢٥٢).

(٢) أبو حنيفة، لأبي زهرة (٦٨).

(٣) المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٦٢)، وفيات الأعيان (٣/ ١٣)، ومرآة الجنان (١/ ٢٤٥).

(٤) قول من يعتمد في الجرح والتعديل للذهبي ص ١٥٩ .

(٥) احتل المرتبة الأولى بين التابعين في الاعتماد على هذا المصدر، فكان نصيب هذا المصدر من نسبة ما روي عنه (٥ , ٠) ولم يقاربه أحد من التابعين في ذلك .

(٦) حيث بلغ نسبة ما روي عنه في أسباب النزول (١٣ , ٠) من مجموع تفسيره، في حين كانت النسبة عن عكرمة (١٤ , ٠) من مجموع تفسيره.

٢ ـ تقدمه في علوم اللغة من غريب وفصيح وشعر :

وهاهنا أمثلة دالة على ذلك ، منها ما جاء منه في قوله : اجتمع جوارٍ فأرنَّ وأشرْنَ ولعبن الحُزُقَّة[١] .

قال ابن الأثير في بيان معنى غريب حديثه : فأرنَّ أي نشطن ، من الأرن : النشاط[٢] ، وأشرن من الأشر ، وهو البطر[٣] .

ولعبن الحُزُقَّة : هي لعبة من اللعب ، أخذت من التحزق : التجمُّع[٤] .

ولما سئل عن حكم الشعر قال : إنما نُهينا عن الشعر ، إذا أُبِّنتْ فيه النساء ، وتزوُزئتْ فيه الأموال : أي استجلبت به الأموال[٥] .

ولما سئل عن رجل قَبَّل أم امرأته ، قال : أعن صَبُوح تُرَقِّق؟ حرمُت عليه امرأته .

قال ابن الأثير في بيان معنى فتوى الشعبي : هذا مثل للعرب ، يقال لمن يظهر شيئًا وهو يريد غيره ، كأنه أراد أن يقول : جامع أم امرأته ، فقال : قَبَّل .

وأصله أن رجلاً نزل بقوم فبات عندهم ، فجعل يُرقّق كلامه ، ويقول : إذا أصبحت غدًا فأصطبحت فعلت كذا ، يريد إيجاب الصبوح عليهم ، فقال بعضهم : أعن صبوح ترقق : أي تعرض بالصبوح ، وحقيقته أن الغرض الذي يقصده كأن عليه ما يستره ، فيريد أن يجعله رقيقًا شفافًا ينمُّ على ما وراءه ، وكأن الشعبي اتهم السائل ، وأراد بالقُبلة ما يتبعها ، فغلظ عليه الأمر[٦] اهـ .

وإن المراجع لكتب الغريب في اللغة والحديث ، يجد أنه حاز قصب السبق في

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٣٧٩) .
(٢) المرجع السابق (١/ ٤١) .
(٣) المرجع السابق (١/ ٥١) .
(٤) المرجع السابق (١/ ٣٧٩) .
(٥) المرجع السابق (١/ ٢١٨) .
(٦) النهاية في غريب الأثر (٢/ ٢٥٣) .

استعمال الغريب، وتشبعه بالفصيح، وجاء في هذا بعد الحسن البصري[١].

ومما يدل على تقدمه، وحفظه لكثير من دواوين الشعر المختلفة ما ذكره عن نفسه؛ حيث يقول: ما أروي أقل من الشعر، ولو شئت لأنشدتكم شهرًا لا أعيد[٢].

ومن كثرة حفظه صار يقرضه وهو ابن سبع وسبعين سنة[٣].

وأبان ذلك ابن حبان في ترجمته بقوله: وكان فقيهًا شاعرًا، وأخباره في ذكر الشعر ونظمه كثيرة[٤].

ومما روي عنه في ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله جل ثناؤه: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾[٥]؛ قال: إذا هم بالأرض، ثم تمثل ببيت أمية بن أبي الصلت:

وفيها لحم ساهرة وبحر ... وما فاهو به أبدًا مقيم[٦].

وأحسب أن الشعبي كان من أحفظ التابعين للشعر.

وفاته:

ذهب الأكثرون من أهل العلم[٧]، إلى أنه توفي سنة أربع ومائة[٨]، وقيل: ثلاث ومائة[٩]، وقد بلغ من العمر اثنتين وثمانين سنة[١٠].

رحمه الله رحمة واسعة.

---

(١) بعد مراجعة كتب غريب الحديث لابن قتيبة، والزمخشري، والأصفهاني، وابن الأثير، ولسان العرب لابن منظور، وجدت أن مجموع ما جاء عن الحسن (٥٤٥) رواية، في حين بلغت عن مجاهد الذي جاء في المرتبة الثانية (٢٤٢) رواية، وعن الشعبي (٢٢٨) رواية، وإن كان العدد متقاربًا بين مجاهد والشعبي؛ إلا أن الفرق بينهما نوعي؛ حيث كان استعمال الشعبي للغريب أكثر وأبلغ وأفصح.

(٢) أخبار القضاة (٢/ ٤٢٠)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٥٦)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٩)، والتذكرة (١/ ٨٤)، ومرآة الجنان (١/ ٢٤٥).

(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٥).

(٤) الثقات (٥/ ١٨٥)، والأنساب (٧/ ٣٤١).

(٥) سورة النازعات: آية (١٤).

(٦) الدر المنثور، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، عن الشعبي به (٨/ ٤٠٨).

(٧) المنتظم (٧/ ٩٤)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٥٦)، والنجوم الزاهرة (١/ ٢٥٣).

(٨) طبقات خليفة (١٥٧)، والتاريخ الصغير (١/ ٤٢٣)، وأخبار القضاة (٢/ ٤٢٦)، والمصنف لابن أبي شيبة (١٣/ ٦٧)، ١٥٧٨١، والبداية (٩/ ٢٥٨).

(٩) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٦)، والكامل (٥/ ١٠٥).

(١٠) التاريخ الكبير (٦/ ٤٥٠)، ورجال صحيح البخاري (٢/ ٥٥٧)، دول الإسلام (٧٣)، وتاريخ الإسلام (ح ١٠٤ هـ/ ١٣٢).

إبراهيم النخعي

إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن ربيعة بن ذهل بن ربيعة النخعي[١] ، أبو عمران[٢] .

كانت أمه مليكة بنت قيس، أخت علقمة بن قيس، وهي عمة الأسود بن يزيد[٣] .

قال أحمد: علقمة عم أم إبراهيم، والأسود خال إبراهيم، وعلقمة عم الأسود[٤] . وكان إبراهم يحج مع عمه، وخاله، علقمة، والأسود[٥] .

لم يُحدث عن أحد من أصحاب النبي ﷺ وإن كان قد أدرك منهم جماعة ، ورأى عائشة[٦] .

فعن أبي معشر أن النخعي حدثهم أنه دخل على عائشة ـ رضي الله عنها ـ فرأى عليها ثوبًا أحمر، فقال له أيوب: كيف دخل عليها؟ قال: كان يحج مع عمه، وخاله، فدخل عليها، وهو غلام[٧] .

---

(١) تاريخ أبي زرعة (١/ ٢٩٣)، (١/ ٦٦٧)، والأنساب (٥/ ٤٧٣) ط الجديدة، واللباب في تهذيب الأنساب (٣/ ٣٠٤)، ولباب الألباب في تحرير الأنساب (٢/ ٢٩٤).

(٢) الكنى لأحمد (١١٧)، والكنى لمسلم (ق ٨٠).

(٣) الثقات (٤/ ٨)، والمعرفة (٢/ ٦٤٤) (٣/ ٢١٦)، واللباب (٣/ ٣٠٤)، ووفيات الأعيان (١/ ٢٥).

(٤) الكنى لأحمد (١٠٣).

(٥) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٧١)، والتاريخ الكبير (١/ ٣٣٤)، والثقات للعجلي (٤/ ٩).

(٦) تاريخ الثقات للعجلي (٥٧)، والعلل لابن المديني (٧٥)، والمراسيل لابن أبي حاتم (٩)، وجامع التحصيل (١٤٢)، ونصب الراية (٤/ ٣٦٣).

(٧) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٧١)، والتاريخ الكبير (١/ ٣٣٤)، والثقات (٤/ ٩).

قال أبو حاتم: إبراهيم أدرك أنسًا، ولم يسمع منه[١].

وقال الذهبي: ولم نجد له سماعًا من الصحابة المتأخرين، الذين كانوا معه بالكوفة، كالبراء، وأبي جحيفة، وعمرو بن حريث. . . ، ثم قال: مع عدِّهم كلهم لإبراهيم في التابعين، ولكنه ليس من كبارهم، وكان بصيرًا بعلم ابن مسعود[٢]، ولم يلقه، إنما أخذه عن كبار أصحابه[٣]. وعدّه أهل التراجم والسير في الطبقة الثانية الوسطى من طبقات التابعين، مع طبقة الحسن، ومجاهد[٤].

وقال ابن الجوزي: أدرك إبراهيم أبا سعيد الخدري، وعائشة، وعامة ما يروي عن التابعين، كعلقمة، ومسروق، والأسود[٥].

وكان (رحمه الله) أعلم الناس بابن مسعود برأيه[٦]. وفتياه، وألزم الناس بمذهبه، كما كان من أعلمهم بمذهب أصحابه الملازمين له.

يقول ابن المديني: كان إبراهيم عندي من أعلم الناس بأصحاب عبد الله وأبطنهم به[٧].

وقد عُرف له قدره عند أصحاب عبد الله، وعند تلاميذ المدرسة الكوفية[٨].

ومدرسة الكوفة في جملتها تورعت، وعظمت القول في التفسير، فقل نتاجها،

---

(١) المراسيل لابن أبي حاتم (٩)، والجرح (٢/ ١٤٤).
(٢) السير (٤/ ٥٢٠).
(٣) الفتح (٤/ ١٧٥).
(٤) عده الذهبي في الطبقة الثانية. يُنظر المعين في طبقات المحدثين (٣٧)، والتذكرة (٧٣)، وطبقات الحفاظ (٢٩).
(٥) المنتظم (٧/ ٢٢)، وصفة الصفوة (٣/ ٨٩).
(٦) نصب الراية (٤/ ٣٥٨)، وقواعد في علوم الحديث للتهانوي (١٣٦).
(٧) العلل لابن المديني (٤٣)، والجرح (٢/ ١٤٥).
(٨) التعديل والتجريح (١/ ٣٥٨).

ولم أجد مادة من تفسير أصحاب ابن مسعود المعاصرين له، إلا النزر اليسير الذي يصعب الاعتماد عليه، أو استخراج منهج من خلال النظر فيه[١].

إلا إنني وجدت الذين جاءوا بعد أصحاب ابن مسعود، ومن أشهرهم: إبراهيم النخعي، والشعبي، كان لهم بعض الأثر في علم التأويل؛ ولذا آثر اختيارهما لتمثيل هذه المدرسة.

وإبراهيم كان أقرب إلى منهج شيخ المدرسة، وأصحابه؛ لقلة أسفاره، ولعنايته وملازمته أصحاب عبد الله، لا سيما علقمة الذي كان أشبه الناس بابن مسعود هديًا، وسمتًا، ودلًا[٢]، والذي انتهى في علمه وفتواه إلى قول عبد الله[٣].

ومع عدم إدراك إبراهيم والشعبي لعبد الله بن مسعود، إلا إنهما من أعلم أهل الكوفة بمذهبه، كما أشار إلى ذلك ابن المديني[٤].

أسباب قلة المروي عنه في التفسير:

وعند الرجوع إلى تفسيره، ومقارنته بغيره، نجد أن اهتمامه بل وتعرضه لعلم التفسير كان قليلاً[٥]، وأحسب أن ثمة أسبابًا كانت وراء قلة المروي عنه في هذا الباب، ولعل من أهمها:

١ ـ هيبته وتورعه عن القول في تفسير القرآن:

فقد تأثر إبراهيم في ذلك بأصحابه من الكوفيين، وكان يقول: كان أصحابنا

(١) المروي من تفسير إبراهيم عند ابن جرير بلغ (٦٠٨) أقوال، وعن الشعبي (٤٦١) قولا، في حين كان المروي عن أصحاب ابن مسعود والملازمين له، لم يبلغ عند أكثرهم (٤٠) قولاً. وسيأتي مزيد بيان لذلك عند الحديث عن مدرسة الكوفة.

(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٨٦)، والمعرفة (٢/ ٥٥٣، ٥٥٤)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢٩٧).

(٣) المعرفة (٢/ ٥٥٧).

(٤) العلل لابن المديني (٥٢)، والسنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٢٥٥).

(٥) إذا ما قورن بالمكثرين من التابعين: كمجاهد، وقتادة، والسدي.

يكرهون تفسير القرآن، ويهابونه[١] .

والمراجع لتفسيره يلمس هذا، فكثيراً ما كان يصدّر تأويله للآية بقوله: كان يقال كذا، أو يقولون كذا، ويكرهون كذا.

ويشهد لذلك ما جاء عنه في تأويل قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾[٢] . قال: كان يقال: ليس المعروف بلبس الكتان والحلل، ولكن المعروف ماسدَّ الجوع ووارى العورة[٣] .

ومن ذلك أيضًا ما جاء عنه عند قول الحق سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ** ﴾[٤] قال إبراهيم: كان يقال: إنما الصدقات لفقراء المهاجرين[٥] .

ومنه أيضًا ما ذكره عند تفسيره لقوله جل ثناؤه: ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾[٦] . قال: كانوا يكرهون أن يقول الرجل: لعمري، يرونه كقوله: وحياتي[٧] .

ومما يشهد لما سبق أيضًا، ما أثر عنه من كراهيته للسؤال، وحب الخفاء، والبعد عن

(١) الحلية (٤/ ٢٢٢)، ومجموع الفتاوى (١٣/ ٣٧٤)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٧)، وشعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٤٣٥) ٢٢٨٦.

(٢) سورة النساء: آية (٦).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٥٨٧) ٨٦٢٧، وتفسير البغوي (١/ ٣٩٦) وتفسير ابن عطية (٤/ ٢٥).

(٤) سورة التوبة: آية (٦٠).

(٥) تفسير الطبري (١٤/ ٣٠٧) ١٦٨٢٩، ١٦٨٣٢، وتفسير الماوردي (٢/ ٣٧٤)، وتفسير البغوي (٢/ ٣٠٣)، وتفسير ابن عطية (٨/ ٢١٠)، والبحر المحيط (٥/ ٥٨)، وزاد المسير (٣/ ٤٥٦).

(٦) سورة الحجر: آية (٧٢).

(٧) تفسير الطبري (١٤/ ٤٤)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير عن إبراهيم به (٥/ ٩٠)، وينظر تفسير ابن عطية (١٠/ ١٤٣)، وتفسير القرطبي (١٠/ ٢٨)، ولمزيد من الأمثلة، يراجع تفسير الطبري الآثار: ٨٨٦٤، ١٢٦٥٤، ١٧٧٤٩، (٢٧/ ٨٣).

الشهرة، يقول الإمام الذهبي في صدر ترجمته: وكان عجبًا في الورع والخير، متوقيًا للشهرة[١].

وعن أبي حصين قال: أتيت أسأل إبراهيم فقال: ما كان بيني وبينك أحد تسأله غيري[٢].

وعن منصور بن المعتمر قال: ما سألت إبراهيم قط عن مسألة إلا رأيت الكراهية في وجهه، يقول: أرجو أن تكون، وعسى[٣]. وكان كثيراً ما يحتقر نفسه، ويزدريها؛ فعنه قال: وددت أني لم أكن تكلمت، ولو وجدت بدًا من الكلام ما تكلمت، إن زمانًا صرت فيه فقيهًا لزمان سوء[٤].

وكان من شدة تواضعه ـ رحمه الله ـ يكره الاستناد إلى سارية، ويرى أن ذلك للعلماء، وليس له، يقول الأعمش: جهدنا بإبراهيم أن نُجلسه إلى سارية فأبى[٥].

٢ ـ تشدده في قبول الرواية:

ولم يكن ورعه وخوفه هذا، في التفسير، والفقه فحسب، بل نجد هذه الصفة أكثر ما تكون وضوحًا عند روايته لحديث المصطفى ﷺ، فقد كان من أكثر الناس نقدًا وشدة في قبول الأخبار، وروايتها، يقول الأعمش: كان إبراهيم صيرفيًا في الحديث[٦]؛ ولذا

---

(١) الكاشف (١/ ٩٦)، والتذكرة (١/ ٧٤).
(٢) العلم لأبي خيثمة (١٤٠)، والحلية (٤/ ٢٢٦)، وصفة الصفوة (٣/ ٨٨).
(٣) الحلية (٤/ ٢٢٠)، والعلم لأبي خيثمة (١٢٧).
(٤) الحلية (٤/ ٢٢٣)، وسنن الدارمي (١/ ٦٦)، والمنتظم (٧/ ٢١).
(٥) العلل لأحمد (١/ ١٧٨) ١٣١، ١٣٢، وطبقات ابن سعد (٦/ ٢٧٣)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٦٦٤)، والمعرفة (٢/ ٦٠٦).
(٦) العلل لأحمد (١/ ٤٢٨) ٩٤٦، والحلية (٤/ ٢٢٠)، والمعرفة (٢/ ٦٠٧)، والإرشاد (٢/ ٥٥٦)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٤٦)، وطبقات الحفاظ (٢٩).

كان الأعمش إذا سمع الحديث عن بعض أصحابه عرضه على إبراهيم[١] .

وكان يقول عنه : ما رأيت أحداً أردّ لحديث لم يسمعه من إبراهيم[٢] .

ويشهد لذلك، أنه رد كثيراً من أحاديث أبي هريرة، إلا ما جاء عن طريق أبي صالح (السَّمان)[٣] .

وكان شديداً في قبول الرواة، وقد ترك ما جاء من حديث أصحاب علي لاتهامه إياهم؛ فقد سئل مرة وقيل له : أدركت أصحاب عبد الله وأصحاب علي، فكيف أخذت عن أصحاب عبد الله، وتركت أصحاب علي؟ قال : أتهم أصحاب علي[٤] .

وعن الأعمش قال : قال إبراهيم : إنما سئل عن الإسناد أيام المختار، وسبب هذا أنه كثر الكذب على علي في تلك الأيام[٥] .

ومما يدل على حرصه في انتقاء الرجال، وتشدده في قبولهم، أنه على الرغم من عدم إدراكه لأحد من الصحابة، وكثرة إرساله، إلا أن الأئمة عدّوا مراسيله من أقوى المراسيل؛ لأنه لا يأخذ عن كل أحد، إنما ينتقي في رواياته؛ لذا فقد قبل الإمام أحمد مراسيله، وعدّ مراسيل غيره، كالحسن وعطاء، من أضعف المراسيل[٦] .

بل إن ابن معين فضل مراسيل إبراهيم على مراسيل أشهر التابعين كابن المسيب، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر[٧] .

(١) الحلية (٤/ ٢٢٠)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٤٦).
(٢) الحلية (٤/ ٢٢١)، والجرح (٢/ ١٤٥)، والسير (٤/ ٥٢٨).
(٣) العلل لأحمد (١/ ٤٢٨) ٩٤٦، والحلية (٤/ ٢١٩).
(٤) المعرفة (٣/ ١١٧).
(٥) العلل لأحمد (٣/ ٣٨٠) ٥٦٧٣، وشرح علل الترمذي لابن رجب (٦٣).
(٦) سبقت الإشارة إلى ذلك في ترجمة الحسن، وعطاء.
(٧) معرفة الرجال لابن معين (١/ ١٢٠)، وشرح علل الترمذي لابن رجب (١٨١)، والنكت على ابن الصلاح (٢/ ٥٥٥، ٥٥٦)، وقواعد في علوم الحديث للتهانوي (١٥٠).

ومع شدة الاحتياط عنده في تمحيص الروايات، فإنه كان يفضل رواية آثار الصحابة على نقل أحاديث المصطفى ﷺ، ويرجع سبب ذلك إلى خوفه من الخطأ في حديث رسول الله ﷺ؛ فعن حماد بن زيد عن أبي هاشم قال: قلت لإبراهيم: يا أبا عمران، أما بلغك حديث عن النبي ﷺ تحدثنا؟ قال: بلى، ولكن أقول: قال عمر، وقال عبد الله، وقال علقمة، وقال الأسود، أجد ذاك أهون عليّ[١].

٣ ـ انصرافه للفقه وعنايته بالأحكام الفقهية:

فقد عني إبراهيم بالفقه والإفتاء، عناية كبيرة أكثر من اهتمامه بالتفسير، فاستنفد فيهما وسعه، وأفرغ فيهما جهده، حتى عدّ فقيه العراق في زمنه بالاتفاق.

والمراجع لترجمته في كتب السير، والتراجم، يجد أن كثيراً من الأئمة يصدرون ترجمته بقولهم: فقيه العراق[٢]، فقيه الكوفة[٣] ومفتيها[٤].

يقول النووي: وقد أجمعوا على جلالته، وبراعته في الفقه[٥].

وقد أثنى عليه الشعبي عند وفاته بقوله: والله ما ترك بعده مثله، قال ابن عون: قلت: بالكوفة؟ قال: لا بالكوفة، ولا بالبصرة، ولا بالشام، ولا بكذا، ولا بكذا[٦].

وعند النظر في تفسيره نجد شاهد ذلك؛ فقد اهتم ـ رحمه الله اهتمامًا بيّنًا بتفسير

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٧٢).
(٢) العبر (١/ ٨٥)، والشذرات (١/ ١١١).
(٣) التعديل والتجريح (١/ ٣٥٨)، ودول الإسلام (٦٥)، وطبقات الحفاظ (٢٩).
(٤) تاريخ الثقات للعجلي (٥٧)، والتهذيب (١/ ١٧٧)، ووفيات الأعيان (١/ ٢٥).
(٥) تهذيب الأسماء واللغات(١/ ١٠٤).
(٦) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٨٤)، والحلية (٤/ ٢٢٠)، والتاريخ الكبير (١/ ٣٣٤)، والمعرفة (١/ ٢٢٢)، (٢/ ٦٠٨).

أيات الأحكام ، حتى إنها زادت على ثلث المنقول عنه في التفسير[١] ، وكان بذلك من أكثر التابعين على الإطلاق عناية بآيات الأحكام تفسيراً وتفصيلاً لها ، مما يؤكد أن من أسباب انصرافه عن التفسير هو الاشتغال بعلم الفقه ؛ ولذا فقد عني الأئمة من الفقهاء بنقل آثاره في كتبهم[٢] .

ومما تبين لي بعد مراجعتي للمروي عنه في تفسير آيات الأحكام ، أنه تبع ابن مسعود في كثير من المسائل الفقهية ، ونقل آراءه عند تأويله لتلك الآيات ، بل وعني بنقل تفسيره عمومًا أكثر من عناية الشعبي بذلك[٣] .

٤ ـ كراهيته للكتابة :

فقد كره ـ رحمه الله ـ الكتابة ، وكان ينهى عنها خشية أن يشتبه بالمصاحف ، وكان يقول : ما كتبت شيئًا قط[٤] .

ويقول : ما كتب إنسان كتابًا إلا اتكل عليه[٥] .

وكان يكره الكتابة في الكراريس[٦] ويقول : يشبه بالمصاحف[٧] .

---

(١) بعد مراجعتي لتفسير الطبري ، بلغت نسبة المروي عنه في تفسير آيات الأحكام (٣٨ , ٠) من مجموع تفسيره ، في حين كانت عن سعيد بن المسيب ما نسبته (٣٤ , ٠) ، وعن عطاء بن أبي رباح (٣٣ , ٠) ، وعن الشعبي (٢٣ , ٠) ، وعن الحسن (١١ , ٠) ، وعن سعيد بن جبير (٠٩ , ٠) من مجموع تفسيرهم ، وغيرهم من التابعين دونهم في هذا .

(٢) وقد رجعت إلى كتاب المغني فوجدت أن إبراهيم قد احتل المرتبة الثالثة بعد الحسن وعطاء في كثرة ما روي عنه من مسائل فقهية .

(٣) بعد مراجعتي لتفسير ابن مسعود عند الطبري وجدت أن (٠٩ , ٠) من مجموع تفسيره جاء من رواية إبراهيم ، في حين بلغ المروي من طريق الشعبي (٠٢ , ٠) فقط من مجموع تفسيره .

(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٧٠) ، وتاريخ ابن معين (٢/ ١٦) ، والمعرفة (٢/ ٦٠٩) .

(٥) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٧١) ، والسير (٤/ ٥٢٢) .

(٦) العلل لأحمد (١/ ٢١٧) ٢٤٨ ، (١/ ٥٣٢) ١٢٥٣ ، وتقييد العلم (٤٨) .

(٧) سنن الدارمي (١/ ١٢٠ ، ١٢١) .

وقد أثر هذا في حديثه، وعلمه، حتى إن منصور بن المعتمر سأل إبراهيم فقال: إن سالمًا أتمَّ منك حديثًا، قال: إن سالمًا كان يكتب[١].

٥ ـ ورود اللحن في كلامه:

ولعل هذا من الأسباب الرئيسة ـ التي جعلت إبراهيم قليل التعرض لتفسير آيات الكتاب العزيز ـ كثرة لحنه؛ إذ لا يخفى أن من يكثر اللحن في كلامه يخشى أن يتسرب اللحن منه إلى القرآن الكريم.

قال خالد بن سلمة المخزومي: لقد رأيت إبراهيم النخعي، فرأيت رجلاً لحانًا[٢].

وعن عاصم بن بهدلة قال: كان إبراهيم رجل صدق، ولو سمعته يقرأ، قلت: ما يحسن هذا شيئًا[٣].

ولذا قال الذهبي عنه: وكان لا يحكم العربية، وربما لحن[٤].

٦ ـ ما وقع له من الفتن، وتقدم وفاته:

لقي إبراهيم من ظلم الحجاج ما لقي، واختفى عن أعين الناس بسبب بحث الحجاج عنه، حتى إنه ـ رحمه الله ـ كان لا يصلي في جماعة، مخافة سطوة ذاك الظالم[٥]، وكان يفسر قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[٦]، بقوله: خافوا فأمروا أن يصلوا في بيوتهم[٧].

---

(١) سنن الدارمي (١/ ١٢٣)، ومعرفة الرجال (٢/ ٢٥)، والمحدث الفاصل (٣٧٤)، وبغية الطلب في تاريخ حلب (٩/ ٤١٢٢).

(٢) العلل لأحمد (١/ ٣٤٨) ٦٤٨.

(٣) العلل لأحمد (١/ ٣٤٨) ٦٤٩، (٢/ ٢٤٩) ٢١٤٨.

(٤) الميزان (١/ ٧٥).

(٥) كتاب المتوارين الذين اختفوا خوفًا من الحجاج (٥٠).

(٦) سورة يونس: آية (٨٧).

(٧) الحلية (٤/ ٢٣١).

ولما توفي دفن ليلاً، ولم يحضر جنازته إلا سبعة[١] .

وكانت وفاته سنة ست وتسعين[٢] ، وعمره ثمان وأربعون ، وقيل : تسع وأربعون سنة[٣] .

خصائص تفسيره :

بعد استعراض أهم الأسباب التي كانت وراء قلة المنقول عنه في التفسير ، ومع قلتها إلا أننا نجد عند قراءة سيرته ، وتتبع آثاره ، أن ثمة خصائص ، وصفات تميز بها هذا الإمام بين أصحابه ، كان لها الأثر في حفظ ونقل بعض آثاره التي وصلت إلينا ، ومن أهمها :

١ ـ جمعه بين الرواية ، والدراية :

فمدرسة الكوفة قد غلب عليها الرأي ، والقياس ، ولم يخرج إبراهيم النخعي عن النهج ، فقد كان إلى فقهاء الرأي أقرب ، لكنه مع هذا تميز بالجمع بين العلمين ، فكان يقول : لا يستقيم رأي إلا برواية ، ولا رواية إلا برأي[٤] .

ولما بلغ الشعبي موت إبراهيم ، قال عنه : ما خلف بعده مثله ، ثم قال : والعجب أنه يفضل ابن جبير على نفسه ، وسأخبركم عن ذلك ، إنه نشأ في أهل بيت فقه ، فأخذ فقههم ، ثم جالسنا فأخذ صفوة حديثنا إلى فقه أهل بيته ، فمن كان مثله[٥]؟ .

---

(١) المعارف (٢٠٤)، وتهذيب الكمال (٢/ ٢٣٨)، والشذرات (١/ ١١١).

(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٢٨٤)، والتاريخ الكبير (١/ ٣٣٤)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٩٣)، وتاريخ الثقات للعجلي (٥٧)، وطبقات خليفة (١٥٧)، ومصنف ابن أبي شيبة (١٣/ ٦٦) ١٥٧٨١، وطرح التثريب (١/ ٣٣).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٣/ ٥٨) ١٥٧٥٥ ، ورجال صحيح البخاري (١/ ٦٠)، وتهذيب الكمال (٢/ ٢٣٨)، والمنتظم (٧/ ٢٢).

(٤) الحلية (٤/ ٢٢٥)، وصفة الصفوة (٣/ ٨٨).

(٥) العلم لأبي خيثمة (١١٦)، وتاريخ ابن معين (٢/ ٤١٣)، والحلية (٤/ ٢٢١)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٧١).

٢ ـ تفوقه في الاجتهاد، وقدرته على الاستنباط :

فقد كان إبراهيم من أوائل التابعين، الذي سلكوا هذا المسلك، وتوسعوا فيه، ساعده على ذلك تمتعه بدرجة عالية من الذكاء والفطنة والأخذ بأدوات الاجتهاد، مما رسخ عنده القدرة على الاستنباط، والقياس.

يقول الإمام أحمد: وكان إبراهيم ذكيًا حافظًا[١].

ويقول حماد بن أبي سليمان: ما رأيت أحدًا قط كان أحضر قياسًا من إبراهيم[٢].

ولما سأل الحسن بن عبد الله النخعي، قال: قلت لإبراهيم: كل ما تفتي به سمعته؟! قال: لا، ولكن سمعت، فقست ما لم أسمع بما قد سمعته[٣].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: كان أفقههم في زمانه إبراهيم النخعي، كان بمنزلة سعيد بن المسيب في أهل المدينة، وكان يقول: إني لأسمع الحديث الواحد، فأقيس به مائة حديث[٤].

وقد حمل عنه العلم في سن مبكرة من عمره، وهو ابن ثماني عشرة سنة[٥]. وقد سما بهذه العقلية إلى أن صار فقيه العراق بلا منازع، ففاق أقرانه في استنباط الأحكام الشرعية مما لم يرد فيه نص.

فهو بحق المرسي الأول لقواعد مدرسة الرأي بالكوفة، التي وضعت أساس مذهب مستقل لمنهج البحث الفقهي.

ولذا كان أصحابه يرجعون إليه؛ لأخذ رأيه فيما يجدُّ من حوادث ومسائل، فعن

(١) السير (٤/ ٥٢٩)، وتاريخ الإسلام (ح ٩٦ هـ/ ٢٨٢).
(٢) العلل لأحمد (١/ ٢٥٣) ٣٥٥.
(٣) المعرفة والتاريخ (٢/ ٦٠٩)، والفقيه والمتفقه (١/ ٢٠٣).
(٤) الفتاوى الكبرى (٣/ ٢٢٧)، والرفع والتكميل (٨٧).
(٥) المعارف (٢٠٤)، وعيون الأخبار (١/ ٢٣٠)، والمنتظم (٧/ ٢٠).

إسماعيل بن أبي خالد قال: كان الشعبي، وإبراهيم، وأبو الضحى يجتمعون في المسجد، فإذا جاءهم شيء، ليس عندهم فيه رواية، رموا إبراهيم بأبصارهم[١].

وقد جاءت عامة اجتهاداته في تأويل آيات الحلال والحرام، فمن ذلك ما جاء عند تأويله لقوله تبارك وتعالى: ﴿أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾[٢] قدم ذلك بقوله: فيما أرى، في الرجل يخرج محاربًا، قال: إن قطع الطريق وأخذ المال: قطعت يده ورجله، وإن أخذ المال وقَتل: قُتل، وإن أخذ المال وقتل ومثّل: صُلب[٣].

وأحسب أن كثرة اشتغال إبراهيم بالرأي، والقياس، جعلت حظه من الاشتغال بالأثر والنقل قليلاً؛ ولذا نجد هذا واضحًا في تفسيره؛ إذ كان من أقل التابعين اعتمادًا على تفسير القرآن بالسنة، أو بأسباب النزول[٤].

٣ ـ حرص أصحابه على نشر علمه:

وهذا مما ميز إبراهيم على غيره من أقرانه في الكوفة، وقد أشار الشعبي إلى هذا، فعن ابن شبرمة قال: لما مات إبراهيم جلس حماد بن أبي سليمان يبث علمه، فقال: قال إبراهيم، قال إبراهيم، فقال عامر الشعبي: والله لإبراهيم ميتًا أفقه منه حيًا[٥].

وقد بلغ حرص أصحابه على نشر علمه إلى حد أن تخصص بعضهم في النقل

---

(١) تاريخ ابن معين (٢/ ١٧)، والجرح (٢/ ١٤٤)، والحلية (٣/ ٢٢١)، والإرشاد (٢/ ٥٥٧).

(٢) سورة المائدة: آية (٣٣).

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ٢٥٨) ١١٨٣١، وتفسير البغوي (٢/ ٣٣)، وتفسير القرطبي (٦/ ٩٩).

(٤) بعد مراجعتي لتفسيره عند الطبري، وجدته من أقل التابعين اعتمادًا على هذين المصدرين، فقد كان المروي عنه في ذلك أقل من (٠١, ٠) من مجموع تفسيره، وقريبًا من هذا كانت حاله في الاعتماد على أسباب النزول؛ حيث بلغت نسبة المروي عنه (٠١, ٠) من مجموع تفسيره، مسجلاً بذلك أقل نسبة بين التابعين.

(٥) العلل لأحمد (٣/ ٢٠٦) ٤٨٨٤.

والرواية لجل تفسيره، ومن أبرزهم مغيرة بن مقسم الذي نقل ما يزيد عن ثلث تفسيره، وكان من أعلم الناس بإبراهيم. كما قال ابن المديني[١].

ونُقل ما يزيد عن ربع تفسيره من رواية منصور بن المعتمر، الذي كان من أثبت الناس في حديثه عن إبراهيم. قاله يحيى بن سعيد[٢].

وكان لهذا الحرص من أصحابه الأثر البالغ في كثرة المروي عنه.

٤ ـ إعراضه عن الرواية عن أهل الكتاب :

وهذه سمة ظاهرة عند مفسري الكوفة؛ إلا أن إبراهيم تميز بمزيد حذر وبُعد، فلم أجد له بعد مراجعتي لتفسيره في هذا شيئًا يذكر[٣].

هذه بعض أهم الأسباب التي أثرت في نتاج الرواية عنه، وكذا أهم المميزات، التي امتاز بها إبراهيم، وفاق فيها غيره.

❁ ❁ ❁

(١) المعرفة (٣/ ١٤).

(٢) المعرفة (٣/ ١٢)، وشرح علل الترمذي لابن رجب (٢٩٣).

(٣) ورد عنه رواية واحدة عند الطبري عند قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ القصص: آية (٧٩)، قال: في ثياب حمر (٢٠/ ١١٥).

سعيد بن المسيب

هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المدني[١] ، يكنى أبا محمد[٢] .

ولد لسنتين خلتا من خلافة عمر رضي الله عنه[٣] ، وعداده في الطبقة الأولى من كبار التابعين[٤] .

روى عن أبي بكر مرسلاً، وعن عمر، وعثمان، وعلي، وسعد بن أبي وقاص، وحكيم بن حزام، وابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو بن العاص، وأبي ذر، وأبي الدرداء، وزيد بن ثابت، وأبي موسى، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وعائشة، وأسماء بنت عُميس وغيرهم[٥] .

وعن الزهري قال: أخذ سعيد علمه عن زيد بن ثابت، وجالس سعد بن أبي وقاص، وابن عباس، وابن عمر، ودخل على أزواج النبي ﷺ: عائشة، وأم سلمة،

---

(١) طبقات خليفة (٢٤٤)، والأنساب (٨/ ٣٣١)، واللباب في تهذيب الأنساب (٢/ ٣٠٧)، والتحفة اللطيفة (٢/ ١٥٨).

(٢) الكنى لأحمد (١١٧)، والكنى لمسلم (٩٥ ق)، والكنى للدولابي (٢/ ٩٦)، ومعرفة الرجال لابن معين (٢/ ١٦٥).

(٣) تاريخ خليفة (١٣٤)، والعلل لأحمد (١/ ١٥٠) ٤٨، ورجال صحيح البخاري (١/ ٢٩٢)، والجمع بين رجال الصحيحين (١/ ١٦٩)، والتبيين في أنساب القرشيين (٣٩٦)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١١٢).

(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ١١٩)، والمعين في طبقات المحدثين (٣٣)، والنجوم الزاهرة (١/ ٢٢٨).

(٥) تهذيب الكمال (١١/ ٦٧)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٨٤).

وكان قد سمع من عثمان، وعلي، وصهيب[١] ، وجل روايته المسندة عن أبي هريرة[٢]، وكان زوج ابنته[٣] .

وكان سعيد يختلف ويتردد على أبي هريرة بالشجرة[٤] ، وكان أعلمهم بحديثه[٥]، وأثبتهم فيه[٦] .

وكان يقال له : راوية عمر ؛ لأنه كان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته[٧] .

وكان ابن عمر يرسل إليه في أحاديث عمر ؛ لأن سعيداً قد نصب نفسه لقول عمر فلم يجزه[٨] .

وسئل الإمام مالك عن سعيد بن المسيب : هل أدرك عمر؟ قال : لا، ولكنه ولد في زمان عمر، فلما كبر أكب على المسألة عن شأنه، وأمره، حتى كأنه رآه[٩] .

وعن إبراهيم بن سعد عن أبيه، عن سعيد بن المسيب قال : ما بقي أحد أعلم بكل قضاء قضاه رسول الله ﷺ، وكل قضاء قضاه أبو بكر - رضي الله عنه - وكل قضاء قضاه

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢١)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧٥)، ومرآة الجنان (١/ ١٢٤).

(٢) التعديل (٣/ ١٠٨٢)، والتذكرة (١/ ٥٥)، والشذرات (١/ ١٠٣).

(٣) المعارف (١٩٣)، ورجال صحيح مسلم (١/ ٢٣٧)، وتهذيب الأسماء (١/ ٢٢٠)، والجمع بين رجال الصحيحين (١/ ١٦٨).

(٤) المعرفة والتاريخ (١/ ٤٦٩)، والرحلة للخطيب (٥٨)، وقال الخطيب : والشجرة هي ذو الحليفة.

(٥) رجال صحيح مسلم (١/ ٢٣٧)، وتهذيب الأسماء (١/ ٢٢٠)، وإعلام الموقعين (١/ ١٧) ومرآة الجنان (١/ ٢١٥).

(٦) تهذيب الكمال (١١/ ٧٤)، والبداية (٩/ ١١١)، وطبقات الحفاظ (١٨).

(٧) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢١)، والمعرفة (١/ ٤٧١)، وتهذيب الكمال (١١/ ٧٤)، والتهذيب (٤/ ٨٦).

(٨) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤٠٤)، وتهذيب الكمال (١١/ ٧٤)، والبداية (٩/ ١١).

(٩) المعرفة (١/ ٤٦٨)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٤٠٤)، والتهذيب (٤/ ٨٦).

عمر ـ رضي الله عنه ـ وكل قضاء قضاه عثمان ـ رضي الله عنه ـ مني[١] .

وقد قرأ القرآن الكريم على ابن عباس، وأبي هريرة[٢] .

أسباب قلة المروي عنه في التفسير :

ومن خلال النظر في تفسير سعيد، وقراءة سيرته، نجد أنه من أقل مشاهير التابعين تعرضًا للتفسير[٣] ، ولعل من أهم الأسباب التي كانت وراء ذلك ما يلي :

١ ـ تعظيمه للتفسير ، وشدة ورعه فيه :

فبالرغم من سبق هذا الإمام في علم الفقه، والأثر ؛ إلا أنه أحجم عن الخوض في هذا الباب، وتورع فيه غاية التورع، فعن يزيد بن أبي يزيد قال : كنا نسأل سعيدًا عن الحلال، والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن، سكت كأن لم يسمع[٤] .

بل كان يصرح بذلك ؛ فعن يحيى بن سعيد القطان، عن سعيد بن المسيب : أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن، قال : أنا لا أقول في القرآن شيئًا[٥] .

قال الإمام الذهبي : ولهذا قلَّ ما نُقل عنه في التفسير[٦] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢٠)، والمعرفة (١/ ٤٦٨)، والتاريخ الكبير (٣/ ٥١١)، والمنتظم (٦/ ٣٢٠)، والشذرات (١/ ١٠٢).

(٢) الغاية (١/ ٣٠٨).

(٣) بعد مراجعتي لتفسير الطبري، بلغ مجموع ما روي عنه (١٨١) قولاً، منها (٧٢) قولاً في تفسير آيات الأحكام، أي : ما نسبته (٣٤,٠) من مجموع تفسيره فلم يبق إلا (١٠٩) أقوال.

(٤) تفسير الطبري (١/ ٨٦) ١٠٠، ومجموع الفتاوى (١٣/ ٣٧٣)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٧).

(٥) تفسير الطبري (١/ ٨٥) ٩٤، وطبقات ابن سعد (٥/ ١٣٧)، وفضائل القرآن لأبي عبيد (٢٢٨)، ومجموع الفتاوى (١٣/ ٣٧٣)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٧).

(٦) السير (٤/ ٢٤٢).

وكان ـ رحمه الله ـ لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن[١] .

وكان ينكر على المكثرين في التفسير ؛ لما قدم عكرمة المدينة ، ورأى سعيد توسعه ، أنكر عليه ؛ يقول عمرو بن مرة : سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن ، فقال : لا تسألني عن القرآن ، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه ـ يعني عكرمة[٢] .

وكان ـ رحمه الله ـ ورعًا ، حتى عند إفتائه لسائله ؛ فلا يكاد يفتي فتيا ، ولا يقول شيئًا إلا قال : اللهم سلمني وسلم مني[٣] .

٢ ـ اشتغاله بالفقه ، والإفتاء :

بذل ـ رحمه الله ـ في هذا الباب من العلم جلَّ جهده ، وصرف فيه كثيرًا من طاقته ، حتى عدَّ بين التابعين فقيه الفقهاء[٤] ، وكان رأس من بالمدينة في دهره ، والمقدم عليهم في الفتوى[٥] .

وقال غير واحد من أهل العلم : إنه أفقه أهل الحجاز[٦] ، وقال عنه مكحول : سعيد عالم العلماء[٧] ، وكان يقول : طفت الأرض كلها ، فما رأيت أعلم من سعيد[٨] .

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٨٦) ٩٥ ، وتفسير ابن كثير (١/ ١٧) .

(٢) تفسير الطبري (١/ ٨٦) ١٠١ ، وفضائل القرآن لأبي عبيد (٢٢٨) ، وتفسير ابن كثير (١/ ١٧) ، وجامع بيان العلم وفضله (٢/ ٢٩) ، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٨٤) .

(٣) التاريخ الكبير (٣/ ٥١١) ، وتهذيب الأسماء (١/ ٢٢٠) ، وتهذيب الكمال (١١/ ٧٢) .

(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢١) ، وتهذيب الأسماء (١/ ٢٢٠) ، والمنتظم (٦/ ٣٢١) ، والتبيين في أنساب القرشيين (٣٩٦) ، والبداية (٩/ ١١١) ، وطبقات الحفاظ (١٨) ، والنجوم (١/ ٢٢٨) .

(٥) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢١) ، وتهذيب الأسماء (١/ ٢٢٠) ، وتهذيب الكمال (١١/ ٧١) ، وطبقات الحفاظ (١٨) .

(٦) المعارف (١٩٣) ، والثقات (٤/ ٢٧٤) ، والمنتظم (٦/ ٣١٩) ، والتهذيب (٤/ ٨٧) .

(٧) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢١) ، والمنتظم (٦/ ٣٢١) ، والتبيين في أنساب القرشيين (٣٩٦) ، والنجوم الزاهرة (١/ ٢٢٨) .

(٨) العلل لأحمد (٣/ ٣٢٠) ٥٤٢٤ ، والتاريخ الكبير (٣/ ٥١١) ، والجرح (٤/ ٦٠) ، والعبر (١/ ٨٢) ، والتحفة اللطيفة (٢/ ١٥٩) .

وكان ـ رحمه الله ـ يفتي وأصحاب رسول الله ﷺ أحياء[١] . وقال نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: هو والله أحد المفتين[٢] .

وعن عمرو بن ميمون بن مهران، عن أبيه قال: قدمت المدينة فسألت عن أعلم أهل المدينة، فدفعت إلى سعيد بن المسيب[٣] .

وقال قتادة: ما رأيت أحدًا أعلم بالحلال والحرام من سعيد[٤] .

وعن سليمان بن موسى قال: سعيد بن المسيب أفقه التابعين[٥] .

وقد اتضح اهتمامه بالأحكام الفقهية في عنايته بتأويل آيات الأحكام خاصة؛ حيث بلغ ذلك أكثر من ثلث تفسيره[٦] ، وهو يدور بوجه أخص حول أحكام النساء، ومسائل الطلاق[٧] .

فعن خصيف بن عبد الرحمن قال: كان أعلمهم بالحج عطاء، وأعلمهم بالطلاق

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢١)، والمنتظم (٦/ ٣٢٠).

(٢) طبقات علماء الحديث (١/ ١١٣)، وتهذيب الكمال (١١/ ٧٠)، والتذكرة (١/ ٥٤)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧٥)، ومرآة الجنان (١/ ٢١٥).

(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢٢)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٤٠٣)، والتعديل والتجريح (٣/ ١٠٨٢)، وتهذيب الكمال (١١/ ٧٠).

(٤) الجرح (٤/ ٦٠)، وتهذيب الأسماء (١/ ٢٢٠)، والعبر (١/ ٨٢)، وطبقات الحفاظ (١٨).

(٥) تاريخ أبي زرعة (٢/ ٧١٢)، وتهذيب الأسماء (١/ ٢٢٠)، والتهذيب (٤/ ٨٥).

(٦) جاء في المرتبة الثانية بعد النخعي؛ حيث بلغ نسبة ما روى عنه (٠,٣٤) من مجموع تفسيره، في حين كان عن إبراهيم (٠,٣٨) من مجموع تفسيره، وغيرهم من التابعين أقل منهم في ذلك.

(٧) حيث بلغ (٠,٧٠) من مجموع تفسيره لآيات الأحكام، حول مسائل النكاح.

سعيد بن المسيب[١] .

ومما تميز به في هذا الجانب . أنه جمع بين الرأي، والأثر؛ يقول زين العابدين علي ابن الحسين : سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدمه من الآثار، وأفقههم في رأيه[٢] .

وليس هذا بمستغرب على مثل هذا الإمام، فإنه قد جمع السنن والآثار بملازمته لأبي هريرة، وإكثاره من الرواية عنه، حتى كان من أعلمهم بحديثه، ثم أضاف إلى ذلك علم عمر وفقهه ـ رضي الله عنه ـ حتى كأنه رآه، لكثرة ما كان يعلم من حاله وشأنه وقضائه، بل وصار ابن عمر يرسل إليه يسأله عن حديث عمر وقضائه ـ رضي الله عن الجميع[٣] ..

٣ ـ قلة تحديثه ، وهيبة الناس له :

ومما قلل نتاجه في التفسير وغيره، هيبته وشدته ، يقول الإمام مالك : وكان ابن المسيب رجلاً شديداً[٤] ، وكان لا يُتجرأ عليه[٥] .

وكان ابن شهاب الزهري يقول : لقد كنا نجلس إلى ابن المسيب، فما يستطيع أحد منا أن يسأله عن شيء إلا أن يبتدئ الحديث، أو يأتي رجل، فيسأله عن أمر قد نزل به، وقد طالت مجالستنا إياه حتى ما كنا نسمع منه إلا الجواب[٦] .

ويقول أيضًا : لم نكن نقدر منه على الحديث إلا أن نأتيه فنقول : قالوا : كذا وكذا[٧] .

---

(١) تاريخ أبي زرعة (١/ ٥١٥).
(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢١)، والمعرفة (١/ ٤٧١، ٤٧٥، ٦٢٢)، ومرآة الجنان (١/ ٢١٤).
(٣) التحفة اللطيفة (٢/ ١٥٩)، والتبيين في أنساب القرشيين (٣٩٦).
(٤) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤٠٦)، والمعرفة (١/ ٥٤٩).
(٥) المعرفة (١/ ٥٤٩).
(٦) المعرفة (١/ ٦٢٤).
(٧) العلل لأحمد (٣/ ١٥٣) ٤٦٧٥، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٥١٧).

٤ ـ عدم تركه كتبًا :

وهذا مما جعلنا نفقد بعض علمه ـ رحمه الله ـ يقول الإمام مالك : ومات ابن المسيب، والقاسم، ولم يتركوا كتابًا، ومات أبو قلابة، فبلغني أنه ترك حمل بغل كتبًا[١] .

فهذا المنهج كان غالبًا في المدينة، فهذا يحيى بن سعيد أحد رواة تفسير سعيد يقول : أدركت الناس يهابون الكتب، ولو كنا نكتب يومئذ لكتبنا من علم سعيد ورأيه، شيئًا كثيراً[٢] .

٥ ـ النهي عن مجالسته :

امتنع سعيد عن بيعة سليمان بن عبد الملك مع بيعة الوليد، وكره أن يبايع بيعتين، فأمر به عبد الملك، وجلد مائة سوط، وحلق رأسه ولحيته، وألبسه ثيابًا من شعر[٣]، ومنع الناس من مجالسته. فعن أبي يونس القزي، قال : دخلت مسجد المدينة، فإذا سعيد جالس وحده، فقلت : ما شأنه؟ قال : نهي أن يجالسه أحد[٤] .

هذه الأسباب مجتمعة كانت وراء قلة المروي عنه في التفسير وغيره.

الجانب الأثري الروائي عند سعيد، وأثره في التابعين :

ومما ينبغي تسجيله، والإشارة إليه عند الحديث عن هذا الإمام، أن ثمة معالم بارزة في شخصيته اتصف بها، وانفرد، وكان لها الأثر فيمن جاء بعده من مشاهير مفسري التابعين : كالحسن، وقتادة، ومكحول، وغيرهم.

---

(١) المعرفة (١/ ٤٧٨).

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ١٤١)، والمعرفة (١/ ٦٤٩).

(٣) المنتظم (٦/ ٣٢٢).

(٤) الحلية (٢/ ١٧٢)، وطبقات ابن سعد (٥/ ١٢٨)، والمعرفة (١/ ٤٧٨)، والتحفة اللطيفة (٢/ ١٥٩).

فقد كان لغلبة الجانب الأثري: والحديثي على منهجه بعد ملازمته الطويلة لأبي هريرة، ثم تقدمه في معرفة قضاء النبي ﷺ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، بل وكثرة رحلاته في سماع الحديث[١] كان لذلك كله الأثر في اتفاق كلمة الأئمة على أنه من أفضل التابعين على الإطلاق[٢].

ولذا فالناظر في سيرته يجد أثره الواضح على العديد من أقرانه وأصحابه.

فهذا أحد أقرانه القاسم بن محمد، يقول عنه الإمام مالك: كان القاسم يُسأل عن الشيء، فيقول للذي يسأله: من سألت؟، فيقول الرجل: سألت عروة بن الزبير، وسألت فلانًا، وسألت فلانًا، فيقول له القاسم: هل سألت سعيد بن المسيب؟ فيقول: نعم. فيقول: ما قال؟، فيقول: قال كذا وكذا، فيقول له القاسم: فأطعه، فذلك سيدنا وأعلمنا[٣].

ولم يقتصر هذا الأثر على أصحابه، بل تجاوزهم ليشمل غيرهم من مشاهير مفسري المدارس الأخرى، ولا سيما مدرستا البصرة والشام، فقد كان لمنهجه، ومسلكه، وعلمه انتشار واسع في تلك البلاد، أكثر من غيره.

فهذا إمام البصرة الحسن بن أبي الحسن البصري: كان إذا أشكل عليه شيء، كتب فيه إلى سعيد بن المسيب[٤].

ويقول علي بن زيد: كنت إذا خرجت إلى مكة قال لي الحسن: سل لي سعيدًا عن كذا، وسل لي سعيدًا عن كذا، يعني ابن المسيب[٥].

(١) تهذيب الأسماء (١/ ٢٢٠)، والتعديل والتجريح (٣/ ١٠٨٣)، والبداية (٩/ ١١١)، ومرآة الجنان (١/ ٢١٥).
(٢) البداية (٩/ ١١١).
(٣) المعرفة (١/ ٤٦٩)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٤٠٤)، ومرآة الجنان (١/ ٢١٤).
(٤) تهذيب الكمال (٧/ ١٠٧)، والتهذيب (٤/ ٨٦)، ومرآة الجنان (١/ ٢١٤).
(٥) العلل لأحمد (٣/ ٣٢١) ٥٤٢٩.

ولذا فقد اتفق الحسن مع سعيد في كثير من المسائل الفقهية، فعن سلام بن مسكين قال: سمعت عمران يقول: قلّ ما كانا يختلفان في الفتيا وفي الشيء[١].

وممن كان في مقدمة من تأثر به أيضًا قتادة، حتى إنه كان من أكثر التابعين رواية لتفسيره، وجاء ما يزيد عن ثلث المروي عنه في التفسير من رواية قتادة[٢].

وقد رحل قتادة إلى سعيد بالمدينة، وأخذ عنه، حتى قال عنه سعيد: ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة، وكان سعيد يثني عليه فيقول: ما كنت أظن الله خلق مثلك[٣].

وقد تأثر به قتادة، فتوسع في باب الناسخ والمنسوخ، وقال بنسخ كثير من آيات العفو والصفح[٤].

وكان قتادة يقدم سعيدًا في الفقه والحديث على غيره، فيقول: ما رأيت أحدًا قط أعلم بالحلال والحرام من سعيد بن المسيب[٥]، وما رأيت أعلم من سعيد بن المسيب ولا أجدر أن يتبع: فلان عن فلان ـ يعني: يسند كل حديث[٦].

وقد تأثر به مكحول، وهو من أئمة المدرسة الشامية، وممن نشر العلم والأثر المدني في تلك البقاع، فعن الأوزاعي قال: سئل الزهري ومكحول: مَنْ أفقه من أدركتما؟

---

(١) تهذيب الكمال (٧/ ١٠٨).

(٢) بعد مراجعتي لتفسير الطبري، وجدت أن (٣٧, ٠) من تفسير سعيد هو من رواية قتادة، وكان قتادة أكثر عناية بنقل تفسيره من أصحاب سعيد المدنيين أنفسهم؛ حيث كان الذي يليه في هذا يحيى بن سعيد المدني، فقد روى (١٦, ٠) من تفسيره، وغيرهما من أصحاب سعيد أقل منهما.

(٣) مَرَّ في ترجمة قتادة ص (٢٥٢).

(٤) مع أن الحسن البصري، وهو شيخ قتادة كان ممن ضيق دائرة النسخ، فقد خالفه قتادة في ذلك متأثرًا بسعيد بن المسيب، وقتادة من أكثر التابعين توسعًا في هذا الباب.

(٥) الجرح (٤/ ٦٠).

(٦) المرجع السابق.

فقالا : سعيد بن المسيب[١] .

ومع ما أبرزته من أثره الجلي في المدرستين البصرية والشامية، إلا أن تأثيره أو تأثره بالمنهج المكي كان ضعيفًا، مع كثرة أسفاره، ورحلاته إلى مكة؛ إذ يروى أنه حج أكثر من أربعين حجة[٢] ، ومرد ذلك - فيما أرى - أمران اثنان :

أحدهما : استغناء المدرسة المكية بعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - .

الثاني : اختلاف منهجي المدرستين المكية والمدنية، فكان جل اهتمام المكيين منصبًا على التفسير، بينما نجد أن معظم اشتغال المدنيين كان في السنن، والآثار، والسير .

وفاته :

اختلفوا في وفاته على أقوال؛ من أقواها أنه توفي سنة[٣] أربع وتسعين[٣] ، وقال بعضهم : سنة ثلاث وتسعين[٤] ، عن تسعة وسبعين عامًا[٥] .

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤٠٣)، والمعرفة (١/ ٤٧٩)، والجرح (٤/ ٦١)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧٥)، ومرآة الجنان (١/ ٢١٤).

(٢) التاريخ الكبير (٣/ ٥١١)، وتهذيب الأسماء (١/ ٢٢٠)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧٥)، والشذرات (١/ ١٠٣).

(٣) تاريخ خليفة (٣٠٦)، والعلل لأحمد (٣/ ٤٧٢) ٦٠١٦، ومصنف ابن أبي شيبة (١٣/ ٦٦) ١٥٧٨١، ودول الإسلام (٦٥)، والتذكرة (١/ ٥٦)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١١٣)، والكامل (٤/ ٥٨٢)، وغاية النهاية (١/ ٣٠٨)، والشذرات (١/ ١٠٢).

(٤) التاريخ الصغير (١/ ٢٠٩)، والجمع بين رجال الصحيحين (١/ ١٦٩)، والتعديل والتجريح (٣/ ١٠٨٢)، ومشاهير علماء الأمصار (٦٣)، وتهذيب الأسماء (١/ ٢٢٠).

(٥) الكاشف (١/ ٣٧٣)، وغاية النهاية (١/ ٣٠٨)، وتاريخ الخميس (٢/ ٣١٣).

محمد بن كعب القرظي

محمد بن كعب بن حبان بن سليم بن أسد القرظي[١] ، يكنى أبا حمزة[٢] ، منسوب إلى بني قريظة الطائفة المعروفة من اليهود، كان أبوه من سبي قريظة[٣] ، وكان لم ينبت يوم قريظة فتُرك[٤] .

عداده في الطبقة الثالثة من التابعين[٥] ، سمع زيد بن أرقم، وابن عباس[٦] ، ورأى ابن عمر[٧] . وروايته عن علي، وابن مسعود مرسلة[٨] .

نشأ بالكوفة، ثم تحول به أبوه إلى المدينة[٩] ، فهو في عداد تابعي أهل المدينة[١٠] .

---

(١) طبقات ابن سعد، الجزء المتمم لطبقات أهل المدينة (١٣٤)، وتهذيب الأسماء (١/ ٩٠)، والأنساب (١٠/ ١٠٢)، واللباب (٣/ ٢٦).

(٢) طبقات خليفة (٢٦٤)، والكنى للدولابي (١/ ١٥٦)، والكنى لمسلم (ق ٢٧).

(٣) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٤٤٨)، ورجال صحيح مسلم (٢/ ٢٠٤)، والتهذيب (٩/ ٤٢٠).

(٤) التاريخ الكبير (١/ ٢١٦)، والأنساب (١٠/ ١٠٢)، والتهذيب (٩/ ٤٢١).

(٥) طبقات ابن سعد الجزء المتمم لطبقات أهل المدينة (١٣٤)، وعده الذهبي في كتابه المغني في الطبقة الثانية مع الحسن ومجاهد (٤٢).

(٦) التاريخ الكبير (١/ ٢١٦)، والكنى لمسلم (ق ٧)، والجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٤٤٨).

(٧) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٩٠)، ورجال صحيح البخاري (٢/ ٦٧٥)، والتهذيب (٩/ ٤٢١).

(٨) العلل لأحمد (١/ ٥٢٧) ١٢٣٦، والتهذيب (٩/ ٤٢٢)، والتحفة اللطيفة (٣/ ٧٢٠).

(٩) الجرح (٨/ ٦٧)، والسير (٥/ ٦٥)، والتحفة اللطيفة (٣/ ٧١٩)، وتهذيب الكمال (٢٦/ ٣٤٠).

(١٠) الجرح (٨/ ٦٧)، وتهذيب الكمال (٢٦/ ٣٤٣)، والثقات (٥/ ٣٥١)، والتحفة اللطيفة (٣/ ٧٢٠)، ومشاهير علماء الأمصار (٦٥).

والقرظي مع أنه كوفي المولد والمنشأ[١] ، ومدني المستقر، ومنهج هاتين المدرستين مشهور بقلة التعرض لتأويل القرآن، فقد فاق أصحابه من المدنيين، وتوسع قليلاً في باب التفسير، فكان من أكثرهم علمًا فيه[٢] ، يقول سفيان بن عيينة: لم يكن بالمدينة أحد يفسر القرآن بعد محمد بن كعب مثله - يعني: زيد بن أسلم[٣] .

ويقول عون بن عبد الله: ما رأيت أحدًا أعلم بتأويل القرآن من القرظي[٤] .

وقد أثنى عليه غير واحد ممن ترجم له، فقال العجلي: مدني تابعي عالم بالقرآن[٥] .

وقال ابن حبان: من عباد المدينة، وعلمائهم بالقرآن[٦] .

وقال الذهبي: هو من أئمة التفسير[٧] .

وقال ابن كثير: كان عالمًا بتفسير القرآن[٨] .

ومما أعانه وساعده على التقدم في هذا، كثرة تأمله وتدبره للقرآن، فكان لا يشبع من النظر والتفكر فيه، ينقضي الليل عليه، وهو لم يفرغ من حاجته منه، يقول عن نفسه: وعجائب القرآن تورد علي أمورًا حتى إنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي

---

(١) العبر (١/ ١٠٢)، والشذرات (١/ ١٣٦).

(٢) بمقارنة المروي عنه مع غيره من أصحابه، نجد أن المروي عن سعيد بن المسيب على قلته، كان جله في تأويل آيات الأحكام، في حين كان تعرض محمد بن كعب للتفسير أكثر.

(٣) فتح الباري (١٣/ ١١١).

(٤) تاريخ أبي زرعة (١/ ٢٤٥)، والمعرفة (١/ ٥٦٤)، والسير (٥/ ٦٨)، وتاريخ الإسلام (ح ١٠٨ هـ/ ٢٥٢)، والغاية (١/ ٢٣٣).

(٥) تاريخ الثقات (٤١١).

(٦) مشاهير علماء الأمصار (٦٥).

(٧) السير (٥/ ٦٧).

(٨) البداية (٩/ ٢٨٩).

منه[١].

ويقول أيضًا: لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بإذا زلزلت والقارعة ولا أزيد عليهما، وأتردد فيهما وأتفكر، أحب إليَّ من أن أهذّ القرآن ليلتي هذه هذًا، أو قال: أنثره نثرًا[٢].

وقد فسر بعض الأئمة ما ورد عنه ﷺ: «**سيخرج من الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسه أحد بعده**»[٣].

فقال ربيعة: كنا نقول: هو محمد بن كعب القرظي، والكاهنان قريظة، والنضير[٤].

---

(١) الحلية (٣/ ٢١٤)، والمنتظم (٧/ ١٢٤)، والبداية (٩/ ٢٩٠)، والسير (٥/ ٦٦)، وتهذيب الكمال (٢٦/ ٣٤٦).

(٢) الزهد لابن المبارك (٩٧) ٢٨٧، ومختصر قيام الليل للمروزي (٦٠)، والحلية (٣/ ٢١٤)، والغاية (١/ ٢٢٣)، والبداية (٩/ ٢٨٩).

(٣) الحديث أخرجه ابن سعد في طبقاته (٧/ ٥٠٠)، وطبقات ابن سعد الجزء المتمم لطبقات أهل المدينة (١٣٤)، ورواه أحمد في مسنده (٦/ ١١)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ١٩٧) ٥١٨، (٢٢/ ٣١٤) ٧٩٤، والفسوي في المعرفة (١/ ٥٦٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٩٨)، وابن حجر في تعجيل المنفعة (١٥٨)، وعزاه إلى ابن منده، والطبراني، وأورد هذه الرواية الهندي في الكنز، وعزاها إلى ابن سعد، وابن منده، والطبراني، وابن عساكر، عن عبد الله بن مغيث، ينظر كنز العمال (١١/ ٣٧٨) ٣١٨٠٩.

(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٤٩٩)، تهذيب الكمال (٢٦/ ٣٤٥)، وغاية النهاية (١/ ٢٣٣)، قال الهيثمي في المجمع: عبد الله بن مغيث ذكره ابن أبي حاتم، وبقية رجاله ثقات (٧٠/ ١٦٧).
قلت: عبد الله بن مغيث ذكره البخاري، وابن أبي حاتم وسكتا عنه، وذكره ابن حبان في الثقات، ينظر التاريخ الكبير (٥/ ٢٠١)، والجرح (٥/ ١٧٤)، والثقات (٧/ ٤٣).
وروى الحديث كما عند البيهقي من طريق ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن النبي ﷺ بلفظ مقارب.
وعن موسى بن عقبة قال: بلغني أن رسول الله ﷺ . . . وذكر الحديث بنحوه. وكلا الطريقين فيهما علة الإرسال، كما ذكره البيهقي في الدلائل (٦/ ٤٩٨-٤٩٩).

وقال سفيان الثوري: يرون أنه محمد بن كعب[١].

مميزات تفسيره:

ومما تميز به تفسيره ـ رحمه الله ـ إبرازه للجانب الوعظي والتذكيري للآيات، فقد كان محبًا للوعظ والقص، وكان يؤثر ويبكي بقصه وتذكيره[٢].

وكان له جلساء من أعلم الناس بالتفسير[٣]، وكان يقص عليهم[٤].

والناظر في تفسيره يجد شاهد ذلك.

قال صاحب الحلية: قال محمد بن كعب القرظي: لو رخص لأحد في ترك الذكر، لرخص لزكريا عليه السلام. قال الله تعالى: ﴿آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾[٥]، ولو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص للذين يقاتلون في سبل الله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٦].

وعند قوله تعالى: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ قال: ﴿اصْبِرُوا﴾ على دينكم، ﴿وَصَابِرُوا﴾ لوعدي الذي وعدتكم، ﴿وَرَابِطُوا﴾ عدوي: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما بينكم

---

(١) ذكر جمعٌ ممن ترجم لمحمد بن كعب هذا الحديث وتفسيره، ينظر المعارف (٢٠٢)، وتهذيب الكمال (٢٦/ ٣٤٤ـ٤٣٥)، والتهذيب (٩/ ٤٢١)، وتاريخ الإسلام (ح ١٠٨ هـ/ ٢٥٢)، والسير (٥/ ٦٨)، والغاية (١/ ٢٣٣).

(٢) طبقات ابن سعد الجزء المتمم لطبقات أهل المدينة (١٣٦).

(٣) المعرفة (١/ ٥٦٤)، وتهذيب الكمال (٢٦/ ٣٤٦)، وتاريخ الإسلام (ح ١٠٨ هـ/ ـ٢٥٣).

(٤) كتاب القصاص والمذكرين (٢٣٥)، والمعارف (٢٠٢)، تاريخ ابن معين (٢/ ٥٣٦)، ورجال صحيح مسلم (٢/ ٢٠٤)، والثقات (٤/ ٣٥١)، وتهذيب الكمال (٢٦/ ٣٤٦)، والغاية (١/ ٢٣٣).

(٥) سورة آل عمران: آية (٤١).

(٦) الأنفال: آية ٤٥، ينظر الحلية (٣/ ٢١٥)، البداية (٩/ ٢٨٩).

﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١] إذا لقيتموني[٢] .

وعن داود بن قيس قال: سمعت ابن كعب يقول: إن الأرض لتبكي من رجل، وتبكي على رجل، تبكي لمن كان يعمل على ظهرها بطاعة الله تعالى، وتبكي ممن يعمل على ظهرها بمعصية الله تعالى قد أثقلها. ثم قرأ: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾[٣] .

وعن عمرو بن دينار قال: سألت محمد بن كعب القرظي عن هذه الآية: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[٤] قال: من يعمل مثقال ذرة من خير من كافر، يرى ثوابها في نفسه وأهله، وماله، حتى يخرج، وليس له خير. ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبتها في نفسه، وأهله، وماله حتى يخرج، وليس له شر[٥] .

وقد تميز ـ رحمه الله ـ من بين عموم التابعين بالعناية، والاعتماد على أسباب النزول في تفسيره، حتى صار من أكثرهم إيراداً، واستشهاداً بالأسباب[٦] .

ومع هذا التقدم، فلم يكن يحصر المعنى في السبب، بل يذكر السبب ويبين أن الأصل عموم المعنى لا خصوص السبب.

فعن أبي معشر نجيح قال: سمعت سعيداً المقبري يذاكر محمد بن كعب فقال سعيد: إن في بعض الكتب أن لله عباداً ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمرُّ من

(١) سورة آل عمران: آية (٢٠٠).
(٢) الحلية (٣/ ٢١٥)، والبداية (٩/ ٢٨٩).
(٣) سورة الدخان: آية (٢٩)، وينظر الحلية (٣/ ٢١٣)، والبداية (٩/ ٢٩٠).
(٤) سورة الزلزلة: الآيتان (٧، ٨).
(٥) الحلية (٣/ ٢١٣)، والبداية (٩/ ٢٩٠).
(٦) بعد مراجعتي لتفسير الطبري، وجدت المروي عن محمد بن كعب (١٥٣) قولاً، بلغ نسبة ما جاء عنه في أسباب النزول (١٧,٠) من مجموع تفسيره، فكان من أكثر التابعين في هذا الباب.

الصبر، لبسوا للناس مسوك الضأن من اللين، يجترُّون الدنيا بالدين، قال الله تبارك وتعالى: «**أعلي يجترئون وبي يغترُّون!! وعزتي لأبعثن عليهم فتنة تترك الحليم منهم حيران!!**»، فقال محمد بن كعب: هذا في كتاب الله جل ثناؤه. فقال سعيد: وأين هو من كتاب الله؟ قال: قول الله عز وجل: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾[1].

فقال سعيد: قد عرفت فيمن أنزلت هذه الآية! فقال محمد بن كعب: إن الآية تنزل في الرجل، ثم تكون عامة بعدُ[2].

ومما يدل على اهتمامه بالسير، وأسباب النزول أيضًا، أن محمد بن إسحاق نقل كثيرًا من القصص والحوادث عن طريق محمد بن كعب، وفي هذا يقول سزكين: ويتضح من الروايات التي ذكرها الطبري في تاريخه أن ابن إسحاق استخدم كتابًا للقرظي ذا مضمون تاريخي[3].

وأحسب أن مما ساعده على التقدم في باب التفسير سماعه، ولقاءه بابن عباس، كما أنه في المقابل لم يلق أحدًا من فقهاء المدينة الذين كانوا يتورعون عن التفسير، هذا وغيره جعل لهذا التابعي الصدارة في مدرسة التفسير بالمدينة.

وأحسب أنه لو عاش في غير هذه المدرسة لكان نتاجه أكثر، لكنه عاش في المجتمع المدني، الذي تأثر بشيوخه المقلين في باب التأويل، والمشتغلين بعلوم أخرى:

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٠٤).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٢٣١) ٣٩٦٤، وسنن سعيد بن منصور (٣/ ٣٨١) ٣٦١، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن جرير، والبيهقي في الشعب، عن محمد به (١/ ٥٧٢).

(٣) تاريخ التراث (١/ ٧٦).

كالحديث، والمغازي، والسير، فكان هذا هو الغالب على الناقلين من الرواة بالمدينة[١].

وفاته:

ذهب كثير من الأئمة والمؤرخين إلى أنه توفي سنة ثمان ومائة[٢]، وذهب البعض أنه مات سنة سبع عشرة ومائة[٣].

* * *

(١) يأتي لذلك مزيد بحث عند الحديث عن المدرسة المدنية - إن شاء الله - ص (٥١٦).

(٢) تاريخ ابن معين (٢/ ٥٣٦)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٢٤٥)، والمعارف (٢٠٢)، والتاريخ الكبير (١/ ٢١٦)، والتاريخ الصغير (١/ ٢٤٣)، وتهذيب الأسماء (١/ ٩٠)، والمنتظم (٧/ ١٢٤)، والكامل (٥/ ١٤١)، والعبر (١/ ١٠٢)، ودول الإسلام (٧٦)، والأنساب (١٠/ ١٠٢).

(٣) تاريخ خليفة (٣٤٨)، وطبقات ابن سعد، الجزء المتمم لطبقات أهل المدينة (١٣٧)، ورجال صحيح مسلم (٢/ ٢٠٤)، والجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٤٤٨)، والتعديل والتجريح (٢/ ٦٣٦).

تابع الباب الثاني

الباب الثاني

مدارس التفسير في عصر التابعين، وخصائصها

الفصل الثاني: عرض مدارس التفسير في عصر التابعين.

المبحث الأول: المدرسة المكية.

المبحث الثاني: المدرسة البصرية.

المبحث الثالث: المدرسة الكوفية.

المبحث الرابع: المدرسة المدنية.

المبحث الخامس: التفسير في الشام واليمن ومصر.

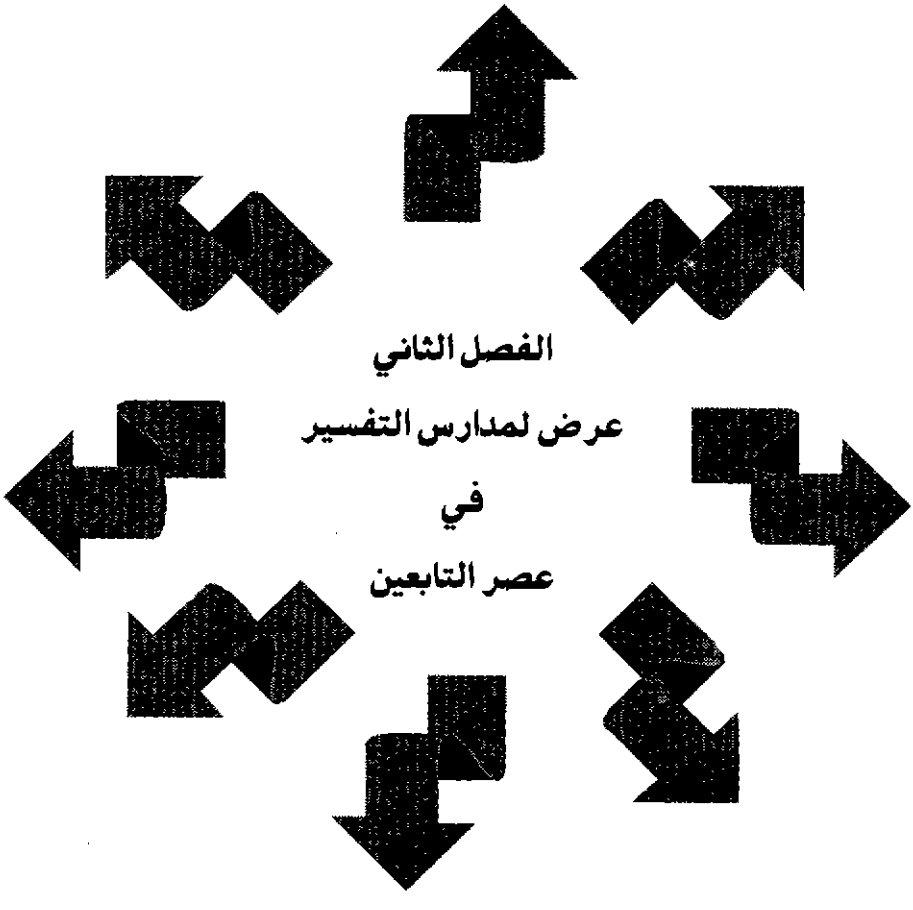

الفصل الثاني

عرض لمدارس التفسير

في

عصر التابعين

الفصل الثاني

عرض لمدارس التفسير في عصر التابعين

أرسل الله نبيه محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، وأنزل كتابه الذي هدى به من اتبع رضوانه سبل السلام، وأخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، وهداهم إلى صراط مستقيم، وسعد المسلمون بهذا الكتاب، وأيقنوا بصدق أنه ﴿ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[1]، وأنه حبله المتين، وكتابه المبين، لا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، فأخذوا في تدبره وتعلمه، والوقوف على ما فيه من مواعظ، وعبر . . . ، ثم أخذوا في دعوة الناس إليه، وتعليمهم إياه ولا سيما بعد أن تتابعت الفتوحات الإسلامية، واتسعت ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، فانتشر صحابة رسول الله ﷺ بين الناس يعلمونهم دينهم، وكتاب ربهم، ومما لا شك فيه أن هؤلاء الصحب الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ لم يكونوا في درجة علمية واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن، بل كانت مراتبهم متفاوتة، ومن ثم تفاوتت طرائقهم المنهجية التي ساروا عليها في تعليم الناس.

يقول مسروق : لقد جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ، فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم[2] .

وكان من أولئك الذين لو نزل بهم أهل الأرض لأصدرهم ثلة من الصحابة رضوان الله

---

(١) سورة الإسراء: آية (٩).

(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٤٣)، والمعرفة (٢/ ٥٤٢).

عليهم، ومن أشهرهم كما يقول عامر الشعبي: كان علماء هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ستة: عمر، وعبد الله، وزيد بن ثابت، فإذا قال عمر قولاً، وقال هذان قولاً، كان قولهما لقوله تبعًا، وعلي، وأبي بن كعب، وأبو موسى الأشعري، فإذا قال علي قولاً، وقال هذان قولاً، كان قولهما لقوله تبعًا[1].

وقد قيض لبعض هؤلاء الأئمة من الأصحاب تلاميذ، اختصوا به ولازموه وأخذوا بقوله، ونشروا علمه، وتيسر له من هذا، ما لم يتيسر لآخرين، ومن هنا نجد بدايات الظهور لتلك المدارس، التي كان الصحابة أساتذتها، والتابعون روادها، فنهلوا من معين علمهم الصافي، ثم فاضوا بالخير العميم على الناس من بعدهم.

فكانوا كالنهر لما اشتد واديه فاضت جوانبه تسقي روابيه

يقول علي بن المديني: لم يكن من أصحاب النبي ﷺ من له أصحاب يذهبون مذهبه، ويفتون فتواه، ويسلكون طريقته، إلا ثلاثة: عبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وابن عباس[2].

وقد ورث التابعون علمهم، وطرائقهم في البحث، والاستنباط، وكانوا طرائق قددًا، فمنهم من توسع في التفسير تبعًا لتوسع شيخه، ومنهم من كان يحمله التورع، والاحتياط على الإقلال خوفًا من عدم الإصابة؛ اقتداءً بنهج كثير من الصحابة الذين نقل العلم عنهم.

وقد أطلت الحديث في فصل أشهر رجال المدارس، واستعرضت كل واحد من أولئك المشاهير، لأنطلق بعد ذلك إلى الحديث عن مدارسهم، التي نهلوا منها وأخذوا عنها، فأردت في هذا الفصل أن أبين المنهج العام لكل مدرسة، وأعقد مقارنات بين

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٥١)، ومثل ذلك ما رواه مسروق، ينظر العلل لأحمد (٢/ ١٦٢) ١٨٧٣، وطبقات الفقهاء للشيرازي (٤٥).

(٢) العلل (٤٣)، ومقدمة ابن الصلاح (٤٣١).

أصحاب كل إمام، وأجمع تلك النتائج والملاحظات، التي برزت في حياة كل مفسر، مبينًا الفروق بين تلاميذ كل مدرسة ، مشيراً إلى أوجه الاتفاق والاختلاف بينهم، وأسباب ذلك ، وقد اعتمدت كثيراً على تلك الإحصائيات؛ لكونها أكثر دقة في نتائجها ومؤشراتها .

والحديث عن المدارس التفسيرية يكتنفه جملة من الأمور لابد من بيانها في هذه المقدمة من أهمها: أن مصطلح، المدارس التفسيرية لم يتعرض له كثير ممن كتب في المناهج، وتاريخ التشريع، وأما المشهور فهو ما دون في معرفة المدارس الفقهية، وسار من جاء بعد هؤلاء على هذا المصطلح، ولعل من أهم النتائج التي توصلت لها في هذا المبحث هو إبراز قيمة المدرسة البصرية في التفسير، وإظهار أثرها؛ لأن كثيراً من الباحثين يُفردون المدرسة الكوفية بالحديث، ويغفلون مدرسة البصرة، أو يدخلونها ضمنًا، مع أنها ثاني المدارس بعد المدرسة المكية في التفسير، وكان ما يزيد على ثلث المروي عن التابعين قد جاء عن أصحابها. ولذا فسوف يكون ترتيب إيراد المدارس حسب كثرة المروي عنها .

ثم إنه في مقابل هذه الحال، فقد كانت المدرسة المدنية من أقل المدارس اشتغالاً بالتفسير، ومن أكثرها هيبة، وتعظيمًا له، فقلَّ نتاجها وسبقها غيرها، ورغم هذه القلة فقد أفردتها بالحديث كمدرسة مستقلة؛ لوضوح المنهج الاستقلالي في تفسيرها رغم قلته، وعدم تأثرها كثيراً بغيرها، في حين أنها أثرت في كل المدارس الأخرى، فالحسن وقتادة وعطاء، والشعبي ومكحول وغيرهم، تأثرهم واستفادتهم من المنهج المدني واضحة ولاسيما أخذهم عن سعيد بن المسيب .

ومما ينبغي بيانه في هذه المقدمة أن الشام واليمن ومصر لن أدرسها كمدارس، وإنما سوف أدرسها كبقاع بها بعض الآثار، لكن لم يكن لها منهج مستقل، وآثار كثيرة حتى

تجعل كمدرسة مستقلة.

وبعد هذه المقدمة أعود إلى مقصودي في هذا الفصل، فأبدأ الحديث عن أهم هذه المدارس وأعلمها في التفسير.

* * *

المدرسة المكية

احتلت هذه المدرسة المكانة في قلوب المؤمنين، الساكنين، والشائبين إلى بلد الله الحرام، الحجاج، والعمار، والزوار، بل أخذت مكة بألباب كل مؤمن رآها، أو تمنى أن يراها.

ولقد كان العلم بمكة يسيراً زمن الصحابة، ثم كثر في أواخر عصرهم وكذلك في أيام التابعين، وزمن أصحابهم، كابن أبي نجيح، وابن جريج[1].

إلا أن مكة اختصت زمن التابعين بحبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ الذي صرف جل همه، وغاية وسعه إلى علم التفسير، وربى أصحابه على ذلك، فنبغ منهم أئمة كان لهم قصب السبق بين تلاميذ المدارس في علم التفسير.

وقد تأثر بالمدرسة ـ أيضًا ـ رجال وأئمة لم يكونوا بمكة، لكن كانوا كثيري التردد والمثابة لها: كأبي العالية، وطاووس بن كيسان، وغيرهم، فنشاط المدرسة المكية كان أوسع من أن يقتصر على بقعة واحدة.

وبعد أن رحل ابن عباس عن مكة، لم يختف نوره فيها، وإنما قلَّ نتاج تلاميذه، وزادت هيبتهم من التفسير ورحل بعضهم للآفاق، حتى جاء عصر أتباع التابعين، فدفعوا العجلة، وأكثروا من الرواية عن شيوخهم وظل العطاء يتواصل ـ حتى الطبقة التي تليهم، وفيما يلي بيان لأهم الأسباب التي أدت إلى تفوق المدرسة، أهم هذه الأسباب والأساس فيها إمامة ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وأستاذيته لها، ولذا فسوف أعرض لترجمته بشيء من التفصيل، ثم أبين بعض معالم منهجه التي كان لها الأثر في نفوس أصحابه وتلاميذه، فأقول وبالله التوفيق:

---

(١) الإعلان والتوبيخ لمن ذم التاريخ (٢٩٢).

عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ :

اسمه ونسبه :

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو العباس الهاشمي[١] ، ابن عم رسول الله ﷺ ، وأمه لُبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية[٢].

مولده :

وُلد والنبي ﷺ وأهل بيته بالشعب من مكة ، فأتي به النبي ﷺ فحنكه بريقه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين[٣] ، فيكون له عند وفاة النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة[٤] .

وعن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس، قال : توفي رسول الله ﷺ وقد قرأت المحكم من القرآن (أي : المفصل)[٥] .

وصحب النبي ﷺ نحواً من ثلاثين شهراً[٦] وأحصي ما قال فيه ابن عباس رضي الله عنهما : سمعت النبي ﷺ ، ورأيت النبي ﷺ ، وبت عند النبي ﷺ ، فإذا هو ثمانون أو نيف وسبعون[٧] .

وقد روى عن النبي ﷺ ألف حديث وستمائة وستين حديثًا[٨] ، صرح في عشرة منها بالتحديث[٩] .

يعد ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في طبقة صغار الصحابة، ومع هذا فقد سبق

---

(١) تسمية أصحاب النبي ﷺ (٩٧)، وأسد الغابة (٣/ ٢٩٠)، والإصابة (٢/ ٣٣٠).
(٢) أسد الغابة (٣/ ٢٩٠)، والإصابة (٢/ ٣٣٠).
(٣) المرجعان السابقان.
(٤) فتح الباري (١١/ ٩٠).
(٥) المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٢٨٩) ١٠٥٧٧، ومنحة المعبود (٢/ ١٤٨).
(٦) السير (٣/ ٣٣٢).
(٧) العلل لأحمد (٢/ ١٠٧) ١٧١٧.
(٨) تجريد أسماء الصحابة (١/ ٣٢٠)، والفصل في الملل (٤/ ١٥٢)، وتدريب الراوي (٢/ ٢١٧)، ومقدمة مسند بقي بن مخلد (٨٠).
(٩) التحفة اللطيفة (٢/ ٣٣٨).

غيره من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في علم التفسير حتى صار من أعلمهم فيه[١] .

يقول ابن أبي نجيح : كان أصحاب ابن عباس يقولون : ابن عباس أعلم من عمر ، ومن علي ، ومن عبد الله ، ويعدون ناسًا ، فيثب عليهم الناس ، فيقولون : لا تعجلوا علينا ، إنه لم يكن أحدٌ من هؤلاء إلا وعنده من العلم ما ليس عند صاحبه ، وكان ابن عباس قد جمعه كله[٢] .

وكان ابن مسعود يقول : لو بلغ ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل ، نعم ترجمان القرآن ابن عباس[٣] .

وأثنى عليه ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بقوله : هو أعلم أمة محمد ﷺ بما أنزل على محمد[٤] .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : ابن عباس أعلمنا بما مضى وأفقهنا فيما نزل مما لم يأت فيه شيء[٥] ، بل كان عمر ـ رضي الله عنه ـ يأمر الناس بأخذ القرآن عنه ، وسؤاله ، فيقول : من كان سائلاً عن شيء من القرآن ، فليسأل عبد الله بن عباس[٦] .

وكان بعض التابعين يترك الأكابر من أصحاب النبي ﷺ ويجلس للأخذ عن ابن عباس .

---

(١) الفتح (٧/ ١٠٠).
(٢) إعلام الموقعين (١/ ١٥)، وشذرات الذهب (١/ ٧٦).
(٣) العلم لأبي خيثمة (١٢٠)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٦)، والمعرفة (١/ ٤٩٤)، ودلائل النبوة للبيهقي (٦/ ١٩٣)، قال الحربي في غريب الحديث : ما عاشره منا أحد : أي لو كان في السن مثلنا ما بَلَغ أحد منا عُشْرَه في العلم . اهـ . (١/ ١٥٦).
(٤) تاريخ أبي زرعة (١/ ٦١٦)، والإصابة (٢/ ٣٣٢).
(٥) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧١).
(٦) فضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٦٧) ١٨٩٣ .

فعن ليث بن أبي سُليم قال: قيل لطاوس: أدركت أصحاب رسول الله ﷺ وانقطعت إلى هذا الغلام من بينهم؟!

قال: أدركت سبعين من أصحاب النبي ﷺ فكلهم إذا اختلفوا في شيء، انتهوا فيه إلى قول ابن عباس[١].

ويقول ابن أبي مليكة وقد أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ: كان ابن عباس إذا أخذ في الحلال والحرام، أخذ الناس معه، وإذا أخذ في القرآن، لم يتعلق الناس معه بشيء[٢].

أسباب تقدم ابن عباس في التفسير:

ولا شك أن ثمة أسبابًا أهلّت ابن عباس رضي الله عنهما وقدمته على غيره من الصحابة في فهم كتاب الله، والقدرة على تأويله، وهي على الإجمال:

١ ـ دعاء النبي ﷺ له بالفقه في الدين والعلم بالتأويل:

رأى النبي ﷺ فيه النجابة، والفطنة، والذكاء، فدعا له، ومن ذا الذي يدعو له النبي ﷺ بدعوة فلا تصيبه؟ وابن عباس من هؤلاء الذين أصابتهم دعوته ﷺ حينما دعا له بقوله ﷺ: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[٣].

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٦)، والإصابة (٢/ ٣٣٣)، وأسد الغابة (٣/ ٢٩٢)، والمحدث الفاصل (٢٣٩)، والمطالب العالية (٤/ ١١٥).

(٢) فضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٦٧) ١٩٠٠، والاستيعاب (٢/ ٣٥٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥)، وفي فضائل الصحابة (٢/ ٩٥٥) ١٨٥٦، وابن حبان في صحيحه، ينظر الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٥/ ٥٣١) ٧٠٥٥، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٩٣)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٣٢٠) ١٠٦١٤، والأوسط (٢/ ٢٤٩) ١٤٤٤، وأورده الهيثمي في مجمع البحرين في زوائد المعجمين، من رواية الطبراني في الكبير، وصححها (٦/ ٣٩٤).
والحديث أخرجه البزار في مسنده بلفظ: «**اللهم علمه تأويل القرآن**»، يُنظر كشف الأستار =

بل دعا له بالحكمة مرتين[١] ، فاستجيبت تلك الدعوات المباركات الزكيات، فكانت فتحًا لقلبه، ونبوغًا في عقله، وصوابًا في رأيه، وحين نرجع إلى تأويله، نرى أثر هذه الدعوة النبوية جليًا، واضحًا في تقدمه بين الأصحاب، وسبقه في ميدان العلم بالقرآن، وتفسيره[٢] ، كما نشهد أثر ذلك في كثرة تعرضه للقرآن وتأويله[٣] .

٢ ـ قرب منزلته من عمر ـ رضي الله عنه ـ :

ولعل السبب الثاني الذي أعان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وحثه، وشجعه على التقدم في التفسير، هو تلك العلاقة، والعناية الخاصة التي حظي بها ابن عباس من عمر ـ

= (٣/ ٢٤٧) ٢٦٧٤، والحاكم في مستدركه، وصححه، ووافقه الذهبي (٣/ ٥٣٧).
وجاء الحديث عند أبي نعيم، وأحمد بلفظ: «**اللهم أعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل**» ينظر الحلية (١/ ٣١٦)، والمسند (١/ ٢٦٩)، وفضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٦٤) ١٨٨٣.
ورواه ابن ماجه بلفظ: «**اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب**» (١/ ٥٨) ١٦٦، وصحح الألباني هذه الرواية في صحيح ابن ماجه (١/ ٣٣) ١٣٧.
وجاء في صحيح البخاري في عدة مواضع بلفظ: «**اللهم علمه الكتاب**»، ينظر كتاب العلم من الصحيح، باب قول النبي ﷺ: «**اللهم علمه الكتاب**»، ينظر الفتح (١/ ١٦٩) ٧٥، وكتاب فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ينظر الفتح (٧/ ١٠٠) ٣٧٥٦، وفي أول كتاب الاعتصام من الصحيح، ينظر الفتح (١٣/ ٢٤٥) ٧٢٧٠.

(١) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٨٤٦) ١٥٦١، (٢/ ٩٧٢) ١٩١٠، وابن سعد في طبقاته (٢/ ٣٦٥، ٣٧٠)، والنسائي في فضائل الصحابة ص (٩٥) ٧٥، والترمذي في سننه كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن عباس، وحسن إسناده (٥/ ٦٧٩) ٣٨٢٢، ٣٨٢٣.
والفسوي في تاريخه (١/ ٥١٩)، والبلاذري في أنساب الأشراف (٣/ ٢٨).

(٢) الفتح (٧/ ١٠٠).

(٣) بعد مراجعتي لتفسير الطبري، وجدت أن المروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بلغ (٥٨٠٩) روايات، في حين كان عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ (٨٥٦) رواية، وغيرهما من الصحابة أقل منهم.
بل إن المروي عن الصحابة مجتمعين لا يبلغ مجموع ما روي عنه ـ رضي الله عنهما ـ.

رضي الله عن الجميع ـ فقد لمس عمر ـ رضي الله عنه ـ فيه مخايل النجابة، والذكاء، والفطنة، فكان يُدنيه من مجلسه، ويقربه إليه، ويُشاوره، ويأخذ برأيه فيما أشكل من الآيات، وابن عباس ما زال شابًا غلامًا، فكان لذلك الأثر البالغ في دفعه وحثه على التحصيل والتقدم، بل والإكثار في باب التفسير وغيره من أبواب العلم.

فعن عامر الشعبي عن ابن عباس قال: قال لي أبي: يا بني، أرى أمير المؤمنين يقربك، ويخلو بك، ويستشيرك مع ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فاحفظ عني ثلاثًا: اتق الله لا تفشين له سرًا، ولا يُجربن عليك كذبة، ولا تغتابن عنده أحدًا[1].

وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يدخله مع أكابر الصحابة، وما ذلك إلا لأنه وجد فيه قوة الفهم، وجودة الفكر، ودقة الاستنباط.

قال: كان عمر يسألني مع أصحاب محمد ﷺ، فكان يقول لي: لا تكلم حتى يتكلموا، فإذا تكلمت قال: غلبتموني أن تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأسه[2]؟.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم[3]: لم يُدخل هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه من قد علمتم، فدعاهم ذات يوم، ودعاني معهم، قال: وما أريتُهُ دعاني يومئذ إلا ليُريَهم مني[4]،

(١) الحلية (١/ ٣١٨)، والمعرفة (١/ ٥٣٣)، والمعجم الكبير (١٠/ ٣٢٢) ١٠٦١٩، والمنتقى من كتاب مكارم الأخلاق (١٤٨) ٣٢٥.

(٢) فضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٧٠) ١٩٠٤، المعرفة (١/ ٥١٩)، والمستدرك (٣/ ٥٣٩)، وصحح إسناده الحاكم، ووافقه الذهبي، وكتاب الفقيه والمتفقه (٢/ ١٣٣).
(لم تجتمع شؤون رأسه): قال الحربي: الشؤون واحد شأن مُجتمع قبائل الرأس، فكأن عُمر قال إنه صغير لم يتلاقيا، غريب الحديث (٢/ ٨٧٦)، وتهذيب اللغة (١١/ ٤١٦).

(٣) القائل هو: عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كما صرح به البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، يُنظر الفتح (٨/ ١٣٠) ٤٤٣٠.

(٤) قال ابن حجر: وعند ابن سعد (أما إني سأريكم اليوم منه ما تعرفون به فضله) الفتح (٨/ ٧٣٦).

فقال: ما تقولون في: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله، ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئًا، فقال لي: يا ابن عباس، أكذلك تقول؟ قلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجلُ رسول الله ﷺ أعلمه الله له، «إذا جاء نصر الله، والفتح» فتح مكة، فذاك علامة أجَلك، «فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا»، قال عُمر: ما أعلمُ منها إلا ما تعلم[1].

وكان ابن عباس لشدة أدبه، إذا جلس في مجلس فيه من هو أسن منه لا يتحدث إلا إذا أذن له، فكان عمر يلمس ذلك منه، فيحثه، ويحرضه على الحديث تنشيطًا لنفسه، وتشجيعًا له في العلم.

فعن عبيد بن عمير قال: قال عمر رضي الله عنه يومًا لأصحاب النبي ﷺ: فيم ترون هذه الآية نزلت ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾[2]؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك. قال ابن عباس: ضُربت مثلاً

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح، ينظر الفتح (٨/ ٣٠) ٤٢٩٤، ورواه أيضًا في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، ينظر الفتح (٨/ ٧٣٤) ٤٩٧٠.

ورواه مختصرًا في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ٤٤٣٠، ينظر الفتح (٨/ ١٣٠).

قال ابن حجر في شرح هذا الأثر: وفيه فضيلة ظاهرة لابن عباس وتأثير لإجابة دعوة النبي ﷺ أن يعلمه الله التأويل. اهـ. ينظر الفتح (٨/ ٧٣٦).

والأثر أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٣٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٣٢١) ١٠٦١٧، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٤٤٦).

وجاء عند ابن سعد (٢/ ٣٦٥)، وأحمد (١/ ٣٣٧) بزيادة «كيف تلومونني على ما ترون».

(٢) سورة البقرة: آية (٢٦٦).

لعمل، قال عُمر: أيُّ عمل[١] ؟ . قال ابن عباس: لعمل. قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله ـ عز وجل ـ ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي، حتى أغرق أعماله[٢] .

وقال ابن حجر ـ في شرحه لهذا الأثر ـ: وفيه قوة فهم ابن عباس، وقرب منزلته من عمر، وتقديمه له مع صغره، وتحريض العالم تلميذه على القول بحضرة من هو أسن منه، إذا عرف فيه الأهلية لما فيه من تنشيطه، وبسط نفسه، وترغيبه في العلم[٣] .

وكان لعمر ـ رضي الله عنه ـ مجلس يسمع فيه من الشباب ويعلمهم، وكان ابن عباس من المقدمين عند عمر.

فعن عبد الرحمن بن زيد قال: كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إذا صلى السُّبْحة، وفرغ، دخل مربدًا له[٤] ، فأرسل إلى فتيان قد قرؤوا القرآن، منهم ابن عباس، قال: فيأتون فيقرؤون القرآن ويتدارسون، فإذا كانت القائلة انصرف. قال فمروا بهذه الآية: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ ﴾، و ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[٥] ، فقال ابن عباس لبعض من

(١) قال ابن حجر: أخرج هذا الأثر ابن المنذر في تفسيره بلفظ: أي عمل؟ قال ابن عباس: شيء ألقي في روعي، فقال: صدقت يا ابن أخي، يُراجع الفتح (٨/ ٢٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (أيود أحدكم أن تكون له جنة) ٤٥٣٨، وينظر الفتح (٨/ ٢٠١)، وعمدة القاري (١٨/ ١٢٩)، وابن جرير في تفسيره (٥/ ٥٤٥) ٦٠٩٦، والحاكم في مستدركه كتاب التفسير (٢/ ٢٨٣)، وأورده السيوطي في الدر، عن ابن عباس بنحوه، وعزاه إلى ابن المبارك في الزهد، وعبد بن حميد، والبخاري، وابن جرير، وابن أبي حاتم والحاكم (٢/ ٤٧)

(٣) فتح الباري (٨/ ٢٠٢).

(٤) السبحة: الدعاء وصلاة التطوع، والنافلة: يقال فرغ فلان من سبحته، أي من صلاة النافلة، ينظر تاج العروس (٦/ ٤٤٩).
والمربد: قال أبو عبيد: هو الذي يجعل فيه التمر عند الجُذاذ قبل أن يدخل إلى المدينة، ويصير في الأوعية، ينظر غريب الحديث (٣/ ٩٦)، والنهاية (٢/ ١٨٢).

(٥) سورة البقرة: آية (٢٠٦).

كان إلى جنبه: اقتتل الرجلان، فسمع عمر ما قال، فقال: وأي شيء قلت؟ قال: لا شيء يا أمير المؤمنين!، قال: ماذا قلت؟ اقتتل الرجلان؟، قال: فلما رأى ذلك ابن عباس قال: أرى هاهنا مَنْ إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم، وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله، يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله، فإذا لم يقبل، وأخذته العزة بالإثم، قال هذا: وأنا أشتري نفسي! فقاتله، فاقتتل الرجلان! فقال عمر: لله تلادك، يا ابن عباس[١].

وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يسأل ابن عباس عن الشيء من القرآن ثم يقول: غص غوَّاص[٢].

بل كان عمر إذا جاءته الأقضية المعضلة، يقول لابن عباس: يا أبا عباس قد طرأت علينا أقضية عضل، وأنت لها، ولأمثالها، ثم يأخذ برأيه، وما كان يدعو لذلك أحدًا سواه إذا كانت العضل[٣].

وعن سعد بن أبي وقاص قال: ما رأيت أحدًا أحضر فهمًا، ولا ألب لُبًّا، ولا أكثر علمًا، ولا أوسع حلمًا من ابن عباس، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمُعضلات، ثم يقول: عندك قد جاءتك مُعضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين، والأنصار[٤].

وكان عمر يصفه بقوله: ذاكم فتى الكهول، إن له لسانًا سؤولاً، وقلبًا عقولاً[٥].

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٤٥) ٣٩٩٩، وأورده السيوطي في الدر مختصرًا، وعزاه إلى ابن جرير، وقال في آخره: لله درك يا ابن عباس (١/ ٥٧٨).
(٢) فضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٨١) ١٩٤٠.
(٣) المرجع السابق (٢/ ٩٧٣) ١٩١٣، وأسد الغابة (٣/ ١٩٣)، والشذرات (١/ ٧٥).
(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٩)، والسير (٣/ ٣٤٧)، وأورده صاحب كنزل العمال، وعزاه لابن سعد (١٣/ ٤٥٦) ٣٧١٨٢.
(٥) فضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٨٤٤) ١٥٥٥، الإصابة (٢/ ٣٣٢)، والمدخل للبيهقي (٢٩٠) ٤٢٦، ورواه عبد الرزاق في مصنفه وفي أوله قصة (٤/ ٣٧٦) ٨١٢٣.
ورواه الحاكم في مستدركه، وسكت عنه، وقال الذهبي: منقطع (٣/ ٥٣٩).

يقول طلحة بن عبيد الله: ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم على ابن عباس أحداً[١].

وكان ابن عباس - رضي الله عنهما - كثير الملازمة لعمر، حريصًا على سؤاله، والأخذ عنه.

فعنه قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له، حتى خرج حاجًا فخرجت معه، فلما رجعت وكنَّا ببعض الطريق، عدل إلى الأراك لحاجة له، قال: فوقفت له حتى فرغ، ثم سرت معه فقلت له: يا أمير المؤمنين، من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة، وعائشة. قال: قلت: والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة، فما أستطيع هيبة لك. قال: فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم فاسألني، فإن كان لي علم خبرّتك به[٢].

ولذا كان ابن عباس - رضي الله عنهما - من أكثر الصحابة نقلاً ورواية لتفسير عمر وعلمه - رضي الله عنهم[٣]-.

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير باب «تبتغي مرضاة أزواجك» ينظر الفتح (٨/ ٦٥٧) ٤٩١٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء (٢/ ١١٠٨) ٣١، والترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة التحريم (٥/ ٤٢٠) ٣٣١٨، وابن حبان في صحيحه، يُنظر الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٦/ ٢٢٩) ٤٢٥٤، والطبري في تفسيره (٢٨/ ١٦١).

(٣) المُراجع لتفسير عمر المأثور عنه يجد أن جلَّ المروى من الآثار المسندة عنه في التفسير كانت من رواية ابن عباس، ولم يقاربه في ذلك أحدٌ من الصحابة، فبعد مراجعتي للتفسير المأثور عن عمر - رضي الله عنه - وجدت أن ابن عباس - رضي الله عنهما - روى من الآثار عن عمر - رضي الله عنه - (٢٦, ٠) من مجموع تفسيره، في حين كان الذي يليه في العناية برواية تفسير عمر هو قتادة، حيث روى (١٤, ٠) من تفسيره، وبعدهما أنس - رضي الله عنه - حيث روى (١٢, ٠)، وبعدهما الحسن حيث روى (٠٩, ٠) من تفسيره.

وقد أشار بعض أهل العلم إلى أن عامة علم ابن عباس أخذه من عمر رضي الله عن الجميع[١] .

هذا بعض ما لقيه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من عناية عمر وتقريبه له ـ رضي الله عنه ـ وأحسب أن هذا مما أعان ابن عباس وشجعه للمضي قدمًا في طريق العلم بعامة، والتفسير بخاصة.

ولعل مما يضاف إلى ما سبق، ويتممه أن أشير إلى طرف من شهادة بعض الصحابة لابن عباس، وثنائهم عليه في مجال سبقه، وتقدمه في العلم.

فعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق لعقله وفطنته[٢] .

ولما مات زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: مات حبر هذه الأمة، ولعل الله أن يجعل في ابن عباس خلفًا[٣] .

وكان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عند أبيّ بن كعب، فلما قام من عنده قال أبّي: هذا يكون حبر هذه الأمة، أوتي عقلاً وفهمًا[٤] .

٣ ـ الأخذ عن كبار الصحابة :

رأينا فيما مضى ذلك الأثر، وتلك الصلة بين ابن عباس وعمر ـ رضي الله عنهم ـ وابن عباس لم يكتف بالأخذ عن عمر فحسب، وإنما حرص على سؤال بقية الصحابة.

---

(١) قاله معمر بن راشد، ينظر المعرفة (١/ ٥٤١)، والسير (١/ ٣٩٨)، وأورده الهندي في الكنز، ونسبه لابن عساكر في تاريخه (١٣/ ٤٥٧).

(٢) الإصابة (٢/ ٣٣٢)، وفيض القدير (١/ ٤٤)، وأورده الهندي في الكنز، وعزاه للدينوري (١٣/ ٤٥٩) ٣٧١٩٢.

(٣) الإصابة (٢/ ٣٣٣).

(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧٠).

فعنه ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما قُبض رسول الله ﷺ، قلت لرجل من الأنصار: هَلُمّ فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثير. قال: فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ مَن فيهم؟ قال: فتركتُ ذلك، وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل، فآتي بابه ـ وهو قائل ـ فأتوسَّدُ ردائي على بابه تسفي الريح عليّ التراب، فيخرج، فيراني، فيقول لي: يا ابن عم رسول الله، ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك! فأسأله عن الحديث فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناسُ حولي ليسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني[1].

ويقول ـ رضي الله عنهما ـ عن نفسه: كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ، وما نزل من القرآن في ذلك، وكنت لا آتي أحدًا إلا سُرَّ بإتياني لقربي من رسول الله ﷺ، فجعلت أسأل أبيّ ابن كعب في العلم عما نزل من القرآن بالمدينة، فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة وسائرها بمكة[2].

بل كان ـ رحمه الله ـ من حرصه على السماع ـ كما يقول معمر ـ أنه يقول لأخ له من الأنصار: اذهب بنا إلى أصحاب محمد ﷺ فلعله أن يُحتاج إلينا، فقال: وكان ابن عباس إذا صلى أجلس غلمانه خلفه، فإذا مرّ بآية لم يسمع فيها شيئًا رددها فكتبوها، فإذا خرج سأل عنها[3].

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٣٦٧)، وسنن الدارمي (١/ ١٤١)، والمعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٢٩٩) ١٠٥٩٢، والمعرفة (١/ ٥٤٠)، وجامع بيان العلم وفضله (١/ ١١٥)، وأورده ابن حجر في المطالب العالية، وعزاه إلى أحمد بن منيع، ومسدد (٤/ ١١٥).

(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧١).

(٣) فضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٦٠) ١٨٧٤، والمعرفة (١/ ٥٤٨).

وكان ـ رضي الله عنه ـ يسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ[١] ، فكثرة سؤاله ، وأخْذُه عن كبار الصحابة ، جعله يستدرك ما فاته من العلم زمن النبي ﷺ ، فلحق من سبقه ، وسبق من كان مثله .

٤ ـ قوة اجتهاده ، وقدرته على الاستنباط :

كان ـ رحمه الله ـ يرجع في فهمه لمعاني الآيات للقرآن أولاً ، فإن لم يكن ؛ رجع إلى أقوال المصطفى ﷺ ، فإن لم يكن ؛ رجع إلى ما تلقاه من كبار الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فإن لم يكن ؛ اجتهد رأيه ، وقد منَّ الله عليه بحظ وافر من أدوات الاجتهاد ، جعلته يتبوأ تلك المنزلة الرفيعة بين المفسرين من الصحابة ، والتي تتمثل فيما يلي :

١ ـ فهمه لتراكيب اللغة ، وأسرارها .

٢ ـ معرفته بأيام العرب ، وعاداتهم ، وأنسابهم ، وأشعارهم .

٣ ـ قوة الفهم ، وسعة الإدراك ببركة دعاء النبي ﷺ له ، ولذا كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علومه[٢] .

فجمع ـ رضي الله عنه ـ بين العلمين : الرواية ، والدراية ، وكان له نصيب وافر من كليهما ، ولذا لما سُئل عن علمه كيف حصله؟ قال : بلسان سؤول وقلب عقول[٣] .

وعن عبيد الله بن أبي يزيد قال : كان ابن عباس إذا سُئل عن الأمر فإن كان في القرآن أخبر به ، وإن لم يكن في القرآن ، وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به ، فإن لم يكن في القرآن ، ولا عن رسول الله ﷺ ، وكان عن أبي بكر وعمر أخبر به ، فإن لم يكن في شيء من ذلك اجتهد رأيه[٤] .

---

(١) السير (٣/ ٣٤٤).

(٢) الحلية (١/ ٣١٦)، والجرح (٥/ ١١٦)، وتاريخ بغداد (١/ ١٧٤).

(٣) فضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٧٠) ١٩٠٣ ، و (٢/ ٩٦١) ١٨٧٧ .

(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٦)، وسنن الدارمي (١/ ٥٩)، والإصابة (٢/ ٣٣٣).

وعن عبيد الله بن عُتبه، قال: كان ابن عباس قد فات الناس بخصال: بعلم ما سبقه، وفقه فيما احتيج إليه، وما رأيت أحدًا كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ منه، ولا أعلم بقضاء أبي بكر، وعمر وعثمان منه، ولا أفقه في رأي منه، ولا أعلم بشعر، ولا عربية، ولا بتفسير القرآن، ولا بحساب، ولا بفريضة منه، ولا أعلم بما مضى، ولقد كان يجلس يومًا ما يذكر فيه إلا الفقه، ويومًا التأويل، ويومًا المغازي ويومًا الشعر، ويومًا أيام العرب، وما رأيت عالمًا قط جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلاً قط سأله إلا وجد عنده علما[١].

وعن عطاء قال: كان ناس يأتون ابن عباس للشعر، وناس للأنساب وناس لأيام العرب، ووقائعها، فما منهم من صنف إلا يُقبلُ عليهم بما شاؤوا[٢].

وعنه قال: ما رأيت مجلسًا أكرم من مجلس ابن عباس، كان يجيء أصحاب القرآن، فيسألونه، ثم يجيء أهل العلم فيسألونه، ثم يجيء أصحاب الشعر فيسألونه[٣]، وعنده أصحاب النحو يسألونه، كلهم يصدر عن واد واسع[٤].

وعن عمرو بن دينار، قال: ما رأيت مجلسًا أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس لحلال وحرام، وتفسير القرآن، والعربية، وأنساب الناس والطعام[٥].

وكان ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ يستشهد بالشعر في تفسيره.

فعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: شهدت ابن عباس، وهو يسأل عن عربية

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٨)، وأسد الغابة (٣/ ٢٩١)، وشذرات الذهب (١/ ٧٥).
(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٧)، والاستيعاب (٢/ ٣٥٧)، والعقد الثمين (٥/ ١٩١)، وذخائر العقبى (٢٣٠).
(٣) فضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٧٨) ١٩٢٩.
(٤) والزيادة، ينظر المعرفة (١/ ٥٢٠)، وتاريخ بغداد (١/ ١٧٤).
(٥) فضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٥٤)، ١٨٥٢، والاستيعاب (٢/ ٢٥٣)، والعقد الثمين (٥/ ١٩١).

القرآن فينشد الشعر[١] .

وكـــان ـ رضي الله عنهما ـ يقول، إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب[٢] .

وقال سعيد بن جبير ، ويوسف بن مهران : ما نحصي كم سمعنا ابن عباس يسأل عن الشيء من القرآن، فيقول : كذا وكذا، أما سمعت الشاعر يقول : كذا وكذا[٣] .

وعن عكرمة قال : كان ابن عباس إذا سئل عن الشيء من عربية القرآن ينشد الشعر[٤] .

بل كان ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ إذا سئل عن شيء من إعراب القرآن قال الشعر[٥] .

ومن أشهر ما يُروى عنه ـ رضي الله عنه ـ في ذلك، ما رواه الضحاك بن مزاحم في مُساءلة نافع بن الأزرق لابن عباس وإجابته عن غريب ما سألهُ بما حضره من شعر العرب .

فعن الضحاك بن مزاحم الهلالي قال : خرج نافع بن الأزرق، ونجدة بن عويمر في نفر من رؤوس الخوارج لينقروا من العلم ويطلبوه، حتى قدموا مكة، فإذا هم بعبد الله ابن عباس قاعداً قريبًا من زمزم، وعليه رداء له أحمر، وقميص ، وإذا ناس قيام يسألونه عن التفسير يقولون : يا بن عباس، ما تقول في كذا، وكذا؟ فيقول : هو كذا

---

(١) سنن سعيد بن منصور كتاب التفسير (٢/ ٣١٦) ٩١، وإيضاح الوقف والابتداء (١/ ٦٢)، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٩٨) ١٦٠٢ .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ٢٤١)، إيضاح الوقف (١/ ١٠١)، والجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٩٨) ١٦٠٣ .

(٣) فضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٦٣) ١٨٨٠ .

(٤) المرجع السابق (٢/ ٩٧٤) ١٩١٦ .

(٥) المرجع السابق (٢/ ٩٨١) ١٩٣٨ .

وكذا: فقال له نافع بن الأزرق: ما أجرأك يا ابن عباس على ما تجريه منذ اليوم. فقال له ابن عباس: ثكلتك أمك يا نافع، وعدمتك، ألا أخبرك من هو أجرأ مني؟ قال: من هو يا ابن عباس؟ قال: رجل تكلم بما ليس به علم، ورجل كتم علمًا عنده، قال: صدقت، يا ابن عباس، أتيتك لأسألك، قال: هات يا ابن الأزرق، فسل.

قال: أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ ما الشواظ؟ قال: اللهب الذي لا دخان فيه. قال: وهل كانت العرب تعرف ذلك قبل أن ينزل الكتاب على محمد ﷺ؟ قال: نعم! أما سمعت قول أمية بن أبي الصّلت.

ألا من مبلغ حسان عني ... مغلغلة تدب إلى عكاظ

أليس أبوك قينا كان فينا ... إلى القينات فسلا في الحفاظ

يمانيًا يظل يشب كيرا ... وينفخ دائبًا لهب الشواظ

قال: صدقت، فأخبرني عن قوله: ﴿وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ﴾ ما النحاس؟ قال: الدخان الذي لا لهب فيه، قال: وهل كانت العرب تعرف ذلك؟ قال: نعم! أما سمعت قول نابغة بني ذبيان يقول:

يضيء كضوء السراج السليط ... لم يجعل الله فيه نحاسا

قال: صدقت، فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿أمشاج نبتليه﴾ قال: ماء الرجل، وماء المرأة، إذا اجتمعا في الرحم كان مشجا، قال: وهل كانت العرب تعرف ذلك قبل أن ينزل الكتاب على محمد ﷺ؟ قال: نعم! أما سمعت قول أبي ذؤيب الهذلي وهو يقول:

كان الفصل والفوقين منه ... خلال الريش سيط به مشيج

قال: صدقت[١].

٥ ـ اهتمامه بالتفسير:

ومع كثرة علوم ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وتعدد معارفه إلا أنه صرف في علم التفسير عنايته، وأفرغ فيه جهده، وبدا ذلك واضحًا في شهرة مدرسته به، ثم باشتغال أكثر أصحابه به.

والناظر في كتب الآثار يجد المروي عنه كثيرًا في التفسير خاصة، مما يدل على عظيم احتفائه به، وكثرة اشتغاله بهذا العلم، وهذا من أسباب تقدمه وسبقه في هذا الفن.

وقد كان أقرانه من الصحابة يحيلون السائل عن مشكل القرآن إلى ابن عباس.

فهذا ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عندما سُئل عن قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[٢].

قال: اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله، ثم تعال فأخبرني ما قاله. فذهب إلى ابن عباس فسأله، فقال ابن عباس: كانت السموات رتقًا لا تمطر، وكانت الأرض رتقًا لا تنبت، ففتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال: إن ابن عباس قد أوتي علمًا، صدق ـ هكذا كانتا. ثم قال ابن عمر: قد كنت أقول: ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه قد أوتي علمًا[٣].

---

(١) ينظر الأثر بطوله في المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٣٠٤ ـ ٣١٢) ١٠٥٩٧، قال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني، وفيه جويبر، وهو ضعيف (٩/ ٢٨٤)، وينظر إيضاح الوقف والابتداء (١/ ٧٦ ـ ٩٧).

(٢) سورة الأنبياء: آية (٣٠).

(٣) الحلية (١/ ٣٢٠)، وأورده السيوطي في الدر عن ابن عمر، بلفظ مختصر وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي نعيم في الحلية (٥/ ٦٢٥)، وأشار إلى هذا الأثر ابن حجر في الإصابة (٢/ ٣٣٢)، والسيوطي في الإتقان (٢/ ٥٣١).

وعن عمرو بن حبشي[١] قال: قلت لابن عمر: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[٢]، قال: انطلق إلى ابن عباس فاسأله، فإنه أعلم من بقي بما أنزل على محمد ﷺ. فأتيته فسألته، فقال: إنه كان عندهما أصنام، فلما حُرِّمن أمسكوا عن الطواف بينهما، حتى أنزلت: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[٣].

وعن سعيد بن مرجانة[٤]، قال: سمعت عبد الله بن عمر تلا هذه الآية: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾[٥] الآية، فقال: والله لئن آخذنا الله بهذا لنهلكنَّ! ثم بكى ابن عمر حتى سُمع نشيجه، فقال ابن مرجانة: فقمت حتى أتيت ابن عباس فذكرت له ما تلا ابن عمر، وما فعل حين تلاها، فقال ابن عباس: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لعمري لقد وجد المسلمون منها حين أنزلت مثل ما وجد عبد الله بن عمر، فأنزل الله بعدها: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا...﴾ إلى آخر السورة، قال ابن عباس: فكانت هذه الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها، وصار الأمر إلى أن قضى الله عز وجل أن للنفس ما كسبت، وعليها ما اكتسبت في القول، والفعل[٦].

---

(١) عمرو بن حبشي الزبيدي، ذكره ابن حبان في الثقات (٥/ ١٧٣)، وينظر الجرح والتعديل (٦/ ٢٢٦).

(٢) سورة البقرة: آية (١٥٨).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٢٢٣) ٢٣٤٠، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن جرير عن ابن عمر به (١/ ٣٨٥).

(٤) سعيد بن مرجانة: هو سعيد بن عبد الله، ومرجانة أمه، وأبو عثمان الحجازي ثقة مات قبل المائة بثلاث سنين من الثالثة، ينظر التقريب (٢٤٠).

(٥) سورة البقرة: آية (٢٨٤).

(٦) تفسير الطبري (٦/ ١٠٦) ٦٤٥٩، وتفسير عبد الرزاق (١/ ١١٢)، والمعرفة والتاريخ (١/ ٤٠٤)، وزاد المسير (١/ ٣٤٢)، والإصابة (٢/ ٣٣٢).

ولذا كان سعيد بن جبير - الذي صحب ابن عمر، وابن عباس - رضي الله عن الجميع - يقول: كان ابن عمر حسن السرد للرواية عن النبي ﷺ ولم يبلغ في الفقه والتفسير شأو ابن عباس[١].

وعن المطلب بن عبد الله[٢] قال: قرأ ابن الزبير آية فوقف عندها، أسهرته حتى أصبح، فلما أصبح قال: من حبر هذه الأمة؟ قال: قلت: ابن عباس فبعثني إليه فدعوته، فقال له: إني قرأت آية كنت لا أقف عندها، وإني وقفت الليلة عندها، فأسهرتني حتى أصبحت ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[٣]، فقال ابن عباس: لا تسهرك فإنا لم نعن بها، إنما عني بها أهل الكتاب ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٤]، ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾[٥]. فهم يؤمنون ههنا، وهم يشركون بالله[٦].

هذا كله يشهد له - رضي الله عنه - بالسبق والشهرة في علم التفسير، وكان - رضي الله عنهما - يحرص في المجامع العامة على تعليم الناس التفسير.

فعن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: حججت أنا وصاحب لي وابن عباس على الحج، فجعل يقرأ سورة النور، ويفسرها، فقال صاحبي: يا سبحان الله! ماذا يخرج

---

(١) الإرشاد في معرفة علماء الحديث (١/ ١٨٥).

(٢) المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي المدني، وثقة الفسوي، والدار قطني، وذكره ابن حبان في الثقات، ينظر المعرفة (٢/ ٤٧٢)، وسؤالات البرقاني للدارقطني (٤٤)، والثقات (٥/ ٤٥٠).

(٣) سورة يوسف: آية (١٠٦).

(٤) سورة لقمان: آية (٢٥).

(٥) سورة المؤمنون: آية (٨٨).

(٦) فضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٥٣) ١٨٤٩.

من رأس هذا الرجل، لو سمعت هذا الترك لأسلمت[١] .

ومما يبين اشتغاله بالتفسير، ما نجده من كثرة المروي عنه، وعدم مقاربة أحد من الصحابة له في هذا العلم[٢] ، بينما نجد سبق بعضهم له أو مقاربتهم له في علوم أخرى : كالحديث[٣] والفقه[٤] مثلاً .

٦ ـ منهج ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ التعليمي مع أصحابه[٥] :

تميز ـ رضي الله عنهما ـ بمنهج تعليمي خاص مع أصحابه، اتسم بالحرص على بث روح الثقة في نفوسهم، والتشجيع لهم للتصدي لأداء ما علموه وإبلاغه، وقد انفرد في هذا المنهج بالعديد من الأساليب، من أهمها :

أ ـ الحرص على تحصيلهم، وتلقيهم للعلم، وإلزامهم بذلك، فكان يربط في رجل مولاه عكرمة الكبل على تعليمه العلم[٦] .

ب ـ تدريبهم بحضرته على الأداء، والإفتاء للاطمئنان عليهم، فبعد أن علم أهليتهم كان يحرضهم على الإفتاء بحضرته لما فيه من تشجيعهم، وتنشيطهم على تحصيل العلم، وإبلاغه .

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي (٣/ ٥٣٧)، ورواه الفسوي في تاريخه بلفظ مُقارب (١/ ٤٩٥)، وأبو نعيم في الحلية، وفيه: فجعل يقرأ سورة البقرة (١/ ٣٢٤)، وينظر الاستيعاب (٢/ ٣٥٣)، والإصابة (٢/ ٣٣٣)، والفتح (٧/ ١٠٠).

(٢) حيث بلغ المروي عنه عند ابن جرير (٥٨٠٩) أقوال، في حين جاء بعده ابن مسعود فبلغ مجموع ما جاء عنه عند ابن جرير (٨٥٦) قولاً، وعن عمر بن الخطاب (٣٢٤) قولاً .

(٣) حيث سبقه أبو هريرة فروى (٥٣٧٤) حديثًا .

(٤) سبقه عمر بن الخطاب، حيث جاء عنه عند ابن قدامة في المغني (٩٢٤) قولاً وسائله ابن عمر، حيث أورد عنه ابن قدامه (٨٥٧) قولاً، وعن ابن عباس (٨٥٨) قولاً، رضي الله عن الجميع .

(٥) وهذا المنهج أدى بالتالي إلى تقدم الشيخ في التفسير لكثرة مسائل التلاميذ .

(٦) سنن الدارمي (١/ ١٣٩)، والمعرفة (٢/ ٥)، وسنن البيهقي (٦/ ٢٠٩).

فعن مجاهد عن ابن عباس أنه قال لابن جبير: حدث، قال: أحدث وأنت شاهد؟ قال: أوليس من نعمة الله عز وجل عليك أن تحدث وأنا شاهد؟ فإن أخطأت علمتك[١].

جـ- وكان بعد الاطمئنان على علمهم، يأمرهم بالانطلاق لتعليم الناس وإفتائهم، فعن عكرمة قال: قال ابن عباس لي: انطلق فأفت الناس وأنا لك عون. قلت: لو أن مع الناس مثلهم مرتين لأفتيتهم، ثم قال: قال ابن عباس: انطلق، فأفتهم فمن جاءك يسألك عما يعنيه فأفته، ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته، فإنك تطرح عنك ثُلثي مؤنة الناس[٢].

وكان يقول لسعيد بن جبير: انظر كيف تحدث عني، فإنك قد حفظت عني كثيراً[٣].

د- وكان من أساليبه -رضي الله عنهما- توجيه الناس للأخذ عنهم، مشيراً إلى عظيم قدرهم، فكان لذلك الأثر الكبير في حرص الناس على سؤالهم، والأخذ عنهم، فكان إذا أتاه أهل الكوفة يسألونه يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟، يعني سعيد بن جبير[٤]، وكان يقول: يا أهل مكة أتجتمعون علي وعندكم عطاء؟![٥].

ولذا نجد أن تلاميذ ابن عباس تميزوا عن غيرهم من مفسري التابعين بالتوسع في علم الرواية، والدراية[٦] فكانت مدرستهم من أكثر المدارس قولاً، ورأيًا في التفسير،

---

(١) الجرح (٤/ ٩)، وطبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٦)، وتهذيب الأسماء (١/ ٢١٦).
(٢) تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٦٩)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٥).
(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٧).
(٤) تهذيب الكمال (١٠/ ٣٦٤)، وطبقات الحفاظ (٣١).
(٥) السير (٥/ ٨١)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٧٢).
(٦) عند مقارنة أصحاب ابن عباس بأصحاب ابن مسعود نجد أن من المفارقات الرئيسة بينهما أن أصحاب ابن مسعود الملازمين: كعلقمة، ومرة، ومسروق اشتغلوا برواية علم شيخهم، وقلَّ =

بل إن من ثمار تلك التربية أن أصحابه كانوا يفتون الناس بحضرته.

فعن مجاهد قال: بينما نحن أصحاب عبد الله بن عباس جلوس في المسجد، طاووس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وابن عباس يصلي، إذ وقف علينا (يعني واقفًا) فقال: هل من مفتي؟ فقلنا: سل، فقال: ما تقولون في رجل إذا بال، اتبعه الماء الدافق؟ قلنا: الذي يكون منه الولد؟ قال: نعم. قلنا: عليه الغسل، فولى الرجل يرجع، وخفف ابن عباس في صلاته، فلما سلم قال لعكرمة: علي بالرجل، ثم أقبل علينا، فقال: أرأيتم ما أفتيتم به هذا الرجل، أعن كتاب الله؟ قلنا: لا. قال: فعن رسول الله ﷺ؟ قلنا: لا. قال: فعمن؟ قلنا: عن رأينا، قال: لذلك يقول رسول الله ﷺ: «**فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**»[(١)].

فلما جاء الرجل أقبل عليه ابن عباس، فقال: أرأيت إذا كان ذلك منك شهوة في قلبك؟ قال: لا، قال: فحدرًا؟ يعني في جسدك، قال: لا. قال: هذه إبردة[(٢)]، يجزيك فيها الوضوء[(٣)].

= عندهم التوسع في باب الدراية، ونجد المنقول عنهم في هذا نزرًا يسيرًا، ويأتي لذلك مزيد بسط ص (٥٤٨).

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب فضل العلماء (١/ ٨١) ٢٢٢، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقيه، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، ولا نعرفه إلا من هذا الوجه (٥/ ٤٨) ٢٦٨١، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٦٧) ١٧١٥، وذكره السخاوي في كتاب المقاصد الحسنة، وقال: سنده ضعيف. وذكر أن سنده يتقوى بما روي من طرق أخرى (٣٣٦)، وذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٣/ ٩٦) ٣٩٩١، وفي تخريجه لأحاديث مشكاة المصابيح، وقال: آفته روح بن جناح، وهو ضعيف جدًا. (١/ ٧٥) ٢١٧.

(٢) الإبردة: علة معروفة من غلبة البرد والرطوبة تُفتِّر عن الجماع، وهمزتها زائدة...، ورجل به إبردة، وهو تقطير البول، ينظر لسان العرب (٤/ ٤٩).

(٣) الأثر أخرجه بطوله ابن المنذر في الأوسط (١/ ١٣٥) ٢٤، وأورده الهندي في الكنز، وعزاه إلى ابن عساكر، وحسن إسناده (٩/ ٤٨٤) ٢٧٠٨٣.

وعن عكرمة قال: كنت أفتي بالباب، وابن عباس في الدار[١].

وكان أصحابه يراجعونه، وقد يفتحون عليه بعض المعاني، فيسرُّ بذلك.

فعن عكرمة قال: قرأ ابن عباس هذه الآية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾[٢].

قال: ما أدري أنجا الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ أم لا؟ قال: فلم أزل به، حتى عرفته أنهم قد نجوا فكساني حلة[٣].

وبلغ ببعضهم أن كان يراجع شيخه، ويُخالفه صراحة، فعند تأويل قوله تعالى: ﴿ومَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾[٤]، قال ابن عباس: إذا أصاب الرجل الحدَّ: قتل، أو سرق، فدخل الحرم، لم يُبايع، ولم يُؤوَ، حتى يتبرم فيخرج من الحرم، فيقام عليه الحد، قال مجاهد لابن عباس: ولكني لا أرى ذلك، أرى أن يؤخذ بُرمته، ثم يخرج من الحرم، فيقام عليه الحد، فإن الحرم لا يزيده إلا شدة[٥].

هذا شيء من حاله ومنهجه ـ رضي الله عنه ـ مع أصحابه، وأحسب أن هذا المسلك التربوي، الذي تميز به ابن عباس مع أصحابه كان من أسباب تفوق أصحابه، وسبقهم، وكثرة اجتهادهم.

٧ ـ حرصه على نشر علمه:

يقول ابن أبي مليكة: دخلت على ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقال: إني

(١) الميزان (٣/ ٩٥)، وطبقات الحفاظ (٣٧).

(٢) سورة الأعراف: آية (١٦٤).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ١٨٧) ١٥٢٦٩، وطبقات ابن سعد (٥/ ٢٨٧)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن عكرمة به (٣/ ٥٩٠)، وفتح القدير (٢/ ٢٥٩).

(٤) سورة آل عمران: آية (٩٧).

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٣٠) ٧٤٥٩.

أصبحت طيب النفس، فسلوني عن أشياء من سورة البقرة وسورة يوسف، يخصهما من بين السور، قال: فولينا المسألة رجلاً، فلم يكن عنده شيء[١].

وكان ـ رضي الله عنهما ـ يتمنى لو علم جميع الناس ما يعلم من القرآن[٢].

وكان يرغب أصحابه في كتابة العلم، والأخذ عنه، يقول ـ رضي الله عنه ـ: قيدوا العلم بالكتاب، من يشتري مني علمًا بدرهم[٣].

ويقول ـ رضي الله عنهما ـ لسعيد بن جبير: إن لم تذاكروا هذا الحديث ينفلت منكم، ولا يقولن أحدكم: حدثت أمس فلا أحدث اليوم، بل حدث أمس، ولتُحدث اليوم، ولتحدث غدًا[٤].

٨ ـ رحلاته وأسفاره:

تنقَّل ـ رضي الله عنه ـ في البلاد مُبلغًا، مجاهدًا باللسان والسنان، فسافر إلى العراق، واستعمله علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ على البصرة[٥].

وكان ـ رضي الله عنه ـ يغشى الناس بالبصرة في شهر رمضان فما ينقضي حتى يفقههم[٦].

فعن الحسن قال: كان ابن عباس من الإسلام بمنزل، وكان من القرآن بمنزل، وكان يقوم على منبرنا هذا، فيقرأ سورة البقرة وآل عمران فيفسرها آية آية[٧].

---

(١) المعرفة والتاريخ (١/ ٤٩٤).
(٢) حلية الأولياء (١/ ٣٢٢).
(٣) العلم لأبي خيثمة (١٤٤).
(٤) سنن الدارمي (١/ ١٤٧)، وشرف أصحاب الحديث (٩٥).
(٥) تهذيب الأسماء (١/ ٢٧٦)، وأسد الغابة (٣/ ٢٩٢)، والعقد الثمين (٥/ ١٩١).
(٦) الإصابة (٢/ ٣٣٤).
(٧) السير (٣/ ٣٤٤)، وأخرج هذا الأثر ابن سعد في طبقاته بلفظ مقارب مختصر (٢/ ٣٦٧)، وكان من نتاج هذه الرحلة ما رأيناه من أثر واضح على المدرسة البصرية، وأنها من أكثر المدارس تعرضًا للتفسير بعد مكة، وكان من نتاجها ما ذكرنا من الأثر البالغ الذي أحدثه ابن عباس في =

ورحل إلى مصر، فروى عنه من أهلها خمسة عشر نفساً[١] .

وسافر إلى إفريقية مجاهداً، وقسم الفيء بين المسلمين في فتح إفريقية، وكان الأمير عبد الله بن سعد بن أبي سرح - رضي الله عنه[٢] -.

وهذا مما نشر علمه، وكثر الناقلين لعلمه، وتفسيره.

٩ - تأخر وفاته :

توفي - رضي الله عنه وأرضاه - في الطائف[٣] ، سنة ثمان وستين[٤] . فحصل الكثير من العلم، وزاد من الحاجة إليه، ولاسيما في مكة ، التي كان العلم بها يسيراً في زمن كبار الصحابة، وكثر في عهد صغارهم[٥] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - بعد أن ساق ثناء ابن مسعود على ابن عباس رضي الله عنهم - وقوله : نعم الترجمان للقرآن ابن عباس، قال رحمه الله: فهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة، وقد مات ابن مسعود في سنة ثلاث وثلاثين على الصحيح وعُمِّرَ بعده ابن عباس ستّاً وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود[٦] .

= نفوس ومناهج بعض مفسريها وعلى رأسهم أبو العالية، الذي مال إلى منهج المدرسة المكية، وتأثر بها أكثر من تأثره بمنهج المدرسة البصرية، ويأتي لذلك مزيد بسط إن شاء الله.

(١) السير (٣/ ٣٣٦)، وحسن المحاضرة في أخبار من دخل مصر والقاهرة (١/ ٢١٤).

(٢) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية (١/ ٦١)، ومعالم الإيمان في معرفة أهل القيروان (١/ ١١١)، والإصابة (٢/ ٣٣٠).

(٣) المصنف لابن أبي شيبة (٣/ ٣٢٨)، والمعرفة (١/ ٥١٨)، والمعجم الكبير (١٠/ ٢٨٨)، والمستدرك (٣/ ٥٤٤).

(٤) تاريخ أبي زرعة (١/ ٢٣٨)، والمعرفة (٣/ ٣٣٠)، وتاريخ بغداد (١/ ١٧٥)، وتجريد أسماء الصحابة (١/ ٣٢٠).

(٥) الأمصار ذوات الآثار (١٥٦).

(٦) مقدمة في أصول التفسير (٩٧).

مقارنة بين أصحاب ابن عباس

بين مجاهد، وعكرمة:

مجاهد وعكرمة ـ رحمهما الله ـ من أكثر مفسري التابعين تعرضًا للتأويل، واجتهادًا فيه، فقد تفرغا وانقطعا له، وكان بينهما أوجه من الشبه والاتفاق، وبعض أوجه من الاختلاف والتباين، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: أوجه الشبه والاتفاق:

فمما تشابها فيه: طول ملازمتهما، ومصاحبتهما لحبر الأمة ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وأخذهما عنه، وكذا سبقهما لكثير من التابعين في باب النظر والاجتهاد في التفسير، فقد كانا من أكثر التابعين تساهلاً وتوسعًا في بيان ما غمض من الآي وأشكل، ولذا نجد الأئمة قد اختلفوا في تقديم أحدهما على الآخر، فمنهم من قدم مجاهدًا، كما روي ذلك عن قتادة حيث قال: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد[1]، وقال خصيف: أعلمهم بالتفسير مجاهد[2].

ومنهم من قدم عكرمة، كما روي ذلك عن أبي حاتم حيث قال: أصحاب ابن عباس عيال في التفسير على عكرمة[3].

كما أن من أوجه التقارب بينهما ما تبين لي من تفرغهما وتخصصهما في علم القرآن وتأويله، فإن مما قلل نتاج الكثير من التابعين جمعهم لكثير من العلوم، أو اشتغالهم

(١) التذكرة (١/ ٩٢).
(٢) تهذيب الكمال (٢٧/ ٢٣٣).
(٣) الجرح (٧/ ٩).

بعلوم أخرى مع علم التفسير، وتقديمهم لهذه العلوم عليه، أما مجاهد وعكرمة فقد صرفا جل عنايتهما، وغاية اهتمامهما إلى التفسير وأصوله، وكل علم يخدم القرآن، لذلك كان حظهما من العلوم الأخرى أقل من التفسير.

ثانيًا: بعض أوجه التباين والاختلاف:

١ ـ تعرضا جميعًا للآيات المشكلة، وتوسعا في باب النظر والاجتهاد، إلا أن مجاهدًا كان أكثر من عكرمة في هذا، وكان أسهل منه في باب الرأي والقياس، وقد عدّه ابن خلدون من أكثر تلاميذ ابن عباس تحررًا في التفسير[١].

وقد أعطى مجاهد لعقله، وفهمه حرية أوسع في فهم بعض النصوص القرآنية التي يبدو ظاهرها بعيدًا[٢]، وكان من أكثر تلاميذ ابن عباس في ذلك. بل يعتبر من أوائل من أدخل التفسير بالاجتهاد في التفسير بالمأثور[٣]، وكان أكثر مخالفة لظاهر اللفظ القرآني من عكرمة، بل من التابعين كلهم، مع ما كان من مخالفته لإمام المدرسة ابن عباس[٤].

وأما عكرمة فإنه، وإن كان ممن اجتهد، وبلغ في ذلك شأوًا كبيرًا من العلم بالتأويل، واستحق بتلك العقلية التي كانت تسمع الكلمة من الناس فينفتح لها خمسون بابًا من العلم[٥] أن يتبوأ تلك المنزلة الرفيعة بين المفسرين؛ فقد غلّب جانب الأثر والرواية، والإفادة من محفوظه.

٢ ـ ولعل مما أهل مجاهدًا للسبق في باب النظر، تعدد مصادره، وتنوع موارده،

---

(١) دراسات في القرآن أحمد خليل (١١٢).
(٢) دراسات في التفسير وأصوله د. محيي الدين بلتاجي (٥٧).
(٣) القرآن العظيم هدايته وإعجازه (١٩٧).
(٤) وقد مرّ هذا بشيء من التفصيل في ترجمته ص (١٣٣).
(٥) تاريخ دمشق (١١/ ٧٧٣)، والتذكرة (١/ ٩٦).

وتأتى له من ذلك ما لم يتأت لعكرمة، فقد رحل إلى الكوفة، وتلقى قراءة ابن مسعود، وكان يقول: لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم أحتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت[١].

وكان ـ رحمه الله ـ يقول: ما رأيت مسجدًا أحرى أن نسمع فيه علمًا لم نسمعه من مسجد الكوفة[٢]. ويضاف إلى ذلك أنه صحب ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، وتأثر به في جانب الإقلال من رواية حديث المصطفى ﷺ، وفي هذا يقول: صحبت ابن عمر إلى المدينة، فما سمعته يحدث عن النبي ﷺ إلا حديثًا واحدًا[٣].

٣ ـ وهذا يقودنا إلى الحديث عن وجه آخر من أوجه الخلاف بينهما، فإن عكرمة كان يعتمد على العلوم النقلية أكثر من العقلية، في حين كان مجاهد من أقل المكيين في ذلك، فلا غرو إذًا أن نجد عكرمة قد فاق صاحبه وتقدم عليه في معرفة أسباب النزول، ويتبين هذا واضحًا في نسبة ما روي عنه[٤].

كما فاق عكرمة أيضًا في العناية والاهتمام بالرواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مما حدا بمجاهد إلى أن يأخذ كثيرًا مما فاته عن ابن عباس من عكرمة[٥]، ويبدو هذا جليًا من مقارنة ما روي عن ابن عباس من طريق عكرمة، وما روي عنه من طريق مجاهد[٦].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يُفسر القرآن برأيه (٥/ ٢٠٠).
(٢) تاريخ أبي زرعة (٢/ ٦٧٨).
(٣) السير (٤/ ٤٥٤)، والتهذيب (١٠/ ٤٣).
(٤) كان نسبة أسباب النزول عند عكرمة (١٤, ٠)، في حين بلغت عن مجاهد (٠٥, ٠) فقط.
(٥) الإرشاد في معرفة علماء الحديث (١/ ٣٢٣).
(٦) المروي عن ابن عباس من طريق عكرمة بلغ (٠٩, ٠) من مجموع تفسيره، في حين بلغ المروي من طريق مجاهد (٠٣, ٠) فقط.

وفي ذلك يقول عكرمة : كل شيء أحدثكم في القرآن ، فعن ابن عباس[١] .

ويشهد لذلك أن حفاظ ابن عباس كانوا يسألون عكرمة عن مذهب ابن عباس أكثر من سؤالهم مجاهداً[٢] .

٤ ـ توسع مجاهد وتساهله في الرواية عن بني إسرائيل أكثر من عكرمة ، فمع أن عكرمة كان من المقدمين بين المكيين في معرفة المغازي والسير وفي أسباب النزول ؛ إلا أنه قل أن يعتمد عليها ، وهذا ما دفع بعض الكوفيين إلى التحرز من تفسير مجاهد بسبب أخذه عن أهل الكتاب[٣] .

٥ ـ ومما تميز به مجاهد عن عكرمة ، وانفرد به ، كثرة المروي عنه في علم التفسير ، واعتماد الأئمة عليه في التأويل ، ويدل على ذلك أن ما رواه الإمام الطبري مثلاً عن عكرمة لا يزيد عن سدس ما رواه عن مجاهد[٤] ، ومنشؤ ذلك ـ فيما أحسب ـ يعود إلى سببين أولهما : دخول عكرمة في شيء من الأهواء ، والقول ببعض أقوال أهل الأهواء[٥] ، والثاني : أنه تهيأ لمجاهد من أسباب نشر علمه ، ونقل تراثه ما لم يتهيأ مثله لعكرمة[٦] .

٦ ـ ومما تميز به مجاهد سبقه في علم القراءات ، فقد تقدم على عكرمة ؛ ولذا عدّه

(١) العلل لأحمد (٣/ ٣٦٦) ٥٦١١ ، ووفيات الأعيان (١/ ٣١٩) ، والتهذيب (٧/ ٢٦٣) .
(٢) العلل لأحمد (٣/ ٣٧٩) ٥٦٦٧ ، (٣/ ٣٦٩) ٥٦٢٢ .
(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٧) .
(٤) بعد مراجعة تفسير الطبري بلغ المروي من تفسير مجاهد (٦١٠٩) أقوال ، وعن عكرمة (٩٤٣) قولاً .
(٥) سبق تفصيل ذلك في ترجمة عكرمة ص (١٦٨) .
(٦) تخصص ابن أبي نجيح في رواية ونقل تفسير مجاهد ، حيث روى (٥٦ , ٠) من مجموع تفسيره . وابن جريج حيث روى (١٥ , ٠) ، في حين كان من أشهر أصحاب عكرمة ابن جريج ، ولم يرو عنه إلا (٠٨ , ٠) من مجموع تفسيره ، ويزيد النحوي ولم يرو إلا (٠٧ , ٠) من مجموع تفسيره .

الإمام الذهبي شيخ القراء[١] ، ولم لا وقد كان يقرأ القرآن على خمسة أحرف[٢] ، ولم يبلغ عكرمة مبلغه في هذا .

وخلاصة القول: إن عكرمة قارب مجاهداً في كثير من التفسير ، فكان أتباع التابعين في مكة يعرضون أقوال عكرمة على مجاهد ، ويعدون اتفاقهما علامة على صحة القول وقوته ، فقد جاء عن عكرمة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[٣] .

قال الله لإبراهيم : إني مبتليك بأمرٍ فما هو؟ قال : تجعلني للناس إمامًا! قال : نعم . قال : ومن ذريتي . قال : لا ينال عهدي الظالمين ، قال : تجعل البيت مثابة للناس قال : نعم ، قال : وأمنًا . قال : نعم ، قال : وتجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك . قال : نعم ، قال : وترينا مناسكنا وتتوب علينا ، قال نعم ، قال : وتجعل هذا البلد آمنًا ، قال : نعم ، قال : وترزق أهله من الثمرات من آمن منهم ، قال : نعم .

يقول ابن أبي نجيح : أخبرني به عكرمة ، فعرضته على مجاهد فلم ينكره[٤] .

وقال ابن جريج : فاجتمع على هذا القول مجاهد وعكرمة جميعًا[٥] .

وعن ابن أبي نجيح ، قال : سمعت عكرمة قال : قال الله : ﴿ ومن كفر ﴾ . . . فإني أرزقه من الدنيا حين استرزق إبراهيم لمن آمن ، ثم قال ابن أبي نجيح : سمعت هذا من عكرمة ، ثم عرضته على مجاهد فلم ينكره[٦] .

---

(١) السير (٤/ ٤٤٩).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٥٣) ٥٢.
(٣) سورة البقرة: آية (١٢٤).
(٤) تفسير الطبري (٣/ ١١) ١٩١٩.
(٥) تفسير الطبري (٣/ ١١) ١٩٢٠.
(٦) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣٧٩) ١٢٣٥.

وعند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ عن ابن أبي نجيح، عن عكرمة قال: ثم مصير الكافر إلى النار، فعرضته على مجاهد، فلم ينكره[١].

ومع هذا فكأني ألمس أن مجاهداً لم يكن يرضى عن عكرمة تمام الرضى، بل كان يخطئه، ويصفه بالكذب أحياناً[٢].

فعن القاسم بن أبي بزة قال: قال لي مجاهد: سل عنها عكرمة: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾[٣]، فسألته، فقال: الإخصاء.

قال مجاهد: ماله، لعنه الله! فوالله لقد علم أنه غير الإخصاء، ثم قال: سله، فسألته فقال عكرمة: ألم تسمع إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[٤] قال: لدين الله، فحدثت به مجاهداً، فقال: ماله أخزاه الله[٥].

وكان ـ رحمه الله ـ يرسل أحياناً من يسأله، فإذا أصاب بين ذلك، فعن ليث بن أبي سليم قال: أرسل مجاهد رجلاً يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن قول الله لأيوب: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾[٦] فقال: قيل له: إن أهلك لك في الآخرة، فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا، وإن شئت كانوا لك في الآخرة، وآتيناك مثلهم في الدنيا، فقال: يكونون لي في الآخرة، وأوتي مثلهم في الدنيا، قال: فرجع إلى مجاهد فقال:

---

(١) المرجع السابق (١/ ٣٧٩) ١٢٣٧.

(٢) المغني في الضعفاء (٢/ ٤٣٩)، ولعل مراده بالكذب الخطأ كما هو كثير في مصطلح السلف، أو بسبب تلبس عكرمة ببعض رأي أهل الأهواء.

(٣) سورة النساء: آية (١١٩).

(٤) سورة الروم: آية (٣٠).

(٥) تفسير الطبري (٩/ ٢١٦) ١٠٤٥٥، وتفسير عبد الرزاق (١/ ١٧٣).

(٦) سورة الأنبياء: آية (٨٤).

أصاب[١] .

بين عكرمة، وسعيد بن جبير :

كان بين عكرمة وسعيد أوجه من التقارب، والاتفاق، وأوجه أخرى من التباين، والاختلاف، فأما أوجه التقارب؛ فسببها أن عكرمة تزوج بأم سعيد[٢] ، وكان لذلك أثره في تقاربهما في كثير من الآراء[٣] ، فقد تقاربا في عدد المروي عنهما في التفسير - عامة -[٤] ، وكانا كفرسي رهان في الرواية لتفسير ابن عباس - رضي الله عنهما[٥] -.

وأما أوجه الاختلاف، فعكرمة أعلم بالتفسير، وأكثر تفرغًا من سعيد. يتضح هذا من خلال ما يلي :

١ - كانت عناية عكرمة بالعلوم الخادمة للقرآن أكثر، ففاق صاحبه في معرفة أسباب النزول، وكان اعتماده عليها أكثر[٦] ، ويتضح هذا ويتأكد ، عند مراجعة المروي من تفسير ابن عباس ، فقد عني عكرمة بأسباب النزول الواردة عنه - رضي الله عنه - أكثر من عناية سعيد[٧] .

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٧٢)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير عن ليث بمثله (٥/ ٦٥٦).

(٢) مشاهير علماء الأمصار (٨٢)، والثقات (٥/ ٢٣٠)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٧١).

(٣) هما من أكثر المكيين تقاربًا في المناهج والأقوال.

(٤) تشابها في هذا الجانب، فقد روى سعيد بن جبير (١٢ , ٠) من مجموع تفسير ابن عباس، في حين كان نسبة ما رواه عكرمة (٠٩ , ٠) من مجموع تفسيره، وأما غيرهم من أصحابهم، فإن مجاهدًا لم يرو إلا (٠٣ , ٠)، وعطاء (٠٢ , ٠) وغيرهم أقل منهم في ذلك.

(٥) تقاربا في عدد المروي عنهما في التفسير عامة، فإن مجموع ما روي عن سعيد بن جبير بلغ (١٠١٠) أقوال، وعن عكرمة (٩٤٣) قولاً.

(٦) كانت نسبة ما روي عن عكرمة في أسباب النزول (١٤ , ٠)، في حين بلغت عند سعيد ما نسبته (٠٧ , ٠) من مجموع تفسيره.

(٧) كان المروي عن ابن عباس في أسباب النزول (٤٨٥) رواية، منها (٢٥ , ٠) من طريق عكرمة، (١٩ , ٠) من طريق سعيد.

٢ ـ وفي باب معرفة المكي والمدني تقدم عكرمة كثيراً على صاحبه، واستشهد الأئمة من المفسرين بأقوال عكرمة في هذا، وقل أن نجد لسعيد شيئًا من الروايات في هذا الباب[١].

٣ ـ كان عكرمة أكثر تساهلاً من سعيد في باب الاجتهاد والنظر، وكان أكثر منه تعرضًا للمشكل من الآيات، ولعل سعيدًا تأثر في هذا بالمدرسة الكوفية، التي كانت من أشد المدارس ورعًا وخوفًا من التفسير، فعن مروان الأصفر قال: كنت جالسًا عند سعيد بن جبير، فسأله رجل عن آية من كتاب الله عز وجل، فقال له سعيد: الله أعلم، فقال له الرجل: قل فيها أصلحك الله برأيك، فقال: أقول في كتاب الله برأيي؟! فردده مرتين، أو ثلاثًا، ولم يجبه بشيء[٢].

٤ ـ توسع عكرمة في القول بالنسخ، وكان في ذلك أكثر من سعيد[٣].

٥ ـ كان عكرمة ـ رحمه الله ـ أكثر عناية بمبهمات القرآن من سعيد[٤].

٦ ـ كان عكرمة أكثر اعتمادًا على اللغة من سعيد، فكان استشهاده بالشعر، ودقته في التفريق بين الكلمات القرآنية، ومعرفة المعرب من الألفاظ القرآنية، مميزات تقدم فيها على صاحبه[٥].

٧ ـ وفي الجملة، فقد كان تفرغ عكرمة وانقطاعه لعلم التفسير أكثر من سعيد، وقد لاحظنا فيما سبق أن ثناء الأئمة على عكرمة جاء في التفسير خصوصًا، فهذا أبو حاتم

---

(١) وفي تحديد المكي، والمدني، استشهد ابن الجوزي بما روي عن عكرمة في (٢٦) موضعًا، في حين لم يعتمد قول سعيد بن جبير إلا في موضعين فقط.

(٢) سنن سعيد بن منصور كتاب التفسير (١/ ١٧٤) ٤١، وشعب الإيمان للبيهقي (٥/ ٢٣١) ٢٠٨٨.

(٣) يأتي تفصيل ذلك في مبحث النسخ ص (١٠٨١).

(٤) سبق الإشارة إلى ذلك في ترجمة عكرمة ص (١٥٨).

(٥) سبق تفصيل ذلك في ترجمة عكرمة ص (١٦١).

عندما سئل : أيهما أعلم بالتفسير عكرمة أو سعيد؟ ، قال أصحاب ابن عباس عيال في التفسير على عكرمة[١] .

بل إن سعيداً لما سئل فقيل له : تعلم أحداً أعلم منك، قال : نعم . عكرمة ، في حين ورد الثناء على سعيد في جمعه لعديد من العلوم[٢] .

٨ ـ كان لرحلات عكرمة، وكثرة أسفاره في البلاد، الأثر البالغ في نشر تراث المدرسة المكية، وأما سعيد فكان أقل منه في ذلك .

وفي مقابل هذا نجد أن سعيداً فاق عكرمة فيما يلي :

١ ـ كان سعيد ـ رحمه الله ـ أكثر إتقانًا وضبطًا في الرواية من عكرمة . وقد عدّه ابن المديني من أثبت أصحاب ابن عباس[٣] .

وعد ابن معين مراسيله أقوى من مراسيل عطاء، ومجاهد، وطاووس[٤] . بل كان سعيد يتابع عكرمة، ويسمع منه، ويصحح ما يراه صوابًا .

فعن أيوب السختياني قال : اجتمع حفاظ ابن عباس على عكرمة، منهم سعيد بن جبير، وعطاء، وطاووس، فكان كلما حدث بحديث، قال سعيد بن جبير : هكذا، وعقد أبو صالح ثلاثين ـ يعني : أصاب ـ حتى أتى على حديث الحوت، فقال عكرمة : كان يسايرهم في ضحضاح من ماء، فقال سعيد بن جبير : أشهد على ابن عباس أنه قال : كان يسايرهما في مكتل[٥] .

وأحسب أن مما أهله لذلك؛ اتصاله بمشاهير مدرسة الكوفة، والذين كانوا من أشد

---

(١) الجرح (٩١٧)، والتعديل والتجريح (٣/ ١٠٢٣)، وتاريخ الإسلام (ح ١٠٧ هـ/ ١٧٨).
(٢) التاريخ الكبير (٧/ ٤١٢)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧٢).
(٣) العلل لابن المديني (٤٩)، والمعرفة (٢/ ١٤٧).
(٤) جامع التحصيل (٩٠).
(٥) العلل لأحمد (٣/ ٣٧٩) ٥٦٦٧، (٣/ ٣٦٩) ٥٦٢٢.

التابعين نقداً وشدة في قبول الروايات، مع ما كان عنده من الحرص على الكتابة - رحمه الله -.

٢ - كان سعيد أكثر عناية بالآثار، وبعداً عن الآراء من عكرمة، فقد غلَّب الرواية على الدراية، وقد اتضح هذا من خلال ما روي عنهما في التفسير، ومن خلال طول مصاحبة سعيد لابن عمر[١]، بخلاف ما كان من حال عكرمة[١].

٣ - كان اهتمام سعيد بالقراءات وتقدمه فيها أكثر من عكرمة، واتضح هذا الاهتمام كذلك بعد تتبع المروي عن ابن عباس في القراءات، حيث حاز سعيد قصب السبق في ذلك[٢].

٤ - كان سعيد أكثر تساهلاً في التحديث عن بني إسرائيل من عكرمة[٣].

٥ - كانت عناية سعيد بآيات الأحكام وتفسيرها أكثر من عكرمة[٤].

٦ - المروي، والمنقول من تفسير ابن عباس عن سعيد أكثر[٥]، مع أن عكرمة كان أكثر ملازمة، وأطول بقاءً عنده، وأحسب أن السبب الرئيس في ذلك دخول عكرمة في شيء من الأهواء، مما عكر صفو المروي عنه، حيث رد بعض الأئمة روايته بسبب ذلك. بخلاف سعيد الذي لم يتردد أحد في الأخذ منه والنقل عنه[٦].

---

(١) العلل لأحمد (٢/ ١٤٧) ١٨٢١.

(٢) عني سعيد بنقل (٢٠,٠) من مجموع ما جاء عن ابن عباس في القراءات، في حين بلغت نسبة ما جاء عن عكرمة (١٣,٠)، وعن مجاهد (٠٧,٠)، وعن عطاء (٠٣,٠).

(٣) بلغ نسبة المروي عن سعيد في الإسرائيليات (٠٦,٠) من مجموع تفسيره، في حين لم تتجاوز (٠٣,٠) من تفسير عكرمة.

(٤) بلغ نسبة المروي عن سعيد (٠٩,٠) من مجموع تفسيره، في حين بلغت عن عكرمة (٠٤,٠).

(٥) حيث بلغ المروي عنه في ذلك (١٢,٠) من مجموع تفسيره، وعن عكرمة (٠٩,٠).

(٦) سبق تفصيل ذلك في ترجمة عكرمة ص (١٦٨).

بين عطاء بن أبي رباح، وأصحاب ابن عباس :

فارق عطاء ـ رحمه الله ـ أصحابه في بعض المسالك، بل هو من أكثر الأربعة المشاهير اختلافًا ومفارقة، وكان وراء ذلك العديد من الأسباب :

١ ـ قلة المروي عنه في التفسير : فهو من أقل المشهورين رواية في التفسير[١] ، ومن أكثرهم تحرجًا فيه، بل كان يطلب من تلميذه ابن جريج أن يعفيه إذا سأله عن التفسير[٢] . مع ما كان عنده من الورع في بلاغ علمه، ولذا فإن أكثر علمه إنما أخذ منه بالسؤال، وأيضًا فقد كان الحاضرون لحلقته قليل، ومن ثمَّ قل المروي عنه[٣] .

٢ ـ كان ـ رحمه الله ـ من أكثرهم عناية بالفقه، والإفتاء، بل إنه فاقهم في الفتوى[٤] ، وصار أعلمهم بالمناسك[٥] .

والمكيون ـ عمومًا ـ لم يهتموا بالفقه والأحكام الفرعية كاهتمامهم بالتفسير؛ إلا أن عطاء خالفهم في هذا.

٣ ـ هو أقلهم رواية عن بني إسرائيل ، مع أن المدرسة المكية من أكثر المدارس رواية عن أهل الكتاب.

٤ ـ كان ـ رحمه الله ـ من أقلهم ملازمة لابن عباس، يتضح هذا عند قراءة سيرته، ومقارنتها بغيره من أصحابه، ولذا فهو من أقلهم رواية عنه[٦] .

---

(١) بلغ المروي عنه عند ابن جرير (٤٨٠) قولاً.

(٢) العلل لأحمد (٢/ ١٣١) ١٧٨٢.

(٣) اللآلئ الحسان (٣٣٦).

(٤) الجرح (٦/ ٣٣٠)، وتهذيب الأسماء (١/ ٣٣٤)، والعقد الثمين (٦/ ٨٥).

(٥) العلل لأحمد (٣/ ٤٤٤) ٥٨٨٨.

(٦) روى سعيد بن جبير (١٢ , ٠) من مجموع تفسير ابن عباس، في حين بلغت النسبة عن عكرمة (٠٩ , ٠)، وعن مجاهد (٠٣ , ٠)، وعن عطاء (٠٢ , ٠).

٥ ـ كان من أكثرهم حرصًا على الآثار، وروايتها، وكان من أكثر أصحاب المدرسة المكية تساهلاً في روايته للمراسيل، وكان يأخذ عن كل أحد، حتى عُدَّت مراسيله من أضعف المراسيل[١].

ولذا فهو من أبعدهم عن الرأي، بل إن مما ميزه عن غيره، سفره إلى المدينة، وأخذه الحديث عن أئمتها.

يقول مجاهد وغيره من المكيين: لم يزل شأننا متشابهًا متناظرين، حتى خرج عطاء ابن أبي رباح إلى المدينة، فلما رجع إلينا استبان فضله علينا[٢].

ولذا يقول الإمام الشافعي: ليس من التابعين أحد أكثر اتباعًا للحديث من عطاء[٣].

وخلاصة القول: إن عطاء ـ رحمه الله ـ كان من أكثر المشاهير من مفسري مكة مخالفة لمنهج شيخه، ومسلك أصحابه، وكان من أشدهم ورعًا، ولذا فإنه قلَّ أن يتعرض للمشكل من الآيات. وكان ـ رحمه الله ـ من أضعفهم في معرفة لغات أهل قبائل العرب، وغيرها من معرب القرآن[٤].

أسباب كثرة المروي عنهم:

تميزت المدرسة المكية من بين سائر المدارس بكثرة تناولها للآيات وتفسيرها، وأسهمت إسهامًا قيمًا في الإبانة عن كثير من المعاني التي يحتاج إليها، ويرجع ذلك لأسباب عديدة من أهمها:

---

(١) الجرح (١/ ٢٤٣)، والمعرفة (٣/ ٢٣٩)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٨٣).

(٢) المعرفة (١/ ٤٤٣).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٣٣).

(٤) وقد سبق ذلك في ترجمته ص (١٩٤).

١ ـ إمامة ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ للمدرسة :

وقد سبق أن بينا تقدم ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بين الصحابة في علم التفسير، ببركة دعائه ﷺ ، وما كان من حاله في كثرة اشتغاله بالتفسير، وتأخر وفاته، وغير ذلك، مما كان وراء كثرة المروي عنه في علم التأويل.

كل ذلك كان له الأثر المباشر في نفوس أصحابه، ولذا يتبين للناظر في مرويات تلاميذه، أن من أهم أسباب كثرة المروي عنهم أخذهم العلم عنه ـ رضي الله عن الجميع ـ وكان أصحابه يفاخرون غيرهم من التابعين بتلك الإمامة.

فهذا مجاهد ـ رحمه الله ـ يقول: نحن ـ أهل مكة ـ نفخر على الناس بأربعة: بفقيهنا، وقاصّنا، ومؤذننا، وقارئنا، فأما فقيهنا فابن عباس، وأما مؤذننا فأبو محذورة، وأما قارئنا فعبد الله بن السائب، وأما قاصّنا فعبيد بن عمير[1] .

وحق لهذه المدرسة أن تفاخر بابن عباس الذي كان من أعلم الصحابة، وأكثرهم قولاً في التفسير؛ حتى إن الذي يليه من الصحابة في كثرة المروي عنه، وهو ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ لا يعادل المروي عنه في التفسير سدس المروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

٢ ـ الأثر المكاني على المدرسة :

فمكة هي البلد الحرام، وفيها بيته الذي جعله الله مثابة للناس وأمنًا، فالثائبون له من الحجاج والعمار، يترددون عليه المرة تلو الأخرى، تأتي مواكب الحجيج من كل فج عميق، لحج بيته، وليشهدوا منافع لهم، وليتعلموا العلم النافع، فإذا قضوا مناسكهم حملوا ما مَنَّ الله به عليهم من العلم، لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٤٥)، وفضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٧٧) ١٩٢٦، (٢/ ٩٨١) ١٩٤١، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٤٣).

فعن معتمر بن سليمان قال: كانوا يجتمعون على عطاء في المواسم، فكان سليمان ابن موسى هو الذي يسأل لهم[١].

وقد كان كثير من الأئمة ممن ليسوا من المكيين لعيشهم، ونشأتهم في حواضر، ومدن بعيدة عن مكة، إلا أنه كان لترددهم عليها مرات عديدة الأثر البالغ في منهجهم، فأصبحوا إلى المدرسة المكية أقرب منهم إلى مدارسهم، فهذا أبو العالية حج أكثر من ست وستين حجة[٢].

وكان سعيد بن جبير يتردد على مكة في العام مرتين: مرة حاجًا ومرة معتمراً[٣]، وحج طاووس أكثر من أربعين حجة[٤].

٣ ـ كثرة رحلاتهم، وأسفارهم:

فمع أن المركز الرئيس لهذه المدرسة هو مكة، التي كان يشع منها نور العلم، فيستفيد منه الحجاج، والوافدون إلى بيت الله؛ إلا أن أصحاب هذه المدرسة لم يكتفوا بهذا، بل حرصوا على التنقل، والتجوال في الأقطار والبلدان، لينتشر هذا العلم في أصقاع المعمورة.

ولعل من أبرز من يمثل هذا بين المكيين عكرمة مولى ابن عباس، فقد رحل إلى البصرة، وكانت رحلة خير وبركة، حتى إن إمامها الحسن البصري ترك كثيراً من التفسير، لما قدم عكرمة[٥].

وكان مجاهد قريبًا منه، فكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب، ونظر إليها، وقد رحل

---

(١) العلل لأحمد (٢/ ٢٣٣) ٢١٠٨.
(٢) المعارف (٢٠٠)، وشذرات الذهب (١/ ١٠٢)، سبق بيانه في ترجمته ص (٢٩١).
(٣) الزهد لأحمد (٤٤٣)، والحلية (٤/ ٢٧٥)، سبق بيانه في ترجمته ص (١٤٠).
(٤) المعرفة (١/ ٧٠٦).
(٥) تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٣)، والسير (٥/ ١٨).

إلى الكوفة، وأفاد من قراءة ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، ورحل إلى رودس[١] ، وأقام بها سبع سنين، وسافر إلى المدينة في صحبة ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

أما عطاء بن أبي رباح ، فقد سافر إلى المدينة، فاستبان فضله على أصحابه بعد رجوعه، وفاقهم في علم الآثار، والسنن.

وأحسب أن المدرسة المكية من أكثر المدارس عناية بالرحلات والأسفار، لما تعطيه للعالم من مادة وفيرة، هي بطبيعتها تفتق الذهن وتنمي المدارك، وتعطي الفكر مادة من الصور توسع تصوره، وتفتح له مجالاً رحبًا لنشر علمه.

٤ ـ حرصهم على نشر علمهم :

كان للمنهج التعليمي عند ابن عباس في تدريب أصحابه، وأمرهم بالانطلاق، وإفتاء الناس، وحثهم على الأخذ منهم[٢] ، أثر بالغٌ في تشجيع هؤلاء التلاميذ على التقدم، والإكثار من البلاغ والنشر لكل ما علموه؛ حتى إننا نجد سعيد بن جبير عندما يذهب إلى الكوفة يحزن ويتألم أن يبقى أيامًا لا يأتي أحد لسؤاله[٣] .

وكان يأمرهم أن يسألوه[٤] ، ويقول: إن مما يهمني أن يؤخذ ما عندي من العلم[٥] .

وهذا عكرمة لما رحل إلى البصرة ينكر عليهم عدم سؤالهم إياه، ويقول: ما لكم لا تسألونني أفلستم[٦] .

---

(١) سبق تفصيل هذا في ترجمته ص (١٣٠).
(٢) سبق بيانه في منهج ابن عباس التعليمي مع أصحابه ص (٣٩٠).
(٣) طبقات المحدثين بأصبهان (١/ ٣١٨)، والبداية (٩/ ٩٨).
(٤) المعرفة (١/ ٧١٣).
(٥) الحلية (٤/ ٢٨٣)، والسير (٤/ ٣٢٧).
(٦) سنن الدارمي (١/ ١٣٧)، والعلل لأحمد (٢/ ١٩٣) ١٩٧٩.

وكان يقسم أحيانًا ألا يحدثهم، ثم يحدثهم بعد ذلك[١] .

وكان مجاهد يتأول هذه الآية من قوله سبحانه: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾[٢] فيقول: جعلني معلمًا للخير[٣] .

وسعيد بن جبير يتأول قوله تعالى: ﴿ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾[٤] قال: هذا من العلم[٥] .

٥ ـ التصنيف، والتدوين المبكر لآثار المدرسة :

كان للمدرسة المكية القدح المعلى في سبق غيرها في التصنيف في هذا الباب[٦] .

وقد تصدر لهذا العلم ابن جريج، الذي كان أحد الملازمين لعطاء بن أبي رباح[٧] ، فأخذ كثيرًا من تفسير مجاهد، وروى عنه[٨] .

ثم تفرد بعد طبقة التابعين بالإمامة في مكة، فدوَّن العلم، وحمله عنه الناس[٩] ، ولذا كان ـ رحمه الله ـ يقول: ما صنف أحد العلم تصنيفي[١٠] .

(١) العلل لأحمد (٢/ ١٢٨) ١٧٧٥، و(٢/ ٤٥٥) ٣٠٢٧.
(٢) سورة مريم: آية (٣١).
(٣) العلم لأبي خيثمة (١١٦).
(٤) سورة النساء: آية (٣٧).
(٥) العلم لأبي خيثمة (١١٨).
(٦) جاءت المدرسة البصرية بعدها في هذا، وإن كان هناك فرق ينبغي الإشارة إليه: أن راوية البصرة سعيد بن أبي عروبة غلبت عليه الصناعة الحديثية، فكان دوره الرواية فحسب، وأما ابن جريج فإنه كان أحد الأئمة المشهورين بالرواية والدراية، لا سيما في التفسير، وله كتاب في التفسير. ينظر تاريخ التراث (١/ ١٣٠)، ومعجم المؤلفين (٦/ ١٨٤).
(٧) سبق الإشارة إلى ذلك في ترجمة عطاء ص (١٩٤)، وقد روى ابن جريج نصف تفسير عطاء أي ما يقارب (٢٤٠) قولاً.
(٨) وروى من تفسير مجاهد ما نسبته (١٥, ٠) من مجموع تفسيره، أي ما يقارب (٩١٦) قولاً.
(٩) السير (٦/ ٣٣٢).
(١٠) العلل لأحمد (٢/ ٣١١) ٢٣٨٣، والسير (٦/ ٣٢٧).

قال عبد الرزاق الصنعاني: أول من صنف الكتب ابن جريج[١].

وقال ابن الأهدل: هو أول من صنف الكتب في الإسلام[٢].

وكان ـ يرحمه الله ـ غاية في الدقة، والتحري.

فعن يحيى بن سعيد قال: كنا نسمي كتب ابن جريج، كتب الأمانة[٣].

٦ ـ قلة العلم في مكة زمن كبار الصحابة:

وهذا سبب آخر من أسباب كثرة مرويات المدرسة المكية، حيث كان العلم قليلاً زمن الصحابة، ثم كثر في أواخر عصرهم[٤].

فعن ابن الأبجر عبد الملك بن سعيد الكوفي، قال: إنما فقه أهل مكة حين نزل ابن عباس بين أظهرهم[٥].

ولعل هذا مما زاد من الحاجة إلى علمهم، فبلغوه، ونشروه، بخلاف تلك المدارس التي كثرت فيها السنن عنه ﷺ، أو عن أصحابه، فاستغنى الناس بأولئك زمانًا، ولم يحتج الناس إلى كثير من علمهم.

٧ ـ كثرة اشتغالهم بالتفسير:

تميز المكيون بالانصراف لعلم تأويل الكتاب، فصرفوا فيه غاية الجهد، وبرز من

---

(١) الجرح (٥/ ٣٥٧)، وشرح علل الترمذي لابن رجب (٥٠).

(٢) الشذرات (١/ ٢٢٦).

(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ٤٠٤)، وتهذيب الكمال (١٨/ ٣٤٨).

(٤) الأمصار ذوات الآثار للذهبي (١٥٦)، على عكس المدينة التي كان العلم بها وافرًا زمن الصحابة، ينظر المرجع السابق (١٥١).

(٥) فضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٦٨) ١٨٩٤، والعلل لأحمد (٣/ ٢٣٩) ٥٠٥١، والجرح (٤/ ٣٥١).

المكيين في هذا مجاهد، الذي قال عن نفسه: استفرغ علمي القرآن[١].

بل إنه ـ رحمه الله ـ مع إمامته في التفسير، وكونه آية في فهمه وعلمه، كان لا يحسن الفرائض[٢]، ولم يشتغل كثيراً بالحديث، أو الفقه.

وقريبًا منه عكرمة، الذي برز في هذا العلم، حتى عدّه بعضهم إمام مدرسة مكة، ومن أعلم أصحاب ابن عباس في التفسير[٣].

وقد انعكس ذلك عليهم في علوم أخرى، فقلَّ إسهامهم فيها، ففي علم المغازي والسير الذي شُغلت به كثير من المدارس، كانت مكة من أقلهم حظًا فيه، ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: فأعلم الناس بالمغازي أهل المدينة، ثم الشام، ثم العراق[٤].

ومما يدل على انقطاع هذه المدرسة لهذا العلم، وتخصصهم فيه، أنها من أكثر المدارس حديثًا عن كليات القرآن، ومبهماته، وأسباب نزوله، وبلغ اهتمام بعضهم أن عدّ كلمات القرآن، وحروفه، وغير ذلك من العلوم الخادمة للقرآن.

٨ ـ الاجتهاد، والقدرة على الاستنباط:

هابت كثير من المدارس الخوض في التفسير، والإكثار من القول في التأويل، وكثرت النصوص والآثار المنقولة عنهم في التحذير من هذا، وكانت مدرستا الكوفة والمدينة من أكثر المدارس بعدًا عن التأويل وحذرًا منه.

وفي المقابل كانت المدرسة المكية أكثرهم توسعًا في باب التأويل، ولعل الفضل في هذا ـ بعد الله ـ يعود لأستاذهم ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ الذي كان يأمرهم بالتعلم

(١) المعرفة (١/ ٧١٢).
(٢) العلل لأحمد (٣/ ٨٥) ٤٢٩٢.
(٣) الجرح (٧/ ٩).
(٤) مقدمة في أصول التفسير (٦٠).

منه، ثم الإفتاء بحضرته، ثم الانطلاق بعد ذلك لتعليم الناس، وقد كان جل ما أخذوه وعلموه من شيخهم متعلقًا بتفسير كتاب الله تعالى.

على أنه لم يرض بعض الصحابة المعاصرين لابن عباس هذا المسلك منه، فكان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يقول: لم تكن تعجبني جرأة ابن عباس[١].

وقد سلك أصحابه مسلكه، ونهجوا سبيله، فكانوا يتنقلون في البلدان، معلمين، وناشرين لعلم التأويل، فعكرمة لما قدم المدينة، واستقر بها، وأخذ في نشر بضاعته من علم التفسير لم يلق اجتهاده، وعلمه رواجًا، لاسيما وأن إمام المدرسة في عصره سعيد ابن المسيب كان ينكر عليه صنيعه هذا، وعندما يسأل عن شيء من القرآن يقول: لا تسألني، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه شيء[٢].

وكان عكرمة يقول: إني لأسمع بالكلمة الواحدة، فينفتح لي بها خمسون بابًا من العلم[٣].

ولما رحل مجاهد إلى الكوفة، وكانوا أهل قياس كان من أسهلهم فيه[٤].

٩ ـ كتابة التفسير:

المدرسة المكية من أقل المدارس تحرجًا في باب تدوين العلم بعامة والتفسير بخاصة، ولذا فأصحابها من أكثر التابعين عناية بكتابة التفسير.

وقد أفادوا هذا المنهج من شيخهم ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ الذي كان يأمرهم بالكتابة.

---

(١) سبق تفصيل هذه القصة في ترجمة ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.
(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٢٨)، وتفسير الطبري (١/ ٨٦) ١٠١.
(٣) تاريخ دمشق (١١/ ٧٧٣)، والتذكرة (١/ ٩٦).
(٤) تأويل مختلف الحديث (٧٤).

فعن ابن أبي مليكة قال: رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومع ألواحه، فيقول له ابن عباس: اكتب. حتى سأل عن التفسير كله[١].

وعن عبيد بن مهران قال: رأيتهم يكتبون التفسير عند مجاهد[٢]. وقد ألف مجاهد كتاباً في التفسير، رواه عنه القاسم بن أبي بزة، وأفاد منه ابن أبي نجيح، وابن جريج[٣].

وهذا سعيد بن جبير، كان حريصاً أشد الحرص على الكتابة، فيقول عن نفسه: ربما أتيت ابن عباس، فكتبت في صحيفتي حتى أملأها، وكتبت في نعلي حتى أملأها، وكتبت في كفي[٤].

وعن ورقاء بن إياس قال: رأيت عزرة يختلف إلى سعيد بن جبير، معه التفسير في كتاب، ومعه الدواة يغير[٥].

وقد كتب تفسيراً كاملاً للقرآن طلبه منه عبد الملك بن مروان، وأرسله إليه، وأفاد منه أهل الشام، ووجده عطاء بن دينار المصري، فأخذه معه إلى مصر، وأفاد منه.

ولذا يقول أبو حاتم: عطاء بن دينار صالح الحديث، إلا أن تفسيره أخذه من الديوان، فإن عبد الملك بن مروان كتب يسأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بهذا التفسير إليه، فوجده عطاء بن دينار في الديوان، فأخذه، فأرسله عن سعيد بن جبير[٦].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٩٠) ١٠٧، ومقدمة في أصول التفسير (٢٨).
(٢) سنن الدارمي (١/ ١٢٨)، وتقييد العلم (١٠٥).
(٣) الفهرست (٣٣)، ومشاهير علماء الأمصار (١٤٦).
(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٧)، والسير (٤/ ٣٣٥).
(٥) التاريخ الصغير (١/ ٢٢٧).
(٦) الجرح (٦/ ٣٣٢)، والميزان (٣/ ٧٠)، والتهذيب (٩/ ١٩٨).

وكان عطاء بن أبي رباح ـ رحمه الله ـ يُسأل، فيكتب الجواب بين يديه، وبحضرته، فلا يمنع ذلك[١].

وكان عكرمة مولى ابن عباس ـ رحمه الله ـ كتب كتابًا نسخه عبد الله بن الأسوار، ونزل به إلى صنعاء، فأخذه عنه ابن عمرو بن عبد الله، فلما قدم عكرمة اليمن، وكان ينزل عند أبيه، جعل عمرو يسأل عكرمة، فعلم أنه أخذه من كتابه، فقال له: علمت أن عقلك لم يبلغ هذا[٢].

هؤلاء هم أئمة المدرسة المكية، وقد كانوا جميعًا يكتبون، أو يكتب عندهم، فلا ينكرون، وأما غيرهم من مشاهير المدارس الأخرى، فقد كان بعضهم يكره أن يكتب شيئًا، أو يكتب عنده، كما نجد ذلك في طبقة كبار مدرسة الكوفة، ومتوسطيها وغيرهم.

١٠ ـ البعد عن الفتن:

كانت مكة أكثر استقرارًا من غيرها من البلاد، فكان العلماء يهرعون إليها فارين بعلمهم من الفتن.

ولذا وفد إلى مكة الكثير من العلماء، ومن أشهر هؤلاء سعيد بن جبير، الذي بقي فيها زمنًا طويلاً، وكان ذلك من أسباب كثرة المروي عنه، ومن أسباب تأثره بالمدرسة المكية، حتى عُدَّ من المكيين.

أثرها:

كانت المدرسة المكية من أكثر المدارس تأثيرًا في مفسري التابعين ومدارسهم، وقد تهيأ ذلك بسبب إمامة ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وسبقه في علم التفسير، مع ما

(١) سنن الدارمي (١/ ١٢٩).

(٢) الجرح (٦/ ٢٤٤)، والميزان (٣/ ٢٩٥)، والتهذيب (٨/ ٦١).

صاحب ذلك من حرص أصحابه على نشر علمه في بقية البلدان.

أثرها على المدرسة الكوفية:

مثَّل سعيد بن جبير حلقة اتصال مهمة بين المدرستين[١]، مما كان له الأثر في تقارب المدرستين الكوفية، والمكية، حتى صارتا من أكثر المدارس تقاربًا، واتفاقًا.

ومن المعلوم أن الكوفة كانت تتجنب الخوض في التفسير والإكثار فيه، إلا أن سعيد ابن جبير الذي كان من أكثر تلاميذ ابن عباس رواية عنه في التفسير أكثر من نقل رواية تفسير شيخه، وبثه بين طبقة متوسطي التابعين، فتناقله تلاميذه من صغار التابعين، ومن بعدهم.

وكان ـ رحمه الله ـ يحرص على تدارس آثار ابن عباس، ونشرها في مساجد الكوفة، وحلقها.

فعن مسلم البطين قال: رأيت أبا يحيى الأعرج ـ وكان عالمًا بحديث ابن عباس ـ اجتمع هو وسعيد بن جبير في المسجد فتذاكرا حديث ابن عباس[٢]، وكان سعيد ـ رحمه الله ـ يجمع المسائل المختلف فيها عند أهل الكوفة، ويبعث بها إلى شيخه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أو يرحل إليه ليسأله عنها.

فعنه قال: آية اختلف فيها أهل الكوفة، فرحلت فيها إلى ابن عباس، فسألته عنها فقال: نزلت هذه الآية ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾[٣]، وهي آخر ما نزل وما نسخها شيء[٤].

---

(١) سبق بيان اختلاف أهل العلم في نسبة ابن جبير، فعده الأكثرون كوفيًا، وعده بعضهم مكيًا ص(١٣٧).

(٢) المعرفة (٢/ ١٦).

(٣) سورة النساء: آية (٩٣).

(٤) تفسير الطبري (٩/ ٦٦) ١٠١٩٧، والرحلة في طلب الحديث (١٣٩)، وتفسير عبد الرزاق (١/ ١٦٧)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، وأبي داود، وابن جرير، والطبراني عن سعيد بنحوه (٢/ ٦٢٣)، وفتح القدير (١/ ٤٩٩).

وكان إمام الكوفة في الفقه إبراهيم النخعي كثيراً ما يسأل سعيداً عن قول ابن عباس، ويدارسه إياه، لا سيما ما كان في تأويل آيات الحج.

فعن إبراهيم عن علقمة قال: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[١].

قال: هو في قراءة عبد الله (وأقيموا الحج والعمرة إلى البيت)، قال: لا تجاوزوا بالعمرة البيت، قال إبراهيم: فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال: كذلك قال ابن عباس[٢].

وعن إبراهيم، عن علقمة قال: إذ أهلّ الرجل بالحج فأحصر، بعث بما استيسر من الهدي: شاة، قال إبراهيم: فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال: كذلك قال ابن عباس[٣].

وعن إبراهيم عن علقمة قال: إذا أهل الرجل بالحج فأحصر، بعث بما استيسر من الهدي: شاة، فإن عجل قبل أن يبلغ الهدي محله، فحلق رأسه، أو مس طيبًا، أو تداوى، كان عليه فدية من صيام أو صدقة أو نسك، قال إبراهيم: فذكرت ذلك لسعيد ابن جبير فقال: كذلك قال ابن عباس[٤].

وسأل إبراهيم سعيد بن جبير عن هذه الآية: ﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة: آية (١٩٦).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٧) ٣١٨٥.

(٣) المرجع السابق (٤/ ٢٨) ٣٢٥٤، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن إبراهيم، بزيادة في أوله (١/ ٥١٢)، وفتح القدير (١/ ١٩٨).

(٤) المرجع السابق (٤/ ٥٥) ٣٣٢٥.

(٥) سورة البقرة: آية (١٩٦).

فأجاب بقوله: يُحْكَم عليه إطعامٌ، فإن كان عنده اشترى شاة، فإن لم تكن قوِّمت الشاة دراهم، فجعل مكانه طعامًا، فتصدَّق، وإلا صام لكل نصف صاع يومًا، فقال إبراهيم: كذلك سمعت علقمة يذكر[١].

وقد اتضح أثر المنهج المكي في طبقة صغار التابعين من بعدهم، فقد اهتموا بنقل أقوال ابن عباس، وروايتها أكثر من اهتمامهم بأقوال أصحابهم، ومشايخهم في الكوفة.

فالسدي، الذي يُعد من مشاهير مفسري التابعين، ومن أكثر الكوفيين رواية وتفسيرًا[٢] كان جل علمه في التفسير مأخوذًا عن ابن عباس، وفي ذلك يقول: هذا التفسير أخذته عن ابن عباس[٣].

وكان الضحاك بن مزاحم أحد مشاهير مفسري أتباع التابعين ومكثريهم[٤] في الكوفة. نجد أن تفسيره كله كان عن ابن عباس، لقي سعيد بن جبير، فأخذه عنه[٥].

وامتد هذا الأثر في عصر أتباع التابعين، فهذا سفيان الثوري، الذي يعد من أعلم الناس بمذهب أهل الكوفة، وكان يذهب مذهبهم، ويفتي بفتواهم، كما يقول ابن المديني، تأثر في التفسير بأصحاب ابن عباس، ونقل عنهم جلَّ تفسيره[٦]. بل كان يقدمهم في التفسير على أصحابه من الكوفيين، وفي ذلك يقول: خذوا التفسير عن

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٧٤) ٣٣٧٦.

(٢) بعد مراجعة تفسير الطبري، وجدت أن المروي عن السدي (١٦٨٢) قولاً، في حين كان عن إبراهيم النخعي (٦٠٨) أقوال، وعن عامر الشعبي (٤٦١) قولاً.

(٣) أخبار أصبهان (١/ ٢٠٤)، ومعجم الأدباء (٧/ ١٦).

(٤) بعد مراجعتي لتفسير الطبري، وجدت أن المروي عنه كان (١٢١٤) قولاً.

(٥) تاريخ أبي زرعة (١/ ٣٠٧) (٢/ ٦٧٧)، والمعرفة (٢/ ١٤٨).

(٦) وقد سبق بيان ذلك في فصل مصادر تفسير التابعين، ص (٦٩).

أربعة: عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة[١].

فعدهم جميعًا من أصحاب ابن عباس، ولم يقدم عليهم أحدًا من أصحابه الكوفيين.

أثرها على المدرسة البصرية:

كان الأثر المكي على الكوفة أكثر منه على البصرة، وإن كانت البصرة قد تأثرت بتولي ابن عباس - رضي الله عنهما - إمارة البصرة من قبل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وبقائه بها أربع سنين[٢] فأخذ عنه بعض أئمة المفسرين من البصرة، ومن أشهر هؤلاء أبو العالية، الذي صحب ابن عباس - رضي الله عنهما - وكان يدنيه ويجلسه على السرير معه، وكان أبو العالية كثير التردد على مكة، فقد حج ما يزيد عن ست وستين حجة، وكان إلى المنهج المكي أقرب منه إلى البصري[٣].

وتتلمذ على ابن عباس جابر بن زيد، وأخذ عنه كثيرًا من المسائل الفقهية حتى عدَّ من أصحابه[٤].

ولم يكن تأثر المدرسة البصرية بالمدرسة المكية مختصًا بابن عباس، بل إن عكرمة مولى ابن عباس رحل إليها، فأعجب الحسن بعلمه، وبتقدمه في باب العلم بالقرآن، وتفسيره، فكان يسكت عن التفسير إجلالاً له، واعترافًا بقدره في هذا العلم، بل ترك كثيرًا من التفسير لما دخل عكرمة البصرة[٥].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٩١)، ومقدمة في أصول التفسير (١٠٣).
(٢) البداية والنهاية (٨/ ٣٢٧).
(٣) سبق بيان ذلك في فصل أشهر رجال المدارس عند ترجمة أبي العالية ص (٢٩١).
(٤) يأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن مدرسة البصرة ص (٤٤١).
(٥) طبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٨١).

وكان عكرمة يجالس البصريين فيحدثهم، ثم يقول: يحسن حسنكم مثل هذا[١].

وقد أخذ عنه غير واحد من البصريين، فنقل عنه قتادة بعضًا من تفسيره[٢].

بل كان يقدمه في علم التفسير على شيخه فيقول: أعلم الناس بالتفسير عكرمة[٣].

كما أن عكرمة ـ رحمه الله ـ كان من أكثر أصحاب ابن عباس نشرًا لتراثها، فقد رحل إلى المدينة، والكوفة، ومصر، والمغرب، وطاف غالب البلدان، فكان لذلك أثره البالغ في تلك الأمصار[٤].

• • •

(١) تاريخ أبي زرعة (١/ ٦٨٠).

(٢) بعد مراجعتي لتفسير عكرمة عند الطبري، وجدت أن (٣٠) رواية في التفسير جاءت من طريق قتادة، وقتادة سمع عن عكرمة، ولم يسمع من مجاهد وابن جبير شيئًا، ولذا قلَّ أن يروي عنهما، يُنظر سؤالات ابن الجنيد لابن معين (٣١٧، ٣٦٢).

(٣) التمهيد (٢/ ٣١)، ورياض النفوس (١/ ١٤٥).

(٤) سيأتي عند بحث التفسير في مصر بيان أثر المدرسة المكية على التفسير في مصر بشيء من التفصيل، ينظر ص ٥٤٢.

المبحث الثاني

المدرسة البصرية

أول من مصَّر البصرة عُتبة بن غزوان ـ رضي الله عنه ـ، اختطها سنة أربع عشرة[١]، بأمر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، وهي أقدم من الكوفة بثلاث سنين[٢].

وهي منافسة لمدرسة الكوفة في كل الفنون، وقد نزلها من الصحابة جمع كثير[٣]، منهم أبو موسى الأشعري، وعمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ، وعدة من الصحابة كان خاتمتهم أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ[٤].

ومن أشهر من نزل البصرة أبو موسى الأشعري، وأنس بن مالك.

فأما أبو موسى ـ رضي الله عنه ـ فيمني قدم مكة، وأسلم، وهاجر إلى الحبشة مع من هاجر، وكان يعد من أعلم الصحابة، وقد قدم البصرة، وعلم بها. سأل عمر بن الخطاب أنس بن مالك: كيف تركت الأشعري؟ فقال: تركته يعلم الناس

---

(١) المعارف (٢٤٥)، وأسد الغابة (٣/ ٥٦٦)، والإصابة (٢/ ٤٥٥).

(٢) المعارف (٢٤٦).

(٣) عدَّ ابن حبان أكثر من خمسين صحابيًا من المشاهير الذين دخلوا البصرة، ينظر مشاهير علماء الأمصار (٣٧ ـ ٤٢).

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٦)، وطبقات الفقهاء (٥٣)، ورجال صحيح مسلم (١/ ٦٥)، وتهذيب تاريخ دمشق (٣/ ١٤٤).

القرآن[١] .

أما أنس فهو ابن مالك: بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام، أبو حمزة[٢] النجاري الخزرجي[٣] ، خادم رسول الله ﷺ ، كان يتسمى بذلك ويفتخر به وحق له ذلك[٤] .

يقول ـ رضي الله عنه ـ : خدمت النبي ﷺ عشر سنين وأنا غلام[٥] .

ويقول أيضًا: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين ومات وأنا ابن عشرين سنة[٦] .

وقد دعا له النبي ﷺ بكثرة المال، والولد، والمباركة في العمر فقال عليه الصلاة والسلام: «**اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه**»[٧] .

قال الذهبي، وقد سرد صاحب التهذيب نحو مائتي نفس من الرواة عن أنس[٨] ، وروى ألفي حديث ومائتين وستة وثمانين حديثًا ، اتفق البخاري ومسلم على مائة وثمانين حديثًا ، وانفرد البخاري بثمانين حديثًا، ومسلم بتسعين[٩] .

(١) فجر الإسلام (١٨٤).
(٢) الاستيعاب (١/ ١٠٩)، وتجريد أسماء الصحابة (١/ ٣١)، وأسد الغابة (١/ ١٥١)، والثقات (٣/ ٤)، والإصابة (١/ ٨٤).
(٣) النسب لأبي عبيد (٢٨٠)، وجمهرة أنساب العرب (٣٥٠).
(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٢٧).
(٥) مسند أحمد (٣/ ١٩٥، ٢٢٧، ٢٥٥)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٢/ ٢٠٢).
(٦) صحيح مسلم (٣/ ١٦٠٣) ٢٠٢٩، ومسند الحميدي (٢/ ٤٩٩) ١١٨٢، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٥٦٥)، ومعرفة الصحابة (٢/ ٢٠١) ٧٩٥.
(٧) صحيح مسلم (١/ ٤٥٧، ٤٥٨) (٤/ ١٩٢٨)، والمعجم الكبير (١/ ٢٢١)، وتهذيب الأسماء (١/ ١٢٧).
(٨) السير (٣/ ٣٩٧).
(٩) مقدمة مسند بقي (٧٩)، وتهذيب الأسماء (١/ ١٢٧)، والسير (٣/ ٤٠٦)، وتدريب الراوي (٢/ ٢١٧).

ولقد تأثرت البصرة بالمنهج المدني، وأحسب أن السبب في ذلك يرجع إلى نشأة الحسن هناك وتربيته في بيت أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ، فلقد رسخ الحسن علاقته بسعيد ابن المسيب، وكان يكاتبه ونهج منهجه في البعد عن الفتن[١].

وقد درج قتادة على هذا النحو، ولاسيما بعد رحلته للمدينة، وتحمله عن سعيد، كما أننا نلمح الطابع المدني في اهتمام قتادة بالآثار وإن كان الإرسال كثيراً في رواياته، وروايات شيخه الحسن قبله، وتساهلا في الرواية بالمعنى أيضًا.

ولم تتأثر البصرة بالمدرسة الكوفية إلا فيما يتعلق بنقل قراءة ابن مسعود، أما في باقي التفسير فلم أر لهما نقلاً عن ابن مسعود إلا في موضعين وكلاهما في الوعظ[٢].

وأما المدرسة المكية، فمع تأثر بعض البصريين بمنهج المكيين، كأبي العالية الذي كان قد حج ستًا وستين حجة[٣]، وكان ابن عباس يقدره، ومع ذلك لم يُنقل علم المكيين عن أبي العالية لقلة تلاميذه وحبه للخفاء وبعده عن التصدر والإفتاء والتدريس، بل على الرغم من أن ابن عباس كان أميراً على البصرة أيام علي ـ رضي الله عنه ـ إلا أن تأثيره لم يتعد إلى كل البصريين، فإمام البصرة الحسن لم يلق ابن عباس، يقول ابن المديني: لم يسمع من ابن عباس ما رآه قط، كان الحسن بالمدينة أيام كان ابن عباس بالبصرة، استعمله عليها علي ـ رضي الله عنه ـ وخرج إلى صفين[٤].

وكذلك لم يحج الحسن إلا مرتين[٥] ولم يلق فيهما ابن عباس، ولم يرو قتادة عن

(١) سيرة الإمام مالك لأبي زهرة (٥٦).

(٢) عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ المائدة: آية (١٠٥)، ينظر تفسير الطبري (١١/ ١٣٩)، ١٢٨٤٩، وعند شرح مثل المهْل في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ سورة الكهف: آية (٢٩)، تفسير الطبري (١٥/ ٢٣٩).

(٣) المعارف (٢٠٠).

(٤) المعارف (٣٣)، ويراجع في ولاية ابن عباس على البصرة تاريخ الطبري (٥/ ٢٢٤، ٢٣٦)، (٦/ ٩٠)، والإصابة (٢/ ٣٢٥).

(٥) الحسن البصري لإحسان عباس (٢١).

ابن عباس أيضًا، ولم يسمع من سعيد بن جبير، ولا من مجاهد[١] ولا من الشعبي ولا من النخعي[٢]، ولذا لم تتأثر البصرة بمنهج المكيين.

إلا أن المدرسة البصرية أخذت جانبًا من علوم المدرسة المكية بعد أن زارها عكرمة وحدث بها، حتى إن قتادة قال: أعلم الناس بالحلال والحرام الحسن، وأعلمهم بالتفسير عكرمة[٣].

وكان الحسن لا يفسِّر ما دام عكرمة بالبصرة.

ونلحظ هنا أمرًا آخر، وهو أن المدرسة البصرية لم تسر على نهج المدينة في جهة الرأي والأهواء، فهم وإن كانوا بعيدين عن كثير من الأهواء رغم التهمة ببعضها، إلا أنهم كانوا مكرمين، ومحتفين بعكرمة، في حين كان لا يقبله ابن المسيب والمدنيون، بل لم يحفلوا بتشييع جنازته[٤].

لقد كثر نتاج المدرسة البصرية، وهي ثاني المدارس بعد المكية أثرًا في التفسير، واعتمدت على اجتهادات الحسن الذي أفاد من فقه عمر وأنس، وغلب عليها الوعظ، حتى كان أهلها أكثر الناس هيبة لانتهاك الحرمات[٥]، وأكثر من استفاد من هذه المدرسة أهل اليمن بعد نزول معمر بن راشد بها، ويحيى بن سلام، الذي نشر تفسيره في بلاد المغرب فتأثر المغاربة بتفسير الحسن، وقتادة، وأكثروا من النقل عنهم[٦].

---

(١) العلل لأحمد (٣/ ٢٨٤) ٥٢٦٣، وسؤالات ابن الجنيد لابن معين (٣١٧، ٣٦٢).

(٢) المعرفة (٢/ ١٢٤، ٦٦١).

(٣) المعرفة (١/ ٧٠١)، (٢/ ٢١٦)، والسير (٥/ ٢١٧).

(٤) التمهيد (٢/ ٢٧).

(٥) قال ابن جبير: ما رأيت أحدًا أرعى لحرمة هذا البيت، ولا أحرص عليه من أهل البصرة، ينظر الحلية (٤/ ١٢٧٦).

(٦) كأبي حيان، وابن جزي، وابن عطية، والزركشي وغيرهم، يُراجع كتاب التسهيل (١٠)، والبحر المحيط (١/ ١٣)، والبرهان (٢/ ١٥٨)، وينظر تفسير كتاب الله العزيز لهود الهواري (١/ ٢٢، ٣٢، ٣٣).

وفيمل يلي دراسة مقارنة لأعلام هذه المدرسة التي أغفلها الكثيرون رغم تقدمها وثراء نتاجها، وتأثيرها الواسع في التفسير.

* * *

مقارنة بين البصريين

بين الحسن ، وقتادة :

هذه مقارنة بين التلميذ وشيخه ، فقد جالس قتادة أستاذه الحسن ما يزيد على ثنتي عشرة سنة ، فنما بإذن ربه ، وآتى أكله طيبًا ، بل فاق شيخه في كثرة المروي عنه في التفسير ، حتى صار المروي عن الأستاذ لا يعادل إلا قريبًا من ربع المروي عن تلميذه[١] .

نعقد هذه المقارنة بين علمين من أعلام البصرة ، كان لهما الأثر البالغ في التفسير ، واللذين بسببهما احتلت البصرة المرتبة الثانية بعد المكية في التفسير ، وقد تشابها - رحمهما الله - في كثير من أوجه الشبه ، واختلفا في بعض المسائل ، وسنعرض في هذا المقام بعضًا من ذلك .

فمن أبرز ما تشابها فيه : التوجيه الدعوي والوعظي لآيات الكتاب العزيز ، وإن كان قتادة في هذا ناقلاً لكثير من علم أستاذه الحسن ، ومتأثرًا بأسلوبه البديع المؤثر ، فقد تشابها في هذا حتى إن القارئ لتفسيرهما ليخال أنه خرج من مشكاة واحدة ، وتأثر به قلب واحد ، ونطق به لسان واحد .

كما أن من أوجه الشبه بينهما في التفسير ، والتي اتضحت من خلال التأمل لتأويلهما قلة عنايتهما بمبهمات القرآن ، وندرة الاعتماد على ما جاء عن أهل الكتاب[٢] ، وكذا قلة الاشتغال بمعرب القرآن وكلياته ، وغير ذلك من أوجه الشبه .

---

(١) المروي عن الحسن كما وجدته عند الطبري (١٤٨٧) قولاً ، وعن قتادة (٥٣٧٩) قولاً ، أي : ما نسبته (٢٨ , ٠) من مجموع تفسيره .

(٢) مقارنة بالمكيين الذين أكثروا .

هذه مقدمة أشرع بعدها في بيان ما هو أهم؛ ألا وهو التماس بعض أوجه الافتراق والاختلاف بينهما؛ لأن الناظر في أحوالهما وأقوالهما قد لا يلاحظ تلك المفارقات، لكن بعد طول نظر وتأمل تبين لي ما يلي :

١ ـ تفوق الحسن في المسلك الوعظي، والتوجيه الدعوي لتفسيره، وأثر ذلك تأثيراً مباشراً على قتادة، فحذا حذوه، ونهج سبيله، واقتفى أثره، ومما هو مقرر سلفًا أن الحسن بلغ في هذا الباب مبلغًا صار به فرداً بين التابعين[١] ، وذهب على أهل زمانه بالمواعظ، والرقائق[٢] ، فكان نصيحًا إذا وعظ، فصيحًا إذا لفظ، حتى شبه كلامه بكلام الأنبياء[٣] لبلاغته، وتأثيره في السامعين، وصار يضرب به المثل في الوعظ والتذكير. فهل كان قتادة كذلك ؟!.

بعد رجوعي لتفسيره، وجدت أن ما يزيد عن ألف رواية في التفسير كانت في الوعظ والتذكير، وأن كثيراً منها شابه كلامه فيها كلام الحسن، لدرجة أنه قد يصعب التفريق بين كلام كل واحد منهما.

ومما يستغرب هنا أنه مع كثرة مروياته، وتقدمه في هذا الجانب فإنني لم أجد في كتب التراجم من أشار إلى تقدمه في الوعظ، كما صُنع مع الحسن، فوقع في روعي أن ما روي عنه هنا إنما استفاد جله من شيخه الحسن، ولم تكن تلك الكلمات من بنات أفكاره، لاسيما أن قتادة مُتع بحافظة نادرة انفرد بها بين التابعين.

وحين أردت استيضاح الأمر، رجعت إلى كتب الزهد والرقائق؛ ككتاب ابن المبارك، وأحمد، ووكيع، وهنّاد، فوجدت ما يؤكد ما ذهبت إليه، فالمروي عن قتادة في هذه الكتب قليل جداً، إذا ما قورن بالحسن، بل إنه لم يجاوز عُشر المروي عن

(١) صبح الأعشى (١/ ٥١٧).
(٢) العلل لأحمد (١/ ٤٩٢) ١١٤٠.
(٣) الحلية (٢/ ١٤٧).

الحسن[١] .

٢ ـ ما روي عن الحسن في باب الفقه والإفتاء[٢] ، وتناول آيات الأحكام[٣] أكثر بكثير من صاحبه، الذي لم ينقل عنه في هذا الباب إلا القليل. ولعل من أهم الأسباب التي جعلت قتادة لا يُقلد شيخه في هذا كراهيته للرأي، وإيثاره للنقل والأثر، ويدل على ذلك ما روي عنه حين سُئل عن مسألة وقيل له: قل فيها برأيك، قال: ما قلت برأي منذ أربعين سنة[٤] .

وأما شيخه ـ رحمه الله ـ فكان يتساهل في هذا، فحين سأله أبو سلمة بن عبد الرحمن فقال له: ما تفتي به الناس شيء سمعته، أو شيء تقوله برأيك؟ قال: لا ، والله ما كل ما نفتي به سمعناه، ولكن رأينا خير لهم[٥] .

ولذا كان أبو سلمة يقول له: يا أبا سعيد، إني أرى قومًا (يعني أنهم يأخذون برأيه) فاتق رأيك[٦] .

٣ ـ تقدم الحسن في جمعه للعديد من أنواع العلوم، فكان من أعلمهم بالقرآن، والفقه، والأدب، وكان بعض أصحابه يصحبه للتفسير، وبعضهم للفقه ، وآخرون للبيان والبلاغة، ولذا نجد أن كثيراً من الأئمة كانوا يستثنون الحسن من كل غاية، فيقال: فلان أزهد إلا من الحسن، وأفقه إلا من الحسن، وأقرأ إلا من الحسن، وكان

---

(١) مجموع ما روي عن الحسن في هذه الكتب بلغ (٤٦٤) رواية ، في حين بلغ عن قتادة (٣٧) رواية، مع أن جانبًا كبيرًا من الآثار الواردة عنهما كانت حول تفسير آيات الوعد والوعيد.

(٢) المروي عن الحسن في كتاب المغني أكثر من (٩١٢) قولاً، وعن قتادة (٣٣٤) قولاً.

(٣) بعد مراجعة تفسير الطبري، وجدت أن ما نسبته (١١ , ٠) من مجموع تفسير الحسن كان حول تأويل آيات الأحكام، في حين بلغت هذه النسبة عن قتادة (٠٢ , ٠) فقط من مجموع تفسيره.

(٤) الجرح (٧/ ١٣٤).

(٥) تهذيب الكمال (٦/ ١٠٨).

(٦) المرجع السابق (٦/ ١٠٩).

تلاميذه يفاخرون بهذا فيقولون: كان علمه في كل شيء[١].

٤ ـ كان الحسن أكثر إعمالاً للرأي في تفسيره من قتادة، فقد تعرض للعديد من مشكل الألفاظ، وفسرها، بل إننا نلاحظ في بعض المروي عنه ما يخالف الظاهر من النص القرآني، بخلاف حال صاحبه، الذي كان مع كثرة المروي عنه، يندر أن تجد منقولاً عنه يخالف فيه ظاهر النص القرآني.

فإنه قد يخالف شيخه ـ أحيانًا ـ، ولاسيما إذا رأى مخالفته للظاهر من الآية القرآنية.

فعن عمران القطان قال: سمعت الحسن يقول في قوله: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾[٢] قال: فوالله ما كانت إلا صلاة أحدثها في بطن الحوت، قال عمران: فذكرت ذلك لقتادة، فأنكر ذلك وقال: كان والله يكثر الصلاة في الرخاء[٣].

وحين سئل عن موت الجن قال الحسن: الجن لا يموتون[٤]، اعترض عليه قتادة بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾[٥].

٥ ـ وفي مقابل ما سبق من حال الحسن، فإن قتادة كان إلى الأثر أقرب منه، وساعده على ذلك أنه كان يملك حافظة قوية، مكنته من حفظ وإتقان المنقول من أقوال المصطفى ﷺ.

---

(١) تاريخ أبي زرعة (٢/ ٦٨٣).

(٢) سورة الصافات: آية (١٤٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٠١)، وزاد المسير (٧/ ٨٧)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لأحمد، وابن أبي حاتم، وابن جرير، عن الحسن بنحوه (٧/ ١٢٦).

(٤) تفسير الطبري (٢٦/ ٢٠).

(٥) سورة الأحقاف: آية (١٨).

قال ابن سيرين: قتادة أحفظ الناس[١]، وكان لا يسمع بشيء إلا حفظه[٢].

بل إن هذه الحافظة ساعدته ومكنته من التقدم - أيضًا - في العلوم النقلية الخادمة للتفسير، كعلم أسباب النزول[٣] وغيره[٤].

بخلاف حال شيخه، الذي كان أقل منه إتقانًا لمحفوظه، يقول عن نفسه: لولا النسيان كان العلم كثيرًا[٥]، فأصبح يرى جواز الرواية بالمعنى، ويرى جواز التقديم والتأخير، والزيادة والنقصان إذا كان المعنى واحدًا.

٦ - وقد فاق قتادة شيخه أيضًا في تعدد مصادره، وكثرة رحلاته، فقد أخذ وروى عن أكثر من مائة وعشرين نفسًا[٦]، ولذا كان أعلم بالخلاف من أستاذه.

وفي هذا يقول الإمام أحمد: كان عالمًا بالتفسير، وباختلاف العلماء، وقلما تجد من تقدمه[٧].

٧ - توسع قتادة في القول بنسخ جملة كبيرة من الآيات، وكان من أوائل من ألف في هذا[٨]، وقد تأثر في هذا بشيخه الثاني سعيد بن المسيب.

---

(١) سنن الدارمي (٢/ ٤٣)، والبداية (٩/ ٣٥٢).

(٢) تاريخ الخميس (٢/ ٣١٩).

(٣) بعد مراجعتي لتفسير الطبري، وجدت أن (٠,٣٥) من مجموع تفسير الحسن كان في بيان أسباب النزول، في حين بلغت النسبة عن قتادة (٠,٠٧) من مجموع تفسيره.

(٤) مثل الاعتماد على أقوال الصحابة. فبعد مراجعتي للمسند المجموع من تفسير عمر بن الخطاب وجدت أن (٠,١٤) من مجموع تفسيره من رواية قتادة، في حين كان (٠,٠٩) من مجموع تفسيره من رواية الحسن.

(٥) المعرفة (٢/ ٣٣).

(٦) تهذيب الكمال (٢٣/ ٤٩٩).

(٧) السير (٥/ ٢٧٦).

(٨) البرهان (٢/ ٢٨)، ويراجع تفصيل ذلك في ترجمة قتادة ص (٢٧٥)، وسيأتي له مزيد بيان - إن شاء الله - في مبحث الحديث عن أثرهم في أصول التفسير ص (١٠٨١).

كما أن من العلوم التي تعرض لها أكثر من تعرض شيخه علم مناسبات الآيات، وأكثر من الحديث عن أمثال القرآن، وتناولها بالشرح والبيان[١].

٨ـ ومما تميز به قتادة أيضًا: تخصص بعض أصحابه في نقل تفسيره وروايته كما سبق بيان ذلك.

بين الحسن وابن سيرين:

انتهت إلى هذين الإمامين إمامة البصرة، ورئاسة العلماء فيها، وكانا كفرسي رهان في الفضل والعلم والورع.

فعن سوار بن عبد الله قال: كان محمد والحسن سيدي أهل هذا المصر عربيها ومولاها[٢].

ويقول عمرو بن مرة: إني لأغبط أهل البصرة بذينك الشيخين: الحسن، ومحمد[٣]، وقد تشابها في كثير من السجايا والصفات، فاجتمعا في كونهما بصريين متعاصرين، كل واحد منهما من الموالي، فكان ابن سيرين مولى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه[٤] ـ، وكانت أم ابن سيرين كأم الحسن، مولاة خدمت في بيوت أصحاب النبي ﷺ، وهي مولاة أبي بكر الصديق، وكلاهما أخذ وروى عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، كما تشابها في العيش في المدينة في سني عمرهما الأولى، ثم الانتقال إلى البصرة، ومع كل هذا فإنه كان بينهما كثير من المفارقات في المنهج والسلوك، وقد أشار كثير من الأئمة إلى تلك المفارقات، وعقدوا بينهما المقارنات.

وسأعرض في هذا المقام أهم تلك الفروق الرئيسة بينهما مبينًا السبب في قلة

(١) سبق تفصيل ذلك في ترجمة قتادة ص (٢٧٠).
(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٧).
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٢٢/ ٢٢١).
(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٣).

المروي من تفسير القرآن عن ابن سيرين - رحمه الله -.

فمن أهم الأسباب التي تطالعنا عند الرجوع إلى سيرة هذا الإمام ما يلي :

١ - الورع ، وحب الخفاء، والخوف من الشهرة :

كان ابن سيرين - رحمه الله - كثير الورع، يقول عنه سفيان الثوري : لم يكن كوفي ولا بصري في مثل ورع ابن سيرين[١] .

وعن مورق العجلي قال : ما رأيت أحدًا أفقه في ورعه، ولا أورع في فقهه من محمد بن سيرين[٢] .

ويقول هشام الدستوائي : ما رأيت أحدًا أفضل من الحسن، ولا أورع من ابن سيرين[٣] .

وعن يونس بن عبيد قال : أما الحسن، فإني لم أر رجلاً أقرب قولاً من فعلٍ، من الحسن .

وأما ابن سيرين ، فإنه لم يعرض له أمران في دينه، إلا أخذ بأوثقهما[٤] .

وعن الحجاج بن الأسود قال : تمنى رجل فقال : ليتني بزهد الحسن، وورع ابن سيرين[٥] .

وكان من شدة ورعه أنه يدع الحلال تأثمًا[٦] ، وكان يقول : نفسي تُكلفني أشياء،

---

(١) السير (٤/ ٦١٠).
(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٦)، والمعرفة (٢/ ٥٦)، ومختصر تاريخ دمشق (٢٢/ ٢٢١).
(٣) تاريخ أبي زرعة (٢/ ٦٨٣).
(٤) المرجع السابق (٢/ ٦٨٤).
(٥) المعرفة (٢/ ٦١)، وطبقات ابن سعد (٧/ ١٦٥).
(٦) مختصر تاريخ دمشق (٢٢/ ٢٢٣).

وددت أنها لا تكلفني[١] .

وعن ابن عون قال: كان محمد يغتسل كل يوم[٢] ، وقد علق الذهبي على هذا بقوله: كان محمد مشهوراً بالوسواس[٣] .

وكان لهذا الورع أثره عليه، في بث علمه، وبلاغه، فكان يكره الشهرة ويؤثر الخفاء، وكان يقول: لم يكن يمنعني عن مجالستكم إلا مخافة الشهرة[٤] .

وكان ـ رحمه الله ـ يبقى مستخفيًا في البصرة[٥] ، وأقام في دمشق أربع سنين لا يُعْرف[٦] . وكان من أشد الناس إزراءً على نفسه[٧] .

يقول ابن شبرمة: لم أر أجبن من فتوّى منه[٨] .

ويقول عبد الله بن عون: ما لقيت آلف من ثلاثة: رجاء بن حيوة بالشام، والقاسم ابن محمد بالحجاز، وابن سيرين بالعراق[٩] .

وكان ـ رحمه الله ـ إذا أراد أن يحدث كأنه يتقي شيئًا، وكأنه يحذر شيئًا[١٠] .

وكان من المفارقات الرئيسة بينه وبين الحسن، أن الحسن تكلم وبلّغ العلم احتسابًا، وسكت ابن سيرين احتسابًا[١١] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٠٠).
(٢) المرجع السابق (٧/ ٢٠٣)، والسير (٤/ ٦١٨).
(٣) السير (٤/ ٦١٨).
(٤) الحلية (٢/ ٢٧١)، وتاريخ بغداد (٥/ ٣٣٥).
(٥) المعرفة (٢/ ٦٧)، ومختصر تاريخ دمشق (٢٢/ ٢١٧).
(٦) مختصر تاريخ دمشق (٢٢/ ٢١٧).
(٧) تاريخ بغداد (٥/ ٣٣٥)، والسير (٤/ ٦١٥).
(٨) السير (٤/ ٦١٤).
(٩) المعرفة (٢/ ٣٦٨).
(١٠) طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٤)، ومختصر تاريخ دمشق (٢٢/ ٢٢١).
(١١) العلل لأحمد (٣/ ١٣٧) ٤٦٠١، وتهذيب الأسماء (٢/ ٥٨).

وكان ـ رحمه الله ـ يجلس فيحدث أصحابه بالأخبار والأشعار، وينبسط إليهم، فإذا سُئل عن شيء من الفقه والحلال والحرام تغير لونه وتبدل، حتى كأنه ليس بالذي كان[١].

وكان من شدة ورعه ـ رحمه الله ـ لا يفتي في الفرج بشيء فيه اختلاف[٢].

وكان يقول لما سمع ما روي عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ يفتي الناس أحد ثلاثة: من يعلم ما نسخ من القرآن، أو أمير لا يجد بدًا، أو أحمق مُتكلف، فكان ابن سيرين يقول: فلست بواحد من هذين، ولا أحب أن أكون الثالث[٣].

٢ ـ كراهيته للرأي، وقلة الاجتهاد عنده:

فقد كان ـ رحمه الله ـ لا يقول برأيه في شيء إلا ما سمعه[٤]، وكان يقول: ما دام على الأثر، فهو على الطريق[٥].

وعن قتادة قال: حدث ابن سيرين رجلاً بحديث عن النبي ﷺ، فقال رجل: قال فلان كذا وكذا، فقال ابن سيرين: أحدثك عن النبي ﷺ، وتقول: قال فلان كذا وكذا، لا أكلمك أبدًا[٦].

أما الحسن فإنه ـ كما قال طاوس ـ رجل جريء[٧]، وقد سأله رجل، فقال له: ما تفتي به الناس شيئًا سمعته أو تقول برأيك؟ قال: لا والله ما كل ما نفتي به سمعناه،

---

(١) الحلية (٢/ ٢٦٤)، وطبقات ابن سعد (٧/ ١٩٥)، والفقيه والمتفقه (٢/ ١٦٧).
(٢) سنن الدارمي (١/ ٥٦).
(٣) أعلام الموقعين (١/ ٢٨).
(٤) العلل لأحمد (٣/ ٤٩٠) ٦١٠١، وسنن الدارمي (١/ ٤٧).
(٥) سنن الدارمي (١/ ٥٤).
(٦) المرجع السابق (١ /١١٧).
(٧) المعرفة (٢/ ٤٤).

ولكن رأينا خير لهم[١] .

ولذا نجد التقارب بين أهل الأثر من الكوفة مع ابن سيرين، وعدم رضاه على أهل الرأي في الكوفة، فكان الشعبي يوصي أصحابه بالذهاب إلى ابن سيرين[٢] ، ونجد ابن سيرين يحب الشعبي، ويثني عليه[٣] ، ولا يرضى عن صنيع إبراهيم النخعي، وأصحابه[٤] .

٣ ـ اشتغاله بالحديث ، وتشدده في روايته متنًا وإسنادًا :

كان ـ رحمه الله ـ محبًا للآثار، مشتغلاً برواية السنن، والتحديث بها؛ إلا أنه كان من أشد التابعين في الرواية، فكان يعيد الحديث بحروفه، ولا يرى روايته بالمعنى .

يقول ابن عون: كان إبراهيم، والشعبي، والحسن، يأتون بالحديث على المعاني، وكان القاسم، وابن سيرين، ورجاء بن حيوة، يعيدون الحديث على حروفه[٥] .

ويقول هشام الدستوائي: كان ابن سيرين إذا حدث لم يُقدم ولم يؤخر، وكان الحسن إذا حدث قدم وأخر[٦] .

وكان من شدته وحرصه في هذا أنه يتكلف الحديث كما يسمع، وكان يروي الحديث ملحونًا، إذا كان سمعه كذلك ولا يُغيره[٧] .

ولما أخبر أن الحسن ، وإبراهيم، والشعبي، يحدثون بالحديث مرة هكذا، ومرة

---

(١) تهذيب الكمال (٦/ ١٠٨).
(٢) السير (٤/ ٦٠٨)، ومختصر تاريخ دمشق (٢٢/ ٢٢٢).
(٣) أخبار القضاة (٢/ ٤٢١)، والتذكرة (١/ ٨٢).
(٤) العلل لأحمد (٢/ ٤٤٩) ٢٩٩٣.
(٥) طبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٤)، والمعرفة (٢/ ٣٦٨).
(٦) سنن الدارمي (١/ ٩٣).
(٧) جامع بيان العلم (١/ ١٣٣)، والكفاية (١٨٦)، والجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٢١).

هكذا، قال: أما إنهم لو كانوا يحدثون كما سمعوه كان خيراً لهم[١].

هذا في جانب متن الحديث ونصه، أما في إسناده فكان ابن سيرين من أوائل من نقد الرجال[٢]، وكان أيوب السختياني يقول عنه: كان الرجل يحدث محمداً بالحديث، فلا يقبل عليه ذاك الإقبال، قال: فيقول: إني والله ما أتهمك، ولا أتهم ذاك، ولكني أتهم من بينكما[٣].

وكان ـ رحمه الله ـ يعيب على من يتساهلون في تصديق الأخبار، فكان يقول: ثلاثة يصدقون من حدثهم: أنس، وأبو العالية، والحسن البصري[٤].

قال الخطيب البغدادي: أراد ابن سيرين أنهم كانوا يأخذون الحديث عن كل أحد، ولا يبحثون عن حاله لحسن ظنهم به، وهذا الكلام قاله ابن سيرين على سبيل التعجب منهم في فعلهم وكراهته لهم ذلك[٥] اهـ.

ومن الفوارق بينهما كما قال ابن معين: كان الحسن أنبل الرجلين ورجال ابن سيرين أنقى من حديث الحسن[٦]، ومع أن الحسن أدرك ما يزيد عن مائة صحابي، وابن سيرين لم يدرك إلا ثلاثين منهم[٧] فإن الأئمة صححوا مراسيله؛ لأنه كان يتشدد، ولا يسمع إلا من ثقة[٨]، وعدوا مراسيل الحسن من أوهى المرسلات[٩].

وكان من احتياطه وشدته في هذا أنه كان يقول: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم[١٠].

---

(١) العلل لأحمد (٢/ ٣٩١) ٢٧٤٦، والمحدث الفاصل (٥٣٤)، والكفاية (٢٠٦).
(٢) شرح علل الترمذي (٦٣).
(٣) العلل لأحمد (٢/ ٣٨٦) ٢٧٢١.
(٤) الكفاية (٣٧٣).
(٥) الكفاية (٣٧٣).
(٦) تاريخ ابن معين (٢/ ١١٢).
(٧) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٨٣)، ومختصر تاريخ دمشق (٢٢/ ٢٢٠).
(٨) التمهيد (١/ ٣٠)، والنكت على ابن الصلاح (٢/ ٥٥٧).
(٩) الموقظة (٤٠).
(١٠) صحيح مسلم المقدمة (١/ ١٤)، والحلية (٢/ ٢٧٨).

وكان من شدته أنه روى عن عكرمة، ولم يكن يسميه؛ لأنه لم يكن يرضاه[١].

وكان يقول: نُبئت عن ابن عباس[٢]. بخلاف حال الحسن الذي كان يترك التفسير إذا دخل عكرمة البصرة[٣].

٤ ـ كراهيته للكتابة:

وهذا من أوجه الخلاف بينه وبين صاحبه الحسن، فكان ابن سيرين يكره الكتابة[٤]، وكان لا يكتب، والحسن يكتب[٥]، بل كان ابن سيرين يحذر أصحابه من الكتابة، ويقول: إياكم والكتب، فإنما تاه من كان قبلكم، أو قال: ضل من كان قبلكم بالكتب[٦].

وعن ابن عون قال: سمعت محمدًا يقول: لو كنت متخذًا كتابًا لاتخذت رسائل النبي ﷺ[٧].

ولما جاءه عاصم الأحول بكتاب يريد أن يضعه عنده، فقال له: لا يبيت عندي[٨].

كان ما سبق بيانًا للفوارق الرئيسة بين هذين الإمامين، وذلك من الأسباب التي قللت نتاج هذا الإمام في العلم بعامة، وفي التفسير بخاصة[٩].

---

(١) سبق ذلك في ترجمة عكرمة (ص ١٧٨).
(٢) تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٧٣)، والسير (٥/ ٣٠)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٨١).
(٣) سبق بيان ذلك ص (١٧٥).
(٤) العلل لأحمد (٢/ ٣٩٢) ٢٧٥٢، والعلم لأبي خيثمة (٣١).
(٥) سنن الدارمي (١/ ١٢١)، والعلم لأبي خيثمة (١٢٥).
(٦) طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٤)، والعلم لأبي خيثمة (١٤٥).
(٧) طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٤).
(٨) العلل لأحمد (٣/ ٢٤١) ٥٠٦١، والمعرفة (٢/ ٥٥)، والكفاية (٣٥٣).
(٩) رجعت إلى تفسير ابن كثير، فلم أجد له إلا خمسين رواية، جُلها منقول عنه في بيان حكم فقهي.

ولم يكن يكتفي بذلك الإقلال من نفسه، بل كان يدعو إليه، ويعتب على الحسن كثرة تحدثه في التفسير فيقول: تُفسر القرآن وكأنك شهدت التنزيل[١].

وقبل أن أختم هذه المقارنة بين هذين العلمين في مدرسة البصرة أحب أن أذكر طرفًا من بقية الخلاف بينهما في الأحوال، والمناهج.

فعن الأشعث قال: أنا أصفهما لكم - يعني: الحسن وابن سيرين - كنا ندخل على الحسن فإنما هو النارُ، وأمر الآخرة، والموت، وكنا ندخل على ابن سيرين، فكان يمزح، ويضحك، ويتحدث، فإذا أردته على شيء من أمر دينه، كنت إلى أن تنال السماء أقرب منك إلى ما تريد[٢].

ويقول أيضًا: كنا إذا أتينا الحسن، لا نُسأل عن خبر، ولا نخبر بشيء، وإنما كان في أمر الآخرة.

قال: وكنا نأتي محمد بن سيرين، فيسألنا عن الأخبار والأشعار[٣].

وعن يونس بن عبيد قال: كان الحسن رجلاً محزونًا، وكان ابن سيرين صاحب ضحك، ومزاح[٤]، بل كان ابن سيرين - رحمه الله - يضحك حتى يستلقي[٥].

وقد كان لذلك الأثر الواضح في تباين مناهجهما الدعوية، فكانوا يقولون: خذوا بحلم ابن سيرين، ولا تأخذوا بغضب الحسن[٦].

وكان لهذا الحلم عند ابن سيرين أثره في منهجه ومسلكه، وفي ذلك يقول أيوب

---

(١) بهجة المجالس (١/ ٩٥).
(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٢/ ٢٢٤).
(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ١٦٧).
(٤) المرجع السابق (٧/ ١٦٢).
(٥) الحلية (٢/ ٢٧٤)، والمعرفة (٢/ ٦٣).
(٦) طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٥)، والسير (٤/ ٦١٥).

السختياني، وهشام الدستوائي: ما رأينا أحدًا أعظم رجاءً لأهل القبلة من ابن سيرين[١].

وكان من منهج الحسن أن يجيء إلى السلطان، ويعيبهم، وكان ابن سيرين لا يجيء إلى السلطان، ولا يعيبهم[٢].

وقد بعث عمر بن عبد العزيز - بعد أن تولى الخلافة - إلى الحسن فقبل، وبعث إلى ابن سيرين فلم يقبل[٣].

وكان ابن سيرين أعلم بالقضاء من الحسن، لدقة معرفته بأحوال الناس[٤]، وكان ابن سيرين أفطن من الحسن في أشياء[٥]، ولذا لما تولى الحسن القضاء لم يُحمد[٦].

يقول إياس بن معاوية قاضي البصرة: لست بخب، ولا يغبنني، ولا يغبن ابن سيرين، ولكن يغبن الحسن[٧].

ومن الموافقات في الأقدار، أن ابن سيرين توفي بعد الحسن بمائة يوم[٨]، فقدمات لتسع مضين من شوال سنة عشر ومائة[٩].

وقد سُئل ابن سيرين عن تعبير رؤيا فقال له رجل: رأيت كأن الجوزاء تقدَّمت الثُّريا، قال: الحسن يموت قبلي، ثم أتبعه، وهو أرفع مني[١٠].

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٧)، وتهذيب الأسماء (١/ ٨٤).
(٢) المعرفة (٢/ ٦٤)، والسير (٤/ ٦١٥).
(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٠٢).
(٤) تهذيب الأسماء (١/ ٨٤).
(٥) السير (٤/ ٦٠٨).
(٦) أخبار القضاة (٢/ ٨، ١١).
(٧) إحياء علوم الدين (٢/ ٨٠).
(٨) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٠٦)، ومختصر تاريخ دمشق (٢٢/ ٢١٨، ٢٣٣).
(٩) السير (٤/ ٦٢١).
(١٠) الحلية (٢/ ٢٧٧)، والسير (٤/ ٦١٨).

قال الإمام الذهبي: وكان ابن سيرين له عجائب يطول ذكرها في تعبير الرؤيا، وكان له في ذلك تأييد إلهي[١].

وبعد هذا العرض الموجز لأوجه الخلاف بين إمامين عاشا في مدرسة واحدة، وتعاصرا وأخذا عن صحابي واحد، فكان بينهما من التشابه والاختلاف ما كان، فكان من نتاج ذلك الخلاف في المنهج أن ظهر أثر الحسن في المدرسة في التفسير، وأثرى البصرة في مجال التأويل، وقل أثر ابن سيرين وانحسر.

أنتقل بعد ذلك إلى الحديث عن إمام آخر، هو ثالث الأئمة إذا عُدَّ العلماء من البصرة؛ أعني جابر بن زيد، مبينًا سبب ندرة المروي عنه في التفسير، ومبرزًا أهم ما انفرد به عن أصحابه.

جابر بن زيد والبصريون:

هو جابر بن زيد الأزدي البصري[٢]، أبو الشعثاء[٣]، من كبار التابعين بالبصرة يقول عنه الذهبي: كان عالم أهل البصرة في زمانه، يُعدُّ مع الحسن، وابن سيرين، وهو من كبار أصحاب ابن عباس[٤].

قال الإمام أحمد: أصحاب ابن عباس ستة: طاوس ومجاهد وسعيد بن جبير، وعطاء، وجابر بن زيد، وعكرمة آخر هؤلاء[٥].

وجابر من أكثر البصريين تأثرًا بابن عباس[٦] إلا أن جلَّ هذا التأثر كان في معرفة

(١) السير (٤/ ٦١٨).
(٢) المعارف (٢٠٠)، والأنساب للسمعاني (٣/ ٣٧٤)، والغاية (١/ ١٨٩)، والنجوم الزاهرة (١/ ٢٥٢).
(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ١٧٩)، وتهذيب الأسماء (١/ ١٤١).
(٤) السير (٤/ ٤٨١).
(٥) العلل لأحمد (١/ ٢٩٤) ٤٧٧، (٢/ ٥٠٠) ٣٢٩٦.
(٦) مقارنة بصاحبيه: الحسن وابن سيرين.

الأحكام الفرعية، أما في التفسير فقد كان ـ رحمه الله ـ من المقلين، ولم أجد له في كتب التفسير إلا القليل من الروايات[١]، ومرد ذلك ـ والله أعلم ـ أنه قد صرف جهده واستفرغ علمه في الفقه والإفتاء، فكان مفتي البصرة، فقد كان الحسن يغزو، وكان مفتي الناس جابر[٢].

وكان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يقول لأهل البصرة: تسألونني وفيكم ابن زيد؟![٣].

ويثني عليه بقوله: لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علمًا عمًّا في كتاب الله[٤].

ولما سئل أيوب السختياني: هل رأيت جابر بن زيد؟ قال: نعم، كان لبيبًا لبيبًا لبيبًا[٥].

ولعل من أهم الأسباب التي قللت نتاجه في التفسير، اشتغاله بعلم معرفة الأحكام الشرعية الفرعية، وتصدره للإفتاء، مع ما كان عنده من الورع، فكان كما يصفه صالح الدهان أحد أصحابه بقوله: ما سمعت جابرًا قط يقول: قال رسول الله ﷺ[٦].

---

(١) بعد مراجعتي لتفسير ابن كثير، وجدت له (٢٢) قولاً فقط، منها (١٧) قولاً في تفسير آيات الأحكام، وله عند القرطبي (٣٤) قولاً كلها في معرفة الأحكام الفقهية العملية.

(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ١٨٠).

(٣) الحلية (٣/ ٨٥)، والجرح (٢/ ٤٩٥)، والتذكرة (١/ ٧٢)، وطبقات الحفاظ (٢٨).

(٤) المعرفة (٢/ ١٢)، وطبقات الفقهاء (٨٨)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٤٣)، والشذرات (١/ ١٠١).

(٥) طبقات ابن سعد (٧/ ١٨٠)، والمعرفة (٢/ ١٤)، والعلل لأحمد (٢/ ٣٧٦) ٢٦٧٦، والتذكرة (١/ ٧٢).

(٦) المعرفة (٢/ ١٥).

فإذا كانت هذه حاله في نقل حديث رسول الله ﷺ، فإن حاله في تفسير كتاب الله أشد، بل كان ـ رحمه الله ـ مع تقدمه في الفتوى ينهى عن كتابة رأيه.

فعن عمرو بن دينار قال: قيل لجابر بن زيد: يا أبا الشعثاء إنهم يكتبون عنك. قال: إنا لله! يكتبون عني رأيي أرجع عنه غداً[1].

وأما ما انفرد به عن صاحبيه: الحسن ومحمد، أنه صحب ابن عباس وتأثر به، لاسيما في الجانب التشريعي، بينما الحسن ومحمد لم يسمعا من ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

وخلاصة القول: إن لكل إمام ميزة تميز بها، وخاصية انفرد بها، فمحمد بن سيرين برع في الجانب الحديثي، ولم يتقدمه أحد، وجابر تفرغ لعلم الفقه، والإفتاء، والحسن كان جامعًا للعديد من العلوم، ومن أكثرهم حديثًا في التفسير.

أقف عند هذا؛ لأنتقل بعد ذلك إلى الحديث عن واحد من صغار التابعين في هذه المدرسة كان له الأثر في التفسير، ولم أتعرض له في فصل أشهر رجال المدارس مع أنه من المكثرين، لما سيأتي، وآثرت أن أعرض له هاهنا بشيء من الاختصار مُبينًا السبب الرئيس في ترك تفصيل حاله وهو:

الربيع بن أنس البكري:

هو من بكر بن وائل ومن أنفسهم، كان من أهل البصرة[2]، سمع أنس بن مالك[3]،

---

(١) المرجع السابق (٢/ ١٤)، وطبقات ابن سعد (٧/ ١٨١).

(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٦٩)، والمعارف (٢٠٥)، وتهذيب الكمال (٩/ ٦١).

(٣) التاريخ الكبير (٣/ ٢٧١)، ومشاهير علماء الأمصار (١٢٦)، والسنن الكبرى للبيهقي (٢/ ٢٠١).

وروى عنه[١] ، ولقي جابر بن عبد الله، وابن عمر ـ رضي الله عنهم[٢] ـ، وجالس الحسن، وأخذ عنه، وفي ذلك يقول: اختلفت إلى الحسن عشر سنين، أو ما شاء الله، ما من يوم إلا أسمع منه ما لم أسمع قبله[٣] .

ولكن تأثره في التفسير كان بأبي العالية أكثر منه بالحسن[٤] ، وعدّه ابن حبان راوية أبي العالية[٥] ، وقال عنه الذهبي: أكثر عن أبي العالية[٦] .

وقد عني ـ رحمه الله ـ بتفسير أبي العالية رواية ودراية، ولذا فسوف أعقد مقارنة بينه وبين شيخه أبي العالية مبيناً بعض أوجه التشابه بينهما.

بين الربيع، وأبي العالية:

أما في الجانب الروائي: فإن جلّ المروي عن أبي العالية كان من طريق الربيع ومن روايته[٧] .

وأهم من هذا ما كان من تأثر الربيع بشيخه أبي العالية في جانب الدراية، فالقارئ لتفسير الربيع يلحظ التقارب الواضح، بل والتطابق في كثير من الأحيان بين تفسير أبي العالية والربيع، حتى إن القارئ لتفسيرهما يشعر في بعض الأحيان أنهما تفسير واحد[٨] . وإخال أن ذلك كذلك، وأن الربيع اقتصر دوره على الرواية دون الدراية.

---

(١) الثقات (٤/ ٢٢٨)، وتهذيب الكمال (٩/ ٦١).

(٢) المعارف (٢٠٥)، وطبقات ابن سعد (٧/ ٣٦٩)، وتهذيب الكمال (٩/ ٦١).

(٣) تهذيب الأسماء (١/ ١٦٢)، والجرح (٣/ ٤٢)، وتهذيب الكمال (٦/ ١١١).

(٤) كان أثر الحسن عليه في التفسير قليلاً.

(٥) مشاهير علماء الأمصار (١٢٦).

(٦) السير (٦/ ١٧٠).

(٧) بعد مراجعتي لتفسير الطبري، وجدت أن ما نسبته (٧٨,٠) من مجموع تفسير أبي العالية هو من رواية الربيع بن أنس.

(٨) بعد مراجعة ومقارنة ما روي من تفسير الربيع عند ابن جرير من خلال الجزء الأول من سورة =

وقد روى الإمام ابن جرير من تفسير الربيع فأكثر عنه[١] ، ولكني وجدت أن جله كان من تفسير أبي العالية، وليس من اجتهادات الربيع، وإن كان مسوقًا على أنه له[٢]،

= البقرة لاحظت هذا التشابه، والتطابق بين المروي عن الشيخ وصاحبه، وهذه بعض أرقام الآثار الدالة على ذلك :
٧٠٦، ٨٩٤، ٩١٥، ١١٣٤، ١١٣٧، ١١٩١، ١٢٠٣، ١٢١٣، ١٢٢٧، ١٢٥١، ١٢٦١، ١٣٥٣، ١٣٨٠، ١٤٦٨، ١٥٣٩، ١٥٤٣، ١٥٥٨، ١٥٦٣، ١٥٨٥، ١٥٨٨، ١٥٩٨، ١٦٠٢، ٢١١٧.

(١) بعد مراجعتي لتفسير الطبري، وجدت أن المروي من تفسير الربيع (٥٩٦) قولاً، كلها من طريق أبي جعفر الرازي.

(٢) السبب الذي جعلني أجزم بهذا أنه تبين لي من خلال مقارنة المروي من تفسير الربيع عند ابن جرير، مع المروي من تفسير أبي العالية عند ابن أبي حاتم أني وجدت ما نسب للربيع عند ابن جرير هو من تفسير أبي العالية عند ابن أبي حاتم، وإليك أرقام الآثار، التي يمكن من خلالها المقارنة.
ملحوظة: الرقم الأصغر (الأيسر)، هو عند ابن أبي حاتم من تفسير أبي العالية، والأكبر (الأيمن) عند ابن جرير، هو من تفسير الربيع :
٢٤٣: ٤٩، ٢٧٦: ٦٧، ٢٨١: ٨٧، ٢٩٨: ٩٣، ٣١٨: ١٠٥، ٣٢٧: ١١٣، ٣٣٣: ١١٥، ٣٣٤: ١١٩، ٣٤٠: ١٢١، ٣٤٥: ١٣٠، ٣٥٦: ١٤٠، ٣٦٩: ١٤٧، ٣٧٩: ١٥٠، ٣٨٦: ١٥٩، ٤١٤: ١٨١، ٤٦٠: ٢١١، ٤٧١: ٢١٣، ٤٧٧: ٢٢٢، ٥٢٧: ٢٦٣، ٥٥٦: ٢٧١، ٥٦٤: ٢٧٧، ٥٧٣: ٢٨٩، ٥٨٨: ٣٠٩، ٥٨٩: ٣١١، ٦٠٢: ٣٢٣، ٧٦٥: ٤٠٥، ١١٤٩: ٦٧٩، ١١٥٣: ٦٨٠، ١١٥٥: ٦٨٢، ١١٧٠: ٦٩٠، ١٢٧١: ٧٤١، ١٤٢٨: ٨٢٧، ١٤٤٠: ٨٣٣، ١٥٧٤: ٩٤٠، ١٦١٩: ٩٦٠، ١٦٣٢: ٩٦٤، ١٦٧١: ١٠٠٥، ١٧١٩: ١٠٤٠، ١٧٩٢: ١٠٩٤، ١٨٠١: ١٠٩٩، ١٨٠٣: ١١٠٢، ١٨٠٧: ١١٠٣، ١٨١٠: ١١٠٦، ١٨١٢: ١١١٢، ١٨١٦: ١١١٦، ١٨٥٨: ١١٤٢، ١٨٦٤: ١١٤٨، ١٨٧١: ١١٥١، ١٩٤٢: ١١٨٢، ١٩٤٤: ١١٨٦، ١٩٧٧: ١٢٠٠، ١٩٨٢: ١٢٠٣، ٢٠٧٦: ١٢٦٥، ٢٠٨٤: ١٢٨٠، ٢٠٨٨: ١٢٨٨، ٢١٠٦: ١٣١٠، ٢١١١: ١٣٢٠، ٢١٣٥: ١٣٢٨.
فتحصل من هذا: أن المروي عنه، والمنسوب إليه عند ابن جرير على أنه من تفسيره أكثر من (١١٤) قولاً، منها (٢٣) قولاً، مطابقة لما روي عن أبي العالية، و (٥٨) قولاً من تفسيره عند ابن جرير، ولكنها عند ابن أبي حاتم من رواية أبي العالية، وتفسيره بنصها تمامًا، فلم يبق من تفسيره إلا (٣٣) قولاً، أي: ما يقارب (٢٩,٠) من مجموع تفسيره، وهذا الذي انفرد فيه عن أبي العالية، وغالبه فيما يرويه عن بني إسرائيل.

ولعله لو صنف المكثرون من مفسري التابعين، لعُدَّ الربيع بن أنس من الرواة، ولم يعد من المفسرين[١].

وهذا ما تبين لي من حاله أن عمله اقتصر في أكثر المنسوب إليه على الأخذ عن أبي العالية، وحفظ هذه الأقوال، وروايتها على أنها من تفسيره.

وهذا من أهم الأسباب التي جعلتني أرجئ الحديث عن الربيع إلى هذا الموضع مع أنه من المكثرين، ولكنها كما اتضح كانت من تفسيره غيره.

وأما ما انفرد فيه الربيع، وهو ما يقارب ثلث المروي عنه، فإن غالبه دار حول آيات القصص، وبدء الخليقة، وقد ساق فيها الربيع الكثير من الرواية عن بني إسرائيل، لكن المروي فيها لا يطابق المروي عن أبي العالية، وإن كان من حيث المنهج قد تأثر فيه به؛ لأن أبا العالية من أكثر البصريين تساهلاً في الرواية عن بني إسرائيل[٢].

بين الحسن، وأبي العالية:

ومع أن هذين الإمامين عاشا في البصرة، إلا أن أوجه الاتفاق في المنهج بينهما كانت قليلة، ومن أبرز نقاط الاختلاف بينهما ما يلي:

١ ـ تقدم أبي العالية على الحسن في علم القراءة، فقد قرأ على أبي بن كعب، وقرأ

---

(١) لم يذكره الداودي في طبقات المفسرين، والأحرى بحال الربيع أن يعد من الرواة، كابن أبي نجيح، وسعيد بن أبي عروبة، وغيرهم. والله أعلم.
ومما يستأنس به هنا ما ذكره الذهبي في ترجمة الربيع حيث قال عنه: روى كثيراً في التفسير والمقاطيع، ينظر تاريخ الإسلام (ح ١٣٩/ ٤١٧).
فأنت ترى أنه قال عنه: روى كثيراً، ولم يقل: إنه مفسر، كما قال عن غيره.

(٢) المروي عن أبي العالية في الإسرائيليات أكثر من (٠,٠٦) من مجموع تفسيره، في حين بلغت هذه النسبة عن الحسن، وقتادة (٠,٠٣) من مجموع تفسيرهما.

على عمر ثلاث مرات[١]، وهو معدود في طبقات كبار القراء[٢]، والحسن ـ رحمه الله ـ وإن كان من المهتمين بالقراءة، إلا أنه لم يبلغ مرتبة أبي العالية.

٢ ـ الحسن البصري كان إمام عامة وخاصة، وكانت حلقات الوعظ عنده يجتمع فيها الكثير من الناس، بخلاف حال أبي العالية الذي كان يكره اجتماع الناس عليه، ويُؤثر الخفاء، فإذا اجتمع إليه أربعة قام[٣].

٣ ـ ونتيجة لما سبق فقد كثر تلاميذ الحسن، والناقلون لتفسيره، على عكس أبي العالية الذي ضاع كثير من علمه بسبب قلة تلاميذه[٤].

٤ ـ تأثر الحسن بالمنهج المدني، في حين مال أبو العالية في كثير من مسالكه إلى المنهج المكي، وليس بمستغرب عليهما ذلك، فالحسن عاش أول سني عمره في المدينة، وكان تردده على مكة بعد أن انتقل إلى العراق قليلاً، حتى إنه لم يحج إلا مرتين[٥]، ولم يسمع من ابن عباس[٦]، في حين أن أبا العالية سمع من ابن عباس، وحج ستًا وستين حجة[٧]. فصار إلى المنهج المكي أقرب في قلة التعرض لآيات الأحكام، والتساهل في الرواية عن بني إسرائيل، والعناية بمشكل القرآن، والاهتمام بالأشباه والنظائر، إلى غير ذلك من أوجه الشبه بين المكيين وأبي العالية، وقد سبق بيان ذلك وتفصيله[٨].

---

(١) سبق تفصيل ذلك في ترجمة أبي العالية، ص (٢٨٩).

(٢) ذكر الذهبي أبا العالية في كتاب معرفة القراء (١/ ٥٠)، ولم يذكر الحسن، وعده أبو بكر بن أبي داود من أعلم الناس بالقراءة بعد الصحابة، ينظر التهذيب (٣/ ٢٨٥).

(٣) العلل لأحمد (٢/ ٤٤٧) ٢٩٨٤، والعلم لأبي خيثمة (١١٨).

(٤) تهذيب الكمال (٩/ ٢١٧).

(٥) طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٨).

(٦) سؤالات ابن الجنيد لابن معين (٣١٥).

(٧) المعارف (٢٠٠)، والشذرات (١/ ١٠٢).

(٨) في ترجمة أبي العالية ص (٢٩١).

٥ ـ الناظر في سيرة أبي العالية يلمس عدم رضاه التام عن المنهج الوعظي للحسن، ولذلك كان يقول لما سئل عنه: رجل مسلم يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وأدركنا الخير، وتعلمنا قبل أن يولد الحسن[1].

هذه بعض أوجه الاختلاف بين هذين الإمامين:

وخلاصة القول في أصحاب مدرسة البصرة: إن الحسن البصري كان إمامهم في التفسير والفقه، وأنه كان من أكثرهم استقلالاً، ومن أشدهم تأثيراً في المدرسة، ويأتي بعده في التفسير قتادة الذي هو امتداد للحسن، وثمرة من غرس يده، لكنه تميز بحافظة قوية، مما كثر نتاجه في العلم بعامة، وفي التفسير بخاصة، حتى كان الثاني بين عموم التابعين.

وبعد هؤلاء في التفسير رفيع بن مهران (أبو العالية)، وإن كان أثره في المدرسة محدوداً، وتأثره بها أقل من ذلك.

أما الربيع بن أنس، وإن وجد له بعض من الأثر في التفسير، فإن جلَّ تفسيره نقله عن أبي العالية، ودوره الرواية فحسب، والله تعالى أعلم.

أسباب كثرة المروي عنهم:

كما أسهمت المدرسة المكية إسهاماً قيماً في كثرة تناولها للآيات وتفسيرها، فإن المدرسة البصرية كان لها اهتمام بارز، ودور مميز في تناول آيات الكتاب الكريم، وتفسيرها، وأسباب ذلك كثيرة من أهمها:

١ ـ كثرة رواياتهم للأحاديث، وتساهلهم في ذلك:

كان من الفوارق الرئيسة بين البصريين والكوفيين، أن الكوفيين كانوا يتشددون في نقل السنن، ويحتاطون غاية الاحتياط، وكان إمامهم في ذلك ابن مسعود، الذي كان

(١) المعرفة (٢/ ٥٢)، وتاريخ دمشق (٦/ ٢٦٥).

من أكثر الصحابة إقلالاً في باب الرواية، وتحذيراً لأصحابه من الخطأ فيها[١] .

بينما كانت البصرة على العكس من هذا المنهج، وخصوصًا ما كان من رواية الحسن البصري إمام مفسري التابعين في البصرة، ولعله استفاد بعض هذا من تساهل شيخه في البصرة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ ، فقد كان أكثر تساهلاً من ابن مسعود ـ رضي الله عن الجميع ـ .

فعنه قال: ليس كل ما نحدثكم عن رسول الله ﷺ سمعناه منه، ولكن حدثنا أصحابنا، ونحن قوم لا يكذب بعضهم بعضًا[٢] .

يقول ابن سيرين: ثلاثة كانوا يصدقون من حدثهم: أنس، وأبو العالية، والحسن البصري[٣] .

قال الخطيب البغدادي في بيان معنى قول ابن سيرين: أراد أنهم كانوا يأخذون الحديث عن كل أحد، ولا يبحثون عن حاله، لحسن ظنهم به[٤] .

وأنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ يعد من المكثرين بين الصحابة في رواية الحديث، فقد ذكر بقي بن مخلد: أنه روى ألف حديث، ومائتي حديث، وستة وثمانين حديثًا[٥] .

وكان الحسن البصري من أكثر التابعين تساهلاً في الرواية، فكان يجيز التحديث بالمعنى[٦] ، ويرخص بالزيادة أو النقصان في الحديث، إذا كان المتحدث يصيب

---

(١) سيأتي لذلك مزيد بحث في المدرسة الكوفية ص (٤٦٢).
(٢) الكفاية (٣٨٦).
(٣) العلل لأحمد (١/ ٤٤٢) ٩٨٩، والمعرفة (٢/ ٣٥).
(٤) الكفاية (٣٧٣).
(٥) مقدمة مسند بقي بن مخلد (٧٩)، تدريب الراوي (٢/ ٢١٧).
(٦) العلم لأبي خيثمة (١٤١)، والعلل لأحمد (٢/ ٢٦٦) ٢٢٠٦.

المعنى[١] .

ولم يكن تساهله هذا في جانب المتن فحسب، بل شمل التساهل في الإسناد، ولذا نجده من أكثر التابعين، الذي أفاضت كتب المراسيل في تتبع إرساله ، والحديث عن حكم تلك المراسيل[٢] .

وقريبًا من ذلك كان منهج قتادة، فإنه كان كثيراً ما يورد الرواية بلاغًا دون إسناد، وكان ـ رحمه الله ـ يكثر إرسال الحديث، يقول شعبة : كنت أتفطن إلى فم قتادة إذا حدث، فإذا حدث بما قد سمع قال: حدثنا سعيد بن المسيب، وحدثنا أنس، وحدثنا الحسن، وحدثنا مطرف، وإذا حدث بما لم يسمع قال: حدث سليمان بن يسار، وحدث أبو قلابة[٣] .

ولذا فقد كان الأئمة من الكوفيين ينكرون على البصريين، فقد أنكر الشعبي على الحسن إكثاره[٤] ، وقال لما سئل عن قتادة: حاطب ليل[٥] .

٢ ـ تقدمها في معرفة اللغة :

استخدمت هذه المدرسة الفصيح استخدامًا واسعًا في تفسيرها، وسبقت بقية المدارس في القدرة على معرفة الغريب من كلام العرب، فقد كان الحسن البصري لا يقاربه في هذا الباب أحد، ولذا كثر النقل عنه في كتب تفسير غريب الحديث والأثر.

وكان هو وقتادة من أفصح أهل الكوفة، وممن نالوا من ثناء الأئمة ما لم ينل أحد

---

(١) سنن الدارمي (١/ ٩٣)، والمحدث الفاصل (٥٤١) ٧٠٨.

(٢) المراسيل لابن أبي حاتم (٣١ـ٤٦)، وجامع التحصيل للعلائي (١٦٢ـ١٦٦). وقد سبق تفصيل ذلك في ترجمة الحسن ص (٢٢٠).

(٣) العلل لأحمد (٣/ ٢٤٢) ٥٠٦٨.

(٤) العلل لأحمد (٣/ ٣٦٦) ٥٦١٤، والكفاية (٣٩٢).

(٥) المعرفة (٢/ ٢٧٧)، وتهذيب الكمال (٢٣/ ٥١٠)، والسير (٥/ ٢٧٢).

مثله، والمتأمل في تفسيرهما يجد شاهد هذا في جزالة اللفظ، وقوة سبك العبارة، وجمال الأسلوب، واستخدام الأفصح في كلام العرب في تفسير الآيات، مما جعل الكثير من أقوالهم وآثارهم حكمًا وأمثالاً تحفظ، لبديع عبارتهم، وجمال وقعها في النفوس، وصدق تأثيرها في القلوب.

٣ ـ بُعْدُ المدرسة عن الفتن:

نعمت البصرة بكثير من الاستقرار مقارنة بغيرها من الحواضر والمدن المجاورة كالكوفة.

ويعد المشاهير من مفسري التابعين فيها من أبعد التابعين عن الفتن[١]؛ بل إن الناظر في منهجهم يجد تميزًا في هذا، يستحق أن يفرد بالدرس والبحث، ليس هذا مقام الاستطراد فيه.

فهذا إمامهم الحسن البصري يقول محذرًا أصحابه من الدخول في الفتن: كلما نعر كلب، أو صاح ديك تبعتموه[٢].

وكان يحذر من الاشتراك في الفتن، ولذا كرهه بعض الخوارج، فكان قتادة يقول عنه ـ رحمه الله ـ: والله لا يبغض الحسن إلا حروري[٣]، وكان يأمر الناس بالصبر، والكف، والضراعة إلى الله، ويرى أن الموعظة بالحسنى، والرفق في الإنكار، أجدى من الثورة، والدعوة إلى الفتنة[٤].

ولم يكن ذلك سمة خاصة بالحسن فقط، بل إن الإمام محمد بن سيرين البصري كان يبارك هذا الرأي للحسن، ويؤكده بقوله لأصحابه: هاجت الفتنة، وأصحاب

(١) اشترك من الكوفة في فتنة ابن الأشعث سعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وعامر الشعبي.
(٢) التاريخ الصغير (١/ ٢٤٧).
(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ١٧٤)، وتهذيب الكمال (٦/ ١٠٨).
(٤) سبق تفصيل ذلك عند الحديث عن الحسن ص (٢٣٢).

رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما خف فيها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين[١] .

وأما قتادة ـ رحمه الله ـ فقد قفا أثر شيخه الحسن في ذلك، وكان رجلاً أعمى، فلم ينقل عنه دخول أو مشاركة في فتنة.

ولذا كثر علم هؤلاء، وتناقل الناس آثارهم في التفسير وغيره.

٤ ـ التدوين المبكر لآثار المدرسة :

وهذا مما حفظ آثار هذه المدرسة، وعلمها، وميزها عن غيرها[٢] . فسعيد بن أبي عروبة الذي يُعد من أحفظ أهل زمانه[٣] ، وكان من أحفظ أصحاب قتادة[٤] ، كان أول من صنف الكتب، قال الإمام أحمد : أول من صنف الكتب : ابن جريج، وابن أبي عروبة[٥] .

وعدّه ابن العماد : من أول من صنف الكتب بالعراق[٦] .

٥ ـ إقدام المدرسة على اقتحام باب التفسير، والإكثار فيه :

الحق أن المدرسة البصرية جاءت بعد المكية في هذا الباب ، في توسعها في باب الاجتهاد ، وكثرة النظر في التفسير، في حين غلب جانب الهيبة والورع على مدارس أخرى كمدرستي المدينة والكوفة[٧] .

وقد أكثر في ذلك الإمامان : الحسن وقتادة، وتوسعا فيه حتى ظهر أثر ذلك جليًا

---

(١) العلل لأحمد (٣/ ١٨٢) ٤٧٨٧، والبداية (٧/ ٢٥٣).

(٢) كانت في هذا أسبق من الكوفة والمدينة.

(٣) الجرح (٤/ ٦٥).

(٤) هدي الساري (٤٠٦)، نقل من تفسير قتادة أكثر من (٣٣٣٥) قولاً.

(٥) السير (٦/ ٣٢٧).

(٦) شذرات الذهب (١/ ٢٢٦).

(٧) سيأتي مزيد بيان لهذا ـ إن شاء الله ـ في الحديث عن هاتين المدرستين.

في قتادة، فغزر علمه في التفسير، بيد أن حظه من العلوم الأخرى كان قليلاً. وهذا التوسع لم يرضه بعض المشاهير من الكوفيين خاصة.

فكان عامر الشعبي يصف قتادة ـ الذي كان مضرب المثل في عصره بالحفظ ـ فيقول: قتادة حاطب ليل. وبعد مراجعتي لتراجم الأئمة المشاهير من مفسري تلك المدارس، لم أجد عند البصريين ذلك الحرج والخوف الذي وجدت في تراجم غيرهم من الكوفيين، والمدنيين.

كما أن قتادة ـ وهو من عني بنشر تراث هذه المدرسة ـ كان جل همه النقل والرواية والدراية في التفسير، وأما ما نقل عنه في العلوم الأخرى فقد كان قليلاً.

٦ ـ أثر ابن عباس عليها :

وأحسب أن مما أهلها لاحتلال هذه المرتبة المتقدمة بين مدارس التابعين بعد المكية، تولي ابن عباس الإمارة فيها، وبقاءه زمنًا بها[١].

٧ ـ قلة الصحابة فيها :

وهذا سبب يمكن أن يلاحظ، وخصوصًا إذا قورنت هذه المدرسة بغيرها من مدارس التابعين[٢]، ولذا احتاج الناس إلى علمهم أكثر من غيرهم.

يقول مسروق: كان القضاء في أصحاب رسول الله ﷺ في ستة: عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبي موسى الأشعري، فكان نصفهم لأهل الكوفة علي، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري[٣]، وكان النصف الآخر لأهل المدينة.

---

(١) المستدرك (٢/ ٢٧٣).

(٢) مقارنة بالكوفة والمدينة.

(٣) المعرفة (١/ ٤٨١).

٨ ـ الحرص على إبلاغ العلم، ونشره :

حرص أئمة البصرة على التحديث بما علموه، وأكثروا من ذلك، وكان الحسن ـ رحمه الله ـ يتكلم ويُعلم احتسابًا، في حين كان غيره يسكت احتسابًا[١]، أو ينكر عليه إكثاره، كما جاء في إنكار الشعبي على الحسن[٢]، وكان الحسن ـ رحمه الله ـ يقول: لولا الميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم ما حدثتكم بكثير مما تسألون عنه[٣].

وتبعه في ذلك تلميذه قتادة الذي مُتع بحافظة كانت مضرب المثل في عصره، مما جعلته أهلاً ليحتل المرتبة الأولى بين صغار التابعين ومن بعدهم، فدار الإسناد في جميع الأمصار على ستة، كان قتادة أحدهم[٤]. حتى قيل: بث العلم في الدنيا أربعة، وكان من أولهم قتادة[٥].

ومن المعلوم أن أسانيد قتادة وعلمه ـ الذي بثه ـ كان جله في علم التفسير، وروايته، فكان هذا سببًا رئيسًا في انتشار آثار هذه المدرسة، وكثرة الرواية عنها.

مع العلم أنه وجد في المدرسة بعض المتورعين كابن سيرين، وبعده أبو العالية، إلا أن الغلبة كانت لمنهج الحسن، وصاحبه قتادة.

أثرها :

احتلت المدرسة البصرية المرتبة الثانية بعد المكية في التفسير[٦] إلا أن الأثر المكي في

(١) المعرفة (٢/ ٥٦).

(٢) العلل لأحمد (٣/ ٣٦٧) ٥٦١٤.

(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٨).

(٤) العلل لابن المديني (٢١)، وهؤلاء الستة كما ذكرهم ابن المديني : محمد بن شهاب الزهري، وعمرو بن دينار، وقتادة، وأبو إسحاق السبيعي، وسليمان بن مهران الأعمش، ويحيى بن أبي كثير، ينظر العلل (١٧، ٢٤).

(٥) البيان والتبيين (١/ ٢٤٢).

(٦) بلغ نسبة ما جاء عنها في التفسير بعد مراجعتي للمروي من تفسير مشاهير أصحاب المدارس عند ابن جرير (٣٨, ٠) من مجموع تفاسير التابعين، في حين كان عن المكية ما نسبته (٤٦, ٠)، وعن الكوفية (١٤, ٠)، وعن المدنية فقط (٠٢, ٠).

التفسير بدا واضحًا مُبكرًا في عصر التابعين[١] ، في حين كان الأثر الواسع والبالغ، الذي أحدثته المدرسة البصرية بدأ في الظهور في أواخر زمن التابعين، وبالذات في عصر أتباعهم ومن بعدهم.

فهذا معمر بن راشد البصري ـ الذي عني بتفسير الحسن ، وقتادة رحل إلى اليمن[٢]، ونشر في مدرستها تفسير هذين الإمامين البصريين، حتى إننا نجد أقدم التفاسير المسندة، كتفسير عبد الرزاق الصنعاني يعتمد في تفسيره على هذين المفسرين، أكثر من اعتماده على شيوخ المدرسة المكية[٣] .

كما نجد أثر هذه المدرسة يمتد، ليشمل بلاد المغرب الإسلامي، حتى إن مفسري المغاربة يعتمدون على تفسير الحسن وقتادة أكثر من اعتمادهم على تفسير مجاهد، وعكرمة، ولعل السبب الرئيس في هذا ما نقله يحيى بن سلام ـ الذي عاش في البصرة ـ وأخذ التفسير وعلم القراءة عن أصحاب الحسن[٤] ، مع ما صاحب هذا قبول لأقوال

---

(١) سبق تفصيل ذلك في أثر المدرسة المكية ، ص (٤١٦، ٤٢١).

(٢) السير (٧/ ٥)، وقد لازم عبد الرزاق الصنعاني معمرًا ثماني سنين، ينظر الجرح (٦/ ٣٨)، وكان (٦٦ , ٠) من مجموع تفسيره من طريق معمر عن قتادة، وسيأتي لذلك مزيد بيان عند التعرض للتفسير في اليمن ص (٥٣٦).

(٣) بلغ عدد الأقوال الواردة في تفسيره عن قتادة (١٥٠٩) أقوال، وعن الحسن (٢٠٣) أقوال، في حين كانت عن مجاهد (١٧٨) قولاً، بل كان المروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لم يجاوز (١٠٩) أقوال، وسبق تفصيل ذلك في فصل مصادر تفسير التابعين ص (٧٠).

(٤) السير (٩/ ٣٩٦ـ٣٩٧)، وغاية النهاية (٢/ ٣٧٣).

بلغ المروي في تفسير يحيى بعد مراجعة مختصر تفسيره لابن أبي زمنين في سورتي البقرة وآل عمران، عن الحسن (١١١) قولاً، وعن قتادة (١٠٩) أقوال ، وعن مجاهد (٢٧) قولاً، وهذا التفسير عني به أهل إفريقية والمغرب والأندلس ، وكانوا يهتمون به حتى كان منهم من يحفظه، فقد ذكر الدباغ في معالم الإيمان (٢/ ٢٤٨)، في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الفارسي أنه كان يحفظ تفسير يحيى بن سلام كما يحفظ القرآن، ينظر مقدمة مختصر تفسير يحيى لأبي زمنين (١/ ٤).

الحسن وصاحبه عند المغاربة، وذلك لقربهم في كثير من الآراء من المدرسة المدنية، التي ينتمي لها معظم بلاد المغرب الإسلامي[1]، فصارت المدارس في شمال إفريقية والقيروان والأندلس تعني بتفسير الحسن وصاحبه، وامتد الأثر فرأيناه حتى في كتب المصنفين من متأخري مفسري المغاربة.

* * *

(١) سيأتي تفصيل الأثر المدني على مدرسة البصرة - إن شاء الله - عند الحديث عن أثر المدرسة المدنية على بقية المدارس ص (٥٢١).

المبحث الثالث

المدرسة الكوفية

لما نزل المسلمون المدائن، طال بها مُكثهم، آذاهم الغبار، فكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص أن يختار منزلاً آخر بحريًا، فإن العرب لا يصلحها من البلدان إلا ما أصلح الشاة، والبعير، فسأل من قبله عن هذه الصفة، فأشار عليه من رأى العراق من وجوه العرب باللسان، وهو ظهر الكوفة، وكان نزولهم الكوفة سنة سبع عشرة[١].

وقد هبط الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أهل بدر ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ[٢].

وكتب عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة قائلاً: يا أهل الكوفة، أنتم رأس العرب، وجمجمتها، وسهمي الذي أرمي به إن أتاني شيء من هاهنا، وهاهنا، قد بعثت إليكم بعبد الله وخرْت لكم، وآثرتكم به على نفسي. وفي رواية عنه قال: أما بعد فإني بعثت إليكم عماراً أميراً، وعبد الله معلمًا ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ، فاسمعوا لهما، واقتدوا بهما، وإني قد آثرتكم بعبد الله على نفسي إثرة[٣].

وكان الحسن البصري إذا سُئل: أيهما خير أهل الكوفة، أم أهل البصرة؟ قال: كان يبدأ بأهل الكوفة[٤].

---

(١) المعارف (٢٤٦).
(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٩).
(٣) المرجع السابق (٦/ ٧).
(٤) المعرفة (٢/ ٥٥٠).

ومدرسة الكوفة من أكثر المدارس عناية بآثار شيخها ابن مسعود.

يقول ابن جرير: ولم يكن أحد له أصحاب معروفون حرروا فتياه ومذاهبه في الفقه غير ابن مسعود[١].

ويقول مسروق بن الأجدع: حدثنا عبد الله، ولو لم يحدثنا عبد الله من كان يُحدثنا[٢]

ومدرسة الكوفة هي ثالث المدارس رتبة في العناية والاهتمام بعلم التفسير[٣]، وقد أثرت الإقلال والورع فيه، متأثرة بمنهج شيخها ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وتربيته، حتى إن الملازمين له من أصحابه لم يرد عنهم في التفسير إلا أقل القليل، فكانوا بذلك من أقل التابعين على الإطلاق تعرضًا للتأويل.

ننتقل بعد هذا البيان الموجز إلى تفصيل المقال في حياة هذا الصحابي الجليل ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ.

عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ:

هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن قار بن مخزوم أبو عبد الرحمن[٤] الهذلي حليف بني زهرة[٥]. وأم عبد الله بنت عبدود بن سواءه من هذيل أيضًا[٦].

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٦).
(٢) العلل لأحمد (٢/ ٤٥٠) ٢٩٩٩.
(٣) سبقتها مدرستا مكة والبصرة.
(٤) الاستيعاب (٢/ ٣١٦)، وطبقات ابن سعد (٣/ ١٥٠)، وأسد الغابة (٣/ ٣٨٤)، والإصابة (٢/ ٣٦٨)، والمعجم الكبير للطبراني (٩/ ٥٧).
(٥) أسد الغابة (٣/ ٣٨٤)، والمعارف (١٠٩)، والمعجم الكبير (٩/ ٥٧) ٨٤٠١، والمغازي للواقدي (١/ ١٥٥).
(٦) الاستيعاب (٢/ ٣١٦)، والإصابة (٢/ ٣٦٨).

وكان إسلامه قديمًا، يقول ـ رضي الله عنه ـ : لقد رأيتني سادس ستة ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا[١] .

وكان ـ رضي الله عنه ـ أول من جهر بالقرآن بمكة[٢] .

وقد شهد بدرًا وبيعة الرضوان والمشاهد كلها[٣] ، وهو قاتل أبي جهل عدو الله[٤] .

روى عن النبي ﷺ ثمانمائة حديث، وثمانية وأربعين حديثًا[٥] ، منها أربعة وستون حديثًا في الصحيحين، انفرد له البخاري بإخراج واحد وعشرين حديثًا، ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثًا[٦] .

وكان ـ رضي الله عنه ـ صاحب وسادة النبي ﷺ وسواكه، ونعليه وطهوره[٧] .

يقول أبو موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ: قدمت أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حينًا ما نَرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجلٌ من أهل بيت النبي ﷺ ، لما نرى من دخوله، ودخول أمه على النبي ﷺ[٨] .

---

(١) المستدرك (٣/ ٣١٢) ، وكشف الأستار (١/ ٣٠٣)، ومجمع الزوائد (٩/ ٢٨٧).

(٢) السيرة لابن هشام (١/ ٣١٤)، وطبقات ابن سعد (٣/ ١٥١)، وأسد الغابة (٣/ ٣٨٥).

(٣) المعارف (١٠٩)، والمستدرك (٣/ ٣١٢)، والمنتظم (٥/ ٣٠).

(٤) المغازي للواقدي (١/ ٩٠)، وتاريخ الثقات (٢٧٨)، وأسد الغابة (٣/ ٣٨٦)، والمعجم الكبير للطبراني (٩/ ٨١).

(٥) مُقدمة مُسند بقي بن مخلد (٨٠)، وتجريد أسماء الصحابة (١/ ٣٣٤)، والسير (١/ ٤٦٢).

(٦) السير (١/ ٤٦٢).

(٧) الحلية (١/ ١٢٦)، وطبقات ابن سعد (٣/ ١٥٣)، والمعرفة (٢/ ٥٥٠)، والمستدرك (٣/ ٣١٤).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله، ينظر الفتح (٧/ ١٠٢) ٢٧٦٣، ومسلم في صحيحه بلفظ مختصر، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله (٤/ ١٩١١) ٢٤٦٠، والترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله (٥/ ٦٧٢) ٣٨٠٦، والنسائي في فضائل الصحابة (١٤٩)، وابن سعد في طبقاته (٣/ ١٥٤).

وعن شقيق بن سلمة قال: سمعت حذيفة يقول: إن أشبه الناس دلاً وسمتًا، وهديًا برسول الله ﷺ، لابن أم عبد، من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه، لا ندري ما يصنع في أهله إذا خلا[1].

وعن أبي الأحوص قال: كان نفر من أصحاب النبي ﷺ، أو قال: عدة من أصحاب النبي ﷺ في دار أبي موسى يعرضون مصحفًا، قال: فقام عبد الله بن مسعود فخرج، فقال أبو مسعود البدري: هذا أعلم من بقي بما أنزل الله على محمد ﷺ، فقال أبو موسى: إن يكن كذلك فقد كان يؤذن له إذا حُجبنا ويشهد إذا غبنا[2].

وعن زيد بن وهب، قال: كنت جالسًا في القوم عند عمر، إذ جاء رجل نحيف قليل، فجعل عمر ينظر إليه ويتهلل وجهه، ثم قال: كنيفٌ ملئ علمًا، كنيف مُلئ علمًا، كنيف ملئ علمًا، فإذا هو ابن مسعود[3].

وكان علي ـ رضي الله ـ لما سُئل عنه، قال: علم القرآن والسنة، ثم انتهى[4].

وكان أبو موسى الأشعري يقول لمن يسأله: لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الهدي الصالح، ينظر الفتح (١٠/ ٥٠٩) ٦٠٩٧، ورواه ـ أيضًا ـ مختصرًا في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله، ينظر الفتح (٧/ ١٠٢) ٢٧٦٢، ورواه أحمد في مسنده (٥/ ٤٠١، ٤٠٢)، والترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله (٥/ ٦٧٣) ٣٨٠٧، وكتاب فضائل الصحابة للنسائي (١٥٠)، والمعرفة (٢/ ٥٤٠)، والحلية (١/ ١٢٧)، والمعجم الكبير للطبراني (٩/ ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٧).

(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٤٣)، وفضائل الصحابة للنسائي (١٤٨)، والمعرفة (٢/ ٥٤١، ٥٤٤)، والحلية (١/ ١٢٩)، والمستدرك (٣/ ٣١٦)، والمعجم الكبير للطبراني (٩/ ٩٠).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ١٥٦)، والحلية (١/ ١٢٩)، والمعرفة (٢/ ٥٤٣)، والمعجم الكبير (٩/ ٨٥).

(٤) المستدرك (٣/ ٣١٨)، والحلية (١/ ١٢٩)، وصفة الصفوة (١/ ٤٠١).

بين أظهركم، يعني: ابن مسعود[١].

وعن مسروق قال: قال عبد الله ـ رضي الله عنه ـ: والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه[٢].

وقد كتب عمر بن الخطاب لأهل الكوفة أني قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميرًا، وعبد الله بن مسعود معلمًا ووزيرًا، وهما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ من أهل بدر فاسمعوا، وقد جعلت ابن مسعود على بيت مالكم، فاسمعوا، وتعلموا منهما، واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي[٣].

وعن مسروق قال: كان عبد الله وحذيفة وأبو موسى الأشعري في منزل أبي موسى، فقال حذيفة: أما أنت يا عبد الله بن مسعود، فبعثت إلى أهل الكوفة معلمًا، فأخذوا من أدبك، ولغتك، ومن قراءتك[٤].

ولقد كان لهذا المعلم الأثر البالغ في نفوس أصحابه الملازمين له أو من جاء بعدهم، فقد توجهت المدرسة متأثرة بأستاذها للعلوم التي أكثر منها وفيها.

---

(١) مسند أحمد (١/ ٤٦٤)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٣٤٣)، والمعرفة (٢/ ٥٤١)، والمعجم الكبير (٩/ ٩٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، ينظر الفتح (٩/ ٤٧) ٥٠٠٢، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله (٤/ ١٩١٣) ٢٤٦٣، وأحمد في مسنده (١/ ٤٢١)، وابن أبي داود في المصاحف (٢١، ٢٣)، والخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث (٩٥).

(٣) المستدرك (٣/ ٣٨٨)، والمعرفة (٢/ ٥٣٣، ٥٤٢)، والمعجم الكبير (٩/ ٨٥)، وأسد الغابة (٣/ ٣٨٨).

(٤) المصاحف لابن أبي داود (٢١).

أسباب قلة نتاج ابن مسعود التفسيري :

ومدرسة الكوفة كانت من أكثر المدارس اقتداءً ومتابعة لأستاذها حتى بعد موته، فإن تأثيره قد بقي في الكوفة بعده مدة طويلة، وأحسب أن من أهم أسباب إقلال المدرسة في التفسير هو اشتغال المدرسة بالعلوم التي اشتغل بها إمامها ـ رضي الله عنه ـ وهذا بدوره يجعلنا نوجه الحديث إلى إظهار أهم الأسباب التي قللت نتاج هذا الإمام في التفسير[1] ، وأهم من ذلك بيان السبب في إقلال أصحابه من بعده، وإليك توضيح ذلك مفصلاً :

١ ـ التحرج والورع عند ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ :

كان شديد الورع في التحديث عن رسول الله ﷺ ، وقد تأثر في هذا بمسلك عمر ـ رضي الله عنه ـ الذي كان يأمر بإلاقلال من الحديث خشية الخطأ في نقل حديثه ﷺ .

فعن قرظة بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال : قدمنا على عمر بن الخطاب في وفد من أهل الكوفة، قال: فقضى من حوائجنا ما قضى، حتى إذا ودعنا وخرجنا، لحقنا عمر وهو ينادي، يعلق نعله في يديه، قال: فلما رأيناه، وقفنا له حتى إذا جاء، قال: إني ذكرت أنكم تقدمون غداً على قوم، فأقلوا الرواية على رسول الله ﷺ وأنا شريككم[2] .

وعن رجاء بن أبي سلمة قال: إن معاوية كان يقول: عليكم من الحديث بما كان في عهد عمر، فإن عمر قد كان أخاف الناس في الحديث عن رسول الله ﷺ[3] . وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ ينهى المكثرين من الصحابة عن التحديث، فكان يقول لأبي هريرة:

---

(١) المروي عن ابن عباس في التفسير عند الطبري (٥٨٠٩) أقوال ، في حين بلغ المروي عن ابن مسعود (٨٥٦) قولاً، أي: ما يقارب سدس المروي عن ابن عباس.

(٢) العلل لأحمد (١/ ٢٥٨) ٣٧٣، وسنن ابن ماجه (١/ ١٢) ٢٨، وجامع بيان العلم (٢/ ١٢٠).

(٣) العلل لأحمد (٣/ ١٨٣) ٤٧٨٩، والمسند لأحمد (٤/ ٩٩).

لتتركن الحديث عن رسول الله ﷺ أو لألحقنك بأرض دوس.

وقال لكعب الأحبار: لتتركن الأحاديث أو لألحقنك بأرض القردة[١].

وقد تأثر ابن مسعود بهذا المنهج، ولا غرو في ذلك، فهو الذي كان يدع قوله لقول عمر. فقد روى العجلي في تاريخه قال: ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يدعون قولهم لقول ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ: كان ابن مسعود يدع قوله لقول عمر، وكان أبو موسى الأشعري يدع قوله لقول علي، وزيد بن ثابت يدع قوله لقول أبي[٢].

وكان ـ رضي الله عنه ـ يقول: لو أن علم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وضع في كفة الميزان، ووضع علم أهل الأرض في كفة لرجح علم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه[٣]..

وقد بلغ عبد الله مرتبة عظيمة من الورع والخشية عند التحديث عنه ﷺ.

فعن عمرو بن ميمون قال: صحبت عبد الله ثمانية عشر شهراً، فما سمعته يُحدث عن رسول الله ﷺ إلا حديثًا واحدًا، فرأيته يعرق، ثم غشيه بهرٌ ثم قال نحو هذا أو شبهه[٤].

وكان ـ رضي الله عنه ـ يقول لأصحابه: إن استطعت أن تكون أنت المُحدَّث،

---

(١) تاريخ أبي زرعة (١/ ٥٤٤)، مسند أحمد (٤/ ٩٩)، وشرف أصحاب الحديث (٩٠)، والمحدث الفاصل (٥٥٤).

(٢) تاريخ الثقات (٢٧٨).

(٣) العلم لأبي خيثمة (١٢٣).

(٤) المعرفة (٢/ ٥٤٨)، والمعجم الكبير للطبراني (٩/ ١٣٠)، وسنن الدارمي (١/ ٨٣)، وأخرجه ابن سعد بلفظ مقارب عن علقمة، ومسروق (٣/ ١٥٦، ١٥٧)، ورواه ابن ماجه في سننه (١/ ١٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ١١١)، و(٣/ ٣١٤)، وينظر المحدث الفاصل (٥٤٩)، والإلماع (١٧٧)، والكفاية (٢٠٥).

فافعل[١] .

وكان ينهى عن كثرة التحديث[٢] ، وكان يحدث في الشهر بالحديث والحديثين[٣] .

وعد بعض أصحابه حديثه ، فلم يجاوز الخمسين حديثًا[٤] .

وكان يقول ـ رضي الله عنه ـ : إن الذي يفتي الناس في كل شيء لمجنون[٥] .

ولما سئل ـ رضي الله عنه ـ عن قوله تبارك وتعالى : ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾ . قال : والله لولا التحرجُ ، وأني لم أسمع من رسول الله ﷺ فيها شيئًا ، لقلت : إن العمرة واجبة مثل الحج[٦] .

وكان يقول : القرآن كلام الله ، فمن قال فليعلم ما يقول على الله[٧] ، وكان ـ رضي الله عنه ـ ينهى عن القصص ، والتكلف[٨] .

ولما سئل عن شيء قال : إني لأكره أن أحل لك شيئًا حرمه الله عليك ، أو أحرم ما أحله الله لك[٩] .

وعن مسروق قال : كنا عند عبد الله جلوسًا ، وهو مضطجع بيننا ، فأتاه رجل ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إن قاصًا عند أبواب كندة يقص ، ويزعم أن آية الدّخان تجيء ، فتأخذ بأنفاس الكفار ، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام ، فقال عبد الله وجلس

(١) العلم لأبي خيثمة (١١٣).
(٢) المرجع السابق (١٣٣).
(٣) سنن الدارمي (١/ ٨٤).
(٤) تاريخ أبي زرعة (١/ ٦١٣)، والمحدث (٥٥٧).
(٥) سنن الدارمي (١/ ٦١)، والعلم لأبي خيثمة (١١١)، والمعجم الكبير للطبراني (٩/ ٢١١).
(٦) تفسير الطبري (٤/ ١٣) ٣٢١٣، والسنن الكبرى للبيهقي (٤/ ٣٥١).
(٧) شعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٤٢٤) ٢٢٨٠.
(٨) العلم لأبي خيثمة (١٢٥).
(٩) سنن الدارمي (١/ ٥٥).

وهو غضبان: يا أيها الناس، اتقوا الله، من علم منكم شيئًا فليقل بما يعلم، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم الله أعلمُ، فإن الله ـ عز وجل ـ قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[1].

٢ ـ الاشتغال بالقراءة:

برز ابن مسعود ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ بين الصحابة، وسبق في علم القراءة، وقد تلقى من في رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة من القرآن، فعن شقيق بن سلمة قال: خطبنا عبد الله بن مسعود، فقال: والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم[2].

وعن مسروق قال: ذُكر عبد الله عند عبد الله بن عمرو، فقال: ذاك رجلٌ لا أزال أحبُّه بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود فبدأ به، وسالم مولى أبي حُذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل**»[3].

---

(١) سورة ص: آية (٨٦)، والأثر أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين (٤/ ٢١٥٥) ٢٧٩٨، والبخاري في صحيحه مختصرًا، كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾، ينظر الفتح (٨/ ٥٤٧) ٤٨٠٩، ورواه البغوي بسنده عن مسروق مختصرًا، ينظر تفسير البغوي (٤/ ٧٠)، وابن كثير في تفسيره (٧/ ٧٣). وأورده السيوطي في الدر، وعزاه للبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن المنذر، وابن مردويه عن مسروق بنحوه (٧/ ٢٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، ينظر الفتح (٩/ ٤٦) ٥٠٠٠، وينظر طبقات ابن سعد (٢/ ٣٤٢، ٣/ ١٥١)، والمعرفة (٢/ ٥٣٧، ٥٣٩)، والمستدرك (٢/ ٢٢٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة، ينظر الفتح (٧/ ١٠١) ٣٧٥٨. ورواه أيضًا في كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ بلفظ مقارب، ينظر الفتح (٩/ ٤٦) ٤٩٩٩، ورواه في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن مسعود (٧/ ١٠٢) ٣٧٦٠، وباب مناقب معاذ بن جبل (٧/ ١٢٥) ٣٨٠٦. وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله (٤/ ١٩١٣) ٢٤٦٤. وأخرجه النسائي في فضائل الصحابة (١٤٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٦٠)، وأبو =

وقد مدحه النبي ﷺ بقوله: «**من أحب أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل، فليقرأ قراءة ابن أم عبد**»[١].

وكان - رضي الله عنه - يقول: لو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه[٢].

وقد عرف عمر الفاروق - رضي الله عنه - لابن مسعود قدره في علم القراءة والإقراء.

فعن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر، وهو بعرفة، فقال: يا أمير المؤمنين، جئت من الكوفة، وتركت بها من يملي المصاحف عن ظهر قلبه، قال: فغضب عمر، وانتفخ، حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرجل، ثم قال: ويحك من هو؟ قال: عبد الله بن مسعود، فما زال يطفئ، ويسري الغضب، حتى عاد إلى حاله التي كان عليها، ثم قال: ويحك، والله ما أعلمه بقي أحدٌ من المسلمين هو أحق بذلك منه[٣].

وقد عظم على ابن مسعود - رضي الله عنه - تقديم زيد عليه في جمع القرآن، فعن عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن مسعود كره لزيد نسخ المصاحف، وقال: يا معشر المسلمين، أعزل عن نسخ المصاحف، ويتولاها رجلٌ غيري، والله لقد أسلمت وإنه

= داود الطيالسي ١٨٩٤، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٣٤٧)، وأبو شامة في المرشد الوجيز (٣٦).

(١) مسند أحمد (١/ ٧، ٢٦، ٣٨، ٤٤٥، ٤٥٤)، وسنن ابن ماجه (١/ ٤٩) ١٣٨، ومسند الطيالسي، ينظر فتح المعبود (٢/ ١٥)، وفضائل الصحابة للنسائي (١٤٦)، والمصنف لابن أبي شيبة (٢/ ١٦٣)، والمستدرك للحاكم، وصححه ووافقه الذهبي (٣/ ٣١٨)، والمعجم الكبير للطبراني (٩/ ٦٧)، والسنن الكبرى للبيهقي (١/ ٤٥٢)، وأورده الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٩) ١١٤.

(٢) سبق تخريجه قبل ورقات.

(٣) المستدرك للحاكم وصححه، ووافقه الذهبي (٢/ ٢٢٧)، ومسند أحمد (١/ ٢٥، ٢٦)، والحلية (١/ ١٢٤)، وفضائل الصحابة للنسائي (١٤٧)، والمعجم الكبير للطبراني (٩/ ٦٤، ٦٥)، والمعرفة (٢/ ٥٣٨).

لفي صُلب أبيه، يا أهل الكوفة: اكتموا المصاحف التي عندكم وغُلوها[١].

وقد بدا واضحًا عناية ابن مسعود بالقراءة في تفسيره، فإنه من أكثر الصحابة الذين اعتنوا بذلك، ونقل عنه العديد من الروايات في ذلك[٢].

ومما يدل على أثر هذا على أصحابه، ما نراه من عدّ ثلاثة من القراء الكبار، كلهم

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح (٥/ ٢٨٥) ٣١٠٤، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٧٠)، وينظر المصاحف لابن أبي داود (١٧)، وأشار إلى هذه الرواية الإمام الذهبي في السير (١/ ٤٨٨)، وقال معلقًا: إنما شقّ على ابن مسعود لكون عثمان ما قدمه على كتابة المصحف، وقدَّم في ذلك من يصلح أن يكون ولده، وإنما عدل عنه عثمان لغيبته عنه في الكوفة، ولأن زيدًا كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فهو إمام في الرسم، وابن مسعود إمام في الأداء، ثم إن زيدًا هو الذي ندبه الصديق لكتابة المصحف، وجمع القرآن، فهلا عتب على أبي بكر؟ وقد ورد أن ابن مسعود رَضِيَ وتابع عثمان، ولله الحمد.
وفي مصحف ابن مسعود أشياء أظنها نُسخت، وأما زيد فكان أحدث القوم بالعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ - عام توفي - على جبريل اهـ.
ويقول أبو بكر بن الأنباري: ولم يكن الاختيار لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمان على عبد الله بن مسعود في جمع القرآن، وعبد الله أفضل من زيد، وأقدم في الإسلام، وأكثر سوابق، وأعظم فضائل، إلا لأن زيدًا كان أحفظ للقرآن من عبد الله إذ وعاه كله، ورسول الله ﷺ حي، والذي حفظ منه عبد الله في حياة الرسول ﷺ نيف وسبعون سورة، ثم تعلم الباقي بعد وفاة الرسول ﷺ، والذي ختم القرآن وحفظه ورسول الله ﷺ حي أولى بجمع المصحف، وأحق بالإيثار، والاختيار اهـ. ينظر الوجيز في فضائل الكتاب العزيز (١٦٩).
وقد أخرج البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، عن أنس قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قال: ونحن ورثناه اهـ. ينظر الفتح (٩/ ٤٧) ٥٠٠٤، ويأتي لذلك مزيد بسط في مبحث منهجهم في القراءات ص (٧٤٨).

(٢) بعد مراجعتي لتفسيره - رضي الله عنه - عند الطبري وجدت أن (١١, ٠) من تفسيره، كان آثار في إيضاح التفسير بالقراءة. ولم يقاربه في هذه النسبة أحد من الصحابة، أو مفسري التابعين.

من الكوفة: الأسود بن يزيد[١]، وعلقمة بن قيس[٢]، وأبو عبد الرحمن السلمي[٣].

بل كان مجاهد يتحسر على عدم معرفته لقراءة ابن مسعود، ويقول: لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم أحتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت[٤].

ومما يدل على تقدمه أيضًا أن بعض مفسري التابعين من المدارس الأخرى حينما نقلوا تفسير ابن مسعود، كان أكثر ما أخذوه عنه ما كان في القراءات، فمجاهد مثلاً لم يرو عنه إلا في خمسة مواضع، كان أربعة منها في القراءات[٥].

وكذلك روى عنه قتادة في تفسيره في سبعة عشر موضعًا، ستة عشر منها كانت في القراءة[٦].

ووجدت هذا حتى عند المتأخرين من الكوفيين، فهذا السدي يروي عن ابن مسعود خمس روايات، أربع منها في القراءة[٧].

وقريبًا من هذا ما جاء عن الضحاك، الذي روى عن ابن مسعود تسع روايات، ست منها في القراءة[٨].

من ذلك يتضح لنا أن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ اشتغل بالقراءة، والإقراء،

(١) معرفة القراء الكبار (١/ ٤٣).
(٢) المرجع السابق (١/ ٤٤).
(٣) المرجع السابق (١/ ٤٥).
(٤) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه (٥/ ٢٠٠).
(٥) تراجع الآثار التالية في تفسير الطبري: ١٣٤٣١، ١٤٦٣٢، (٢٥/ ١٧)، (٣٠/ ١٦١).
(٦) ينظر الآثار: ١٩٥٩٥، ١٩٩٥٣، (١٣/ ٢٤٦)، (١٥/ ٦٢)، (١٥/ ٢٠٩)، (١٥/ ٢٣٠)، (١٦/ ٢)، (١٦/ ٣)، (١٦/ ١٢٣)، (١٦/ ٢٠٨)، (١٧/ ١٦٥)، (١٧/ ١٧٣)، (٢٥/ ١٣٦)، (٢٧/ ٢٠٦).
(٧) الآثار في تفسير الطبري: (٢٣/ ٢٣)، (٢٣/ ٦٥)، (٢٥/ ٧٧).
(٨) ينظر الآثار في تفسير الطبري ١٥٦٦٦، (١٣/ ٢٤٦)، (١٩/ ٦٧)، (٢٢/ ٢١)، (٢٢/ ٣٠)، (٢٥/ ٧٧).

وفاق غيره من الصحابة في هذا، حتى صار التابعون من المدارس الأخرى يفيدون من قراءته، أكثر من إفادتهم من قراءة أصحابهم، لاسيما ما كان منها في التفسير.

٣ ـ اشتغاله بالفقه والإفتاء :

وكان اشتغاله ـ رحمه الله ـ بالفقه والإفتاء أكثر من تعرضه للقرآن وتأويله، وقد تميز في هذا من بين أصحاب النبي ﷺ، حتى إن بعض التابعين عدّه من أفقه الصحابة، وفي ذلك يقول عامر الشعبي: ما كان أحد من أصحاب النبي ﷺ أفقه من صاحبنا عبد الله، يعني ابن مسعود[١].

ونجد شاهد هذا الاتجاه الفقهي، والميل إلى الإفتاء، في الأثر الذي خلفه فيمن بعده، فكان عامة أصحابه، ومن جاء بعدهم، أكثر شغلهم في الإفتاء، وبيان الأحكام الشرعية، وعندما نراجع الحديث عن أصحابه نجد أن الأئمة يقدمون الحديث عنهم بقولهم: الذين يفتون ويقرئون، وأحسب أن سبب ذلك، وعلته، أن الكوفة كانت تحتاج إلى بيان الحلال والحرام، وإيضاح كثير من المسائل العلمية العملية أكثر من حاجتها للتفسير.

٤ ـ تقدم وفاته ـ رضي الله عنه ـ :

فقد توفي ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ سنة ثلاث وثلاثين على الصحيح[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وعُمِّر بعده ابن عباس ستًا وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود[٣] !.

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ١٠).
(٢) مقدمة في أصول التفسير (٩٧)، والسير (١/ ٤٩٩).
(٣) مقدمة في أصول التفسير (٩٧).

أصحاب عبدالله :

بعد أن تفرق أصحاب رسول الله ﷺ في الأمصار، صار لكل واحد منهم مدرسة، وأصحاب، وقد تهيأ لبعض الصحابة تلاميذ أخذوا علمه وحفظوه، ونشروه في حياته، وبعد مماته، وابن مسعود هو أحد الصحب الكرام الذين تيسرت لهم تلك الصفوة من التابعين الذين اتبعوه بإحسان ، فكانوا كما وصفهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بقوله : أصحاب عبد الله سُرج هذه القرية[١] .

ويقول العجلي : ليس أحد من أصحاب النبي ﷺ أنبل صاحبًا من ابن مسعود[٢] .

وكان سعيد بن جبير يقول : كان أصحاب عبد الله شيوخ هذه الأمة[٣] .

والكوفة واحدة من المدارس الثلاث التي قام أصحابها بنشر علم شيخهم .

يقول ابن المديني : لم يكن من أصحاب النبي ﷺ أحد له أصحاب حفظوا عنه، وقاموا بقوله في الفقه إلا ثلاثة : زيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس[٤] .

ويبين الشعبي - رحمه الله - الفقهاء من أصحاب عبد الله فيذكر أربعة هم : علقمة بن قيس، وعبيدة السلماني، وشريح ، ومسروق[٥] .

ويُفصلُ حالهم الشعبي بقوله : كان علقمة أبطن القوم بابن مسعود، وكان مسروق قد خلط منه، ومن غيره، وكان الربيع بن خثيم أشد القوم اجتهادًا، وكان عبيدة يُوازي شريحًا في العلم، والقضاء[٦] .

(١) المعرفة (١/ ٣٥٣).

(٢) تاريخ الثقات (٢٧٩)، قلت : وليس قول العجلي هذا ببعيد، فإني لم أجد أحدًا يساويهم في عبادتهم وورعهم مع كثرة علمهم وفقههم - رحمة الله عليهم -.

(٣) المعرفة (٢/ ٥٥٨).

(٤) العلل (٤٣) ، والمعرفة (١/ ٧١٤).

(٥) السير (٤/ ٥٦).

(٦) المرجع السابق (٤/ ٥٥).

ويوسع إبراهيم النخعي نطاق التعريف بأصحاب عبد الله، فيعد من كان يقرأ، ويفتي من أصحاب عبد الله، فيقول: كان أصحاب عبد الله الذين يقرئون الناس القرآن، ويُعلمونهم السنة، ويصدُر الناس عن رأيهم ستة: علقمة، والأسود، ومسروق، وعبيدة، وأبو ميسرة بن شرحبيل، والحارث بن قيس[١].

وأيد هذا القول ابن المديني، وذكر قولاً لابن سيرين: أنه زاد الحارث الأعور[٢]، وتعقبه بقوله: الحارث الأعور كان في غير طريق أصحاب عبد الله، كانت روايته ومذهبه إلى علي بن أبي طالب، وما أعلمه روى عن عبد الله إلا حديثين، مختلف عنه في أحدهما[٣].

وبعد أن عدّ ابن المديني أصحاب عبد الله الستة قال: بعد هؤلاء الستة، كان أعلم أهل الكوفة بأصحاب عبد الله وطريقتهم ومذهبهم إبراهيم، والشعبي؛ إلا أن الشعبي كان يذهب مذهب مسروق، يأخذ عن علي، وأهل المدينة، وغيرهم، وكان إبراهيم يذهب مذهب أصحابه[٤].

ويقول عنهم البيهقي: هم أعلم الناس بمذهب عبد الله، وإن لم يرياه[٥].

وإنما عرضت لبيان أشهر أصحاب عبد الله في هذا المقام؛ لأني لم أعرج عليهم في فصل أشهر رجال مدارس التفسير، وأغفلت ذكرهم هناك لندرة المروي عنهم في مضمار التفسير، وضآلة الوارد عنهم في علم التأويل، فإنك تجد المروي عن كثير منهم في التفسير لا يكاد يجاوز الآثار العشرة. ومع هذا فسأقتطف من ترجمة كل واحد من

(١) الحلية (٤/ ١٧٠)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٦٥١)، والمعرفة (٢/ ٥٥٣)، والزهد لوكيع (٢/ ٥٢١)، وفضائل القرآن لأبي عبيد (٢٢٦).
(٢) السير (٤/ ٥٦)، والمعرفة (٢/ ٥٥٧).
(٣) العلل (٤٣)، والمعرفة (١/ ٧١٤).
(٤) العلل (٥٢).
(٥) سنن البيهقي (٦/ ٢٥٥).

أولئك الستة ما تدعو إليه الحاجة مُضيفًا نبذة من ترجمة مرة الهمذاني، لعنايته بتفسير ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مع بيان شيء من الفوارق بينهم.

ثم أختم هذا المبحث بما يجود به الرحمن من بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين أعلم أهل الكوفة بعد أولئكم الستة، أعني الشعبي والنخعي[١].

١ ـ علقمة بن قيس:

هو أبو شبل: علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الكوفي[٢]، كان ـ رحمه الله ـ من أكبر أصحاب ابن مسعود وأنبلهم[٣]، وهو فقيه الكوفة، وعالمها، ومُقرئها[٤]، وهو عم الأسود بن يزيد، وخال فقيه العراق إبراهيم النخعي[٥].

هاجر في طلب العلم والجهاد، ونزل الكوفة[٦] ولازم ابن مسعود[٧] حتى صار من أعلم أصحابه به، وقد انتهى إلى علم ابن مسعود، ولم يجاوزه[٨]، وعدَّ من أخص أصحاب عبد الله وأبطنهم به[٩]، وكان يقال: إذا رأيت علقمة فلا يضرك ألا ترى ابن

---

(١) بعد مراجعتي لتفسير ابن كثير، وجدت أن أصحاب ابن مسعود الستة: مع ما روي عن مرة الهمذاني، وزر بن حبيش. هؤلاء الثمانية مجتمعون، مجموع ما روى عنهم في تفسير ابن كثير (٦٥) أثرًا فقط، منها (٢٩) أثرًا عن مسروق، والبقية يشترك فيها هؤلاء السبعة.

(٢) طبقات خليفة (١٤٧)، والمعارف (١٩٠)، والتاريخ الكبير (٧/ ٤١)، وطبقات ابن سعد (٦/ ٨٦).

(٣) اللباب (٣/ ٣٠٤)، والتذكرة (١/ ٤٨).

(٤) السير (٤/ ٥٣).

(٥) العلل لأحمد (٢/ ٣٠٠) ٢٣٣٤، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢٩٦).

(٦) السير (٤/ ٥٤).

(٧) المعرفة (٢/ ٥٥٣)، والكاشف (٢/ ٢٧٧).

(٨) المعرفة (٢/ ٥٥٧)، والسير (٤/ ٣٠٨).

(٩) تاريخ أبي زرعة (١/ ٦٥٥)، وطبقات الحفاظ (١٣).

مسعود[١] ، وكان يُشبه بابن مسعود في هديه ، ودله ، وسمته[٢] .

قرأ القرآن على ابن مسعود[٣] ، وكان ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يقول : ما أقرأ شيئًا ، وما أعلم شيئًا ، إلا وعلقمة يقرؤه ، ويعلمه[٤] .

وكان من أقرئهم في الكوفة[٥] .

وكان ـ رحمه الله ـ ممن غلب جانب الورع والإقلال في العلم بعامة ، وفي التفسير بخاصة ، فلم يأت عنه فيه إلا القليل[٦] .

وكان على جانب كبير من العبادة والنسك ، يقول عنه مرة : كان علقمة من الربانيين[٧] .

وقد كان الربيع بن خثيم ، وهو من أشد الكوفيين اجتهادًا في العبادة يأتي علقمة فيقول : ما أزورُ أحدًا ما أزورك[٨] .

توفي رحمه الله سنة ثنتين وستين[٩] .

---

(١) التهذيب (٧/ ١٧٧).
(٢) العبر (١/ ٤٩)، والمستدرك (٣/ ٣٢٠)، والمعرفة (٢/ ٥٥٣)، واللباب (٣/ ٣٠٤)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٦٥٠).
(٣) معرفة القراء الكبار (١/ ٤٥)، والسير (٤/ ٥٤).
(٤) التذكرة (١/ ٤٨)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٤٥)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٣٠٥).
(٥) السير (٤/ ٥٩)، ومختصر تاريخ دمشق (١٧/ ١٦٩).
(٦) رجعت إلى تفسير ابن كثير فلم أجد له إلا سبع (٧) روايات ، وعند القرطبي (٦٦) قولاً ، جُلها في تفسير آيات الأحكام.
(٧) تاريخ أبي زرعة (١/ ٦٥٠)، والعلل لأحمد (١/ ٤٤٦) ١٠٠٣ ، والمعرفة (٢/ ٥٥٦).
(٨) السير (٤/ ٥٩).
(٩) المعارف (١٩٠)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٤٥)، والتذكرة (١/ ٤٨).

٢ ـ مسروق :

هو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية[١] ، أبو عائشة الوادعي الهمداني[٢] .

يقول الخطيب البغدادي : يقال : إنه سُرِق وهو صغير ، ثم وجد فسمي مسروقًا[٣] .

عداده في كبار التابعين ، وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ[٤] .

يقول فيه الشعبي : كان مسروق أعلم بالفتوى من شريح ، وكان شريح أعلم بالقضاء من مسروق ، وكان شريح يستشير مسروقًا ، وكان مسروق لا يستشير شُريحًا[٥] .

وكان الشعبي يقول : ما رأيت أحدًا أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق[٦] .

وكان ـ رحمه الله ـ قد أخذ عن ابن مسعود ، وعن غيره ، وفي ذلك يقول ابن المديني : مسروق صلى خلف أبي بكر ، ولقي عمر وعليًا[٧] ، وقدم المدينة وسأل عن أصحاب النبي ﷺ فدل على زيد بن ثابت ، يقول : قدمت المدينة فسألت عن أصحاب النبي ﷺ فإذا زيد من الراسخين[٨] .

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٢)، والتذكرة (١/ ٤٩)، والإصابة (٣/ ٤٩٢)، وطبقات الحفاظ (٤)، والخلاصة (٣٧٤).

(٢) تاريخ الثقات (٤٢٦)، والكنى لأحمد (١٠٩).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٢)، ومختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٢٤٤).

(٤) السير (٤/ ٦٤)، والإصابة (٣/ ٤٩٢).

(٥) المعرفة (٢/ ٥٨٨)، والإصابة (٣/ ٤٩٢).

(٦) العلم لأبي خيثمة (١١٧)، والعلل لأحمد (٢/ ٤٥١) ٣٠٠٣، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٦٥٢).

(٧) العلل (٧٦).

(٨) المعرفة (١/ ٤٨٤)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٦٥٤).

وقد مرَّ معنا بعض قول الشعبي في ذلك وتمامه: أحدثك عن القوم كأنك شهدتهم، كان شريح أعلمهم بالقضاء، وكان عبيدة يوازي شُريحًا في علم القضاء، وأما علقمة فانتهى إلى علم عبد الله لم يُجاوزه، وأما مسروق فأخذ عن كل[١].

وقد أخذ التفسير عن عبد الله، وفي ذلك يقول: كان عبد الله يقرأ علينا السورة، ثم يحدثنا فيها، ويفسرها عامة النهار[٢].

وكان ـ رحمه الله ـ من أكثر أصحاب عبد الله الستة نقلاً عنه في التفسير[٣]، ومن أكثرهم تعرضًا للتفسير. على أن المروي عنه قليل إذا ما قورن بغيره من التابعين[٤].

وقد غلب عليه جانب الورع في هذا العلم، فكان يُحذر أصحابه من التعرض للتفسير، ويقول: اتقوا التفسير، فإنما هو الرواية عن الله[٥]، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ثلاث وستين[٦].

بين مسروق، وعلقمة:

كان هذان الإمامان من أكبر أصحاب عبد الله الملازمين له، ومن المقدمين في العلم، والفضل، ولعلي بعد هذا الإيجاز في ترجمتهما أبين بعض أوجه الاختلاف بينهما، فمن ذلك:

(١) العلل لابن المديني (٥٢)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٦٥٥)، والمعرفة (٢/ ٥٥٧)، ومختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٢٤٥).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٨١) ٨٤، والتذكرة (١/ ٤٩)، والتهذيب (١٠/ ١١٠).

(٣) نقل (١٠, ٠) من تفسير ابن مسعود، في حين جاء المروي من طريق علقمة (٠٤, ٠) فقط، وإن كان قد سبقه مرة حيث روى (٢٥, ٠)، لكني ذكرت أنه المقدم بين أصحاب عبد الله الستة.

(٤) هو من أكثر المقلين من أصحاب عبد الله الستة أثرًا وتعرضًا للتفسير، فقد جاء عنه في تفسير ابن كثير (٢٩) قولاً، وعند القرطبي (١٠٣) أقوال، فيُعد على قلة ما روي عنه من مكثريهم.

(٥) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٢٩).

(٦) المعارف (١٩١)، والوفيات لابن قنفذ (٩٦)، والنجوم الزاهرة (١/ ١٦١)، ودول الإسلام (١/ ٤٧)، والشذرات (١/ ٧١).

١ ـ كان علقمة أعلم بالحلال والحرام، ولا عجب في ذلك، فإنه كان من بيت علم وفقه، وكان يُسأل والصحابة متوافرون[١] بالكوفة، وعدَّ فقيه الكوفة وعالمها.

٢ ـ كان علقمة أكثر اهتمامًا بالقراءة، والإقراء، فقد جود القرآن على ابن مسعود[٢].

وكان ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يُرسل إليه ويقول له: رتل فداك أبي وأمي، فإنه زين القرآن[٣].

وكان مشتغلاً بالقرآن كثيرًا، فكان يختم القرآن في خمس ليال[٤].

٣ ـ وكان مع هذا أطولُ ملازمة لابن مسعود وأكثر مشابهة، وأقرب مسلكًا من مسروق، فلم يجاوز علم ابن مسعود، وكان أشبه الناس بهديه، وأعلمهم به، حتى إن ابن مسعود كان يحيل عليه، ويشهد له بقوله: ما أعلم شيئًا إلا علقمة يعلمه ويقرؤه، وقلَّ أن يخالفه في شيء[٥].

ولما سافر علقمة إلى مكة أرسل ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لعلقمة، وأصحاب عبد الله، فكان ابن عباس يُسأل وهم بحضرته يقول علقمة: يُسأل فيُخطئ ويُصيب، فيفحش في أنفسنا أن نرد عليه ونحن على طعامه[٦].

---

(١) المحدث الفاصل (٢٣٨)، والعلم لأبي خيثمة (١١٤)، والعبر (١/ ٤٩)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٤٥).

(٢) السير (٤/ ٥٤)، ومختصر تاريخ دمشق (١٧/ ١٦٨).

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد (٨٩)، والمصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٥٣٤)، والسنن الكبرى للبيهقي (٢/ ٥٤)، وشعب الإيمان للبيهقي (٥/ ١٢٤) ١٩٧٣.

(٤) المصنف لابن أبي شيبة (٢/ ٥٠١)، وسنن سعيد بن منصور، كتاب فضائل القرآن (٢/ ٤٥٥)، وفضائل القرآن للفريابي (٢٢٣)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٦٥١).

(٥) سبق بيان ذلك، ص (٤٧٣).

(٦) تاريخ أبي زرعة (١/ ٦٥٤).

٤ ـ ومع هذا التقدم في العلم، وطول الملازمة، فإن حالة من الورع والزهد، والخوف من الشهرة منعته من نشر هذا العلم، وقللت من نتاجه، قيل له: ألا تغشى المسجد فتجلس وتفتي الناس؟ قال: تريدون أن يطأ الناس عقبي ويقولون: هذا علقمة[١]!.

وكان الشعبي يقول في وصف حال ذاك البيت الذي نشأ فيه علقمة: إن كان أهل بيت خلقوا للجنة، فهم أهل هذا البيت علقمة والأسود[٢].

وكان من ورعه ـ رحمه الله ـ كراهيته للكتابة، قال له مسروق: اكتب لي النظائر، قال: أما علمت أن الكتاب يكره[٣].

يقول مسلم بن صبيح (أبو الضحى): أتيت علقمة فسألته عن قول الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾[٤] فقال: وما تصنع بهذا؟ إنما هذا شيء من فعل الجاهلية! قال: فأتيت مسروقًا فسألته، فقال: (البحيرة)، كانت الناقة إذا ولدت بطنًا خمسًا أو سبعًا شقوا أذنها، وقالوا: هذه بحيرة، قال: (ولا سائبة)، قال: كان الرجل يأخذ بعض ماله فيقول: هذه سائبة، قال: (ولا وصيلة)، قال: كانوا إذا ولدت الناقة الذكر أكله الذكور دون الإناث، وإذا ولدت ذكرًا وأنثى في بطن قالوا: (وصلت أخاها)، فلا يأكلونهما، قال: فإذا مات الذكر، أكله الذكور دون الإناث، قال: (ولا حام)، قال: كان البعير إذا ولد وولد ولده، قالوا: (قد قضى هذا الذي عليه) فلم ينتفعوا بظهره، قالوا: (هذا حمى)[٥].

---

(١) الزهد لابن المبارك (٤٨٨)، والمعرفة (٢/ ٥٥٥)، وسنن الدارمي (١/ ١٣٢)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٣٠٦).

(٢) السير (٤/ ٦٠)، ومختصر تاريخ دمشق (١٧/ ١٧٠).

(٣) العلل لأحمد (١/ ٢١٦) ٢٤٢.

(٤) سورة المائدة: آية (١٠٣).

(٥) تفسير الطبري (١١/ ١٢٦) ١٢٨٢٩.

٥ ـ وفي مقابل ما سبق، فإننا نجد مسروقًا أقل التزامًا لقول عبد الله من علقمة؛ لاتصاله بمدرسة المدينة، والشام، وغيرهما من الأقطار، فعلقمة لم يجاوز علم شيخه، ومسروق أخذ عن كل من رحل إليه.

ومع هذا فكان مُحبًا لأقوال إمام المدرسة الكوفية ـ رضي الله عنه ـ مقدمًا لها، وفي هذا يقول: شامت أصحاب محمد ﷺ، فوجدت علمهم انتهى إلى ستة: إلى عمر، وعلي، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل وأبي الدرداء، وزيد بن ثابت، ثم شامت الستة، فوجدت علمهم انتهى إلى علي، وعبد الله[١].

ويقول أيضًا: لقد جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ، والإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله من ذلك الإخاذ[٢].

وكان يقول: وقد سألت عمر، وعثمان، وعليًا، فلما لقيت عبد الله كفاني[٣].

٦ ـ وكان من المفارقات بينهما، أن مسروقًا كان أحرص على إبلاغ ما علمه، وأكثر اهتمامًا بنشر ما سمعه من علقمة، ولاشك أن لتنقله في البلاد، وكثرة أسفاره الأثر في ظهور هذا الحرص عنده، وكان يقول، لأن أفتي يومًا بعدل وحق أحب إلي من أن أغزو في سبيل الله سنة[٤].

ولذا نجده من أكثر أصحاب عبد الله رواية ودراية في التفسير.

٧ ـ ومما لاحظته أن مسروقًا كان أقرب إلى الأثر من علقمة، مما جعل الشعبي ـ صاحب الأثر ـ يُقدمه، ويُفضله على علقمة، بل إن جلَّ المروي عن مسروق جاء من

(١) المعجم الكبير للطبراني (٩/ ٩٦)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٦٤٧)، والمعرفة (١/ ٤٤٤).
(٢) المعرفة (٢/ ٥٤٢)، والعلم لأبي خيثمة (١٢٣).
(٣) العلل لابن المديني (٤٣).
(٤) تاريخ الإسلام (ح ٦١ هـ/ ٢٣٩).

رواية الشعبي[١] في حين كان المروي عن علقمة من طريق إبراهيم[٢] .

وكان مسروق يكره الرأي والقياس، يقول ـ رحمه الله ـ : إني أخاف وأخشى أن أقيس[٣] .

٣ ـ عبيدة السلماني :

هو عبيدة بن عمرو السلماني المرادي[٤] ، أحدكبار التابعين، أدرك النبي ﷺ ولم يره، قال ـ رحمه الله ـ: صليت قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين ولم أره[٥] .

قال الشعبي : كان عبيدة يوازي شُريحًا في القضاء[٦] وقد برع ـ رحمه الله ـ في الفقه[٧] .

وكان كثير الورع والتوقي، يقول ابن سيرين : ما رأيت رجلاً كان أشد توقيًا من عبيدة[٨] .

وكان من توقيه أن دعا بكتبه عند موته فمحاها، وقال : أخشى أن تضعوها على غير موضعها[٩] .

---

(١) من أمثلة ذلك؛ انظر الآثار الواردة في تفسير الطبري: ٣٢٠٦، ٤٢٤٢، ٤٢٤٤، ٤٢٤٥، ٤٤٤٧، ٤٤٥١، ٤٥١٤، ٤٥٨٥، ٤٩٠٩.

(٢) من ذلك الآثار: ٣١٨٥، ٣١٨٧، ٣٢٥٤، ٣٣٧٦، ٣٤٢٢، ٤٥٢٠، ٤٥٦٤.

(٣) سنن الدارمي (١/ ٦٥).

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣١٧)، والأنساب (٣/ ٢٧٦)، وطبقات الفقهاء (٨٠).

(٥) التاريخ الكبير (٦/ ٨٢)، والجرح (٦/ ٩١)، وتاريخ بغداد (١١/ ١١٨)، والاستيعاب (٢/ ٤٤٤).

(٦) تاريخ بغداد (١١/ ١١٩)، وتاريخ الإسلام (ح ٦١ هـ/ ٤٨٢)، والتهذيب (٧/ ٨٤).

(٧) النجوم الزاهرة (١/ ١٨٩)، والسير (٤/ ٤٠)، والتهذيب (٧/ ٨٥)، والشذرات (١/ ٧٨).

(٨) تهذيب الأسماء (١١/ ٣١٧)، والأنساب (٣/ ٢٧٧)، وتاريخ الإسلام (ح ٦١ هـ/ ٤٨٣).

(٩) العلم لأبي خيثمة (١٣٦)، وسنن الدارمي (١/ ١٢١)، وطبقات ابن سعد (٦/ ٩٤).

وكان ـ رحمه الله ـ يأتي إلى ابن مسعود كل خميس ، فيسأله عن أشياء غاب عنها ، فكان عامة ما يحفظ عن عبد الله مما يسأله عبيدة عنه[١] .

قال ابن سيرين : كان أصحاب عبد الله منهم من يقدم عبيدة ومنهم من يقدم علقمة[٢] .

وكان ـ رحمه الله ـ من المقلين في التفسير ، شأنه في ذلك شأن أصحاب عبد الله الملازمين له ـ رحمة الله عليهم ـ[٣] .

توفي ـ رحمه الله ـ سنة اثنتين وسبعين[٤] .

٤ ـ أبو ميسرة بن شرحبيل :

هو عمرو بن شرحبيل الهمداني[٥] ، أبو ميسرة الكوفي[٦] ، أحد المشهورين بالزهد والتقوى ، يقول فيه الذهبي : كان من العباد الأولياء[٧] .

وعن شقيق بن سلمة ، قال : ما رأيت همدانيًا قط أحب إلى أن أكون في مسلاخه من عمرو بن شرحبيل[٨] .

---

(١) سنن الدارمي (١/ ١٣٧).

(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٩٤)، وتهذيب الأسماء (١/ ٣١٧)، وتاريخ بغداد (١١/ ١١٩).

(٣) وجدت بعد مراجعتي لتفسير ابن كثير ، أن المروي عنه (٧) روايات فقط ، وعند القرطبي (٢٤) رواية .

(٤) تهذيب الأسماء (١/ ٣١٧)، والنجوم الزاهرة (١/ ١٨٩)، والشذرات (١/ ٧٨).

(٥) الثقات لابن حبان (٥/ ١٦٨)، والجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٣٦٥)، والتهذيب (٨/ ٤٧).

(٦) الكنى للدولابي (٢/ ١٣٥)، والجرح (٦/ ٢٣٧)، والإصابة (٣/ ١١٤).

(٧) السير (٤/ ١٣٥)، وقال ابن حجر في التقريب : ثقة عابد (٤٢٢)، وقال ابن الجزري في الغاية : صالح عابد (١/ ٦٠١).

(٨) طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٦)، وتهذيب الكمال (٢٢/ ٦١)، والسير (٤/ ١٣٥).

وعنه قال: ما اشتملت همدانية على مثل أبي ميسرة، قيل: ولا مسروق، قال: ولا مسروق[١].

وكان محبًا لعلقمة مؤثرًا له، فيقول لأصحابه: انطلقوا بنا إلى أشبه الناس هديًا ودلاً وأمرًا بعبد الله بن مسعود، فيدخل بهم على علقمة[٢].

وكان من المقلين في التفسير[٣].

ومما جاء عنه قوله لزوجته: ليت أمي لم تلدني، فقالت له امرأته: لم يا أبا ميسرة؟! قال: لأني أوعدت أني وارد، ولم أوعد أني صادر[٤]، يتأول قوله سبحانه: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾[٥].

توفي بالكوفة، في ولاية عبيد الله بن زياد[٦] سنة إحدى أو اثنتين وستين[٧]، وأوصى أن يصلي عليه شريح[٨].

٥ ـ الأسود بن يزيد:

هو الأسود بن يزيد بن قيس، أبو عمرو النخعي الكوفي[٩]، وكان ابن أخي علقمة ابن قيس، وخال إبراهيم النخعي، وأخا عبد الرحمن بن يزيد، ووالد عبد الرحمن بن

(١) التاريخ الكبير (٦/ ٣٤٢)، وطبقات ابن سعد (٦/ ١٠٦)، وتهذيب الكمال (٢٢/ ٦١).
(٢) الحلية (٢/ ٩٨)، والمعرفة (٢/ ٥٥٤)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢٩٨).
(٣) له في تفسير ابن كثير (٩) روايات فقط، وفي تفسير القرطبي (١٣) رواية.
(٤) المعرفة (٢/ ٥٦٢).
(٥) سورة مريم: آية (٧١).
(٦) طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٩)، وغاية النهاية (١/ ٦٠١).
(٧) طبقات خليفة (١٤٩).
(٨) تاريخ أبي زرعة (١/ ٦٥٣)، وغاية النهاية (١/ ٦٠١).
(٩) التاريخ الكبير (١/ ٤٤٩)، وتاريخ ابن معين (٢/ ٣٩)، وطبقات خليفة (١٤٨)، والجرح (٢/ ٢٩١)، والتذكرة (١/ ٥١).

الأسود، فهؤلاء أهل بيت من رؤوس العلم والعمل[١] .

قال الذهبي: وهو نظير مسروق في الجلالة، والعلم، والثقة، والسن، يضرب بعبادتهما المثل[٢] .

قال إبراهيم: كان يختم القرآن في رمضان كل ليلتين، وكان يختم القرآن في غير رمضان في كل ست ليال[٣] .

وعن الشعبي قال: كان الأسود بن يزيد صوامًا قوامًا حجاجًا[٤] .

وكان يجتهد في العبادة، ويصوم حتى يخضر ويصفر[٥] .

وعن الحكم قال: إن الأسود كان يصوم الدهر[٦] ، قال الذهبي: وهذا صحيح عنه، وكأنه لم يبلغه النهي في ذلك، أو تأول[٧] .

وقد نقل العلماء في تاريخ وفاته أقوالاً أرجحها أنه توفي سنة خمس وسبعين[٨] .

ومن كان مثل هذا الإمام في الانصراف إلى العبادة، والانقطاع إلى القرآن فإن

---

(١) التاريخ الكبير (١/ ٤٤٩).

(٢) السير (٤/ ٥٠).

(٣) الحلية (٢/ ١٠٢)، والمصنف لابن أبي شيبة (٢/ ٥٠١)، وفضائل القرآن للفريابي (٢٢٣)، وشعب الإيمان للبيهقي (٥/ ١٤٩) ٢٠٠٠.

(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ٧٠)، والحلية (٢/ ١٠٣)، والتاريخ الكبير (١/ ٤٤٩)، وغاية النهاية (١/ ١٧١).

(٥) الحلية (٢/ ١٠٣)، وتاريخ الإسلام (ح ٦١ هـ/ ٣٦١)، والسير (٤/ ٥٢).

(٦) طبقات ابن سعد (٦/ ٧٠)، والسير (٤/ ٥٢).

(٧) السير (٤/ ٥٢)، ورد عنه ﷺ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: «**لا صام من صام الأبد، لا صام من صام الأبد، لا صام من صام الأبد**»، ينظر صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به (٢/ ٨١٥) ١١٥٩.

(٨) طبقات ابن سعد (٦/ ٧٥)، والتاريخ الكبير (١/ ٤٤٩)، ومشاهير علماء الأمصار (١٠٠)، والثقات (٤/ ٣١)، وغاية النهاية (١/ ١٧١)، وشذرات الذهب (١/ ٨٢).

المتوقع أن يكون المروي عنه قليلاً، فإني لم أجد له في كتب التفسير إلا النزر القليل من الآثار ـ رحمه الله رحمة واسعة[١] ـ.

٦ ـ الحارث الجعفي :

هو الحارث بن قيس الجعفي، الكوفي[٢] العابد الفقيه، وقلما روى[٣].

يقول فيه الذهبي : كان كبير القدر، ذا عبادة وتأله، يُذكر مع علقمة والأسود[٤].

وعن خيثمة بن عبد الرحمن : كان الحارث بن قيس من أصحاب عبد الله بن مسعود، وكانوا مُعجبين به، وكان يجلس إليه الرجل والرجلان فيحدثهما، فإذا كثروا قام وتركهم[٥].

روى القراءة عن ابن مسعود[٦].

ويقول فيه ابن حبان : من خيار الكوفيين، وقدماء مشايخهم. مات في ولاية معاوية بن أبي سفيان[٧]، سنة أربع وخمسين[٨]، وصلى عليه أبو موسى الأشعري ـ رضي الله عنه[٩] ـ.

وكان ـ رحمه الله ـ من أقل أصحاب ابن مسعود تعرضًا للقول في التفسير رواية

---

(١) ليس له عند ابن كثير في تفسيره، إلا ثلاث روايات فقط، وعند القرطبي (١٧) رواية.
(٢) الجرح (٣/ ٨٦)، وتهذيب الكمال (٥/ ٢٧٢)، وتاريخ بغداد (٨/ ٢٠٦)، والوافي بالوفيات (١١/ ٢٤١)، والتهذيب (٢/ ١٥٤)، والخلاصة (٦٨).
(٣) السير (٤/ ٧٥).
(٤) المرجع السابق (٤/ ٧٥).
(٥) المعرفة (٣/ ١٤٢)، وتهذيب الكمال (٥/ ٢٧٣).
(٦) غاية النهاية (١/ ٢٠١).
(٧) مشاهير علماء الأمصار (١٠٨).
(٨) التاريخ الصغير (١/ ٩٢).
(٩) المرجع السابق (١/ ٩٢)، والسير (٤/ ٧٦).

ودراية ، فقد رجعت إلى بعض كتب التفسير فلم أجد له قولاً[١] .

٧ ـ مرة الهمداني :

هو مرة بن شراحيل الهمداني[٢] ، المعروف بمرة الطيب ، ومرة الخير ، لُقب بذلك لعبادته وخيره[٣] .

وبلغ من كثرة تعبده أنه سجد لله حتى أكل التراب جبهته[٤] .

وعن عطاء بن السائب قال : رأيت مصلى مرة الهمداني ، مثل مبرك البعير[٥] ، ونقل عنه أن مُرةَ كان يصلي في اليوم والليلة ست مائة ركعة[٦] .

قال الذهبي معلقًا على هذه الآثار : ما كان هذا الولي يكاد يتفرغ لنشر العلم ، ولهذا لم تكثر روايته[٧] .

قلت : وهو كما قال ، فإن المروي عنه في التفسير قليل[٨] ، وإنما برز ـ رحمه الله ـ بين أصحابه في نقل ورواية تفسير شيخه ابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ فكان أكثر أصحاب عبد الله نقلاً لتفسيره ، ونشراً لعلمه ، فإن أغلب المروي عن ابن مسعود في

---

(١) رجعت إلى تفسير ابن كثير والقرطبي وأضفت إليهم المغني في الفقه فلم أجد له أي قول .

(٢) رجال صحيح البخاري (٢/ ٧٦٦)، والجمع بين رجال الصحيحين (٢/ ٥١٧)، والتذكرة (١/ ٦٧).

(٣) الموضح لأوهام الجمع والتفريق (٢/ ٤١٤)، وتهذيب الكمال (٢٧/ ٣٨٠)، والسير (٤/ ٧٤)، والتهذيب (١٠/ ٨٨).

(٤) صفة الصفوة (٣/ ٣٤)، وتهذيب الكمال (٢٧/ ٣٨١)، وطبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣١٨).

(٥) تاريخ أبي زرعة (١/ ٥٤٩)، والحلية (٤/ ١٦٢)، والثقات لابن حبان (٥/ ١٤٦).

(٦) الحلية (٤/ ١٦٢)، وصفة الصفوة (٣/ ٣٤)، والمنتظم (٥/ ٢٧٦).

(٧) السير (٤/ ٧٤).

(٨) له في تفسير ابن كثير خمس روايات فقط ، وفي تفسير القرطبي (١٧) رواية .

التفسير جاء من روايته ولم يتجاوز عمله هذا النقل[١] .

توفي سنة ست أو سبع وسبعين ـ رحمه الله[٢] ..

وخلاصة القول : إن أصحاب عبد الله الملازمين له كانوا بين مُقلٍّ، وورع مُتقي، أو عابد منشغل بالعبادة، وقد تقدم من بين هؤلاء علقمة ومسروق، فكانا من أعلم أصحابه، ومع كل هذا فإنه لم يرو عنهم في العلم والتفسير إلا النزر القليل، بل إنهم من أقل أصحاب المدارس رواية ودراية .

وأحسب أن مما يضاف إلى ما سبق، أنهم عاشوا في وقت مبكر والصحابة متوافرون، ولم يحتج الناس لعلمهم، فكثير منهم عاش ما بين الستين والسبعين وقليل منهم من جاوز الثمانين، أما غيرهم فإن الكثير منهم بلغ التسعين، وعاش إلى نهاية القرن الأول الهجري .

هذا بدوره مما جعلني أختار الإمامين الجليلين في الكوفة الشعبي والنخعي ؛ لأني وجدت لهم مادة تفسيرية يمكن من خلالها استخلاص شيء من مناهجهم سائلاً الله ـ عز وجل ـ السداد والرشاد .

وسبق أن تحدثت في فصل أشهر رجال المدارس باستفاضة عن هذين الإمامين، ولعلي أختم هذا المبحث المتعلق بأصحاب عبد الله ببيان أهم أوجه الشبه والاتفاق، وأوجه الاختلاف والافتراق .

مقارنة بين الشعبي، والنخعي :

كان عامر الشعبي، وإبراهيم النخعي من أعلم الناس بمذهب عبد الله وأصحابه،

---

(١) المروي عن طريق مرة من تفسير ابن مسعود قارب (٢٥ , ٠) من مجموع تفسيره، أي (٢١٤) رواية، في حين لم يرو الذي يليه من أصحاب عبد الله، وهو مسروق إلا (١٠ , ٠) من تفسير عبد الله، وبعدهما علقمة حيث روى (٠٤ , ٠) من مجموع تفسيره.

(٢) طبقات خليفة (١٤٩)، ومشاهير علماء الأمصار (١٠٢)، والتهذيب (١٠/ ٨٩).

وإن لم يرياه[١] ، وكان لهما الأثر الكبير في نشر تراث مدرسة الكوفة ، وقد تعاصرا وأخذ كل واحد منهما بحظ من علم ابن مسعود وأصحابه ـ رضي الله عن الجميع ـ ، ولكن مما ينبغي تسجيله هنا ما لمسته من مفارقات وتباين بينهما في المناهج وأثر ذلك على تفسيرهما لكتاب الله العزيز. فمن أهم ذلك :

١ ـ أن الشعبي كان أقرب للأثر من النخعي : فقد أدرك الجم الغفير من الصحابة ، وسمع من ثمانية وأربعين منهم ، وصار من أعلم أهل الكوفة والبصرة والحجاز بالحديث[٢] .

يقول ابن عوف : إن كنا نتذاكر الشيء ما نرى أن فيه أثراً ، فيحدثنا الشعبي فيه بحديث[٣] .

ويقول حماد بن زيد : ما كان بالكوفة رجل أوحش رداً للآثار من إبراهيم ، وذلك لقلة ما سمع من حديث النبي ﷺ ، ولا كان بالكوفة رجل أحسن اتباعاً ، ولا أحسن اقتداءً من الشعبي ، وذلك لكثرة ما سمع[٤] ، ولقد كان يعد الشعبي صاحب آثار ، والنخعي صاحب قياس[٥] .

وكانت طريقة فقهاء الرأي مُبغضة له ولم يرتضها[٦] ، وكان الأئمة يصنفون الشعبي مع علماء الأثر ، وفي ذلك يقول ابن المديني : كان الشعبي ، وعروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله والزهري أمرهم واحد[٧] .

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٢٥٥).
(٢) تاريخ دمشق (٨/ ٦٩٦).
(٣) أخبار القضاة (٢/ ٤٢٢).
(٤) تاريخ دمشق (٨/ ٦٩٧)، والفتح (٤/ ٣٩، ٤١٠).
(٥) الحلية (٤/ ٣٢٠)، والتذكرة (١/ ٨٢).
(٦) أبو حنيفة حياته وعصره لأبي زهرة (٦٨).
(٧) المعرفة (٣/ ١٧).

وكان الشعبي يوصي أصحابه بإتيان المحدثين من أئمة الأمصار، فعن شعيب بن الحبحاب، قال: قال لنا الشعبي: عليكم بذاك الأصم؛ يعني محمد بن سيرين[١].

وكان ينهاهم عن مجالسة أصحاب إبراهيم النخعي[٢].

وكان ـ رحمه الله ـ من أوائل من اهتم بعلم الجرح والتعديل، فعدل وجرح[٣].

وكانت مراسيله أقوى من مراسيل إبراهيم[٤].

وكان لهذا الفرق أثره في عناية الشعبي بالعلوم النقلية، الخادمة لعلم التفسير، كعلم أسباب النزول[٥]، وتفسير القرآن بالسنة[٦]، وبقول الصاحب[٧]، فإن الشعبي كان أسبق في هذا كله، وأعلم من إبراهيم.

٢ ـ إذا كان الشعبي قد فاق النخعي في معرفة الآثار والسنن، فإن إبراهيم قد سبق وتقدم على عامر الشعبي في المعرفة والاهتمام بآراء وأقوال شيخ المدرسة ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، فقد ترسم خطاه في كثير من الآراء، وحذا حذوه في العديد من التأويلات.

فعن علي بن المديني قال: كان إبراهيم عندي من أعلم الناس بأصحاب عبد الله،

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٥)، والعلل لأحمد (٢/ ٤٦٩) ٣٠٧٧، والمعرفة (٢/ ٥٦).

(٢) العلل لأحمد (٣/ ٣٤) ٤٠٥٠، (٢/ ٥٥٥) ٣٦٢٨، والبداية (٨/ ١٠٩).

(٣) المعرفة (٢/ ٥٨١)، وقول من يعتمد في الجرح (١٥٩).

(٤) قواعد في علوم الحديث (١٤٨)، والتهذيب (٥/ ٦٧).

(٥) بلغت نسبة أسباب النزول في تفسير الشعبي (١٣, ٠) من مجموع تفسيره، في حين كانت عن إبراهيم أقل من (٠٣, ٠).

(٦) بلغت نسبة المروي عن الشعبي في تفسير القرآن بالسنة (٢٤, ٠) من مجموع تفسيره، في حين كانت عند إبراهيم أقل من (٠١, ٠) من مجموع تفسيره.

(٧) بلغت نسبة المروي عن الشعبي في تفسير القرآن بقول الصحابي (٠٥, ٠) من مجموع تفسيره، في حين كانت عن إبراهيم (٠٢, ٠) فقط من مجموع تفسيره.

وأبطنهم به[١] .

ويقول أيضًا : وكان أصحاب عبد الله الذين يقرأون بقراءته ، ويفتون الناس بسُنته علقمة ، والأسود ، ومسروق . . . وكان أعلم أهل الكوفة بأصحاب عبد الله ، وطريقتهم ، ومذهبهم : إبراهيم ، والشعبي ، إلا أن الشعبي كان يذهب مذهب مسروق ؛ يأخذ عن علي ، وأهل المدينة ، وغيرهم ، وكان إبراهيم يذهب مذهب أصحابه[٢] ، وليس هذا بمستغرب على إبراهيم ، فإن علقمة عم أم إبراهيم ، والأسود خال إبراهيم ، وعلقمة عم الأسود[٣] .

وكان يُقال : ما رأينا رجلاً قط أشبه هديًا بعلقمة من النخعي ، ولا رأينا رجلاً أشبه هديًا بابن مسعود من علقمة[٤] .

وقد كان لتلك الصلة بين إبراهيم وعلقمة ، وبين علقمة وابن مسعود الأثر في اهتمام إبراهيم بآثار ابن مسعود أكثر من اهتمام الشعبي ، ونجد شاهد هذا عند مراجعة تفسير ابن مسعود ، فقد كان نقل إبراهيم وروايته لتفسير ابن مسعود أكثر من نقل الشعبي وروايته[٥] .

وكان إبراهيم لا يعدل بقول عمر وابن مسعود إذا اجتمعا ، فإن اختلفا كان قول عبد الله أعجب إليه .

ولعل من أوجه الاختلاف بينهما ـ التي يمكن بيانها هنا ـ أن صلة إبراهيم بعلقمة

---

(١) العلل (٤٦) .

(٢) المرجع السابق (٥٢) .

(٣) الكنى لأحمد (١٠٣) .

(٤) العلل لأحمد (٢/ ١٩٤) ١٩٨٣ .

(٥) بعد مراجعتي لتفسير ابن مسعود عند الطبري ، وجدت أن المروي من طريق إبراهيم عن ابن مسعود بلغ (٠,٩) من مجموع تفسيره ، في حين بلغ المروي عن طريق الشعبي (٠,٢) فقط من مجموع تفسيره ، في حين نجد اهتمام الشعبي بتفسير عمر واضحًا حيث روى من طريق الشعبي أكثر من (٢٠) رواية ، في حين كان المروي من تفسير عمر عن النخعي روايتين فقط .

كانت أكثر من صلته بمسروق، وأما الشعبي فكانت صلته بمسروق أكثر، وهذا من العوامل التي جعلت إبراهيم أكثر تقليداً لابن مسعود؛ لأن علقمة كان أكثر عناية واهتمامًا بآثار ابن مسعود من مسروق، والنخعي لم يسمع من مسروق شيئًا[١].

وكما سبق أن أشرنا فإن مسروقًا كان ممن أخذ عن ابن مسعود، وعلي، وأهل المدينة، في حين اقتصر علقمة، وبعده إبراهيم على علم ابن مسعود وأصحابه، فتبين من ذلك تعدد مصادر الشعبي بخلاف حال إبراهيم النخعي.

يقول الشعبي في وصف أصحاب عبد الله: كان علقمة أعلمهم، وكان عبيدة يوازي شريحًا في الفتوى والقضاء، وكان مسروق أطلبهم للعلم[٢].

٣ـ إذا كانا قد اهتما ببيان آيات الأحكام، واعتنيا كلاهما بما ورد فيها من مسائل فقهية، فإن اهتمام إبراهيم بذلك كان أكثر، وكان في مجال الاستنباط أفقه من الشعبي، وقد شهد له بذلك الشعبي نفسه، فلما بلغه موت إبراهيم قال: إنه نشأ في أهل بيت فقه، فأخذ فقههم، ثم جالسنا فأخذ صفوة حديثنا إلى فقه أهل بيته فمن كان مثله[٣]؟!.

يقول الإمام الذهبي: فأفقه أهل الكوفة علي، وابن مسعود، وأفقه أصحابهما علقمة، وأفقه أصحابه إبراهيم، وأفقه أصحاب إبراهيم حماد[٤].

ونجد شاهد هذا في كتب التفسير[٥]، والفقه[٦]، فقد كانت عناية إبراهيم أكثر من

---

(١) جامع التحصيل (١٤٢)، والميزان (١/ ٧٥).
(٢) تاريخ أبي زرعة (١/ ٦٥١)، وطبقات الحفاظ (١٤).
(٣) العلم لأبي خيثمة (١١٦)، والحلية (٤/ ٢٢١)، وتاريخ ابن معين (٢/ ٤١٣).
(٤) السير (٥/ ٢٣٦).
(٥) رأينا فيما سبق أن ما نسبته (٣٨,٠) من مجموع تفسير إبراهيم كان حول آيات الأحكام وما يرد من مسائل فقهية، في حين بلغ نسبة هذا عند الشعبي (٢٣,٠) من مجموع تفسيره.
(٦) رجعت إلى المغني لابن قدامة، فكان المروي عن إبراهيم (٦٩٦) قولاً، في حين بلغ عن عامر الشعبي (٥٠١) قول.

الشعبي في استنباط الأحكام الفقهية.

وكان الكوفيون يتذاكرون العلم، ومسائل الفقه، فإذا جاءت الفتوى ليس عندهم فيها دليل، أحالوها لإبراهيم، يقول إسماعيل بن أبي خالد: كان الشعبي وأبو الضحى، وإبراهيم، وأصحابنا، يجتمعون في المسجد فيتذاكرون الحديث، فإذا جاءتهم فتيا ـ ليس عندهم فيها شيء ـ رموا بأبصارهم إلى إبراهيم النخعي [١].

وأحسب أن مما منع الشعبي في كثير من الأحيان من التحدث والإفتاء بالإضافة لما سبق ـ الورع.

فعن ابن عون قال: ذكر الشعبي وإبراهيم فقال: كان إبراهيم يسكت فإذا جاءت الفتيا انبرى لها، وكان الشعبي يتحدث، ويذكر الشعر، وغير ذلك، فإذا جاءت الفتيا أمسك[٢].

وعن ابن عون قال: كان الشعبي إذا جاءه شيء اتقى، وكان إبراهيم يقول ويقول ويقول[٣].

٤ ـ ومن أوجه الاختلاف بينهما أن الشعبي كان أطول باعًا في علوم العربية من النخعي، بل هو من أكثر الكوفيين استخدامًا للغريب والشعر[٤]، فكان من أفصحهم في ذلك، ولذلك قيل: أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل، وذكر منهم الشعبي[٥].

وأما إبراهيم فكان كثير اللحن، وفي ذلك يقول عاصم بن أبي بهدلة: كان إبراهيم

---

(١) الحلية (٤/ ٢٢١)، والجرح (٢/ ١٤٤)، وتاريخ ابن معين (٢/ ١٧).
(٢) تاريخ دمشق (٨/ ٦٩٧).
(٣) سنن الدارمي (١/ ٥٢)، وتاريخ دمشق (٨/ ٦٩٧)، والتذكرة (١/ ٨٥).
(٤) سبق الإشارة إلى ذلك وتفصيله في أهم خصائص تفسير الشعبي في ترجمته ص (٣٢٩).
(٥) تاريخ الخلفاء (٢٠٦).

رجل صدق، ولو سمعته يقرأ قلت: ما يحسن هذا شيئًا[١] .

وعن خالد بن سلمة المخزومي قال: لقد رأيت إبراهيم فرأيت رجلاً لحانًا[٢] .

ونجد شاهد تقدم الشعبي في كثرة النقل عنه في كتب غريب الحديث واللغة .

ومع هذا كله فقد عني تلاميذ إبراهيم - على قلتهم - بنشر تراثه أكثر من أصحاب الشعبي .

٥ - ومن أوجه الاختلاف الواضحة بينهما: كثرة تلاميذ الشعبي ووفرة الآخذين عنه .

فكان يحضر مجالسه خلق كثير، وفي ذلك يقول ابن سيرين: «قدمت الكوفة، وللشعبي حلقة عظيمة، وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ كثير»[٣] .

بيد أنه لم يكن يجالس النخعي إلا النزر القليل[٤]، ومنشأ ذلك أنه كان مهيبًا[٥] قليل المزاح[٦] .

يقول ابن عون: كان الشعبي منبسطًا، وإبراهيم منقبضًا، فإذا وقعت الفتيا انقبض الشعبي، وانبسط إبراهيم[٧] .

وعن عاصم قال: تبعت الشعبي، فمررنا بإبراهيم، فقام له إبراهيم عن مجلسه فقال له الشعبي: أما إني أفقه منك حيّاً، وأنت أفقه مني ميتًا، وذاك أن لك أصحابًا

(١) العلل لأحمد (١/ ٣٤٨) ٦٤٩، (٢/ ٢٥٠) ٢١٤٨ .
(٢) العلل لأحمد (١/ ٣٤٨) ٦٤٨ .
(٣) تهذيب تاريخ دمشق (٧/ ١٣٩).
(٤) العلل لأحمد (٣/ ٣٩) ٤٠٧٠ .
(٥) المرجع السابق (٣/ ١٢٤) ٤٥٢٢، ٤٥٢٥ .
(٦) تاريخ أبي زرعة (١/ ٦٦٦).
(٧) المرجع السابق (١/ ٦٦٥)، والسير (٤/ ٣٠٣).

يلزمونك فيحيون علمك[١] .

وكانا إذا اجتمع الشعبي وإبراهيم سكت إبراهيم[٢] .

وخلاصة القول: إن اهتمام الشعبي، وعنايته بالتفسير كانت أكثر من عناية صاحبه، ويدلك على هذا ما ذكرناه آنفا من مفارقات، ومقارنات بين نصيب كل واحد منهما من روايات في التأويل، أو نصيب كل واحد منهما من العلوم ذات الصلة المباشرة بالتفسير، كعلم أسباب النزول وغيره. كل هذا يجعلنا نقدم الشعبي على النخعي في علم التأويل، بل إنه لولا الورع الذي لازمه، ومنعه من التقدم أكثر في هذا العلم، لكان له شأن في مدرسة الكوفة وغيرها. والله أعلم.

أسباب قلة المروي عن المدرسة في التفسير :

لعل من أهم أسباب إقلال هذه المدرسة ما يلي :

١ ـ الهيبة والورع في التفسير :

وهذا من أبرز الأسباب التي كانت وراء إقلال المدرسة، وقد كان لتربية ابن مسعود لأصحابه الأثر البالغ في تحذيرهم من الخوض في التفسير، وحثهم على الإقلال من القول فيه ما أمكن، وقد سبق الإشارة إلى طرف من أحواله ـ رضي الله عنه ـ في هذا[٣] .

وكان لهذه التربية وهذا المنهج أثر كبير على أصحابه الملازمين له والذين صحبوه وأخذوا عنه مباشرة، وكانوا من أقل التابعين على الإطلاق نتاجًا في التفسير[٤] ، وكان دور بعضهم يقتصر في أحسن أحواله على الرواية عن شيخه ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ

(١) السير (٤/ ٥٢٦)، وطبقات ابن سعد (٦/ ٢٨٤)، وتاريخ الإسلام (ح ٩٦ هـ/ ٢٨٢).

(٢) السير (٤/ ٣٠٣)، والتذكرة (١/ ٨٢).

(٣) ينظر ص (٥١١).

(٤) المروي عن مسروق، وعلقمة، ومرة، والحارث، قليل جدًا. فقد رجعت لتفسير ابن كثير فلم أجد إلا (٦٥) قولاً لهم جميعًا.

فيه ولا يتعدى هذا[١] .

وكان أصحاب عبد الله مع إدراكهم وتقدمهم في العلم، يجتنبون الخوض في التفسير تورعًا واحتياطًا لأنفسهم.

ولذا يقول مسروق: اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله[٢] .

وعن محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة السلماني عن شيء من القرآن؟ فقال: اتق الله وعليك بالسداد، فقد ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن[٣] .

وكان أبو وائل: إذا سئل عن شيء قال: قد أصاب الله ما أراد[٤] .

ويقول عامر الشعبي: أدركت أصحاب عبد الله وأصحاب علي وليس هم لشيء من العلم أكره منهم لتفسير القرآن[٥] .

وكان إبراهيم النخعي يقول: كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه[٦] .

ثم جاءت الطبقة الوسطى من تابعي المدرسة، وهم الذين أخذوا عن أصحاب عبد الله بن مسعود، ولا زالت الهيبة والتعظيم باقية في نفوسهم، فهذا عامر الشعبي كان من أكثر من روي عنه الورع في التفسير، فعنه قال: والله ما من آية إلا سألت عنها، ولكنها الرواية عن الله[٧] .

(١) كما نجد ذلك عند مرة خاصة، وقد مرّ ذلك قريبًا ص (٤٨٤).
(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٢٨)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٣٧٤)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٧).
(٣) المصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٥١١) ١٠١٤٨، وشعب الإيمان (٢/ ٤٢٤) ٢٢٨٢، وتفسير ابن كثير (١/ ١٧).
(٤) المصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٥١٣) ١٠١٥٧.
(٥) المرجع السابق (١٠/ ٥١٢) ١٠١٥٢.
(٦) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٢٩)، والحلية (٤/ ٢٢٢)، وشعب الإيمان (٢/ ٤٢٥) ٢٢٨٦.
(٧) تفسير الطبري (١/ ٨٧) ١٠٢، ومجموع الفتاوى (١٣/ ٣٧٣).

ويقول أيضًا: ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت: القرآن، والروح، والرأي[١]، ويقول: من كذب على القرآن فقد كذب على الله[٢].

ويقول: الذي يفسر القرآن برأيه إنما يرويه عن ربه[٣].

وكان رحمه الله ينكر على من تساهل وتوسع في التفسير، ولذا لما قيل له: إن السدي أوتي حظًا من العلم بالقرآن، قال: إنه قد أعطي حظًا من جهْل بالقرآن[٤].

وكان ينهاه عندما يمر به وهو يفسر القرآن[٥].

وكان عندما يرى أبا صالح (باذام) يُفسر القرآن يأخذ بإذنه ويعركها ويقول: تفسر القرآن وأنت لا تقرأ القرآن[٦].

ولما قدم شيخ المفسرين - مجاهد - إلى الكوفة، كان الكوفيون يتقون بعض تفسيره[٧].

كان من مظاهر الورع التي برزت في الكوفة ما يراه القارئ لسيرهم من انصراف الكثير منهم للعبادة، مع سابق فضلهم وعلمهم.

فكانوا مضرب المثل في ذلك[٨].

وخاف بعضهم الشهرة، أو آثر السلامة مخافة الزلل والخطأ، فعلقمة على فضله

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٨٧) ١٠٣.
(٢) الحلية (٤/ ٣٢١).
(٣) المرجع السابق (٤/ ٣١٢).
(٤) العلل لأحمد (٢/ ٣٣٤) ٢٤٧٧.
(٥) المحرر الوجيز (١/ ١٩)، وتهذيب الكمال (٣/ ١٣٥).
(٦) تفسير الطبري (١/ ٩١) ١١٢، والتهذيب (١/ ٤١٧).
(٧) سبق تفصيله في ترجمة مجاهد ص (١٢٧).
(٨) السير (٤/ ٥٠).

وعلمه كان لا يجاوز علم ابن مسعود، ولا يخرج عنه، وكان متوقيًا للشهرة، قيل له: ألا تغشى هذا المسجد، وتفتي الناس؟ فقال ـ رحمه الله ـ: تريدون أن يطأ الناس عقبي، ويقولون: هذا علقمة بن قيس!![1].

بل كان ـ رحمه الله ـ مع أنه من أخص أصحاب ابن مسعود، وأشبههم به هديًا ودلاً ـ أكثر علمه المروي عنه إنما أخذه منه بالسؤال، ولم يتحدث به ابتداءً[2].

ومُرّة، وهو من أكثر من روى عن ابن مسعود في التفسير، ما كان يكاد يتفرغ لنشر العلم، فقد انقطع واشتغل بالعبادة، ولهذا لم تكثر روايته.

يقول الشعبي: ما رأيت قومًا قط أكثر علمًا، ولا أعظم حلمًا، ولا أكف عن الدنيا من أصحاب عبد الله[3].

وهذا إبراهيم النخعي الذي جاء بعد هؤلاء، قد تأثر بهم، فمع إمامته لأهل العراق في الفقه بالاتفاق؛ لم يكن يتكلم حتى يُسأل[4]، وكان يكره كبر الحلقة، ويخاف الشهرة، وكان عدد الحاضرين في مجلسه لا يزيد عن الخمسة[5]، حتى إن الإمام الذهبي صدر ترجمته بقوله: كان عجبًا في الورع والتوقي من الشهرة[6].

وكان من أثر هذا الإقلال عند الطبقتين المتقدمة والمتوسطة من الكوفيين، أن أكثرت الطبقة المتأخرة من التابعين، ومن بعدهم في التفسير، وأفاضوا في علم التأويل، سدًا لما لمسوه من حاجة الكوفة إلى علم القرآن، وتعويضًا لما رأوه من نقص في مجال التفسير.

---

(١) الزهد لابن المبارك (٤٨٨)، والمعرفة (٢/ ٥٥٥).

(٢) كما سبق بيانه في ترجمته.

(٣) السير (٤/ ٢٦٢).

(٤) الحلية (٤/ ٢٢٦)، وطبقات ابن سعد (٦/ ٢٧٥)، والتذكرة (١/ ٧٤).

(٥) العلل لأحمد (٣/ ٣٨) ٤٠٧٠، والإرشاد (٢/ ٥٥٧)، وصفة الصفوة (٣/ ٨٩).

(٦) الكاشف (١/ ٩٦)، والتذكرة (١/ ٧٤).

وكان معظم مادتهم في هذا الإكثار مستقى من نبع المدرسة المكية، ومستمداً من بحر حبر الأمة ـ رضي الله عنه ـ.

فإن السدي حين أنكر عليه الكوفيون إكثاره من التفسير أجابهم بقوله: إن هذا التفسير أخذته عن ابن عباس، فإن كان صواباً فهو قاله، وإن كان خطأ فهو قاله[1].

وهذا الضحاك بن مزاحم[2] نجد أنه أخذ جل تفسيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

ولم يقتصر ورع الكوفيين على دراية التفسير، بل تعدى ذلك إلى الحذر حتى من روايته.

فتفسير عمر ـ رضي الله عنه ـ كان جله من روايات البصريين، وتفسير ابن عباس كان أكثره من رواية المكيين، وتقدم قبل قليل إيراد إنكارهم على السدي حينما رأوا إكثاره في تناول التفسير، فرد عليهم بقوله: إنه ليس من اجتهاده؛ بل من تفسير ابن عباس.

٢ ـ التشدد في نقل الأحاديث، والسنن:

لم يكن ما أسلفته من بيان حالهم في شدة الورع وكثرة الحذر مقتصراً على الخوف في القرآن، والتعرض له بالبيان؛ بل كان ذلك منهجًا غلب على أتباع هذه المدرسة، فشمل التشدد في نقل الروايات والأخبار الواردة عنه ﷺ، فكانت المدرسة الكوفية من أقل المدارس اعتماداً على السنن في تفسيرها لقلة الحديث فيها من جهة، وخوفهم من الوقوع في الخطأ عند نقل حديث المصطفى ﷺ من جهة أخرى، مما جعلهم يميلون إلى الاعتماد على أقوال شيخهم ابن مسعود، أو أصحابه.

---

(١) أخبار أصبهان (١/ ٢٠٤)، ومعجم الأدباء (٧/ ١٦).

(٢) كان من المكثرين بين مفسري أتباع التابعين في الكوفة.

فعن عاصم العدوي قال: سألت الشعبي عن حديث فحدثنيه، فقلت: إنه يرفع إلى النبي ﷺ؟ فقال: لا، على من دون النبي ﷺ أحب إلينا. فإن كان فيه زيادة أو نقصان كان على من دون النبي ﷺ[١].

وقيل لإبراهيم النخعي: يا أبا عمران، أما بلغك حديث عن النبي ﷺ تحدثنا؟ قال: بلى، ولكن أقول: قال عمر، وقال عبد الله، وقال علقمة، وقال الأسود، أجد ذلك أهون عليّ[٢].

وعامر الشعبي كان أكثر حديثًا من الحسن[٣]، ولكن الحسن كان أسهل منه في التحديث؛ لأنه كان يأخذ عن كل أحد، ولذا كثرت الروايات عن الحسن؛ فكان الشعبي يغلظ عليه في الإنكار بقوله: لو لقيت هذا الكبش - يعني الحسن - لنهيته عن قوله: قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ. قال: صحبت ابن عمر ستة أشهر، فلم أسمعه يقول: قال رسول الله ﷺ، إلا في حديث واحد[٤].

وكان من نتاج هذا الورع أن كان الأئمة من مدرسة الكوفة من أشد التابعين تمحيصًا للروايات، فكان الشعبي من أول من زكى وجرح عند انقراض عصر الصحابة[٥].

وكان إبراهيم النخعي يعد صريفًا للحديث؛ لكثرة ما كان يرد[٦].

ونتج عن تلك الحيطة والحذر في الرواية، أن عد الأئمة مراسيلهم من أصح المراسيل؛ لأنهم يتشددون في قبول الرواة.

---

(١) سنن الدارمي (١/ ٨٣)، والسير (٤/ ٣٠٧).
(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٧٢)، ورواه الدارمي في سننه بلفظ مقارب (١/ ٨٣).
(٣) السير (٤/ ٣١٢).
(٤) العلل لأحمد (٢/ ١٩٨) ١٩٩٩.
(٥) قول من يعتمد في الجرح والتعديل (١٥٩).
(٦) طبقات علماء الحديث (١/ ١٤٦)، والسير (٤/ ٥٢١)، وطبقات الحفاظ (٢٩).

فهذا ابن معين يصحح مراسيل إبراهيم، ويعتبرها أصح من مراسيل سعيد بن المسيب، ويفضلها على مراسيل القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر[١].

وقال العجلي: مرسل الشعبي صحيح، لا يكاد يرسل إلا صحيحًا[٢].

والكوفة كانت أسبق من البصرة في إسناد الأخبار، فعن حماد بن سلمة قال: كنا نأتي قتادة فيقول: بلغنا عن النبي عليه السلام، وبلغنا عن عمر، وبلغنا عن علي، ولا يكاد يسند، فلما قدم حماد بن أبي سليمان[٣] البصرة، جعل يقول: حدثنا إبراهيم، وفلان، وفلان، فبلغ قتادة ذلك، فجعل يقول: سألت مطرفًا، وسألت سعيد بن المسيب، وحدثنا أنس بن مالك، فأخبرنا بالإسناد[٤].

٣ ـ كراهية الكتابة:

كتابة العلم، وتدوين الحديث، والتفسير، وغيرها من فروع العلم، كانت من المسائل التي كرهها بعض السلف، وأجازها آخرون.

وكان الكوفيون من أكثر المدارس كراهية للكتابة[٥]، خشية أن تشبه بالمصاحف، فحين بلغ ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن عند أناس كتابًا يعجبون به، لم يزل بهم حتى أتوه به فمحاه، ثم قال: إنما هلك أهل الكتاب قبلكم أنهم أقبلوا على كتب علمائهم وتركوا كتاب ربهم[٦].

---

(١) معرفة الرجال (١/ ١٢٠)، والنكت على ابن الصلاح (٢/ ٥٥٥).

(٢) تاريخ الثقات (٢٤٤)، والتهذيب (٥/ ٦٨).

(٣) قال الذهبي: حماد بن أبي سليمان معدود في صغار التابعين، تفقه بإبراهيم وهو من أصحابه، السير (٥/ ٢٣١).

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٣١)، والمعرفة (٢/ ٢٨٢).

(٥) قارن حالهم بالمكيين، أو البصريين، أو المدنيين، مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء، وغيرهم، كلهم كتبوا، أو أمروا بالكتابة.

(٦) سنن الدارمي (١/ ١٢٢)، المصنف لابن أبي شيبة (٩/ ٥٣) ٦٤٩٨، وتقييد العلم (٥٦).

بل كان ـ رضي الله عنه ـ يقول: إن ناسًا يسمعون كلامي، ثم ينطلقون فيكتبونه، وإني لا أحل لأحد أن يكتب إلا كتاب الله[١].

وقد تأثر أصحابه به، فكان عبيدة السلماني ينهى أن يخلد بعده كتابًا[٢]، بل دعا بكتبه فمحاها عند الموت[٣].

وكان إبراهيم النخعي يكره الكتابة وينهى عنها[٤]، ويخشى أن يشبه بالمصاحف[٥]، وأن يتكل عليه كاتبه[٦]، بل صرح ـ رحمه الله ـ أن من أسباب ضبط سالم بن أبي جعفر، وأنه أتم حديثًا منه، كتابته[٧].

٤ ـ اشتغال المدرسة بالفقه، والإفتاء:

مدرسة الكوفة من أكثر المدارس عناية، واهتمامًا بمعرفة الأحكام الشرعية، وقد اتضح هذا في تفسيرهم، فإننا نجد المشاهير منهم كإبراهيم النخعي من أكثر التابعين على الإطلاق عناية بآيات الأحكام[٨]، وقاربه في ذلك عامر الشعبي[٩].

وقد نزل بالكوفة جمع من الصحابة، وحظيت بالفقهاء والقضاة، قال مسروق: كان القضاء في أصحاب رسول الله ﷺ في ستة عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبي موسى الأشعري، فكان نصفهم لأهل الكوفة: علي،

---

(١) سنن الدارمي (١/ ١٢٤).
(٢) سنن الدارمي (١/ ١٢٠)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٦٥٥)، وتقييد العلم (٤٦).
(٣) سنن الدارمي (١/ ١٢١)، وعلل أحمد (١/ ٢١٥) ٢٤٠.
(٤) سنن الدارمي (١/ ١٢٠)، والعلل لأحمد (١/ ٢١٧) ٢٤٨، وتقييد العلم (٤٨).
(٥) سنن الدارمي (١/ ١٢١).
(٦) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٧١)، والسير (٤/ ٥٢٢).
(٧) معرفة الرجال لابن معين (٢/ ٢٥)، والمحدث الفاصل (٣٧٤).
(٨) بلغ نسبة تعرضه لآيات الأحكام (٣٨, ٠) من مجموع تفسيره.
(٩) بلغ نسبة تعرضه لآيات الأحكام (٢٣, ٠) من مجموع تفسيره.

وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري[١] .

وكان التابعون يقدمونهم في الفقه على أصحاب ابن عباس[٢] .

بلغ من افتخار هذه المدرسة بالتقدم في الفقه أن حماد بن أبي سليمان[٣]، كان يقول لأهل الكوفة: أبشروا! فإني قدمت على أهل الحجاز فرأيت عطاءً، وطاوسًا، ومجاهدًا، فصبيانكم، بل صبيان صبيانكم أفقه منهم[٤] . وقد علق مغيرة بن مقسم على قول حماد بقوله: فرأينا أن ذاك بغي منه[٥] .

والناظر في كتب التراجم يجد أن من أهم العلوم التي اشتغل بها أصحاب عبد الله الإفتاء، والإقراء.

يقول ابن المديني: كان أصحاب عبد الله الذين يقرأون ويفتون، ستة: علقمة، والأسود، ومسروق، وعبيدة، وعمرو بن شراحيل، والحارث بن قيس[٦] .

٥ ـ الفتن وأثرها على المدرسة :

فالمدرسة الكوفية كانت من أقل المدارس استقرارًا، لاسيما في طبقة متوسطي التابعين، حيث تعرض الكثير منهم للفتن، كفتنة القراء بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث، فقد دخل فيها الإمامان إبراهيم النخعي وعامر الشعبي[٧] .

٦ ـ تقدم وفاة أصحاب عبد الله :

ومما قلل نتاج أصحاب عبد الله، تقدم وفاتهم، فعلقمة توفي سنة اثنتين

(١) المعرفة (١/ ٤٨١)، والعلل لابن المديني (٤١)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٦٤٩).
(٢) تاريخ أبي زرعة (١/ ٦٥٠)؛ لأن أصحاب ابن عباس صرفوا جل همهم إلى القرآن وتأويله.
(٣) وهو من صغار التابعين كما مرّ.
(٤) السير (٥/ ٢٣٥).
(٥) السير (٥/ ٢٣٥).
(٦) العلل (٤٦).
(٧) بخلاف البصرة التي كانت أكثر استقرارًا، لاسيما أن الأئمة فيها كالحسن وأبي العالية، وابن سيرين وقتادة، لم يدخلوا في تلك الفتن، بل حذروا من الدخول فيها. ينظر كتاب مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة (١٤).

وستين[١]، ومسروق توفي سنة ثلاث وستين[٢] ، وعبيدة توفي سنة اثنتين وسبعين[٣] ، والأسود توفي سنة خمس وسبعين[٤] .

أثرها :

من المقرر سلفًا أن المدرسة الكوفية من المدارس التي هابت التفسير وتورعت فيه كثيراً، واشتغلت بعلوم أخرى، حازت فيها قصب السبق، لاسيما علما القراءة، والفقه، فكان الأئمة من التابعين يأتون هذه المدرسة لتحصيل ما فاتهم في هذين العلمين.

أثرها على المدرسة المكية :

أكثر من استفاد من هذه المدرسة في علم القراءة والفقه: هم أصحاب ابن عباس، لاسيما ابن جبير، ومجاهد. ومما يدل على تأثر المدرسة المكية بالكوفية ذاك التقارب في بعض المسالك ، والمناهج ، مع أن ابن عباس لم يرو عن ابن مسعود، إنما بدأ الأثر والتقارب ، واتضح في عصر التابعين، وكان من الأسباب الرئيسة في ذلك الصلة الوثيقة بين ابن جبير وأصحاب ابن مسعود، وكثرة تردده على الكوفة[٥] .

وقد أثرت المدرسة الكوفية في سعيد فتوجه إلى علمي القراءة والفقه، اللذين كان حظ المدرسة المكية منهما قليلاً، فكان من المكثرين فيهما[٦] .

---

(١) الوفيات لابن قنفذ (٩٥)، وطبقات الفقهاء (٧٩)، ودول الإسلام (٤٧)، والشذرات (١/ ٧٠).
(٢) الوفيات (٩٦)، وطبقات الفقهاء (٧٩)، ودول الإسلام (٤٧)، والشذرات (١/ ٧١).
(٣) الوفيات (٩٧)، وطبقات الفقهاء (٧٩)، ودول الإسلام (٥٤)، والشذرات (١/ ٧٨).
(٤) طبقات الفقهاء (٧٩)، ودول الإسلام (٥٥)، والعبر (١/ ٦٣).
(٥) سبق تفصيل ذلك في أثر المدرسة المكية على الكوفية ص (٤١٧).
(٦) سبق بيان ذلك في ترجمة سعيد ص (١٤٢، ١٤٤).

وأما مجاهد فإنه تأثر بقراءة ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وكان يتحسر على ما فاته منها ويقول: لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم أحتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن ما سألت[١].

وكان مجاهد يقول: ما رأيت مسجداً أحرى أن نسمع فيه علماً لم نسمعه من مسجد الكوفة[٢].

وقد تأثر ـ رحمه الله ـ بقراءة ابن مسعود، فكان يرجح بعض المعاني بها، ويقدمها على غيرها، فمن ذلك ما جاء عند قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾[٣]، قال: هي خطأ من الكاتب، وهي في قراءة ابن مسعود: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب)[٤].

وعند قوله سبحانه: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾[٥]. قال: في قراءة عبد الله: (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)[٦].

وعند قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾[٧] قال: كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأيناه في قراءة ابن مسعود: (أو يكون لك بيت من ذهب)[٨].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يُفسر القرآن برأيه (٥/ ٢٠٠).
(٢) تاريخ أبي زرعة (٢/ ٦٧٨).
(٣) سورة آل عمران: آية (٨١).
(٤) تفسير الطبري (٦/ ٥٥٣) ٧٣٢٣، ٧٣٢٤، وزاد المسير (٢/ ٤١٥)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، والفرياني، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد به (٢/ ٢٥)، وسوف يأتي مزيد بحث لهذه المسألة عند الحديث عن منهجهم في القراءات ص (٧٤٨).
(٥) سورة المائدة: آية (٨٩).
(٦) تفسير الطبري (١٠/ ٥٦٠) ١٢٤٩٩، وزاد المسير (٢/ ٤١٥).
(٧) سورة الإسراء: آية (٩٣).
(٨) تفسير الطبري (١٥/ ١٦٣)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٣٩٠)، وزاد المسير (٥/ ٨٨).

وعند قوله تبارك وتعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[١] قال: كنا نرى أن قوله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ شيء هين، حتى سمعت قراءة ابن مسعود: (إن تتوبا إلى الله فقد زاغت قلوبكما)[٢].

ومجاهد قد نقل عن ابن مسعود في تفسيره شيئًا من الآثار، معظمها في علم القراءة[٣].

أثرها على المدرسة البصرية:

مع التقارب المكاني بين الكوفة، والبصرة، إلا أن الأثر الكوفي على البصرة كان قليلاً، مقارنة بالأثر المدني عليها، وإن كان من أثر يذكر على مفسري البصرة، فقد كان ذلك في نقل بعضهم لقراءة ابن مسعود، والإفادة منها في تفسيره، فإن قتادة استفاد من قراءة ابن مسعود وروى شيئًا من ذلك[٤].

فعند قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾[٥]، قال قتادة: (درست) قرأت، وفي حرف ابن مسعود (دَرَس)[٦].

---

(١) سورة التحريم: آية (٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٨/ ١٦١)، وزاد المسير (٨/ ٣١٠).

(٣) سبق بيان ذلك في ترجمة مجاهد عند الحديث عن تعدد مصادره ص (١٢٦)، ومما ينبغي الإشارة إليه أنه بعد التتبع لأقوال مجاهد، وجدته يعتمد على أقوال الصحابة في بعض الآثار، إلا أن اعتماده على ابن مسعود لم أجده إلا في أثر واحد، ينظر تفسير الطبري (٣٠/ ٢٧٣).
في حين كانت عنايته أكثر بقراءة ابن مسعود، مما يدل على أهمية قراءة ابن مسعود بين التابعين، وأثرها في بيان كثير من المعاني التفسيرية.

(٤) بعد مراجعتي لتفسير ابن مسعود عند الطبري، وجدت أن قتادة روى عنه سبع عشرة رواية، ست عشرة منها في القراءات.

(٥) سورة الأنعام: آية (١٠٥).

(٦) تفسير الطبري (١٢/ ٣٠) ١٣٧٣٠، وينظر زاد المسير (٣/ ١٠١)، وفتح القدير (٢/ ١٥٠).

وعند قوله سبحانه: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[١] قال: في حرف ابن مسعود: (فامضوا إلى ذكر الله)[٢].

وعند قوله سبحانه: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾[٣] قال: في قراءة عبد الله: (إنها عليهم مؤصدة بعمد ممددة)[٤].

* * *

(١) سورة الجمعة: آية (٩).
(٢) تفسير الطبري (٢٨/ ١٠١)، وينظر تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٩١)، وزاد المسير (٨/ ٢٦٤).
(٣) سورة الهمزة: آية (٩).
(٤) تفسير الطبري (٣٠/ ٢٩٥).

المبحث الرابع

مدرسة المدينة

كانت المدينة دار الهجرة، ومركز الخلافة، ومقر كبار الصحابة، فإن النبي ﷺ بعد رجوعه من حنين ترك بها اثني عشر ألفًا من الصحابة، مات بها عشرة آلاف، وتفرق ألفان في سائر أقطار الإسلام[١].

فكانت مهد السنن، وموطن الفتاوى المأثورة، يتلقى فيها حديث المصطفى ﷺ وتؤخذ منها آثار الصحابة، فأصبحت من أكثر المدارس اشتغالاً بالمغازي والسير، والسنن والآثار، فصارت السنة شعار أهلها، والحديث وروايته محط اهتمام أصحابها.

يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه: إذا رأيت أهل المدينة على شيء فاعلم أنه السنة[٢].

وفي مقابل هذه الحال فقد كانت من أقل المدارس اشتغالاً بالتفسير[٣]، ومن أكثرها هيبة وتعظيمًا له، فقلَّ نتاجها، وسبقها غيرها.

وأشهر من تفرغ في المدينة للحياة العلمية زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ، فقد استبقاه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في المدينة، فكثر أصحابه، يقول ابن عمر ـ

(١) الفكر السامي (١/ ٣١١).

(٢) المعرفة والتاريخ (١/ ٤٣٨).

(٣) بلغ نسبة ما روي عنها ما يقارب (٠,٠٢) من مجموع التفسير المروي عن مشاهير مفسري التابعين، في حين كان عن المدرسة المكية (٠,٤٦)، وعن البصرية (٠,٣٨)، وعن الكوفية (٠,١٤).

رضي الله عنهما -: فرق عمر الصحابة في البلدان ، وحبس زيد بن ثابت بالمدينة يفتي أهلها[١] .

ويقول حميد بن الأسود: ما تقلد أهل المدينة قولاً بعد زيد بن ثابت كما تقلدوا قول مالك[٢] .

وكان أحد الصحابة الثلاثة الذين قيض الله لهم أصحابًا حفظوا أقوالهم، ونشروا علمهم، وآثارهم[٣] .

ولذا فسوف أعرض بشيء من الاختصار لأهم ما في سيرة هذا الإمام - رضي الله عنه - مبينًا أبرز العلوم التي سبق فيها، مع بيان أثر أصحابه في بقية تلاميذ المدارس .

زيد بن ثابت :

هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوزان بن النجار[٤] أبو سعيد، وأبو خارجة الأنصاري النجاري[٥] .

قدم النبي ﷺ المدينة وزيد ابن إحدى عشرة سنة .

فعنه - رضي الله عنه - قال: قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن إحدى عشرة سنة، وأمرني أن أتعلم كتاب يهود، فكنت أقرأ إذا كتبوا إليه . فتعلم تلك الكتب وحذقها في نصف

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٤٥٠)، أورده الهندي في الكنز، وعزاه لابن سعد (١٣/ ٣٩٣) ٣٧٠٥١، وينظر طبقات ابن سعد (٢/ ٣٥٩)، تاريخ الإسلام، (ح ٤١ هـ/ ٥٤).

(٢) العلل لأحمد (٣/ ٢٥٩) ٥١٤٥ .

(٣) المعرفة (١/ ٣٥٣، ٧١٤).

(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٥٨) ، والاستيعاب (١/ ٥٥١)، وكتاب النسب (٢٧٨)، وتجريد أسماء الصحابة (١/ ١٩٧)، والتاريخ الكبير (٣/ ٣٨٠)، وتاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار (١٠٥)، والإصابة (١/ ٥٦٢).

(٥) أخبار القضاة لوكيع (١/ ١٠٧)، والجرح (٣/ ٥٥٨)، والكنى للدولابي (١/ ٧١).

شهر[١] .

وقد نال ـ رحمه الله ـ شرف جمع المصحف حين عهد إليه أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ بذلك ، وقد استدعاه أبو بكر ـ رضي الله عنه وقال له : إنك شاب عاقل لا نتهمك ، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه ، فقلت : كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟! قال : هو والله خير ، فلم يزل يُراجعني حتى شرح الله صدري لذلك[٢] ، وكذا نال شرف نسخه في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ فعن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يُغازي أهل الشام في فتح إرمينية ، وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حُذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك .

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد ابن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرَّهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ؛ ففعلوا[٣] .

---

(١) مسند أحمد (٥/ ١٨٦)، وسنن أبي داود ، كتاب العلم ، باب رواية حديث أهل الكتاب ، (٣/ ٣١٨) ٣٦٤٥، وسنن الترمذي ، كتاب الاستئذان ، باب ما جاء في تعليم السريانية ، (٥/ ٦٧) ٢٧١٥، والمعجم الكبير للطبراني (٥/ ١٣٣) ٤٨٥٦ ، ٤٨٥٧ ، والمستدرك للحاكم ، وصححه (١/ ٧٥).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، يُنظر الفتح (٩/ ١٠) ٤٩٨٦ ، ومسند أحمد (٥/ ١٨٨)، وفضائل الصحابة للنسائي (١٦٥)، وفضائل القرآن للنسائي (٦٣)، والمصاحف لأبي داود (١٢).

(٣) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، ينظر الفتح (٩/ ١١)، ٤٩٨٧ ، وفضائل القرآن للنسائي (٥٧).

وقد عرض عليه ابن عباس القراءة[١] .

وكان ابن عباس يُجله، ويقدره، ولما قدم إلى زيد أخذ بركابه، فقال له زيد: تنح يا ابن عم رسول الله، قال: إنا هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا[٢]

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه أراد أن يقرأ على عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ فقال له: إنك إذًا تشغلني عن النظر في أمور الناس، فامض إلى زيد بن ثابت، فإنه أفرغ لهذا الأمر، فاقرأ عليه[٣] .

يقول عامر الشعبي ـ رحمه الله ـ: غلب زيد الناس على اثنين، على الفرائض، والقرآن[٤] .

ويقول العجلي: الناس على قراءة زيد، وفرض زيد[٥] .

وكيف لا وقد شهد له النبي ﷺ بهذا؟! يقول النووي[٦]: أعلم الصحابة بالفرائض زيد، لحديث «**أفرضكم زيد**»[٧] .

يقول قبيصة بن ذؤيب: كان زيد بن ثابت مترئسًا بالمدينة في القضاء، والفتوى،

---

(١) تاريخ الإسلام (ح ٤١ هـ/ ٥٤)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٣٦).

(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٠)، والمستدرك للحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي (٣/ ٤٢٣)، والمعجم الكبير للطبراني (٥/ ١٠٧) ٤٧٤٦، وأورده الهيثمي في المجمع وقال: رجاله رجال الصحيح (٩/ ٣٤٥)، وذكره صاحب الكنز، وعزاه لابن عساكر (١٣/ ٣٩٦) ٣٧٠٦١.

(٣) أورده الهندي في الكنز، وعزاه لابن الأنباري في المصاحف (١٣/ ٣٩٤) ٣٧٠٥٣.

(٤) تهذيب الكمال (١٠/ ٢٩)، وتهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٤٤٩).

(٥) تاريخ الثقات (١٧٠).

(٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠١).

(٧) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل، قال الترمذي: حديث حسن صحيح (٥/ ٦٦٥) ٣٧٩١، وينظر مسند أحمد (٣/ ٢٨١)، وصحيح ابن حبان، يُنظر الإحسان (٩/ ١٣١) ٧٠٨٧ ط كمال الحوت، وشرح السنة للبغوي (١٤/ ١٣١).

والفرائض، في عهد عمر، وعثمان، وعلي، في مقامه بالمدينة وبعد ذلك[١].

ويقول سليمان بن يسار: ما كان عمر وعثمان يقدمان أحداً على زيد بن ثابت في القضاء، والفتوى، والفرائض، والقراءة[٢].

وكان عمر - رضي الله عنه - يستخلفه على المدينة في كل سفر[٣].

وعن مالك بن أنس - رحمه الله - قال: كان إمام الناس عندنا بعد عمر زيد، وكان إمام الناس بعد زيد ابن عمر[٤].

وفي هذا يقول ابن جرير الطبري: كان ابن عمر وجماعة ممن عاشوا بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ إنما كانوا يفتون بمذاهب زيد بن ثابت، مما كانوا أخذوا عنه مما لم يكونوا حفظوا فيه عن رسول الله ﷺ قولاً[٥].

وكان عالم العلماء، وفقيه الفقهاء بعد طبقة الصحابة سعيد بن المسيب يرد بعض أقوال الصحابة إذا خالفت ما جاء عن زيد في المسائل المشهورة[٦].

وزيد - رضي الله عنه - فاق غيره من الصحابة في علم القراءة والفرائض، ثم الفتوى، وأما علوم الحديث، والتفسير، فكان اشتغاله بها قليلاً، فلم يرد عنه من أحاديث سوى اثنين وتسعين حديثًا، منها خمسة أحاديث متفق عليها، وأربعة انفرد بها البخاري، وواحد رواه مسلم[٧].

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٠)، وتهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٤٥٠).

(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٥٩)، وتهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٤٥٠)، وأورده الهندي في الكنز، وعزاه لابن سعد (١٣/ ٣٩٣) ٣٧٠٥٠.

(٣) أخبار القضاة (١/ ١٠٨)، والإصابة (١/ ٥٦٢).

(٤) المعرفة (١/ ٤٨٦).

(٥) إعلام الموقعين (١/ ١٦).

(٦) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٠)، وتهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٤٥١).

(٧) مقدمة مسند بقي (٨٣)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠١).

وأما علم التفسير فإنه من أقل الصحابة رواية واشتغالاً به، وبعد البحث والمراجعة، وجدت أن المروي عنه في تفسير ابن كثير والقرطبي، لا يتجاوز مجموعه خمسة وعشرين قولاً[١].

وفاته:

ذهب كثير من أهل العلم إلى أنه توفي سنة خمس وأربعين[٢].

قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه (وقد شهد جنازة زيد): مات حبر الأمة، ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفًا[٣].

أصحاب زيد بن ثابت:

صحب زيدًا عدد من فقهاء المدينة، وقد اشتهر من أصحابه والآخذين عنه ستة من التابعين.

يقول ابن المديني: فأما من لقي زيدًا، وتثبت عندنا لقيه فهم: سعيد بن المسيب[٤]، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وخارجة بن زيد، وأبان بن عثمان، وسليمان بن يسار[٥].

---

(١) رجعت إلى تفسير ابن كثير، فوجدت المروي عنه (١٢) قولاً، منها خمسة أقوال في مسائل فقهية.
ورجعت أيضًا إلى تفسير القرطبي، فوجدت المروي عنه (١٣) قولاً، منها عشرة أقوال في مسائل فقهية، والثلاثة الباقية في بيان القراءة.

(٢) الإصابة (١/ ٥٦٢)، وتهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٤٥٣)، والاستيعاب (١/ ٥٥٣)، والمستدرك (٣/ ٤٢١)، والوفيات لابن قنفذ (٦١)، والوافي بالوفيات (١٥/ ٢٤، ٢٥).

(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٢)، والمستدرك (٣/ ٤٢٧)، والإصابة (١/ ٥٦٢)، وتهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٤٥٣).

(٤) سعيد بن المسيب مرت ترجمته ص (٣٤٤).

(٥) العلل (٥١)، وتهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٤٥٢).

عروة بن الزبير :

هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي[١].

ولد سنة ثلاث وعشرين[٢] ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق[٣]، وخالته عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنهما ـ فحدث عن عائشة ولازمها، وجالس زيد بن ثابت، وأبا هريرة، وغلب أصحابه بكثرة الدخول على عائشة[٤] .

ولذا فقد كان من أكثر أصحابه من المدنيين حديثًا، يقول ابن شهاب: جالست سعيد بن المسيب فكان يعيد الرجيع من حديثه، وكان عروة بحرًا ما تكدره الدلاء[٥] .

وعدّه ابن القيم من أغزرهم، وأكثرهم حديثًا[٦] .

يقول عنه ابنه هشام ـ وهو من أكثر الرواة عنه ـ : ما تعلمناه جزء من ألف جزء من أحاديثه[٧] .

ولذا كان ـ رحمه الله ـ لا يقول في شيء برأيه، وفي ذلك يقول ابنه هشام: ما رأيت عروة يُسأل عن شيء قط فقال فيه برأيه[٨] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٨)، وتهذيب الأسماء (١/ ٣٣١)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٥٥).
(٢) السير (٤/ ٤٢٢)، ومختصر تاريخ دمشق (١٧/ ٥)، وطبقات الحفاظ (٢٣).
(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٨)، وتهذيب الأسماء (١/ ٣٣١)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٥٥).
(٤) السير (٤/ ٤٢٤)، ومختصر تاريخ دمشق (١٧/ ٧).
(٥) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤١٨)، والإرشاد (١/ ١٩١)، وتاريخ الخميس (٢/ ٣١٣)، والشذرات (١/ ١٠٤).
(٦) إعلام الموقعين (١/ ١٧).
(٧) التاريخ الكبير (٧/ ٣٢)، وتهذيب الأسماء (١/ ٣٣٢)، وطبقات الحفاظ (٢٣).
(٨) مختصر تاريخ دمشق (١٧/ ٩).

وكان ـ رحمه الله ـ يتمنى أن يكون ممن يروى عنه هذا العلم[١] ، ويقول لبنيه : يا بني سلوني، فلقد تُرِكت حتى كدت أن أنسى، وإني لأسأل عن الحديث، فينفتح حديث يومي[٢] .

وكان ـ رحمه الله ـ من حرصه على التحديث يتألف الناس على علمه[٣] ، وكان يعد من فقهاء المدينة الأربعة مع سعيد بن المسيب، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الملك بن مروان[٤].

ومع هذا كله فقد كان من أورع الناس في التفسير، ومن أقلهم تعرضًا له، وخوضًا فيه، حتى قال عنه ابنه هشام : ما سمعت أبي يتناول آية من كتاب الله قط[٥] .

توفي ـ رحمه الله ـ سنة أربع وتسعين، على قول الجمهور كما ذكره النووي وغير واحد[٦] .

سُليمان بن يسار :

هو أبو عبد الله المدني[٧] ، مولى أم المؤمنين ميمونة[٨] ، عالم المدينة وفقيهها، وهو أحد

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٢٥٨)، ومختصر تاريخ دمشق (١٧/ ١٢).

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٩)، والمعرفة (١/ ٥٥٢)، والسير (٤/ ٤٣١).

(٣) تاريخ أبي زرعة (١/ ٥٢١)، والعلم لأبي خيثمة (١١٤)، ومختصر تاريخ دمشق (١٧/ ٩).

(٤) الجرح (٦/ ٣٩٦)، والعلل لأحمد (٢/ ٤١٠) ٢٨٣٦، وتاريخ ابن معين (٢/ ٢٠٨).

(٥) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٢٩).

(٦) تهذيب الأسماء (١/ ٣٣٢)، وطبقات ابن سعد (٥/ ١٨٢)، وطبقات الفقهاء (٥٨)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٥٨)، والشذرات (١/ ١٠٤).

(٧) الحلية (٢/ ١٩٠)، وطبقات ابن سعد (٥/ ١٧٤)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٢٢٨)، والنجوم الزاهرة (١/ ٢٥٢).

(٨) طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٤)، ومختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٩٢).

الفقهاء السبعة[١] من المدنيين، وكان نظير سعيد بن المسيب[٢]، وفضله بعضهم عليه.

فعن الحسن بن محمد بن الحنفية، قال: سليمان بن يسار عندنا أفهم[٣] من ابن المسيب[٤].

وكان سعيد بن المسيب، يقول: اذهبوا إليه، فإنه أعلم من بقي اليوم[٥].

وعدّه الإمام مالك بعد ابن المسيب[٦].

وفاته:

ذهب كثير من أهل العلم إلى أنه توفي سنة سبع ومائة[٧]، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة[٨].

وسبق في ماضي القول أن أشرنا إلى ستة من أصحاب زيد مرّ الحديث على ثلاثة منهم، وأما قبيصة بن ذؤيب، فسوف يأتي الحديث عنه في المدرسة الشامية؛ لأثره على

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٣٤)، ودول الإسلام (٧٥)، ومرآة الجنان (١/ ٢٥٦)، وشذرات الذهب (١/ ١٣٤).

(٢) مختصر تاريخ دمشق (١٠/ ١٩٣).

(٣) رجح البخاري في تاريخه: أن الرواية الصحيحة عن الحسن بن محمد أنه قال: «أقيس»، ولم يقل: أفهم، ولا أفقه (٤/ ٤١).

(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٤)، والمعرفة (١/ ٥٤٩)، وطبقات الفقهاء (٦١)، والتذكرة (١/ ٩١)، والعبر (١/ ١٠٠)، وشذرات الذهب (١/ ١٣٤). وجاء عند العجلي بلفظ أفقه (٢٠٧).

(٥) طبقات الفقهاء (٦٠)، والتذكرة (١/ ٩١)، ومرآة الجنان (١/ ٢٥٦)، وشذرات الذهب (١/ ١٣٤).

(٦) المعرفة (١/ ٥٤٩)، وطبقات الفقهاء (٦١).

(٧) طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٥)، وطبقات الفقهاء (٦٠)، ودول الإسلام (٧٥)، والعبر (١/ ١٠٠)، ومرآة الجنان (١/ ٢٥٦).

(٨) طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٥)، وطبقات الفقهاء (٦٠)، وشذرات الذهب (١/ ١٣٤).

تلك المدرسة[١] .

وخامس أصحاب زيد ابنه خارجة أحد الفقهاء السبعة[٢] ، والذي كان جل شغله بعلم الفرائض[٣] ، ولم يكن من المكثرين[٤] .

ومثله أبان بن عثمان بل هو أقل منه ، فليس له إلا أحاديث قليلة[٥] .

بين أصحاب زيد :

يتضح مما سبق أن أصحاب زيد : عروة ، وسعيداً ، وسليمان بن يسار ، كانوا مهتمين بعلمي الفقه ، والحديث ، وصارفين إلى ذلك جل عنايتهم ، وكان بينهم تمايز ، واختلاف ، فأعلمهم بالحديث ، وأكثرهم رواية له عروة بن الزبير ، وأكثرهم جمعًا بين العلمين سعيد بن المسيب ، وأكثرهم اشتغالاً بالفقه سليمان بن يسار ، وقد مرَّ معنا ما ذكره البخاري في تاريخه من قول الحسن بن محمد : إن سليمان بن يسار كان أقيس من سعيد .

ومما جاء عنهم ، ما رواه مالك في وصف حالهم قال : كان سليمان بن يسار يقول في مجلسه ، فإذا كثر فيه الكلام ، وسمع اللغط أخذ نعليه ثم قام عنهم ، وكان ابن المسيب رجلاً شديداً يحصب الناس بالحصا[٦] .

قال ابن وهب : وحدثني مالك قال : كان سليمان بن يسار كثيراً ما يوافق سعيداً ،

---

(١) ينظر ص (٥٢٨).
(٢) السير (٤/ ٤٣٧).
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٣٢٣).
(٤) السير (٤/ ٤٣٨).
(٥) السير (٤/ ٣٥٢).
(٦) المعرفة والتاريخ (١/ ٥٤٩).

قال: وكان سعيد لا يجترأ عليه[١] .

هذا شيء من كثير عن أصحاب زيد، إلا أن مما ينبغي الإشارة إليه وذكره في هذا المقام، أن أصحاب زيد كان جل اهتمامهم منصبًا على القراءة، والفرائض، والإفتاء، وبعد ذلك الحديث، وكان نصيبهم من علم التفسير قليلاً.

وقد بدأت الحاجة إلى علم التفسير تزداد في المجتمع المدني كلما تقادم الزمان بأهلها، وبعد عن العصر النبوي، فتعرض بعض المتأخرين من التابعين للتفسير، ومن أوائلهم محمد بن كعب القرظي، وكان من أعلمهم فيه[٢]، وتبعه بعد ذلك زيد بن أسلم، فكان من المقدمين بين المدنيين في علم التأويل، يقول سفيان بن عيينة: لم يكن بالمدينة أحد يفسر القرآن بعد محمد بن كعب مثله - يعني - زيد بن أسلم[٣] .

وأثنى عليه غير واحد من الأئمة بالعلم والتقدم في هذا الشأن؛ كيعقوب بن شيبة[٤]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[٥] وغيرهما.

وذكر بعض الأئمة أن له تفسيراً رواه عنه ابنه عبد الرحمن [٦] ، ويظهر - والله أعلم - أن الموجود بين أيدينا من تفسيره قليل[٧] ، وأن كثيراً منه جاء من رواية ابنه عبد الرحمن منسوبًا له[٨] .

---

(١) المعرفة والتاريخ (١/ ٥٤٩).
(٢) سبق تفصيل حاله ص (٣٥٤).
(٣) فتح الباري (١٣/ ١١١).
(٤) تهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٤٤٣)، وبغية الطلب (٩/ ٣٩٩٤).
(٥) مقدمة في أصول التفسير (٧١).
(٦) السير (٥/ ٣١٦)، والتحفة اللطيفة (٢/ ٩٢)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٧٧)، والفهرست (٣٣).
(٧) المروي من تفسيره عند الطبري (١١٧) قولاً فقط.
(٨) المروي عن عبد الرحمن في تفسير ابن كثير، أضعاف ما روي عن أبيه، فقد بلغ (٣٢٣) قولاً.

أسباب قلة المروي عنهم:

ومن الأسباب الرئيسة التي قللت نتاج المدرسة المدنية في التفسير ما يلي:

١ ـ الورع من التعرض لتأويل القرآن:

المدنيون من أكثر التابعين إحجامًا عن التفسير؛ خشية الخطأ فيه، اقتداءً بنهج كثير من الصحابة، فهذا ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ لم يكن يرضى عن منهج ابن عباس، ولم يعجبه توسعه في التفسير، حتى سمعه يفسر معنى قوله تعالى ـ في وصف السموات والأرض ـ: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ فقال ـ رضي الله عنه ـ: قد كنت أقول ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه قد أوتي علمًا[١].

وكانت هذه سمة عامة لفقهاء المدينة، فكانوا يخشون من القيل في تأويل القرآن، حذرًا ألا يبلغ أداء ما كلف من إصابة صواب القول فيه[٢].

فعن عبيد الله بن عمر قال: لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليعظمون القول في التفسير، منهم سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع[٣].

فسعيد بن المسيب الذي عدّه غير واحد من الأئمة من أعلم التابعين على الإطلاق[٤]، وفقيه الفقهاء[٥].

يقول فيه يزيد بن أبي يزيد: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان

---

(١) الحلية (١/ ٣٢٠)، والخبر بتمامه قد سبقت الإشارة إليه عند الحديث عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ص (٤١٩) والآية من سورة الأنبياء (٣٠).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٨٩).

(٣) المرجع السابق (١/ ٨٥) ٩٢، والعلل لأحمد (٢/ ٣٧٤) ٢٦٦٣، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/ ٣٧٤).

(٤) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤٠٤).

(٥) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢١)، والسير (٤/ ٢٢٤).

أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع[١] . بل إنه لما سأله رجل عن تفسير آية من القرآن قال: أنا لا أقول في القرآن شيئًا[٢] .

قال الإمام الذهبي معلقًا على هذا الأثر: ولهذا قلّ ما نقل عنه في التفسير[٣]. وهذا عروة بن الزبير الذي قال فيه الإمام الزهري: إنه بحر لا تكدره الدلاء[٤] . ويقول فيه ابنه هشام: ما تعلمناه جزءًا من ألف جزء من أحاديثه[٥] وكان أكثر حديثًا من سعيد بن جبير[٦] .

ومع هذا يقول فيه ابنه هشام: ما سمعت أبي تأول آية من كتاب الله قط[٧] .

والقاسم بن محمد لم يحد عن هذا المنهج، فمع مجالسته لابن عباس لم يتأثر به، بل تأثر بابن عمر، فغلب عليه جانب الورع .

وفي ذلك يقول: كنت أجالس البحر ابن عباس، وقد جلست مع أبي هريرة وابن عمر فأكثرت، فكان هنا ـ يعني: ابن عمر ـ ورع ، وعلم جم، ووقوف عما لا علم له به[٨] .

يقول عبيد الله بن عمر: كان القاسم لا يفسر القرآن[٩] ، وكان سالم لا يفسر القرآن[١٠] .

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٨٦) ١٠٠ .
(٢) المرجع السابق (١/ ٨٥) ٩٤، وفضائل القرآن لأبي عبيد (٢٢٨)، وطبقات ابن سعد (٥/ ١٣٧).
(٣) السير (٤/ ٤٢٢).
(٤) مختصر تاريخ دمشق (١٧/ ٨)، والشذرات (١/ ١٣٠).
(٥) التاريخ الكبير (٧/ ٣٢)، والمعرفة (١/ ٥٥١)، والفقيه والمتفقه (٢/ ١٤١).
(٦) السير (٤/ ٤٢٥).
(٧) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٢٩)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٧).
(٨) السير (٥/ ٥٥).
(٩) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٨١)، والسير (٥/ ٥٩).
(١٠) طبقات ابن سعد (٥/ ٢٠٠).

وفضلاً عن ذلك الإحجام، فقد كان التابعون في المدينة ينكرون على من يكثر في التفسير، ولذا لما قدم عكرمة إلى المدينة، كان سعيد بن المسيب ينكر عليه كثرة تحديثه في التفسير.

فعن عمرو بن مرة قال: سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن؟ قال: لا تسلني عن القرآن، وسل عنه من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء - يعني عكرمة[1] -.

وأنكروا على زيد بن أسلم، فعن حماد بن زيد قال: قدمت المدينة، وزيد بن أسلم حي، فسألت عبيد الله بن عمر، فقلت: إن الناس يتكلمون في زيد، فقال: ما أعلم به بأسًا إلا أنه يفسر القرآن برأيه[2]

٢ - الاشتغال برواية السنن، والآثار، والسير:

كان جل اهتمام المدنيين الاشتغال بالحديث، ومدارسته رواية ودراية، ولذا فقد كانوا من أعلم الناس بالمغازي، والسنن، والآثار عنه ﷺ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: أعلم الناس بالمغازي أهل بالمدينة، ثم أهل الشام، ثم أهل العراق . . . فأهل المدينة أعلم بها؛ لأنها كانت عندهم[3].

هذا هو الاهتمام الغالب على التابعين من أهل المدينة، تناقل الحديث ومعرفة المغازي والسير، مع علم الفقه المعتمد على الأثر، والذي يأتي بعد علم الحديث، وهذا ليس بمستغرب على مدينة عاش فيها المصطفى ﷺ وتوفي فيها ودفن بها، وبقي فيها الكثير من أصحابه - رضي الله عنهم -، الذين حفظوا أقواله، وأفعاله، وتقريراته، بل

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٢٨)، وجامع بيان العلم (٢/ ٢٩)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٨٤)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٢٨٢).

(٢) الجرح (٣/ ٥٥٥)، والكامل في الضعفاء (٣/ ١٠٦٤)، وبغية الطلب (٩/ ٣٩٨٨)، وتهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٤٤٥).

(٣) مقدمة في أصول التفسير (٦٠).

وصفاته الخلقية والخُلُقية، فكانت حلق العلم تعج بتلك السيرة العطرة، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ثم جاء من بعدهم الأتباع الذين تناقلوا ما ورثوه من علم الرواية والأثر، وقد أغناهم هذا المحفوظ عن كثرة الاشتغال بالرأي والاجتهاد، مع ما يضاف إلى ذلك من قلة المسائل الواردة والحادثة في المجتمع المدني البعيد عن الثقافات الوافدة، أو الفتن الحادثة، فكان التابعون فيها لا يأخذون بالرأي إلا اضطراراً، ولا يفرعون المسائل، ولا يستخرجون أحكامًا لمسائل لم تقع، بل لا يفتون إلا فيما وقع.

كل هذا وغيره صرف معظم اهتمام التابعين في المدينة إلى الحديث والمغازي، وكان نصيبهم من العلوم الأخرى قليلاً.

وقد كان للمكثرين من الصحابة ممن عاشوا في المدينة الأثر البالغ في توجيه التابعين، فابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ كان أحسن سرداً للرواية من ابن عباس، أما التفسير فكان ابن عباس أعلم به[1].

٣ ـ قلة الكتابة :

لم يعتن أهل المدينة عناية كاملة بتدوين علمهم وكتابته، وقد توفي الكثير منهم ولم يدون كتابًا، يقول الإمام مالك: ولقد هلك ابن المسيب ولم يترك كتابًا، ولا القاسم بن محمد، ولا عروة بن الزبير، ولا ابن شهاب[2].

ويرجع عدم الاعتناء هذا إلى كراهية بعضهم له خشية أن يشابه صنيعهم هذا صنيع أهل الكتاب، أو أن تختلط كتبهم مع كتاب الله تعالى.

فعن عبد الله بن العلاء قال: سألت القاسم أن يملي علي أحاديث فمنعني، وقال:

---

(١) الإرشاد (١/ ١٨٤).

(٢) تاريخ أبي زرعة (١/ ٥١٧)، والمعرفة (١/ ٤٧٨).

إن الأحاديث كثرت على عهد عمر، فناشد الناس أن يأتوا بها، فلما أتوه بها أمر بتحريقها، ثم قال: مثناة كمثناة أهل الكتاب. قال: فمنعني القاسم يومئذ أن أكتب حديثًا[١].

وهذا عروة بن الزبير كان عنده كتب، وكان يكتب عن عائشة، ولكنه تأثر بحال الغالب من فقهاء أهل المدينة، فجمع كتبه وأحرقها[٢].

وقد ندم عروة على ذلك وتأسف، وتمنى أن تكون عنده، وأنه لم يحرقها، وفي ذلك يقول: كنا نقول: لا نتخذ كتابًا مع كتاب الله، فمحوت كتبي، فوالله لوددت أن كتبي عندي، إن كتاب الله قد استمرت مريرته[٣].

وقال أيضًا: لوددت لو أني فديتها بأهلي، ومالي[٤].

وقد استمرت الكراهية للكتابة حتى في عهد صغار التابعين وأتباعهم.

فعن يحيى بن سعيد قال: أدركت الناس يهابون الكتب، ولو كنا نكتب يومئذ لكتبنا من علم سعيد بن المسيب ورأيه شيئًا كثيرًا[٥].

أثرها:

مع قلة المروي عنها في التفسير، إلا أنها من أكثر المدارس تأثيرًا في مناهج التابعين عمومًا، فالمدينة مثلت الحديث وروايته، وكانت عاصمة الخلافة، وبقي لها الأثر

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ١٨٨). قول: مثناة كمثناة أهل الكتاب: هو كتاب وضعه أحبار بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب. ينظر السير (٥/ ٥٩).

(٢) الكفاية (٢٠٥).

(٣) الحلية (٢/ ١٧٦)، واستمرت مريرته: أي قوي واستحكم. السير (٤/ ٤٣٦).

(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٩)، ومختصر تاريخ دمشق (١٧/ ١٠)، والتهذيب (٧/ ١٨٣).

(٥) طبقات ابن سعد (٥/ ١٤١)، والمعرفة (١/ ٦٤٩).

والريادة في علم الأثر والدراية، فأثرت بذلك على كثير من مدارس التابعين.

أثرها على البصرة:

كانت البصرة من أكثر المدارس تأثرًا بالمدينة، وكان بينهما من التواصل والترابط ما جعل إمام البصرة الحسن البصري يرسل بالمسائل المشكلة إلى إمام التابعين بالمدينة سعيد ابن المسيب.

فعن علي بن زيد قال: كنت إذا خرجت إلى مكة قال لي الحسن: سل سعيدًا عن كذا، وسل لي سعيدًا عن كذا ـ يعني ـ: سعيد بن المسيب[١].

ويقول قتادة: ما جمعت علم الحسن إلى علم أحد من العلماء، إلا وجدت له فضلاً عليه، غير أنه كان إذا أشكل عليه شيء، كتب فيه إلى سعيد بن المسيب يسأله[٢].

ولذا قلّ ما كان الحسن وسعيد يختلفان في الفُتيا[٣].

وكان الحسن لا يدع شيئًا من فعله لقول أحد حتى يقولوا: إن سعيد بن المسيب قد قال خلافه فيأخذ به، ويدع قوله[٤].

والحسن قد نشأ في سني عمره الأولى في المدينة، ولذا نجد أثر هذه النشأة في تفسيره، فكان يستدل بلغتهم في تفسيره، فمن ذلك ما جاء عنه عند تأويل قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾[٥]، قال: بطنها حبًا، وأهل المدينة يقولون ذلك[٦].

---

(١) العلل لأحمد (٣/ ٣٢١) ٥٤٢٩.

(٢) التذكرة (١/ ٥٥)، والتهذيب (٤/ ٨٦)، ومرآة الجنان (١/ ٢١٤).

(٣) تهذيب الكمال (٦/ ١٠٨).

(٤) أنساب القرشيين (١/ ٣٩٦)، والمنتظم (٦/ ٣٢٠).

(٥) سورة يوسف: آية (٣٠).

(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٦٤) ١٩١٤٨، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم وابن المنذر، وأبي الشيخ، عن الحسن بنحوه (٤/ ٥٢٨).

وعند تفسير قوله سبحانه: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾[١] قال: هي البسط، أهل المدينة يقولون: هي البسط[٢].

ولما رأى قتادة ذاك التأثر والتقدير من شيخه لأئمة التابعين في المدينة لاسيما سعيد، حرص على السفر للمدينة، والأخذ عنهم، فرحل إلى سعيد، فجعل يسأله أيامًا، وأكثر من المسألة، فقال سعيد: أكل ما سألتني عنه تحفظه؟ قال: نعم سألتك عن كذا، فقلت فيه كذا، وسألتك عن كذا، فقلت فيه كذا، حتى رد عليه حديثًا كثيرًا، فقال سعيد: ما كنت أظن أن الله تعالى خلق مثلك[٣].

وكان يقول: ما أتاني عراقي أحفظ منك.

ولما رأى قتادة الحسن يُرسل إليه في مسائل من العلم مشكلة تأثر به في الجانب الفقهي أكثر من تأثره بشيخه الحسن، وقد عني بنقل تفسيره أكثر من عناية المدنيين بذلك[٤]، ونشر علمه، وفتواه في البصرة، وكان جل ما أخذ عنه في التفسير هو ما ورد في تفسير آيات الأحكام[٥].

وقد تأثر به قتادة في هذا فتوسع في القول بنسخ كثير من الآيات[٦]، بل إنه نقل

---

(١) سورة الرحمن: آية (٧٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٧/ ١٦٣)، وفتح القدير (٥/ ١٤٥).

(٣) كتاب الحث على الحفظ وذكر كبار الحفاظ (١٠٥).

(٤) كان قتادة من أكثر الناقلين لتفسير سعيد بن المسيب، حيث روى ما نسبته (٣٧,٠) من مجموع تفسيره، في حين تلاه يحيى بن سعيد حيث روى ما نسبته (١٦,٠) من مجموع تفسيره.

(٥) وبمراجعة تفسير سعيد، وجدت أن (٥٦,٠) من تفسيره لآيات الأحكام كان من رواية قتادة، ينظر تفسير الطبري الآثار ذوات الأرقام: ٤٥٢٢، ٤٦٢٦، ٤٦٢٨، ٤٦٤٦، ٥٠٩٢، ٥٢١٧، ٥٢١٨، ٥٢٦٦، ٥٣٣٨، ٥٣٣٩، ٥٣٤٣، ١١٢٢٣، ١١٢٨٤، ١١٣٠٩، ١١٣١٠، ١٢٧٤٤، (١٨/ ٧٨)، (١٨/ ٧٩)، (٢٨/ ٩)، (٢٨/ ١٠).

(٦) يعد سعيد بن المسيب وقتادة من أكثر التابعين توسعًا في النسخ، ويأتي لذلك مزيد بحث في فصل أثرهم في أصول التفسير ص (١٠٨١).

جل ما جاءعن سعيد في هذا الباب[١] ، وكان يعرض ما عنده على ابن المسيب ، فقد عرض عليه صحيفة جابر بن عبد الله[٢] .

وقد كان للمدنيين الأثر البالغ في ميل مدرسة البصرة للسنن والآثار في تفسيرها ، حتى صارت من أكثر المدارس اعتماداً على السنة في تأويلها[٣] .

يقول قتادة : ما رأيت أعلم من سعيد ، ولا أجدر أن يتبع فلان عن فلان ـ يعني ـ يسند[٤] .

أثرها على التفسير في الشام :

الأثر المدني على التفسير في الشام أشهر من أن يذكر ، فإن كثيراً من فقهاء المدينة رحلوا إلى الشام ، ونقلوا ما علموه من السنن والآثار إلى هناك ، ولعل من أهم أسباب تلك الرحلة والصلة ، وجود عبد الملك بن مروان الذي يعد من فقهاء المدينة الأربعة الذي ولي الخلافة فسافر إليه قبيصة بن ذؤيب ، وغيرهم من فقهاء المدينة ، ثم تولى عمر ابن عبد العزيز الخلافة ، واهتم بآثار أهل المدينة وعلمهم[٥] .

---

(١) أورد الطبري في تفسيره عن سعيد القول بالنسخ في عشر روايات ، سبع منها من رواية قتادة ، وهي الآثار ذوات الأرقام : ٥٢١٩ ، ٥٢٢٠ ، ٨٦٧٤ ، ٨٦٧٥ ، ٨٦٧٦ ، (٢٢/ ١٩) (٢٢/ ٢٠) .

(٢) العلل لأحمد (٣/ ٤٧٠) ٦٠٠٧ .

(٣) بعد مراجعتي لتفسير الطبري ، وجدت أن مجاهداً اعتمد على ما جاء عن النبي ﷺ في (٢٥) رواية ، وعكرمة في (٩) روايات ، وابن جبير في (٢٢) رواية ، وعطاء في (١٠) روايات ، في حين كان اعتماد قتادة على ذلك في أكثر من (٢٠٠) رواية ، وبلغ عن الحسن أكثر من (٨١) رواية .

(٤) الجرح (٤/ ٦٠) .

(٥) وسيأتي مزيد بحث لذلك عند الحديث عن المدرسة الشامية .

أثرها على المدرسة المكية :

كان جل اهتمام أصحاب ابن عباس متعلقًا بعلم التفسير رواية ودراية ، وكانت الصلة بينهم وبين المدينة قليلة ، فلم يكن للمدينة أثر يذكر في المدرسة المكية ، إلا ما كان من تأثر أحد أئمة المكيين - وهو عطاء - بالمنهج المدني ؛ لأنه رحل إلى مدينة المصطفى ﷺ فاستبان فضله على أصحابه[1] في هذا الجانب ، فقد كان للمدينة الأثر البالغ في منهجه وانصرافه لعلمي الفقه والحديث ؛ ولذا نجد من المفارقات الرئيسة بينه وبين أصحابه ، اتباع عطاء للدليل ، وميله للفقه الأثري ، ولذا عدّه الشافعي من أكثر التابعين اتباعًا للأثر ، بسبب اتصاله بالمدينة .

* * *

(١) المعرفة (١/ ٤٤٣)، وترتيب المدارك (١/ ٦٣).

المبحث الخامس

التفسير في الشام واليمن ومصر

أولاً: التفسير في الشام:

لقد حظي الشام بعدد من علماء الصحابة، وتخرج على يدهم عدد كبير من التابعين، فقد أرسل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ يعلمون الناس، فأرسل معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى أهل فلسطين[١]، وأرسل عبادة ابن الصامت ـ رضي الله عنه ـ إلى أهل حمص[٢].

وأما أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ فأرسله إلى دمشق[٣]، وكان من أكثرهم أتباعًا، فقد كانت له حلقة عظيمة في مسجد دمشق يحضرها ما يزيد على ألف وستمائة شخص، يقرأون عشرة عشرة، ويتسابقون عليه، وأبو الدرداء واقف يفتي الناس في حروف القرآن[٤].

ويعد أبو الدرداء أكثر الصحابة أثرًا في الشام ودمشق، يقول الذهبي: وكان أبو الدرداء

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٨٧)، والتاريخ الكبير (٤/ ٣٥٩)، والجرح والتعديل (٤/ ١/ ٢٤٤)، والسير (٢١/ ٣٤٤).

(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٨٧)، وتهذيب تاريخ دمشق (٧/ ٢٠٩)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٥٦)، والإصابة (٢/ ٢٦٨)، وشذرات الذهب (١/ ٤٠)، والسير (٢/ ٣٤٤).

(٣) أسد الغابة (٥/ ١٨٥)، وتهذيب الأسماء (٢/ ٢٢٨)، والتذكرة (١/ ٢٤)، والإصابة (٣/ ٤٥)، والشذرات (١/ ٣٩)، والسير (٢/ ٣٤٤).

(٤) غاية النهاية (١/ ٦٠٧).

عالم أهل الشام، ومقرئ أهل دمشق، وفقيههم وقاضيهم[١] .

وكان ـ رضي الله عنه ـ من قراء الصحابة المعدودين ، فعن أنس بن مالك قال : مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة من الصحابة : أبو الدرداء، ومعاذ، وزيد بن ثابت، وأبو زيد[٢] .

كما كان له الإمامة في العلم . . يقول مسروق : وجدت علم الصحابة انتهى إلى ستة : عمر، وعلي، وأبي، وزيد، وأبي الدرداء، وابن مسعود[٣] .

وبعث عمر ـ أيضًا ـ عبد الرحمن بن غنم الأشعري إلى الشام يفقه الناس[٤] .

ومن شيوخ الشاميين ـ أيضًا ـ الصحابي الجليل تميم الداري[٥] .

وعلى يد هؤلاء الصحب الكرام تعلم التابعون بالشام، وكانوا كثيرين[٦] إلا أن أشهرهم :

عائذ الله بن عبد الله أبو إدريس الخولاني[٧] ، وهو عالم الشام بعد أبي الدرداء[٨] ،

---

(١) التذكرة (١/ ٢٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الفضائل، باب القراء من أصحاب رسول الله ﷺ ، ينظر الفتح (٩/ ٤٧) ٥٠٠٤، وأبو زيد : هو أحد عمومة أنس، وقد ذكر ابن المديني أن اسمه أوس، وعده يحيى بن معين ثابت بن زيد.
وهذا الحصر في هؤلاء الأربعة إضافي، بمعنى أنهم جمعوه عرضًا على النبي ﷺ ، وقد أطال ابن حجر في بيان توجيه ذلك في الفتح (٩/ ٥١).

(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٥١)، والسير (٢/ ٣٤٣).

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤١)، والمعرفة (٢/ ٣٠٩)، والشذرات (١/ ٨٤).

(٥) تذكرة الحفاظ (١/ ٥١)، والسير (٤/ ٤٦).

(٦) مفتاح السعادة (٢/ ٢٤)، والإعلان والتوبيخ (٢٩٥)، فجر الإسلام (١٨٤، ١٨٥)، والتعريف بالقرآن والحديث (١٦٦).

(٧) طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٨)، وطبقات الفقهاء (٧٤).

(٨) تذكرة الحفاظ (١/ ٥٧)، والسير (٤/ ٢٧٤).

وكان يقرأ، ويعلم، ويقص، ويعظ[١]، ويعني كثيراً بالمغازي والسير، توفي سنة (٨٠هـ)[٢]، إلا أن المروي عنه في التفسير قليل جداً[٣].

ومن هؤلاء مكحول أبو عبد الله الدمشقي مولى لامرأة من هذيل، وكان نوبيًا، وقيل من سبى كابل، وقيل من سلالة الأكاسرة[٤].

وكان ـ رحمه الله ـ من أفقه أهل الشام[٥]، وكل ما قال بالشام قبل منه[٦].

يقول سليمان بن موسى. إن جاءنا العلم من الحجاز عن الزهري قبلناه، وإن جاءنا من الشام عن مكحول قبلناه، وإن جاءنا من الجزيرة عن ميمون قبلناه، وإن جاءنا من العراق عن الحسن قبلناه[٧].

وعن الزهري قال: العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن بالبصرة، ومكحول بالشام[٨].

وقال سعيد بن عبد العزيز: كان أفقه أهل الشام، وكان أفقه من الزهري[٩].

وعليه تتلمذ إمام الشام في زمانه الأوزاعي[١٠].

---

(١) الحلية (٥/ ١٢٠)، وتهذيب تاريخ دمشق (٧/ ٣٢٢)، والشذرات (١/ ٢٨٨).
(٢) السير (٤/ ٢٧٥).
(٣) رجعت إلى تفسير ابن كثير، فلم أجد له إلا ثلاث روايات فقط.
(٤) التاريخ الكبير (٨/ ٢١)، والبداية والنهاية (٩/ ٣١٧)، والسير (٥/ ١٥٥).
(٥) تاريخ أبي زرعة (١/ ٢٤٥)، والمعرفة (١/ ٦٤٠)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٨٠).
(٦) المعرفة (٢/ ١١٧)، والسير (٥/ ١٥٩).
(٧) تاريخ أبي زرعة (١/ ٣١٥)، ويلاحظ أن الجامع بين هؤلاء الأئمة، هو اتباعهم الأثر.
(٨) السير (٥/ ١٥٨).
(٩) السير (٥/ ١٥٩)، والبداية والنهاية (٩/ ٣١٧).
(١٠) قال الأوزاعي في الإيلاء: ونحن على قول أصحابنا الزهري، ومكحول، أنها تطليقة، تفسير الطبري (٤/ ٤٨٨) ٤٦١٠.

وقد جاء عنه جملة طيبة في التفسير، وغالبها في الفقه، والوعظ[١] .

بين الشام والمدينة :

لقد استفاد الشام من كبار التابعين الذين نزلوا به، وبثوا علمهم فيه، وأكثرهم من علماء المدينة الكبار، مما يؤكد الأثر المدني في الشام ولاسيما أنه كان منهم خليفتان عبد الملك بن مروان الذي عده ابن ذكوان رابع أربعة فقهاء في المدينة بعد ابن المسيب، وعروة، وابن ذؤيب[٢] ، ثم الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز الذي آلت إليه الخلافة في آخر المائة الأولى، وقد نزل الشام قبله الإمام قبيصة بن ذؤيب، فقيه المدينة[٣] ، ومن كبار أصحاب زيد بن ثابت روى عنه الفرائض، وكان أعلم الناس بقضائه[٤] .

قال ابن حبان : قبيصة بن ذؤيب الخزاعي من فقهاء أهل المدينة وعبادهم، كان كثير السفر إلى الشام في تجارة وغزو، فحديثه عند أهل الشام والمدينة معًا، توفي سنة ست وثمانين، وقال السيوطي عنه : المدني سكن الشام[٥] .

ثم انتقل إلى الشام أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، وقد كان أميرًا على المدينة، وكان ممن يجالس سعيد بن المسيب، ويصدر عن رأيه، وكان سعيد لا يأتي أحدًا من الأمراء غير عمر، أرسل إليه عبد الملك فلم يأته، وأرسل إليه عمر فأتاه، وكان عمر

---

(١) يراجع في ذلك تفسير الطبري، الآثار ذوات الأرقام: ٣٩٩٧، ٤١٢٩، ٤٣٧١، ٤٤٣١، ٤٦٠٤، ٤٦١٠، ٤٧١١، ٤٧١٢ . . . إلخ، وينظر تفسير ابن كثير : (١/ ٣٣٣)، (١/ ٣٤٢)، (١/ ٣٧٥)، (١/ ٣٩٢)، (١/ ٣٩٥)، و (١/ ٣٩٧)، (١/ ٤٣٦)، و (٢/ ٩٤)، (٢/ ١٩٢)، (٢/ ٢٢١)، (٣/ ٢٩)، (٣/ ٣٦)، (٣/ ١٦٤) إلى غير ذلك من الأمثلة التي زادت في تفسير ابن كثير عن ثلاثين أثرًا.

(٢) العلل لأحمد (٢/ ٤١٠)، ٢٨٣٦، و(٢/ ٥٩٤) ٣٨٢٠، وطبقات الفقهاء (٦٢).

(٣) العلل لأحمد (٢/ ٦٦) ١٥٦٥، ١٥٦٦، والعلل لابن المديني (٤٩، ٥١، ٥٣).

(٤) المعرفة (١/ ٣٥٤)، ومشاهير علماء الأمصار (٦٤).

(٥) طبقات الحفاظ (٢١).

يكتب إلى سعيد في علمه[١] ، ويركب إليه في المسألة[٢] ، وكان معظمًا له جدًا حتى قال: ما كان في المدينة عالم يأتيني بعلمه إلا وأوتى بما عند سعيد بن المسيب[٣] .

فلما استخلف عمر بن عبد العزيز حمل معه علم سعيد إلى الشام، بل وكان معه عدة من علماء المدينة، فكان معه سالم بن عبد الله، وأبو قلابة ومحمد بن كعب، وعراك بن مالك[٤] ، وابن شهاب[٥] ، وكان معه أيضًا وزير الخلفاء رجاء بن حيوة الذي كان مكحول إذا سئل يقول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة[٦] . إلا أنه كان قليل الحديث والرواية؛ لانشغاله بالوزارة، وتشدده حتى عدَّ من أكف ثلاثة عن الحديث، مع فضلهم[٧] .

ورحل إلى عمر بن عبد العزيز، زيد بن أسلم[٨] ، وكل هؤلاء ممن نشر علم المدينة بالشام.

لقد أدرك علماء الشام فضل علم المدنيين، فأخذوا ينهلون من علومهم، فها هو مكحول يرحل ليطلب علم المدينة، ويبقى بها حتى سمع من جل علمائها، يقول مكحول: قدمت المدينة، فما خرجت منها حتى ظننت أنه ليس بها من علم إلا وقد سمعته[٩] .

---

(١) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤٠٤، ٥١٨).
(٢) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤٠٥).
(٣) المنتظم (٦/ ٣٢١).
(٤) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤٢١)، (٢/ ٧١٤).
(٥) سيأتي بيان دور ابن شهاب في اتصال الشام والمدينة بشيء من التفصيل.
(٦) البداية والنهاية (٩/ ٣١٥).
(٧) المعرفة (٢/ ٣٦٨)، والسير (٤/ ٦٠٩).
(٨) بغية الطلب (٩/ ٣٩٩٠).
(٩) العلم لأبي خيثمة (١١٨)، وطبقات ابن سعد (٧/ ٤٥٣).

وصرح بأن عامة ما يحدث به هو ما أخذه عن ابن المسيب[١] ، وقد أبدى إعجابه بسعيد بن المسيب حتى قال: طفت الأمصار فما لقيت رجلاً أعلم من ابن المسيب[٢] .

وكان يقول عن سعيد: عالم العلماء[٣] ، وإذا سئل عن أفقه من أدرك قال: سعيد ابن المسيب[٤] .

ويمكن عد الزهري شاهداً آخر في حلقات الاتصال بين الشام والمدينة، فمحمد بن مسلم بن شهاب الزهري هو من طبقة صغار التابعين[٥] ، وقد قرأ القرآن على أنس بن مالك[٦] ، وسمع منه[٧] .

وقد أخذ العلم عن كبار التابعين في المدينة، وصار أعلم أهل زمانه بحديثهم، فبعد أن ذكر علي بن المديني العشرة الذين كان لهم علم بزيد بن ثابت قال: وكان أعلم الناس بقولهم وحديثهم ابن شهاب[٨] .

وقد لازم الزهري سعيد بن المسيب سبع حجج، وكان يميل في فتياه إلى قوله[٩] .

ولما سئل عن أفقه من أدرك قال: سعيد بن المسيب[١٠] .

---

(١) العلل لأحمد (٢/ ٤٤٩) ٢٩٩٥، (٣/ ٨١) ٤٢٧٢، وتاريخ دمشق (٨/ ٦٩٦)، وطبقات ابن سعد (٥/ ١٢١).

(٢) العلل لأحمد (٢/ ٤٠٠) ٢٧٨٦، (٣/ ٣٢٠) ٥٤٢٤، والتهذيب (٤/ ٢٨٥).

(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢١).

(٤) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤٠٣)، والمعرفة (١/ ٤٧٩)، والجرح (٤/ ٦١)، ومرآة الجنان (١/ ٢١٤)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧٥).

(٥) النكت على ابن الصلاح (٢/ ٥٥٨).

(٦) غاية النهاية (٢/ ٢٦٢).

(٧) العلل لأحمد (٢/ ٢٢٦) ٢٠٨٨، و(٣/ ٢٩٣) ٥٣٠١.

(٨) المعرفة (١/ ٣٥٣)، (١/ ٧١٤)، والعلل لابن المديني (٥٣).

(٩) التاريخ الصغير (١/ ٢٢٤)، والتعديل والتجريح (٣/ ١٠٨٢).

(١٠) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤٠٣)، والمعرفة (١/ ٤٧٩)، والجرح (٤/ ٦١).

والزهري يعد من أبرز التابعين الذين بثوا علم المدينة في الشام، فهو يقول عن نفسه: اختلفت من الحجاز إلى الشام، ومن الشام إلى الحجاز خمسًا وأربعين سنة ما استطرقت حديثًا واحدًا، وقال أيضًا: ما وجدت أحدًا يفيدني في ترددي إلى الشام[١].

وهذا يعني أنه نقل علم المدينة إلى الشام، ولم يجد زيادة علم بالشام حتى ينقله للمدينة.

وقد انتفع أهل العلم بالشام والمدينة بعلومه، ولذا لقب بعالم الشام والحجاز[٢].

قال عنه الذهبي: المدني نزيل الشام[٣].

وكان الزهري مع مكحول كفرسي رهان بالشام، وإن كان مكحول أكثر اشتغالاً بالفقه من الزهري، والزهري أعلم منه بالحديث والسير[٤].

ولتقاربهما وإمامتهما في مكان وزمان واحد جمعت أقوالهما، وصنفت كتب في اختلافهما[٥].

وكان مكحول يعرف له فضله، ويقدمه ولا يتقدم عليه، ولما سئل: من أعلم الناس؟ قال: ابن شهاب[٦].

وقد نقل عن الزهري روايات عديدة في التفسير كان أكثر من ثلثها في تفسير آيات

---

(١) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤٠٩).
(٢) التهذيب (٩/ ٤٤٥).
(٣) السير (٥/ ٣٢٦).
(٤) تاريخ أبي زرعة (١/ ٢٤٥)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٨٠)، والعلل لأحمد (١/ ١٨٤) ١٥٠.
(٥) ينظر مقدمة كتاب الزهري لابن عساكر (١٩)، وهي ترجمة مأخوذة من تاريخ دمشق، طبعت بتحقيق د. شكر الله بن نعمة الله قرجاني، مؤسسة الرسالة ١٩٨٢ م.
(٦) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤١١)، وقد أفاض ابن عساكر في ترجمة الزهري في تاريخ دمشق.

الأحكام، وكثير منها مما يرويه عن سعيد بن المسيب[١] .

وقد ورث علم هذين العلمين مكحول والزهري، الإمام الأوزاعي عبد الرحمن ابن عمرو بن محمد[٢] ، المولود في حياة الصحابة[٣] ، والذي يعد أول من دون العلم في الشام[٤] ، فنشر علم التابعين في تلك المنطقة، قال مالك : الأوزاعي إمام يقتدى به[٥] .

وقال الذهبي : كان له مذهب مستقل مشهور عمل به فقهاء الشام مدة، وفقهاء الأندلس ثم فني[٦] .

وكان الأوزاعي معظماً لمكحول، والزهري، ويذكرهما في أصحابه الذين يفتي بقولهم[٧] .

وقال عن الزهري، ما داهن ابن شهاب لملك قط دخل عليه، ولا أدركت خلافة هشام أحداً من التابعين أفقه منه[٨] .

بين الشام والعراق :

وقع الخصام بين أهل العراق والشام مُبكراً في القراءات، وذلك أن أهل كل مصر قد تلقوا القرآن عن الصحابي الذي نزل عندهم بقراءته، وحرفه الذي تلقاه من

---

(١) بعد مراجعة تفسير الطبري، وجدت المروي عنه (١٤٨) رواية، بلغ نصيب آيات الأحكام منها (٣٧, ٠) من مجموعها، وقد بلغت رواياته عن سعيد بن المسيب (١٦, ٠) من جملة الروايات الواردة عن سعيد بن المسيب في التفسير.

(٢) السير (٧/ ١٠٧).

(٣) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤٤٠).

(٤) السير (٧/ ١٢٨).

(٥) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤٤٠)، والسير (٧/ ١١٢).

(٦) السير (٧/ ١١٧).

(٧) تفسير الطبري (٤/ ٤٨٨) ٤٦١٠.

(٨) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤١٠).

رسـول الله ﷺ، واشتد خصام أهل العراق في القراءة في غزوة أرمينية سنة ثلاثين، حتى كفر بعضهم بعضًا، فقد روى ابن جرير الطبري بإسناده عن زيد بن ثابت في خبر جمع القرآن أنه قال: «إن حذيفة بن اليمان قدم من غزوة كان غزاها مرج أرمينية، فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان بن عفان فقال: يا أمير المؤمنين، أدرك الناس! فقال عثمان: وما ذاك؟ قال: غزوت مرج أرمينية، فحضرها أهل العراق وأهل الشام، فإذا أهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، فتكفرهم أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرأون بقراءة ابن مسعود، فيأتون بما لم يسمع أهل الشام، فتكفرهم أهل الشام».

ولم يقتصر الاختلاف في القراءة في غزوة أرمينية على أهل العراق وأهل الشام، فقد كان أهل كل جند أو مصر منهم يعتقدون أن قراءتهم أصح القراءات وأعلاها، ادعى ذلك أهل حمص، ونافسهم فيه أهل دمشق، وادعاه أيضًا أهل الكوفة، ونافسهم فيه أهل البصرة، قال ابن الأثير في ذكر غزو حذيفة وأمر المصاحف: «فيها صرف حذيفة عن غزو الري إلى غزو الباب مددًا لعبد الرحمن بن ربيعة، وخرج معه سعيد بن العاص، فبلغ معه أذربيجان، وكانوا يجعلون الناس ردءًا، فأقام حتى عاد حذيفة ثم رجعا. فلما عاد حذيفة قال لسعيد بن العاص: لقد رأيت في سفرتي هذه أمرًا لئن ترك الناس ليختلفن في القرآن، ثم لا يقومون عليه أبدًا، قال: وما ذاك؟ قال: رأيت أناسًا من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد. ورأيت أهل دمشق يقولون: إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك، وأنهم قرأوا على ابن مسعود، ورأيت أهل البصرة يقولون مثل ذلك، وأنهم قرأوا على أبي موسى، ويسمون مصحفه لباب القلوب»[1].

(١) تفسير الطبري (١/ ٦٢)، والكامل في التاريخ (٣/ ١١١).

وظل أهل دمشق وأهل حمص يختلفون في القراءة، ويتنافسون فيها بعد أن جمع عثمان بن عفان الناس على مصحف واحد، كل منهم يتمسك بقراءته ويُصوّبها، ولا يحيد عنها[١].

ولكن هذا التنافس لم يصل بالطبع إلى درجة التكفير التي كانت قبل أن يجمعهم عثمان ـ رضي الله عنه ـ على مصحف واحد، إلا أنه بقي في أهل الشام نفرة من العراق، ولاسيما الكوفة بسبب اعتماد الكوفيين على الرأي والقياس أكثر من اعتمادهم على الأثر والرواية، ونظرًا للمنهج الأثري المدني الذي ساد بالشام، لذا نفر بعض الأئمة الشاميين من أهل العراق، باستثناء الأثريين من الكوفيين كالشعبي[٢].

بل قد وجدت عبارات للأوزاعي فيها نكير شديد على أهل القياس والرأي من معاصريه[٣].

قال الأوزاعي موضحًا المنهج الشامي: كانت الخلفاء بالشام، فإذا كانت بلية سألوا عنها علماء أهل الشام، وأهل المدينة، وكانت أحاديث أهل العراق لا تجاوز جدار بيوتهم، فمتى كان علماء أهل الشام يحملون عن خوارج أهل العراق[٤].

وفي المقابل حصل شيء من تأثر الشام بالبصرة، ويرجع ذلك إلى أسباب لعل من أبرزها أثرية أئمة البصرة.

---

(١) القراءات في بلاد الشام (٨٢، ٨٨).

(٢) كان مكحول يقول: عامة ما أحدثكم من علم الشعبي، وسعيد بن المسيب، ينظر العلل لأحمد (٢/ ٤٤٩) ٢٩٩٥، (٣/ ٨١) ٤٢٧٢.
وكان الشعبي ينعي على أهل الرأي تركهم السنن، يراجع ص (٣٢٠) في ترجمة الشعبي.

(٣) من ذلك كلامه عن أبي حنيفة، ينظر العلل لأحمد (٢/ ٥٤٦) ٣٨٩، وكتاب السنة (١/ ١٨٧)، وتاريخ بغداد (١٣/ ٣٨٩)، وكتاب المجروحين لابن حبان (٣/ ٦٤)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٢٥٦)، وتاريخ بغداد (١٣/ ٣٨٤).

(٤) المعرفة (٢/ ٧٥٧)، وتاريخ دمشق (١/ ٧٠).

فقد تتلمذ الحسن، وقتادة على يد سعيد بن المسيب، وكان الأوزاعي من رواة قتادة[١] .

وكان يقارن بين مكحول ، وقتادة، قيل للزهري: أقتادة أعلم عندكم أو مكحول؟ قال: لا، بل قتادة، ما كان عند مكحول إلا شيء يسير[٢] .

في حين كان الزهري يقول : العلماء أربعة: سعيد بن المسيب بالحجاز ، والحسن بالبصرة، والشعبي بالكوفة، ومكحول بالشام[٣] .

ومن الواضح أن الجامع لهؤلاء هو الأثرية، وترك الرأي، وثمة سبب آخر يجعل الشام يتأثر بالبصرة، وهو بُعْد البصرة عن الرفض حتى عدَّها أهل العراق قطعة من الشام نزلت العراق[٤] .

ولذا كثرت رحلات الأمويين إلى البصرة، حتى قال البصريون: ما كنا نفقد في كل يوم راكبًا من ناحية بني أمية ينيخ[٥] .

وكان الرجلان من بني أمية يختلفان في البيت من الشعر، فيرسلان إلى قتادة[٦] .

وقد أدى هذا التقارب بين المدرستين، أن ابتلي بعض أهل الشام بالقول بالقدر موافقة للبصريين، فقد رمي مكحول به[٧]، واشتهر ذلك عنه، حتى أنكر عليه علماء الشام كرجاء بن حيوة[٨] .

---

(١) السير ٥/ ٢٧٠ .
(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٣٠)، والسير (٥/ ٢٧١).
(٣) البداية والنهاية (٩/ ٣١٧)، والسير (٥/ ١٥٩).
(٤) كتاب تفسير الحسن البصري (١/ ٤٩).
(٥) وفيات الأعيان (٤/ ٨٥).
(٦) أنباه الرواة (٣/ ٣٥)، والمزهر (٢/ ٣٣٤)، والسير (٥/ ٢٧٨)، ومعجم الأدباء (١٧/ ١٠).
(٧) السير (٥/ ١٥٩).
(٨) العلل لأحمد (٣/ ٢٨٠) ٥٢٤٧ .

ومن جهة أخرى اكتفى كثير من أهل العلم بالشام عن العراق، قال ابن المبارك: ما رحلت إلى الشام إلا لأستغني عن حديث أهل الكوفة[١].

وفي الجملة كان التفسير في الشام صورة من المنهج المدني، أصولاً وفكراً واتجاهًا، لذا ـ مع قلة نتاجه ـ لم أدرسه كمدرسة مستقلة لها تميزها في التفسير، والله تعالى أعلم.

ثانيًا: التفسير في اليمن:

لم يلق التفسير في اليمن من الاهتمام ما لقيه في غيرها من بلاد الإسلام في الحجاز، والعراق، ولم ينشط أهل اليمن في علوم التفسير، إلا في عصر أتباع التابعين، وذلك يرجع إلى أسباب، لعل من أهمها: نزول عدد قليل من الصحابة بها[٢]، ولذا فهي من أقل المدارس تابعًا[٣]. إلا أنه قد نزلها بعض كبار التابعين مما نشَّط الحركة العلمية فيها قليلاً، ومن هؤلاء.

طاوس بن كيسان، أبو عبد الرحمن الفارسي[٤].

سمع طاوس من عدة من الصحابة، وتحمل عنهم، فسمع من زيد بن ثابت، وعائشة، وأبي هريرة، وزيد بن أرقم، وأكثر سماعه كان من ابن عباس، وكان طاوس معدوداً في كبراء أصحابه[٥]، وهو يعد من أصحابه الستة[٦]، وكان ابن عباس يدخله

---

(١) المعرفة (٢/ ٧٥٧).

(٢) ذكر ابن حبان من مشاهير الصحابة في اليمن (١٦) صحابيًا فقط، في حين بلغ مَنْ عدهم من مشاهير الصحابة بالمدينة (١٥٢) صحابيًا، وبالبصرة (٥٥) صحابيًا، وبالكوفة مثل ذلك، وبالشام عدَّ (٢٢) صحابيًا، ومثلهم بمصر . . .

(٣) عدَّ ابن حبان من مشاهير المدنيين (١٦٩) تابعيًا، ومن مشاهير الكوفيين (١١٧)، ومن مشاهير البصريين (٩١)، ومن مشاهير الشاميين (٧٢)، ومن مشاهير المصريين (٣٢)، ومن مشاهير اليمنيين (٢٧) تابعيًا فقط.

(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ٥٣٧)، وتاريخ خليفة (٢٣٦)، والتاريخ الصغير (١/ ٢٥٢).

(٥) السير (٤/ ٣٩)، وطبقات فقهاء اليمن (٥٦)، وطبقات علماء الحديث (١/ ١٥٩).

(٦) أي مع مجاهد، وعكرمة، وعطاء، وابن جبير، وجابر بن زيد.

على الخواص[١] ، ولم يسمع طاوس من معاذ بن جبل، لتقدم وفاته بالشام[٢]، وقد اشتغل طاوس بالفقه والإفتاء، وغلب ذلك عليه حتى برع فيه، وفاق أقرانه.

يقول خصيف بن عبد الرحمن - وهو يعدد فضائل التابعين -: كان أعلمهم بالحج عطاء، وأعلمهم بالطلاق سعيد بن المسيب، وأعلمهم بالحلال والحرام طاوس، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير[٣] .

وقد كان هذا الفقه واضحًا فيما نقل عنه من تفسير، فقد كان جل المروي عنه - على قلته - في بيان آيات الأحكام[٤] ، وكان شديد التأثر بتفسير ابن عباس لملازمته له، فقد كان كثير الترداد على مكة؛ إذ حج ما يزيد على أربعين حجة[٥] ، وقد غلبه الورع مع كثرة علمه، وشمل ورعه الحديث والتفسير، فكان يعد الحديث حرفًا حرفًا[٦]، حتى قال عنه قيس بن سعد لأحد البصريين: كان طاوس فينا مثل ابن سيرين فيكم[٧] .

وكان ابن سيرين معروفًا بالورع، وأنه لا يروي بالمعنى[٨] .

---

(١) المحدث الفاصل (٥٦٩)، والسير (٥/ ٤٦).

(٢) علل ابن المديني (٢٨٨)، والفتح (٣/ ٣١٢)، (١١/ ٣٢)، وقد توفي معاذ في طاعون عمواس سنة ١٧ هـ.

(٣) تاريخ أبي زرعة (١/ ٥١٥)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧٢)، ومرآة الجنان (١/ ٢٢٥).

(٤) بعد مراجعتي لتفسير ابن كثير كله، وجدت المروي عن طاوس (٥٨) قولاً في التفسير، منها (٣١) قولاً في تفسير آيات الأحكام في سورتي البقرة والنساء.
وقد راجعت تفسير القرطبي فوجدت المنقول عنه حتى نهاية سورة آل عمران (٥١) قولاً، منها (٤٥) في بيان آيات الأحكام، أي ما يزيد عن (٨٧, ٠) من مجموع تفسيره كان في بيان آيات الأحكام، واتضحت لي عنايته بالحلال والحرام عند مراجعة كتب الفقه، فقد سبق عامة أصحاب ابن عباس في عدد المنقول عنه، ففي المغني لابن قدامة نقل عنه (٣٢٢) قولاً، في حين كان المنقول عن مجاهد (٢٥٧) ، وعن ابن جبير (٢١٢)، وعن عكرمة (١٤٤) قولاً فقط.

(٥) العلل لأحمد (٢/ ٤٦٣) ٣٠٥، المعرفة (١/ ٧٠٦).

(٦) المحدث الفاصل (٥٣٩)، وطبقات ابن سعد (٥/ ٥٤١)، والمعرفة (١/ ٧٠٦).

(٧) طبقات ابن سعد (٥/ ٥٤١)، المعرفة (١/ ٧٠٩).

(٨) سبق تفصيل ذلك في المقارنة بينه وبين الحسن، ص (٤٣٢).

وعن عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت قال: سألت طاوسًا عن تفسير هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾[١] فأراد أن يبطش بي؛ كراهية لتفسير القرآن[٢].

ولقد غلب على طاوس الطابع المكي في الاستنباط والدلالة؛ ولذا كان تفسيره أقرب إلى المكيين منه للبصريين[٣].

ومن أئمة التابعين في اليمن أيضًا:

وهب بن منبه بن كامل أبو عبد الله[٤]، من مسلمة أهل الكتاب، له روايات في التفسير، ومواعظ بليغة، وعلم غزير، أكثره عن أهل الكتاب، قال الذهبي: وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب[٥]، وقال أيضًا: وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير، فإنه صرف عنايته إلى ذلك وبالغ[٦].

وقال وهب عن نفسه: «لقد قرأت ثلاثين كتابًا نزلت على ثلاثين نبيًا»[٧].

ولذا كان كثيرًا ما يحدث عن التوراة، وأخبار بني إسرائيل[٨]، والقصص[٩]،

---

(١) سورة المائدة: آية (١٠٦).
(٢) المصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٥١٢) ١٠١٥٣.
(٣) بعد مراجعة تفسير القرطبي وجدت أن (٢٧) قولاً لطاوس من أصل (٤٥) قولاً في تفسير آيات الأحكام حتى نهاية سورة آل عمران وافق فيها المدرسة المكية، أي (٦٠ ٪) من تفسيره لآيات الأحكام يتوافق مع المكيين.
(٤) التاريخ الكبير (٨/ ١٦٤)، والمعارف (٢٣٩)، ومشاهير علماء الأمصار (١٢٢).
(٥) السير (٤/ ٥٤٥).
(٦) تذكرة الحفاظ (١/ ١٠١).
(٧) طبقات ابن سعد (٥/ ٥٤٣)، الحلية (٤/ ٢٤).
(٨) من ذلك ما رواه الطبري عنه أنه قال في الشجرة التي نهي آدم عن الأكل منها: وأهل التوراة يقولون: هي البر، تفسير الطبري (١/ ٥١٨) ٧٢٦.
(٩) طبقات فقهاء اليمن (٥٧)، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٢٨٣)، والإسرائيليات لأبي شهبة (١٠٥).

ونتاجه في التفسير في غير ذلك نادر ، ولذا رأيت أن ترجمته في منهج التابعين في الإسرائيليات ألصق ، لذا نوهت بذكره هناك[١] .

ويعد **معمر بن راشد** البصري أول من رحل إلى اليمن[٢] ، ونشر علمه هناك ، حتى قال عبد الرزاق الصنعاني - من رؤوس أتباع التابعين باليمن - : كتبت عن معمر عشرة آلاف حديث[٣] ، ولازمه سبع سنين[٤] ، وجل تفسيره إنما يرويه عنه[٥] .

وبذلك نجد التشابه الواضح بين اتجاه التفسير في اليمن مع المدرسة البصرية .

كما يعد عبد الملك بن جريج - أيضًا - ممن أسهم في نشاط حركة التفسير في اليمن ، فقد رحل إليها ، وبث علمه فيها ، قال : قدمت بلدًا داثرًا فنثرت لهم عيبة علم ، (يعني : اليمن)[٦] .

إلا أنه لم يلق طاوسًا فلم يرو عنه[٧] .

ومع هذا كله فإن استفادة أهل اليمن من معمر كانت أشد ، ولذا قلت الرواية عن ابن جريج في تفاسيرهم[٨] ، في حين كان للزهري المدني أثر أكبر في تفسيرهم[٩] .

---

(١) ينظر ص (٩١١) .

(٢) السير نقلاً عن الإمام أحمد بن حنبل (٧/ ٧) .

(٣) السابق (٧/ ١١) .

(٤) تذكرة الحفاظ (١/ ٣٦٤) .

(٥) روى عنه ثلثي التفسير ، ينظر الكلام على تفسير عبد الرزاق ص (٧٠) .

(٦) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٩٢) .

(٧) العلل لأحمد (٢/ ٣٠٢) ٢٣٣٨ .

(٨) لم تتجاوز مرويات عبد الرزاق من طريق ابن جريج في تفسيره (٤٣) رواية ، في حين روى من طريق معمر (٢٤٧١) رواية ، ينظر ص (٧٠) .

(٩) بلغت الروايات التي وجدتها لأهل اليمن عن الزهري (١٦٣) رواية ، منها (٨٤) رواية عن الزهري في تفسير عبد الرزاق الذي يعد من أهم المصادر في معرفة تفسير الزهري .

ومن هنا كان أثر المدرسة البصرية ثم المدنية أكبر من أثر المكية في اليمن، أما المدرسة الكوفية، فلم أر لها أثرًا على اتجاه التفسير في اليمن، والله تعالى أعلم.

التفسير في مصر:

فتحت مصر في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، على يد عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ، وكان في جيش الفاتحين الكثير من الصحابة، إلا أننا يمكن أن نعد عقبة ابن عامر ـ رضي الله عنه ـ هو أكثر الصحابة تأثيرًا في مصر في جانب التفسير وغيره، فلقد دخل مصر، ومعه مصحفه الذي صار إمامًا للناس يرجعون إليه[1].

وأحب أهل مصر عقبة، ورووا عنه، ولازموه، حتى قال سعد بن إبراهيم: كان أهل مصر يحدثون عن عقبة بن عامر، كما يحدث أهل الكوفة عن عبد الله[2].

ولئن كان ابن مسعود قد نشر الورع والهيبة من التفسير في نفوس تلاميذه الكوفيين، فبالمقابل نجد أهل مصر قد ورثوا عن عقبة هيبة التفسير، والورع من الخوض فيه، فها هو يزيد بن أبي حبيب يروي عن أبي الخير مرثد بن عبد الله اليزني، عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هلاك أمتي في الكتاب، واللبن**، قالوا: يا رسول الله، ما الكتاب واللبن؟ قال: **يتعلمون فيتأولون على غير ما أنزله الله عز وجل، ويحبون اللبن ويدعون الجمع، والجماعات**»[3].

لقد تأثر عقبة ومن بعده المصريون بهذا الحديث، وتورعوا عن التفسير، بل غلب عليهم الورع في شتى شئونهم، حتى قال يحيى بن سعيد الأنصاري المدني (وهو من

---

(١) القرآن وعلومه في مصر (١٤).

(٢) العلل لأحمد (٢/ ٤٤٢) ٢٩٥٨.

(٣) العلل لأحمد (٣/ ٤٥٢) ٥٩١٨، واللبن جمع لبنة، والمراد الانشغال بالبناء، وصحح إسناده محقق الكتاب د. وصي الله عباس.

صغار التابعين): ما أعلم الورع اليوم إلا في أهل المدينة، وأهل مصر[١].

وتلقى المصريون العلم عن الصحابة على قلتهم بمصر[٢]، وكان من أشهرهم أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني (٩٠ هـ)، فقد أخذ العلم وتتلمذ على يد عقبة، وعمرو بن العاص[٣]، وجاءت الطبقة التي تلي كبار التابعين فنشطت في العلم، ولاسيما يزيد بن أبي حبيب الذي بث العلم بمصر ونشره، يقول أبو سعيد بن يونس: كان مفتي أهل مصر في أيامه يزيد، وكان حليمًا عاقلاً، وكان أول من أظهر العلم بمصر، والكلام في الحلال والحرام[٤]، ويزيد هو إمام الديار المصرية في زمانه كما قاله ابن كثير[٥]، ويقول عنه الليث بن سعد: هو سيدنا، وعالمنا[٦].

إلا أنه كان ذا حظ قليل في علم التأويل، فقد كان يغلب عليه الطابع المدني في التحديث والانشغال به عن التفسير، فأكثر في الحديث وروى عن جملة من التابعين أمثال نافع وسالم[٧]، كما أنه انشغل بما انشغل به أهل مصره من المغازي والسير، حتى ما رأيت له في التفسير ـ على قلتها ـ كان حول مسائل في السيرة[٨]، ولم ينتشر التفسير

---

(١) المعرفة (٢/ ٤٨٤).

(٢) سيرة الإمام مالك لأبي زهرة (٨٤).

(٣) حسن المحاضرة (١/ ٢٩٦).

(٤) تهذيب الكمال (٣٢/ ١٠٥)، والتهذيب (١١/ ٣١٨)، والنجوم الزاهرة (١/ ٣٠٨)، وحسن المحاضرة (١/ ٢٩٩).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ١٠).

(٦) تهذيب الكمال (٣٢/ ١٠٥)، وحسن المحاضرة (١/ ٢٩٩)، والشذرات (١/ ١٧٥).

(٧) طبقات ابن سعد (٧/ ٥١٣).

(٨) بعد مراجعة تفسير ابن كثير، وجدت له ثلاثة آثار كلها حول ذلك (٣/ ٥٧٠)، (٤/ ١٠)، (٨/ ٢٧٤)، والمواضع التي وجدت النقل عنه فيها عند أبي زرعة في تاريخه كانت أيضًا حول مسائل في المغازي والسير، ينظر تاريخ أبي زرعة (١/ ٢١٩، ٢٩٠، ٣٨٦، ٤١٣، ٤٣١، ٥٢٤، ٥٣٧، ٥٩٤، ٦٣٠، ٦٣٥، ٦٣٦).

بمصر إلا في عصر أتباع التابعين، فقد ظهر الليث بعد سعد، ونشر العلم بمصر، وكان ذا حافظة قوية وفقه دقيق حتى قال عنه الشافعي: «الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا عليه»[١]، وانتشر في عهد أتباع التابعين تفسير ابن عباس الذي رواه علي بن أبي طلحة، وكانت نسخة منه موجودة عند أبي صالح كاتب الليث[٢]، وكذلك تفسير سعيد بن جبير، الذي رواه عطاء بن دينار، وهو من ثقات أتباع التابعين، وقد أخذه من ديوان عبد الملك بن مروان[٣]، ومع عدم وجود مادة علمية في المراجع بين أيدينا تدل على رواية المصريين للتفسير، إلا أني أميل إلى ظهور التفسير في عصر التابعين في مصر، بمنهج المدرسة المكية، ولكن لم ينقل بسبب الورع الذي تلقوه عن شيخهم عقبة، والتأثر بالمنهج المدني في رواية الآثار والسير، يدل على ذلك ما يلي:

١ ـ مرور ابن عباس بمصر، فقد رحل إليها، وروى عنه من أهل مصر خمسة عشر نفسًا[٤].

٢ ـ رحلة عكرمة إلى مصر عام (٥٨ هـ)[٥]، وأخذ يزيد، وروايته عنه[٦].

٣ ـ رحلة مجاهد إلى مصر، التي روى فيها عن مسلمة بن مخلد، وروى عنه فيها خلق كثير[٧].

٤ ـ المراسلات التي كانت بين يزيد بن أبي حبيب، وبين عطاء بن أبي رباح، وإن

---

(١) وهذا يؤكد ما قاله أبو زهرة: إن الشافعي درس فقه الليث فانتهى إلى هذه النتيجة، ينظر كتاب سيرة الإمام مالك لأبي زهرة (٨٤).

(٢) الإتقان (٢/ ٥٣٢) ط بيروت، دراسات في التفسير وأصوله (٣٠٧).

(٣) الجرح (٦/ ٣٣٢)، والمراسيل (٥٨)، والتهذيب (٧/ ١٩٨)، وتاريخ التراث (١/ ٧٦).

(٤) السير (٣/ ٣٣٦).

(٥) طبقات ابن سعد (٥/ ٣٤٣)، والنجوم الزاهرة (١/ ١٣٣)، وغاية النهاية (٢/ ٤١).

(٦) الكامل (٥/ ١٠٧).

(٧) طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣٠٦).

كان الظاهر أن أكثرها في الفقه، وإن كان المصريون كتبوا عن مجاهد ولم يكتبوا عن عكرمة، إلا أن المنهج المكي كان هو الغالب في هذه الفترة، ولو قدِّر بقاء شيء من التفسير، ووصوله إلينا، لما اختلف عن المدرسة المكية نهجًا ومسلكًا فيما أحسب، والله تعالى أعلم.

* * *

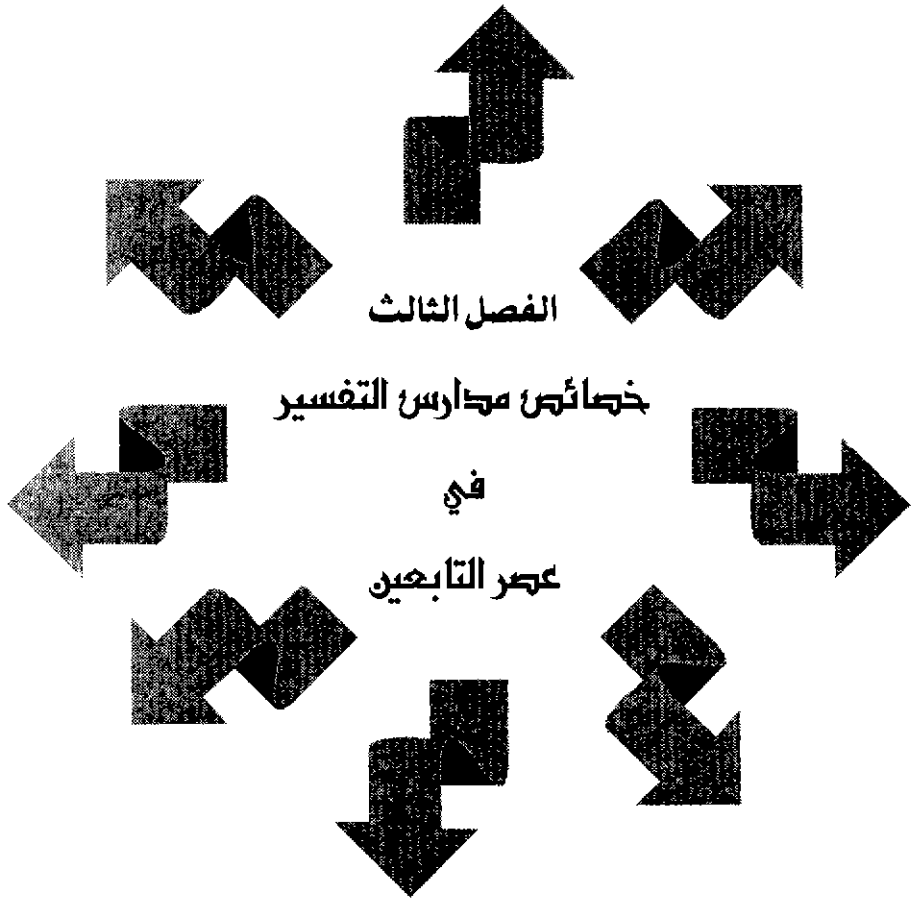

الفصل الثالث

خصائص مدارس التفسير

في

عصر التابعين

الفصل الثالث

خصائص مدارس التفسير في عصر التابعين

لاشك أن القول بتعدد المدارس يستلزم ضرورة القول بتعدد المناهج ، واختلاف المسالك والمشارب، فلكل مدرسة سماتها وخصائصها التي انفردت بها أو اعتنت بها اعتناءً أكثر من اعتناء غيرها، لذلك استحقت أن تكون مدرسة قائمة بذاتها، وإلا فإن مجرد الاختلاف المكاني ليس له كبير اعتبار في هذا الصدد.

وفي هذا الفصل أحاول تحديد تلك السمات والخصائص في منهج كل مدرسة، وبدهي أن هذا لا يعني البحث عن حدود وحواجز تمنع من التقاء مدرستين أو أكثر، فهذا لا يمكن تصوره في مدارس تتوارد على علم واحد، وهو علم التفسير، المتعلق بكتاب واحد، هو كتاب الله تعالى. إلا أن هذا التداخل والاشتراك لا يمنع من القول بوجود تمايز وتباين بين مدرسة وأخرى، وأشبه ما يكون ذلك بالإنسان، فإنك تجد قدراً مشتركًا من الصفات والسمات بين جميع أفراده، وذلك ليس بحائل دون وجود خصائص ومميزات تفصل بين إنسان وآخر، وهكذا الشأن في المدارس.

كما أننا نلاحظ تعدد المناهج والخصائص في المدرسة الواحدة ، إلا أن أوجه الاتفاق تمثل القدر الأكبر، ويجمع تلك الأوجه، وضم الأشباه والنظائر، يمكن إبراز السمات والخصائص لكل مدرسة على حدة.

* * *

خصائص المدرسة المكية

المدرسة المكية مدرسة عظيمة النتاج، نقل إلينا من علمهم الشيء الكثير، حتى لقد فاق المنقول عنها ما نقل عن سواها من المدارس، وقد تميزت بخصائص كثيرة، انفردت في بعضها عن المدارس الأخرى، وهذه هي محل البحث والدراسة، وقد تحصل لي من هذه الخصائص ما يلي :

١ ـ كثرة الاجتهاد والاستنباط .

٢ ـ التخصص في علم التفسير .

٣ ـ اهتمام أصحابها بالعلوم الأخرى مقارنة بالتفسير .

٤ ـ التوسع في الإسرائيليات .

وفيما يلي بيان لهذه الخصائص :

الخصيصة الأولى : كثرة الاجتهاد والاستنباط :

تفسير القرآن مطلب مهم، وغاية قصوى؛ لأنه كتاب هداية وحكمة ونور، والتفسير هو شرح لمراده سبحانه، وتطبيق لأوامر الشرع ونواهيه، ولقد حفلت المصنفات في علوم القرآن بكثير من الآثار والروايات، تحذر من خوض غمار التفسير، إلا لمن هو أهل؛ لأن من قال في القرآن برأيه، وعلى غير هدى فليتبوأ مقعده من النار .

ومن الملاحظ أن هذه الآثار، أو أكثرها، التي تحذر من الخوض في التأويل، مدارها على رجال المدرسة المدنية، والكوفية، في حين قلّ المروي عن المكيين في ذلك، فكثر في المقابل عندهم الاجتهاد، والاستنباط .

وقد يلحظ الباحث أسبابًا أخرى لهذه الكثرة في المنقول، اجتهادًا عنهم، لعل أبرزها هو شخصية شيخ المدرسة حبر الأمة عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

فلقد كان ترجمان القرآن ابن عباس ممن فتح الله عليه؛ استجابة لدعوة نبينا محمد ﷺ، عندما دعا له بالفقه، والحكمة، ولقد أعمل ـ رضي الله عنه ـ الفكر والاستنباط في استخراج المعاني العظيمة، والاجتهادات القيمة من الآيات، ولا أدل على ذلك من قول شقيق بن سلمة، قال: خطب ابن عباس وهو على الموسم، فافتتح سورة البقرة، فجعل يقرأها ويفسرها، فجعلت أقول: ما رأيت، ولا سمعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس والروم لأسلمت[1].

أضف إلى ذلك ما حباه الله من قوة حافظة، وذكاء فطري، ونظر ثاقب، كل هذا أثر في شخصية الآخذين عنه.

وإذا عرفنا أن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ لم يكتف فقط بإلقاء العلم على تلاميذه؛ حتى أضاف إلى ذلك المنهج التربوي[2]. اتضح لنا بذلك مدى الأثر الذي تركه في نفوس المكيين من تلامذته، بل وسواهم ممن تتلمذ عليه من أهل الآفاق كأبي العالية، وغيره.

لقد كان ابن عباس يأمر أصحابه بالانطلاق في الاجتهاد، والتصدي لإفتاء الناس بما علموه منه وسمعوه، فقد ذكر سعيد بن جبير أنه لما جلس مع ابن عباس، وجاء سائل أمر ابن عباس سعيدًا أن يفتيه بحضرته مدربًا له ومربيًا على الاجتهاد، في حين توقف التابعون عن الفتيا بحضرة شيوخهم في سائر المدارس التفسيرية الأخرى.

---

(١) وقد سبق تفصيل ذلك، وإيراد العديد من النصوص المبينة لمدى علمه بالتأويل وتقدمه فيه ـ رضي الله عنهما ـ يُنظر ص (٣٨٣).

(٢) سبق بيانه في ترجمته ـ رضي الله عنهما ـ ص (٣٩٠).

وثمة أمر آخر، وهو أن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أكثر من التفسير في حين أن شيوخ المدارس الأخرى كانوا يتحاشونه في الجملة ولم يفسحوا المجال لتلاميذهم للانطلاق، فقلَّ المروي عنهم في ذلك، أما المكيون وخصوصًا مجاهدًا، وعكرمة، وسعيد بن جبير، فقد انطلقوا يقيسون مالم يسمعوا على ما سمعوه، بل وفتح ابن عباس لهم باب الحوار والنقاش، بعد أن اطمأن إلى تحصيلهم وأهليتهم، فجعلوا يراجعونه ويعارضونه مما شجعهم على التوسع في مجال الاجتهاد.

لقد كان ابن عباس، نِعْمَ المربي ـ رضي الله عنه ـ فلقد كان ذا شخصية فريدة في زمانه، قال يومًا لأصحابه: أتدرون ما ذهاب العلم من الأرض؟، قلنا: لا، قال: أن يذهب العلماء[1].

فلا غرو إذًا أن يكون لهذا التوسع في الاجتهاد في المدرسة المكية، وبعدها البصرية، الأثر البالغ على مدارسهم، فقد سد هذا التوسع كثيرًا من الحاجة الملحة في طبقة التابعين في تينك المدرستين، ولذا نجد أن أتباع التابعين في مكة والبصرة اقتصر دورهم على الرواية، والنقل، إذ لم يدع لهم شيوخهم بابًا للاجتهاد إلا وسبقوهم إليه.

أما المدارس التي تورعت فقد كان لهذا الإحجام على الاجتهاد أثره في طبقة صغار التابعين، وتابعيهم، إذ توسعوا وكثرت أقوالهم تبعًا لكثرة الحاجة لمعرفة وبيان معاني كثير من الآيات، فتوسع السدي، وبعده الضحاك في الكوفة، ومثلهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في المدينة وغيرهم.

ولقد ظهرت قوة اجتهاد واستنباطات مدرسة التابعين المكية في نواحٍ كثيرة منها:

---

(١) العلم لأبي خيثمة (١٢١).

١ ـ الدقة اللغوية :

لقد فاقت هذه المدرسة سائر مدارس التابعين في الدقة اللغوية، وسيأتي أن لمدرسة البصرة جانبًا مهمًا في استعمال الفصيح، والبليغ من اللغة، وأن المنقول عن الحسن البصري ـ إمام المدرسة ـ أكثر من غيره مطلقًا، إلا أن هذا المنقول لم يستوعب جميع الآيات، في حين أن المنقول عن مجاهد مثلاً يعتبر أقل بكثير من المنقول عن الحسن إلا أنه استوعب الغريب كله في القرآن.

يقول السيوطي: وأولى ما يرجع إليه في معرفة الغريب، ما ثبت عن ابن عباس، وأصحابه الآخذين عنه، فإنه ورد عنهم ما يستوعب غريب القرآن[١].

وقد جاء بناء عليه أكثر تفسير غريب مفردات القرآن عن المدرسة المكية[٢].

وثمة شيء آخر تميزت به المدرسة المكية، وهو الدقة في التفريق بين المفردات القرآنية، والكلمات المتشابهة، فمجاهد مثلاً عندما يتعرض لتفسير (الربانيين) يربطها بكلمة أخرى، ويبين النسبة بينهما، فيقول: الربانيون: الفقهاء العلماء، وهم فوق الأحبار.

فلم يكتف ـ رحمه الله ـ ببيان معنى (الربانيين) حتى بين نسبتهم للأحبار، أي: أنهم أعلى منهم شأنًا، وقدرًا.

ولما فسر قوله تعالى: ﴿والأرض ذات الصدع﴾، قال: الصدع مثل المأزم غير الأودية والجرف.

---

(١) الإتقان (١/ ١٥٠).

(٢) جاء (٤٦, ٠) من مجموع المروي عن مشاهير التابعين عن المدرسة المكية، في حين بلغ عن البصرية (٣٨, ٠) من مجموعه، ولم يزد في الكوفية عن (١٤, ٠) وعند المدنية بلغ (٠٢, ٠) فقط.

وهنا نلحظ الدقة ؛ لأن المأزم هو الطريق بين جبلين، وقد يكون واديًا أو جرفًا أو غير ذلك، فبين ـ رحمه الله ـ أن الصدع هو ما كان كذلك ولم يكن واديًا ولا جرفًا[١].

وعند قوله سبحانه: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾[٢].

قال مجاهد: (فأتوهن من حيث أمركم الله)، أمروا أن يأتوهن من حيث نُهوا عنه[٣].

٢ ـ معالجة مشكل القرآن:

تميزت المدرسة المكية بدخولها في مجال المشكل، والمشكل علم صعب المنال، بعيد الغور، لا يلج بحره إلا العلماء الأفذاذ، ومع كثرة علوم التابعين وغزارتها، إلا أنهم لإحجامهم عن التوسع في الاستنباط اقتصروا على تفسير اللفظ، وبيان المعنى العام، أما المكيون فلخوضهم غمار الاستنباط والاجتهاد تعرضوا لذلك، وأكثروا[٤].

فنجد مثلاً مجاهدًا يوجه الإشكال الذي عرض لقوله تعالى: ﴿هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾، بأنه أمرهم أن يتزوجوا النساء ولم يعرض عليهن سفاحًا[٥].

وعند قوله سبحانه: ﴿قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس﴾[٦]، قال ـ أيضًا ـ: منافعهما قبل أن يحرما[٧].

---

(١) وقد سبق ذكر العديد من الأمثلة في ترجمة مجاهد ص (٩٧، ١٢٢).

(٢) سورة البقرة: آية (٢٢٢).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٣٨٩) ٤٢٨٢.

(٤) في كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ورد أكثر من (٢٠) أثرًا عن مجاهد، في حين كان نصيب الحسن (٤) آثار، وأما قتادة، وابن جبير فلم يرد عنهما إلا أثران. وعمومًا فإن المكيين من أكثر التابعين تعرضًا لمشكل الآيات.

(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٤١٤) ١٨٣٧٦.

(٦) سورة البقرة: آية (٢٨٩).

(٧) تفسير الطبري (٤/ ٣٢٨) ٤١٣٦.

وعند قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾[١] قال: كفروا وأرادوا قتله، فذلك حين استنصر قومه ﴿ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ﴾[٢].

وعند قوله جل ثناؤه: ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[٣]، وجه مجاهد معنى الإسلام هنا فقال: هو كقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[٤].

٣ ـ تفسير آيات الصفات:

لقد نحت المدرسة المكية منحىً انفردت به عن باقي المدارس في باب الاجتهاد، ألا وهو تعرضها لآيات الصفات، ونحوها، بالتفسير والشرح، وهي مدرسة سلفية النزعة، أثرية المنهج، ولما كان التابعون كلهم بحمد الله على هذا المنهج، لم يكن إثبات الصفات ميزة للمدرسة المكية، وإنما الذي تميزت به هذه المدرسة، هو تعرضها لتفسير آيات الصفات تفسيراً واضحًا لا غموض فيه، ولا لبس، في حين تهيب أصحاب المدارس الأخرى من الخوض في ذلك، فاقتصر المنقول عنهم على الإثبات، وإمرارها كما جاءت، فإنهم لما كانوا قد تورعوا عن الاجتهاد في سائر الآيات، كان تورعهم في آيات الصفات أشد.

ولما كان المتعرض لتفسير آيات الصفات يحتاج أحيانًا إلى عبارة تبين اللازم من الآية، فقد جاء في تفسير الآيات عند المكيين ما يوضح هذا اللازم ويقرره، حتى يظن من لا كبير علم له أنه تأويل للصفة، وليس الأمر كذلك[٥].

---

(١) سورة آل عمران: آية (٥٢).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٤٤٩) ٧١٢٣.

(٣) سورة آل عمران: آية (٨٣).

(٤) سورة الزمر: آية (٣٨)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٥٦٥) ٧٣٤٢.

(٥) والكلام حول هذه المسألة يطول، وسوف يأتي بيانها مفصلاً ـ إن شاء الله ـ في مبحث منهج آيات الاعتقاد ص (٧٨١).

٤ ـ اتساع دائرة التفسير :

لقد كان التفسير مقتصراً على المنقول وما يضم إليه من علم بالعربية والآثار والسير، ولم يكن ثمة من يجرؤ على مخالفة هذا المنهج للآثار المحذرة من القول في القرآن بلا علم، فلما قام الحبر الأعظم ابن عباس بتدريس القرآن منهج علم، وهداية، وظهر الأثر الحميد لذلك في الناس، اتجهت الأنظار حينئذ إلى لون جديد من ألوان التفسير، وهو التفسير المبني على الاستنباط ، والاجتهاد، ولاسيما وقد اتسعت معارف العرب، وخالطوا أهل الكتاب، وتنوعت ثقافاتهم، فبدأ المفسرون يعملون فكرهم في الآيات، ولقد كانت المدرسة المكية ـ كما سبق قريباً ـ رائدة ذلك الأمر للأسباب التي أسلفتها، إلا أن بعضهم دفعه هذا المنهج إلى مخالفة ظاهر القرآن القريب لما يعرض له من الحجة، والاجتهاد.

وليس مخالفة ظاهر القرآن القريب مقتصراً على المدرسة المكية، فإن هذا قد وجد أيضاً في المدرسة البصرية، فقد خالف الحسن ظواهر بعض الآيات، لكن الباعث ليس واحداً، فمخالفة أهل البصرة كان سببها غلبة الجانب الوعظي عليهم كما سيأتي بيانه[1]، أما مخالفة المكيين، فكانت بسبب الاجتهاد، والاستنباط، وقد سبقت بعض الأمثلة لذلك[2] .

وبذلك خرج علم التفسير من دائرة ما يسمى التفسير الأثري إلى دائرة أخرى امتزج فيها النقل بالنظر، وعدها بعض المصنفين بداية التفسير العقلي[3] ، وهذا المصطلح وإن كان قد حدث له بعد ذلك ما يعيبه ويشينه، إلا أن المقصود به آنذاك هو الخروج عن مقتضى التفسير القائم في ذاك العصر، ولا معارض لذلك فيما أعلم.

---

(١) سيأتي ذلك ص (٥٧٤).

(٢) عند الحديث عن ترجمة مجاهد ص (٩٣)، وعكرمة ص (١٥٩).

(٣) انظر دراسات في التفسير ص (١١٧)، وكتاب القرآن العظيم هدايته وإعجازه ص (١٩٧).

وعلى كلٍ فقد اختصت المدرسة المكية بهذه الخصيصة وامتازت بها عن باقي المدارس الأخرى، وهذا بين واضح، والله أعلم.

الخصيصة الثانية: التخصص في علم التفسير:

التخصص ظاهرة عصرية نسبيًا، والمراد بذلك أن العالم أو الباحث يأخذ بطرف من علوم كثيرة، مع التميز، والاعتناء بعلم واحد، أو فرع واحد من العلوم، وهذا هو الذي درجت عليه النظم الحديثة في التعليم.

وهذا التخصص يتيح الفرصة الأكبر للإبداع والعطاء؛ لأن العلوم جميعها لا يمكن أن يحيط بها إنسان واحد، والأعمار أقل من أن تمنح هذا العطاء الواسع، واحتياجات الأمم تتنوع في شتى العلوم، والفنون.

والتخصص لم يكن بعيدًا عن العهد الأول، فأعلم الناس بالحلال والحرام معاذ، وأفرض الصحابة زيد، إلا أن التخصص في التفسير وعلوم القرآن لم يظهر بصورة واضحة إلا على يد المدرسة المكية التي صرفت همتها، واستفرغت وسعها في كتاب الله تعالى شرحًا، وبيانًا، وتوضيحًا، وتفسيرًا، ولغة، وفقهًا، وهذا الاهتمام الواسع أقعدهم عن مسابقة الأقران في علوم أخرى من وجه، ودفع بهم إلى المقدمة في التفسير، وعلوم القرآن من وجه آخر، فبزوا الأقران في ذلك، وكثر المنقول عنهم فيه، أكثر من غيرهم في الجملة.

ولما كان علم التفسير يحتاج إلى علوم أخرى خادمة له، نجدهم قد تخصصوا أيضًا في هذه العلوم التي تخدم علم التفسير، وتسير في ركابه.

وأدى بهم هذا التخصص إلى أن تعرضوا، وتوسعوا في فروع من علوم القرآن لم يتوسع فيها أحد قبلهم.

فمن ذلك: علم الأشباه والنظائر، وهو الذي يبحث في الآيات المتناظرة التي يشبه

بعضها بعضاً في دلالة الأحكام والبيان، وهذا لا يستغني عنه مفسر، حتى لا يختلف قوله في موضعين من باب واحد.

وقد يسمى أيضًا بكليات القرآن، وهو منهج استقرائي دقيق يدل على سعة علم صاحبه، وخبرته التامة بالآيات، فمن أمثلة ذلك ما جاء عن ابن عباس أن كل شيء في القرآن عسى، فإن عسى من الله واجب[1].

أو ما جاء عن مجاهد وهو قوله: (كل ظن في القرآن فهو علم)[2].

وهذا المنهج الاستقرائي من الدقة بمكان، وهو يساعد كثيراً على فهم التفسير، ولم يخض في خضم هذا العلم في عصر التابعين - كما أسلفت آنفًا - إلا أئمة المدرسة المكية نتيجة لتخصصهم.

وكما أضفى التخصص على هذه المدرسة ثوبًا من الاستعراض العلمي والاستيعاب ما ليس لغيرها من المدارس فهي من أوائل المدرسة التي قامت بعد حروف القرآن وكلماته[3].

كما أن أقوالها في الغريب قد استوعب كامل القرآن، وقد اعتنى أصحاب هذه المدرسة ببيان الألفاظ (المعربة) في القرآن، فقد تبنوا هذا المذهب.

فعن مجاهد، وعكرمة.. إن في القرآن من غير لسان العرب.

وعن سعيد بن جبير قال: ما في الأرض لغة إلا أنزلها الله تعالى في القرآن[4].

وقد ساعدهم في معرفة ذلك اختلاطهم بالوافدين من الحجاج، كما أن للموقع

---

(١) سيأتي بيانه وتفصيله ص (١٠٣٦).
(٢) ينظر ترجمة مجاهد ص (١٢٠).
(٣) ترجمة مجاهد ص (١٢٨).
(٤) فنون الأفنان (٣٤١).

الجغرافي لمكة ـ ملتقى الشرق بالغرب ـ ما يجعلهم يسمعوا العديد من لغات الناس، ويتعلموا عنهم تلك الكلمات؛ فحملهم هذا على تفسير (المعرب) من القرآن[١].

ولقد بلغت في هذا شأوًا بعيدًا لم تبلغه مدرسة أخرى، وقد اهتموا أيضًا ببيان المبهمات الواردة في القرآن وتفسيرها، وقد يكون في ذلك نوع من التكلف أحيانًا، لعدم ثبوت الرواية فيها، وقد تكون من الإسرائيليات، إلا أنه يبقى لهم السبق في هذا الاستيعاب الذي شمل غالب القرآن[٢].

فكثرة المروي عنهم بالنسبة لغيرهم في الأشباه والنظائر (الكليات) والغريب، والمعرب، والمبهمات، وغيرها، دليل واضح على تفرغهم للتفسير، والتخصص فيه، حيث تعرضوا، وأكثروا في هذه العلوم والفنون، وكدوا فيها الفهوم، لمعرفة أشرف معلوم.

الخصيصة الثالثة: قلة اهتمام أصحابها بالعلوم الأخرى مقارنة بالتفسير:

إن هذه الخصيصة تكاد تعتبر نتيجة لخصيصة التخصص، وإنما أفردتها بالذكر؛ لتتضح لنا صورة المدرسة المكية من جميع جوانبها.

فلقد كان أئمة هذه المدرسة تميزوا بالسبق في علم التفسير، وخاصة مجاهد، وعكرمة، ثم ابن جبير، بل إن عطاءً الذي نقلت عنه فتاوى فقهية دقيقة، كان جل علمه الفقهي في الحلال والحرام مختصًا بمسائل الحج، فهو لم يخرج من حيز التخصص، فقد كان المكيون أكثر الناس تعرضًا لآيات الحج، مما أكسبهم فقهًا دقيقًا في

---

(١) بعد مراجعة كتاب المهذب في بيان المعرب للسيوطي، وجدت المروي عن ابن عباس (٥٥) رواية، وعن عكرمة (٢٤) رواية، وعن سعيد (٢٢) رواية، وغيرهم دونهم في ذلك.

(٢) بعد تتبع المروي في كتاب مفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي، نجد أن المنسوب لأعلام المدرسة المكية في ذلك (مجاهد، وعكرمة، وابن جبير) هو (١٣٦) قولاً، في حين جاءت المدرسة البصرية في المرتبة الثانية حيث نسب للحسن وقتادة (٩٠) قولاً فقط.

مسائل الحج، وهذا أمر ضروري تستدعيه الحاجة إلى إفتاء الناس الوافدين من حجاج ومعتمرين على مكة في كل وقت وموسم، ولاشتغالهم به حث الأئمة على أخذ المناسك عن المكيين[١] .

يقول ابن عيينة : خذوا المناسك عن أهل مكة، والقراءة عن أهل المدينة، والحلال والحرام عن أهل الكوفة[٢] .

وتقول عائشة في شيخهم ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : أعلم من بقي بالمناسك[٣] .

وسيأتي مزيد بحث لهذه المسألة عند تناول منهج التابعين في آيات الأحكام إن شاء الله[٤] .

والمقصود هنا بيان قلة المروي عنهم في غير التفسير .

ومن العجيب أن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كان علمًا في علوم شتى من فقه، وتفسير، وعربية، وغيرها، ومع ذلك فلم ينقلوا عنه في علم مثل ما نقلوا عنه التفسير، فقد تأثروا به، وساروا على منهجه في التفسير دون غيره[٥] .

الخصيصة الرابعة : التوسع في الإسرائيليات :

مما يبدو واضحًا للمطالع في كتب التفسير أن المدرسة المكية أكثر المدارس تساهلاً في الرواية عن بني إسرائيل[٦] ، وبدأ هذا المنحى عن شيخ المدرسة ابن عباس ـ رضي الله

(١) البداية (٩/ ٢٧٦).
(٢) معجم البلدان (٤/ ٤٩٣).
(٣) تاريخ أبي زرعة (١/ ٦١٦).
(٤) سيأتي ذلك في ص (٨٤٥).
(٥) كما سبق بيانه في ترجمته ـ رضي الله عنهما ـ ص (٣٨٧).
(٦) بلغ نسبة المروي عن مشاهير المكيين في الإسرائيليات (٣٥,٠) من مجموع الآثار المنقولة عن =

عنهما ـ حيث تعرض للنقل والرواية عن كعب الأحبار، مستدلاً في ذلك بحديث إباحة الحديث عن بني إسرائيل (كما سيأتي بيانه)[١]، وقد درج على هذا الأمر تلامذته وأصحابه (سعيد ومجاهد وعكرمة)، فتوسعوا في النقل عن أهل الكتاب.

وكان هذا ـ أيضًا ـ دأب كل من كان مكي المنهج، والمشرب؛ وإن لم يكن من قاطنيها، يدلك على ذلك ما تراه جليًا في تفسير أبي العالية، والسدي.

وبهذا تكون المدرسة المكية قد أدخلت هذا العنصر الإخباري في مجال التفسير؛ لفهم محتوى النص، وما يتبعه من عرض للتاريخ، وكشف لأحوال الأمم السابقة للعظة والعبرة، وهذا كله لم تشاركها مدرسة أخرى فيه، وقد عد ذلك بعض الباحثين بداية مرحلة جديدة من مراحل تطور التفسير، انتقل فيها من التفسير الأثري الذي يعتمد على الرواية، إلى التفسير الأثري النظري الذي يعتمد على الرواية والدراية، وتلك نقلة مهدت لظهور التفاسير الجامعة التي ظهرت في القرنين الثاني، والثالث، على يدي يحيى بن سلام، ومحمد بن جرير الطبري[٢].

* * *

= التابعين، كما بلغت نسبة المروي عن الناقلين لتفسير ابن عباس المتأثرين بمنهج ابن عباس (٣٦, ٠) من مجموع الآثار المنقولة عن التابعين من الإسرائيليات، (وأعني بهم السدي، وأبا العالية، وغيرهم) أي: إن مجموع ما روي عنهم (٧١, ٠) من مجموع المنقول في الإسرائيليات.

(١) سيأتي مبحث الإسرائيليات، إن شاء الله تعالى ص (٨٧٥).

(٢) دراسات في التفسير وأصوله (٧٣).

خصائص المدرسة البصرية

تميزت المدرسة البصرية بخصائص كثيرة أدت إليها عوامل شتى، وقد حاولت في هذا الفصل أن أستعرض أهم الخصائص التي تميزت بها، مركزاً في كثير منها على المقارنة بينها وبين غيرها من المدارس، ولاسيما صنوها المدرسة الكوفية التي كانت تحاذيها في المكان.

وقد تحصل من هذه الخصائص ما يلي:

الخصيصة الأولى: الجوانب اللغوية:

المقصود بهذا: بيان تقدُّم هذه المدرسة على غيرها من المدارس في تخير الأساليب البلاغية، وانتقاء العبارات الجميلة عند الإفصاح عن تفسير الآيات، وما يدخل تحت هذا من جودة سبك العبارة، ولطافة الأسلوب، وهذه الخصيصة، وإن كان يشاركها في شيء منها بعض المدارس الأخرى؛ إلا أن اجتماعها بهذا الوضوح والشمول، لم أجده في غير مدرسة البصرة، ولعل ذلك راجع إلى ما يأتي:

أ- أن البصرة سبقت مدائن العالم الإسلامي في وضع قواعد النحو، حتى إنها سبقت قرينتها الكوفة التي كثيراً ما تقرن بها في جانب النحو، فيقال: (مذهب البصريين، ومذهب الكوفيين)؛ لأن الكوفة كانت بعيدة عن الحركة التجارية الواسعة التي كانت تعج بها أسواق البصرة، والتي أدت إلى اختلاط اللسان العربي بغيره من اللغات، ولاسيما اللغات التي كانت منتشرة في الهند، والمشرق، في حين كانت الكوفة مقراً للعنصر العربي ولم يحصل لها هذا الاختلاط، فحافظ ذلك على

لسانها[١].

وكان من المتوقع ـ والحالة هذه ـ أن يتقدم الكوفيون على البصريين في اللغة، إلا أن العكس هو الذي حدث؛ لأن أهل البصرة لما شعروا بخطورة هذا الاختلاط على اللغة، بادروا فقعدوا القواعد التي من شأنها حفظ اللسان والتزموا بها في غالب مناحي الفكر، وعامة نتاج العقل، حفظًا للسانهم من الدخيل الوارد؛ ولأجل هذا نجد أن هذه الخصيصة اللغوية تعدت إلى غير التفسير من العلوم الأخرى.

ب ـ لقد عاش في البصرة الكثير من الموالي الذين دخلوا في الإسلام طواعية، وأحبوا لغة القرآن وتأدبوا بها، ورأوا تقدمها على لغاتهم الأصلية، وألسنتهم الأولى، فانكبوا على دراستها والاعتناء بها، بل وتقيدوا بها في أمورهم العامة والخاصة، لما شعروا بحاجتهم إليها واعتماد فهم الدين، واستنباط الأحكام على هذه اللغة العظيمة.

وظهر ذلك في نبوغ الكثير من الموالي في مجال اللغة والأدب، فإذا ذكر النحو مثلاً انصرفت الأذهان إلى سيبويه، وإذا ذكر الوعظ والعبارات الوعظية المؤثرة، أسرع إلى المخيلة اسم الحسن البصري، وهكذا يحاول الإنسان دائمًا أن يعوض ما فقده مما يحبه، ويقدمه على غيره، فلما أحب الموالي الإسلام ولغة القرآن اشتغلوا بها، كما أنه لما أحب العرب الجهاد تفانوا فيه، وقد ترتب على هذه المحبة أن تشدد البصريون في شأن القياس اللغوي، فصاروا لا يقيسون إلا على ما كثر، ولا يقيسون على الشاهد الواحد، ولا النادر، في حين لم يتشدد الكوفيون ـ وهم عرب أقحاح ـ مثل هذا التشدد، فيقيسون على ما ورد، ولو نادرًا، ويقيسون على الشاهد الواحد، ولو لم يأت في الباب غيره[٢].

جـ ـ لقد ساعد موقع البصرة الجغرافي من اتصال البصريين بأهل اللسان، والنهل

(١) كتاب الشافعي لأبي زهرة ص (٥٧).

(٢) ينظر مقالة بيئة البصرة من مجلة الأزهر العدد (١/ محرم سنة ١٣٦٦ هـ) ص (٨٦).

من معين العربية الأصيل، ألا وهم الأعراب الذين كانوا يفدون على البصرة من الجزيرة للتجارة وغيرها، فصارت منتديات البصرة الفكرية مرتعًا واسعًا للتباري في اللغة.

يقول الرياشي البصري ـ وهو يصف الفرق بين المنبع البصري في اللغة والمنبع الكوفي ـ: نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب، وأكلة اليرابيع، وهؤلاء يأخذون اللغة عن أهل السواء أصحاب الكواميخ، وأكلة الشواريز[1].

يقول اليزيدي البصري وهو يلمز أهل الكوفة.

كنا نقيس النحو فيما مضى ... على لسان العرب الأول

فجاء أقوام يقيسونه ... على لغى أشياخ قطربل

فكلهم يعمل في نقض ما ... به يصاب الحق لا يأتلي

إن الكسائي وأصحابه ... يرقون في النحو إلى أسفل[2]

د ـ وثمة عامل آخر مهد الطريق أمام البصرة للريادة اللغوية والتقدم في الخصائص التي تعنى بهذا الجانب، ألا وهو الاستقرار السياسي والاجتماعي الذي أضفى ظلالاً على أهل البصرة، فزاد نتاجهم، وغزرت مادتهم.

فقد صار ما يشبه الاندماج بين العناصر المختلفة، عربية وغير عربية، وتلاشى الكثير من الفوارق بين الطبقات، ولم تحفل بالثورات السياسية، التي كانت تعج بها الكوفة[3].

---

(١) الكواميخ جمع كامخ: نوع من الأدم، معرب. ينظر اللسان (٣/ ٤٩)، والشواريز جمع شيز، والشيز خشب أسود تتخذ منه الأمشاط وغيرها، الشيزي: شجر تعمل منه القصاع والجفان. ينظر اللسان (٥/ ٣٦٣).

(٢) انظر مقالة بيئة البصرة (٨٧).

(٣) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة (١٤).

ولا غرو حينئذ أن نجد الحسن البصري قد نشأ، وعاصر أحداث الفتن والثورات منذ مقتل عثمان، ثم لم تتلطخ يده ولا لسانه بشيء من ذلك، بل كان ينهى عن الدخول في الفتن، مما جعل أمر الناس مستقراً، فانصرفوا للعلوم.

ومن هنا نجد أن هذه الحقيقة قد ساعدت في تقدم البصريين في علوم شتى، ومنها اللغة، والتفسير[١].

وبهذه الأسباب وغيرها، ظهرت البصرة منارة في أفق علوم اللغة تشع على سائر الأقطار نور العلم والهداية، وقد قامت البصرة بعبء هذا العلم من نشأته حتى استوى على سوقه، ومرّ زمن طويل قبل أن تشارك الكوفة فيه، وهي إنما أخذته من البصرة[٢].

ومهما يكن من شيء فقد سبق العراق سائر أقطار الإسلام، وسبقت البصرة خاصة سائر أمصار العراق في وضع النحو، وذهبت بفخر ذلك، وكان لها السبق والتقدم، وكان لعلمائها الفضل في ابتداء النحو وتبويبه، ووضع قواعده، وتفريع فروعه.

ولا يخفى أن أول من وضع العربية من العلماء هو أبو الأسود الدؤلي البصري، الذي صار علماً على العربية، وما زال الناس يلهجون بالثناء عليه، ومن ثم نبغ في البصرة بعده كثير من علماء اللغة، فبرز من الموالي بها: عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي الذي قيل فيه: إنه أول من علم النحو ومد القياس. وتتلمذ عليه عيسى بن عمرو الثقفي شيخ الخليل بن أحمد الفراهيدي مؤسس علم العروض، ثم أخذ عن الخليل سيبويه، وعنه روى جل ما أودعه في الكتاب[٣].

---

(١) سبق تفصيل ذلك في مبحث المدرسة البصرية، في أسباب كثرة المروي عنها ص (٤٥١).
(٢) فهرست ابن النديم ص (٩٦).
٣) ينظر مقالة بيئة البصرة، في مجلة الأزهر ص (٨٣).

وإذا كان لنا وقفة لبيان مكانة البصرة النحوية، فإنها تكون مع سيبويه؛ فلقد وضع كتابه (الكتاب)، وقد أحاط فيه بقواعد النحو وأصوله، وكثير من فروعه، وعلله، وحكمة الواضع فيما وضع، وكثير من أقيسته، وقد سار الكتاب سير الشمس في جميع الأقطار الإسلامية، واشتغل الناس به درسًا، وتمحيصًا، وفهمًا، وشرحًا، واختصارًا، بل إنه لم يخدم كتاب في العربية مثل ما خدم كتاب (الكتاب) لسيبويه، وقد كان العلماء المتقدمون لا يرونه يعلم النحو فقط، وإنما يعلم الابتكار والاستنتاج أيضًا، وقد كانوا يستكثرون على قدرة عالم واحد أن ينتج مثل (الكتاب) فتخيلوه لاثنين وأربعين عالمًا، قال ثعلب: اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان وأربعون إنسانًا منهم سيبويه[1].

وقد تكون هذه مبالغة، إلا أن هذا الأمر على فرض وقوعه، فهو يدل على تقدم علماء البصرة في النحو حتى اجتمع منهم أكثر من أربعين نفسًا، وهو عدد كبير له دلالاته وأبعاده[2].

وقد برزت الخصيصة اللغوية في النتاج الكثير المنقول عن المدرسة البصرية في التفسير، فامتلأت تفسيراتهم بالعبارات الجزلة، والألفاظ الفصيحة، بل إن الإنسان قد يصيب كبد الحقيقة إذا قال: إن اللغة حفظت من جانب المدرسة البصرية أكثر من باقي المدارس مُجتمعة.

ومما يدل على ذلك أن المروي عن المدرسة البصرية في كتب غريب الحديث والمعاجم أكثر بكثير من باقي المروي عن المدارس مجتمعة، فقارب ما روي عن الحسن وحده مجموع ما روي عن المكثرين غيره في المدارس الأخرى، كما تقدم الإشارة إليه

(١) ينظر مقالة بيئة البصرة ص (٨٤)، ومدرسة الحديث في الكوفة (٦٠).
(٢) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة (٣٦).

في ترجمة الحسن ـ رحمه الله[١] ..

ثم إن تناول المدرسة البصرية للغريب والفصيح، كان تناولاً دقيقًا جميلاً، فتميزت بهذا ـ أيضًا ـ المدرسة البصرية عن غيرها.

فالإمام مجاهد ـ مثلاً ـ درج على النمط العلمي في تفسير الغريب، بأن يبين للكلمة المعنى المرادف، أو الموافق، ونحوه، ويقتصر على ذلك، في حين أن التابعين من البصرة كانوا يضعون معنى الكلمة الغريبة في قالب أدبي، وأسلوب رشيق، بعبارة وعظية، أو أدبية راقية. والناس تميل نفوسهم لمثل هذا البيان المؤثر، ولذا تناقل الناس الغريب والفصيح، عن البصرة أكثر مما تناقلوه عن غيرهم، حتى إننا لنجد كتب الأدب تعتمد على كلامهم أكثر من سواهم، فمجموع ما روي عن الحسن في (عيون الأخبار، والعقد الفريد، والبيان والتبيين) كان أكثر مما روى عن غيره من التابعين مجتمعين كما سبق ذكره[٢].

هذا حال البصرة في مجال اللغة، فإذا انتقلنا إلى المدارس الأخرى، فإننا نلمح اختلافًا بينًا عن المدرسة البصرية، فلقد قيل مثلاً عن عطاء ـ وهو من أئمة المدرسة المكية ـ: إنه ضعيف في اللغة، وكان النخعي شيخ الكوفة يلحن، حتى لو سمعته يقرأ لقلت: لا يحسن شيئًا، وها هو إسماعيل بن أبي خالد راوية الشعبي يلحن اللحن الفاحش فيحدث (بقوله عن أبو . . .) وهكذا، وقلَّ أن نجد مثل هذا في المدرسة البصرية.

ولذا فقد امتازت البصرة بهذه الخصيصة، وتميزت بها، وصار هذا مشهودًا في ألفاظها، وكلامها وعباراتها، وارتقت به عن غيرها من المدارس.

---

(١) ينظر ص (٢٠٥) من هذا البحث.

(٢) ينظر ص (٤٥٠).

الخصيصة الثانية : الجانب الوعظي في التفسير :

ومما تميزت به هذه المدرسة أيضًا، اعتماد أئمتها على الجانب الوعظي في التفسير، وصوغهم عبارات التفسير في قوالب الحكمة والعظة، وصونهم كلامهم عن العبارات الجافة التي لا تؤثر في المخاطب، ولا تهز المشاعر، وتعتبر مدرسة البصرة رائدة المدارس الوعظية التي جمعت بين العلم، وصحة الحديث من جانب، وبين الأساليب الراقية التي تؤثر في الوجدان، وتهيج النفوس، وتشوق الأرواح من جانب آخر، وهذا ما نجده في تفسير الحسن، كما هو في تفسير قتادة.

وللباحث أن يلحظ عدة أسباب، يمكن أن نعتبرها المحور الأساس الذي أثر في اتجاه هذه المدرسة.

فمن ذلك ما عرفت به البصرة آنذاك من الانفتاح التجاري على المشرق، وما أدى إليه ذلك من مظاهر الترف، فصار لزامًا على العلماء والشيوخ أن يدرؤوا هذا الخطر الداهم بتزهيد الناس في الدنيا، وبيان حقيقتها، وأنها معبر للآخرة، ليست بدار إقامة.

وهذا يكاد يكون أمرًا مطردًا في كثير من البلدان التي يتسلل إليها روح التنعم، والدعة.

وقد يرد على هذا أن أهل مكة لا يظهر هذا واضحًا في مناهجهم العلمية، سواء كانت تفسيرًا أو غير ذلك، إلا أنه يمكن القول بأن أهل مكة لم يصلوا في ترفهم ما وصل إليه أهل البصرة، ومن جانب آخر فإن المناخ الجغرافي والحرارة الشديدة في مكة لم تكن تدع النعيم يصفو لأهلها، وعلى كلٍ فالمنهج أغلبي في الجملة.

أما المدرسة المدنية فاستغنت بالوارد عن النبي ﷺ، وكثرة المروي من الحديث فيها، فاتجهت للوعظ بالحديث والأثر، في حين أن المدرسة العراقية التي كان نصيبها من الحديث قليلاً اتجهت فيها الهمم إلى ما روي عن التابعين من مواعظ وآثار فجمعت، وتناقلتها الألسن.

وتبعًا لذلك فقد انتشر الزهد عند العراقيين، وصارت الكتب المؤلفة في الزهد عراقية المبدأ، والمشرب، وظهرت كتب الزهد، لوكيع، وهناد، وابن المبارك، وهي عراقية، في حين قل أن تجد مرويات في الزهد عن أئمة الحجاز (كابن المسيب، والزهري) وغيرهما في عامة كتب الوعظ والرقائق، بل يمكن القول بأن بذرة التصوف (وكان في أول الأمر خاضعًا للزهد فحسب) قد نبتت، وترعرعت في أرض العراق، وفي البصرة بالذات.

وقد يكون من الأسباب أيضًا اتباع أئمة المدارس لشيوخهم. فالمدرسة العراقية كثر في كلامها الزهد أكثر من المدرسة المكية بكثير، وقد يكون ذلك تبعًا لاختلاف المروي عن شيوخ المدارس، فابن مسعود أكثر من ذلك، فكان المروي عنه في كتب الزهد يزيد على ثلاثة أضعاف ما روي عن ابن عباس - رضي الله عن الجميع[1] -.

ومن الأسباب كذلك أن أئمة هذه المدرسة كانت لهم أسباب خاصة أدت بهم إلى هذا الاتجاه، فالحسن - رحمه الله - كما مرّ معنا في ترجمته - نشأ في بيت النبوة، ورضع من أم سلمة، وكان أبواه من القصاص، كما كانت لسكناه البصرة أثرًا من وجه آخر، إذ كانت البصرة متأثرة بأبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - في حياة الزهد، كما تأثر كذلك تأثرًا واضحًا بعابد البصرة وزاهدها عامر بن عبد القيس[2]. فدرجت أذنه على

(١) بعد تتبع ما روي في كتب الزهد للأئمة أحمد، ووكيع وابن المبارك وهناد، وجدت المنقول فيها (٣٦٧) أثرًا عن ابن مسعود، في حين كان المنقول عن ابن عباس (١٢٠) أثرًا، وعن أنس (١٢٠) أثرًا، وعن عمر (١٤٨) أثرًا، وعن علي (٦٧) أثرًا، وعن أبي الدرداء (١٣٦).

(٢) كتاب الحسن البصري مفسرًا (١٤).

سماع الموعظة حتى تشرب بها ، ولما فتح الله عليه بالعلم أثر فيه هذا الجانب حتى صاغ جل أساليبه، ودفع بها في هذا المضمار.

ومن الأسباب كذلك تمكن أصحاب هذه المدرسة من اللغة، مما جعلهم يتأنقون في تدبيج عباراتهم، وتخير الكلمات المعبرة، والتفنن في الألفاظ الفصيحة المؤثرة، فجاءت حكمهم ومواعظهم كالماء الزلال، بل هي السحر الحلال، فلم تقف عند الآذان، بل ولجت القلوب بدون استئذان.

هذه الأسباب وغيرها هي التي دفعت بهذه المدرسة إلى الجانب الوعظي، فصار تفسيرها تغلب عليه هذه الصفة، ودخل فيه أسلوب القص كذلك، وتوسعت فيه توسعًا ملحوظًا ، فلم يقاربها في ذلك أحد ، ومع أن المكيين قد كان المروي عنهم في التفسير كثيرًا، إلا أن المروي عنهم في آيات الوعظ ليس كثيرًا، ثم إن منهجهم في صوغ عباراتهم لم يكن يضاهي منهج الوعظ عند المدرسة البصرية، بل غلب على عباراتهم البيان الموجز في عبارة علمية معرفية أكثر منها جمالية عاطفية.

ومن أمثلة ذلك ما ورد عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾[1] قال: وأتوا به متشابهًا لونه مختلفًا طعمه، مثل الخيار من القثاء[2]. في حين أنه لما تناول الحسن هذه الآية بالتفسير قال فيها: ألم تروا إلى ثمار الدنيا كيف تُرذلون بعضه؟ وإن ذلك ليس فيه رَذْل[3].

ومن ذلك ما جاء عن مجاهد في تفسير قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي

(١) سورة البقرة: آية (٢٥).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٩٠) ٥٢٦، تفسير عبد الرزاق (١/ ٤١)، وزاد المسير (١/ ٥٣)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى وكيع، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، عن مجاهد به (١/ ٩٦)، وفتح القدير (١/ ٥٥).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٨٩) ٥٢٠، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٤٠)، وزاد المسير (١/ ٥٣)، وأورده السيوطي في الدر وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، عن الحسن به (١/ ٩٦).

فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ... ﴾ قال: قوله: ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾[١] فليطيعوا، الاستجابة: الطاعة[٢].

في حين قال الحسن: اعملوا وأبشروا، فإنه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويزيدهم من فضله[٣].

وهذا يؤكد مدى المبلغ الذي وصلت إليه المدرسة البصرية والذي لا يدانيه منهج من مناهج المدارس الأخرى ـ سواء كانت من المدارس المكثرة كالمكية أو المقلة كالمدنية[٤].

وقد غلب هذا اللون من القص والزهد على حلقات العلم في البصرة[٥]، حتى صارت أكثر الحلقات تعنى بهذا الجانب، ويقول عبد الله بن عون: أدركت هذا المسجد ـ مسجد البصرة ـ وما فيه حلقة تنسب إلى الفقه إلا حلقة واحدة تنسب إلى مسلم ابن يسار، وسائر المسجد قصاص[٦].

فهذا كله مما يؤكد تميز المدرسة البصرية بهذا الجانب الوعظي وتفوقها على مثيلاتها من المدارس التفسيرية.

(١) سورة البقرة: آية (١٨٦).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٤٨٤) ٢٩١٣، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير عن مجاهد به (١/ ٤٧٤).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٤٨٦) ٢٩١٩، ولمزيد من الأمثلة تراجع الآثار التالية من تفسير الطبري: ١٩٣٤، ٤٠٠٦، ٦٠٧١، ٦٦٩٤، ٦٨١٥، ٦٨٤٣، ٨٢٢٣، ٨٣٢٩... ويقارن تفسير الحسن بتفسير غيره.

(٤) كتاب القصاص والمذكرين (٢٥٤).

(٥) بعد تتبع كتب الزهد (لابن المبارك، وأحمد، وهناد، ووكيع) واستخراج آثار التابعين منها، تبين أن المصنفين اعتمدوا في كتبهم عن الزهد على روايات شيخ هذه المدرسة الحسن أكثر مما نقلوه عن غيره، فقد بلغت مروياته في هذه الكتب (٤٦٤) أثرًا، في حين بلغت عن مجاهد شيخ مكة (١٧١) أثرًا، ويليهما في ذلك الربيع بن خثيم (٧٢) أثرًا، وعن سعيد بن جبير (٥٧) أثرًا، وغيرهم دونهم في ذلك.

(٦) كتاب القصاص والمذكرين (١٧٠).

ومما يذكر أيضًا في هذا الجانب أن المدرسة البصرية استخدمت أسلوب الوعظ حتى في تفسيرها لآيات الأحكام كما سبق الإشارة إليه[١] .

وقد أدى التوسع في الجانب الوعظي إلى نتائج كثيرة، لعل من أبرزها ما يلي :

١ ـ كثرة العباد والزهاد في مدرسة البصرة، وتميزها في ذلك عن بقية الأمصار، فقد أثر الوعظ في سلوكياتهم، واتسعت فكرة الزهد منذ ذلك الحين[٢] .

قال ابن أبي ليلى: طفت الأمصار، فما رأيت مصرًا أكبر متهجدًا من أهل البصرة[٣] .

ويقول سعيد بن جبير: ما رأيت أرعى لحرمة هذا البيت، ولا أحرص عليه من أهل البصرة، لقد رأيت جارية ذات ليلة تعلقت بأستار الكعبة تدعو وتتضرع وتبكي حتى ماتت[٤] .

يقول ابن عون: إنما بزّ الناسَ الحسنُ بالزهادة في الدنيا، فأما العلم فقد شاركه فيه الناس[٥] .

٢ ـ تقبل الأسلوب القصصي في الوعظ، والرضى عنه.

كان الفقهاء والمتكلمون والأدباء يسمون أهل الذكر والوعظ قصاصًا[٦] ، وكان الأسلوب القصصي غير مرضي عند علماء السلف؛ لغلبة الدخيل عليه، فلا يكاد يخلو من آثار واهية، وأحاديث موضوعة، ولقد تفنن القصاص في ذلك حتى إن بعضهم كان

(١) في ترجمة الحسن وقتادة ص (٢١٦)، (٢٦٨).
(٢) تذكر دائرة المعارف الإسلامية في مادة (زهد) أن فكرة الزهد اتسعت منذ عصر الحسن.
(٣) المصنف لابن أبي شيبة (١٢/ ١٨٩) ١٢٥٠٣ .
(٤) السير (٤/ ٣٣٤)، وصحح الذهبي إسناد هذا الخبر.
(٥) المعرفة (٢/ ٥٠).
(٦) معالم القربة في أحكام الحسبة (١٨٠).

يعترف بأنه وضع الأحاديث حسبة ـ زعموا ـ فقيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم: من أين لك ذلك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة[١].

ومن هنا ندرك أسباب انصراف السلف عن القصص والقصاصين، بل والتحذير منهم، ومع ذلك فإننا نجد المدرسة البصرية توسعت فيه، ولم تر فيه غضاضة، لما فيه من السرد المعبر والوعظ المؤثر، فهاهو الحسن يجيزه فيقول: القصص بدعة، ونعمت البدعة، كم من دعاء يستجاب، وأخ مستفاد[٢].

وكان الحسن يجلس في مجلس القصاص بكل إجلال. قال الأوزاعي: كان الحسن إذا قص القاص لم يتكلم، فقيل له في ذلك فقال: إجلالاً لذكر الله[٣].

ولم يغلب الجانب القصصي على العامة من أهل البصرة فحسب، بل غلب على شيوخ المدرسة نفسها، فكان الحسن يقص حتى في مواقع العبادة، واحتياج الناس فيها إلى الذكر، فإنه لما حج ودخل الحرم، جعل يقص في موسم الحج، فمرّ به علي بن الحسين ـ رضي الله عنه ـ فقال له: يا شيخ أترضى نفسك للموت؟ قال: لا، قال: فلله في أرضه معاد غير هذا البيت؟ قال: لا، قال: فثم دار العمل غير هذه الدار؟ قال: لا، قال: فعملك للحساب؟ قال: لا، قال: فلم تشغل الناس عن طواف البيت؟ قال: فما قصّ الحسن بعدها[٤].

ولم يختلف منهج قتادة عن الحسن كثيراً في ذلك، فقد اقتفى سبيل شيخه، واتخذ

---

(١) تدريب الراوي (١/ ٢٨٢، ٢٨٣).
(٢) كتاب القصاص (١/ ٨٥)، والآداب الشرعية (٢/ ٩٢).
(٣) المرجعين السابقين.
(٤) وفيات الأعيان (٢/ ٧٠).

ذات المسلك، ولذا نجد عبارة الإمام أحمد فيه دقيقة إذ يقول: كان قتادة يقص، وقال أيضًا: وكان قتادة من الثقات المأمونين، وكان يقص، وكان صحيح الحديث[١].

ونلمح من هذه العبارة أن القصاص كانوا غير صحيحي الحديث؛ لأن الإمام أحمد أعقب قوله بذكر أنه كان يقص، ونص على صحة حديث قتادة. فأفاد بمخالفته حال أغلب القصاص.

ولقد كان هذا المنهج كما أسلفت هو منهج عامة البصريين، إلا أننا نجد أبا العالية - وهو بصري - لم يسلك مسلك المدرسة فقلَّ الوعظ عنده، بل كان ينتقد أصحابه في الإكثار منه - ولعل سبب ذلك تأثر أبي العالية بالمدرسة المكية كما سبق تقريره[٢].

٣ - ومن نتائج مسلك الوعظ في التفسير أيضًا: العناية بعلم المناسبات، والترابط بين الآيات، حتى يتمكن من سرد الآيات وتفسيرها للناس، في تسلسل جميل يأخذ بألبابهم، ويشد مسامعهم، ينتقل من آية لأخرى، مع بيان تناسبهما، وأسرار ختم الآية الأولى وأسرار بداية الثانية.

وقريب من ذلك أيضًا اهتمامهم بشرح الأمثال القرآنية بعبارات ماتعة، يشرح المثل من خلالها، ووجه ضربه، مع قوة المعنى، وفصاحة الأسلوب[٣].

ويمكن من خلال إيراد بعض الأمثلة أن نلاحظ الفرق بين البصريين وغيرهم في شرح المثل، فعند شرحهم للمثل الوارد في قوله سبحانه: ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾[٤]، قال مجاهد: إضاءة البرق وإظلامه، على نحو ذلك المثل[٥].

(١) تهذيب التهذيب (٢/ ٣).

(٢) سبق ذلك عند المقارنة بين الحسن وأبي العالية ص (٤٤٦).

(٣) وقد سبق تفصيل ذلك في ترجمة قتادة ص (٢٧٠).

(٤) سورة البقرة: آية (١٩).

(٥) تفسير الطبري (١/ ٣٤٩) ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، عن مجاهد بنحوه (١/ ٨٢).

وقال قتادة: فالمنافق إذا رأى في الإسلام رخاءً أو طمأنينة، أو سلوة من عيش قال: أنا معكم وأنا معكم، وإذا أصابته شديدة حقحق والله عندها، فانقطع به، فلم يصبر على بلائها، ولم يحسب أجرها، ولم يرجُ عاقبتها[1].

ومن ذلك أيضًا ما جاء في بيان المثل الذي ضربه جل ثناؤه في قوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾[2].

قال مجاهد في بيان المثل: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾، قال: بملئها، ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾، قال: الزبد: السيل، ﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾ قال: خبث الحديد والحلية... إلخ ما قال[3] - رحمه الله - في بيان مفردات المثل.

بينما نجد قتادة يتوسع في بيان المثل وشرحه فيقول: هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثل واحد، يقول: كما اضمحل هذا الزبد فصار جُفاءً لا ينتفع به، ولا ترجى بركته، كذلك يضمحل الباطل عن أهله، كما اضمحل هذا الزبد، وكما مكث هذا الماء في الأرض، فأمرعت هذه الأرض، وأخرجت نباتها، كذلك يبقى الحق لأهله كما بقي هذا الماء في الأرض، فأخرج الله به ما أخرج من النبات، وقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾، الآية، كما يبقى خالص الذهب والفضة حين أدخل النار، وذهب خبثه، كذلك يبقى الحق لأهل، وقوله: ﴿أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾.

يقول: هذا إلى الحديد والصفر الذي ينتفع به فيه منافع، يقول: كما يبقى خالص

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٥٠) ٤٥٨، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، عن قتادة بلفظ مُقارب (١/ ٨٣).

(٢) سورة الرعد: آية (١٧).

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٤١٢) ٢٠٣١٨، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى أبي عبيد، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد بنحوه (٤/ ٦٣٤).

هذا الحديد وهذا الصفر، حين أدخل وذهب خبثه، كذلك يبقى الحق لأهله كما بقي خالصها[1].

٤ ـ العبارة الشديدة مع العصاة، والمخالفين :

لما كان المنهج الوعظي سمة من سمات هذه المدرسة كان من البدهي أن تكون العبارات الوعظية شديدة عند التعرض لتفسير الآيات التي تحذر من المعاصي والعصيان، وهذه السمة لا تكاد توجد في عبارات أصحاب المدارس التفسيرية الأخرى، وربما أيضًا كانت الشدة مع المتغافلين عن بعض السنن، والمستحبات، لا العصاة فحسب، كما سبق بيان ذلك بالأمثلة المروية عن الحسن ـ رحمه الله ـ عمن لا يقوم الليل، أو من توسع في المآكل، والمشارب، والمساكن ونحو ذلك.

ولا يختلف منهج (قتادة) عن هذا المنهج في الجملة[2].

٥ ـ الالتجاء إلى مخالفة الظاهر أحيانًا.

نظرًا لاهتمام البصريين بالجانب الوعظي، فإننا نجدهم يلتزمونه في تفسيرهم غالبًا، والواعظ يجعل هدفه تحقيق التأثير في نفس السامع ليستجيب، بعكس المنهج العلمي الذي يكون الهدف منه هو تحقيق المسألة، وبيان الغامض فيها، بغض النظر عن حال السامعين. ولقد كان أئمة المدارس التفسيرية موفقين في الجمع بين الأمرين غالبًا، إلا أنه قد نجد بعضًا من المواضع المخالفة نتيجة لغلبة أحد المناهج على صاحبها، وقد سبق لذلك بضعة أمثلة ظهر فيها ميل الحسن لرأي يخالف فيه الظاهر من القرآن دون وجود دليل يقتضي ذلك، كما في تبنيه القول بأن ابني آدم هما من بني إسرائيل، ولم

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٤١٢) ٢٠٣١٩، تفسير عبد الرزاق (٢/ ٣٣٥).
ولمزيد من الأمثلة تراجع الآثار التالية في تفسير الطبري، ١٥٤٣٥، ١٥٤٤٠، (١٨/ ١٤٩)، (٢٣/ ٢١٤).

(٢) سبق بيان ذلك في ترجمة الحسن ص (٢١٥) وترجمة قتادة ص (٢٦٥).

يكونا ابني آدم لصلبه .

وكذلك في إقسامه أن ابن نوح ليس ولداً لصلبه، ونحو ذلك من الأمثلة[١] .

الخصيصة الثالثة : اجتناب الإسرائيليات :

إن جمهور أهل العلم يرون أن الحديث عن بني إسرائيل لا حرج فيه فيما لا نجد له معارضاً في شرعنا، وذلك لحديث الإباحة «**وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**» ، ومع وفرة المادة العلمية في الإسرائيليات التي يمكن أن تكون مجالاً لتفسير بعض الآيات، وجنوح كثير من مفسري مكة لها، إلا أن المدرسة العراقية تعد من أقل المدارس سرداً للإسرائيليات، وأكثرها إنكاراً لبعضها ، وقد يكون السبب في ذلك هو قلة ما وصل إلى العراق من النقول والآثار في ذلك، فأكثروا من استعمال العقل والاستنباط والاجتهاد في فهم النصوص القرآنية الواردة في تلك القصص، ولاسيما أن العراق كانت تعج بملتقى الحضارات الفكرية المختلفة التي تدلي بدلوها في ميدان الثقافة، ناهيك أن بعضاً من الإسرائيليات فيها من التفاصيل لبعض القصص ما لا تقبله العقول السليمة، أو الفطر المستقيمة بادي الرأي، وإن كنا لا نجزم بمخالفتها لشرعنا، كما أن لتتلمذ أئمة هذه المدارس على رجال الرواية والأثر من الصحابة كابن مسعود وأنس، الذين كانا يجتنبان الرواية عن أهل الكتاب ـ أثره في قلة المروي عن المدارس العراقية في الإسرائيليات[٢] .

ويضاف إلى ذلك أنا لا نجد بالعراق مسلمة أهل الكتاب ؛ كما وجدناهم بسائر الأمصار[٣] ، وقد نأت مدرسة البصرة عن الرواية عن أهل الكتاب، وفاقت جميع

(١) ينظر ذلك في ترجمة الحسن ص (٢٣٠).

(٢) لا يقال : إن أبا العالية قد أكثر من الرواية والنقل عن بني إسرائيل ؛ لأنه وإن كان بصري الموطن والمنشأ ـ فهو مكي المذهب، والمشرب، كما أسلفته في ترجمته ص (٢٩١).

(٣) كان بالشام كعب الأحبار، ثم انتقل إلى مكة، وكان باليمن وهب بن منبه، وكان بالمدينة عبد الله ابن سلام.

المدارس في هذا ، ومدرسة الكوفة وإن كانت أقل منها رواية في هذا الشأن إلا أنه مما يُحمد للبصريين أنه مع النتاج الكثير المنقول عنهم في التفسير كانت نسبة الإسرائيليات عندهم قليلة جدًا؛ لأنهم ضربوا صفحًا عن الإكثار من النقل عن بني إسرائيل.

ومما يحمد لهذه المدرسة أنها وإن كانت من مدارس الوعظ، والقص، والغالبُ على القصاص الاستئناس بالحكايات، والأمور الغريبة التي تثير انتباه الناس- فقد ابتعد أئمتها وشيوخها عن قصص بني إسرائيل، ويوضح ذلك ما نجده في مناظرة الحسن وقتادة في ابن نوح، فقد كان الحسن يرى أنه ليس ابنه لصلبه، فاحتج قتادة عليه فيما احتج به أن أهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه، فقال الحسن مستنكرًا: ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب[1] ؟!.

والتزم الحسن بذلك؛ ففي أكثر الآيات التي رويت عشرات الروايات عن التابعين في تفسيرها بالإسرائيليات، نجد الحسن لا يعتمد على شيء من ذلك.

وقد سبق سرد بعض الأمثلة نحو تفسيره قوله تعالى: ﴿**ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم**﴾، وتأويله للسكينة في قوله: ﴿**فيه سكينة من ربكم**﴾، وبيانه للوالد والولد الصالح في قوله: ﴿**فلما آتاهما صالحا**﴾، وبيانه للمراد بـ فتنة سليمان، ونحو ذلك[2].

وأما (قتادة) فهو- وإن كان أكثر توسعًا من الحسن في سرد الإسرائيليات- إلا أنه كان يختصرها، ويسوق الشاهد منها فحسب، ويوردها بصيغة التمريض (ذكر لنا والله أعلم) وهذا يدل على تحرجه، وعدم قناعته بمحتواها.

وبهذا ينجلي للناظر أن المدرسة البصرية كان أكثر المدارس توقيًا وحذرًا من الرواية

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٢٢٦)، والمحرر الوجيز (٩/ ١٦١).

(٢) وقد سبق بيان ذلك وتفصيله في ترجمة الحسن ص (٢٤٦).

عن بني إسرائيل، والله أعلم.

الخصيصة الرابعة: بروز التفسير بالسنة في المروي عن المدرسة البصرية:

التفسير بالمأثور يقتضي سعة الرواية، والتثبت فيها، ومن هنا اختلفت المدارس في الكم والكيف، فعندما نجد أن المنقول عن المدرسة البصرية كثير[1]، نجد أن أهل الكوفة مقلون في هذا الباب، مع أن الآثار التي نقلت للعراق تكاد تكون واحدة، ويمكن أن يرجع ذلك إلى ما يلي:

١ ـ تأثر شيخ المدرسة البصرية الحسن البصري بنشأته في المدينة حيث الرواية والأثر، وكذلك بتتلمذه على الصحابي الجليل أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ فصار شغوفًا بأن يسند الأقوال، وينسب التفسير، ولم يكن الحال كذلك بالنسبة لأهل الكوفة، وقد يعزى ذلك إلى أن شيخهم ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ كان متحرجًا من الرواية في الجملة، كما سيأتي تفصيله في خصائص المدرسة المكية.

ومما ترتب على هذا الأمر أن كان تساهل أهل البصرة في الرواية أكثر من أهل الكوفة، وقد سبق طرف من ذلك في ترجمة الحسن، وقتادة[2].

وهذا ما نجده أيضًا في تفسيرهم، فقد كان جل المروي عنهم من التفسير النبوي إنما هو من باب المقاطيع والبلاغات (بلغنا ـ ذكر لنا ... حدثنا ... إلخ) فقد تساهلوا ـ رحمهم الله ـ في الرواية سندًا، وكذلك وقع التساهل من بعضهم في الرواية متنًا، فقد سئل الحسن عن الرجل يحدث بالحديث لا يألو فيكون فيه الزيادة والنقصان: قال: ومن يطيق ذلك!! وقال: لا بأس بالحديث أن تقدم أو تؤخر إذا أصيب المعنى[3].

---

(١) المروي عن التابعين في الاعتماد الصريح على السنة جاء في (٣٨١) أثرًا، منها (٢٨٠) أثرًا عن البصريين، أي إن ما يزيد على (٧٣,٠) من التفسير النبوي جاء من روايتهم.

(٢) ينظر ص (٢٢٠) من هذا البحث.

(٣) ينظر ص (٢٢٠) من هذا البحث.

وهذا التساهل في المتن لم يركن إليه قتادة ـ رحمه الله ـ فهو وإن تساهل في الإسناد أحيانًا إلا أنه كان ضابطًا للمتن، ولعل السبب في ذلك يرجع لحافظته القوية.

وبالجملة، فالحسن[1]، وقتادة[2]، من أكثر التابعين اعتمادًا على التفسير النبوي في تأويلهم.

* * *

(١) بلغ عدد الآثار التي اعتمد الحسن فيها على ما جاء عن النبي ﷺ (٨١) أثرًا.

(٢) وبلغ عن قتادة (٢٠٠) أثر، في حين كان اعتماد مجاهد في (٢٠) أثرًا فقط، وعن ابن جبير (٢٢) أثرًا، وعن عطاء في (١٠) آثار، وعن عكرمة في (٩) آثار، وغيرهم دونهم في ذلك.

خصائص المدرسة الكوفية

الخصيصة الأولى: الاهتمام بتفسير آيات الأحكام:

ومما قام عليه منهج المدرسة الكوفية واختصت به، العناية الفائقة بالأحكام الفقهية المستنبطة من النصوص القرآنية.

فقد تناولت في تفاسيرها الأحكام بالعرض، والتفصيل، والتوجيه، فصارت من أكثر المدارس عناية بهذا الجانب[١].

وقد تأثرت في ذلك بمسلك إمامها ابن مسعود ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ الذي عدَّ من قضاة الصحابة، ومن المكثرين في الفتوى، واعتبره ابن حزم سابع سبعة من كبار الصحابة الذين يمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم[٢].

وكان ـ رضي الله عنه ـ معدوداً سادس ستة من مفتي الصحابة[٣].

فعن مسروق قال: كان القضاء في أصحاب النبي ﷺ في ستة: في عمر، وعلي، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وكان نصفهم لأهل

(١) بعد مراجعتي لتفاسير المشاهير من كل مدرسة، وجدت أن نسبة ما روي عن الكوفيين في تفسير آيات الأحكام بلغ (٣١, ٠) من مجموع تفسيرهم، في حين بلغ عند المدنيين (١٩, ٠)، ولم يزد عند المكيين عن (٠٥, ٠)، وعند البصريين عند (٠٤, ٠) من مجموع تفسيرهم.

(٢) الأحكام لابن حزم (٤/ ١٧٦)، وإعلام الموقعين (١/ ١٢).

وقد جمع د. محمد رواس قلعجي قدراً كبيراً من آراء عبد الله بن مسعود، وفقهه، واجتهاداته، في موسوعة فقه عبد الله بن مسعود، نشرها مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى.

(٣) تهذيب الكمال (١٠/ ٣٠).

الكوفة[١] .

فكان الكوفيون من أفقه التابعين . يقول عامر الشعبي : لم يكن قوم بعد أصحاب محمد ﷺ أفقه من أصحاب ابن مسعود[٢] .

وكان كثيرٌ من الأئمة يفضلهم في الفقه على أصحاب ابن عباس[٣] .

وكان محمد بن سيرين - وهو من أئمة البصرة - يقول : ما رأيت سود الرؤوس أفقه من أهل الكوفة[٤] .

وهذا سفيان بن عيينة إمام أتباع التابعين في مكة يقول : خذوا المناسك عن أهل مكة ، وخذوا القراءة عن أهل المدينة ، وخذوا الحلال والحرام عن أهل الكوفة[٥] .

ولكثرة اشتغال المدرسة بالفقه ، وإعمالها للرأي فيه ، أطلق عليها مدرسة الرأي ، وكان الرأي بمعنى الفقه عند السلف[٦] .

فكان علقمة ، والأسود ، وغيرهم يفتون بالرأي فيما يعرض لهم من مسائل[٧] .

وأكثر أهل الرأي كانوا بالكوفة ، وقد تخرجوا على يد عبد الله بن مسعود ، وهو ممن كان يتحرج في الرواية عن رسول الله ﷺ خشية أن يشبه له ، ولا يتحرج مثل هذا في الاجتهاد بالرأي ، وإن صح عنده الحديث رجع إليه .

ومن المعلوم أن الخلاف بين مدرستي الرأي بالكوفة ، والأثر في المدينة ليس في

---

(١) تاريخ أبي زرعة (١/ ٦٤٩)، والمعرفة (١/ ٤٨١).
(٢) المصنف لعبد الرزاق (١٠/ ٢٦٩)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٦٥٠).
(٣) تاريخ أبي زرعة (١/ ٦٥٠).
(٤) تاريخ أبي زرعة (١/ ٦٧١)، والسير (٤/ ٢٦٢)، (٤/ ٦١١).
(٥) معجم البلدان (٤/ ٤٩٣).
(٦) فيض الباري (١/ ١٧٧).
(٧) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٦١، ٦٢).

مسألة قبول الآثار، أوردها، بل الأساس في مقدار الأخذ بالرأي والتفريع عليه. فقد كان أهل الأثر لا يأخذون بالرأي إلا اضطرارًا، أما أهل الرأي فإنهم يكثرون من الإفتاء في المسائل بالرأي ما دام لم يصح عندهم حديث في ذلك.

فالكوفة إذن كان فيها حديث، وأثر، ولكن كان الرأي عندهم أكثر من مدرسة المدينة.

ونختم هذه المسألة بالقول: إن نواة مدرسة الرأي وأساسها كان على يد الصحابي الجليل ابن مسعود - رضي الله عنه - وأصحابه من بعده، وأبرز هؤلاء علقمة، والأسود، وإبراهيم النخعي.

ويرجع انتشار مدرسة الرأي في الكوفة إلى الأمور الآتية[1]:

١ - تأثرهم بمعلمهم عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - الذي سار على طريقة عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - والذي يقول عنه: لو سلك الناس واديًا وشعبًا، وسلك عمر واديًا وشعبًا، لسلكت وادي عمر وشعبه، وقد تخرج على يد ابن مسعود علقمة ابن قيس أستاذ إبراهيم النخعي، الذي يعد زعيم مدرسة أهل الرأي زمن التابعين.

٢ - قلة الحديث المروي عن رسول الله ﷺ عندهم، فهو لا يوازي ما عند علماء المدينة موطن الرسول ﷺ وكبار الصحابة، ثم إن من نزل الكوفة من الصحابة رضوان الله عنهم، وإن كانوا كثيرين بالنسبة لغيرهم من البلدان، إلا أنه لا يصل إلى العدد الذي آثر البقاء في الحجاز.

٣ - اشتراطهم في قبول الحديث شروطًا لا يسلم معها من الأحاديث إلا القليل، وكان السبب وراء ذلك انتشار الكذب، والفرق الضالة، وفي مقدمة هؤلاء الشيعة

(١) ينظر التشريع والفقه في الإسلام تاريخًا ومنهجًا (١٦٦)، تاريخ الفقه الإسلامي (٧٣، ٧٤)، والمدخل للفقه الإسلامي (٢٤٧)، والمدخل لدراسة الشريعة الإسلامية (١٣٨)، والمدخل لدراسة الفقه الإسلامي (٦٥)، والمدخل إلى الفقه الإسلامي (١٢٢).

أكذب الناس في المرويات. والكوفة أرض دارت فيها كثير من الفتن، فشاع الوضع في الحديث تأييدًا للمذاهب السياسية، وهذا بدوره جعل التابعين فيها يقلون الرواية من الحديث عنه ﷺ، فكانت الأحاديث التي يعول عليها لديهم قليلة، وهذا يدعوهم عند النظر في المسائل إلى القول بالرأي، حيث لا نص.

٤ ـ اختلاف بيئة الحجاز عن بيئة العراق، فقد كان العراق متاخمًا للفرس، واتصل بالحضارة الفارسية اتصالاً وثيقًا، وذلك من شأنه أن يحدث كثيرًا من المسائل الجزئية، والمشاكل المتعددة، فكان من الضروري أن يقضى فيها بحكم شرعي، وقد لا يكون هناك نص في هذه الواقعة، فكان لابد من الاجتهاد في الرأي، فوسع هذا من دائرة العمل به.

ولذا نجد ابن عمر يقول عنهم: يا أهل العراق تأتون بالمعضلات[1]. وكان ابن المسيب إذا سئل عن مسألة شائكة قال للسائل: أعراقي أنت[2]؟.

الخصيصة الثانية: كثرة الاشتغال بالقراءة:

وهذا مما اختصت به مدرسة الكوفة، وسبقت فيه، فقد حرص الكوفيون أشد الحرص على هذا العلم، فقلما تجد مفسرًا بينهم يخلو تفسيره من الاعتماد على القراءات في إيضاح المعاني القرآنية؛ لأنها السبيل الموصل إلى فهم بعض المعاني، وبيان المراد بها.

وقد جعلوا القراءة أصلاً من الأصول التي اعتمدوا عليها في منهجهم في التفسير، حتى إن كثيرًا من الأئمة تمنى أن لو كان يقرأ بقراءة شيخهم.

وقد ذكر السيوطي أن عدد القراءفي الكوفة، كان يزيد على عدد القراء في كل من المدينة، ومكة، والشام، والبصرة[3].

(١) المعرفة (٢/ ٧٥٩).
(٢) المعرفة (٢/ ٧٥٩).
(٣) الإتقان (١/ ٧٣).

وكان القراء كتيبة خاصة في فتنة عبد الرحمن بن الأشعث[١] .

وعدَّ الذهبي من القراء الكبار ثلاثة من الكوفيين، في حين لم يذكر من البصريين إلا واحداً[٢] .

وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يوصي أصحابه ممن أراد السفر إلى الكوفة بقوله: إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جرّدوا القرآن، وأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ[٣] .

هذه حال الكوفة، لهم دويّ بالقرآن كدوي النحل، وليس هذا بمستغرب على مدرسة تولى إمامتها ابن أم عبد ـ رضي الله عنه ـ الذي أخذ من فيّ رسول الله ﷺ سبعين سورة، والذي كان من أكثر الصحابة اشتغالاً بالقراءة واعتماداً عليها في تفسيره[٤] .

ولقد كان لابن مسعود الأثر البالغ على أصحابه، وعلى غيرهم من تلاميذ المدارس الأخرى ممن أقام أو مرَّ بالكوفة[٥] .

ونجد أن هذا الأثر امتد في الكوفة إلى ما بعد عصر التابعين، ففيها من أئمة القراءات السبع ثلاثة، هم أعلام القراءة في الأمصار الإسلامية، وهم عاصم بن أبي النَّجود، وحمزة بن حبيب الزيات، وعلي بن حمزة الكسائي، ومرجع هؤلاء جميعًا أبو عبد الرحمن السُّلَمي، وزرُّ بن حبيش[٦] .

وقد انعكست قراءات ابن مسعود التفسيرية هذه على فقه أهل العراق، الذين

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٣٥٠).

(٢) معرفة القراء الكبار (١/ ٤٢ ـ ٨٢)، ذكر منهم سعيد بن جبير، وسعيد كما سبق في ترجمته مختلف في نسبته، والأكثرون على أنه كوفي الموطن.

(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ٧)، وسنن الدارمي (١/ ٨٥)، وسنن ابن ماجه (١/ ١٢).

(٤) سبق بيان ذلك وتفصيله عند الحديث عن تقدمه ـ رضي الله عنه ـ في علم القراءة ص (٤٦٥).

(٥) كما نجد ذلك عند ابن جبير، ومجاهد، وقتادة، وقد سبق إيضاح ذلك.

(٦) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة النحو (٢٢)، وكتاب قراءة عبد الله بن مسعود (٣٢).

ورثوا علم ابن مسعود، ومن ذلك ما يرويه السرخسي الحنفي في كفارة اليمين، حيث يقول: أما صوم كفارة اليمين ثلاثة أيام متتابعة عندنا خلافًا للشافعي الذي قال: إنه (يعني الصوم) مطلق في القرآن، ونحن أثبتنا التتابع بقراءة ابن مسعود، فإنها كانت مشهورة إلى زمن أبي حنيفة ـ رحمه الله[1] ـ.

الخصيصة الثالثة: الهيبة، والورع في التفسير:

وفي مقابل ما سبق فإن من السمات البارزة التي تميزت بها مدرسة الكوفة البعد عن الخوض في تفسير القرآن، فقد تهيب أستاذها الأول الرواية عن الله عز وجل، أو عن رسوله ﷺ، وتبعه على ذلك أصحابه الملازمون له، حتى صاروا من أقل التابعين على الإطلاق عناية بالتفسير[2].

وقد امتد الورع بالمدرسة إلى الإقلال حتى من رواية الحديث عن رسول الله ﷺ، وكان ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ كما يصفه أحد أصحابه، وهو عمرو بن ميمون بقوله: ما أخطأني ابن مسعود عشية خميس إلا أتيته فيه، قال: فما سمعته يقول بشيء قط: قال رسول الله ﷺ، فلما كان ذات عشية قال: قال رسول الله ﷺ، قال: فنكس، قال: فنظرت إليه فهو قائم مُحلَّلة أزرار قميصه قد اغرورقت عيناه، وانتفخت أوداجه، قال: أو دون ذلك، أو فوق ذلك، أو قريبًا من ذلك، أو شبيهًا بذلك[3].

---

(١) المبسوط (٣/ ٧٥)، وينظر دراسات في التفسير د. محمد بلتاجي (٣٩).

(٢) هذا في طبقة أصحاب عبد الله الملازمين له، علقمة، ومسروق، ومرة، والأسود، وعمرو بن شراحبيل، وعبيدة السلماني، والحارث بن قيس، وزر بن حبيش، فإن ما روي عن أصحاب عبد الله، كما جاء عند ابن كثير في تفسيره لم يزد على (٦٥) رواية فقط. أين هذا من الحسن الذي أورد عنه ابن كثير (٦٢٦) رواية، وعن مجاهد (١٠٦٢) رواية، وعن قتادة (١٠٠٩) روايات.

(٣) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ (١/ ١٠).

فصارت الكوفة من أقل المدارس اشتغالاً بعلمي التفسير والحديث، ووجدنا أن أثر الورع يمتد ليشمل طبقة متوسطي التابعين، فإن إبراهيم النخعي، وعامرًا الشعبي مع ما جاء عنهما من الروايات في التفسير؛ فإن جلَّ ذلك كان في إيضاح آيات الأحكام.

ونتيجة لهذا الإقلال في المدرسة، فإن صغار التابعين، كالسدي، وأبي صالح، وبعدهم أتباع التابعين، كثر اشتغالهم بالتفسير نظرًا لقلته في تلك المدرسة، ولحاجة الناس إليه، وقد أنكر كثير من أئمة الكوفيين صنيعهم هذا، وخاصة أن معظمه لم يسمعوه من قبل، فاستغربوه وأنكروه، فكان السدي يرد عليهم بقوله: إن هذا التفسير أخذته من ابن عباس، فإن كان صوابًا فهو قاله، وإن كان خطأ فهو قاله، وقد صدق ـ رحمه الله ـ في مقولته هذه، فإن جلَّ المروي عنه إنما استفاده من مدرسة مكة، حتى إننا ذكرنا فيما مضى أن السدي مع أنه كوفي إلا أن منهجه ومسلكه وجلَّ تأويلاته تبع فيها ابن عباس وأصحابه[1].

كما أن المكثرين من الكوفيين في طبقة أتباع التابعين كالضحاك بن مزاحم كان معظم ما رواه في التفسير لم يستفده من الكوفيين، وإنما أخذه من تفسير ابن عباس، وأصحابه[2].

الخصيصة الرابعة: الاهتمام بنقل آثار ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ:

لم يكن أحد له أصحاب معروفون حرروا فتياه ومذاهبه في الفقه غير ابن مسعود[3].

ولذا نجد عامة حديثهم وآثارهم، هي مما أخذوه عنه ـ رضي الله عنه ـ.

---

(١) سبق تفصيل ذلك في ترجمته ص (٢٩٩).

(٢) سبق تفصيل ذلك في بيان الأثر المكي على مدرسة الكوفة ص (٤١٧).

(٣) إعلام الموقعين (١/ ٢٠).

فعن مسروق[١] قال: حدثنا عبد الله، ولو لم يحدثنا عبد الله مَن كان يُحدثنا[٢] ؟!.

وعن مسروق قال: سألنا عبد الله عن أرواح الشهداء، فلولا عبد الله ما أخبرنا به أحدٌ! قال: أرواح الشهداء عند الله في أجواف طير خضر في قناديل تحت العرش، تسرحُ في الجنة حيث شاءت، ثم ترجع إلى قناديلها، فيطلع إليها ربها فيقول: ماذا تريدون؟ فيقولون: نريد أن نرجع إلى الدنيا فنقتل مرة أخرى[٣].

وعن إبراهيم النخعي قال: كان عبيدة السلماني يأتي عبد الله كل خميس فيسأله عن أشياء غاب عنها، فكان عامة ما يحفظ عن عبد الله مما يسأله عبيدة عنه[٤].

وعن شعبة قال: قلت لأبي إسحاق: كيف كان أبو الأحوص (عوف بن مالك) يُحدثكم، قال: كان يسكبها علينا في المسجد، يقول: قال عبد الله، قال عبد الله[٥].

وعن الشعبي قال: تجالس شُتير بن شكل، ومسروق، فقال شُتير: إما أن تحدث ما سمعت من ابن مسعود فأصدقك، وإما أن أحدث فتصدقني؟ قال مسروق: لا، بل حدث فأصدقك، فقال: سمعت ابن مسعود يقول: إن أكبر آية في القرآن تفوضًا ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ قال مسروق: صدقت[٦].

وجاء رجل إلى الشعبي يسأله عن شيء، فقال الشعبي: كان ابن مسعود يقول فيه

---

(١) مع أن مسروق من أكثر أصحاب عبد الله بن مسعود تنقلاً في البلاد كما سبق بيانه، وينظر ص(٤٧٤).

(٢) العلل لأحمد (٢/ ٤٥٠) ٢٩٩٩.

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٣٨٧) ٨٢٠٨، وأصل الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة (٣/ ١٥٠٢) ١٨٨٧، والترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران (٥/ ٢٣١) ٣٠١١.

(٤) سنن الدارمي (١/ ١٣٧).

(٥) العلل لأحمد (٣/ ٣٤٤) ٥٠٧٦.

(٦) تفسير الطبري (٢٨/ ١٤٠).

كذا كذا، قال: أخبرني أنت، فقال: ألا تعجبون من هذا؟ أخبرته عن ابن مسعود، ويسألني عن رأيي[١].

ولذا نجد الكوفيين من أكثر المدارس التزامًا بآثار شيخها، واتضح هذا في تفسيرهم، فإن عامة ما يروى في كتب التفسير عن أصحاب عبد الله الملازمين له هو مما نقلوه عنه - رضي الله عنه -.

فهذا مرة الذي روى عن ابن مسعود فأكثر لا نجد له في كتب التفسير إلا أقل القليل من المروي من اجتهاده[٢].

بل إننا نجد الأثر يمتد إلى الطبقة التي أخذت عن أصحاب عبد الله، فمع أنها لم تلق ابن مسعود ولم تره إلا أنها من أحرص التابعين على الاستدلال بأقواله وآثاره في التفسير[٣].

وعمومًا فإن المدرسة الكوفية من أقل المدارس مخالفة لأستاذها - رضي الله عنه[٤] -.

وأظن أن من أسباب كثرة الاشتغال بآثار شيخهم قلة السنن والأحاديث المروية عندهم، مع ما تميزت به المدرسة من الورع في التحديث، فقد كان بعضهم يتشكك في حفظه لحديث رسول الله ﷺ، فيؤثر ألا يحدث عنه ﷺ خشية أن يقع في الكذب على رسول الله ﷺ.

---

(١) سنن الدارمي (١/ ٤٧).

(٢) نقل من تفسير ابن مسعود (٢١٦) رواية، أي ما نسبته (٢٥ , ٠) من مجموع تفسير عبد الله، في حين أنه لم يرد عنه في تفسير ابن كثير إلا (٥) روايات فقط من اجتهاده.

(٣) بخلاف غيرهم من أصحاب المدارس الأخرى، لاسيما أصحاب ابن عباس - رضي الله عنهما -، فإنهم من أكثر تلاميذ المدارس مراجعة ومخالفة لأستاذهم.

(٤) بلغ نسبة المروي عن الكوفيين في الاعتماد على قول الصحابي (٠٤ , ٠)، في حين كان نسبة اعتماد البصريين على ذلك (٠٢ , ٠)، وعند المكيين أقل من (٠٠٨ , ٠) فقط.

ولذا كان يقول عاصم الأحول: سألت الشعبي عن حديث فحدثنيه، فقلت: إنه يُرفع إلى النبي ﷺ، فقال: لا، على من دون النبي ﷺ أحب إلينا، فإن كان فيه زيادة أو نقصان، كان على من دون النبي ﷺ[1].

ولما سئل إبراهيم النخعي عن مسألة وقيل له: أما تحفظ عن رسول الله ﷺ حديثًا غير هذا؟ قال: بلى، ولكن أقول: قال عبد الله، قال علقمة: أحب إلي[2].

بل كان من ورعها في هذا الباب أن عدت من أكثر المدارس ردًا للسنن والأحاديث، وما ذاك إلا بسبب تشدد أصحابها في قبول الروايات، فإنهم من أوائل من سأل عن الإسناد، وسبقوا في ذلك جميع المدارس، وفيها أول من نقد الرواة، ولذا كانت مراسيل التابعين في الطبقة المتوسطة من أصحابها كالنخعي، تُقدم على مراسيل سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وابن المسيب - وهم من كبار التابعين[3].

فكان عندهم من الحيطة، والحذر في التحمل، والأداء لحديث المصطفى ﷺ ما ليس في أصحاب المدارس الأخرى.

ومن أهم الأسباب التي ألجأتهم لذلك ظهور بوادر الوضع والكذب في الحديث، لاسيما وأن الكوفة من أكثر المدن الإسلامية التي دارت على أرضها الفتن، وانتشرت فيها الفرق، وخاصة الشيعة أكثر الفرق إغراقًا في الكذب[4].

(١) سنن الدارمي (١/ ٨٢).

(٣) المرجع السابق (١/ ٨٣).

(٣) شرح علل الترمذي لابن رجب (٦٣)، والعلل لأحمد (٣/ ٣٨٠) ٥٦٧٣، والنكت على ابن الصلاح (٢/ ٥٥٥).

(٤) بعد مراجعة كتاب تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر، وجدت أن المنسوبين في هذا الكتاب للبدع من رفض، وتشيع، وإرجاء، وقدر، وغيرها في مكة والمدينة، والكوفة، والبصرة، ومصر، والشام، واليمن بلغوا (١٧٨) راويًا، منهم (١٠١) راو في الكوفة، من هؤلاء (٨١) روايًا منسوبًا للرفض، أو التشيع في الكوفة، مما يدل على انتشار الفرق في هذه المدينة، لاسيما من نسب إلى الرفض.

الخصيصة الخامسة : قلة الإسرائيليات في تفسيرها :

من المعالم البارزة في تفسيرها قلة الإسرائيليات ، فإنها أعرضت عن الرواية عن أهل الكتاب، وكانت من أقل المدارس اعتماداً عليها في تفسيرها[١] .

وقد تأثرت في ذلك بمسلك أستاذها الأول ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فإنه من أشد الصحابة حذراً من هذا المصدر .

والناظر في تفسيره وسيرته، يجد عدم رضاه عن الناقلين لأخبار بني إسرائيل، فعن أبي عبيدة قال: جاء رجل إلى قوم في المسجد، وفيه عبد الله بن مسعود، فقال: إنّ أخاكم كعبًا يقرئكم السلام، ويبشركم أن هذه الآية ليست فيكم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾[٢] فقال له عبد الله: وأنت فأقرئه السلام، وأخبره أنها نزلت، وهو يهودي[٣] .

وعن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: جاء رجل إلى عبد الله، فقال: من أين جئت؟ قال: من الشام، قال: من لقيت؟ قال: لقيت كعبًا، فقال: ما حدثك كعب؟ قال: حدثني أن السموات تدور على منكب ملك؛ قال: فصدقته، أو كذبته؟ قال: ما صدقته، ولا كذبته، قال لوددتُ أنك افتديت من رحلتك إليه براحلتك ورَحْلها . كذب كعب، إن الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾[٤] .

---

(١) بلغت نسبة المروي عن أصحابها في هذا (٠,٠٠٩) من مجموع تفسيرهم، في حين كان المروي عن المدرسة المكية ما نسبته (٠,٥٥) ، وعن المدنية (٠,٠٣٥)، وعن البصرية (٠,٠٣) من مجموع تفسيرهم .

(٢) سورة آل عمران: آية (١٨٧).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٤٦١) ٨٣٢٥، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير عن أبي عبيدة به (٢/ ٤٠٢).

(٤) سورة فاطر آية (٤١)، وينظر تفسير الطبري (٢٢/ ١٤٤)، وأورده السيوطي في الدر عن شقيق بلفظ مختصر، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر (٧/ ٣٥).

وعن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال: أصبت أنا وعلقمة صحيفة، فانطلق معي إلى ابن مسعود بها، وقد زالت، أو كادت أن تزول، فجلسنا بالباب، ثم قال للجارية: انظري من بالباب؟ فقالت: علقمة، والأسود، فقال: ائذني لهما، فدخلنا فقال: كأنكما قد أطلتما الجلوس، قلنا: أجل، قال: فما منعكما أن تستأذنا؟ قال: خشينا أن تكون نائمًا، قال: ما أحب أن تظنوا بي هذا، إن هذه ساعة كنا نقيسها بصلاة الليل، فقلنا: هذه صحيفة فيها حديث حسن، فقال: يا جارية هاتي بطست واسكبي فيه ماءً، قال: فجعل يمحوها بيده ويقول: ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾ فقلنا: انظر فيها فإن فيها حديثًا عجيبًا، فجعل يمحوها ويقول: إن هذه القلوب أوعية، فأشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره.

قال أبو عبيد (راوي الحديث): يرى أن هذه الصحيفة أخذت من أهل الكتاب، فلهذا كره عبد الله النظر فيها[1].

وعن عبد الرحمن بن يزيد، قال: قال عبد الله: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فتكذبوا بحق، أو تصدقوا بباطل، فإنهم لم يهدوكم ويضلوا أنفسهم، وليس أحد من أهل الكتاب إلا وفي ملته تالية[2] تدعوه إلى دينه كتالية المال[3].

وقد اتضح هذا المسلك في تفسيره - رضي الله عنه - فلم أجده يدخل في شيء من التفاصيل المروية عن أهل الكتاب، ولا يعتمد عليها[4].

والمراجع لتفسير ابن جرير يجد شاهدًا آخر يؤكد ما سبق من قلة الرواية عن أصحاب عبد الله[5].

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١١٢).
(٢) قال عبد الرزاق: التالية، البقية، ينظر المصنف (٦/ ١١٢).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٤٨) ٦٤٧٥، ومصنف عبد الرزاق (٦/ ١١٢).
(٤) يأتي مزيد بسط لهذه المسألة عند الحديث عن منهج الرواية عن بني إسرائيل.
(٥) تتبعت تفسير ابن جرير حتى نهاية تفسير سورة (ص)، فلم أجد لهم رواية في ذلك.

بل إن الأثر امتد إلى عموم الكوفيين، فنجد أن أخص الكوفيين بعد أصحاب عبد الله، وهو إبراهيم النخعي كان من أقل التابعين على الإطلاق رواية لهذه الإسرائيليات[1].

* * *

(١) قد يرد على هذا ما جاء من اعتماد السدي على روايات بني إسرائيل، والسدي، وإن كان كوفي الموطن فإنه مكي المنهج والمسلك والطريقة، بل إنه بعد تأملي في تفسيره لم أجده شابه الكوفيين إلا في القليل النادر، وقد سبق تفصيل هذه المسألة في ترجمة السدي ص (٣٠٠)، وينظر ترجمة إبراهيم في بيان إعراضه عن الرواية من أهل الكتاب ص (٣٤٣).

خصائص المدرسة المدنية

الرواية والأثر، والسنة، والخبر، والفقه، والاتباع، خصائص كثيرة تميزت بها المدرسة المدنية، وليس المراد هنا تعديد خصائصها العامة، وإنما المقصود بيان ما انفردت به من ميزات عن باقي المدارس الأخرى، أو بيان الفرق إذا اشتركت أكثر من مدرسة في ميزة، وفيما يلي بيان لهذه الخصائص :

الخصيصة الأولى : هيبة التفسير ، والإقلال من التعرض له :

تعتبر المدرسة المدنية أشد المدارس ورعًا في التفسير، ولم ينقل عنها إلا العدد القليل من الآثار[1] ، وذلك لأنها نحت منحى التفسير بقدر الحاجة، من بيان غامض، أو إجابة سؤال، أو تفصيل حكم فقهي مستنبط من الآية، أو ذكر لسبب النزول ونحوه. . .

والناظر في هذا يمكن أن يعثر على بعض الأسباب التي أدت إلى ذلك، منها :

١ ـ كثرة الصحابة بالمدينة ، وقد كانوا متورعين عن التفسير، وقلَّ المنقول عنهم، بل أثر عنهم التحذير من الخوض فيه، لئلا يشتغل به من لا علم له فيضل ويُضل، وهذا كله مع علمهم واجتهادهم، الذي قد يفوق غيرهم من المفسرين، وقد قدمهم أهل المدينة على غيرهم، وبالتالي حذوا حذوهم في هذا المنهج، فلقد كان أهل المدينة يفضلون عبد الله بن عمر على ابن عباس ، ويستفتونه[2] .

(١) سبق أن ذكرنا أن المنقول عن المدرسة المدنية لا تزيد نسبته عن (٠٢ , ٠) من مجموع المروي عن المدارس كلها .

(٢) الإرشاد (١/ ١٨٤) ، والسير (٨/ ١١٢).

يقول طاوس: ما رأيت الذي هو أعلم من ابن عباس، وأورع من ابن عمر[١].

٢ ـ تورع أهل المدينة عن الكلام في غير المسائل الحالة النازلة، ولذا كان زيد بن ثابت إذا سأله رجل عن شيء قال: آلله لكان هذا، فإن قال نعم تكلم فيه، وإلا لم يتكلم[٢].

٣ ـ اكتفاء أهل المدينة بالعلم الوارد لهم عن طريق الرواية عن النبي ﷺ أو عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، ثم لم تكن الحاجة لعلم التفسير على قدر ما كانت الحاجة له في العراق؛ لقلة الروايات عندهم.

٤ ـ المرويات الكثيرة لديهم في التحذير من القول في كتاب الله بغير علم، وعقوبة المتجرئ على القرآن، والقائل فيه برأيه، بحيث آثر كثير منهم السلامة، حتى وإن كان أهلاً للتفسير.

هذه الأسباب وغيرها أدت إلى توقي أهل المدينة التفسير، وقد تكاثرت الروايات عنهم محذرة عن الخوض في التفسير. حتى قال عبيد الله بن عمر: «لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليعظمون القول في التفسير، منهم سالم بن عبد الله، والقاسم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع»[٣].

وعن هشام بن عروة قال: ما سمعت أبي يتناول آية من كتاب الله قط[٤].

وقد أدى هذا المنهج إلى التورع حتى في الألفاظ التي يبديها أهل المدينة، فعن ابن عون، عن القاسم بن محمد أنه قال في شيء: أرى، ولا أقول: إنه الحق[٥].

(١) المطالب العالية (٤/ ١١٥).
(٢) العلم لأبي خيثمة (١٢٦)، وتهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٤٥٢).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٨٥، ٩٢)، ومجموع الفتاوى (١٣/ ٣٧٣).
(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٢٩).
(٥) طبقات ابن سعد (٥/ ١٨٧).

وجاء عنه أيضًا قوله: لأن يعيش الرجل جاهلاً خير من أن يفتي بما لا يعلم[١].

وكان هذا رأيه حتى قال عبد الله بن عون: ما لقيت أكف من ثلاثة، محمد بن سيرين، ورجاء بن حيوة، والقاسم بن محمد[٢].

ولما سئل القاسم عن قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾[٣].

فقيل له: أأنزل أو لم يُنزل؟ فقال: لا أبالي أيّ ذلك كان إلا أني آمنت به[٤].

وعن أيوب قال: سمعت القاسم بن محمد يُسأل بمنى فيقول: لا أدري لا أعلم، فلما أكثروا عليه قال: والله ما نعلم كل ما تسألون عنه، ولو علمنا ما كتمناكم، ولا حلّ لنا أن نكتمكم[٥].

ومما ينبغي الإشارة إليه أن هيبة التفسير كانت ـ أيضًا ـ من خصائص الكوفة، إلا أن المدينة كانت أشد هيبة، وأقل رواية منها بكثير[٦].

ثم إن المدينة تميزت بكثرة المرويات المسندة الصحيحة، فكانت هيبتهم دافعة لهم للمزيد من الرواية، بعكس المدرسة الكوفية التي لم يكن عندها كثير من الروايات، فدفعتهم هيبتهم لمزيد من القياس الفقهي، فكان جل المروي عنهم في تأويل آيات الأحكام.

---

(١) العلم لأبي خيثمة (١٣٠).
(٢) المعرفة (٢/ ٣٦٨).
(٣) سورة البقرة: آية (١٠٢).
(٤) تفسير الطبري (٢/ ٤٢٣) ١٦٧٩.
(٥) الحلية (٢/ ١٨٤).
(٦) بعد تتبع تفسير الطبري، وجدت أن المروي عن الشعبي، وهو من المقلين (٤٦١) أثرًا، وعن النخعي (٦٠٨) آثار، في حين كان عن ابن المسيب (١٨١) أثرًا، وعن محمد بن كعب (١٥٣) أثرًا.

الخصيصة الثانية: الانشغال عن التفسير بالحديث، والمغازي، والسير، والفقه الأثري:

انشغل أهل المدينة بالحديث والأثر، بسبب توافر عدد كبير من الصحابة بها، كلهم يحدث عن رسول الله ﷺ، فتلقف التابعون بالمدينة حديث رسول الله ﷺ من أفواه الصحابة، واهتموا به، واعتنوا بحفظه ونشره، ولاسيما الأنصار، حتى شهد لهم ابن عباس - رضي الله عنهما - بقوله: وجدت أكثر حديث رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار[١].

ولأجل هذا الاهتمام قبل كثير من أهل العلم رأي أهل المدينة وعلمهم، وجعلوه حجة، قال زيد بن ثابت: إذا رأيت أهل المدينة على شيء فاعلم أنه السنة[٢].

وما ذاك إلا لاهتمامهم بالسنة والحديث، فهم أكثر اهتمامًا بذلك من مدرسة الكوفة مثلاً، التي أقلت من رواية الحديث، وأكثرت من الآثار عن الصحابة[٣].

وترتب على ذلك أن الأئمة كانوا يقدمون أهل المدينة على أهل العراق في الحديث[٤].

كما اهتم أهل المدينة أيضًا بالمغازي والتاريخ، بل كانوا المقدمين في ذلك، يقول شيخ الإسلام: إن أعلم الناس أهل المدينة، ثم أهل الشام، ثم أهل العراق، فأهل المدينة أعلم بها؛ لأنها كانت عندهم[٥].

ولذا نجد الزهري من صغار التابعين قد برز في علم المغازي، وكان ابن إسحاق

---

(١) سنن الدارمي (١/ ١٤١).
(٢) المعرفة (١/ ٤٣٨).
(٣) الرفع والتكميل (٨٧).
(٤) المعرفة (١/ ٤٣٨).
(٥) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٤٦).

وهو من أتباع التابعين إخباري متمكن، ولذا نجد جل ما جاء عنه في تفسيره إنما هي قصص، وأحداث، وسير، وقريبًا من ذلك كان حال محمد بن كعب القرظي[١].

هذه كانت حالة أهل المدينة في الرواية، والسنن، وبالتالي قلل هذا من تعرضهم لمباحث التفسير، والاشتغال به، فهذا ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ مفتي المدينة، والذي كان المدنيون يفضلونه على ابن عباس[٢]، يقول عنه ابن جبير ـ الذي تلقى عنه، وتلقى عن ابن عباس كليهما ـ : كان حسن السرد للرواية عن النبي ﷺ، ولم يبلغ في الفقه والتفسير شأو ابن عباس[٣].

ويبين الشعبي مكانة ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في الحديث فيقول: كان ابن عمر جيد الحديث، ولم يكن جيد الفقه[٤].

وثمة علم آخر شغل أهل المدينة عن التضلع في علوم التفسير، ألا وهو الاهتمام بالفقه الأثري لا الفقه القائم على الرأي والقياس، ولذلك اشتد نكير علمائهم على من تكلم في المسائل قبل وقوعها.

فكان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يُنكر على العراقيين كثرة سؤالهم بقوله: تأتوننا بالمعضلات[٥].

ولما سأل أحد العراقيين أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال له: ممن أنت؟ قال: من العراق، قال: أكثر شيء سؤالاً، وغضب[٦].

---

(١) تاريخ التراث (١/ ٧٦).
(٢) الإرشاد (١/ ١٨٤)، والسير (٨/ ١٢).
(٣) الإرشاد (١/ ١٨٤)، والمستدرك (٣/ ٥٣٥)، والحلية (١/ ٣١٦).
(٤) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٧٣.
(٥) المعرفة (٢/ ٦٤٠).
(٦) المستدرك (٢/ ٢٢٦).

وعندما سأل ربيعة الرأي سعيد بن المسيب: كم في إصبع المرأة (يعني الدية) فقال: عشر من الإبل، فاعترض عليه ربيعة، فقال سعيد: أعراقي أنت؟ فقال: بل عالم متثبت، أو جاهل مُتعلم، فقال سعيد: هي السنة يا ابن أخي[١].

ولأجل توقفهم عند النصوص، انتشر عندهم الفقه الأثري، وظهر فيهم الفقهاء الأثريون، فنجد علماء التراجم والسير، يُصدرون تراجم الأئمة منهم بقولهم: فقهاء المدينة الأربعة، أو السبعة، أو العشرة.

ولقد أثر هنا المنهج المدني في أمصار كثيرة مختلفة، كالشام وغيرها[٢]، وسلك هذا المنهج الشعبي في الكوفة، وغيره.

الخصيصة الثالثة: السلامة من الأهواء والفتن:

كان أثر المنهج الحديثي في التلقي قويًا في المدينة، فقد أحاط أهل المدينة أنفسهم بسياج السنة، والأثر، فعصمهم ذلك من الوقوع في زلات الأهواء، ومزالق الفتن التي بدأت في الظهور في عصر التابعين، وتشدد أهل المدينة في ذلك مع الوافدين لأرضها، ولاسيما مع العراقيين، ولذا نجد الزهري يقول: يا أهل العراق يخرج الحديث من عندنا شبرًا، ويصير عندكم ذراعًا[٣] ويقول: إذا أوغل الحديث هناك - يعني العراق - فاردد به[٤].

بل يبالغ طاوس فيقول: إذا حدثك العراقي مائة حديث، فاطرح منها سبعة وتسعين[٥].

---

(١) موطأ مالك، كتاب العقول، باب عقل الأصبع، (٦١٩) ١٥٦٦.
(٢) سبق بيانه في أثر المدرسة المدنية ص (٥٢٠).
(٣) تاريخ الإسلام (٥/ ١٤٣)، والمعرفة (٢/ ٧٦١).
(٤) المعرفة (٢/ ٧٦٠).
(٥) المعرفة (٢/ ٧٥٧).

ويزيدُ هشام بن عروة فيقول: إذا حدثك العراقي ألف حديث، فاطرح تسعمائة وتسعة وتسعين حديثًا، وكن من الباقي في شك[١].

وصارت هذه الحساسية مع كل ما هو عراقي، حتى إننا نجد ابن المسيب، وقد سئل عن مشكلة؟ فإذا به يواجه السائل مباشرة بسؤاله له: أعراقي أنت[٢]، ولما سئل عن مسألة، وقيل له: إن الحسن قال فيها كذا وكذا، فقال: احتوشه ناسجو أهل العراق فأفسدوه[٣].

ولما سئل طاوس عن الحسن قال: ذاك رجل جريء[٤].

وانصرف أهل المدينة خلف علمائهم، فلم يلتفتوا للأهواء، ولم يعتنوا بالسياسة، اعتناء غيرهم من أهل الآفاق[٥].

والناظر في كتب تراجم رواة الحديث، يجد أن المدنيين من أقل الرواة دخولاً في الأهواء والبدع، بخلاف حال غيرهم من أهل الأمصار.

ونرى كذلك انتقاد أهل المدينة عكرمة، وعدم رضاهم عنه؛ لأجل ما رمي به من رأي الخوارج[٦].

وقد أدى هذا الخلوص من الفتن والأهواء إلى أن صار التفسير المدني من أبعد التفاسير عن الأهواء، والبدع.

---

(١) المعرفة (٢/ ٧٥٧).

(٢) المعرفة (٢/ ٧٥٩).

(٣) المعرفة (١/ ٤٧٢).

(٤) المعرفة (٢/ ٤٤).

(٥) كتاب الإمام مالك لأبي زهرة (٥٣).

(٦) بعد مراجعتي للرواة في كتاب التقريب، وجدت أن (٨١) راويًا من الكوفة نسبوا للتشيع، و(١٢) راويًا رموا بالإرجاء، في حين كان (٢٣) راويًا من البصرة نسبوا للقدر، و(٨) لرأي الخوارج، و (٦) رواة للنصب، في حين أن المدينة لم ينسب فيها للقدر إلا (٤) رواة، وللتشيع (٣) رواة.

الخصيصة الرابعة : الاهتمام بالقراءات :

مما اختصت به المدرسة المدنية كذلك، اهتمام أئمتها بتحقيق القراءة على وجهها، ولاسيما ما كان من قراءة زيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ـ رضي الله عنهما ـ ولقد كان للكوفيين اهتمام بالقراءة أيضًا، إلا أن اهتمامهم كان منصبًا على فهم القرآن؛ ولذا أدخلوا القراءة في التفسير؛ ولهذا لما سمع مجاهد قراءة ابن مسعود انحلت له بعض المشاكل التي كان يسأل فيها ابن عباس، وذكر أنه لو علم هذه القراءة قبل ذلك لما سأل ابن عباس عن كثير من المسائل[١] .

أما اهتمام أهل المدينة فكان منصبًا على الأداء، وضبط الرواية، ولذا قال سفيان بن عيينة: خذوا المناسك من أهل مكة، والحلال والحرام من أهل الكوفة، والقراءة من أهل المدينة[٢] .

ومما يدلنا على ذلك قول زيد بن ثابت: القراءة سنة، فاقرؤوا كما علمتم[٣] .

ويقول ـ : رضي الله عنه ـ نزل القرآن بالتفخيم[٤] .

ومما أثر عن أبي بن كعب في ذلك قوله: تعلموا اللحن في القرآن كما تتعلمون القرآن[٥] .

وقد أثار هذا الاهتمام بالقراءة في المدينة ما يلي :

١ ـ دقة مصحف زيد، وخلوه من المنسوخ، يقول ابن قتيبة: وكان آخر عرض

---

(١) وقد سبق بيان ذلك في ترجمته ص (١٢٦).
(٢) معجم البلدان (٤/ ٤٩٣).
(٣) شعب الإيمان (٢/ ٥٤٨) ٢٦٧٩، وتفسير سعيد بن منصور (٢/ ٢٦٠).
(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢١٠).
(٥) شعب الإيمان (٢/ ٤٣٠) ٢٣٠١.

رسول الله ﷺ القرآن على مصحفه، ومصحف زيد أقرب المصاحف لمصحفنا[١] .

٢ ـ قلة المنقول عن زيد، وأبي بن كعب في التفسير، بل وفي الحديث[٢]؛ لاشتغالهما بالقراءة ، وتعليمهما .

الخصيصة الخامسة:

توسعت المدرسة المدنية في النسخ على يد ابن المسيب، ثم جاء بعده زيد بن أسلم، وتأثر بالأول قتادة، وبالثاني عبد الرحمن بن زيد، فتوسعا في القول بالنسخ، وإلا فالغالب على التابعين عدم التوسع في ذلك[٣] .

ولعل السبب أن القول بالترجيح أو الجمع، يحتاج إلى إعمال الاجتهاد، وأهل المدينة أثريون ، لذا كان القول بالنسخ هو الأقرب للرواية، والأبعد عن الاجتهاد .

* * *

(١) المعارف لابن قتيبة (١١٣).

(٢) لم يرو عن أبي بن كعب إلا (١٦٤) حديثًا، كما أنه لم يرو عن زيد بن ثابت إلا (٩٢) حديثًا.

(٣) كما سيأتي تفصيل ذلك في مبحث أثرهم في أصول التفسير ص (١٠٨١).

الباب الثالث

مصادر التابعين ومناهجهم في التفسير

وفيه فصلان :

الفصل الأول : مصادر التابعين في التفسير ، وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : القرآن الكريم .

المبحث الثاني : السنة النبوية .

المبحث الثالث : أقوال الصحابة .

المبحث الرابع : اللغة العربية .

المبحث الخامس : الاجتهاد .

الفصل الثاني : منهج التابعين في التفسير ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : منهجهم في القراءات .

المبحث الثاني : منهجهم في آيات الاعتقاد .

المبحث الثالث : منهجهم في استنباط آيات الأحكام .

المبحث الرابع : منهجهم في تلقي ورواية الإسرائيليات .

بين يدي الباب :

بعد استعراض مدارس التفسير عند التابعين، وبيان أشهر أئمة كل مدرسة.

وبعد دراسة خصائص مدارس التفسير، وبيان مميزات كل واحدة منها.

كان لزامًا على من يدرس تفسير التابعين، أن يبين مصادرهم ومناهجهم، ويعد هذا الباب والذي يليه، خلاصة دراسة متوسعة، وغوص متعمق في خضم الآثار التفسيرية الواردة عنهم، إذ لم أجد - مع كثرة البحث - مادة علمية مجتمعة يمكن أن أعتمد عليها في ذلك، وكثير من الرسائل والبحوث التي وضعت في التفسير عامة، أو في بعض المفسرين من التابعين خاصة - لم تبحث مصادر التابعين ومناهجهم وفق الخطة التي رسمتها كي أسير عليها.

ولذا لم يكن ثمة بد من أن أدرس كل مجموعة على حدة؛ لأستخلص المنحى السائد فيها، وبيان اختلاف المدارس أو اتفاقها في كل مسألة من تلك المسائل.

وقد جعلت الفصل الأول خاصًا بمصادر التابعين في التفسير، ذكرت فيه أهم المصادر التي رأيت أنها مستقى التابعين، ومنهلهم فيه.

وكان الفصل الثاني مخصصًا لدراسة منهج التابعين في التفسير، واخترت أربعة مباحث رأيت أنها تمثل أهم المباحث التي ظهرت فيها مناهج التابعين، وتميزت فيها مشاربهم.

كل ذلك مع التوضيح بالأمثلة، والمقارنة، والترجيح فيما يحتاج إلى ترجيح، ونحو ذلك، محاولة مني لصياغة المباحث صياغة تدلُّ على المصادر والمناهج، دون غموض أو لبس.

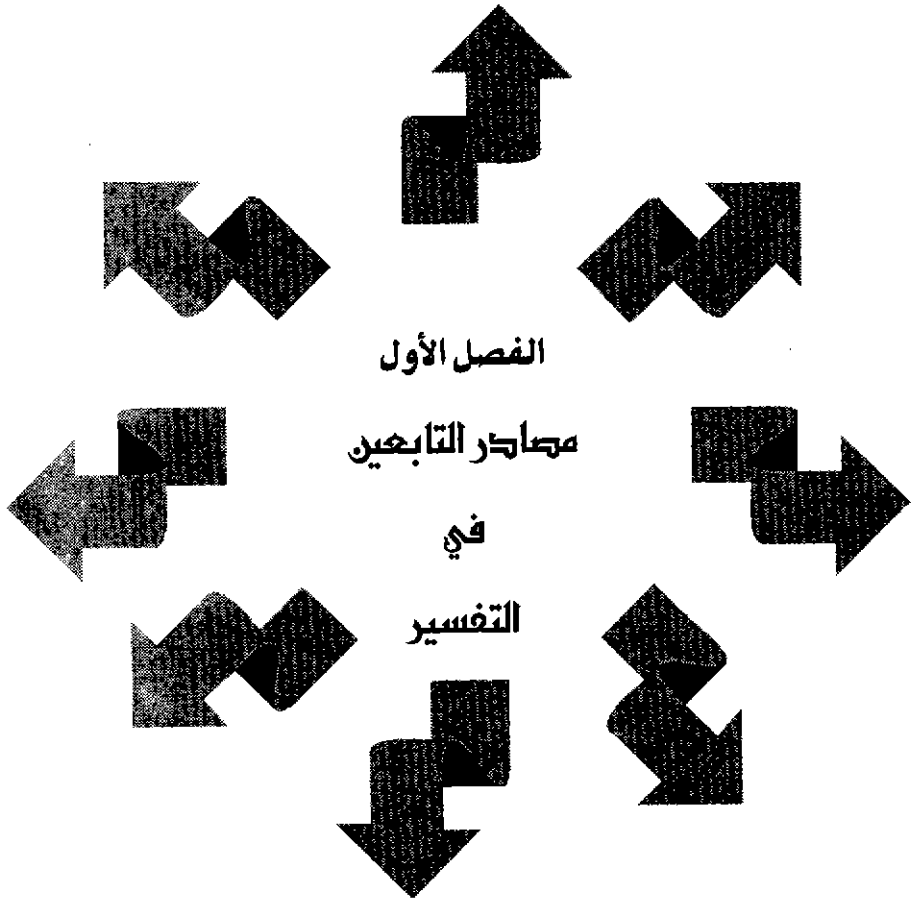

الفصل الأول

مصادر التابعين

في

التفسير

الفصل الأول

مصادر التابعين في التفسير

المقصود بهذا الفصل بيان مصادر التابعين التي اعتمدوا عليها في التفسير، ومنها استقوا مادة تفسيرهم، وقد تلخص لي من ذلك عدة مصادر هي :

القرآن ـ والسنة ـ وأقوال الصحابة ـ واللغة العربية ـ والاجتهاد وقوة الاستنباط .

وكنت قد جعلت مبحث الرواية عن أهل الكتاب ضمن مصادرهم في التفسير في بادئ الأمر، ولما توسعت في البحث لم أجد مادة علمية كافية للجزم بأن الرواية عن أهل الكتاب كانت مصدرًا للتابعين في التفسير .

وقد يكون منهم من روى شيئًا من الإسرائيليات، إلا أن هذا ليس كافيًا في تحقيق كون الإسرائيليات مصدرًا للمسلمين في تفسير القرآن إبان عصر التابعين .

ولأجل ذلك رأيت أن بَحثَ الإسرائيليات ألصق بالمناهج منه بالمصادر؛ ولذا اكتفيت ببحثه في الفصل الثاني المخصص لمناهج التابعين في التفسير، ولم أتعرض له في هذا الفصل ضمن مصادر التفسير، والله تعالى أعلم .

* * *

المبحث الأول

القرآن الكريم

لا ريب أن أعظم ما يفسر به القرآن الكريم هو القرآن نفسه؛ لأن الله تعالى أعلم بمراده، وقد أجمع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها، تفسير كتاب الله بكتاب الله جلَّ وعلا.

وقد حوى القرآن الكريم بين سوره وآياته غايات عظيمة، وحِكَمًا باهرة، مع ما ورد فيه من الدقة الباهرة، والتشريع الحكيم المعجز، ومن المميزات العجيبة في هذا الكتاب: أن آياته مثاني تثنى في القراءة، وتتشابه في الإعجاز، والإحكام، وإن كان بعضها أعظم من بعض، كما هو شأن آية الكرسي.

وقد تكررت في هذه الآيات المواعظ، والقصص، والأحكام، فلا يصل إلى غور تفسيره إلا من تأمل هذه الآيات، وتكرارها، فهي وإن تكرر بعضها بلفظه، أو بمعناه، فإن له في كل موضع حكمة، ودقيق علم، لا يبلغه إلا من وفقه الله ـ سبحانه ـ لمعرفة ذلك لهبة ربانية، ومنحة إلهية، بمزيد علم ومعرفة، وليس المراد في تفسير القرآن بالقرآن، ملاحظة تكرار الآية، أو القصة فحسب، بل قد يكون التفسير من باب بيان إجمال، بسبب اشتراك، أو إبهام، أو بجواب سؤال، أو بتوضيح سبب آخر لقضية ما، أو بذكر ظرف المكان، أو الزمان؛ لشيء ذكر في موضع آخر، أو التفسير بالأعم الأغلبي باستقراء المعاني الثابتة في أكثر الآيات، أو أن تشير الآية إلى طريقة برهانية، لها نظائرها في آيات أخرى، ومن ذلك أيضًا العموم في آيات، وبيان بعض أفرادها في

آيات أخر، وبيان المنطوق بالمفهوم، والموصوف بالصفات، وغير ذلك كثير[١] .

ولقد قطع التابعون شوطًا كبيرًا في ذلك، وبرزت آراؤهم شاملة مضيئة بين أقوال المفسرين على مر العصور.

ولقد ظهر لي في ذلك بعض الاختلافات في تناولهم لهذا الأمر، وهو اختلاف متوافق مع خصائص المدارس، التي سبق بحثها، وهو ما سيتضح لنا عند تناول بعض النماذج لذلك.

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا، أن تفسير القرآن بالقرآن يدخل فيه تفسير الآية بما ورد فيها من القراءات الأخرى، ولقد عني التابعون بذلك أشدَّ العناية، وسأتناول ذلك بالدراسة في مبحث مستقل[٢] .

ولذا سأشير لذلك إشارات سريعة هنا، تاركًا التفصيل في موطنه.

لقد كان مفسرو التابعين قد حصلوا علومًا جمة أهلتهم لخوض تفسير القرآن بالقرآن، فإن تفسير القرآن بالقرآن لا يتأهل له إلا من كان كذلك.

قال الشيخ محمد الذهبي: وليس هذا العمل عملاً آليًا لا يقوم على شيء من النظر، وإنما هو عمل يقوم على كثير عن التدبر، والتعقل، إذ ليس حمل المجمل على المبين، أو المطلق على المقيد، أو العام على الخاص، أو إحدى القراءتين على الأخرى بالأمر الهين الذي يدخل تحت مقدور كل إنسان، وإنما هو أمر يعرفه أهل العلم، والنظر خاصة[٣] .

مسالك التابعين في تفسير القرآن بالقرآن :

لقد سلك التابعون مسالك شتى في تفسير القرآن بالقرآن، وقد يُظن لأول وهلة أن هذا المبحث مما لا يختلف فيه التابعون، ولا تؤثر اتجاهاتهم التفسيرية على تناولهم له،

---

(١) مقدمة كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٦٩ ـ ٩٥).

(٢) سيأتي ذلك في مبحث منهج التابعين في القراءات ص (٧٤٨).

(٣) التفسير والمفسرون (١/ ٤١).

ومع ذلك، وبعد إحصاء ما ورد عنهم في هذا الباب، وجدتهم قد اختلفت مناهجهم في ذلك، وتباينت مسالكهم فيه .

فإذا جئنا إلى المدرسة المكية نجد تباينًا بين أفرادها في اعتمادهم على هذا المصدر من مصادر التفسير .

فمجاهد مثلاً أكثر هذه المدرسة نتاجًا في هذا الباب، وكثير من تفسيره هذا كان من هذا الباب، فهو يأتي بالآية، ويفسرها بآية أخرى؛ ليزيل إشكالاً واقعًا فيها، أو ليوضح حكمًا أصوليًا من عموم، أو خصوص، أو غير ذلك، وكل هذا يحتاج فيه إلى الاجتهاد، وقريب من ذلك كان منهج عكرمة إلا أنه أقل نتاجًا من مجاهد.

فإذا جئنا إلى سعيد بن جبير، فإننا نلحظ أن عامة ما قام بتفسيره هو من الآيات بالقرآن كان من آيات الأحكام، وهو موافق لمنهجه الذي مر ذكره[1] .

وكذلك كان الأمر بالنسبة لعطاء، وزدْ على ذلك أن أكثر المنقول عنه كان في آيات الحج بخصوصها، لما كان له من باع طويل في ذلك.

أما مدرسة البصرة، فقد غلب على أئمتها الوعظ، وانعكس ذلك على تناولهم لتفسير الآيات بالقرآن، فجل المنقول عن الحسن في ذلك كان مما له مساس وتعلق بالوعظ وأدل شيء على ذلك آيات الوعد والوعيد، ولذا كثر عنده الاهتمام بتفصيل إجمال الآيات، وإزالة مشكلها ، وبيان العموم والخصوص في آيات الوعد والوعيد، وكثير من المنقول عنه من باب الإشارة، أي يذكر الآية، ويشير لمعناها في آية أخرى دون أن يذكرها صراحة، وربما تلاها ولم يذكر أنها تفسير للأولى، وكل هذا يتناسب مع منهج الوعظ الذي سلكه.

ولم يبتعد قتادة عن هذا المنهج كثيرًا، إلا أنه ربما أضاف إلى ذلك اهتمامه بجمع المعاني الكثيرة من القرآن في تفسير آية، كما جاء عنه في تفسير قوله تعالى :

(١) كما مرَّ معنا ذلك في ترجمته (١٤٤).

﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[١] .

فقد قال في تفسيرها : والعلامات : النجوم، وإن الله ـ تبارك وتعالى ـ إنما خلق هذه النجوم، لثلاث خصلات جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدى بها، وجعلها رجومًا للشياطين[٢] .

فقد أشار بقوله : زينة، وبقوله : رجومًا للشياطين إلى الآيات التي ذكر الله تعالى فيها ذلك نحو قوله : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾[٣] ، وهي في غير ما آية .

طرق التابعين وأساليبهم في تفسير القرآن بالقرآن :

لقد تعددت طرق التابعين، وأساليبهم في تفسير القرآن، وأوضح فيما يلي عدة طرق توصلت إلى تجميعها، وترتيبها .

وقد تحصل لي من ذلك اثنتا عشرة طريقة، أبين في كل منها بعضًا من الأمثلة التطبيقية لذلك النوع، مع الإشارة لسائرها طلبًا للاختصار .

١ ـ نظائر القرآن :

أ ـ تفسير الآية بآية أخرى متقاربة معها في بعض اللفظ، والمعنى، وهنا يلحظ المفسر تناظر الآيتين، ويلمح أنه لا فارق بينهما، فيجعل تفسير هذه تفسير هذه، فمن ذلك ما ورد عن مجاهد في تفسير قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾[٤] ، الآية، قال : لم تكونوا شيئًا حين خلقكم، ثم

(١) سورة النحل : آية (١٦) .
(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٩١) .
(٣) سورة الصافات : آية (٦، ٧) .
(٤) سورة البقرة : آية (٢٨) .

يميتكم الموتة الحق، ثم يحيكم، وقوله: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾[١] مثلها[٢]. وهذا صريح في أنه يرى أن هذه الآية مثل تلك.

وقد يشير المفسر إلى الآية الأخرى دون أن يصرح أنها تفسير الآية التي مصدرها، وهذا ينزل منزلة أنه يراها مثلها.

فمن ذلك ما ورد عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾[٣]: أي بطاعته، وقال في آية أخرى: ﴿لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾[٤]، ليعلموا أن الله يوم القيامة يشفع المؤمنين بعضهم في بعض[٥].

ب ـ تفسير الآية بآية أخرى تحمل الموضوع نفسه، وإن اختلف اللفظ، وهنا يكون الاجتهاد أوضح من الطريقة التي قبلها، وقد أكثر التابعون من ذلك جداً، بل يعتبر هذا الطريق أكثر الطرق التي وقفت عليها من طرق التابعين في تفسير القرآن بالقرآن، ولأجل ذلك أذكر لكل مفسر مثالاً أو مثالين مُحيلاً على باقي الأمثلة في مظانها.

فمما ورد عن مجاهد في ذلك ما جاء في تفسير الكلمات في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[٦]، قال: قوله: ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا

---

(١) سورة غافر: آية (١١).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤١٩) ٥٨٠، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن جرير عن مجاهد به (١/ ١٠٦).

(٣) سورة مريم: آية (٨٧).

(٤) سورة طه: آية (١٠٩).

(٥) تفسير الطبري (١٦/ ١٢٨).
لمزيد من الأمثلة ينظر تفسير الطبري الآثار: ٤٤٤٥، ٨١٧٤، ٩٨٧٩، ١٣٤٠١، ١٣٦١٠، ١٣٦١٠، ١٧٥٥٤، (١٦/ ١١٦)، (١٩/ ٦)، (٢٣/ ١٠١)، (٣٠/ ٥٥).

(٦) سورة البقرة: آية (٣٧).

وَتَرْحَمْنَا ﴾[١] حتى فرغ منها[٢] ، ومثله جاء عن قتادة[٣] ، ولما تعرض مجاهد لتفسير قوله تعالى : ﴿ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ... ﴾[٤] الآية ، قال : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَافِرِينَ ﴾[٥] .

وجاء عن عكرمة ، والحسن في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[٦] ، قالا : وكان رسول الله ﷺ إذا صلى يجهر بصلاته ، فآذى ذلك المشركين بمكة حتى أخفى صلاته هو وأصحابه ، فلذلك قال : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ ، وقال في الأعراف : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾[٧] .

وعن عكرمة أيضًا في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾[٨] ، قال : الاثنان في الجنة ، وواحد في النار ، وهي بمنزلة التي في الواقعة : وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ، والسابقون السابقون[٩] .

وعند قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾[١٠] ، قال الحسن : ابتلاه بالكوكب ، فرضي عنه ، وابتلاه بالقمر ، فرضي عنه ، وابتلاه بالشمس فرضي عنه ،

---

(١) سورة الأعراف : آية (٢٣) .

(٢) تفسير الطبري (١/ ٥٤٥) ٧٨٧ ، ٧٨٩ ، وزاد المسير (١/ ٦٩) ، وفتح القدير (١/ ٧١) .

(٣) تفسير الطبري (١/ ٥٤٦) ٧٩١ ، تفسير عبد الرزاق (١/ ٤٤) .

(٤) سورة الأنفال : آية (٣٢) .

(٥) سورة المعارج : آية (١) ، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٥٠٧) ١٥٩٨٧ ، ولمزيد من الأمثلة يراجع تفسير الطبري الآثار ذوات الأرقام (٧٣٩٢ ، ٧٦١٤ ، ٢١٠٥٠٢ ، ١٢٠٩٥ ، (٣٠/ ١٠٠) .

(٦) سورة الإسراء : آية (١١٠) .

(٧) سورة الأعراف : آية (٢٠٥) ، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٨٧) .

(٨) سورة فاطر : آية (٣٢) .

(٩) تفسير الطبري (٢٢/ ١٣٥) ، ولمزيد من الأمثلة عن عكرمة تنظر الآثار في تفسير الطبري : ٧٩٠٠ ، ٩٥١٧ ، (١٧/ ١٩) .

(١٠) سورة البقرة : آية (١٢٤) .

وابتلاه بالنار فرضي عنه، وابتلاه بالهجرة، وابتلاه بالختان[١] .

ويلاحظ أن الحسن ـ رحمه الله ـ لم يذكر الآيات وإنما أشار إليها، وسبق أن هذا كان منهجه نتيجة للمنهج الوعظي الذي ارتضاه، وأكثر منه[٢] .

وجاء عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾[٣] ، قال: هي مثل قوله: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾[٤] ، وقوله: ﴿ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ : أي جملة الكتاب وأصله[٥] .

وهذا مما يؤكد أن التابعين كانوا يجتهدون في تفسير الآية بالآية الأخرى، وإلا فالمحو والإثبات قيل إنه في الصحف التي بأيدي الملائكة، وقيل هو نسخ الشرائع[٦] ، وهو الذي أشار إليه قتادة رحمه الله.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ ﴾[٧] ، قال قتادة: وذلك أنهم قالوا: ﴿ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾[٨] ، وقالوا: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾[٩] ، فقيل لهم: ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[١٠] .

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٤) ١٩٣٣، ١٩٣٤، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٥٧)، وزاد المسير (١/ ١٤٠)، وفتح القدير (١/ ١٣٩).

(٢) ينظر المزيد من الأمثلة عن الحسن في تفسير الطبري: ٩٧٣٤، ١٠٧٢٣، (١٥/ ١١٣)، (١٥/ ١٨٧)، (٣٠/ ٢٤٨).

(٣) سورة الرعد: آية (٣٩).

(٤) سورة البقرة: آية (١٠٦).

(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٤٨٦) ٢٠٤٩٠، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٣٣٧)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، عن قتادة به (٤/ ٦٦٤).

(٦) شرح العقيدة الطحاوية (١٥١، ١٥٢).

(٧) سورة البقرة: آية (٩٤).

(٨) سورة البقرة: آية (١١١).

(٩) سورة المائدة: آية (١٨).

(١٠) تفسير الطبري (٢/ ٣٦٤) ١٥٧٢، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، عن قتادة بمثله (١/ ٢٢٠)، وفتح القدير (١/ ١١٦)، وينظر المزيد من الآثار عن قتادة في تفسير الطبري: ١٧٩٧، (١٣/ ٢٤٦)، (١٤/ ٨) (١٤/ ١٧٦)، (١٥/ ٤٤)، (١٦/ ١٠٦)، (٢١/ ٨)، (٢٩/ ٢٣٩).

أما عطاء فمع أنه كان مقلاً عمومًا في باب تفسير القرآن بالقرآن فإن هذا الطريق من طرق التفسير بالقرآن ورد عنه فيه بعض الأمثلة الدالة على اهتمامه به، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ﴾[١].

قال: الفسوق: المعاصي كلها، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾[٢].

٢ ـ الأشباه:

المراد بالأشباه تفسير الآية بما يشبهها من الآيات، وهذا يأتي على ضربين: إما التشابه في الموضوع، أو التشابه في اللفظ.

ويفرق بين الأشباه وما سبق من النظائر، أن النظائر: هو تفسير الآية بمثيلتها المطابقة لها في المعنى، سواء أكان اللفظ متقاربًا أم لا.

أما الأشباه فالمراد بها تفسير الآية بما يشبه بعض معناها وإن لم يطابقه، سواء أكان اللفظ متقاربًا أم لا، ومن ذلك:

أ ـ تفسير الآية بالآيات التي تحمل بعض معناها، مع تقارب اللفظ.

فمن ذلك ما ورد عن مجاهد في تفسير النفس بالغير، فإنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾[٣]، قال: قال لهم خيرًا، ألا ترى أنه يقول: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾[٤]، يقول: بعضكم بعضًا، و﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾[٥]، قال: يسلم بعضكم على بعض[٦]، ففسر مجاهد هنا النفس بالغير،

---

(١) سورة البقرة: آية (١٩٧).
(٢) سورة البقرة: آية (٢٨٢)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ١٣٥) ٣٦٣٣، ٣٦٣٤، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٩٧).
(٣) سورة النور: آية (١٢).
(٤) سورة النساء: آية (٢٩).
(٥) سورة النور: آية (٦١).
(٦) تفسير الطبري (١٨/ ٩٦).

واستدل بورود ذلك في آيات متشابهة في القرآن تدل على هذا الجزء الخاص من المعنى، وإلا فليس معنى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ** ﴾ هو من (سلموا على أنفسكم) كما هو ظاهر، وإنما التشابه في معنى (النفس)، وأنها استخدمت بمعنى (الغير)، ويلحظ عكرمة أنه قد جاء في غير آية من القرآن بيان أن اليوم عند الله كألف يوم مما نعدُّ، فجمع تلك الآيات المتشابهات في هذه القضية، وخلص إلى أن المقصود بذلك هي أيام الآخرة واستدل على ذلك، فعنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ** ﴾[1]، قال: هذه أيام الآخرة، وفي قوله: ﴿ **ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** ﴾[2]، قال: يوم القيامة، وقرأ: ﴿ **إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا** ﴾[3].

وبنحو ما قاله عكرمة، جاء عن مجاهد رحمه الله[4].

ب ـ تفسير الآية بالآيات التي تحمل بعض معناها واللفظ مختلف، فمن ذلك ما جاء عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ** ﴾، قال: الزنا ﴿ **أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا** ﴾[5]، قال: يزني أهل الإسلام كما يزنون، قال: هي كهيئة ﴿ **وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ** ﴾[6].

فلم يرد مجاهد ـ رحمه الله ـ هنا أن المشركين أرادوا من النبي أن يزل في الفاحشة فيزلوا، بل أراد أن ينبه على تشابه أهل الباطل في أنهم يودون أن يكون أهل الخير منحرفين عن الطريق المستقيم، فيكونوا جميعًا سواءً.

---

(١) سورة الحج: آية (٤٧).

(٢) سورة السجدة: آية (٥).

(٣) سورة المعارج: آية (٦، ٧). والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٨٤).

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ١٧٣)، وفتح القدير (٣/ ٤٦١)، ومن الأمثلة أيضًا عن مجاهد في هذا الطريق من طرق تفسير القرآن بالقرآن، ينظر تفسير الطبري الأثر رقم ٢٠٦١٠ م.

(٥) سورة النساء: آية (٢٧).

(٦) سورة القلم آية (٩)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٢١٣) ٩١٣١.

٣ ـ الدلالة على التفسير بالسياق :

وفي هذا النوع يلحظ المفسِّر منهم سياق الآية فيربطها بما قبلها، أو بما بعدها، سواء كان ذلك في الآية نفسها، أو في مجموعة من الآيات، ومن أمثلة ذلك ما جاء عن مجاهد ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[١]، قال: ابتلي بالآيات التي بعدها ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[٢]، وجاء عنه في رواية أخرى أنه قال: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾، قال الله لإبراهيم: إني مُبتليك بأمرٍ، فما هو؟ قال: تجعلني للناس إمامًا! قال: نعم. قال: ومن ذُريتي. قال: لا ينال عهدي الظالمين. قال: تجعل البيت مثابة للناس. قال: نعم. [قال]: وأمنًا. قال: نعم. [قال]: وتجعلنا مسلمين لك ومن ذُريتنا أمة مسلمة لك. قال: نعم. [قال]: وتُرينا مناسكنا وتتوب علينا. قال: نعم. قال: وتجعل هذا البلد آمنا. قال: نعم. قال: وترزق أهله من الثمرات من آمن منهم. قال: نعم[٣].

وجاء عن الربيع بن أنس في الآية نفسها أنه قال: فالكلمات: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾[٤]، وقوله: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾[٥] وقوله: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾[٥]، وقوله: ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾[٦] الآية، قال: فذلك كله من الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم[٧].

---

(١) سورة البقرة: آية (١٢٤).
(٢) تفسير الطبري (٣/ ١١) ١٩٢، وزاد المسير (١/ ١٤٠)، وفتح القدير (١/ ١٣٧، ١٣٩).
(٣) تفسير الطبري (٣/ ١١) ١٩١٧، ١٩١٨، ١٩١٩.
(٤) سورة البقرة: آية (١٢٤).
(٥) سورة البقرة: آية (١٢٥).
(٦) سورة البقرة: آية (١٢٧).
(٧) تفسير الطبري (٣/ ١١) ١٩٢٢، وفتح القدير (١/ ١٣٧).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾[١]، قال مجاهد، وقتادة، والحسن: مقام إبراهيم من الآيات البينات[٢]، أي ما ذُكر في سياق الآية.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾[٣]، قال مجاهد في تفسيرها: هي ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٥] فسَّر مجاهد هذا الذي غرهم بما قيل في الآية نفسها فقال: غرهم قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾[٦]، وبنحوه روي عن قتادة، والربيع في مثل ذلك[٧].

٤ ـ بيان المجمل:

وفي هذا الطريق يقوم المفسِّر بالنظر في آيات القرآن التي فيها إجمال. وينظر في الآيات الأخرى التي يمكن أن تكون بيانًا لهذا الإجمال.

وهذا نوع واسع يشمل عدة أساليب، وأحاول هنا أن أبرز أهم هذه الأساليب.

أ ـ التفسير بالمثال:

أي تفسير الموضوع بإحدى صوره، وهذا من صور اختلاف التنوع[٨]، إلا أن المراد

---

(١) سورة آل عمران: آية (٩٧).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٢٧) ٧٤٤٩، ٧٤٥٠، وتفسير عبد الرزاق (١/ ١٢٧)، وزاد المسير (١/ ٤٢٦)، وفتح القدير (١/ ٣٦٤).

(٣) سورة الأنعام: آية (٨٣).

(٤) سورة الأنعام: آية (٨٢)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٠٥) ١٣٥١٣.

(٥) سورة آل عمران: آية (٢٤).

(٦) سورة آل عمران: آية (٢٤). والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٢٩٣) ٦٧٨٨، ولمزيد من الأمثلة يُراجع تفسير الطبري الآثار ٢٦٨، ٢٣٥٦، ٥١٣٤، ٥٥٨٨، . . . وغيرها.

(٧) تفسير الطبري (٦/ ٢٩٣) ٦٧٨٦، ٦٧٨٧، والدر المنثور (٢/ ١٧١).

(٨) يُراجع نوع الاختلاف بين مفسري التابعين في ص (٩٤٣).

هنا ما كان منه تفسيراً للقرآن بالقرآن، ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ﴾[١]، قال مجاهد: هو كقوله: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾[٢].

فالآية الماضية لم تقيد التكذيب بنوع واحد، فأراد مجاهد أن يفسِّر هذا التكذيب بإحدى صوره الواردة في آية أخرى، وهو التكذيب بما نهى الله عنه، وهو أحد أنواع التكذيب، ولكن لشناعته اختاره مجاهد دون غيره فذكره، ثم يقاس عليه بقية ألوان التكذيب الواردة عنهم.

وعند تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾[٣].

قال مجاهد: ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن أن ينكحن أزواجهن كالعَضْل في سورة البقرة[٤].

فهنا فسَّر مجاهد عضل المرأة بإحدى صوره، وهو العضل عن نكاح الأزواج للآية الأخرى.

ب ـ حمل المجمل على المبين:

ومن ذلك ما ورد عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾[٥] قال: من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم ما ذكر حتى يتم خلقه[٦].

(١) سورة الأعراف: آية (١٠١).
(٢) سورة الأنعام: آية (٢٨)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٩) ١٤٩٠٤.
(٣) سورة النساء: آية (١٩).
(٤) أي قوله سبحانه: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ سورة البقرة (٢٣٢)، والأثر عن مجاهد أخرجه الطبري في تفسيره: (٨/ ١١٢) ٨٨٩٠.
(٥) سورة نوح: آية (١٤).
(٦) تفسير الطبري (٢٩/ ٩٦)، والدر المنثور (٨/ ٢٩١).

فأشار ـ رحمه الله ـ بقوله إلى الآيات التي فيها ذكر ذلك [١] .

ونحو ذلك جاء عن قتادة وختمه بقول الله: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[٢] .

ومن ذلك ما جاء عن الحسن، وقتادة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ ﴾[٣] . قالا: يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون[٤] .

ومن ذلك ما جاء عن عكرمة عندما بين المجمل في الأجر في قوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ﴾[٥] ، قال: إن الله فضله بالخلة حين اتخذه خليلاً، فسأل الله فقال: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾[٦] حتى لا تكذبني الأمم، فأعطاه الله ذلك، فإن اليهود آمنت بموسى، وكفرت بعيسى، وإن النصارى آمنت بعيسى، وكفرت بمحمد ﷺ، وكلهم يتولى إبراهيم، قالت اليهود: هو خليل الله وهو منا، فقطع الله ولايتهم منه بعدما أقروا له بالنبوة، وآمنوا به، فقال: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٧] ، ثم ألحق ولايته بكم، فقال: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٨] ، فهذا أجره

---

(١) نحو قوله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ ﴾ سورة الحج: الآية (٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٩/ ٩٦)، أشار قتادة إلى قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ من سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ سورة المؤمنون: من آية (١٢ ـ ١٤).

(٣) سورة آل عمران: آية (١١٢).

(٤) إشارة لقوله سبحانه: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ سورة التوبة: آية (٢٩)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ١٣٧) ١٠٨٨.

(٥) سورة العنكبوت: آية (٢٧).

(٦) سورة الشعراء: آية (٨٤).

(٧) سورة آل عمران: آية (٦٧).

(٨) سورة آل عمران: آية (٦٨).

الذي عجل له، وهي الحسنة، إذ يقول: ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾[١]، وهو اللسان الصدق الذي سأل ربه له[٢].

جـ ـ إرجاع الشيء إلى قاعدته العامة وأصله الكلي :

من أمثلة بيان المجمل أن يتكلم المفسِّر منهم على آية، فيبين أنها تفسير وبيان لإجمال آية أخرى.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾[٣] قال مجاهد: هي مفاتح الغيب التي قال الله عنها: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾[٤].

ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾[٥].

قال مجاهد: إذا تولى سعى في الأرض بالعدوان والظلم، فيحبس الله بذلك القطر، فيهلك الحرث، والنسل، والله لا يحب الفساد، ثم قرأ مجاهد: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٦].

٥ ـ تفسير العام بالخاص :

وفي هذا الطريق يعمد المفسِّر منهم إلى آية ظاهرها العموم فيحملها على معنى آية أخرى ذكرت فرداً من أفراد العموم.

---

(١) سورة النحل: آية (١٢٢).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٨٦)، وينظر عن عكرمة في هذا الباب أيضًا تفسير الطبري (٩/ ٢١٦) ١٠٤٥٥.

(٣) سورة لقمان: آية (٣٤).

(٤) سورة الأنعام: آية (٥٩)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٨٨).

(٥) سورة البقرة: آية (٢٠٥).

(٦) سورة الروم آية (٤١)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٢٤٠) ٣٩٨٥، (٢١/ ٤٩).

ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[١]، فهذه الآية لم تحدد ما الذي ينفق، وإنما عممت بالاسم الموصول (ما)[٢]، فلما فسرها مجاهد قال: وهي مثل قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٣] الآية، ومثل قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾[٤].

فذكر أفرادًا من العموم، وهي الإطعام، وما يؤثر به الغير، وقريب من ذلك ما ذكره مجاهد أيضًا في تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[٥]، قال: هي كالتي في النساء ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾، في جزائه[٦].

ففي الآية الأولى جاءت كلمة (نفس) نكرة في سياق الشرط فأفادت العموم، ورأى مجاهد تخصيصها بالمؤمن[٧].

ومثال آخر في تفسير قوله عز وجل: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[٨] قال الحسن: الكافر ثم قرأ: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[٩] قال: من الكفار[١٠].

---

(١) سورة آل عمران: آية (٩٢).

(٢) (ما) من صيغ العموم على الراجح عند الأصوليين، يُراجع شرح الكوكب المنير (٣/ ١٢٠).

(٣) سورة الإنسان: آية (٨).

(٤) سورة الحشر: آية (٩)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٥٨٨) ٧٣٩٢، ٧٣٩٣.

(٥) سورة المائدة: آية (٣٢).

(٦) سورة النساء: آية (٩٣).

(٧) تفسير الطبري (١٠/ ٢٣٦) ١١٧٨٤، ١١٧٨٥، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، عن مجاهد بنحوه (١/ ٦٤)، ويُراجع في كون النكرة في سياق الشرط من صيغ العموم: شرح الكوكب المنير (٣/ ١٤٠).

(٨) سورة النساء: آية (١٢٣).

(٩) سورة سبأ: آية (١٧).

(١٠) تفسير الطبري (٩/ ٢٣٧) ١٠٥١١، ١٠٥١٢، وزاد المسير (٢/ ٢١٠)، والدر (٢/ ٧٠٣).

وفي رواية عنه قال: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾، يعني بذلك الكفار، لا يعني بذلك أهل الصلاة[١].

فالآية الأولى جاء فيها العموم في لفظة (من) ليعم المؤمن والكافر، فجاء الحسن فبين أنها خاصة بالكافر مستدلاً بأسلوب الحصر في الآية الثانية، وهذا متوافق مع منهجه الوعظي المشار إليه سابقًا[٢].

وأصرح من ذلك ما جاء عنه أيضًا في تفسير الآية نفسها أنه قال: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾[٣]، إنما ذلك لمن أراد الله هوانه، فأما من أراد كرامته، فإنه من أهل الجنة، ﴿وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[٤].

٦ ـ التفسير باللازم:

المراد بالتفسير باللازم أن المفسِّر لا يذكر صراحة تفسيراً للآية التي هو بصددها، بل يذكر شيئًا من لوازم ذلك، ويربطه بآية أخرى، فمن ذلك ما جاء عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٥]، فقد قال: لو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب، ألم تسمع: ﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[٦].

فقد لاحظ سعيد ـ رحمه الله ـ أنه يلزم من قول يعقوب عليه السلام ﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أنه لم يكن يعرف ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، وإلا لقالها، بدلاً من تأسفه على ذهاب يوسف.

---

(١) المرجع السابق (٩/ ٢٣٨) ١٠٥١٣.
(٢) يُنظر ترجمة الحسن ص (٢١٢).
(٣) سورة النساء: آية (١٢٣).
(٤) سورة الأحقاف: آية (١٦)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ٢٣٨) ١٠٥١٦.
(٥) سورة البقرة: آية (١٥٦).
(٦) سورة يوسف: آية (٨٤)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٢٢٤) ٢٣٣١، وابن الجوزي في الزاد (١/ ١٦٢)، والسيوطي في الدر (١/ ٣٧٧).

ومن ذلك أيضًا ما جاء في تفسير قوله جل وعلا: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾[١] ، فقد قال مجاهد عنها: إنها كقوله: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾[٢] زرقًا سود الوجوه، والملائكة لا تسأل عنهم قد عرفتهم[٣] .

فبين مجاهد أنه يلزم من عدم سؤال المجرمين عن ذنوبهم أن يكونوا معلمين بعلامة كي لا تحتاج الملائكة أن تسأل عنهم.

وقريب منه ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾[٤] ، قال قتادة: وهذه من مقاديم الكلام، يقول: لولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لكان لزامًا، والأجل المسمى: الساعة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[٥] .

فهنا لاحظ قتادة أنه لا تكون الآية لولا كلمة من الله لكان لهم أجل يرجعون فيه؛ لأن ذلك يخالف ما ثبت في الآية الأخرى من ضرب الموعد لهم ، فيلزم من ذلك أن تكون الآية الأولى من باب التقديم والتأخير.

٧ ـ توضيح المبهم :

ومن طرق التفسير التي اتبعها التابعون ـ أيضًا ـ إيضاح مبهم آية بآية أخرى لإزالة الإبهام .

فمن ذلك ما جاء عن مجاهد في تفسير سورة (براءة) عند قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ

---

(١) سورة القصص : آية (٧٨).

(٢) سورة الرحمن: آية (٤١).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ١١٤)، وزاد المسير (٦/ ٢٤٣)، وفتح القدير (٤/ ١٨٧).

(٤) سورة طه: آية (١٢٩).

(٥) سورة القمر: آية (٤٦)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٣٢)، وأورده السيوطي في الدر وعزاه لابن أبي حاتم عن قتادة بلفظ مقارب (٥/ ٦١٠).

مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ ﴾[١] ، قال: ﴿ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾[٢] هم الذين أرجئوا في أوسط براءة، هلال بن أمية، ومرارة بن ربيع ، وكعب بن مالك[٣] . فأزال مجاهد الإبهام الحاصل في كلمة (آخرون) بأن وضح المراد منهم، وأنهم الثلاثة الذين تخلفوا في غزوة تبوك.

ومثل ذلك: ما ورد عنه أيضًا عند تفسير قوله تعالى: ﴿ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ ﴾ ، قال: فذلك قوله: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾[٤]، والآخرة ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾[٥].

فوضح ـ رحمه الله ـ الإبهام في (الآخرة) و(الأولى) بأنهما كلمتان قالهما فرعون وبينهما من الآيات الأخرى.

ولما أراد عكرمة أن يرفع الإبهام الواقع في لفظة (الحين) استدل بالآية التي تبين أن المراد منه سنة.

فعنه أنه قال: أرسل إلي عمر بن عبد العزيز ، فقال : يا مولى ابن عباس: إني حلفت ألا أفعل كذا وكذا حينًا، فما الحين الذي تعرف به؟ قلت: إن من الحين حينًا لا يدرك، ومن الحين حينٌ يدرك، فأما الحين الذي لا يُدرك فقول الله: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾[٦] ، والله ما يدري كم أتى له إلى أن

---

(١) سورة التوبة: آية (١٠٦).

(٢) سورة التوبة: آية (١١٨).

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٥٤٥) ١٧٤٣٦، ١٧٤٣٧، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٨٧)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن مجاهد بنحوه (٤/ ٢٨٤).

(٤) سورة القصص: آية (٣٨).

(٥) سورة النازعات: آية (٢٥)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٤١).
ومما جاء عنهم في ذلك ما ورد عن سعيد بن جبير في الأثر: ١٣٨٠٠، وعن عطاء في الأثر: ١٤٤٢.

(٦) سورة الإنسان: آية (١).

خلق، وأما الذي يدرك فقوله: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[١]، فهو ما بين العام إلى العام المقبل، فقال: أصبت يا مولى ابن عباس، ما أحسن ما قلت[٢]. وفي أثر آخر أنه استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[٣].

٨ ـ بيان معنى (لفظ)، أو إيضاح مشكلة:

وقد كثر هذا النوع في تفسير التابعين، فصاروا يتناولون آيات القرآن بالتفسير بآيات أخرى تبين هذا المعنى، وتلكم الألفاظ.

فقد جاء عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾[٤]، قال: رفع بناءها بغير عمد[٥].

إشارة منه إلى مثل قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[٦].

ولما فسر كذلك قوله تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾[٧]، قال: بجبار[٨].

إشارة أيضًا إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾[٩].

ولما أراد الحسن أن يفسِّر قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾[١٠]، قال: هما

(١) سورة إبراهيم: آية (٢٥).
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٥٨١) ٢٠٧٣١.
(٣) سورة يوسف: آية (٣٥)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٧٩) ٢٠٧٢٦.
(٤) سورة النازعات: آية (٢٨).
(٥) تفسير الطبري (٣٠/ ٤٣)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد به (٨/ ٤١١).
(٦) سورة لقمان: آية (١٠).
(٧) سورة الغاشية: آية (٢٢).
(٨) تفسير الطبري (٣٠/ ١٦٦)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد به (٨/ ٤٩٥).
(٩) سورة (ق): آية (٤٥).
(١٠) سورة النازعات: آية (٦).

النفختان، أما الأولى فتميت الأحياء، وأما الثانية فتحيي الموتى، ثم تلا الحسن: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[١].

ومن ذلك أيضًا ما ورد عن قتادة في ذلك وهو كثير، فمنه تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾[٢]، قال: جعل ﴿ السَّمَاءَ سَقْفًا ﴾[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا ﴾[٤]، فسرها بقوله: ﴿ مِهَادًا ﴾[٥] إشارة للآية الأخرى، ويلاحظ أنه تكرر ذلك عند قوله سبحانه: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ﴾[٦]، فسرها قتادة بقوله: ﴿ بِسَاطًا ﴾[٧].

والأمثلة كثيرة على تفسير التابعين للقرآن بالقرآن، ولعل في هذا القدر كفاية، بها يتضح منهجهم، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) سورة الزمر: آية (٦٨)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٣١).
(٢) سورة البقرة: آية (٢٢).
(٣) سورة الأنبياء: آية (٣٢)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٣٦٧) ٤٧٩.
(٤) سورة البقرة: آية (٢٢).
(٥) تفسير الطبري (١/ ٣٦٥) ٤٧٦.
(٦) سورة النبأ: آية (٦).
(٧) سورة نوح: آية (١٩)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٣)، وزاد المسير (٩/ ٥)، ولمزيد من الأمثلة عن قتادة يراجع تفسير الطبري الآثار: (١٤/ ١١٩)، (١٥/ ١٢٠)، (١٦/ ١)، (١٦/ ١٠٦)، (٣٠/ ٤٧)، (٣٠/ ١١٤).

المبحث الثاني

السنة النبوية

لا شك أن السنة مبينة للقرآن موضحة له، يقول الشاطبي: وهي راجعة في معناها إلى الكتاب، فهي تفصيل مجمله، وبيان مشكله، وبسط مختصره[١].

وذلك لأن النبي ﷺ هو أعلم بكلام الله، وأكثر قدرة على فهم نصوص الآيات من غيره، مع ما أوحاه الله تعالى من المعاني فهو ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[٢].

وجاء في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»[٣].

والمراد بذلك ما سنه للناس، وبينه مما أعطاه الله، وقد يكون ذلك أيضًا من اجتهاده ﷺ في فهم نصوص القرآن، فإنه كان يجتهد ويوفَّق ﷺ.

ولأجل ذلك كله برزت السنة بوصفها مصدرًا من مصادر التفسير.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك أن يفسَّر القرآن بالقرآن . . . -إلى أن يقول- فإن أعياك ذلك

(١) الموافقات (٤/ ١٢).

(٢) سورة النجم: آية (٣).

(٣) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤/ ٢٠٠) ٤٦٠٤، وأورده التبريزي في المشكاة، وعزاه إلى أبي داود والدارمي وابن ماجه، ينظر مشكاة المصابيح (١/ ٥٧) ١٦٣، وكتاب الإيمان لابن تيمية (٣٧).

فعليك بالسنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

وقال ـ رحمه الله ـ أيضًا في موضع آخر: يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يتناول هذا وهذا، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن، والعلم، والعمل جميعًا[4].

وقد اتفق العلماء على أن الأخذ بالسنة واجب، والعمل بها حتم وتحكيمها فرض، بل جاء عن مكحول التابعي أنه قال: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن[5].

وجاء عن يحيى بن أبي كثير أن السنة قاضية على الكتاب، وليس الكتاب بقاض

---

(١) سورة النساء: آية (١٠٥).
(٢) سورة النحل: آية (٤٤).
(٣) سورة النحل: آية (٦٤)، ويُنظر مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٣).
(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٣١).
(٥) تفسير القرطبي (١/ ٣٠).

على السنة[١] .

والمراد أنه لا يمكن لأحد أن يكتفي بالقرآن عن السنة، في حين أن من لم يبلغه كثير من أحكام القرآن فإنه يمكن أن يعبد الله بما شرعه له نبيه ﷺ، فهو لم يقل ما قال، ولم يذكر ما ذكر، إلا بفهم لكتاب الله واتباع له.

وأما طرق بيان القرآن بالسنة، فقد ذكر الإمام الشافعي جملة من الأمثلة الواردة في الكتاب[٢]، والتي جاءت السنة ببيانها على أكمل وجه، وقد جمع الشيخ أبو زهرة هذه الأمثلة، وقسمها إلى ثلاث طوائف هي[٣] :

أولاً: أن يكون الكلام محتملاً احتمالين، فتعين السنة أحدهما، ومن ذلك قوله تعالى في شأن المطلقة طلقة ثالثة: ﴿**فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ**﴾[٤]، فاحتمل ذلك أن يتزوجها غيره ولو لم يدخل بها، وأن عقد النكاح كاف لإحلالها للأول، واحتمل ألا يحلها حتى يدخل بها، لأن اسم النكاح يقع بالإصابة، ويقع بالعقد، فلما قال رسول الله ﷺ : «**لا تحل لك حتى تذوق العُسيلة**»[٥]، تعين أن الإحلال لا يكون إلا بنكاح حصل فيه دخول.

ثانيًا: يكون القرآن مجملاً فيذكر النبي ﷺ المفصل، وكذلك شأن أكثر الفرائض،

---

(١) المرجع السابق (١/ ٣٠)، ولما سئل الإمام أحمد عن هذا القول، قال: ما أجسر على هذا أن أقوله، ولكني أقول: إن السنة تفسر الكتاب وتبينه، ينظر تفسير القرطبي (١/ ٣٠).

(٢) الرسالة (٦٤).

(٣) ابن حنبل لأبي زهرة (٢٢٥).

(٤) سورة البقرة: آية (٢٣٠).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب شهادة المختبئ، ينظر الفتح (٥/ ٢٤٩) ٢٦٣٩، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا تحل المطلقة ثلاثًا لمطلقها حتى تنكح زوجًا غيره (١/ ١١١) ١٤٣٣، وأبو داود في سننه، كتاب الطلاق، باب المبتوتة (٢/ ٧٣١) ٢٣٠٩.

فالصلاة مفروضة في القرآن إجمالاً في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾[1] والزكاة مفروضة إجمالاً في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[2]، وكذلك الحج، وهكذا. ولقد بين رسول الله ﷺ عدد الصلوات، وكيف تكون في السفر، وفي الحضر. وكذلك الزكاة، قد بينت السنة المقادير الواجبة في كل نوع من أنواع الأموال، وشروط هذا الوجوب، وبينت السنة مناسك الحج ومواقيته، وما يتبع ذلك، فكانت السنة في هذا تفسيراً للقرآن.

ثالثًا: بيان الخصوص في العام، فإذا كان لفظ القرآن عامًا، وجاء من السنة ما يدل على خصوصه؛ كان ذلك الخصوص تفسيراً له، وبيان أنه أريد به الخاص، ومن عام القرآن الذي أريد به الخاص، ودلت السنة على ذلك التخصيص قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ﴾[3]، فهذه الآية الكريمة بعمومها تفيد أن من يسرق شيئًا تقطع يده، سواء أكان قليلاً أم كثيراً، ومهما يكن نوع المسروق، ولكن سن رسول الله ﷺ أن لا قطع في ثمر ولا كثر[4]، وألا يقطع إلا من بلغت سرقته ربع دينار فصاعدًا، فكان لفظ القرآن عامًا، وظاهره الدلالة على العموم، وأريد الخصوص بتخصيص السنة وهو أنه لا قطع إلا من سرقة محرز، وبلغت سرقته ربع دينار.

---

(١) سورة النساء: آية (١٠٣).

(٢) سورة التوبة: آية (١٠٣).

(٣) سورة المائدة (٣٨).

(٤) رواه مالك في الموطأ، كتاب الحدود، باب مالا قطع فيه (٢/ ٨٣٩) ٣٢، وأحمد في مسنده (٤/ ١٤٠)، والدارمي في سننه (٢/ ١٧٤)، والنسائي في سننه، كتاب قطع السارق، باب ما لا قطع فيه (٨/ ٨٦)، وابن ماجه في سننه، كتاب الحدود، باب لا يقطع في ثمر ولا كثر (٢/ ٨٦٥) ٢٥٩٤.

ومن العام الذي جاء في القرآن وأريد به الخاص آية المواريث، فقد قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[1].

وهذه الآيات بظاهر عمومها تفيد أن الوصية مقدمة على الميراث أيًا كان مقدارها، فجاءت السنة، وبينت أن الوصية المقدمة على الميراث هي الوصية التي لا تزيد عن الثلث، فكانت الآيات بذلك مخصصة أريد بها كلها الخاص، وإن كان اللفظ عامًا[2].

أسباب قلة المروي عنهم في هذا الباب عمومًا:

ومع وجود أبواب التفسير في كتب السنة، ككتاب التفسير في صحيحي البخاري ومسلم، وما في بقية كتب السنة، إلا أن المنقول عن النبي ﷺ في هذا الباب يعدُّ قليلاً بالنسبة لما نقل عنه ﷺ من بيان الحلال والحرام، والمنقول في كتب التفسير أقل من ذلك.

بل قد قال الإمام أحمد: ثلاثة أمور ليس لها إسناد: التفسير، والملاحم، والمغازي، ويروى ليس لها أصل، أي إسناد[3].

---

(١) سورة النساء: آية (١٢).

(٢) ابن حنبل، لأبي زهرة (٢٢٦).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٣٦).

والمقصود بذلك هو التفسير النبوي، وتفسير الصحابة لقلة المروي فيه، لا التفسير المنقول عن التابعين، فإنه كثير وأسانيده مستقيمة، ويعتمد أحمد ـ رحمه الله ـ عليه كثيراً[١].

أما المنقول من التفسير النبوي في كتب التفسير فالغالب عليه المراسيل[٢] (بلغني، ذُكر لنا، حُدِّثنا. . .) وما أشبه هذه الصيغ، بل كثير من تفسير التابعين المعتمد فيه على السنة قد نقل بهذه الطريقة أي دون ذكر الإسناد المُتصل، ولعل السر في ذلك أنها من المنقولات التي لا يحتاج إليها في الدين حاجة ماسة، وإنما جاءت في باب الفضائل، على أن الكثير منها قد تعددت طرقه، وخلت عن المواطأة فهي صحيحة بهذا الاعتبار[٣].

اختلاف التابعين في الاعتماد على هذا المصدر:

لقد اختلف المنقول عن التابعين في هذا الباب، فمن مقل ومن مكثر نسبيًا، كما اختلفت طريقتهم في رفع الحديث للنبي إرسالاً ووصلاً، كما وقع الاختلاف في نوعية الآيات التي يتناولون تفسيرها معتمدين على السنة، هل هي من آيات الوعظ أو الأحكام؟ أو غير ذلك.

ولعلي أبرز فيما يلي هذا الاختلاف مبينًا وجهه وأسبابه، وذلك بالنسبة للمدارس أو أئمتها.

تعد المدرسة المدنية من أكثر المدارس عناية بالسنة رواية في المقام الأول ثم دراية، إلا أن المنقول عنهم في هذا الباب حفلت به كتب السنة أكثر مما حفلت به كتب التفسير،

---

(١) وسوف يأتي تفصيل ذلك في مبحث قيمة المروي عنهم رواية، ص (٩١٧).
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٣٦).
(٣) أشار إلى هذا المعنى شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٤٦، ٣٤٧).

وأكثره من الموصولات المسندات، وأما المدرسة التي كثر النقل عنها في كتب التفسير مما اعتمدت فيه على مصدر السنة فهي المدرسة البصرية، فكان إماما البصرة (الحسن وقتادة) يكثران من ذلك[١]، إلا أن أكثر ما يورداته في هذا الباب يكون بأداء الإرسال لا الوصل، وكثير منه فيما يتعلق بالوعظ، ولعل السبب في ذلك هو ميل هذه المدرسة للمنهج الوعظي - كما سبق تقريره[٢] - وهو منهج يهتم بالمعنى أكثر من اهتمامه بالطريق الموصلة له.

بل من الملاحظ أن هذه المدرسة - وهي مقلة في جانب الإسرائيليات جداً - إذا جاء الأثر عن النبي ﷺ فيما توافق مع الإسرائيليات فإنهم يحدثون به وربما يطيلون في ذلك[٣].

أما المدرسة الكوفية: فقد غلب عليها جانب الورع في هذا الباب فقلت رواياتها عن النبي ﷺ في التفسير[٤]، ولعل ذلك يرجع إلى: تشددها في قبول الأخبار، وتحذير ابن مسعود رضي الله عنه من التوسع في الحديث، والتفسير بغير علم[٥]، وبعض التفسير بالسنة يدخله الاجتهاد في أن هذه الآية تفسر بهذا الحديث، أو ذاك.

وأما المدرسة المكية: فقد قلّ نتاجها في هذا الباب مع تقدمها في باب الاجتهاد، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى توسع بعض أئمتها في تفسير القرآن بالقرآن كمجاهد، كما أن مما أعانهم أخذهم لكثير من التفسير عن ابن عباس، مما جعلهم لا يتوسعون في

---

(١) بلغ عدد الروايات التي اعتمد فيها التابعون ما جاء عن النبي ﷺ (٣٩٢) رواية منها (٢٨٧) رواية عن المدرسة البصرية أي ما نسبة (٧٣, ٠) من مجموع المروي جاء عن البصريين، في حين كانت نسبة المروي عن المكيين لم يزد عن (١٦, ٠)، وعن الكوفيين (٠٦, ٠) فقط.

(٢) وقد سبق بيان ذلك في أسباب كثرة المروي عن المدرسة البصرية، ص (٤٤٨)، وعند الحديث عن ترجمة الحسن وقتادة، ص (٢١٢)، (٢٦٣).

(٣) ويأتي تفصيل ذلك في مبحث منهجهم في الرواية عن بني إسرائيل ص (٨٧٥).

(٤) سبق بيان ذلك في مبحث أسباب قلة المروي عنها، ص (٤٩٢).

(٥) وقد سبق تفصيل ذلك في مبحث المدرسة الكوفية في ترجمة ابن مسعود، ص (٤٦٢).

التفسير بالمصدر الثاني وهو السنة .

ويمكن رد أسباب اختلاف كثرة المروي أو قلته عن التابعين إجمالاً إلى ما يلي :

١ ـ الموهبة الفطرية :

يبرز في هذا الجانب قتادة ؛ إذ يعتبر من أكثر التابعين تفسيراً للقرآن بالسنة[١] ، وذلك لما وهبه الله تعالى من الحافظة القوية ، والشغف العظيم بالسنة ، فجاء تفسيره حافلاً بالنصوص الحديثية التي تنوعت فشملت معرفة لأسباب النزول ، والمكي والمدني ، وغيرها من علوم القرآن المحتاجة إلى الحفظ ، والرواية .

٢ ـ الورع والاحتياط :

وهذا سبب أثر على تفسير التابعين بهذا المصدر ، فقلت المرويات في التفسير بالسنة ، وكثر في المقابل منقولهم عن أقرانهم ، فالنقل عن علقمة وإبراهيم أبعد عن الخلل ، وأقرب للسلامة من النقل عن رسول الله ﷺ خشية الخطأ في حديث رسول الله ﷺ .

وبرزت مدرسة الكوفة في ذلك ، فكان الشعبي ، وابن سيرين يتشددان في الرواية[٢] ، بل وربما أنكر الشعبي على الحسن توسعه في رواية السنن والأحاديث[٣] .

ونجد إبراهيم يميل لإعمال الرأي والعقل مع أنه صير في الحديث ؛ هيبة من وقوع الخطأ في الحديث النبوي ، فيقع تحت طائلة الوعيد على من كذب على رسول الله ﷺ .

ونتج عن تلك الحيطة والحذر الشديدين في الكوفة أن كانت مراسيلها من أصح

---

(١) حيث بلغ مجموع ما روي عنه (٢٠٠) رواية اعتمد فيها الحديث النبوي ، أي : ما نسبته (٥١ , ٠) من مجموع ما روي عن التابعين كان كله من رواية قتادة .

(٢) كما سبق بيانه في ترجمتهما .

(٣) العلل لأحمد (٣/ ٣٦٧) ٥٦١٤ .

المراسيل، في حين كانت مراسيل البصرة من أضعفها[١] .

٣ ـ قلة السماع :

وهو سبب آخر في قلة المروي عن رسول الله ﷺ في التفسير، قال حماد: ما كان بالكوفة أوحش ردًا للآثار من إبراهيم؛ لقلة ما سمع[٢] .

بقي أن يقال: إن ابن جبير، وعطاء، ورد عنهما شيء من الاعتماد على السنة في تفسيرهم، إلا أن غالبه كان في آيات الأحكام، وهو متوافق مع منهجهم الذي سبق الكلام عنه[٣] ، أما عكرمة فقد كان من المقلين في هذا الباب.

منزلة هذا المصدر عند التابعين :

فمع اختلاف التابعين في تناولهم لهذا المصدر، فكان منهم المقل، وكان منهم المكثر، فإنه مما ينبغي التنبيه عليه أن عامة ذلك الاختلاف كان في تفسير القرآن بالسنة على وجه الاجتهاد، أي أن يكون للرأي مدخل في أن هذا الحديث يفسِّر تلك الآية، أما إن كان الحديث نصًا صريحًا في تفسير الآية، فإن التابعين لا يخالفونه، ولا يتعدونه، فلا قول لأحد مع رسول الله ﷺ؛ ولذلك كان بعضهم يسأل بعضًا في تفسيره (أرأى، أم علم)[٤] .

وكثرت عنهم كذلك النقول التي تدل على شدة متابعتهم للسنة، قال ربيعة للزهري: إذا سُئلت عن مسألة فكيف تصنع؟ قال: أحدث فيها بما جاء عن النبي ﷺ،

---

(١) يُراجع في ذلك: الميزان (٣/ ٧٠)، والتهذيب (٧/ ٢١٢)، وتاريخ دمشق (١١/ ٦٤٩)، والعقد الثمين (٦/ ٨٥)، وقواعد في علوم الحديث للتهانوي (١٥٦)، وبحر الدم (٦٤)، والسنن الكبرى (٦/ ١٣٧)، والمعرفة (٣/ ٢٣٩).

(٢) تاريخ الإسلام (ح ٩٦ هـ/ ٢٨٣)، والميزان (١/ ٧٥).

(٣) ينظر ترجمة سعيد بن جبير ص (١٤٤)، وعطاء بن أبي رباح ص (١٨٩).

(٤) مصنف عبد الرزاق (٣/ ٩)، والمحلى (٧/ ١٦٠، ٢٥٨)، (٨/ ٢٩٨).

فإن لم يكن عن النبي ﷺ فعن أصحابه، فإن لم يكن عن أصحابه اجتهدت رأيي[١].

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾[٢]، قال ابن شهاب: لم نسمع في هذه الآية عن رسول الله ﷺ، ولا عن أئمة العامة سنة أذكرها، وقد كنا نتذاكرها أناسًا من علمائنا أحيانًا، فلا يذكرون فيها سنة معلومة، ولا قضاءً من إمام عادل، ولكنه يختلف فيها رأيهم[٣].

فقد بين الزهري بذلك منهجًا عامًا للتابعين في تقديم السنة على ما سواها، وليس هذا مما انفرد به الزهري، فهذا عطاء قال: كُنَّا قبل أن نسمع هذا الحديث نقول في من أحرم، وعليه قميص أو جُبة، فلْيَخْرِقْها عنه، فلما بلغنا هذا الحديث - يعني حديث يعلى بن أمية[٤] - أخذنا به وتركنا ما كنا نفتي به قبل ذلك[٥].

وبلغ من حرصهم على الاعتماد على هذا المصدر أن الحسن مثلاً يتشدد في رواية الإسرائيليات، وقلَّ أن يقبل شيئًا منها أو يرويه، لكن تلك الرواية مؤيدة بحديث مرفوع عن النبي ﷺ تساهل في روايتها، وسيأتي مزيد بيان لذلك[٦].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٧٥).

(٢) سورة المائدة: آية (١٠٦).

(٣) تفسير الطبري (١١/ ١٦٨) ١٢٩٤٠، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن شهاب به (٣/ ٢٢٤).

(٤) حديث يعلى بن أمية أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة، بعدما متمضِّخٌ بطيب؟ فنظر إليه النبي ﷺ ساعة، ثم سكت، فجاءه الوحي، فقال له النبي ﷺ: «أما الطيب الذي بك فاغسله، وأما الجبة فانزعها»، والحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب الحج، باب ما يفعل في العمرة ما يفعل في الحج (٣/ ٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب ما يباح للمحرم لحج، أو عمرة (٢/ ٨٣٦)، وأبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب الرجل يحرم في ثيابه (١/ ٤٢٢).

(٥) المغني (٥/ ١٠٩)، وآداب الشافعي للرازي (٢٠٦).

(٦) في مبحث منهجهم في رواية الإسرائيليات، ص (٨٧٥).

ومما يدل على عظيم احتفائهم وعنايتهم بالمروي عنه ﷺ أنه قل أن نجدهم يخالفون ما صح عنه ﷺ من تفسيره، وفيما يلي بعض الأمثلة الدالة على ذلك :

فمن هذا ما جاء عنه ﷺ في تفسير قوله تعالى : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[١] ، قال ﷺ : «**اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضلال**»[٢] .

وبذلك فسرها : مجاهد[٣] ، وسعيد بن جبير[٤] ، وغيرهما .

قال ابن أبي حاتم : لا أعلم خلافًا بين المفسرين في تفسير «**المغضوب عليهم**» باليهود، و«**الضالين**» بالنصارى[٥] .

ومنه أيضًا ما صح عنه ﷺ في بيان قوله تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[٦] ، قال ﷺ : «**هو سواد الليل وبياض النهار**»[٧] ، ولم يخالف في ذلك أحد من التابعين، وبه قال : الحسن[٨] ، والسدي[٩] ، وقتادة[١٠] .

---

(١) سورة الفاتحة : آية (٦) .

(٢) سنن الترمذي كتاب التفسير، باب ومن سورة فاتحة الكتاب (٥/ ٩٢٠٤)، ومسند أحمد (٤/ ٣٧٨)، وموارد الظمآن في زوائد ابن حبان (٢٢٤)، وتفسير الطبري (١/ ١٨٥ ـ ١٩٥) .

(٣) تفسير الطبري (١/ ١٨٨) ٢٠٢، والدر المنثور (١/ ٤١)، وفتح القدير (١/ ٢٥) .

(٤) أورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد عن سعيد به (١/ ٤١) .

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٢٢)، وفتح الباري (٨/ ١٥٩)، والدر المنثور (١/ ٤٢) .

(٦) سورة البقرة : آية (١٨٧) .

(٧) صحيح البخاري، كتاب التفسير باب «كلوا واشربوا . . .»، ينظر الفتح (٨/ ١٨٢)، وسنن الترمذي كتاب التفسير باب (ومن سورة البقرة) (٥/ ٢١١) ٢٩٧٠، ٢٩٧١، وتفسير النسائي (١/ ٢٢٢) ٤١، ٤٢، ومسند أحمد (٥/ ٢٠٧) .

(٨) تفسير الطبري (٣/ ٥١٠) ٢٩٨٢ .

(٩) تفسير الطبري (٣/ ٥١٠) ٢٩٨٣ .

(١٠) تفسير الطبري (٣/ ٥١٠) ٢٩٨٤ .

ومن ذلك ما جاء عنه عليه الصلاة والسلام في تفسير معنى الظلم الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ** ﴾[١] قال ﷺ حين شق على أصحابه فقالوا: أيُّنا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال: «**ليس بذلك، ألم تسمعوا قول لقمان: إن الشرك لظلم عظيم**»[٢].

وهذا هو المنقول عن التابعين، فقد قال به: إبراهيم النخعي[٣] وقتادة[٤]، ومجاهد[٥]، والسدي[٦]، وسعيد بن جبير[٧].

ومن ذلك ما صح عنه ﷺ في بيان الأشهر الحرم من قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ** ﴾[٨]، قال ﷺ: «**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم: ثلاث متواليات ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان**»[٩].

---

(١) سورة الأنعام: آية (٨٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب «ولم يلبسوا إيمانهم بظلم»، ينظر فتح الباري (٨/ ٢٩٤) ٤٦٢٩، وسنن الترمذي، كتاب التفسير باب «ومن سورة الأنعام» (٥/ ٤٨) ٣٠٦٧، وتفسير النسائي (١/ ٤٧٤) ١٨٦.

(٣) تفسير الطبري (١١/ ٤٩٦) ١٣٤٨٢، ١١٣٥٠٠.

(٤) تفسير الطبري (١١/ ٥٠١) ١٣٥٠١، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢١٣).

(٥) تفسير الطبري (١١/ ٥٠١) ١٣٥٠٣، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ، عن مجاهد بنحوه (٣/ ٣٠٩).

(٦) تفسير الطبري (١١/ ٥٠١) ١٣٥٠٥.

(٧) أورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، عن سعيد بنحوه (٣/ ٣٠٩).

(٨) سورة التوبة: آية (٣٦).

(٩) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب «إن عدة الشهور»، ينظر الفتح (٨/ ٣٢٤) ٤٦٦٢، وصحيح ابن حبان (٧/ ٥٨٥)، وشرح السنة للبغوي (٧/ ٢١٥).

ولم يخالف في ذلك أحد من التابعين، وبه قال السدي[١] ومجاهد[٢]، قال ابن جرير: وهو قول عامة أهل التأويل[٣].

ومن ذلك أيضًا ما صح عنه ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[٤]، قال ﷺ: «**الصلوات الخمس يغفرن ما كان بينهن**»[٥].

وفي الحديث أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دعا بماء فتوضأ، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئي هذا، ثم قال: «**من توضأ وضوئي هذا، ثم قام فصلى صلاة الظهر، غفر له ما كان بينه وبين صلاة الصبح، ثم صلى العصر، غفر له ما بينه وبين صلاة الظهر، ثم صلى المغرب، غفر له ما بينه وبين صلاة العصر، ثم صلى العشاء، غفر له ما بينه وبين صلاة المغرب، ثم لعله يبيت ليلته يتمرغ، ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح، غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء، وهن الحسنات يذهبن السيئات**»[٦].

وبه قال أهل التأويل، منهم: محمد بن كعب القرظي، ومجاهد والحسن، وسعيد ابن المسيب، وقتادة[٧].

ومنه ما جاء عنه ﷺ في تفسيره للسبع المثاني في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، قال ﷺ لأبي سعيد بن المعلى: «**ألا أعلمك أعظم سورة**

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٢٣٦) ١٦٦٩٠.
(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٢٣٦) ١٦٦٩١، والدر (٤/ ١٨٦).
(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٢٣٦).
(٤) سورة هود: آية (١١٤).
(٥) صحيح ابن حبان (٣/ ١١٦) (٤/ ٦٥)، ومسند البزاز، ينظر كشف الأستار (١/ ١٧٤)، وأورده الهيثمي في مجمع البحرين (١/ ٤١٦).
(٦) رواه أحمد في مسنده، وصحح أحمد شاكر إسناده، ينظر مسند أحمد (١/ ٥١٣) ٥١٣، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٩٧) وقال: رجاله رجال الصحيح.
(٧) تفسير الطبري (١٥/ ٥١٠) ١٨٦٥١، ١٨٦٥٣، ١٨٦٥٤، ١٨٦٥٧، زاد المسير (٤/ ١٦٨).

في القرآن قبل أن أخرج من المسجد؟ فذهب النبي ﷺ ليخرج، فذكرته، فقال: الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته»[١].

وهذا التأويل هو المروي عن أبي العالية[٢]، وسعيد بن جبير وإبراهيم، والحسن، ومجاهد، وقتادة[٣].

ومن ذلك أيضًا بيانه ﷺ لمعنى الأمة الوسط، التي وردت في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾[٤].

ففي الحديث عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** ﴾، قال: «**عدولاً**»[٥]، وبهذا التفسير قال أهل التأويل، منهم: مجاهد[٦]، وقتادة[٧]، وعطاء[٨].

ومنه أيضًا ما بينه لابن عباس بالمراد بقوله تعالى: ﴿ **وَأَدْبَارَ السُّجُودِ** ﴾[٩]، قال ﷺ لابن عباس: «**يا ابن عباس ركعتان بعد المغرب أدبار السجود**»[١٠].

---

(١) سورة الحجر: آية (٨٧)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: «ولقد آتيناك سبعًا من المثاني»، ينظر الفتح (٨/ ٣٨١)، والمستدرك (١/ ٥٣٣)، ومشكل الآثار (١/ ٤٦٧) (٢/ ٧٧)، وينظر كتاب المأثور في تفسير الفاتحة (٣٤).

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٥٥).

(٣) المرجع السابق (١٤/ ٥٦)، وزاد المسير (٤/ ٤١٣)، وفتح القدير (٣/ ١٤١).

(٤) سورة البقرة: آية (١٤٣).

(٥) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب (ومن سورة البقرة «٣») (٥/ ٢٠٧) ٢٩٦١، ومسند أحمد (٣/ ٩، ٣٢)، وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٣١٦)، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٦) تفسير الطبري (٣/ ١٤٤) ٢١٧٠، ٢١٧١، ٢١٧٧، وزاد المسير (١/ ١٥٤).

(٧) تفسير الطبري (٣/ ١٤٤) ٢١٧٢، ٢١٧٣، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٦٠).

(٨) تفسير الطبري (٣/ ١٤٥) ٢١٧٧.

(٩) سورة (ق): آية (٤٠).

(١٠) تفسير الطبري (٢٦/ ١٨١)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه للترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم وصححه، عن ابن عباس بنحوه (٧/ ١٦٠).

وهذا هو المأثور عن التابعين وبه قال مجاهد، والشعبي، وإبراهيم، والحسن، وعطاء، وقتادة[١].

ولما وردت الرواية عنه ﷺ عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[٢]، قال ابن عباس: حالاً بعد حال، قال هذا نبيكم ﷺ[٣].

وبهذا قال أهل التأويل: كعكرمة، والحسن، وسعيد، ومجاهد، وقتادة، والشعبي[٤].

مسالك التابعين في تفسيرهم للقرآن بالسنة:

لم يكن تفسير التابعين للآيات التي يتناولونها بالتفسير بالسنة محصوراً في كيفية واحدة، بل تعددت طرقهم في ذلك وتنوعت، ويمكن لدارس تفسيرهم أن يلحظ ستة طرق واضحة، سلكها التابعون في استفادتهم من السنة لتفسير القرآن، وهي:

١ ـ اعتماد الحديث الوارد في تفسير الآية صراحة، وهنا لا نجد اختلافًا يُذكر بين التابعين؛ لأن الحديث نص في تفسير الآية، ومن هذا الباب ما سبق ذكره في المبحث السابق من آيات اتفق التابعون على تفسيرها، ومن أمثلته أيضًا سوى ما ذُكر.

ما ورد عن الحسن عند تفسير قوله عز وجل: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾، قال: بلغنا أن نبي الله ﷺ قال له قائل أو رجل: يا رسول الله ما السبيل إليه؟ قال: «**من وجد زادًا وراحلة**»[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٢٦/ ١٨٠ ـ ١٨٢)، وزاد المسير (٧/ ٢٤)، والدر (٧/ ٦١١).

(٢) سورة الانشقاق: آية (١٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (لتركبن طبقًا عن طبق)، ينظر الفتح (٨/ ٦٩٨) ٤٩٤٠، وزاد المسير (٩/ ٦٧)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى البخاري عن ابن عباس (٨/ ٤٥٩).

(٤) تفسير الطبري (٣٠/ ١٢٣)، وزاد المسير (٩/ ٦٨)، والدر (٨/ ٤٦٠).

(٥) سورة آل عمران: آية (٩٧)، والحديث أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٤١، ٤٢) ٧٤٨٨، ٧٤٩٠، ينظر سنن الترمذي، كتاب المناسك (٢/ ٩٦٧) ٢٨٩٦، ومستدرك الحاكم (١/ ٤٤٢)، وسنن الدارقطني (٢/ ٢١٦)، والسنن الكبرى للبيهقي (٤/ ٣٣٠)، وأورده الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٠١) ٢١٢، والمناوي في الفتح السماوي (١/ ٣٨٢) ٢٧٧.

وعنه في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾[١]، قال: قالت عائشة: يا رسول الله ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ فأين الناس يومئذ؟ قال: «**إن هذا الشيء ما سألني عنه أحد، قال: على الصراط يا عائشة**»[٢]، وجاء مثله عن مسروق، والشعبي وقتادة مرسلاً[٣].

وعن الحسن أيضًا قال: بلغني أن رسول الله ﷺ لما قفل من غزوة العسرة، ومعه أصحابه بعدما شارف المدينة قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾، الآية، فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون أي يوم ذلكم؟** قيل: الله ورسوله أعلم، قال: **إنه لم يكن رسولان إلا كان بينهما فترة من الجاهلية، فهم أهل النار، وإنكم بين ظهراني خليقتين لا يعادّهما أحد من أهل الأرض إلا كثروهم، وهم يأجوج ومأجوج، وهم أهل النار، وتكمل العدة من المنافقين**»[٤].

ومثل هذه الأمثلة عن الحسن تؤكد ما سبق من منهجه في الإرسال، وكونه يحرص على إيراد الشواهد من تفسيره ﷺ على مواعظه وتذكيره[٥].

٢ ـ تفسير الآية بحديث يتشابه معها في بعض الألفاظ:

وهنا يربط المفسِّر بين الألفاظ التي وقعت في آية، فيرى أن الحديث يفسرها؛

---

(١) سورة إبراهيم: آية (٤٨).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٢٥٣)، وسنن الترمذي (٥/ ٢٩٦) ٣١٢١، ومسند الحميدي (١/ ١٣٢)، وصحيح ابن حبان (٩/ ٢٣٧)، والمستدرك (٢/ ٣٥٢)، وشرح السنة للبغوي (١٥/ ١٠٧ ـ ١٠٨).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٢٥٣)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٣٤٤).

(٤) سورة الحج: آية (١)، والأثر في تفسير الطبري (١٧/ ١١١)، ومسند الحميدي (٢/ ٣٦٧)، وصحيح ابن حبان (٩/ ٢٢٤)، وموارد الظمآن (٤٣٤)، ومستدرك الحاكم (٢/ ٢٣٤).

(٥) لمزيد من الأمثلة عن التابعين في هذا تراجع الآثار في تفسير الطبري ٢٠١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٥٢٦، ٨٨٠٥، ٨٨٠٨، ٩٣٧٧، ٢٧٧٣، ٧٢٦٩، ٧٢٧٠، ١٢٣٢٣، ١٧٧٠٤، ١٩٤٠٣، (٣٠/ ٣٢١) (٣٠/ ٢٠٠).

لتشابه بعض ألفاظه بألفاظ الآية، فمن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[١]، فقد أسند الحسن عن أبي موسى الأشعري قال: تعرض الناس ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه، وآخذ بشماله[٢].

وعن قتادة في الآية نفسها قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول... فذكر الحديث[٣].

فهنا ربط الحسن وقتادة، بين (العرض) في الآية، و(العرض) في الحديث، ففسرا الآية بالحديث.

وعند قوله عز وجل: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[٤]، قال الحسن: ذكر لنا أنه ليس مسلم يعتق رقبة مسلمة، إلا كانت فداءه من النار[٥].

وعن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ سئل عن الرقاب أيها أعظم أجرًا؟ قال: «أكثرها ثمنًا»[٦].

وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾[٧]،

---

(١) سورة الحاقة: آية (١٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٩/ ٥٩)، وأورده السيوطي عن أبي موسى يرفعه إلى النبي ﷺ بنحوه، وعزاه إلى أحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن ماجه، وابن أبي حاتم، وابن مردويه (٨/ ٢٧١).

(٣) تفسير الطبري (٢٩/ ٦٠)، تفسير عبد الرزاق (٣/ ٣١٤)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد عن قتادة به (٨/ ٢٧٠).

(٤) سورة البلد: آية (١٣).

(٥) تفسير الطبري (٣٠/ ٢٠٢)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، وعبد بن حميد، عن الحسن به (٨/ ٥٢٣).

(٦) تفسير الطبري (٣٠/ ٢٠٢)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير عن قتادة به (٨/ ٥٢٣).

(٧) سورة النساء: آية (٥٨).

قال: إن نبي الله ﷺ كان يقول: «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**»[١]، وجاء عن الحسن أيضًا في تفسير قوله سبحانه: ﴿**وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[٢]، قال: قال رجل للنبي ﷺ: إن في حجري يتيمًا أفأضربه؟ قال: «**فيما كنت ضاربًا منه ولدك؟** قال: أفأصيب من ماله؟ قال: **بالمعروف، غير متأثِّل مالاً**[٣]، **ولا واقٍ مالك بماله**»[٤].

فهنا لاحظ الحسن أن الآية والحديث في موضوع اليتيم، ثم لاحظ أن الآية ذكرت الأكل من مال اليتيم (بالمعروف)، وتكرر ذلك اللفظ في الحديث (بالمعروف)، فذكر الحديث تفسيراً للآية.

٣ ـ استنباط تفسير الآية من حديث يتشابه معها في موضوعها.

ويقوم المفسِّر هنا بالربط بين ما في الآية وما في الحديث، فيفسِّر الآية بالحديث اجتهادًا منه أن ذلك القول النبوي مما يدخل في تفسير هذه الآية.

فمن ذلك ما جاء في تفسير قوله سبحانه: ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ**﴾[٥]، قال الربيع: يعني وفاة المنام، رفعه الله في منامه، قال الحسن: قال رسول الله ﷺ

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٤٩٣، ٤٩٤) ٩٨٥٠، قال ابن كثير: وفي حديث الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال... وذكر الحديث، (٢/ ٢٩٨)، والحديث رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤١٤)، والدارقطني في سننه (٣/ ٣٥)، والطبراني في المعجم الصغير (١٨٨) ٤٦٦.

(٢) سورة النساء: آية (٦).

(٣) قال ابن الأثير: غير مُتأثل مالاً، أي غير جامع، يُقَالُ مال مُؤثَّل، ومجدٌ موثَّل أي مجموع ذو أصل، اهـ، ينظر النهاية (١/ ٢٣)، وغريب الحديث لأبي عبيد (١/ ١٩٢).

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٥٩٣) ٨٦٤٨، والسنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٤)، وتفسير عبد الرزاق (١/ ١٤٨)، والمصنف لابن أبي شيبة (٦/ ٣٧٩).

(٥) سورة آل عمران: آية (٥٥).

لليهود: «**إن عيسى لم يمت، وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة**»[١].

فهنا ربط الربيع بين الحديث، وفيه النص القاطع أن عيسى لم يمت فحمل آية التوفي على النوم.

وبنحو ذلك فسرها كعب الأحبار حيث قال: ما كان الله عز وجل ليميت عيسى ابن مريم، إنما بعثه الله داعيًا ومبشرًا يدعو إليه وحده، فلما رأى عيسى قلة من اتبعه وكثرة من كذّبه، شكا ذلك إلى الله عز وجل، فأوحى الله إليه: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾، وليس مَنْ رفعته عندي ميتًا، وإني سأبعثك على الأعور الدجّال فتقتله، ثم تعيش بعد ذلك أربعًا وعشرين سنة، ثم أميتك ميتة الحيّ. قال كعب الأحبار: وذلك يصدّق حديث رسول الله ﷺ حيث قال: «**كيف تهلك أمة أنا في أولها، وعيسى في آخرها**»[٢].

وفي تفسير قوله عز وجل: ﴿**وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ**﴾[٣]، قال الحسن: السفهاء: ابنك السفيه، وامرأتك السفيهة، ولقد ذُكر أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الله في الضعيفين؛ اليتيم والمرأة**»[٤].

فهنا أيضًا نجد الحسن قد ربط بين الآية والحديث في أن كلاً منهما مما يعود على مصلحة الضعيف، ففسر السفهاء بالمرأة والولد.

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٤٥٥) ٧١٣٣، وساقه ابن كثير بإسناد ابن أبي حاتم، ونسب الأثر كله للحسن، ينظر تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٤٥٦) ٧١٣٧، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، وصحح إسناده عن كعب بنحوه (٢/ ٢٢٥)، وأورده ابن الأثير في جامع الأصول عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، بزيادة في أوله، وعزاه إلى رزين (٩/ ٢٠٢) ٦٧٧٢.

(٣) سورة النساء: آية (٥).

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٥٦١) ٨٥٢٧، وتفسير عبد الرزاق (١/ ١٤٦).

وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[١]، قال قتادة: كنا نحدِّث أن أرواح الشهداء تعارف في طير بيض يأكلن من ثمار الجنة[٢].

وجاء نحو ذلك عن عكرمة، ومجاهد، والربيع[٣].

٤ ـ اقتباس تفسير الآية من لفظ الحديث دون أن يرفعه للرسول ﷺ:

وفي هذا الطريق يأتي المفسِّر إلى الآية فيلحظ فيها معنى من المعاني الثابتة في السنة، فيفسِّر الآية بعبارات الحديث دون أن يذكر أنه من كلام النبي ﷺ، وهذا يدلُّ على تشبعهم بالألفاظ النبوية، حتى إنهم ليفسِّرون بها، وتكون كلماتهم وحروفهم إذا تكلموا أو فسروا.

فمن ذلك ما جاء عن عطاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾[٤]، قال: الإنسان يحلف أن لا يصنع الخير، والأمر الحسن، يقول: (حلفت) قال الله: افعل الذي هو خير، وكفِّر عن يمينك، ولا تجعل الله عرضة[٥].

فقوله: (افعل الذي هو خير وكفِّر عن يمينك) هو معنى حديث قال فيه النبي ﷺ: «**مَنْ حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليأت الذي هو خير، وليُكفِّر عن يمينه**»[٦].

---

(١) سورة البقرة: آية (١٥٤).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢١٥) ٢٣١٩، ٢٣٢٠، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٦٣)، وفتح القدير (١/ ١٥٩).

(٣) تُنظر الآثار في تفسير الطبري (٣/ ٢١٥) ٢٣١٧ ـ ٢٣٢٢.

(٤) سورة البقرة: آية (٢٢٤).

(٥) تفسير الطبري (٤/ ٤٢١) ٤٣٥٦، وزاد المسير (١/ ٢٥٤)، وفتح القدير (١/ ٢٣١).

(٦) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها أن =

وهذا هو الذي قاله عطاء: (افعل الذي هو خير وكفِّر عن يمينك)، وجاء نحوه عن سعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي في تفسير قوله تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾[١]، ومنه ما جاء عن عكرمة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[٢]، قال: أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة[٣] الله، وهذا اقتباس من حديث جابر رضي الله عنه في صفة الحج، وذلك في خطبة الوداع[٤] ولم يرفعه عكرمة للنبي ﷺ، ومن ذلك أيضًا ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾[٥]، فقد جاء عن سعيد بن جبير، والشعبي، وعكرمة، والحسن، وقتادة، وعطاء، والسدي، ومحمد بن كعب، في تفسير الضرب أنه ضرب غير مبرح[٦].

٥ ـ استنباط معنى الآية بمعرفة حكم مقرر في السنة:

ونجد المفسِّر في هذا الطريق يربط بين حكم الآية، والحكم المقرر المعروف عنده، فيحمل الآية على الحديث الذي ثبت به الحكم، فمن ذلك ما ورد عن الحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[٧].

= يأتي الذي هو خير (٣/ ١٢٧٢) ١٦٥٠، وأخرجه الطيالسي في مسنده، ينظر منحة المعبود (١/ ٢٤٧) ١٢١٨، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨).

(١) سورة البقرة: آية (٢٢٥)، ينظر تفسير الطبري (٤/ ٤٢٢) ٤٣٦٤.

(٢) سورة النساء: آية (٢١).

(٣) تفسير الطبري (٨/ ١٢٩) ٨٩٣٤، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن أبي شيبة عن عكرمة، ومجاهد به (٢/ ٤٦٨)، وفتح القدير (١/ ٤٤٣).

(٤) رواه مسلم، في كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ (٢/ ٨٨٦) ١٤٧، وأحمد في مسنده (٥/ ٧٣)، وابن ماجه، في كتاب المناسك، باب حجة رسول الله ﷺ (٢/ ١٠٢٢) ٣٠٧٤.

(٥) سورة النساء: آية (٣٤).

(٦) تفسير الطبري (٨/ ٣١١) ٩٣٧٧، ٩٣٧٨، ٩٣٧٩، ٩٣٨٣، ٩٣٨٤، ٩٣٨٥، ٩٣٩٠، ٩٣٩١، ٩٣٩٣، ٩٣٩٤، ٩٣٩٥، والدر المنثور (٢/ ٥٢١ـ٥٢٣).

(٧) سورة الأنعام: آية (١٥٨).

قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: «**بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، ودابة الأرض، وخويصة أحدكم**[1]، **وأمر العامة**»[2].

فهنا كان حكم المبادرة ثابتًا عن الحسن من هذا الحديث، فلحظ أن الآية تحض على الإيمان، والعمل به قبل مجيء الآيات، فربط الحسن بينهما، فجعل الآيات المذكورة في الآية هي من المذكورات في الحديث، والله أعلم.

وبنحوه جاء في تفسيرها عن مجاهد أنه قال: طلوع الشمس من مغربها[3].

٦ ـ معرفة تفسير الآية بسبب النزول:

وهنا يتجه المفسِّر إلى الحديث، فيستفيد منه معرفة سبب النزول مما يعين على فهم الآية.

فمن ذلك ما ورد عن الحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا**﴾[4]، قال: إن الناس كانوا على عهد رسول الله ﷺ يطلِّق الرجل أو يعتق فيقال: ما صنعت؟ فيقول: إنما كنت لاعبًا! قال رسول الله ﷺ: «**من طلَّق لاعبًا، أو أعتق لاعبًا، فقد جاز عليه**»، قال الحسن: وفيه نزلت: ﴿**وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا**﴾[5].

---

(١) (وخويصة أحدكم) يريد حادثة الموت، التي تخص كل إنسان، وهي تصغير خاصة، وصغرت لاحتقارها في جانب ما بعدها من البعث والعرض والحساب، ينظر حاشية كتاب الإيمان لابن مندة (٢/ ٩٢١).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٢٦٥) ١٤٢٤٨، وكتاب الإيمان لابن مندة (٢/ ٩٢١) ١٠٠٧ـ١٠١١، ومستدرك الحاكم (٤/ ٥١٦)، وشرح السنة للبغوي (١٥/ ٤٤) ٤٢٤٩، وأورده الزيلعي في أحاديث الكشاف (١/ ٤٥) ٢٣.

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٢٦٣) ١٤٢٤٠، وزاد المسير (٣/ ١٥٦).

(٤) سورة البقرة: آية (٢٣١).

(٥) تفسير الطبري (٥/ ١٣) ٤٩٢٤، وتفسير ابن كثير (١/ ٤١٤)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن الحسن بنحوه (١/ ٦٨٣)، وأورده ابن حجر في المطالب العالية بلفظ مقارب (٣/ ٣٠٦) ٣٥٣٩، وذكره الهيثمي وعزاه للطبراني، وقال: فيه عمرو بن عبيد، وهو من أعداء الله (٤/ ٢٨٨).

ومن ذلك أيضًا ما جاء عن الحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ** ﴾[١] . إلى آخر الآية، قال: نزلت هذه الآية في معقل بن يسار. قال الحسن: حدثني معقل بن يسار أنها نزلت فيه، قال: زوَّجت أختًا لي من رجل فطلَّقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوَّجتك وفرَشتُك أختي وأكرمتك، ثم طلّقتها، ثم جئت تخطبها! لا تعود إليك أبدًا! قال: وكان رَجُل صدق لا بأس به، وكانت المرأة تحب أن ترجع إليه، قال الله تعالى ذكره: ﴿ **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ** ﴾، قال: فقلت: الآن أفعل يا رسول الله! فزوجتُها منه[٢] .

وبنحوه قال قتادة[٣]، ومجاهد[٤] ، وذكر السدي أنها نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري[٥] .

فهنا اعتمد الأئمة في تفسير الآية على حديث معقل الذي منع زوج أخته من ردها لما أوشكت عدتها أن تنقضي، فنزلت الآية تمنع من هذا العضل، وتبين الحكم الشرعي في ذلك، وسيأتي مزيد بسط لذلك عند التعرض لأسباب النزول[٦] .

* * *

(١) سورة البقرة: آية (٢٣٢).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٩) ٤٩٣١، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٩٤)، والسنن الكبرى للبيهقي (٧/ ١٣٨)، والمستدرك (٢/ ١٧٤)، والفتح (٨/ ١٤٣)، وزاد المسير (١/ ٢٦٨)، وفتح القدير (١/ ٢٤٤).

(٣) تفسير الطبري (٥/ ١٩) ٤٩٣٠، ٤٩٣٧، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٩٤).

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٢٠) ٤٩٢٢، ٤٩٣٤، والدر المنثور (١/ ٦٨٥).

(٥) تفسير الطبري (٥/ ٢١) ٤٩٣٩، وزاد المسير (١/ ٢٦٨)، وفتح القدير (١/ ٢٤٤).

(٦) في مبحث أثرهم في أصول التفسير، ص (١٠٤٩).

المبحث الثالث

أقوال الصحابة

لعل المصدر الواضح التأثير الذي تلقى منه التابعون التفسير هو الأخذ من الصحابة؛ لأنه يشتمل على أصول المصادر الأخرى، فإن التابعين ما علموا كيفية التلقي من الكتاب والسنة، وكذلك الاجتهاد، ونحو ذلك إلا بسبب تربيتهم على أيد الصحابة، وخبرتهم بمناهجهم الاستدلالية، وتعلمهم لطرق الاستنباط، وتلقيهم الرواية النبوية، ورؤيتهم التطبيق العملي لذلك كله.

ولا غرو أن يرجع المعدن الطيب الفضل لذوي الفضل، وتنقل عبارات المدح والإعجاب، والثناء والترحم على هذا الجيل من الصحابة الذي اضطلع بالمسؤولية فأداها، وحملها إلى أصحابها غير متكاسل، ولا هياب، لقد وضع ابن مسعود - رضي الله عنه - حجر الأساس في تقويم جيل الصحابة، وبيان منزلتهم حيث قال: من كان منكم متأسيًا، فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا[1].

لقد استوعب التابعون هذه الرسالة، وعرفوا فضل الصحابة، فها هو مجاهد يقول: العلماء أصحاب محمد ﷺ[2].

ويفسر قتادة قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ

(١) علوم الحديث لابن الصلاح (٢٦٣).
(٢) انظر إعلام الموقعين (١/ ١٥).

الْحَقَّ ﴾[١] فيقول: أصحاب محمد ﷺ[٢].

ويقول مسروق: سألنا عبد الله عن أرواح الشهداء، ثم يعقب فيقول: ولولا عبد الله ما أخبرنا به أحد! قال: أرواح الشهداء عند الله في أجواف طير خضر في قناديل تحت العرش، تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم ترجع إلى قناديلها، فيطلع إليها ربها فيقول: ماذا تريدون؟ فيقولون: نريد أن نرجع إلى الدنيا فنقتل مرة أخرى[٣].

لقد تعدى حب التابعين للصحابة مرحلة الإعجاب، إلى مرحلة الإجلال والتقدير، يظهر ذلك من نقولهم من الصحابة، وتقديم قول الصحابة على آرائهم، فالشعبي، عندما سأله سائل بأمر قاله له: كان ابن مسعود يقول فيه كذا. فيستزيد السائل علمًا منه، فيقول: أخبرني أنت برأيك، فيتعاظم ذلك عند الشعبي، فهو -وإن كان أحد أوعية العلم- فإنه لا يرى لنفسه رأيًا مع صحابة رسول الله ﷺ فيزجر السائل قائلاً: ألا تعجبون من هذا؟! أخبرته عن ابن مسعود، ويخبرني عن رأيي[٤].

ويسأل صالح بن مسلم الشعبي عن مسألة فيجيبه الشعبي: قال فيها عمر -رضي الله عنه- كذا، وقال عليّ -رضي الله عنه- فيها كذا، فقال له: ما ترى؟ قال: وما تصنع برأيي بعد قولهما؟؟ إذا أخبرتك برأيي فبل عليه[٥].

ويعمم الشعبي هذا الحكم فيقول لبعض أصحابه: ما قالوا لك برأيهم فبل عليه، وما حدثوك عن أصحاب محمد ﷺ فخذ به[٦]، وينعي الشعبي على أهل عصره

---

(١) سورة سبأ: آية (٦).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ١٥)، وزاد المسير (٦/ ٤٣٣)، وفتح القدير (٤/ ٣١٤).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٣٨٧) ٨٢٠٨، والعلل لأحمد (٢/ ٤٥٠) ٢٩٩٩.

(٤) سنن الدارمي (١/ ٤٧)، وقواعد التحديث (٣٤٠).

(٥) حلية الأولياء (٤/ ٣١٩).

(٦) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥١)، وسنن الدارمي (١/ ٦٧)، والحلية (٤/ ٣١٩).

بقوله: إنما هلكتم بأنكم تركتم الآثار، وأخذتم بالمقاييس[١].

ويقول الشعبي: إذا اختلف الناس في شيء فانظر كيف صنع عمر؟ فإن عمر لم يكن يصنع شيئًا حتى يشاور، فقال أشعث ـ راوي الأثر ـ، فذكرت ذلك لابن سيرين، فقال: إذا رأيت الرجل يخبرك أنه أعلم من عمر فاحذره[٢].

ومجاهد يتحدث عن ابن عباس بحديث بليغ، يملؤه الإعزاز والإكبار، فيقول: كان ابن عباس إذا فسر الشيء رأيت عليه نورًا[٣]. ويضع الحق في موضعه عندما يقول: ما سمعت فتيا أحسن من فتيا ابن عباس إلا أن يقول قائل: قال رسول الله ﷺ[٤].

وها هو مسروق يقرر أهلية الصحابة، ومنزلتهم العالية في الاجتهاد والاستنباط فيقول: ما نسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن شيء إلا وجدناه في كتاب الله، إلا أن رأينا يقصر عنه[٥].

بل إن العجب لا يزال يأخذنا عندما نرى تقدير التابعين للصحابة، حتى إن النخعي مع قلة روايته عن ابن عباس إلا أنه لما مرّ بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[٦]، اعتمد قول ابن عباس[٧].

بل نجد من التابعين من يتوقف في التفسير، ولا يقدم على الاجتهاد لسبب توقف الصحابة، فإنه لما سئل سعيد بن جبير عن قوله: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾[٨]، قال: سألت

(١) الحلية (٤/ ٣٢٠).
(٢) الحلية (٤/ ٣٢٠).
(٣) فضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٨٠) ١٩٣٥.
(٤) الاستيعاب (٢/ ٣٤٤).
(٥) شعب الإيمان (٢/ ٤٢٥) ٢٢٨٤، والعلم لأبي خيثمة (١٢٠).
(٦) سورة القلم: آية (٤٢).
(٧) تفسير الطبري (٢٩/ ٣٨).
(٨) سورة مريم: آية (١٣).

عنها ابن عباس فلم يجب شيئًا[١] .

ويتضح موقف التابعين من أقوال الصحابة عند وقوع الخلاف بينهم في التفسير، فإنهم سرعان ما يفزعون إلى الصحابة يتلقون عنهم ما يحسم خلافهم، كما اختلفوا في الصلاة الوسطى، فأرسلوا إلى ابن عمر فقال الغلام عن ابن عمر: هي الظهر، فشككنا في قول الغلام، فقمنا جميعًا فسألناه فقال: هي الظهر[٢] .

ولما اختلف عكرمة، وابن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وعبيد بن عمير في الملامسة، فقال سعيد، وعطاء: الملامسة ما دون الجماع، وقال عبيد: هو النكاح، فخرج عليهم ابن عباس فسألوه فقال: أخطأ الموليان، وأصاب العربي، الملامسة النكاح[٣] ، وفي قوله: أصاب العربي إشارة إلى ضرورة معرفة لغة العرب للتفسير، فهو نوع من التربية بالإيماء.

ويروي لنا سعيد بن منصور أن الشعبي قال: أكثروا علينا في هذه الآية: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٤] ، فكتبت إلى ابن عباس أسأله عنها فكتب: إن رسول الله ﷺ كان واسط النسب في قريش، لم يكن حي من أحياء قريش إلا ولده، فقال الله: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، تودون بقرابتي منكم، وتحفظون في ذلك[٥] .

(١) أورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير عن سعيد به (٥/ ٤٨٥) ، ولم أجده في تفسير ابن جرير عند هذه الآية.

(٢) تاريخ أبي زرعة (١/ ٦١٩)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه البيهقي ، وابن عساكر، عن سعيد بن المسيب بنحوه (١/ ٧٢١).

(٣) تفسير الطبري (٨/ ٣٩٠) ٩٥٨٤، ٩٥٨٥، وفتح القدير (١/ ٤٧٣).

(٤) سورى الشورى: آية (٢٣).

(٥) فتح الباري (٨/ ٥٦٥)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن سعد، وعبد بن حميد، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن الشعبي به (٧/ ٣٤٦)، وفتح القدير (٤/ ٥٣٦).

ولم يكن تلقي التابعين مقتصراً على السماع فقط من الصحابة، بل تعدى ذلك إلى تتبع أفعالهم والاقتداء بها، ولاسيما فيما يتعلق بالتفسير، كما سبق في توقف سعيد عن تفسير ما توقف فيه ابن عباس، وأصرح من ذلك لما سئل مجاهد عن السجدة في سورة (ص)، قال: سئل ابن عباس فقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾[١]، وكان ابن عباس يسجد فيها[٢].

لقد بلغت متابعة التابعين للصحابة مبلغ الملازمة الطويلة حرصًا على التثبت، فعلقمة (مثلاً) اختلف إلى عبد الله شهرًا في امرأة توفي عنها زوجها، ولم يدخل بها، ولم يفرض لها صداقًا، فقال: لها مثل صداق نسائها، وعليها العدة، ولها الميراث[٣].

ويفعل ذلك مجاهد فيسأل ابن عباس شهرًا عن رجل يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يحضر جمعة ولا جماعة؟ قال: هو من أهل النار[٤].

ومما يدل على عظيم قدر تفسير الصحابة عند التابعين، أن بعض أئمة المدارس التي هابت التفسير، ولم تتعرض للاجتهاد فيه، وقد وجد من أصحابها المتأخرين من اشتغل به، فأنكر عليه، وعيب بذلك، كان من أبلغ ما رد به على منتقديه أن ذكرهم بأن تفسيره إنما هو عن بعض الصحابة، وأنه لم يأت بجديد من عنده، كما كان يفعل السدي فقد أنكروا عليه توسعه، وإكثاره في باب التفسير، فأشار إلى أن تفسيره إنما هو صدى تفسير ابن عباس وأقواله، فإن كان قد أخطأ، أو أكثر، فإنه من ابن عباس أخذ، وعنه روى[٥]، ولكثرة أخذه عن ابن عباس عده الأئمة راوية له[٦].

---

(١) سورة الأنعام: آية (٩٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة ص، ينظر الفتح (٨/ ٥٤٤) ٤٨٠٦.

(٣) المعرفة (٢/ ٦٣٧).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧/ ١٤٥٦) ٢٨٠٨.

(٥) أخبار أصبهان (١/ ٢٠٤).

(٦) تاريخ العجلي (٦٦)، ومجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٦).

والإمام أحمد قد وثق السدي، وإنما عاب عليه تكلفه في المجيء بالإسناد لتفسيره[١].

وهذا لا يعني أن السدي كان يضع الأسانيد كذبًا على الصحابة، حاشاه ذلك، وإلا فمثل هذا لا يوثقه أحمد، ولا غيره، ولكن المراد - والله أعلم - أن السدي لما رأى حرص التابعين على الأخذ من الصحابة، صار يحدث عن الصحابة فيما يعلمه، وأخذه منهم، وما لم يسمعه مباشرة فإنه يأخذه بنزول عمن يحدث عن الصحابي، ولربما كان في هذا النزول ضعف؛ لأن الراوي الذي يأخذ منه السدي يكون ضعيفًا، فلحرص السدي - رحمه الله - على الإسناد عن الصحابة كان لا يبالي عمن أخذ التفسير، ما دام في الإسناد عن فلان الصحابي - رضي الله عنه -.

وقد حرص التابعون على نقل هذا المنهج لتلاميذهم من أتباع التابعين، وذلك بتوجيههم حين السؤال، أو برواية المأثور حينما يسألون، فقد سئل عبيدة عن آية من كتاب الله فقال للسائل: عليك بتقوى الله والسداد، فقد ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن[٢].

وفهم التلاميذ هذا المنهج، ودرجوا عليه لكثرة ما سمعوه من شيوخهم، فعندما كان يسأل عطاء تلاميذه، وخاصة ابن جريج عن المسألة فيقول له ابن جريج: هل بلغك في هذا الشيء - شيء ما - عن النبي، أو أحد أصحابه[٣]؟، وها هو إبراهيم يسأل مجاهدًا عن قوله عز وجل: ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾[٤].

ويقول له: قل فيها ما سمعت، قال مجاهد: كنا نسمع أنها النجوم[٥].

(١) تهذيب التهذيب (١/ ٣١٤).
(٢) المصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٥١١) ١٠١٤٨.
(٣) المصنف لعبد الرزاق (٥/ ٤٠، ٧٣، ٧٧) ٨٩٢٣، ٩٠٣٧، ٩٠٥٣.
(٤) سورة التكوير: آية (١٦).
(٥) تفسير الطبري (٣٠/ ٧٦).

ويقول مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾[١]، قال: كنا نقول: الظباء، حتى زعم سعيد بن جبير أنه سأل ابن عباس عنها، فأعاد عليه قراءتها[٢].

ومع قلة أخذ مجاهد عن ابن مسعود، فإنه في المسائل المهمة يعتمد قوله ولا يتعداه، فقد بين الكبائر بقوله: قال ابن مسعود: الكبائر ثلاث: اليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله[٣].

منهج التابعين في الأخذ عن الصحابة:

لقد سبق معرفة حال التابعين من تفسير الصحابة، وكيف كانوا يعظمون أقوالهم واجتهاداتهم، ولكن هذا لم يكن يمنعهم من الاجتهاد والاستنباط، وسيأتي في مبحث الاجتهاد من مصادر التابعين في التفسير ما يدل على تقدمهم في مجال الاجتهاد التفسيري أكثر من غيرهم[٤].

ولأجل ذلك كان لزامًا أن أبين هنا كيف تعامل التابعون مع أقوال الصحابة، ما اجتمعوا عليه، وما اختلفوا فيه، وما كان من اجتهادهم، وما كان من مروياتهم، ولقد ظهر لي أن غالب فعل التابعين يدور حول ما يلي:

١ ـ إذا كان تفسير الصحابي يرفعه للنبي ﷺ، فهذا هو المطلب الرئيس، والغاية القصوى، وليس بعده قول، وكذلك ما كان من تفسير الصحابي، وهو وارد في سبب النزول بالصيغة الصريحة[٥]. وكذلك فيما لا مجال للرأي فيه، فهذا يقف عنده

(١) سورة التكوير: آية (١٥، ١٦).
(٢) تفسير الطبري (٣٠/ ٧٦).
(٣) سيأتي تفصيل ذلك في مبحث الاجتهاد ص ٧٠٨.
(٤) سيأتي ذلك ص (٧٠٩).
(٥) أي سبب نزول كذا هو كذا وكذا، أو حدث كذا فنزل كذا.

التابعون لا يجاوزونه؛ لأن الصحابي شاهد التنزيل، ومثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[١]، فقد قال فيها ابن عباس -رضي الله عنهما-: إن لملك الموت أعوانًا من الملائكة، رواه عنه إبراهيم[٢]، ولذا جاءت الرواية من تفسير إبراهيم نفسه بالاقتصار على قول ابن عباس، ولم يزد عليه شيئًا، فقال: أعوان ملك الموت[٣]، وكذا جاء عن قتادة[٤]، ومجاهد[٥]، والربيع[٦].

٢ - وإذا كان التفسير الوارد عن الصحابي من باب الاجتهاد، وجار على مقتضى اللغة، فإنهم في الغالب لا يخالفونه، فإن الصحابة أهل اللسان، والبيان، والفهم.

ولأجل ذلك اعتمد مجاهد تفسير ابن عباس دون غيره عندما تعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[٧].

فقد قال ابن عباس: المستقر بالأرض، والمستودع: عند الرحمن[٨] وقال مجاهد: المستقر الأرض: والمستودع عند ربك[٩].

وجاءت رواية عن ابن عباس: أن المستقر في الرحم، والمستودع في الصلب[١٠].

---

(١) سورة الأنعام: آية (٦١).
(٢) تفسير الطبري (١١/ ٤١٠) ١٣٣٢٥، ١٣٣٢٩، ١٣٣٣٥، وزاد المسير (٣/ ٥٥).
(٣) المرجع السابق (١١/ ٤١٠) ١٣٣٢٧، ١٣٣٢٨، ١٣٣٣٤، ١٣٣٣٦، ١٣٣٣٨.
(٤) المرجع السابق (١١/ ٤١٠) ١٣٣٣٢، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد بنحوه (٣/ ٢٨١).
(٥) المرجع السابق (١١/ ٤١١) ١٣٣٣٣.
(٦) المرجع السابق (١١/ ٤١٢) ١٣٣٣٤.
(٧) سورة الأنعام: آية (٩٨).
(٨) تفسير الطبري (١١/ ٥٦٤) ١٣٦٢٣، وزاد المسير (٣/ ٩٢).
(٩) تفسير الطبري (١١/ ٥٦٥) ٣٦٢٤، وزاد المسير (٣/ ٩٢).
(١٠) تفسير الطبري (١١/ ٥٧٠) ١٣٦٥٤، وزاد المسير (٣/ ٩٢)، وفتح القدير (٢/ ١٤٦).

وتأتي الرواية عن مجاهد أيضًا أن المستقر الرحم، والمستودع الصلب[١] موافقة للرواية الثانية لشيخه، وهكذا كان حال ابن جبير في تفسير هذه الآية[٢].

٣ـ وبلغ من حرصهم على اتباع الصحابة في التفسير أنهم ربما فسروا الآية بتفسيرين مختلفين؛ لورود ذلك عن الصحابي في مكانين.

فقتادة يذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾[٣] أي يدوران في حساب[٤].

وفي رواية أخرى نجده يقول: حسبانًا أي ضياءً[٥].

وإذا أردنا أن نعرف سبب الاختلاف، فإننا نرجع لما روي عن الصحابي، فنجد ابن عباس يقول فيها: يجريان إلى أجل جعل لهما[٦].

توافقه الرواية الأولى عن قتادة، ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾[٧]، قال: نارًا، فنقل قتادة ذلك إلى آية الأنعام.

قال الطبري في آية الأنعام: وأحسب أن قتادة في تأويل ذلك بمعنى الضياء، ذهب إلى شيء يروى عن ابن عباس في قوله: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾[٨] قال: نارًا فوجَّه تأويله قوله: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ إلى ذلك التأويل، وليس هذا من

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٥٧٠) ١٣٦٥١، وزاد المسير (٣/ ٩٢).
(٢) المرجع السابق (١١/ ٥٦٣) ١٣٦٢٠، ١٣٦٢٢، ١٣٦٢٧، ١٣٦٥٨، وزاد المسير (٣/ ٩٢).
(٣) سورة الأنعام: آية (٩٦).
(٤) تفسير الطبري (١١/ ٥٥٨) ١٣٦٠٩، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢١٤).
(٥) تفسير الطبري (١١/ ٥٥٩) ١٣٦١١، وزاد المسير (٣/ ٩١).
(٦) تفسير الطبري (١١/ ٥٥٨) ١٣٦٠٦، وزاد المسير (٣/ ٩١).
(٧) سورة الكهف: آية (٤٠).
(٨) سورة الكهف: آية (٤٠).

ذلك المعنى في شيء[١] .

٤ ـ إذا تعارضت الأقوال المنقولة عن الصحابة ، فإن التابعين يسلكون مسلك الترجيح بينها ، والترجيح قد يكون باللغة ، أو بالحديث ، أو بقول صحابي آخر يجمع به بين الأقوال .

فمن الأول ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾[٢] ، جاء عن ابن عباس في تفسيرها أن دلوكها غروبها[٣] ، وجاء عنه أن دلوكها : زيغها بعد نصف النهار[٤] .

وجاء عن ابن مسعود أن دلوكها غروبها[٥] ، وجاء عنه أيضًا أن دلوكها ميلها ، يعني : الزوال[٦] .

فاختار قتادة أن دلوكها زوالها ، ففسرها به[٧] ، مع أنه نقل القول بغروبها عن ابن مسعود[٨] ، ولعل سبب هذا الاختيار هو أن اللغة تدل على أن الدلوك هو الميل ، فيكون المراد صلاة الظهر ، ورجحه ابن جرير ، وناقش الأول[٩] .

وقد يكون الترجيح لأثر مرفوع ، ومنه ما جاء عن قتادة ، وهو يحدث عن سعيد بن المسيب ، قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ مختلفين في الصلاة الوسطى ، وشبك بين

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٥٦٠).
(٢) سورة الإسراء : آية (٧٨).
(٣) تفسير الطبري (١٥/ ١٣٤)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٣٤٨)، وفتح القدير (٣/ ٢٥٤).
(٤) تفسير الطبري (١٥/ ١٣٦)، وفتح القدير (٣/ ٢٥٤).
(٥) المرجع السابق (١٥/ ١٧٤)، وزاد المسير (٥/ ٧٢)، وفتح القدير (٣/ ٢٥٤).
(٦) المرجع السابق (١٥/ ١٣٥)، وفتح القدير (٣/ ٢٥٤).
(٧) المرجع السابق (١٥/ ١٣٦)، وزاد المسير (٥/ ٧٢)، وفتح القدير (٣/ ٢٥٠).
(٨) المرجع السابق (١٥/ ١٣٤)، وزاد المسير (٥/ ٧٢)، وفتح القدير (٣/ ٢٥٤).
(٩) تفسير الطبري (١٥/ ١٣٦، ١٣٧).

أصابعه[١] ، فرجح الحسن أنها صلاة العصر[٢] متابعًا في ذلك عددًا من الصحابة رضي الله عنهم، والمرجح هنا هو الأثر المرفوع الذي رواه الحسن عن سمرة أن النبي ﷺ قال: «**الصلاة الوسطى صلاة العصر**»[٣] .

وقد يكون الترجيح بقول صحابي آخر، ويقدِّم به عموم الآية على ما ورد في خصوصها، ويجمع به بين الأقوال، فمن ذلك تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾[٤] فقد جاء تفسير الكوثر عن جمع من الصحابة أنه نهر في الجنة[٥] ، وعن ابن عباس أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه[٦] ، وتابعه على ذلك سعيد بن جبير[٧]، فقال أبو بشر لسعيد: إنا كنا نسمع أنه نهر في الجنة ، فقال: هو الخير الذي أعطاه الله إياه[٨] ، وفي رواية فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه[٩]، فهنا رجح ابن جبير العموم في الآية مستندًا لقول ابن عباس، ولم يذهب إلى خصوص الأثر الوارد في ذلك . . .

أما إذا لم يكن ثمة مروي عن الصحابة في ذلك، فعندئذ يدخل منهم من يدخل في باب الاجتهاد.

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٢٢١) ٥٤٩٢، وفتح الباري (٨/ ١٤٧)، وزاد المسير (١/ ٢٨٢).
(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٩٤) ٥٤١٩، وزاد المسير (١/ ٢٨٢)، والدر المسير (١/ ٧٢٤).
(٣) تفسير الطبري (٥/ ١٩٤) ٥٤٣٨.
(٤) سورة الكوثر: آية (١).
(٥) تنظر الآثار في تفسير الطبري (٣٠/ ٣٢٠)، وتفسير عبد الرزاق (٣/ ٤٠١)، وزاد المسير (٩/ ٢٤٨)، وفتح القدير (٥/ ٥٠٣).
(٦) تفسير الطبري (٣٠/ ٣٢١)، وزاد المسير (٩/ ٢٤٨)، والدر (٨/ ٦٤٧)، وفتح القدير (٥/ ٥٠٤).
(٧) المرجع السابق (٣٠/ ٣٢٢).
(٨) المرجع السابق (٣٠/ ٣٢٢)، وفتح القدير (٥/ ٥٤).
(٩) المرجع السابق (٣٠/ ٣٢١)، والدر المنثور (٨/ ٦٤٩).

فعن ابن جريج قال: سألت عطاء عن قوله سبحانه: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾[1] فقال: سمعت ابن عباس قال: أما مقام إبراهيم الذي ذكر هاهنا فمقام إبراهيم هذا الذي في المسجد. قال: ومقام إبراهيم يَعُدّ كثير، مقامَ إبراهيم الحج كله.

ثم فسر لي عطاء فقال: التعريف، وصلاتان بعرفة، والمشعر، ومنى، ورمي الجمار، والطواف بين الصفا، والمروة.

فقلت: أفسره ابن عباس؟ : قال: لا، ولكن قال: مقام إبراهيم الحج كله. قلت: أسمعت ذلك لهذا أجمع؟ قال: نعم. سمعته منه[2].

اختلاف مناهج المدارس في الأخذ عن الصحابة:

لم تتفق مدارس التابعين على منهج واحد في هذا المصدر من مصادر التلقي للتفسير، فإن الصحابة لم يكونوا مجتمعين في مكان واحد، فلقد انطلق أصحاب رسول الله ﷺ من المدينة في طليعة الجيوش الفاتحة للبلاد، ونزل منهم من نزل في الأمصار معلمًا، ومربيًا، وراويًا ما أخذه عن النبي ﷺ، ومجتهدًا بما لا يعرف فيه آية محكمة، أو سنة سالفة، وجلس الناس إليهم يسمعون، ومن علمهم ينهلون، ويتلقون الفهم الشافي من ذلكم النبع الصافي الشامل لأصول الدين، وفروعه.

وكان الناس يأخذون عنهم شتى فروع العلم، وكان على رأس تلك العلوم علم الكتاب، والسنة، علم الكتاب تلاوة، وحفظًا، وتدبرًا، وفهمًا، ولاختلاف المكان، واختلاف الشيوخ، واختلاف التلاميذ، وغير ذلك، ظهرت ملامح عامة لكل مدرسة في طريقة تناولها لهذا المصدر من مصادر التفسير، وفيما يلي بيان لأهم المدارس.

فقد تبين لي أنه يمكن ترتيب المدارس من حيث اهتمامها بهذا الأصل، واتخاذها إياه مصدرًا من مصادر التفسير على النحو التالي:

---

(١) سورة البقرة: آية (١٢٥).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣٧١) ١٢٠٦، وتفسير ابن كثير (١/ ٢٤٣)، وزاد المسير (١/ ١٤١).

١ ـ المدرسة الكوفية .

٢ ـ المدرسة المكية .

٣ ـ المدرسة المدنية .

٤ ـ المدرسة البصرية .

أما المدرسة الكوفية : فكانت من أكثر المدارس تعظيمًا لقدر ابن مسعود، ومن أكثرها تقليدًا، فقد شعروا بفضله وعظم قدره ـ رضي الله عنه ـ وكانت هذه حالهم مع سائر أصحاب النبي ﷺ .

يقول مسروق : ما نسأل أصحاب محمد ﷺ عن شيء إلا وعلمه في القرآن، إلا أن علمنا يقصر عنه[1] .

لقد اشتدت عناية الكوفيين بأقوال شيخهم ابن مسعود، وكثرت النقول عنهم في تعظيم أقواله وآرائه[2] ، ليس في التفسير فحسب؛ بل تعدى ذلك إلى ضبط رواياته في القراءة، والفقه، ونجد ذلك الالتزام عند جُل الكوفيين، ولاسيما أصحاب عبد الله الملازمون له، فقلَّ أن يخرجوا عن أقواله، وخاصة مرة، ومسروقًا، وعلقمة، بل اقتصر دورهم في التفسير في أغلب أحواله على النقل عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

أما المدرسة المكية : فهي التالية للمدرسة الكوفية في هذا الباب، فقد كانت من أكثر المدارس عناية واهتمامًا بأقوال شيخها ابن عباس رضي الله عنه، ومن أكثر المدارس عناية بأقوال غيره في التفسير؛ لأن شيخهم اهتم بالتفسير فساروا على نهجه، بل إن بعضهم اقتصر على الرواية عن شيخه في أكثر أحيانه، وعلى نشر تفسير أستاذه، وقد

---

(١) سبق بيانه ص (٦٥٣).

(٢) العلل لأحمد (١/ ٢١٧)، والعلل لابن المديني (٥٢)، والسير (٤/ ٢٦٢)، وتفسير الطبري (٢٨/ ١٤٠)، وتاريخ أبي زرعة (١/ ٦٤٩)، والإتقان (٤/ ٢٠٤، ٢٠٥).

أخذ أئمة هذه المدرسة التفسير عن ابن عباس، ثم عرضوه عليه، ولكنهم لم يقفوا عند هذا الحد من الحظ الوافر الذي تلقوه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - بل انطلقوا في الاجتهاد كما سيأتي بيانه[1]، يحدوهم في ذلك ترغيب شيخهم في تعويدهم على ذلك.

وممن برز في هذه المدرسة في الجانب الروائي عن شيخه: عكرمة، فهو لم يحدث عمن دونه أو من هو مثله من أقرانه، بل أكثر حديثه عن الصحابة، وخاصة ابن عباس[2].

وكذلك كانت حال سعيد بن جبير، وحتى مجاهد وإن قلت روايته عن شيخه، إلا أنه سمع منه القراءة والتفسير عدة مرات، وتبنى أقواله، وقال بها، وإن لم يشر إلى أنها من تفسير شيخه، لكن الكثير منها مُتطابق مع ما قاله - رضي الله عنه -.

أما المدرسة المدنية: فقد اشتغلت برواية الأحاديث والسنن، عن أصحاب رسول الله ﷺ، وكانوا يحفظون آراء أصحاب رسول الله ﷺ وأقضيتهم، فهذا ابن المسيب لما أخذ الفقه والحديث وروى عن عمر وأبي هريرة لم يكن يتعد قول عمر، سواء كان في التفسير، أو غيره، حتى عُدَّ أعلم الناس بقضايا عمر، وحفظ لنا قدراً كبيراً من تلك الأحكام والأقضية[3].

وإذا انتقلنا إلى المدرسة البصرية: نجد أن البصريين اهتموا كذلك بالنقول عن الصحابة، إلا أن ما وصلهم كان قليلاً بالنسبة إلى ما وصل إلى غيرهم، فأخذوا ما جاءهم من روايات عن الصحابة، ثم اجتهدوا فيما لم يصلهم، ولأجل هذا فهي تعتبر أقل المدارس اهتماماً بالجانب الروائي، مع وجود قتادة فيها المشهور بحافظته القوية، بل

(١) سيأتي بيانه في مبحث الاجتهاد ص (٧٠٨).
(٢) الكامل لابن عدي (٥/ ١٩٠٧)، والسير (٥/ ٣٠).
(٣) سبق بيان ذلك في ترجمته ص (٣٨٧).

إن قتادة مع قلة المنقول للبصرة من الآثار، وكونه من صغار التابعين فإن تفسيره يكشف لنا بوضوح عن اتجاهه النقلي في تفسير آيات الأحكام، سيما وقد اهتم بنقل التفسير عن عمر[1].

بل قال: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها بشيء[2]، وهذا يدل على سعة مروياته.

ولكن ثمة خلاف بين حال قتادة البصري، والشعبي الكوفي، إذ إن الأخير فاقه في الالتزام بأقوال الصحابة، ولاسيما ابن مسعود شيخ المدرسة، فقد كان قتادة يروي إلا أنه ربما أخذ عن شيخه الحسن، أو انتقى من محفوظه، واجتهد فيه.

وأما الحسن فقد أكثر من الرواية عن الصحابة إلا أن أكثرها مرسلات لامسندات، فهو يعطي مؤشراً باهتمام هذا التابعي بما يُروى عن الصحابة، إلا أنه نقل غير مباشر؛ لقلة من سكن البصرة من الصحابة كما تقدم.

وهذا من المفارقات الرئيسة، فإن المكيين اهتموا بنقل أقوال ابن عباس، وتفسيراته، واعتمدوا على أقواله في بعض ما أشكل عليهم، وكذلك الحال في مدرسة الكوفة.

إلا أن البصريين لم يتخصصوا في واحد من الصحابة، وإن كان لتفسير عمر بن الخطاب عندهم المنزلة العظيمة ـ فهم من أكثر التابعين رواية، ونقلاً عنه.

---

(١) ينظر ترجمته ص (٢٨٢).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٢٠٠).

ومما يذكر في هذا الباب ما ورد عن قتادة أنه قال لسعيد بن المسيب: يا أبا النضر خذ المصحف، قال: فعرض عليه سورة البقرة، فلم يخطئ منها حرفًا قال: فقال: يا أبا النضر أحكمتُ؟ قال: نعم، قال: لأنا لصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ مني لسورة البقرة، السير (٥/ ٢٧٢).

وقال الإمام أحمد: قرئ على قتادة صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها، السير (٥/ ٢٧٧)، وهذا يدل على حرص قتادة على النقل عن الصحابة أيضًا.

أسباب تفاوت التابعين في الأخذ عن الصحابة :

لقد ظهر لي عدة عوامل أدت إلى اختلاف التابعين في نقلهم عن الصحابة، فمن ذلك :

١ ـ كثرة الصحابة أو قلتهم في الأمصار :

لاشك أن كثرة عدد الصحابة في مصر من الأمصار يؤدي إلى كثرة المنقول عنهم في باب التفسير، والعكس بالعكس، فنجد على سبيل المثال : الشعبي أدرك خمسمائة من الصحابة، وسمع من ثمانية وأربعين منهم، مما أدى إلى إكثاره في النقل عن الصحابة، سواء كان ذلك في التفسير[١] أو في غيره، في حين نجد قلة الآثار المسندة عند البصريين لقلة الصحابة في هذا المصر، بل نجد النخعي ـ وهو من مدرسة الشعبي نفسها ـ لما لم يدرك إلا القليل لم يحفل تفسيره بكبير نقل عن الصحابة.

٢ ـ حال الصحابي :

مما أدى لاختلاف التابعين، وتفاوتهم في باب الرواية، تأثرهم بشخصية الصحابي الذي تلقوا عنه العلم، فإن الصحابة كانوا متفاوتين؛ كما قال مسروق : لقد جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ يَروي الرجل، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم[٢] .

ومن أمثلة هذا التأثر ما نجده من حال ابن مسعود، فهو عندما عني بالقراءة والإفتاء كان هذا هو الشاغل لتلك المدرسة الآخذة عنه، ولاسيما أصحابه الملازمون له، وبالنظر في تراجم كتب كبار القراء، نجد أن نصيب الكوفة من التابعين القراء كان أكبر من

(١) وقد سبق بيان أن عامرًا الشعبي كان من أكثر الصحابة اعتمادًا على هذا المصدر، فقد صرح بالنقل عنهم في أكثر من (٠,٥٠) من تفسيره، في حين كان الذي يليه في هذه النسبة إبراهيم ولم تزد نسبة ما أخذه صراحة عنهم عن (٠,٠٢)، وغيرهم من التابعين دونهم في ذلك.

(٢) المعرفة (٢/ ٥٤٢)، والعلم لأبي خيثمة (١٢٣).

نصيب غيرهم[١] ، وكذلك لما كان ابن مسعود معظمًا للقول في التفسير، نجد أن المدرسة سارت وراءه في ذلك، فعظمت القول في التفسير، ولأجل ذلك رأينا أن ما روي عن مدرسة الكوفة من التفسير كان كله عمن جاء بعد ابن مسعود من طبقة متوسطي الكوفة، ومتأخريهم كالشعبي، والنخعي، ومن مرّ بها كسعيد والسدي، وأما النقل عن الصحابة، ولاسيما ابن مسعود فقد كثر عندهم، وكان ذلك من أبرز خصائص هذه المدرسة وسماتها التي اتسمت بها[٣] .

وإذا انتقلنا إلى المدرسة المكية وجدنا تأثير ابن عباس واضحًا في أصحابها؛ لأن ابن عباس - وإن كان قد اشتغل بالعديد من العلوم - فإنه صرف جل همه وجهده للتفسير، فتبعته المدرسة في ذلك، ولاسيما مجاهد وعكرمة اللذين كانا من أكثر التابعين تخصصًا في ذلك، مما جعلهم من أكثر التابعين نقلاً عن شيخهم في التفسير.

فنجد مجاهدًا يعرض القراءة على شيخه ثلاثين مرة، ويأخذ عنه التفسير ثلاث مرات يسأله عن كل آية[٤] .

وأما عكرمة فقد قال: كل شيء أحدثكم في القرآن فهو عن ابن عباس[٥] .

وعلى الجانب الآخر في المدرسة المدنية نجد أثر أبي هريرة على سعيد بن المسيب في اهتمامه بالرواية، وأثر عمر عليه في اهتمامه بالفقه[٦] ، وكان يسمى راوية عمر،

---

(١) سبق بيان ذلك في خصائص المدرسة ص (٥٨٢).

(٢) سنن الدارمي (١/ ٨٣، ٨٤).

(٣) سبق بيان ذلك في خصائص المدرسة ص (٥٨٥).

(٤) العلل لأحمد (٣/ ٣٦٦) ٥٦١١، والميزان (٢/ ٢٨)، والحلية (٣/ ٢٧٩، ٢٨٠)، وطبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٦).

(٥) العلل لأحمد (٣/ ٣٦٦) ٥٦١١، والميزان (٢/ ٢٠٨)، والإتقان (٢/ ٢٤٣)، والتهذيب (٧/ ٢٦٣).

(٦) البداية (٩/ ١١١).

وحامل علمه، لكثرة ما يحفظه من فتواه وأقضيته[١]، بل كان ابن عمر يرسل إليه في أحاديث عمر؛ لأن سعيدًا كان قد نصب نفسه لقول عمر فلم يَجُزْهُ[٢]، وكان كذلك أعلم الناس في عصره بقضاء الرسول ﷺ وأبي بكر، وعمر، وعثمان ـ رضوان الله عليهم ـ هذا من أنه لم يدرك عمر، مما يؤكد تأثره به حتى بعد موته لما كان يسمعه من أحاديث عمر وقضاياه.

قال ابن وهب: سمعت مالكًا، وسئل عن سعيد بن المسيب، هل أدرك عمر؟ قال: لا، ولكنه ولد في زمان عمر ولما كبر أكب على المسألة من شأنه وأمره حتى كأنه رآه[٤].

ويتضح مدى تأثر التابعين بالصحابة في موقف سعيد بن المسيب، فقد كان كل قضاء، أو فتوى جليلة ترد عليه تحكي له عن بعض من هو غائب عن المدينة من أصحاب النبي ﷺ وغيره إلا قال: فأين زيد بن ثابت من هذا[٥].

وقريب من ذلك ما قاله مجاهد: إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ما صنع عمر فخذوا به[٦].

وبالجملة، فقد أخذ التابعون عن ابن عباس التفسير فأكثروا، ثم أخذوا عن ابن مسعود القراءة فأفادوا منها.

٣ ـ شخصية التابعي:

لاشك أن شخصية أحد التلاميذ تؤدي إلى اختلافات بينه وبين صاحب له شخصية

(١) إعلام الموقعين (١/ ٢٣).
(٢) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤٠٤)، وتهذيب الكمال (١١/ ٧٤)، والبداية (٩/ ١١١).
(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢١)، والمعرفة (١/ ٤٧١)، وطبقات الحفاظ (١٨).
(٤) المعرفة (١/ ٤٦٨).
(٥) التبيين في أنساب القرشيين (٣٩٦).
(٦) إعلام الموقعين (١/ ٢٠).

أخرى، في كثرة المروي، أو قلته، وهذا ليس خاصًا بمكان دون مكان، بل قد يكون الاختلاف في المدرسة الواحدة، حيث الشيخ الواحد، والبيئة الواحدة، تبعًا لاختلاف الميول، والاهتمامات.

فمثلاً لما كان عكرمة يميل إلى معرفة أسباب النزول، لذا لاحظنا بروز ذلك، وتأثره به في رواياته عن شيخه ابن عباس في هذا الجانب، فأكثر من ذلك، في حين اهتم سعيد بن جبير بالقراءة، والإسرائيليات، فروى عن ابن عباس الكثير من ذلك، فكل واحد منهما تأثر بشيخه في جانب فأكثر من الرواية عنه فيه.

وكذلك كان لغلبة الورع على رجل منهم الأثر في كثرة الاحتياط عنها في رواية السنة، فيروي، ويفتي بقول الصحابة، أو من دونهم.

مثل إبراهيم النخعي عندما سئل في مسألة فقيل له: أما تحفظ عن رسول الله ﷺ حديثًا، قال: بلى، ولكن أقول: قال عبد الله. قال علقمة... أحب إليَّ[1].

وقد يكون حب التابعي للشيخ، وشغفه بهديه ودله، مفضيًا به إلى تتبع مروياته خاصة، فمن الأسباب التي قللت نتاج بعض المدارس شدة الحرص على التلقي، والأخذ عن الصحابة، والاشتغال بالرواية دون الدراية، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما يجده الناظر في حال أصحاب ابن مسعود، ولاسيما علقمة الذي كان من أوضح أسباب قلة المروي عنه أنه عني فقط بقول ابن مسعود، وكان علقمة انتهى إلى قول عبد الله، ولم يجاوزه[2].

لقد تشبث علقمة بهدي ابن مسعود حتى لقد قيل عنه: إذا رأيت علقمة فلا يضرك أن لا ترى ابن مسعود[3].

(١) سنن الدارمي (١/ ٨٣).
(٢) المعرفة (٢/ ٥٥٧).
(٣) التهذيب (٧/ ١٧٧)، والعلل لابن المديني (٤٧).

وكان علقمة يشبه بعبد الله في هديه[١] .

وكذلك فما كان من التابعين محبًا للفقه فإنه يروي عن الصحابي الفقه، ويكثر من ذلك في التفسير، كما نجد ذلك في رواية الحسن وإكثاره عن عمر في التفسير، ونجده كذلك عن الشعبي والنخعي، اللذين عُدَّا من أعلم الناس بابن مسعود، وإن لم يرياه.

٤ ـ الرحلات والكتابة :

من أسباب كثرة الرواية عن الصحابة ما قام به بعض التابعين من الرحلة للأصحاب للأخذ عنهم، وكذلك تدوين ما سمعوه منهم، والكتابة طريقة مشهورة في التدوين، وكان أشهر من كتب الزهري، فإنه كتب السنن، وكتب ما جاء عن الصحابة.

فعن صالح بن كيسان قال: اجتمعت أنا والزهري ـ ونحن نطلب العلم فقلت: نكتب السنن، فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ ثم قال: نكتب ما جاء عن الصحابة فإنه سنة، فقلت له: إنها ليست سنة، فلا نكتبه، قال: فكتبه ولم نكتبه، فأنجح، وضيعنا[٢].

وبلغ حرص التابعين على الكتابة عن شيوخهم، وتدوين ذلك ما جاء عن سعيد بن جبير، فإنه كتب عن ابن عمر وابن عباس، مع عدم رضاهما وعلمهما[٣] .

بل إن سعيدًا كان يملأ ألواحه، فإذا لم يجد ما يكتب عليه كتب على نعله[٤] .

ومعلوم أن الكتابة أوثق من الحفظ، ولذلك كان سعيد يرحل يكتب قول أصحاب رسول الله ﷺ في بيان آية، وتفسيرها، فكان يرحل لابن عباس يسأله عن توبة القاتل، وكانت لرحلاته الأثر الكبير في تدوين العلم عن ابن عباس خاصة، فهو لم يكن يرحل

---

(١) المعرفة (٢/ ٥٥٣)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢٩٧)، وطبقات ابن سعد (٦/ ٨٦).
(٢) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤١٢).
(٣) سبق بيان ذلك في ترجمة سعيد ص (١٣٩).
(٤) سبق بيان ذلك في ترجمة سعيد ص (١٤٠).

إليه خالي الذهن، بل كان يدوّن ما سيسأله.

عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير قال: قال يهودي بالكوفة لي ـ وأنا أتجهز للحج ـ: إني أراك تتبع العلم، أخبرني أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أعلم، وأنا قادم على حبر العرب ـ يعني ابن عباس ـ فسائله عن ذلك، فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك، وأخبرته بقول اليهودي، فقال ابن عباس: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن النبي إذا وعد لم يخلف، قال سعيد: فقدمت العراق فلقيت اليهودي، فأخبرته، فقال: صدق، وما أنزل على موسى هذا[1].

وكذا كان حاله مع ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ فقد جاء عنه أنه قال: كنا إذا اختلفنا بالكوفة في شيء كتبته عندي حتى ألقى ابن عمر فأسأله عنه[2].

بل كان أحدهم إذا أراد أن يخرج ويسافر إلى بلد فيها أحد من الصحابة أعلم الناس بذلك حتى يجمعوا له المسائل[3].

وأبلغ من ذلك أن سعيدًا رحل إلى ابن عباس الأيام والليالي في المسألة الواحدة، فعنه قال: اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن فرحلت إلى ابن عباس فقال: نزلت في آخر ما نزل، ولم ينسخها شيء[4].

ولم يكن هذا منهجًا خاصًا بسعيد، فقد جاء هذا أيضًا عن عكرمة، الذي كان جوالاً في الأقاليم، والبلدان، ولاهتمامه ببث تفسير شيخه في مختلف البلدان قلَّ نتاجه التفسيري، كما أن الأقاليم التي كان يحل بها ضيفًا كانت تؤثر أخذ تفسير ابن عباس منه، وتقدمه على الأخذ من قوله وتأويله، ولذا فإن عكرمة يعتبر أكثر روايةً عن

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٦٨)، ودراسات في التفسير وأصوله (٥٠).
(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٨)، والزهد لأحمد (٤٤٣)، والحلية (٤/ ٢٧٥).
(٣) المعرفة (٢/ ٨١٦).
(٤) الرحلة في طلب الحديث (١٣٩)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (٢٨٩).

ابن عباس من مجاهد، مع أن مجاهداً أكثر ملازمة، وذلك لسفر عكرمة، وحاجة الناس في مختلف البلدان لتفسيره، وكثرة اشتغال عكرمة به.

نتائج الأخذ عن الصحابة، وآثارها:

لقد أدت الرواية عن الصحابة، والاعتماد عليها في التفسير إلى ظهور نتائج وآثار ترتبت على ذلك، فمنها:

١ ـ حفظ أخبار الصحابة، ومعرفة دقيق أحوالهم، والتمييز بينهم.

لقد ظهرت الفروقات بين اجتهادات الصحابة من خلال مروياتهم، فاتضح للتابعين تميز كل صحابي في مجال من مجالات العلم، فلقد بلغ من حرص التابعين، وشدة ملازمتهم للصحابة، واستقراء أحوالهم أن صاروا يعقدون المقارنات بينهم.

فنجد على سبيل المثال الشعبي يذكر من الصحابة ستة كان يقدمهم في العلم على غيرهم، فيقول: كان يؤخذ العلم عن ستة من أصحاب النبي ﷺ فكان عمر، وعبد الله، وزيد، يشبه علمهم بعضهم بعضًا، وكان يقتبس بعضهم من بعض، وكان علي، وأبيّ، والأشعري، يشبه علمهم بعضهم بعضًا، وكان يقتبس بعضهم من بعض[١].

ويقارن الشعبي بين بعضهم فيقول: غلب زيد بن ثابت بالقرآن والفرائض[٢].

ويعقد عكرمة المقارنة بين ابن عباس وعلي في التفسير خاصة فيقول: كان ابن عباس أعلم بالقرآن من عليّ، وكان علي أعلم بالمبهمات من ابن عباس[٣].

ومما جاء في هذا الباب أيضًا عن سعيد بن جبير أنه قال: كان ابن عمر حسن السرد

---

(١) العلم لأبي خيثمة (١٣١)، والعلل لابن المديني (٤٢).
(٢) القواعد والإشارات (٣٩)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٣٦).
(٣) المعرفة (١/ ٥٢٧)، (١/ ٤٩٥)، وطبقات ابن سعد (٢/ ١٢٢).

للرواية عن النبي ﷺ، ولم يبلغ في الفقه والتفسير شأو ابن عباس[١] .

ولذا فأصحاب ابن عباس يقدمونه على ابن عمر في العلم، وهو فقيه أهل مكة[٢]. بل تعدت خبرة التابعين بأحوال الصحابة إلى غير العلم والتفسير، فها هو الشعبي يقول: كان أبو بكر شاعرًا، وكان عمر شاعرًا، وكان علي يقول الشعر، وهو أشعرهم[٣] .

٢ ـ حفظ أقوال الصحابة :

وهذه النتيجة ترجع في الجملة إلى ما قبلها، إلا أن النتيجة الأولى هي أن التابعي عرف من عموم أقوال الصحابة وأحوالهم، تفاضلهم في العلوم، أما المقصود بهذه النتيجة، فهي الأقوال نفسها، فإن اهتمام التابعين بنقلها قد حفظها لنا، ولاسيما أنهم في نقلهم كانوا ينقلون بفهم، فقد نقلوا الخلاف أيضًا مفرقين بين قول الصاحبين فأكثر، ثم هذا النقل للاختلاف أثر فيهم من جانب آخر، وهو اختيار بعض الأقوال، أو التوقف، وهم كانوا أئمة الاجتهاد، فلاشك أن اختياراتهم هي بمثابة العلم لنا، فنأتم بها في الجملة.

فنجد قتادة مثلاً يذكر الإيلاء، فيذكر قولاً لعلي ـ رضي الله عنه ـ ولعبد الله، وقولاً آخر عن غيرهم، ثم يقول: وقول علي، وعبد الله أعجب إلي في الإيلاء[٤] .

وعطاء على جلالته في العلم، وخاصة في مسائل الحج نجده يتوقف في بعض المسائل؛ لاختلاف الصحابة فيها، فيفتي ذاكرًا آراء الصحابة فحسب، فعندما سئل عن

---

(١) المستدرك (٣/ ٥٣٥)، والحلية (١/ ٣١٦)، والسير (١٣/ ٣٥٧).
(٢) الإرشاد (١/ ١٨٤).
(٣) العلل لأحمد (٢/ ٢٤٤)، ٢١٢٥.
(٣) العلل لابن المديني (٤٢، ٤٣).
(٤) تفسير الطبري (٤/ ٤٧٨) ٤٥٥٨.

التمتع في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[1]، قال: كان ابن الزبير يقول: المتعة لمن أحصر، وقال ابن عباس: هي لمن أحصر، ومن خليت سبيله[2].

يعني أن قول ابن عباس أعم من قول ابن الزبير.

ولأجل وجود الصحابة بينهم، حرص التابعون على مراجعة أكثر من صحابي في المسألة، فمجاهد مثلاً قال: كنت عند ابن عمر فقال: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾[3] فبكى، فدخلت على ابن عباس فذكرت له ذلك، فضحك ابن عباس، فقال: يرحم الله ابن عمر، أو ما يدري فيم أنزلت؟ إن هذه الآية حين أنزلت غمت أصحاب رسول الله ﷺ غمًا شديداً، وقالوا: يا رسول الله هلكنا، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا»، فنسختها ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ إلى قوله ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[4] فتجوز لهم من حديث النفس، وأخذوا بالأعمال[5].

وينقل لنا سعيد بن المسيب قصة اجتماع مفسرين من الصحابة وهما: ابن عباس، وابن عمرو فقال: «اتَّعد عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو أن يجتمعا، قال: ونحن يومئذ شبية، فقال أحدهما لصاحبه: أي آية في كتاب الله أرجى لهذه الأمة؟

---

(١) سورة البقرة: آية (١٩٦).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٨٨) ٣٤٢٠، ٣٤٢١، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عطاء بمثله (١/ ٥١٦).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٨٤).

(٤) سورة البقرة: آية (٢٨٦).

(٥) تفسير الطبري (٦/ ١٠٧) ٦٤٦١، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد الرزاق، وأحمد وابن المنذر عن مجاهد بنحوه (٢/ ١٢٧).

فقال عبد الله بن عمرو: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾[١] حتى ختم الآية، فقال ابن عباس: أمَّا إن كنت تقول: إنها، وإن أرجى منها لهذه الأمة قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[٢].

وعن قتادة أن عليًا وابن مسعود، كانا يجعلانها تطليقة (أي في الإيلاء) إذا مضت أربعة أشهر فهي أحق بنفسها، قال قتادة: وقول عليّ وعبد الله، أعجب إليَّ في الإيلاء[٣].

٣ ـ الالتزام بمناهج الصحابة، والإفادة منها[٤]:

لقد تبين لي من خلال النظر في تفسير التابعين أن مصدر الأخذ عن الصحابة احتل المرتبة الأولى في التأثير على مسالك التابعين ومناهجهم وأخذهم في القراءات، والاعتقاد، وآيات الأحكام، والإسرائيليات، والاجتهاد وغير ذلك، وفيما يلي سأبين شيئًا من ذلك، وسيأتي بعد ذلك بحث كل قضية بالتفصيل عند التعرض لباقي المصادر والمناهج.

وعند استعراض المدارس الأساسية في التفسير، نجد أن المدرسة المكية لقربها من ابن عباس، وكثرة الأخذ عنه، اعتنوا بالعلم الذي أكثر فيه، وهو التفسير، وكان

---

(١) سورة الزمر: آية (٥٣).

(٢) سورة البقرة: آية (٢٦٠)، الأثر في الطبري (٥/ ٤٨٩، ٤٩٠) ٥٩٧١، فابن عمرو نظر لحال أهل الشهوات، وابن عباس نظر لحال أهل الشبهات، والله أعلم.

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٤٧٨) ٤٥٥٨.
وقد استوفى الطبري الآثار عن الصحابة والتابعين في الإيلاء بما لم يشابهه أحد في ذلك.

(٤) قد يكون هناك نوع من التشابه بين هذا المطلب، وما سبق في مطلب شخصية الصحابي من أسباب التابعين في الأخذ عن الصحابة، إلا أن بحثه هناك كان من باب أن هذا عامل من عوامل اختلاف وتفاوت التابعين في النقل والرواية، أما بحثه هنا فهو من باب أنه نتيجة وأثر لكثرة أو قلة الرواية عن الصحابة أو قلتها، فهو ـ وإن كان متشابهًا ـ فإن الفرق باق بين السبب والأثر، والله أعلم.

أكثرهم في ذلك مجاهد، وعكرمة، ثم سعيد، ولما كان عطاء من أقل المكيين صلة بابن عباس كان من أقلهم تفسيرًا.

ثم إن الحرص على رواية تفسير ابن عباس والإكثار منه، شغل بعض أصحاب هذه المدرسة عن الاجتهاد في التفسير، كسعيد، وعكرمة، في حين أدى تميز ابن عباس في مجال الاجتهاد أن أصحابه الملازمين له أخذوا هذا المنهج، وساروا عليه فاجتهدوا، بل حتى فيما يخالفون به شيخهم.

فها هو ابن جبير يقول: قلت لابن عباس: ألمن قتل مؤمنًا متعمدًا من توبة؟ قال: لا، قال: فتلوت عليه الآية التي في الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[1] قال: هذه مكية نسختها آية مدنية[2]، ثم لا يكتفي ابن جبير بهذا، فيسأل مجاهدًا، فيجيبه مجاهد قائلاً: إلا من ندم[3].

ومما ورد عن المدرسة المكية أيضًا من المخالفة لشيخهم مخالفة مجاهد لشيخه ابن عباس في معرفة نزول قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾[4]، قال فيها ابن عباس: فهذا ونحوه نزل بمكة والمسلمون يومئذ قليل، وقال مجاهد: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾: فقاتلوهم فيه كما قاتلوكم[5].

وكذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم﴾[6]، قال ابن عباس: أعوانكم على ما أنتم عليه إن كنتم صادقين، وقال مجاهد مخالفًا لابن عباس: قوم

(١) سورة الفرقان: آية (٦٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب التفسير، (٥/ ٢٣١٨)، وسنن النسائي (٧/ ٨٥)، (٨/ ٦٢) ٤٨٦٣ - ٤٨٦٤.

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٦٢) ١٠١٨٧.

(٤) سورة البقرة: آية (١٩٤).

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٥٨٠) ٣١٤٢، ٣١٤٣.

(٦) سورة البقرة: آية (٢٣).

يشهدون لكم، ورجح الطبري قول ابن عباس[١] .

بل قد تكون المخالفة في مجلس الشيخ نفسه، وهذا يبدو فيما رواه عكرمة قال: قال ابن عباس: قال ابن مسعود: البطشة الكبرى: يوم بدر، وأنا أقول: هي يوم القيامة، فيقول مجاهد لابن عباس، ولكني لا أرى ذلك، ثم يذكر قوله[٢] .

أما بالنسبة للمدرسة الكوفية فقد نسجت على منوال عبد الله بن مسعود، فكثرة أخذهم عنه طبع فيهم الفقه، والقراءة، وترك الاجتهاد في التفسير تبعًا لشيخهم، ولذا قل جدًا التفسير عن أصحابه الملازمين له كمسروق، ومرة، وحتى بالطبقة الوسطى التي لم تبلغه كالنخعي والشعبي، بل عامة متقدميهم كذلك، وكذا حال المدنية التي تورعت عن التفسير تأثرًا بابن عمر.

٤ ـ تبني أقوال الصحابة :

إن الأخذ عن الصحابة من أكثر المصادر، وأهمها التي عني بها التابعون، واعتمدوا عليها، واستفادوا منها، والمراجع لكثير من تأويلاتهم يجد أن جانبًا كبيرًا منها مأخوذ من الصحابة، سواء صرح بذلك التابعي فرواه وتبناه أو لم يصرح به وهو في أصله قول الصحابي.

ولا غرو في ذلك فإن غالب أقوال قدماء المفسرين ـ كالحسن ، وعطاء، والقرظي، وأبي العالية ، وقتادة ـ تلقوها عن الصحابة[٣] .

وكذلك فإن أكثر ما يرويه إسماعيل السدي في تفسيره، هو ما كان عن ابن مسعود، وابن عباس[٤] .

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٧٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٥/ ١١٧)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وصحح إسناده (٧/ ٤٠٩)، وفتح القدير (٤/ ٥٧٣).

(٣) الإتقان (٢/ ٢٤٣).

(٤) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٦).

بل كان غالب ما يعتني به بعضهم ويحفظه، هو مما أخذه من أستاذ مدرسته، كما نجده عند عبيدة الذي نشر علم علي بن أبي طالب، وقد كان يسأله كل خميس[١].

ومما يؤكد ذلك أيضًا أن بعضهم أخذ كامل التفسير عن شيخه كالسدي، ومجاهد الذي عرض التفسير ثلاث مرات على ابن عباس، ثم نجد مروياته عن ابن عباس قليلة، ونجد كثيرًا من أقواله تشابه أقوال ابن عباس المروية من طريق آخر كطريق عكرمة، أو سعيد، فمن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**ومن هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ**﴾[٢]، قال ابن عباس: و﴿**سَارِبٌ بِالنَّهَارِ**﴾: ظاهر، كما في رواية ابن جريج عنه، وقال مجاهد فيه: و﴿**سَارِبٌ بِالنَّهَارِ**﴾: ظاهر بالنهار[٣].

٥ ـ الرواية عن كبار التابعين والأقران:

من نتائج الرواية عن الصحابة أيضًا، حب التابعين لإسناد الأقوال والمرويات؛ فيروي بعضهم عن بعض مع الإجلال، والتوقير، يقول ابن عيينة: سمعت مالكًا يقول: قال الشعبي: ما رأيت قومًا قط أكثر علمًا، ولا أعظم حلمًا، ولا أكف عن الدنيا من أصحاب عبد الله، ولولا ما سبقهم به الصحابة ما قدمنا عليهم أحدًا[٤].

وعطاء على سعة علمه ودقة نظره في فقه أحكام الحج نجده ـ بعد أن يفتي في مسألة منه ـ يورد الخلاف عن كبار التابعين، فقد سئل عن صوم المتمتع الذي لا يجد الهدي فقال: يصوم في العشر إلى يوم عرفة، قال: وسمعت مجاهدًا وطاوسًا يقولان: إذا صامهن في أشهر الحج أجزأه[٥].

(١) سنن الدارمي (١/ ١٣٧).
(٢) سورة الرعد: آية (١٠).
(٣) ينظر تفسير الطبري (١٦/ ٣٦٧) ٢٠٢٠٣، (١٦/ ٣٦٨) ٢٠٢٠٩، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٣٣٢)، وزاد المسير (٤/ ٣١٠).
(٤) السير (٤/ ٢٦٢)، والشعبي مشهور بالرواية عن كبار التابعين كعلقمة، ومسروق.
(٥) تفسير الطبري (٤/ ٦٥) ٣٤٤٦.

ويتضح هذا المنهج أكثر في حال التابعين الذين لم يلقوا كثيراً من الصحابة كالحسن، فإنه لما قدم عكرمة عليهم ترك الحسن كثيراً من التفسير لقول عكرمة.

ويتجلَّى هذا الأخذ أيضًا في طبقة صغار التابعين؛ حيث اعتمدوا قول كبارهم، كما نجده خاصة عند الربيع، ثم قتادة، وقد سبق تفصيل حال الربيع، وبيان أن جلَّ تفسيره عن أبي العالية[١].

وأما قتادة فمع تقدمه في باب التأويل فإنه أخذ كثيراً عن الحسن، وتأثر به في مسلك الوعظ، وكان كثير من الروايات المنسوبة إليه في هذا، إنما هي من قول الحسن[٢]، إلا أنه مما ينبغي التنبيه عليه أن أخذ التابعين عن الصحابة كان أكثر بكثير، بل إن بعضهم كان لا يحدث عن أقرانه بشيء كعكرمة، فأكثر حديثه كان عن الصحابة[٣].

ومن أمثلة ما جاء في أخذ بعضهم عن بعض: ما ورد عن سعيد بن جبير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[٤]، قال: قال مجاهد: هن السبع الطول، وقال: يقال: هن القرآن العظيم[٥].

وعن الشعبي قال: أناس يزعمون أن شاهداً من بني إسرائيل على مثله عبد الله بن سلام، وإنما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة؛ وقد أخبرني مسروق أن آل حم، إنما نزلت بمكة، وإنما كانت محاجة رسول الله ﷺ قومه، فقال: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ يعني القرآن ﴿وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ﴾[٦] موسى

---

(١) ينظر ص (٤٤٤).
(٢) ينظر ص (٢٧٣).
(٣) السير (٥/ ٣٠)، والكامل (٥/ ١٩٠٧).
(٤) سورة الحجر: آية (٨٧).
(٥) تفسير الطبري (١٤/ ٥٢).
(٦) سورة الأحقاف: آية (١٠).

ومحمد عليهما الصلاة والسلام على الفرقان[١] .

وعند قوله تعالى : ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾[٢]، عن قتادة قال : قال عكرمة : عرفة وتر ، والنحر شفع ، عرفة يوم التاسع ، والنحر يوم العاشر[٣] .

وقتادة ـ رحمه الله ـ كان كثر الأخذ عن شيخه الحسن ، فعند قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾[٤] ، قال قتادة : قال الحسن : التين تينكم ، والزيتون زيتونكم هذا[٥] .

❁ ❁ ❁

(١) تفسير الطبري (٢٦/ ٩).
(٢) سورة الفجر : آية (٣).
(٣) تفسير الطبري (٣٠/ ١٧٠).
(٤) سورة التين : آية (١).
(٥) تفسير الطبري (٣٠/ ٢٣٩)، والأمثلة في أخذ قتادة عن الحسن كثيرة، ومن أمثلة ما جاء عنه في تفسير الطبري الآثار التالية : (٢٩/ ١٦٣)، (٢٩/ ١٧٣)، (٢٩/ ١٧٧)، (٢٩/ ١٩٦)، (٣٠/ ٥٥)، (٣٠/ ١٧٢)، (٣٠/ ٢٣٧)، (٣٠/ ٢٤٥)، (٣٠/ ٣٥٣).

المبحث الرابع

اللغة العربية

الحديث في هذا المبحث سيرتكز على اللغة العربية كمصدر من مصادر التفسير عند التابعين.

لاشك أن العناية باللغة العربية تعطي للباحث قدرة عظيمة على تفهم آيات الله، وتذوق بلاغة القرآن، فينتج من هذا علم غزير، وفهم مستقيم لآيات كتاب الله.

وقد سبق في دراسة خصائص مدارس التفسير في عصر التابعين، تناول اللغة العربية على أنها ميزة ظهرت في بعض المدارس بصورة أوسع أو أوضح من غيرها[1].

وليس مرادي الآن تكرار ما سبق، بل المقصد بيان استمداد التابعين مادة لتفسيرهم من اللغة، ولذا فلن يكون الحديث في فروقات المدارس بعضها عن بعض، بقدر ما سيتناول التطبيق الفعلي لاستخدامات اللغة في التفسير، فإن دراسة أثر اللغة، وواقعها في تفسيرهم يساعد على تفهمها مصدراً من مصادرهم في التفسير.

ولقد ظهرت اللغة العربية بوصفها مصدراً رئيسًا من مصادر التفسير في وقت مبكر.

ومما يدل على ذلك ما جاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قسم التفسير إلى أربعة أقسام، وجعل قسمًا مما تعرفه العرب من لغتها[2].

(١) ينظر ص (٥٦٠).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٧٥) ٧١.

وقال: لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله، إلا جعلته نكالاً[١].

وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من الكتاب، ولا يكون في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركًا، وهو يعلم أحد المعنيين دون الآخر.

قال ابن جرير في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن: وأن منه ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن. وذلك إقامةُ إعرابه، ومعرفةُ المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها، والموصوفات بصفاتها الخاصة دون ما سواها، فإن ذلك لا يجهله أحدٌ منهم، وذلك كسامع منهم لو سمع تاليًا يتلو: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[٢]، لم يجهل أن معنى الإفساد هو ما ينبغي تركه مما هو مضرَّة، وأن الإصلاح هو ما ينبغي فعله مما فعله منفعة، وأن جهل المعاني التي جعلها الله إفسادًا، والمعاني التي جعلها الله إصلاحًا[٣].

وقد جعل الزركشي الأخذ بمطلق اللغة المرتبة الثالثة للمفسِّر[٤]؛ لما لها من كبير أهمية، وتقدمها على غيرها بعد مصدري الكتاب والسنة.

يقول الشاطبي: من أراد تفهم القرآن فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة[٥].

وقد اهتم التابعون بهذا المصدر، وأولوه اهتمامهم، وإن كانوا متفاوتين في هذا

---

(١) البرهان (٢/ ١٦٠).
(٢) سورة البقرة: آية (١١، ١٢).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٧٥).
(٤) الإتقان (٢/ ٢٢٩).
(٥) الموافقات (٢/ ٦٤).

الجانب.

ولا أدل على ذلك الاهتمام من قول مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب[١].

ولما سأل يحيى بن عتيق، الحسن وقال له: يا أبا سعيد، الرجل يتكلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته؟ قال الحسن: يا ابن أخي فإن الرجل يقرأ الآية فيعيى بوجهها فيهلك فيها، (أي: فيصعب عليه فهمها لعدم فهم اللغة فيهلك)[٢].

ولما سأل أيوب السختياني الحسن عن قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ﴾[٣]، قال: لو كنت امرءًا عربيًا لعرفت إنما هي فاستمرت به[٤].

وهذا مما يدل على أهمية هذا المصدر في التفسير، فمن عرف اللغة استغنى بمعرفتها عن السؤال عن الكثير من الآيات.

ومما شجع مفسري التابعين على الاهتمام باللغة أنهم كانوا يلتمسون في إقامة حروف القرآن الأجر.

فعن مكحول قال: بلغني أن من قرأ القرآن بإعراب كان له من الأجر ضعفان[٥].

اختلاف التابعين في مدى اعتمادهم اللغة مصدرًا من مصادر التفسير:

لقد تنوعت مشارب التابعين في اعتمادهم على اللغة، وجعلها مصدرًا من مصادر

---

(١) البرهان (١/ ٢٩٢).

(٢) الإتقان (١/ ١٧٩)، والاعتصام (٢/ ٢٣٩).

(٣) سورة الأعراف: آية (١٨٩).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٣٠٤) ١٥٥٠٠، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، وأبي الشيخ عن أيوب أنه قال: سئل الحسن، وساق الأثر بنحوه (٣/ ٦٢٥)، وفتح القدير (٢/ ٢٧٦).

(٥) التذكرة للقرطبي (١٢٣).

التفسير ، وظهر لذلك أثر كبير في تفسيرهم، وقبل الخوض في أسباب ذلك، رأيت أنه من المفيد أن أشير إلى أنني لم أستطع أن أقسم المدارس التفسيرية في هذا المبحث؛ لأن الاختلاف لم يظهر جليًا بين مدارس التفسير بقدر ما ظهر بين أئمة تلك المدارس.

فإذا جزمنا مثلاً بأن المدرسة المكية هي أكثر المدارس تناولاً لهذا المنهج، واستفادة من هذا المصدر، لم نجد لدينا دليلاً على ذلك إلا كثرة المنقول عن مجاهد فقط، في حين لم يكن هذا دأب عكرمة، وسعيد بن جبير، بل يقل هذا كثيراً عند عطاء، الذي لم يكن مبرزًا في اللغة، حتى لقد تمنى أن لو كان متقدمًا في علم اللغة، قال ذلك، وهو في التسعين من عمره[1].

فإذا انتقلنا إلى البصرة، فإننا نجد أن هذا المصدر نهل منه إمامان من أئمة البصرة، وهما الحسن، وقتادة، ومع ذلك لم يكن المنقول عنهما يوازي المنقول عن مجاهد كمًا، وكذلك لم يساوه كيفًا، فإن مجاهدًا قد استخدم اللغة بمهارة فائقة في استخراج المادة العلمية للتفسير، في حين ظهرت اللغة في تفسير الحسن وقتادة في جانب الفصاحة أكثر منه في جانب الاعتماد عليها في معرفة المشتق، والإيجاز، والتقديم، والتأخير، وغير ذلك مما برع فيه مجاهد.

ولذا فلا نستطيع أن نجعل البصرة هي المدرسة المتميزة في ذلك. فإذا جئنا إلى الكوفة مثلاً: نجد الشعبي الذي يعد من أشعر التابعين، إلا أنه لم يعتمد على الشعر في التفسير، في حين أن إبراهيم لم يكن ذا تعمق في اللغة.

ولأجل ذلك كله رأيت إبراز اللغة بوصفها مصدراً من مصادرهم في التفسير، جاعلاً مناط هذه الدراسة الأفراد لا المدارس.

وإذا نظرنا للنتاج التفسيري باللغة نستطيع أن نميز بعض المفسرين ممن اختص ببعض

---

(١) وقد سبق بيان ذلك في ترجمته ص (١٩٤).

الخصائص في هذا الباب، فممن برز في ذلك:

مجاهد:

لقد تأثر مجاهد بابن عباس فأخذ عنه اللغة، والفصاحة، والمقدرة على الاجتهاد، فبرع في الاستفادة من ذلك في تفسيره.

يقول القاضي عبد الجبار: ابن عباس ومجاهد، من أهل اللسان، أي العلم باللغة[١].

ونقل الزركشي عن مجاهد قوله: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله؛ إذا لم يكن عالمًا بلغة العرب[٢].

لقد كان العلم باللغة ودلالتها، من بين الأصول التي اعتمد عليها مجاهد في دعوته إلى تأويل المتشابه من الآيات دون تحرج أو تأثم، ما دام العلم باللغة قد استوفيت أسبابه[٣].

ولا غرو بعد هذا أن نجده أكثر التابعين اجتهادًا؛ إذ كانت اللغة من العوامل الرئيسة التي أثرت في اتجاهه للاجتهاد في التفسير[٤].

وساعدت لغة مجاهد على بروز تفسيره محتويًا على توضيحات كثيرة ذات طابع لغوي، أحرى بها أن تسمى دراسة للمفردات[٥].

كما أن تفسيره جاء مناسبًا لا يطيل في موضع الاختصار، كما أنه لا يختصر غالبًا

---

(١) المغني لعبد الجبار (٤/ ٢١٥).
(٢) البرهان (١/ ٢٩٢).
(٣) دراسات في القرآن أحمد خليل (١٣٨).
(٤) ينظر مبحث الاجتهاد (٧٠٨).
(٥) تاريخ التراث (١٧٧).

في موضع الإطالة ، وإن كان الإيجاز أغلب عليه .

الحسن ، وقتادة :

تميز الحسن وقتادة بالأسلوب الوعظي كما سبق تقرير ذلك[١] .

وهذا المنهج كان من لوازمه المعرفة التامة باللغة حتى تبرز المعاني العظيمة في قوالب مؤثرة ، فتميز تفسير الحسن وقتادة بانتقاء الكلمات ، وسبك العبارات ، حتى تقارب هذا النتاج من تفسيرهم مع نتاج مجاهد ، وإن كان تفسير مجاهد غلبت عليه الصنعة اللغوية ، وتفسير الحسن وقتادة غلب عليه الفصاحة ، والوعظ .

لقد تقدم الحسن في اللغة حتى صار لا يلحن ، ولما سأله رجل ، وقال له : ما أراك تلحن ، قال : يا ابن أخي : إني سبقت اللحن[٢] .

بل كان الحسن يلحن كبار الشعراء والبلغاء كالفرزدق ، والكميت ، وذي الرمة[٣] .

وكان يشبه برؤبة بن العجاج - وكان من أفصح العرب - في عربيته ، ولهجته ، وفصاحته[٤] .

ومما أعطى الحسن قوة في اللغة ، وصقل علمه بلسان العرب ، تقدمه في معرفة القراءات ، ويمكن ملاحظة ذلك في المنقول عنه ، ولاسيما في كتب التفسير عند المغاربة[٥] .

---

(١) كما سبق بيانه ص (٢٠٩ ، ٢٦٥) .

(٢) المصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٤٥٨) .

(٣) خزانة الأدب (١/ ٦) ، والبيان والتبيين (٢/ ٢١٩) ، والسير (٤/ ٥٧٧) ، والعقد الفريد (٣/ ٣٠٣) .

(٤) مفتاح السعادة (٢/ ٢٤) ، والنهاية (١/ ٢٣٥) .

(٥) أكثر المغاربة من نقل ذلك عن الحسن ، كتفسير ابن عطية ، والقرطبي ، وأبي حيان ، وغيرهم .

بل قال الشافعي في قراءة الحسن: لو أشاء أقول: إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت، لفصاحته[١].

وقال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت أفصح من الحسن، والحجاج، فقيل له: فأيهما كان أفصح؟ قال: الحسن[٢].

ولم يكن قتادة بعيداً عن شيخه في ذلك المضمار، فلقد كان على علم بالعربية، والشعر، والأنساب[٣].

ويشهد لذلك قول الذهبي فيه: كان قتادة رأسًا في اللغة[٤].

ولأجل ذلك كثر نتاج هذين الإمامين، وظهر أثر اللغة، والاعتماد عليها في الأقوال المنسوبة إليهما ظهوراً واضحًا.

الشعبي:

لقد كان الشعبي على علم واسع باللغة، وأشعار العرب، وكان له دور كبير في تفسيره الغريب، إلا أن الوارد عنه في ذلك كان قليلاً، ولعل سبب ذلك أنه كان لا ينشد الشعر، فلقد كانت المدرسة الكوفية تتحرج من أن تجتهد في تفسير الآيات بما يكون من شعر العرب، بخلاف موقف ابن عباس الذي كان يحض على الاستفادة من الشعر في التفسير لأنه ديوان العرب[٥].

أما عن التابعين الذين قلَّ اعتمادهم على اللغة في تعرضهم لتفسير القرآن، فلم تكن وجهتهم واحدة، فمنهم من انشغل بغير التفسير، ومنهم من تعلق ببعض فروع

(١) غاية النهاية (١/ ٢٣٥).
(٢) البيان والتبيين (١/ ١٦٣)، وإيضاح الوقف والابتداء (١/ ٢٧).
(٣) السير (٥/ ٢٧٧).
(٤) التذكرة (١/ ١٢٢).
(٥) الإتقان (١/ ١١٩).

اللغة، ومنهم من لم يكن متضلعًا في معرفتها.

فالسدي وإن كان متأثرًا بلغة ابن عباس -رضي الله عنهما-، واقتدى به في كثير من اجتهاده في التفسير المعتمد على اللغة، فإنه لم يكن من المكثرين في اتخاذ اللغة مصدرًا في تفسيره[١].

وأما إبراهيم النخعي، فلقد انشغل بالفقه، وأكثر منه، مما قلل من عنايته بعلوم اللغة، فلربما لحن، أو خالف الفصيح[٢].

وأما عكرمة فقد برز في تفسير نوع من أنواع اللغة، وهو معرفة ما ورد في القرآن من المعرب، وبيان أصوله، ولعل السبب في ذلك هو كثرة تردد الناس إلى مكة قاصدين البيت الحرام[٣].

وإذا جئنا إلى عطاء، لم نجد للغة كبير صدى في تفسيره، ومرد ذلك وعلته، أنه لم يكن على علم كبير بلغة العرب.

فعن حجاج قال عطاء: وددت أني أحسن العربية، قال ذلك وهو يومئذ ابن تسعين سنة[٤].

وربما كان من الأسباب التي أدت ببعض التابعين إلى الضعف اللغوي هو: عدم وضع الضوابط، والأسس اللغوية التي تسهل وتيسر تناولها، فلقد كانت معرفة اللغة تعتمد أكثر ما يكون على خلطة الأعراب، وحفظ الأشعار والأمثال، ونحو ذلك، فلما تقعدت القواعد، ووضعت الضوابط اللغوية، برز أتباع التابعين في معرفة اللغة، ولاسيما ابن زيد الذي كان تمكنه اللغوي بارزًا في تفسيره.

---

(١) سبق بيان ذلك في ترجمته ص (٣٠٢).

(٢) ينظر كتاب العلل لأحمد الأثار رقم (٦٤٥، ٦٤٨، ٧٦٣، ٤٦٧، ٦٤٩، ٧٧١).

(٣) سبق بيان ذلك في ترجمته ص (١٦١).

(٤) السير (٥/ ٨٧)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٨٤)، والعقد الثمين (٦/ ٨٦).

أهم الأسباب التي ساعدت التابعين على الاستفادة من اللغة :

وإذا أردنا أن نتعرف على كيفية استفادة التابعين من هذا المصدر في التفسير، فإنه ينبغي علينا أن نتعرف على مدى استيعاب التابعين لهذا المصدر، وتأثرهم به، وأثر ذلك في تفسيرهم.

وفيما يلي بيان بأهم الأسباب التي ساعدت التابعين على الاستفادة من هذا المصدر في التفسير.

١ ـ معرفة لسان العرب :

لقد كان لمعرفة لسان العرب الأثر الواضح في تفسير جل التابعين، وظهر ذلك في تفسيرهم للمشكل، والغريب، إلا أنه ينبغي التنبيه هنا على أن المنقول عن أئمة العراق في باب بيان الغريب أكثر من المنقول عن الحجازيين، ولعل السبب في ذلك اختلاط العراقيين بالأعاجم حتى استغلقت بعض الكلمات والعبارات على بعضهم، في حين احتفظت مكة والمدينة نسبيًا باللغة، فلم يُحتج فيها إلى تفسير الكلمات التي ربما أشكلت على العراقيين.

بل ربما أحال الحسن في معرفة المشكل على أهل المدينة، فقد تعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ﴾[١] قال: هي البسط، أهل المدينة يقولون ذلك[٢].

وعنه أيضًا في قوله: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾[٣] قال: قد بطنها حبًا، أهل المدينة يقولون ذلك[٤].

---

(١) سورة الرحمن: آية (٧٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٧/ ١٦٣).

(٣) سورة يوسف: آية (٣٠).

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٦٤) ١٩١٤٨، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي الشيخ عن الحسن به (٤/ ٥٢٨).

لقد تعلم التابعون لغة العرب، وظهر أثر ذلك في التفسير، فكم من آية نجد فيها تفسيراً للتابعين، وهو يقول: هذا من لغة العرب، هذا من لغة بني فلان، أو لغة قبيلة كذا، وجلُّ ذلك في المفردات، وهي أساس الكلام، ولذا اعتبر العلماء الشرح بالمفردات شرحًا لكل المعنى، وعليه درج بعض أئمة التفسير[١].

فمما نسبه التابعون صراحة للعرب، ما جاء عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[٢]، قال: لا تضعف أن تستكثر من الخير، قال: (تَمْنُن) في كلام العرب: تضعف[٣].

وجاء عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[٤]، قال: طوق من حديد، ألا ترى أن العرب تسمى البكرة[٥] مسداً[٦].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾[٧].

قال زيد بن أسلم: هذا قول العرب معروف (إن كان): ما كان[٨]، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[٩]، قال عكرمة: إن العرب تسمي الأمصار بحراً[١٠].

---

(١) كتفسير الجلالين، والنسفي، وغيرها، والتي اعتمدت تفسير المفردات بيانًا للمعنى.
(٢) سورة المدثر: آية (٦).
(٣) تفسير الطبري (٢٩/ ١٤٩)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٢٩٠)، وزاد المسير (٨/ ٤٠٢).
(٤) سورة المسد: آية (٥).
(٥) البكرة التي يستقى عليها، بفتح الكاف، ينظر المصباح المنير (١/ ٧٥).
(٦) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٣٦).
(٧) سورة الزخرف: آية (٨١).
(٨) تفسير الطبري (٢٥/ ١٠٢)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير بلفظ: هذا مقول العرب، إن كان هذا الأمر قط، أي ما كان (٧/ ٣٩٥).
(٩) سورة الروم: آية (٤١).
(١٠) تفسير الطبري (٢١/ ٤٩)، وزاد المسير (٦/ ٣٠٥)، وفتح القدير (٤/ ٢٢٨).

وعندما تعرض الحسن لتفسير قراءة من قرأ: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرٍ آنٍ﴾[١]، قال: كانت العرب تقول للشيء إذا انتهى حره: قد أنى حر هذا، قد أوقدت عليه جهنم منذ خلقت فأنى حرَّها[٢].

وبلغ من علم التابعين باللغة أن كانوا يفرقون بين الألفاظ المتشابهة المتفقة في الرسم، والمختلفة في الشكل، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾[٣]. قال مجاهد: الثُّمُر هو المال، والثمر: ثَمَر النخل[٤].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ﴾[٥].

قال الشعبي: (الجَهْد) و(الجُهد): الجَهد في العمل، والجُهد في القوت[٦].

وربما فسَّر التابعون الكلمة ويرجعون ذلك لإحدى لغات العرب، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[٧]، قال ابن المسيب: الماعون بلسان قريش: المال[٨].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾[٩] قال مجاهد: البور في لغة عمان: الفاسد[١٠].

---

(١) سورة إبراهيم: آية (٥٠).
(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٢٥٧).
(٣) سورة الأنعام: آية (٩٩).
(٤) تفسير الطبري (١١/ ٥٧٩) ١٣٦٧٢.
(٥) سورة التوبة: آية (٧٩).
(٦) تفسير الطبري (١٤/ ٣٩٣) ١٧٠٢٠، ١٧٠٢١، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، عن الشعبي بنحوه (٤/ ٢٥٢).
(٧) سورة الماعون: آية (٧).
(٨) تفسير الطبري (٢/ ٣١٩)، وزاد المسير (٩/ ٢٤٦).
(٩) سورة الفرقان: آية (١٨).
(١٠) مشكل القرآن (٤٩)، والإتقان (١/ ١٧٦).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾[١]، قال عكرمة: يتغنون بالحمرية[٢].

وقال الحسن في قراءة: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[٣] بسكون الظاء: وهي لغة تميم[٤].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾[٥] قال عكرمة: هي شجرة ذات شوك، لاطئة بالأرض، فإذا كان الربيع سمتها قريش الشِّبرق، فإذا هاج العود سمتها الضَّريع[٦].

٢ ـ معرفة عادات العرب وأخبارهم:

من العوامل التي ساعدت التابعين على الاعتماد على اللغة العربية واتخاذها مصدراً من مصادر التفسير ـ معرفتهم بعادات العرب في أفعالها ومجارى أحوالها[٧]، فإذا كانت الآية تنكر على الجاهليين أمراً ما، فإن المفسر يدرك المقصود منها إذا كان على علم بحالهم في ذلك الأمر، فمن ذلك ما جاء في تفسير قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ﴾[٨].

قال قتادة: كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج تقلد من السمر فلم

---

(١) سورة النجم: آية (٦١).
(٢) تفسير الطبري (٢٧/ ٨٢)، وزاد المسير (٨/ ٨٦).
(٣) سورة البقرة: آية (٢٨٠).
(٤) تفسير القرطبي (٣/ ٢٤١)، وفتح القدير (١/ ٢٩٨).
(٥) سورة الغاشية: آية (٦).
(٦) تفسير الطبري (٣٠/ ١٦٢)، وزاد المسير (٩/ ٩٦)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن عكرمة، بلفظ مختصر (٨/ ٤٩٢).
(٧) الموافقات (٣/ ٣٥١).
(٨) سورة المائدة: آية (٢).

يعرض له أحد، فإذا رجع تقلد قلادة شعر، فلم يعرض له أحد[١].

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[٢]. أن أناسًا كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون: نتوكل على الله، فنزلت الآية، جاء هذا عن عكرمة، وإبراهيم، ومجاهد، وغيرهم[٣].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٤]، أن العرب كانوا يحجون، ولا يتجرون، فنزلت الآية، جاء ذلك عن مجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس، وغيرهم[٥].

وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[٦]، كانت قريش تقول: نحن الحُمس أهلُ الحرام ولا نخلف الحرم، ونفيض عن مزدلفة، فأمروا أن يبلغوا عرفة، جاء هذا عن مجاهد، وقتادة، والسدي، والربيع، وغيرهم[٧].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٤٦٨) ١٠٩٥٠، ١٠٩٩٥١، ١٠٩٥٢، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٨٢)، وزاد المسير (٢/ ٢٧٣)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، والنحاس في ناسخه، عن قتادة بنحوه (٣/ ٨).

(٢) سورة البقرة: آية (١٩٧).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ١٥٧، ١٥٨) ٣٧٣٣، ٣٧٣٧، ٣٧٣٩، تفسير عبد الرزاق (١/ ٧٧)، وفتح القدير (١/ ٢٠٣).

(٤) سورة البقرة: آية (١٩٨).

(٥) تفسير الطبري (٤/ ١٦٢-١٦٩) ٣٧٦٢، ٣٧٧٧، ٣٧٨١، ٣٧٨٧، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٧٧)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن جرير، عن مجاهد بنحو (١/ ٥٣٥)، وأورده أيضًا في الدر، عن قتادة بنحوه، وعزاه إلى عبد بن حميد (١/ ٥٣٧).

(٦) سورة البقرة: آية (١٩٩).

(٧) تفسير الطبري (٤/ ١٨٧) ٣٨٣٥-٣٨٣٩، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٧٨)، وزاد المسير (١/ ٢١٤)، وفتح القدير (١/ ٢٠٦).

أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾[١] .

جاء أن القوم في جاهليتهم، بعد فراغم من حجهم، ومناسكهم، يجتمعون فيتفاخرون بمآثر آبائهم، فأمرهم الله في الإسلام أن يكون ذكرهم بالثناء، والشكر، والتعظيم لربهم، دون غيره، وأن يلزموا أنفسهم الإكثار من ذكره.

جاء هذا عن مجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وغيرهم[٢].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾[٣] .

جاء في تفسيرها عن مجاهد أنه قال: كانوا يطوفون بالبيت عراة، يقولون: نطوف كما ولدتنا أمهاتنا، فتضع المرأة على قُبُلها النسعة أو الشيء، فتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحلّه[٤]

وجاء عن سعيد بن جبير نحوه[٥] .

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾[٦] ، قال الحسن: خرقوا بالتخفيف كلمة عربية، كان الرجل إذا كذب في النادي قيل: خرقها ورب الكعبة[٧] .

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٠٠).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ١٩٧) ٣٨٥١-٣٨٥٧، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٧٩)، وزاد المسير (١/ ٢١٥)، وفتح القدير (١/ ٢٠٦).

(٣) سورة الأعراف: آية (٢٨).

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ٣٧٧) ١٤٤٦٢، والنسعة: قطعة جلد مضفورة توضع على صدر البعير.

(٥) تفسير الطبري (١٢/ ٣٩٢) ١٤٥٢١، وزاد المسير (٣/ ١٨٤)، فتح القدير (٢/ ١٩٩).

(٦) سورة الأنعام: آية (١٠٠).

(٧) تفسير القرطبي (٧/ ٥٣)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى أبي الشيخ عن الحسن بلفظ مقارب (٣/ ٣٥٣).

وعند قوله سبحانه: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١]، قال الحسن: كان الرجل إذا قتل قتيلاً في الجاهلية فرَّ إلى قومه، فيجيء قومه فيصالحون عنه بالدية، قال: فيخرج الفارُّ، وقد أمن على نفسه، قال: فيُقتل، ثم يُرمى إليه بالدية، فذلك الاعتداء[٢].

وعند تفسير قوله سبحانه: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾[٣]، قال الحسن: كان لكل حي من أحياء العرب صنم، يسمونها: أنثى بني فلان، فأنزل الله ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾[٤].

٣ ـ الإلمام بأشعار العرب:

الاحتجاج بالشعر في اللغة دأب النحاة والبلاغيين، ولم يكن فعلهم هذا بدعًا؛ لأن الصحابة والتابعين سلكوا هذا السبيل في تفسيرهم لكتاب الله، حتى صار الشعر العربي من مصادرهم في فهم آيات الكتاب العزيز؛ ولذا لا نتعجب عندما يروي لنا عكرمة عن ابن عباس الأمر بذلك بقوله: إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب[٥].

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: شهدت ابن عباس وهو يسأل عن عربية القرآن فينشد الشعر[٦].

---

(١) سورة البقرة: آية (١٧٨).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣٧٧) ٢٦٠٦، ٢٦٠٧، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى وكيع، وعبد بن حميد، وابن جرير، عن الحسن به (١/ ٤٢١).

(٣) سورة النساء: آية (١١٧)، وزاد المسير (٢/ ٢٠٣)، وفتح القدير (١/ ٥١٨).

(٤) تفسير الطبري (٩/ ٢٠٩) ١٠٤٣٨، ١٠٤٣٩.

(٥) البرهان (١/ ٢٩٣)، وتكلم بعدها عن أجوبة مسائل نافع بن الأزرق الخارجي لابن عباس، وأجوبته له بالشعر.

(٦) فضائل الصحابة (٢/ ٩٨١) ١٩٣٨.

وعن سعيد بن جبير، ويوسف بن مهران قالا: ما نحصي كم سمعنا ابن عباس يسأل عن الشيء من القرآن فيقول: هو كذا وكذا، ما سمعت الشاعر يقول: كذا وكذا[١].

فإذا كان الشعر مما يصح الاستدلال به على غريب القرآن، فإنه يصح الاستدلال به على صحة مذهب النحاة فيما ذهبوا إليه.

قال أبو بكر بن الأنباري: فقد جاء عن الصحابة والتابعين كثير الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر[٢].

وقال أيضًا: وجاء عن أصحاب النبي ﷺ، وتابعيهم رضوان الله عليهم من الاحتجاج على غريب القرآن، ومشكله باللغة والشعر ما بيّن صحة مذهب النحويين في ذلك[٣].

بل نجد أن بعض التابعين كان شاعرًا كالشعبي[٤].

ولما كان الحسن ـ رحمه الله ـ يتحرج من إنشاد الشعر لئلا يذهب الناس به عن القرآن[٥]، نجد في المقابل من ينكر هذا التحرج.

فقد قال الأصمعي لسعيد بن المسيب: هاهنا قوم نساك يعيبون إنشاد الشعر، قال: نسكوا نسكًا أعجميًا[٦].

(١) فضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٦٣) ١٨٨٠، ١٩١٦.
(٢) الإتقان (١/ ١٥٧).
(٣) تفسير القرطبي (١/ ٢٠).
(٤) ينظر ترجمة الشعبي ص (٣٦١).
(٥) البيان والتبيين (١/ ١١٩)، حتى قيل: إنه لم ينشد إلا بيتًا واحدًا، وهو قول عدي الغساني:
ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء
وكان يتمثل به كثيرًا، ينظر خزانة الأدب (٤/ ١٨٧)، وكتاب الحيوان (٦/ ٥٠٨).
(٦) البيان والتبيين (١/ ٢٠٢)، وذكر بعضهم أن المراد به الحسن.

ويروى هذا الخبر أيضًا عن ابن أنعم أنه قال: قلت لابن المسيب: إن عندنا رجلاً من الأنصار يقال له: إسماعيل بن عبيد من العباد، إذا سمعنا نذكر شعراً صاح علينا، فقال سعيد: ذاك رجل نسك نسك العجم[١].

والظاهر أن أكثر التابعين لم يتحرجوا من الاعتماد على الشعر كمصدر من مصادر التفسير، بل حتى الحسن ورد عنه ذلك، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾[٢]، قال الحسن: لفت ساق الآخرة بساق الدنيا، وذكر قول الشاعر:

وقامت الحرب بنا على ساق[٣].

والمطالع في كتب التفسير يجد المزيد من الأمثلة، بل تَرْجَمَ ابن أبي شيبة في كتاب فضائل القرآن من المصنف فقال: ما فسر بالشعر من القرآن[٤].

فمما جاء عن التابعين في ذلك ما روي عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾[٥]، قال الشعبي: بالأرض، ثم أنشد أبياتًا لأمية وفيها:

لحم ساهرة وبحر[٦]

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾[٧]، قال سعيد بن جبير: القانع السائل، ثم أنشد أبياتًا لشماخ:

---

(١) رياض النفوس (١/ ١٠٧).
(٢) سورة القيامة: آية (٢٩).
(٣) أورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد (٨/ ٣٦٢).
(٤) المصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٤٧٤).
(٥) سورة النازعات: آية (١٤).
(٦) المصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٤٧٥) ١٠٠٣٤، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد عن الشعبي (٨/ ٤٠٨).
(٧) سورة الحج: آية (٣٦).

لمال المرء يصلحه فيغنى معافره أعف من القنوع[١]

٤ ـ معرفة فقه اللغة :

المقصود بمعرفة فقه اللغة هو معرفة البنية الأساس للكلمات وأساس الألفاظ، وما اشتق منها، وما كان من باب الإيجاز، أو التقديم والتأخير وما إلى ذلك.

وأحاول هنا أن أبرز مدى استيعاب التابعين لهذه الأمور، ومن ثم الاستفادة منها في التفسير.

أ ـ الاشتقاق :

لاحظ التابعون اشتقاق الكلمات في اللغة، فقاموا بالتفسير بناءً على ما فهموه من الاشتقاق، وقد شمل ذلك الاشتقاق من الأسماء، وصيغ الأفعال، وغير ذلك، ومن أمثلة ذلك.

ما جاء عن مجاهد في تفسير الكعبة قال: إنما سميت الكعبة لأنها مربعة[٢]، وكذا قال عكرمة[٣].

وقال مجاهد: وإنما سميت البدن من أجل السمانة[٤].

---

(١) المرجع السابق (١٠/ ٤٧٥) ١٠٠٣٥، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد ابن حميد، عن سعيد بنحوه (٦/ ٥٥).

(٢) تفسير الطبري (١١/ ٩٠) ١٢٧٨٠، والمصنف لابن أبي شيبة (٤/ ١١٢)، وزاد المسير (٢/ ٤٢٩).

(٣) تفسير الطبري (١١/ ٩٠) ١٢٧٨١، وزاد المسير (٢/ ٤٢٩)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن عكرمة بنحوه (٣/ ٢٠١).

(٤) المصنف لابن أبي شيبة (٤/ ١١٢)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد بنحوه (٦/ ٥٠).

وقال مجاهد في تفسير الإيلاف: ألفوا ذلك فلا يشق عليهم في الشتاء، أو الصيف[١]، وفي قوله: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[٢] قال: قال مجاهد: المطروح في التراب ليس له بيت[٣].

وعن الحسن قال: إنما سمي الحج الأكبر من أجل أنه حج أبو بكر الحجة التي حجها، واجتمع فيها المسلمون، والمشركون، ووافق أيضًا عيد اليهود، والنصارى[٤].

وقال أبو العالية: إنما سمي العجل؛ لأنهم عَجلوا فاتخذوه قبل أن يأتيهم موسى[٥].

وقال قتادة: إنما سمى الله يحيى؛ لأن الله أحياه بالإيمان[٦].

وعن إبراهيم النخعي قال: سمي المسيح لأنه مسح من الذنوب[٧].

وقال مجاهد في قوله: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾[٨]، قال: سميت بذلك لسلاسة سبيلها وحدة جريها[٩].

---

(١) فتح الباري (٨/ ٧٣٠)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى الفريابي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد بلفظ مقارب (٨/ ٦٣٥).

(٢) سورة البلد: آية (١٦).

(٣) فتح الباري (٨/ ٧٠٤)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى الفريابي، وعبد بن حميد عن مجاهد به (٨/ ٥٢٥).

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ١٢٨) ١٦٤٥٩، وزاد المسير (٣/ ٣٩٦)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٦٦)، وفتح القدير (٢/ ٣٣٥).

(٥) تفسير الطبري (١/ ٦٨) ٩٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٦٤) ٥١٦.

(٦) تفسير الطبري (٦/ ٣٧٠) ٦٩٥٠، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٢٣٥) ٤٠٨، وزاد المسير (١/ ٣٨٢).

(٧) تفسير الطبري (٦/ ٤١٤) ٧٠٦٤، ٧٠٦٥.

(٨) سورة الإنسان: آية (١٨).

(٩) تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٧)، وزاد المسير (٨/ ٤٣٨)، وتفسير عبد الرزاق (٣/ ٣٣٨).

وعن السدي في اسم (إبليس) قال: إنما سمي إبليس حين أبلس متحيراً[١].

وعن مجاهد قال: إنما سمي الميسر؛ لقولهم أيسروا وأجزروا[٢].

وعن سعيد قال: إنما سموا الحواريين ببياض ثيابهم[٣].

وعطاء ـ مع أنه لم يكن متقدمًا في اللغة ـ إلا أنه أثر عنه أيضًا شيء من ذلك، والمتوقع أن يكون في المناسك، لما عُرف عنه من اهتمام بذلك.

فقد قال: إنما سميت عرفة أن جبريل كان يُري إبراهيم عليه السلام المناسك، فيقول: عرفت عرفت، فسميت عرفات[٤].

وعن سعيد بن جبير: في سبب اشتقاق آدم قال: خلق آدم من أديم الأرض[٥].

وقال قتادة في النصارى: إنما سموا نصارى لأنهم كانوا بقرية يقال لها ناصرة، ينزلها عيسى بن مريم، فهو اسم تسموا به، ولم يؤمروا به[٦].

ب ـ الإيجاز والحذف:

لقد اهتم التابعون بمعرفة التراكيب العربية، وما يتعلق بها والمفهوم من كل تركيب، وما إلى ذلك، ولقد جاءت النصوص عنهم بتفسير الآيات بإيضاح موضع الإيجاز، أو الحذف والزيادة، مما يؤكد أن النواة الأولى لهذا العلم قد غرست في عهد التابعين، ولم تكن هذه الأدوار مقعدة في قواعد، أو مضبوطة بضوابط، إلا أنهم كانوا يفهمونها بالسليقة العربية، ولذا لم يكن الاهتمام منصبًا على تحديد القواعد بقدر ما كان الهدف

(١) تفسير الطبري (١/ ٥٠٩) ٧٠٤، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٢٢) ٣٦٥، ٣٦٦.
(٢) تفسير الطبري (٤/ ٣٢٢) ٤١٠٦.
(٣) تفسير الطبري (٦/ ٤٤٩) ٧١٢٤، وزاد المسير (١/ ٣٩٤).
(٤) تفسير الطبري: (٤/ ١٧٤) ٣٧٩٦.
(٥) تفسير الطبري: (١/ ٤٨١) ٤٦٢، ٤٦٣.
(٦) تفسير الطبري: (٢/ ١٤٥) ١٠٩٧، ١٠٩٨.

هو فهم الآيات، وفيما يلي بعض الأمثلة الدالة على ذلك: فعن قتادة عند تفسير قوله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[١] قال: فبرحمة من الله لنت لهم[٢] . . . إشارة إلى أن الميم زائدة.

وعند قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾[٣] أشار مجاهد إلى حذف حرف النداء فقال: هو على النداء: يا ذرية من حملنا مع نوح[٤]، وفي قوله تعالى: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾[٥]، قال مجاهد: بثمره[٦]، أي بثمر الدهن، فجعله من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وهو ضرب من أضرب الإيجاز.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[٧]، قال مجاهد: (لا): رد عليهم أقسم بهذا البلد[٨].

وهنا أيضًا نجده قد قدَّر المنفي بـ (لا) غير القسم الموجود.

جـ- التقديم والتأخير:

من الأساليب التي عُني بها المفسرون أيضًا أسلوب التقديم والتأخير، وهذا لا يكاد يعرفه ويجزم به إلا من كان متضلعًا من اللغة، وأساليبها.

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٥٩).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٣٤١) ٨١١٩، ويقال في مثل هذا: إن الميم زائدة للتوكيد.

(٣) سورة الإسراء: آية (٣)، ينظر فتح القدير (١/ ٣٩٥).

(٤) تفسير مجاهد (١/ ٣٥٧)، وزاد المسير (٥/ ٩)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي حاتم (٥/ ٢٣٦)، وفتح القدير (٣/ ٢٠٨).

(٥) سورة المؤمنون: آية (٢٠).

(٦) تفسير الطبري (١٨/ ١٠).

(٧) سورة البلد: آية (١).

(٨) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٤)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى الفريابي وابن أبي حاتم عن مجاهد به (٨/ ٥١٧)، وفتح القدير (٥/ ٤٤٢)، وزاد المسير (٩/ ١٢٦).

ولذا لم نجده يكثر في تفسير التابعين ككثرة كلامهم في الاشتقاق ، وقد وجدت جملة صالحة من ذلك مبثوثة في التفسير أحاول أن أبرز شيئًا منها : فمما ورد عنهم :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى** ﴾[١] .

قال مجاهد : الأجل المسمى الموت ، وفيه تقديم وتأخير ، يقول : لولا كلمة سبقت من ربك ، وأجل مسمى لكان لزامًا[٢] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ **لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ** ﴾[٣] .

قال عكرمة : هذا من التقديم والتأخير ، يقول : لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا[٤] .

وعند السدي في قوله تعالى : ﴿ **فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** ﴾[٥] . قال : أما (**وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**) فيقول : اغسلوا وجوهكم ، واغسلوا أرجلكم ، وامسحوا برؤوسكم ، فهذا من التقديم والتأخير[٦] .

٥ ـ معرفة اشتراك اللغات (المُعرب) :

اختلف أهل العلم في وجود الكلمات الأعجمية في القرآن ؛ فأثبت بعضهم ذلك ،

---

(١) سورة طه : آية (١٢٩) .

(٢) تفسير مجاهد (١/ ٤٠٦) ، وأورده السيوطي في الإتقان ، وعزاه لابن أبي حاتم عن مجاهد به (٢/ ١٧) .

(٣) سورة (ص) : آية (٢٦) .

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٢) ، وزاد المسير (٧/ ١٢٤) ، وأورده السيوطي في الدر والإتقان ، عن ابن جرير عن عكرمة به (٧/ ١٧٠) ، (٢/ ١٧) ، وفتح القدير (٤/ ٤٣٠) .

(٥) سورة المائدة : آية (٦) .

(٦) تفسير الطبري (١٠/ ٥٥) ١١٤٦٢ .

واستدلوا على ذلك بأمثلة كثيرة، ورأى آخرون أن هذه الأمثلة لا تعدو أن تكون مما اشتركت فيه اللغات، ولكل فريق أدلته واستنباطاته[١].

ومما يلاحظ في هذا أن المفسرين الذين كانوا عربًا أصلاً لم يولوا هذا الجانب اهتمامًا، ولعل أكثر المهتمين بذلك هم من غير العرب، ولذلك نجد الفرق في هذا الباب بين المروي عن عكرمة مثلاً - ويعد من أكثرهم في هذا الباب، وهو من الموالي - وبين المروي عن قتادة السدوسي العربي الأصل، بل يقارن في ذلك ما كان مرويًا عن الصحابة بما كان عن التابعين.

وإذا نظرنا إلى بعض الكلمات التي قيل عنها أعجمية فإننا لا نجد ما يدل على أنها ليس لها أصل في العربية بوجه، وهذا ما يؤكد أن هذه الكلمات مما توافقت فيه اللغات، بدليل أنهم يقولون في شرح الكثير منها: إن معناه في الفارسية أو الحبشية كذا، وكذا.

وقد يكون المراد أن العرب قد أخذت هذه الكلمات، وهضمتها، وأجرت عليها قوانينها، فكأن الحديث إنما هو عن أصل هذه الكلمات، لا عن أفرادها الموجودة في القرآن[٢].

وعلى ذلك يحمل ما ورد عن السلف في الكلام على هذا الباب، فمن ذلك ما جاء عن سعيد بن جبير وأبي ميسرة عمرو بن شرحبيل أن القرآن نزل بكل لسان[٣].

وعن سعيد قال: قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجميًا وعربيًا؟ فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ

(١) يراجع في هذه المسألة تفسير القرطبي (١/ ٤٩)، والبرهان (١/ ٢٨٧)، وفتح الباري (٨/ ٢٥٢)، والإتقان (١/ ١٧٨)، والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب (٥٧ - ٦٦).

(٢) تفسير الطبري، المقدمة (١/ ١٣ - ٢٠)، وينظر علوم القرآن لعدنان زرزور (٣٩٩).

(٣) المصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٤٦٩).

﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[١] ، فأنزل الله بعد هذه الآية في القرآن بكل لسان فيه : ﴿بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾[٢] ، قال : فارسية أعربت (سنك وكل)[٣] .

فهذه الآثار وما شابهها تحمل على ما سبق تقريره .

فإذا جئنا إلى المدارس التفسيرية ، نجد أن المدرسة المكية حظيت بأكبر نتاج من أمثلة المعرب ، وقد حاولت أن أستخلص أسباب ذلك فتبين لي ما يلي :

١ ـ مكة وموقعها المعظم ، مما جعل الناس يثوبون إليها من كل مكان للحج ، والعمرة ، وفيهم من أسلم ، ولم يكن من العرب .

٢ ـ قرب مكة من القبائل العربية المتاخمة للحجاز ، وأخذ أئمتها عن أهل هذه القبائل .

٣ ـ اعتمدت المدرسة المكية في الدرجة الأولى على الموالي من غير العرب ، ولهم معرفة باللغات الأعجمية ، فقد كان كل من عكرمة ، ومجاهد ، وسعيد ، وعطاء من الموالي ، في حين كانت المدارس الأخرى كالكوفة مثلاً ، أئمتها من العرب كالشعبي ، والنخعي ، حتى الحسن البصري ، وإن كان من الموالي فقد نشأ في المجتمع العربي الصرف الذي قلَّ الموالي فيه ، وهو المجتمع المدني ؛ لذا لم يكثر عندهم الاهتمام بالمعرب ، بل إن شئت فقل : لم يلحظوا أن في القرآن ما هو غير عربي !![٤] .

ومما يلاحظ أيضًا أن من كان يفسِّر المعرب كان يكثر من لغته التي يعرفها من غير

---

(١) سورة فصلت : آية (٤٤) .

(٢) سورة الفيل : آية (٤) .

(٣) تفسير الطبري (١/ ١٤) ، وأورده السيوطي عن عبد بن حميد ، وابن جرير ، عن سعيد بنحوه (٧/ ٣٣٣) .

(٤) هذا الأعم الأغلب ، وإلا فقد يجد القارئ أن منهم من يشر إلى (المعرب) لكنه نادر ، أو قليل بالنسبة للمدنيين ، والله أعلم .

العربية كما كانت أكثر اللغات الدائرة في تفسير عكرمة النبطية، والحبشية[١] .

٤ ـ ومن الأسباب أيضًا أن ابن عباس شيخ المدرسة قد تكلم في ذلك، فقد سئل مثلاً عن القسورة فقال: ما أعلمه بلغة أحد من العرب: الأسد هي عصب الرجال[٢] .

فإذا كان شيخ المدرسة ابن عباس قد تكلم في ذلك فليس غريبًا أن يكون التلاميذ من المكثرين فيه.

وفيما يلي بعض الأمثلة الدالة على وجود القول بالمعرب عند التابعين، واعتمادهم على اللغة في ذلك، وتأثرهم به في التفسير.

فعن عكرمة قال: (**طه**) بالحبشية: يا رجل[٣] ، وقيل بالنبطية[٤] .

وعن عكرمة: (**حصب جهنم**): حطب بالحبشية[٥] .

وعن مجاهد: ﴿**وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ**﴾[٦] قال: العدل بالرومية[٧] .

وعن مجاهد: (**الطور**) الجبل بالسريانية[٨] .

وعن عكرمة: (**الجبت**) بلسان الحبشة: شيطان، و(**الطاغوت**): الكاهن[٩] .

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣)، وفنون الأفنان (٣٤١).

(٢) تفسير الطبري (٢٩/ ١٦٩)، والدر المنثور (٨/ ٣٣٩).

(٣) المصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٤٧٠)، والدر المنثور (٥/ ٥٥٠)، وزاد المسير (٥/ ٢٦٩).

(٤) تغليق التعليق (٤/ ٢٥١)، وزاد المسير (٥/ ٢٦٩)، وفتح القدير (٣/ ٣٥٥).

(٥) تغليق التعليق (٤/ ٢٥٧).

(٦) سورة الشعراء: آية (١٨٢).

(٧) المصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٤٧٠)، وزاد المسير (٥/ ٣٥)، وفتح القدير (٣/ ٢٢٩).

(٨) رواه البخاري معلقًا في كتاب التفسير، باب سورة (والطور)، ينظر الفتح (٨/ ٦٠١)، وفتح القدير (٥/ ٩٤).

(٩) رواه البخاري معلقًا في كتاب التفسير، باب: (وإن كنتم مرضى)، ينظر الفتح (٨/ ٢٥١)، وزاد المسير (٢/ ١٠٧).

وعن ابن جبير مثله[١] .

ومما يدل على تقدم عكرمة في اللسان الحبشي أنهم كانوا يراجعونه في ذلك، ويستفصلونه.

فقد قيل له: (القسورة) بالحبشية: الأسد، فقال: القسورة: الرماة، والأسد بالحبشية عنبسة[٢] .

ومن الأمثلة أيضًا ما جاء عند تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٣] .

قال عكرمة عن (الملكوت): هو الملك غير أنه بكلام النبط ملكوتا[٤] .

وعن عكرمة: قال: جبريل اسمه عبد الله، وميكائيل اسمه عبيد الله «إيل»: الله[٥] .

ومما يدل على تقدم معرفتهم باللغة الأعجمية، أن الحسن كان يفسر قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[٦] ، بأنه الجمل الحيوان المعروف، وكان منهم من

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٤٦٣) ٩٧٧٣، وفتح الباري (٨/ ٢٥٢).

(٢) فتح الباري (٨/ ٦٧٦).

(٣) سورة الأنعام: آية (٧٥).

(٤) تفسير الطبري (١١/ ٤٧١) ١٣٤٤٤، ١٣٤٤٥، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عكرمة بنحوه (٣/ ٣٠١).

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٣٩٠) ١٦٢٤، ١٦٢٦، ١٦٢٨، وزاد المسير (١/ ١١٩)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن المنذر، عن عكرمة بزيادة في آخره (١/ ٢٢٥)، وأورده أيضًا بلفظ: جبر عبد، وإيل الله، وميك عبد، وإيل الله، وإسراف عبد، وإيل الله، وعزاه إلى وكيع، وابن جرير (١/ ٢٢٦).

(٦) سورة الأعراف: آية (٤٠).

يرى أنه الحبل الغليظ[١]، فذهب بعضهم يستفهمه فقال له: أشتر أشتر، أي: الجمل بالفارسية[٢].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٣].

قال ابن جبير: هو قول أهل الشرك بعضهم لبعض إذا عطس: (زه هزار سال)[٤].

* * *

(١) وهو مروي عن ابن عباس وغيره، يُراجع في ذلك تفسير الطبري (١٢/ ٤٣١) ١٤٦٤٠.

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٤٢٩) ١٤٦٢٦.

(٣) سورة البقرة: آية (٩٦).

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٣٧٣) ١٥٩٢، وزاد المسير (١/ ١١٧)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٢٨) وزه أي عش، هزار: ألف، سال: سنة.

المبحث الخامس

الاجتهاد

الاجتهاد هو بذل الوسع[١]، والاجتهاد في التفسير بذل الوسع في استخراج المعاني، واستنباط الفوائد، والاستنارة بالحكمة، وتتبع المعنى، والتطبيق الفعلي لأمر الله بالتدبر ﴿أَفَلا يَتدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[٢] ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[٣]، ولأمر الله بالاستنباط ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[٤]، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[٥].

وفي مجال الاجتهاد والنظر، تتفاوت الأفهام، وتختلف الأذهان، وتتسابق العقول فيه مسابقة الفرسان، فمنهم حز العظم، وطبق المفصل، ومنهم من سدد، وقارب، وآخر رمى فأخطأ، ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٦].

فكلما كان المفسِّر متمكنًا من علومه، متعمقًا في تفكيره، ممعنًا في تدبره، قادرًا على استحضار النصوص المتشابهة، كان أقدر على النظر الصحيح الذي يجلو

(١) مختار الصحاح (١٠١).
(٢) سورة النساء: آية (٨٢).
(٣) سورة (ص): آية (٢٩).
(٤) سورة النساء: آية (٨٣).
(٥) سورة آل عمران: آية (٧)، والشاهد في ذلك قراءة مجاهد بالوصل، لا الوقف على لفظ الجلالة، والمراد معرفتهم التفسير.
(٦) سورة البقرة: آية (٢٦٩).

الغوامض، ويزيل الالتباس، ويكشف مشكل المعاني، وهذا لا يبلغه كل واحد؛ لأن هذا لا يتم إلا بمنحة من الله للعبد بالفطنة، وسرعة البديهة، وسعة الأفق، والتوفيق للأوفق، ولابد من وسائل معينة قبل الغوص وراء درر المعاني.

اجتهاد التابعين في التفسير:

لقد اجتهد التابعون في التفسير اجتهادًا عظيمًا، يدلنا على ذلك كثرة المنقول عنهم، مع اختلاف مدارسهم، وتنوع مشاربهم، وقد تلقوا التفسير عن الصحابة، وإن كانوا يتكلمون في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال[١].

والاجتهاد - كما هو معلوم - منه ما هو محمود، ومنهم ما هو مذموم، فالمذموم ما كان تابعًا للهوى، وهو الذي جاءت النصوص بالنهي عنه، والتحذير من التورط فيه[٢].

وأما المحمود فما كان بعد استجماع الأدوات، والاطلاع على اللغات واللهجات، ومعرفة الأمارات، والدلالات.

وقد كان تفسير التابعين من هذا الباب، ولذا قال الإمام الترمذي - رحمه الله -: وأما الذي روي عن مجاهد، وقتادة، وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن، فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن وفسروه بغير علم، أو من قبل أنفسهم، وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا، أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم، بغير علم. اهـ.

وعقب شيخ الإسلام بعد نقله كلام الترمذي هذا فقال: فمن قال في القرآن برأيه فقد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قدأخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار، وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر، لكن يكون أخف جرمًا ممن أخطأ، والله أعلم[٣].

---

(١) مقدمة ابن تيمية في التفسير (٣٨).

(٢) ينظر الآثار الواردة في ذلك في مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٧٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٧)، وتحفة الأحوذي (٤/ ٦٤).

وقال ـ أيضًا ـ بعد أن ذكر الآثار عن السلف في تعظيم التجرؤ على التفسير : فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها من أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به ، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعًا فلا حرج عليه ، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ، ولا منافاة ؛ لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه ، وهذا هو الواجب على كل أحد ، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به ، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه ، لقوله تعالى : ﴿ **لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾[1] .

ويؤكد هذا أيضًا ما ورد عن ابن عباس أنه قال : «التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره»[2] .

فهذا يدل على تفاوت مراتب التفسير ، وأن العلماء يعرفون من التفسير ما لا يعرفه غيرهم ، ولو لم يكن الاجتهاد والأثر ، لم يكن فرق بينهم ، وبين غيرهم ، والله أعلم .

مواطن الاجتهاد في تفسير التابعين:

ومع كثرة المنقول عن النبي ﷺ ، وعن صحابته في التفسير ، إلا أن هذه الروايات الكثيرة لم تستوعب بيان كل آي القرآن ، ولم تحط بها ، ولا غرو فإن القرآن الكريم معين لا ينضب ، وما زال القرآن غضًا طريًا حتى يومنا هذا ، لا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق مع كثرة الترديد .

ولذا فقد ظهرت اجتهادات التابعين في التفسير ، حتى إبان عهد الصحابة ، وشملت اجتهاداتهم مواطن كثيرة ، غالبها مما سكت عنه الصحابة ـ ومن أهمها :

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧٤) .

(٢) تفسير الطبري (١/ ٧٥) ٧١ .

١ ـ بيان المراد من النص، وذلك إذا كان النص خفي الدلالة بسبب إجمال في اللفظ، أو التركيب.

٢ ـ رفع التعارض بين النصوص التي يوهم ظاهرها التعارض، وهذا من أكثرها[١].

٣ ـ استنباط بعض الأحكام من النصوص القرآنية.

٤ ـ بيان الفروقات بين ما تشابه من الكلمات، والمعاني، والتفسير بين النظائر.

٥ ـ العناية الفائقة بدقائق من علم الكتاب العزيز، كمباحث عد الآي والكلمات في القرآن، وغيرها.

قيمة اجتهاد التابعين:

ولما كان ذلك كذلك، عظم اجتهاد التابعين، وتنوع، حتى عدَّ بعض أهل العلم إجماعهم في التفسير حجة.

يقول شيخ الإسلام: قال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع، ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير؟، يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم[٢].

ولقد كانت قدرة التابعين على الاجتهاد والاستنباط تفوق قدرة من جاء بعدهم من صغار التابعين، ومن بعدهم.

فمثلاً نجد مجاهداً من أكثرهم اجتهاداً، في حين أن من أخذ عنه كان عمله النقل فحسب، كما هو حال ابن أبي نجيح، وغيره.

---

(١) سيأتي مزيد بيان لهذا في فصل منزلة تفسير التابعين ص (٩٦٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٧٠).

وكذا كان حال سعيد بن أبي عروبة، ومعمر مع قتادة، والربيع بن أنس مع أبي العالية، والأمثلة كثيرة، ولهذا كان اجتهاد التابعين مقدمًا في الجملة على اجتهاد من جاء بعدهم، ولا أدل على ذلك من اعتماد الأئمة من مفسري السلف على أقوالهم، حتى إن المروي عنهم في التفسير فاق المروي عن الصحابة وعن أتباع التابعين[١].

أدوات الاجتهاد عندهم:

أما عن أدوات الاجتهاد عندهم، فيمكن أن نلحظ منها أربعًا بوضوح:

١ ـ معرفة أوضاع اللغة العربية وأسرارها: فإن ذلك يعين على فهم الآيات، يقول مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب[٢].

٢ ـ معرفة عادات العرب في أقوالها، وأفعالها، والوقوف على مجاري أحوالها.

٣ ـ معرفة أسباب النزول، وهو من أقوى الطرق في فهم معاني القرآن[٣]، وكان من أعلمهم وأكثرهم إعمالاً لهذا عكرمة.

٤ ـ قوة الفهم، وسعة الإدراك، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومن هنا ندرك فضلهم، وعلمهم، فإنهم ما دخلوا التفسير إلا من بابه، وماعالجوا الأمر إلا عن علم، ودراية، وهذا شأن الربانيين من العلماء في كل عصر.

مميزات اجتهاد التابعين:

لقد تميز اجتهاد التابعين بعدة ميزات جعلته أهلاً؛ لأن يكون السابق في الميدان،

---

(١) وقد سبق تفصيل ذلك في فصل مصادر تفسير التابعين ص (٥٥ ـ ٨٢).

(٢) البرهان (١/ ٢٩٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣٦ / ٣٣٧).

والمقدم على اجتهادات من بعدهم.

ولقد تبين لي بعد البحث، والجمع، ومراجعة تفاسيرهم، أن اجتهادهم تميز بعدة مميزات، بيانها كالتالي:

١ ـ تنوع عبارات الاجتهاد وتعددها:

لقد اختلف مسلك التابعين في باب الاجتهاد، فنجد منهم أحيانًا من يفسر بالقاعدة، والكلية، وأحيانًا منهم من يفسر بالمثل، والقصة، وإذا دققنا البحث نجد أن من كان منهم لا يتوسع في الاجتهاد، يعتمد على التفسير بالمثال، ولذا تتنوع عباراتهم، ومؤداها واحد، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد[١].

ولما كان الكثير من آيات القرآن له صفة العموم، فقد كثر هذا النوع من الاختلاف عندهم، وكل وجه يصدق عليه الكثير من الأوجه والاحتمالات، بل إن الآيات التي لها سبب نزول خاص، قد نص فيها العلماء على أن العبرة بعموم اللفظ، فنقل عنهم الاختلاف فيها، وهو من هذا الضرب، فإنه قد يقول المفسر: إن هذه الآية نزلت في كذا، ولا يريد اختصاصها به، كما في آية الظهار نزلت في امرأة أوس بن الصامت وآية اللعان نزلت في عويمر العجلاني، أو هلال بن أمية، والآية التي لها سبب معين فهي تتناول ذلك الشخص، وغيره ممن كان في منزلته، ولذا فإن قولهم: نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة أنه سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية، وإن لم يكن السبب، كما تقول: عني بهذه الآية كذا[٢].

وقد تختلف عبارة المفسر الواحد أحيانًا، وينقل عنه أكثر من عبارة لتغير اجتهاده،

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك في مبحث نوع الاختلاف في التفسير بين مفسري التابعين ص (٩٤٣).
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣٩).

كما ورد عن مجاهد مثلاً، فإنه قد أكثر من الاجتهاد فنقلت عنه العديد من الروايات مختلفة في الآية الواحدة أحيانًا، ومتقاربة في أحيان أخرى، هذا إن دل على شيء فإنما يدل على كثرة تعرضة للآيات، وتفسيرها، والاجتهاد في بيان معناها، وتوضيحه.

فمن ذلك ما ورد عنه عند تأويل قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[1]. قال الأعمش: أرانا مجاهد بيده فقال: كانوا يرون أن القلب في مثل هذا يعني الكفّ - فإذا أذنب العبد ذنبًا ضُمّ منه - وقال بإصبعه الخنصر هكذا - فإذا أذنب ضم - وقال بإصبع أخرى - فإذا أذنب ضُمّ - وقال بإصبع أخرى هكذا، حتى ضم أصابعه كلها، قال: ثم يُطبع عليه بطابع[2].

وفي رواية قال - رحمه الله -: الران أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشد ذلك كله[3].

٢ - الإيجاز غير المخل:

غلب على تفسير التابعين العبارات الموجزة، والتي تحمل في ثناياها المعاني العظيمة، ولا يظهر في أسلوبهم الإطناب والاستطراد، الذي نجده في عبارات الكثير ممن جاء بعدهم، ولذلك يجد المطالع لكتب التفسير بيان المعنى عندهم في كلمات معدودة.

وهذا من المفارقات الرئيسة بين التابعين، وأتباعهم، فإننا نجد التابعين لا سيما في طبقة كبارهم ومتوسطيهم[4]، يغلب على عباراتهم السبك والإيجاز غير المخل المؤدي

---

(١) سورة البقرة: آية (٧).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٥٨) ٣٠٠.

(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٥٩) ٣٠٣.

(٤) أما صغار التابعين كقتادة، وبعده السدي، فلم تكن حالهم كحال من سبقهم، إنما كان في =

لإيضاح المعنى بأبلغ عبارة وأقصرها، فكانت غالب كلماتهم جامعة، لم يرق إلى مستواها من جاء بعدهم من أتباعهم.

٣ ـ عمق التأمل ودقة التفسير:

لقد عرف التابعون عظمة القرآن، وتشربت به قلوبهم، وعظم في أعينهم تناول الصحابة الكرام للآيات، فأعملوا النظر ودققوا الفكرة، فبان لهم أن كتاب الله بحر لا تنقضي عجائبه، فاتخذوا ثاقب العقول سفنًا خاضوا بها لججه، فاستخلصوا درر المعاني من جواهر ألفاظه، واستنبطوا لآلئ الأحكام من بديع آياته.

ولا تعجب إن رأيت منهم مهمومًا من كثرة تأمله في كلماته، مغمومًا من التفكر في سوره، كأنه خربندج ضل حماره، كما وصف شيخ المفسرين مجاهد بهذا[١].

أو إن رأيت من يبيض ليله في تأمل آى الذكر، ويطلع عليه الصبح ولم يفرغ من تدبره، والنظر فيه، كمحمد بن كعب القرظي[٢].

وحق لمثل هؤلاء أن يكون منهم من يسمع الكلمة الفذة، واللفظة النادرة، فينفتح له خمسون بابًا من العلم كما هو حال عكرمة[٣].

ومما يدل على ما سبق؛ ما نجده من تفسير قتادة لقوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾[٤]. قال: فالسحر سحران: سحر تعلمه الشياطين، وسحر يعلمه هاروت وماروت[٥].

= عبارتهم طول نسبي، زاد هذا في عصر أتباعهم.

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٦٦)، والمعرفة (١/ ٧١١).

(٢) مضى تفصيل ذلك في ترجمته ص (٣٥٥).

(٣) مضى تفصيل ذلك في ترجمته ص (١٥٩).

(٤) سورة البقرة: آية (١٠٢).

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٤٢١) ١٦٧٤، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، عن قتادة به =

ويعمل مجاهد نظره في ربط الآيات الكونية بالآيات القرآنية فيقول: كل حجر يتفجر منه الماء، أو يتشقق منه الماء، أو يتردى من رأس جبل فهو من خشية الله ـ عز وجل ـ نزل بذلك القرآن[١].

وها هو قتادة يسمع قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾[٢]. فيعلم أنه ليس حبًا عاديًا، بل هو حب شديد، فيقول في بيان معنى الآية: أشربوا حُبَّه حتى خلص ذلك إلى قلوبهم[٣].

٤ ـ قوة الاستنباط:

وهذه الميزة لا تختلف كثيراً عن الميزة السابقة، وإنما أردت أن أفردها بالحديث إظهاراً لها؛ ولمنزلة تفسير التابعين؛ لأنهم لم يمروا على التفسير مرور النقلة فحسب، أو اكتفوا بالنقول بدون إعمال العقول، بل ذهبوا يتلمسون من الآيات فرائد الدراية، ويقتبسون من معانيه قبس الهداية.

يقول سعيد بن جبير: ما أعطي أحد ما أعطيت هذه الأمة، وقرأ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾[٤] ثم قال: لو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب عليه السلام، ألم تسمع إلى

= (١/ ٢٣٥)

(١) تفسير الطبري (٢/ ٢٤٠) ١٣١٧، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، عن مجاهد به (١/ ١٩٧).

(٢) سورة البقرة: آية (٩٣).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٣٥٧) ١٥٦١، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٥٢)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن جرير، عن قتادة به (١/ ٢١٩).

(٤) سورة البقرة: آية (١٥٦، ١٥٧).

قوله: ﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[١].

ويقرأ قتادة قوله: ﴿فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[٢]، فيقول ـ مستنبطًا الفرق بين أهل الكتاب، والمشركين من هذه الآية ـ: فلعمري لمن رجع من أهل الشرك أكثر ممن رجع من أهل الكتاب. ثم يدلل على ذلك فيقول: إنما آمن من أهل الكتاب رهط يسير[٣].

ونجد أن للتابعين قدرة فائقة في استخراج المعاني، واستنباطها من الآيات مباشرة والفتوى بمقتضاها، بل قد لا يزيدون أحيانًا في ذلك على قراءة الآية.

فها هو الشعبي يُسئل: هل على الرجل حق في ماله سوى الزكاة؟، قال: نعم! وتلا هذه الآية: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾[٤].

ويسأل خالد الحذاء الحسن فيقول: يا أبا سعيد، آدم للسماء خلق أم للأرض، قال: أما تقرأ القرآن: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٥]، لا، بل للأرض خلق[٦].

٥ ـ الدقة في التفريق بين الألفاظ ذات المعاني المتقاربة:

لقد كان لعيشهم وقربهم من الصحابة الأثر البالغ في سلامة لغتهم، ودقة فهمهم لألفاظ القرآن والتفريق بين معانيها، فنقلت عنهم هذه التفاسير، واعتمدها العلماء

---

(١) سورة يوسف: آية (٨٤)، وينظر تفسير الطبري (٣/ ٢٢٤) ٢٣٣١، وزاد المسير (١/ ١٦٢)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى وكيع، وعبد بن حميد، وابن جرير، والبيهقي في شعب الإيمان، عن سعيد بلفظ مقارب (١/ ٣٧٧).

(٢) سورة البقرة: آية (٨٨).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٣٢٩) ١٥١٤.

(٤) سورة البقرة: آية (١٧٧)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٣٤٢) ٢٥٢٥.

(٥) سورة البقرة: آية (٣٠).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (١٠٨) ٣١٩.

بعدهم.

فهذا أبو جعفر بن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ كثيراً ما يجتهد في انتقاء القول الراجح عنده من بين أقوال المفسرين، وربما خرج عن أقوالهم إلى ما يستنبطه هو، إلا أننا نجده في كثير من الأحيان يعتمد قول التابعي، وربما لا ينقل غيره، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾[1].

ينقل ابن جرير عن السدي قوله: السوء: المعصية، وأما الفحشاء فالزنا. اهـ، ولا يورده عن غير السدي ثم يقبله ويرتضيه[2].

ولما تعرض سعيد بن جبير لقوله تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾[3]، قال في لغو اليمين: هي اليمين في المعصية، ثم قال للذي سأله: أولا تقرأ فتفهم، قال الله: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾، وقرأ الآية ثم قال: فلا يؤاخذه بالإلغاء، ولكن يؤاخذه بالتمام عليها[4].

وتنقل لنا كتب التفسير، ما ورد عن التابعين عند قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾[5] فنجد المنقول عن عطاء، والسدي، ومجاهد، والربيع، وإبراهيم[6] أنهم قالوا: الجنف: الخطأ، والإثم: العمد، وهذا هو الأليق بسياق الآية،

---

(١) سورة البقرة: آية(١٦٩).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣٠٣) ٢٤٤٥، وزاد المسير (١/ ١٧٣)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، عن السدي به (١/ ٤٠٤)، وفتح القدير (١/ ١٦٨).

(٣) سورة المائدة: آية (٨٩).

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٤٤١) ٤٤٤٥.

(٥) سورة البقرة: آية (١٨٢).

(٦) تفسير الطبري (٣/ ٤٠٦) ٢٧٠٩، ٢٧١٠، ٢٧١١، ٢٧١٢، ٢٧١٤، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى سفيان بن عيينة، وعبد بن حميد، عن مجاهد بنحوه (١/ ٤٢٦).

مع أن الجنف يفسره أهل اللغة بالميل[١] ، ويفسرون الإثم بالذنب[٢] .

فتفسير التابعين لا يتجاوز المعنى اللغوي، ولكنه فتحٌ يفتح الله به على من يشاء.

اختلاف مدارس التابعين في تناول الاجتهاد في التفسير :

لم يكن التابعون على قدر واحد من الاجتهاد في التفسير، بل ولم يكونوا متقاربين في هذا الباب، ويمكن أن نلحظ تفاوتًا بينًا في المنقول عنهم بحيث يمكننا أن نقسم ذلك إلى ثلاثة أقسام، وسأحاول هنا إبراز هذه الأقسام، مقعدًا لذلك، دون الدخول في ضرب الأمثلة، ونقل النصوص ؛ لأنني أحسب أن فيما سبق إيراده الكفاية، والمقصود هنا الجانب النظري لدراسة مصادرهم في التفسير.

لقد جاءت أحوال التابعين في هذا الباب على أضرب :

الضرب الأول : تجنب الخوض في التفسير :

فنجد بعض مدارسهم عظمت القول في التفسير، فأغلقت هذا الباب، أو كادت، في وجه كل مريد للتفسير، وأنكرت أشد الإنكار على كل من حاول؛ خشية الخطأ في كتاب الله ، وهذا نجده واضحًا عند المدنيين، والكوفيين، فمع إمامة سعيد بن المسيب، وعده عالم العلماء في التابعين، إلا أنه لم يكن يتكلم إلا في المعلوم من القرآن، وعندما كان يسأل، كان يقول: لا أقول في القرآن شيئًا[٣] .

وأما عروة فمع سعة علمه، وكونه بحرًا لا تكدره الدلاء، فلم يكد يسمع منه ابنه رواية واحدة في التفسير[٤] .

---

(١) مختار الصحاح (١٠٠).

(٢) المرجع السابق (٥).

(٣) مرّ ذلك في ترجمة سعيد ص (٣٤٦).

(٤) مر ذلك في خصائص المدرسة المدنية ص (٥٩٣).

ولم يقتصر فعل المدرسة المدنية على الإحجام فحسب، بل تعدى ذلك إلى الإنكار كما أشرت إليه آنفًا، فإنه لما قدم إمام مكة في التفسير عكرمة، والذي قيل فيه: إن تلاميذ ابن عباس عيال عليه، جلس يحدث الناس بالتفسير أنكر سعيد بن المسيب عليه، وقال لمن يسأله: لا تسألوني وسلوا من يزعم أنه لا يخفى عليه شيء[١].

وترتب على هذا الورع الذي كان عند علماء المدينة، أننا لم نلحظ المحاولات التفسيرية الأولى إلا في الطبقة الثانية التي تلي طبقة كبار التابعين كطبقة محمد بن كعب، وزيد بن أسلم، على قلة التفسير المنقول عنهم، مع تقدمهم في تحصيل علومه، وأحسب أن من أهم الأسباب التي أدت إلى ذلك؛ أن المحيط المدني كثر فيه الحديث، والأثر والفقه، فغلب على رجالاته كما سبق دراسته في خصائص المدرسة المدنية[٢].

ولا تخرج المدرسة الكوفية عن محيط هذا الضرب أيضًا، فقد قل نصيبها في باب الاجتهاد في التفسير، ولم نجد من المحاولات التفسيرية إلا ما كان عند متأخري التابعين، كالسدي ذي الأصل الحجازي، فقد تصدر هذا الميدان وأكثر فيه، مما جعل الشعبي إمام الطبقة الوسطى من التابعين في هذه المدرسة ينهاه ويعيب تفسيره، فما وجد السدي بدًا من أن يحتمي لرد ذلك ببيان حاله وأنه لم يجتهد في هذا التفسير، إنما هو منقول عن ابن عباس، فإن كان صوابًا فهو قاله، وإن كان خطأ فهو قاله[٣].

ومع ذلك فقد نقلت جملة صالحة عن مدرسة الكوفة في طبقة الشعبي والنخعي، في باب الاجتهاد، ولا سيما في تفسير آيات الأحكام واستنباط الأحكام الشرعية منها[٤].

---

(١) مرّ ذلك في ترجمة سعيد ص (٣٤٧).

(٢) ينظر ص (٥٩٥).

(٣) ينظر في ذلك ترجمة السدي ص(٣٠١).

(٤) تراجع ترجمة الشعبي ص (٣٢٤)، وترجمة إبراهيم ص (٣٣٧).

الضرب الثاني ـ التوسط في مجال التفسير :

ويمثل هذا الضرب المدرسة البصرية بمفردها، فقد تحرر أصحابها من شدة الورع الذي لازم مدرستي المدينة والكوفة نسبيًا، فظهرت محاولات مبكرة في التفسير والاجتهاد، إلا أن هذه المحاولت كلها، أو جلها كانت تابعة للمنهج الوعظي الذي اتخذه أئمتها في التفسير كما سبق بيانه[1] .

ولهذا جاء الاجتهاد عندهم مرتبطًا بالجانب الدعوي الذي يربط الناس بجانب التزكية، والسمو الروحي ، ويدعو إلى مكارم الأخلاق . وكذلك ظهر هذا المنهج عند تناولهم للآيات التي تذكر بعض أفعال الأنبياء، أو ما يترتب عليه القول في عصمتهم ، فنجد تناولهم لذلك أشد حذرًا من تناول غيرهم له[1] .

وأما الضرب الثالث ـ فهو التوسع الاجتهادي في التفسير :

وتمثله المدرسة المكية بلا منازع، فقد أسهمت في باب الاجتهاد في التفسير وتوسعت فيه ـ عن علم ـ ولم ينقل عن أحد من أصحابها إنكار ذلك أو كراهيته، مع كثرة الروايات، والاجتهادات المنقولة عنهم، ساعد في ذلك وجود ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بين أيديهم، ونشره العلم في جنبات تلكم المدرسة؛ حتى لقد كان التفسير العلم المقدم في مكة .

وإذا كان لا بد من اجتهاد في ترتيب مدارس التفسير المختلفة في باب التوسع الاجتهادي فإنه يمكن أن يكون على النحو التالي :

أولاً: المدرسة المكية :

وأكثرهم تناولاً في هذا الجانب مجاهد، يليه عكرمة، ثم سعيد بن جبير .

وأما عطاء وطاوس، فمع أنهما مكيان، إلاأنهما قلَّ أن يتعرضا للمشكل، وإنما

(١) كما سبق الإشارة إليه في ترجمة الحسن ص (٢٠٩) ، وقتادة ص (٢٦٥)، وفي مبحث خصائص المدرسة البصرية ص(٥٦٦) .

يكتفون بما معهم من أثر فيفسرون به، قال الشافعي: ليس من التابعين أحد أكثر اتباعًا للحديث من عطاء[١].

ولكن مما ينبغي التنويه به، أن عطاءً وإن كان مقلاً في الاجتهاد، إلا أنه مكثر في التفسير بالنسبة لأهل المدينة، فتميز عنهم، كما تميز عن الشعبي الكوفي الذي كان مقلاً في الاجتهاد، ومكثرًا من الرواية في التفسير بأن عطاء لم ينقل عنه، ولا عن أحد من مدرسته إنكار الاجتهاد، في حين نُقل عن الكوفيين الإحجام، والإنكار، بينما أحجم عطاء، ولم ينكر، فافترقت المناهج في هذا.

ثانيًا: المدرسة البصرية:

وجاء في طليعتهم الحسن البصري الذي نقلت عنه آراء اجتهادية تفسيرية كثيرة، ولكنها كما سبق تدور غالبًا حول المنهج الوعظي الدعوي، ثم جاء أبو العالية فاجتهد وفسر، ويليهما في ذلك قتادة الذي اكتفى بمحفوظه عن مجهوده، وكان اعتماده على الروايات والآثار أكثر من اجتهاده.

ويعد الربيع بن أنس من أقلهم في هذا الجانب؛ فقد اكتفى بالنقل عن أبي العالية كما سبق بيانه[٢].

ثالثًا: المدرسة الكوفية:

وهم من المقلين كما سبق، إلا أنه جاء عن النخعي جملة في هذا أكثر من غيره، يليه عامر الشعبي، وأما أصحاب عبد الله الملازمون له فإنهم كانوا من أقل التابعين على الإطلاق اجتهادًا في التفسير[٣].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٣٣).

(٢) كما سبق في مبحث المدرسة البصرية ص (٤٤٤).

(٣) وقد مرَّ عند الحديث عن أصحاب عبد الله في مبحث المدرسة الكوفية ص (٤٧٠ - ٤٩٢).

رابعًا: المدرسة المدنية:

ولم يأت عن كبارها شيء يذكر في هذا الباب، وأكثر من نقل عنهم الطبقة التي تليهم من محمد بن كعب القرظي، يليه زيد بن أسلم.

أما الشامية، والمصرية، واليمنية، فلم أجد لهم ما يمكن أن يقال: إنه منهج عام للاجتهاد، بل هم غالبًا أتبع للمدارس السابقة لا يخرجون عن اجتهاداتهم، ولم يظهر لهم شخصية اجتهادية متميزة[1].

أسباب تفاوتهم في باب الاجتهاد:

وإذ قد أفضى بي الحديث ـ والحديث ذو شجون ـ إلى بيان أن أئمة التابعين كانوا في معترك الاجتهاد متفاوتين، وفي مضمار الاستنباط متباينين، فإن الأهم من ذلك كشف النقاب عن أسباب ذلك التفاوت، وإماطة الحجاب عن علل ذلك التباين، وهذه هي الأسباب كما ظهرت لي:

١ـ أثر الشيوخ في تلاميذهم:

إذا كان التأثر والتأثير من الأمور الجبلية، فإن من البدهي أن يكون تأثير الشيخ في التلميذ أكبر، وتأثر التلميذ بالأستاذ أكثر، إذًا فلا عجب أن يكون من أسباب تفاوت التابعين في الاجتهاد تأثرهم بشيوخهم؛ لهذا كان نتاج المكيين في هذا المجال أكثر من غيرهم، فقد تأثروا بشيخهم وأستاذهم حبر الأمة ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وكان تأثرهم به في عدة أمور منها:

أ ـ سعة علمه العظيم بالتفسير: حتى لقد كان يحدث بنعمة الله عليه فيقول عند تفسير قوله سبحانه: ﴿ **مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ** ﴾[2]، قال: أنا من أولئك القليل[3].

---

(١) يراجع التفسير في الشام ص (٥٢٥)، وفي اليمن ص (٥٣٦)، وفي مصر ص (٥٤٠).

(٢) سورة الكهف: آية (٢٢).

(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٦).

ويقول كما نقل عنه في تفسير قوله تعال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[١]: أنا ممن يعلم تأويله[٢].

وكان يقول: كل القرآن أعلم إلا أربعًا: غسلين، وحنانًا، والآواه، والرقيم[٣].

ولم ينفرد ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بين الصحابة بذلك، بل شاركه ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في هذا حيث قال: والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا زنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه[٤].

إلا أن اتجاه ابن عباس في التفسير كان هو الإكثار، وإعمال العقل، وتوسيع دائرة الاجتهاد، في حين كان ابن مسعود يميل للورع الشديد في هذا الباب؛ لذا تبعه أهل الكوفة في ذلك، ثم إن ابن مسعود توفي قديمًا[٥]، في حين تأخرت وفاة ابن عباس

---

(١) سورة آل عمران: آية (٧).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٢٠٣) ٦٦٣٢، وزاد المسير (١/ ٣٥٤)، وفتح القدير (١/ ٣١٩).

(٣) تأويل مشكل القرآن (٩٩).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، وينظر الفتح (٩/ ٤٧) ٥٠٠٢، وقد سبق تفصيل تخريجه في مبحث المدرسة الكوفية، في ترجمة ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ص (٤٦١)، وهذا الأثر الأظهر تنزيله على التفوق والسبق من ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في علم القراءة لا علم التفسير؛ لأن المنقول عنه ـ رضي الله عنه ـ في التفسير قليل؛ ولأن الخبر إنما جاء من باب التحدث بنعمة الله في علم القراءة، بدليل ما جاء في بعض الزيادات الصحيحة، ولو أعلم أحد أعلم مني بالعرضة الأخيرة، ثم مما يؤكد ذلك صنيع الإمام البخاري في صحيحه؛ حيث جعله في باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ثم إن هذا الأثر من ابن مسعود، إنما جاء في معرض عدم الرضى عن فعل عثمان (رضي الله عنهم أجمعين) عندما قدم زيدًا عليه.

ولذا فالذي أميل إليه هنا أن الأثر جاء في القراءة لا في التفسير، والله تعالى أعلم.

(٥) سنة ٣٢هـ.

بعده[١] ، فاحتاج الناس إلى علمه ، فكان سماع المكيين أكثر بخلاف أهل الكوفة فكان سماعهم أقل .

ومن هنا يظهر عمق تأثير ابن عباس في أصحابه في باب الاجتهاد .

ب ـ قوة حجة ابن عباس: لم يكن ابن عباس واسع العلم فحسب ، بل كان قوي الحجة ، واضح التأثير في نفوس السامعين .

قال طاوس : ما سمعت أحدًا خالف ابن عباس ، فيتركه حتى يقرره[٢] .

جـ ـ المنهج التربوي: اهتم ابن عباس بتربية تلاميذه على الاجتهاد ، ففتح لهم باب السؤال ، بل والكتابة عنه ، وسمح لهم بالفتوى بحضوره ، وفي غير حضوره ، مدربًا إياهم على الاستقلالية ، حتى كان بعضهم يفتح عليه في المسألة بعد البحث ، والمراجعة معه ، بل وصل الحال ببعضهم إلى معارضته ، ومخالفته صراحة في مجلسه ، كما سبق تفصيله ، والتدليل عليه[٣] .

أما ابن مسعود شيخ الكوفة فقد كان مُحجمًا عن الانطلاق في التفسير ، مُحذرًا أصحابه من التوسع في هذا الباب ، وقد تأثرت به الطبقة الملازمة له ، فما ورد عنهم كبير مسائل في الاجتهاد التفسيري ، وكان ابن مسعود معلمًا بارعًا أثر بسمته ودله ، وعلمه ، وفضله ، أثر على المدرسة كُلها فأحبوه ، واتخذوا سبيله .

بقي أن يقال : إن كثرة الشيوخ في المصر الواحد يقل معه الاجتهاد وتنفتح أبواب الرواية .

وبالجملة ، فإن تأثر التابعين بشيوخهم في الإقدام ، أو الإحجام عن الاجتهاد

---

(١) سنة ٦٨ هـ .

(٢) العلل لأحمد (٢/ ٦١) ١٥٥٤ ، وفضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٦٧) ١٨٩٢ .

(٣) سبق تفصيله في منهج ابن عباس التعليمي مع أصحابه في مقدمة الحديث عن المدرسة المكية ص (٣٩٠) .

التفسيري من أعظم الأسباب في تفاوتهم ـ رضي الله عنهم ـ في الاجتهاد.

٢ـ الميول والاهتمامات:

خلق الله الناس مختلفين في ميولهم الفطرية، واهتماماتهم الفكرية، وقد قسم الله العلوم، والفهوم، كما قسم الأرزاق، والأموال.

ونتيجة طبيعية لذلك فقد كان اهتمام كل إنسان بما يوافق ميوله وفكره، فيجتهد في ذلك حتى يبرع فيه.

وقد صار المفسرون من التابعين على هذا النحو، فاجتهد كل منهم فيما يوافق ميله الفطري.

ولاختلاف مشاربهم واهتماماتهم، جاء هذا النتاج الوفير شاملاً كل أوجه الاجتهاد التفسيري. من مباحث الفقه، والوعظ، وبيان المشكل، وغير ذلك.

وأحاول في السطور القليلة أن أبرز شيئًا من ذلك مبينًا أثره في الاجتهاد بوصفه من مصادر التابعين في التفسير.

أ ـ الميول الفقهية: عند النظرة العامة للمدارس التفسيرية، نجد أن العراقيين في الجملة كانوا أكثر اهتمامًا بتفسير آيات الأحكام من غيرهم، لا سيما أهل الكوفة، وإن كان قد شاركهم أفرادٌ من مدارس أخرى، فتصدرت مدرسة الكوفة قائمة المجتهدين في تأويل آيات الأحكام عامة، فكثر المنقول عنها فيه لا سيما ما نُقل عن إبراهيم النخعي، وعامر الشعبي[1].

ثم تلى هؤلاء عطاء بن أبي رباح المكي، الذي مكنه تفوقه في علم المناسك من التوسع في آيات أحكام الحج خاصة، فجاء ثلث المنقول عنه في تأويل آيات الأحكام،

(١) سبق بيان ذلك في خصائص المدرسة الكوفية (ص ٥٧٩).

وثُلثا هذه الآيات كانت في بيان وتفصيل آيات الحج ، لحاجة المكان لذلك[١] .

ومثال آخر من أفراد المدارس ، وهو سعيد بن المسيب إمام مدرسة الورع في التفسير (مدرسة المدينة) ، نجد أن ما يزيد على ثلث المنقول عنه في التفسير جاء في شرح وتوضيح آيات النكاح ، وما يتعلق به من أحكام ، وكما سبق بيان الأثر الذي أحدثه علمه وحفظه لأقضية الرسول ﷺ ، وعمر ، وعثمان ، فصب ذلك كله في بيان آيات الطلاق والنكاح في غالب المروي عنه[٢] .

ب ـ الميول الدعوية : إذا نظرنا للحسن البصري نجد رهافة الحس الدعوي ، وشدة الحرص على وعظ الناس وتذكيرهم ، هذا كان له أثره في غزارة الإنتاج الاجتهادي في الجانب الدعوي خاصة ، ونتج عن هذا أمور منها :

١ ـ الاهتمام بآيات الوعد والوعيد ، وكثرة التعرض لها بالبيان والشرح ، واستنباط الفوائد ، والعبر ، والعظات منها .

فمن ذلك ما جاء عنه في تفسير قوله تبارك وتعالى : ﴿ **فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ** ﴾[٣] . قال : والله ما لهم عليها من صبر ، ولكن ما أجرأهم على النار[٤] .

وعند قوله سبحانه : ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً** ﴾[٥] .

فسر بعض الأئمة الحسنة في الدنيا أنها المال[٦] ، وخالف في ذلك الحسن وفسر

---

(١) مضى تفصيل ذلك في ترجمة عطاء ص (١٨٩) .

(٢) مضى تفصيل ذلك في ترجمة سعيد بن المسيب ص (٣٤٨) .

(٣) سورة البقرة : آية (١٧٥) .

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣٣١) ٢٥٠٢ ، وزاد المسير (١/ ١٧٦) ، وفتح القدير (١/ ١٧٢) ، وأورده عبد الرزاق في تفسيره عن قتادة بنحوه (١/ ٦٦) .

(٥) سورة البقرة : آية (٢٠١) .

(٦) تفسير الطبري (٤/ ٢٠٥) ٣٨٨١ ، ٣٨٨٢ ، ٣٨٨٣ ، وزاد المسير (١/ ٥٦١) .

الآية: بأن الحسنة: العبادة في الدنيا[١]، وفي رواية قال: الحسنة في الدنيا: العلم والعبادة[٢].

وعند قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾[٣]. قال الحسن: يقول منْ زَيْنها، ما أحدٌ أشدُ لها ذمًا من خالقها[٤].

وعند قوله سبحانه: ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾[٥] يبين الحسن فائدة وعظية في حال المستلذ والقريب من الشهوات في الدنيا، فيقول عند تأويل هذه الآية: يسر أحدهم أن لا يلقى علمه ذاك أبدًا، يكون ذلك مناه، وأما في الدنيا فقد كانت خطيئة يستلذها[٦].

٢ ـ الاهتمام ببيان الإشكال الوارد على الآيات والذي من شأنه أن يؤدي بالناس إلى التواني، والترخص، والاجتهاد في رفع هذا الإشكال.

فقد خالف الحسن ـ رحمه الله ـ كثيرًا من المفسرين[٧]، وأنكر أن إبليس من الملائكة، فعن عوف بن عبد الرحمن، قال: قال الحسن: ما كان إبليس من الملائكة

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٠٥) ٣٨٧٩، وزاد المسير (١/ ٢١٦).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٢٠٥) ٣٨٧٨، وزاد المسير (١/ ٢١٦)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، والذهبي في فضل العلم، والبيهقي في الشعب (١/ ٥٦٠)، وفتح القدير (١/ ٤٠٢).

(٣) سورة آل عمران: آية (١٤).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٢٤٣) ٦٦٩٤، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن الحسن به (٢/ ١٦١).

(٥) سورة آل عمران: آية (٣٠).

(٦) تفسير الطبري (٦/ ٣٢١) ٦٨٤٣، وزاد المسير (١/ ٣٧٢)، وفتح القدير (١/ ٣٣٢).

(٧) خالف قول ابن عباس، وابن مسعود، وسعيد بن المسيب، وقتادة، وغيرهم، ينظر تفسير الطبري (١/ ٥٠٢ـ٥٠٦) ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥.

طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس[١].

وعند قوله سبحانه: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾[٢]، ينكر الحسن كونهما من الملائكة، معللاً ذلك بقوله: لأن الملائكة لا يعلمون السحر[٣].

ومن هنا أود أن أؤكد أن الحسن ـ كما سبق ـ من أكثر التابعين حرصًا على إيضاح المشكل هو ومجاهد، إلا أن الحسن توجه إلى إيضاح مشكل آيات القصص، وخاصة ما كان منها عن الأنبياء أو الملائكة مبينًا عصمتهم، واهتم ببيان مشكل الترغيب، والترهيب، وآيات الوعد، والوعيد، في حين كان مجاهد يهتم بالمشكل في ظاهره.

وعندما تمر الروايات عن بني إسرائيل، نجد الحسن لا ينسى الأمر الذي أهمه في شأن تنزيه الملائكة، وتتكرر الآية عند قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾[٤] قال: أخذ عليهما الميثاق أن يقولا ذلك[٥].

وهذا حتى لا يتوهم متوهم أن الملائكة علمت الناس ذلك، فيترخصوا في باب السحر.

٣ ـ وكان مما يترتب على هذا الميل الاجتهادي عند الحسن، مخالفة ظاهر بعض النصوص القرآنية؛ محتجًا بظواهر أخرى خشية منه ـ رحمه الله ـ أن يؤدي فهم الظاهر من البعض إلى خطأ في التصور أو الترخص في أمر، يدفعه في أكثر مخالفاته، التنزيه لساحة الأنبياء كما سبق، وكذلك التصحيح لبعض المفاهيم الدعوية، فمن ذلك انفراده

(١) تفسير الطبري (١/ ٥٠٦) ٦٩٦، وزاد المسير (١/ ٦٥)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، وابن الأنباري وأبي الشيخ في العظمة، عن الحسن به (٥/ ٤٠٢).

(٢) سورة البقرة: آية (١٠٢).

(٣) تفسير البغوي (١/ ٩٩).

(٤) سورة البقرة: آية (١٠٢).

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٤٤٣) ١٧٠٠، وهذا القول مروي عن قتادة أيضًا، ينظر تفسير الطبري (٢/ ٤٤٣) ١٦٩٨، ١٦٩٩، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٥٣).
ولم يرو هذا القول إلا عنهما، وعن ابن جريج.

ـ رحمه الله ـ ومخالفة ظاهر النص القرآني عند تفسير قوله عز وجل: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾[١] قال: كان الرجلان اللذان في القرآن اللذان قال الله فيهما: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ من بني إسرائيل، ولم يكونا ابني آدم لصلبه[٢].

وعند تأويل قوله جل وعلا: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ ﴾[٣] يقول قتادة: كنت عند الحسن فقال: (نادى نوح ابنه) لعمر الله ما هو ابنه! قال: قلت: يا أبا سعيد، يقول: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ ! ليس بابنه! قال: أفرأيت قوله: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾[٤] ؟ قال: قلت: إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك، ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه. قال: إن أهل الكتاب يكذبون[٥].

ولعل الدافع لهذا الاجتهاد هو حرصه على تنزيه الأنبياء؛ لأن القول بأنهم أبناء الأنبياء، قد يوهم القدح في عصمتهم، ومما ينبغي التأكيد عليه أن الحسن لم يكن يخالف الظاهر بهوى منه ـ حاشاه من ذلك ـ فإنه وإن خالف الظاهر، فإنه يستدل بظاهر آية أخرى يدفع به ظاهر الأولى.

جـ ـ الميول الاجتهادية لإيضاح مشكل الآيات: كان من أهم الأمور التي برزت عند بعض التابعين هو الميل إلى بيان غامض بعض الآيات، وإيضاح مشكلها، والغوص وراء معانيها، ويعد مجاهد من أبرز التابعين في ذلك، فقد انقطع لهذا العلم، وكدَّ ذهنه فيه، واستفرغ جهده وعلمه في تأمل آياته، فصار عنده هذا الحرص فكثر إيضاحه للمشكل من المعاني مبينًا الفروقات الدقيقة بين الكلمات، وكان ـ رحمه الله ـ

(١) سورة المائدة: آية (٢٧).
(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٢٠٨) ١١٧١٩، وزاد المسير (٢/ ٣٣١)، وفتح القدير (٢/ ٣٠).
(٣) سورة هود: آية (٤٢).
(٤) سورة هود: آية (٤٦).
(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٣٤١) ١٨٢١٣، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٣٠٦)، والبحر المحيط (٥/ ٢٢٦).

يرى أن الرأي الحسن من أفضل العبادة، ولما سافر إلى الكوفة أهل الفقه والقياس كان من أسهلهم في قبول القياس، والعمل به، مع ما غلب على حاله من كثرة التأمل، والتفكير.

وقد امتاز ـ رحمه الله ـ عن بقية تلاميذ ابن عباس، بل عن سائر أقرانه من المفسرين ـ بإعطاء العقل بعض الحرية في النظر، والتأمل، فعده البعض من أوائل من أدخل التفسير بالاجتهاد في التفسير بالمأثور[١]، ولذا قال فيه الذهبي: لمجاهد أقوال وغرائب في العلم والتفسير تستنكر[٢].

وكما يشهد لذلك ما سبق بيانه من تأويله للمسخ الواقع على بني إسرائيل، أنه لم يكن حقيقة، إنما المسخ وقع على قلوبهم، وعلل تلك المخالفة بأن هذا مَثَل ضربه الله، وانفرد بهذا بين عموم التابعين، وخالف ـ عفا الله عنه ـ في إنكار نزول المائدة، وقال: مَثَل ضُرب لم ينزل عليهم شيء، ومثل ذلك ما جاء عنه في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾[٣]، قال: هو مثل ضربه الله لإبراهيم[٤].

وبهذا يتضح لنا مدى الاجتهاد الاستقلالي الذي سار فيه مجاهد، وأنه مع تلقيه عن ابن عباس إلا أن الاستقلال بدا واضحًا في منهجه، ونتج عن ذلك أمور منها:

١ ـ قلة روايته عن شيخه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ومجاهد، مع أنه من أكثر أصحاب عبد الله بن عباس أخذًا عنه، فقد كان من أقلهم رواية لتفسير شيخه[٥].

---

(١) القرآن الكريم هدايته وإعجازه (١٩٧، ١٩٨).

(٢) السير (٤/ ٤٥٥).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٦٠).

(٤) سبق تفصيل هذه الأمثلة في ترجمته ص (٩٣).

(٥) بعد مراجعتي لتفسير الطبري، وجدت أن عدد المروي عن ابن عباس (٥٨٠٩) روايات، منها (٦٨٤) رواية جاءت من طريق سعيد بن جبير، و(٥١٣) رواية جاءت من طريق عكرمة، و(١٧٩) رواية فقط جاءت من طريق مجاهد.

وأحسب أن مجاهداً قد جمع العلمين: علم الرواية، والدراية، فجمع ما حفظه من ابن عباس، مع ما عنده من الفهم، والقدرة الفائقة على الاستنباط والقياس، فكان هذا النتاج العظيم الذي زاد في عدده على ما عنده شيخه ـ رضي الله عن الجميع ـ.

٢ ـ وترتب عن هذا الإمعان الشديد في الاجتهاد، أن كان ـ رحمه الله ـ حريصاً على تنويع مصادر تلقيه، فاتصل بشيوخ المدارس الأخرى، وأخذ منهم، مما كان له الأثر في وضوح استقلاليته في المنهج عن بقية أصحابه، كما كان لذلك الأثر الإيجابي في تأهله لمرتبة عالية من الاجتهاد.

ويضاف إلى ذلك حرصه ـ رحمه الله ـ على رؤية ومعرفة كثير من الأخبار، والعجائب التي ذكرت في القرآن، فكان كما يقول الأعمش: لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب ينظر إليها، ثم ذكر قصة ذهابه لرؤية هاروت وماروت[١].

٣ ـ اهتمامه بالمشكل وكثرة اجتهاده فيه. فقد كان من أكثر التابعين حرصاً على بيان مشكل الآي[٢].

ومن المعلوم أن علم حل مُشكل الآيات يحتاج إلى إمامة في باب الاجتهاد، وقدرة على الجمع بين مايتوهم أنه اختلاف وليس كذلك، فمن أمثلة ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾[٣]، قال: يرزقون من ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها[٤].

---

(١) سبق ذكر القصة كاملة في ترجمته ص (١٣٠).

(٢) وقد سبق بيان ذلك في أثر مجاهد في علوم القرآن، يُنظر ذلك في ترجمته ص (١١٤).

(٣) سورة البقرة: آية (١٥٤).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٢١٥) ٢٣١٧، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد به (١/ ٣٧٦).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[١]

قال مجاهد: منافعهما قبل أن يحرَّما[٢].

٤ ـ بعده عن المعنى الظاهر القريب، لاستخراج معان جديدة واستنباطات لطيفة[٣].

٥ ـ مخالفته لشيخه، فمجاهد من أكثر التابعين أخذاً عن شيخه ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ فقد قرأ عليه التفسير أكثر من ثلاث مرات يسأله ويستوقفه عند كل آية، ومع هذا كله فهو من أكثر التابعين مخالفة لشيخه ـ رضي الله عنهما ـ، وكما سبق أن أشرنا أن تربية ابن عباس، ومنهجه التعليمي لأصحابه كان من الأسباب الرئيسة في توجيههم تلك الوجهة.

فمن ذلك أن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾[٤]، قال: إن الرجل إذا عرف الإسلام وشرائع الإسلام، ثم قتل مؤمناً متعمداً، فجزاؤه جهنم، ولا توبة له، فذكرت ذلك لمجاهد فقال: إلا من ندم[٥].

وبعد هذا البيان لأثر الميول والاهتمامات في قدرات المفسر على الاجتهاد، يمكن أن نضيف إلى ذلك مقدار تمكن المفسر من علم ما أو عدمه، فهذا يعد أيضاً سبباً لاختلافهم، فإنه لما كان بعضهم قد تمكن من القراءات والفقه ظهر فيهم الاجتهاد في القراءات كحال سعيد، وأبي العالية، ومجاهد، والسدي، ولما كان آخرون قد برزوا في الفقه، كان اجتهادهم في التفسير من باب الفقه، كحال ابن المسيب، والنخعي،

(١) سورة البقرة: آية (٢١٩).
(٢) تفسير الطبري (٤/ ٣٢٨) ٤١٣٦.
(٣) وقد سبق الإشارة إلى ذلك في مبحث خصائص تفسير مجاهد في ترجمته ص (٩٢).
(٤) سورة النساء: آية (٩٣).
(٥) تفسير الطبري (٩/ ٦٣) ١٠١٨٧، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦/ ١٠٥٥).

وعطاء، والشعبي.

وكانت اجتهادات الحسن أقرب للوعظ والتدريس؛ لتمكنه من ذلك وتبعه قتادة في كثير منه.

٣- أثر الرواية في تفاوت الاجتهاد عند التابعين:

الأصل أن الرواية جزء من الاهتمامات والميول الفطرية، إلا أنني وجدت تأثير الرواية على اجتهادات المفسرين يفوق بكثير غيره من الاهتمامات، أو الميول، لذا رأيت أن أفرده بشيء من الدراسة؛ لأوضح أثره في الاجتهاد بوصفه مصدرًا من مصادر التفسير عند التابعين.

وبعد الاستعراض السريع لأحوال التابعين في التفسير، فإننا نلحظ أنه بصورة عامة - كلما زاد نصيب المفسِّر من الأثر قلَّ حظه أو حرصه في التعرض للمشكل، وقلَّ الرأي عنده بعامة، ومال للرواية المجردة، وإذا نظرنا للمدرسة المكية فإننا نجد أن مجاهدًا على سبيل المثال، كان متشددًا في جانب الرواية، فقلت الرواية عنده، وبالتالي غلب على منهجه الجانب العلمي البحت، الذي يهتم ببيان المشكل وتوضيح المراد، وبيان دلالات الآيات.

في حين أن عطاء تساهل في الرواية، فترجح الجانب الروائي عنده على الجانب الاستنباطي، والاجتهادي، وقدأثر هذا في طرق التلقي عن الرجلين من وجه آخر، فاعتماد الأئمة على مراسيل مجاهد أكثر من اعتمادهم على مراسيل عطاء، بل أطلقوا القول بأن مراسيل عطاء ضعيفة؛ لأنه يحمل عن كل ضرب، بينما مراسيل مجاهد أصح[1].

فإذا جئنا إلى المدرسة البصرية فإننا نجد أن الحسن كثر عنده الاجتهاد، وإيضاح المعاني والمواعظ أكثر من قتادة تلميذه؛ وذلك لأن الحسن لم يكن يضبط الرواية كقتادة،

(١) تهذيب الكمال (٢٧/ ٢٣٣)، والتاريخ الكبير (٧/ ٤١٢).

ثم إنه لم يعن بطرق التحمل والأداء كعناية قتادة ، فقد غلب عليه الجانب الوعظي ، وقد أثر ذلك في الاعتماد على مراسيله ، حيث لم يقبلها كثير من أهل العلم ، وجعلوها كالريح .

أما قتادة فقد سبق أنه أحد الأوعية الذي حفظ كثيراً من الآثار والسنن ؛ ولذلك غلب عليه الجانب الروائي ، فكان من أقل التابعين بالبصرة إعمالاً للرأي في التفسير .

فقد استغنى - رحمه الله - بمحفوظه ، وبما أعطاه الله من قدرة على الحفظ عن مجهوده وأكثر النقل عن النبي ﷺ والصحابة ، وعن كبار التابعين ، فأغناه عن إعمال فكره في الاجتهاد ، ولا سيما أنه لكثرة محفوظه يختار من أقوال أهل العلم ما يشاء ، ويدع ما يشاء ، فلقد كان من أعلمهم باختلاف العلماء كما قال ذلك سعيد بن المسيب ، وأحمد بن حنبل[١] .

ولقد غلب حب الآثار على نفس قتادة ، فلم يكتف بالنقل عن الحسن وأنس ، بل تعدى حيث روى عن المدنيين ، وخاصة ابن المسيب ، وعن الكوفيين : الشعبي ، والنخعي ، وغيرهم ، ثم هو مع هذه الحافظة القوية ، كان يختار منها ما يكون أقرب للجانب التربوي عند تفسير الآيات ، أو استنباط المعاني والمواعظ ، متأثراً في ذلك بشيخه الحسن الذي تابعه متابعة شديدة ، وتأثر به في ذلك ، مع أنه لم يتأثر به في جانب الرأي والاجتهاد كما مرّ معنا ، بل خالفه في ذلك ؛ ولأجل ذلك أثرت عن الحسن بعض الاجتهادات التي فيها نظر لأهل العلم كما مرَّ ذلك[٢] ، إلا أن شيئًا من ذلك لم يؤثر عن قتادة ، بل قد ينقل عنه صراحة ما يدل على خلافه ، مثل ما قاله الحسن في قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾[٣] ، حيث قال : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ،

(١) السيرة (٥/ ٢٧٦).
(٢) ينظر ترجمة الحسن ص (٢٣٠).
(٣) سورة الكهف : آية (٥٠).

وإنه لأصل الجن، كما أن آدم عليه السلام أصل الإنس[١] . فخالفه قتادة، واستدل على مخالفته بطريق الرواية فأسند إلى ابن عباس أنه قال: لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود، وكان على خزانة السماء الدنيا[٢] .

وإذا جئنا للمدرسة الكوفية نجد المفارقة واضحة بين الشعبي الذي قيل فيه: أحد أوعية العلم، وبين النخعي الذي كان دون ذلك، فالاعتماد في تفسيره على السنة، وأقوال الصحابة، وأسباب النزول، أشد وضوحًا في تفسير الشعبي عنه عما هو عند النخعي[٣] .

وإذا نزلنا طبقة نجد السدي قد غلب على تفسيره النقل والأثر، بل والرواية عن بني إسرائيل، لكثرة محفوظه في ذلك، في حين قلّ الاجتهاد والاستنباط عنده.

أما المدرسة المدنية فكان الاهتمام فيها بالأحاديث النبوية والآثار عن كبار الصحابة عظيمًا، حتى إن عروة بن الزبير الذي قيل فيه: بحر لا تكدره الدلاء، من كثرة محفوظه لا نجده يروى عنه شيء في التفسير[٤] .

ولما غلبت عليهم الرواية، والأثر وتشربوا بها، قلّ عندهم في المقابل الاجتهاد، والرأي في الآيات، مع الآثار التي كانوا يروونها في ذلك، والتي تحذر من الرأي، والهوى، ومنها ما جاء عن عمر أنه قال: إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنة، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي فضلوا، وأضلوا[٥] .

---

(١) سبق عزوه ص (٢٢٩).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٢٦٠)، وزاد المسير (١/ ٦٥)، وفتح القدير (١/ ٦٦، ٦٧).

(٣) وقد سبق تفصيل ذلك في مبحث المقارنة بين الشعبي والنخعي ص (٤٨٥).

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٢٩)، وقد سبق بيان ذلك في خصائص المدرسة المدنية ص (٥٩٢).

(٥) الفقيه والمتفقه (١/ ١٨٠)، وجامع بيان العلم (٢/ ١٣٥)، وإعلام الموقعين (١/ ٥٥).

وعن ابن مسعود قال: لا يأتي عام إلا وهو شر من الذي قبله، ويجيء قوم يقيسون الأمور برأيهم[١].

وقد استوعب أهل المدينة هذه الآثار فهابوا التفسير، وانشرحت صدورهم للرواية المجردة عن الرأي، وظل هذا الأمر مدة من الزمان.

قال الليث بن سعد: جئت ابن شهاب الزهري يومًا بشيء من الرأي، فقبض وجهه، وقال: الرأي؟! ـ كالنكارة له ـ ثم جئته بعد ذلك يومًا آخر بأحاديث من السنن فتهلل وجهه، وقال: إذا جئتني فأتني بمثل هذا[٢].

وذكر ابن وهب عن ابن شهاب أنه قال ـ وهو يذكر ما وقع فيه الناس من هذا الرأي وتركهم السنن ـ: إن اليهود والنصارى إنما انسلخوا من العلم الذي بأيديهم حين اتبعوا الرأي، وأخذوا فيه[٣].

وقال أيضًا: دعوا السنة تمضي لا تعرضوا لها بالرأي[٤].

فهذا كان دأب أهل المدينة، ولأجل ذا قلَّ عنهم الاجتهاد، والاستنباط، بل والكلام في التفسير، وقد تقدم شيء من ذلك[٥].

٤ـ المواهب الإلهية:

المقصود بالمواهب الإلهية هنا ما حباه الله للإنسان من ملكات وقدرات فكرية ونفسية، مما له أثر كبير على الاجتهاد في التفسير.

ولعل أبرز ما ظهر لي أثناء التتبع أن الأئمة اعتمدوا على موهبتين أكثر من غيرهما:

---

(١) الفقيه والمتفقه (١/ ١٨٢)، وجامع بيان العلم (١/ ٩٥).
(٢) المعرفة والتاريخ (١/ ٦٢٥)، وتاريخ دمشق (١٥/ ٥٠٩).
(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٦٨)، وإعلام الموقعين (١/ ٧٤).
(٤) إعلام الموقعين (١/ ٧٤).
(٥) ينظر مبحث خصائص المدرسة المدنية ص (٥٩٢).

الأولى: الذكاء الفطري القادر على التحليل والتوجيه والاستنباط.

الثانية: الحافظة القوية التي تتسع للكثير من المسائل والآثار.

وكون أحد الأئمة اجتهد في إعمال أحد الصفتين لا ينفي أن له نصيبًا من الصفة الأخرى، بل وغيرهما من الصفات، إلا أن المقصود أن الأئمة لما برز لأحدهم مجال لإعمال ما وهبه الله له من عقل أو ذكاء أو حفظ، فإنه يتجه به إلى استغلاله على النحو الأوفق، في حين لو كانت هذه الصفة لغيره لما استفاد كثيرًا منها، هذا من جهة.

ومن جهة تأثير هذه الصفات في الاجتهاد فهو ظاهر، فمجاهد على سبيل المثال لم يرزق حافظة ابن المسيب، أو قتادة مثلاً، لكن رزقه الله ذكاءً وفطنة، فأعمل فكره ووسع دائرة تدبره لسد ما فاته في جانب الحافظة، وربما ظهر وكأنه مغتم ضل حماره من شدة التركيز والتفكير في الاستنباط[1]، فشمل بتدبره الكثير من الغامض والمشكل، والفرق بين المفردات المتشابهة، فبلغ فيه شأوًا لم يصل إليه غيره، واحتاج الناس إلى علمه، وقريب منه في هذا الباب الحسن البصري ـ رحمه الله ـ، فقد نقلت عنه من الاستنباطات والتفسيرات البليغة بالألفاظ الفصيحة ما لم ينقل عن غيره.

وقد أثنى أهل العلم على علم هذين الرجلين خصوصًا في مجال المحكم والمتشابه، فقد ذكر شيخ الإسلام في الكلام على قوله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ**﴾[2]، قال: قوله: ﴿**أَن يَفْقَهُوهُ**﴾ يعود إلى القرآن كله، فعلم أن الله يحب أن يُفقه، ولهذا قال الحسن البصري: ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم في ماذا أنزلت، وماذا عني بها، وما استثنى من ذلك لا متشابهًا ولا غيره.. (ثم تكلم عن مجاهد) وقال: ومجاهد إمام التفسير، قال الثوري إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به[3].

---

(١) ينظر ص (١٣٤) من هذا البحث.

(٢) سورة الكهف: آية (٥٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

وبرع مجاهد في استخراج الكليات، وبيان المشكل، وتفسير الغريب، مما يؤكد حسن استخدامه لهذه المنحة الإلهية له بالعقل والفطنة، يلمس ذلك من يقرأ له في مجال بيان الآيات المشكلة خصوصًا.

أما صفة الحفظ، فهي من الصفات التي اختص الله بها بعض الناس دون بعض، ويتفاوت الحفاظ فيما يحفظونه، كما سبق القول عن قتادة ونحوه، فلربما كان قتادة أقل ذكاءً من مجاهد، ولكن لم يمنعه ذلك من أن يبرز وينتشر علمه انتشار علم مجاهد، بل وأكثر بالنسبة للعراق؛ لأن الله وهبه الحافظة القوية، فحفظ كثيرًا وجمع شيئًا عظيمًا، فلما كان دور الرواية انتقى من محفوظه، واختار من مجموعه، وألقاه للناس في عبارة جميلة، وأساليب فصيحة بليغة أحيانًا، بسبب تأثره بالحسن، وبعبارة فقهية دقيقة في آثار أخرى، بسبب تأثره بسعيد بن المسيب، ولذا حمل الناس عنه العلم، وتناقلت أقواله الألسن، وانتفع به القريب والبعيد إلى يومنا هذا، وهذا كله من نتاج الاستخدام الجيد للصفة الفطرية، والمنحة الربانية، التي ما منا إلا وله نصيب منها، ولكن فضل الله في استخدامها والانتفاع بها يؤتيه من يشاء.

٥- الورع:

الورع من الصفات الحميدة التي يتصف بها المؤمن، وإذا كان الورع محمودًا في شيء، فإنه يكون أشد فضلاً وأعظم قدرًا في مجال الدين والقرآن والسنة، للنصوص الواردة في ذم التكلف والفتيا بغير علم؛ ولذا كان جمهور السلف يعظم شأن التفسير.

وليس المراد هنا إعادة ما سبق تقريره من ورع هذه المدرسة أو تلك، وإنما المراد بيان أثر هذه الصفة على التفسير، مع التأكيد أن من اجتهد في التفسير لم يكن مُقدمًا على محرم، ومن ترك الاجتهاد لم يكن تاركًا للأفضل، وإنما هي السلامة ينظر إليها هذا بنظرة شاملة لما حوله من عوامل فيخرج لنا برأي، وينظر إليها ذاك فيرى أن الإمساك بها

هو قلةالاجتهاد، وكلهم كان على خير وفضل.

إن وجود مثل هذا في الأمة يدل على ظاهرة طيبة، فلولا وجود ورع سعيد بن المسيب ـ وهو عالم العلماء ـ والنخعي، لأقدم من لا علم له على الخوض في كتاب الله بالحق تارة وبالباطل تارات، وفي المقابل لولا إقدام مجاهد والحسن لضاع علينا فرصة الاستفادة من علوم هؤلاء، ولجاء من بعدهم فأفتى في كتاب الله بغير علم فضل وأضل.

إن الكلام على ورع ابن المسيب وعروة لا يعني أنهم كانوا لا يفقهون شيئًا من القرآن، بل قد احتفظت لنا كتب التفسير بالكثير من اجتهاداتهم ورواياتهم في تفسير القرآن، إلا أنها في الغالب لا تتعدى المعلوم والمعروف، فاكتفوا بالآثار التي نقلوها عن النبي وصحابته، وما عزّ عليهم فهمه وكلوه لعالمه، ولم يتجرءوا على الخوض فيه ورعًا، وخاض غيرهم طلبًا للأجر، فالكل مصيب من وجه، فالحسن مثلاً تكلم احتسابًا، أما ابن سيرين فقد سكت احتسابًا وكلاهما ينتمي لمدرسة واحدة[1].

وحفل لنا التراث التفسيري بهذه النماذج الخيرة حتى ننسج على منوالهم، فلا يترفع عالم عن ورع ولا يقدم طالب عن جرأة.

وصفة الورع يمكن أن تبحث مع المطلب السابق (الصفات الفطرية) إلا أنه لأهميتها ـ كما بينتها ـ رأيت أن أفردها باعتبارها سببًا رئيسًا لتفاوت الاجتهاد عند التابعين، ونحاول هنا أن نتعرف على حالهم في هذه الصفة وأثر ذلك على الاجتهاد والتفسير. قال ابن عطية: إذ كان جلة من السلف كابن المسيب، والشعبي، وغيرهما يعظمون تفسير القرآن[2].

---

(١) وقد سبق بيان الفرق بين هذين الإمامين في مبحث المقارنة بين البصريين ص (٤٣٢).

(٢) تفسير القرطبي (١/ ٢٧).

وها هو عطاء مع أنه من المدرسة المكية قد سئل عن شيء ، فقال : لا أدري، قيل : ألا تقول برأيك؟ قال : إني أستحيي من الله أن يُدان في الأرض برأيي[١] .

وقد نتج من ذلك قلة المنقول عن هؤلاء، فلا نكاد نجد لعطاء مثلاً في حل المشكل أثرًا أو رواية .

ونحن إذ نرى عكرمة وقد خاض غمار الاجتهاد يقول عن نفسه : كنت أسمع الكلمة فينفتح لي خمسون باباً من العلم[٢] .

نجد في المقابل قتادة، راوية العراق يقول : ما قلت في شيء برأيي منذ خمسين سنة[٣] .

ونجد موقفًا آخر من مواقف الورع والإحجام عن الاجتهاد، ألا وهو موقف طاوس إمام أهل اليمن، والذي درس على يد ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ ، نراه يقول عن الحسن وقد ذكر له : «ذاك رجل جريء»[٤] .

في حين نجد الحسن نفسه يُسأل : أرأيت ما تفتي به الناس شيئًا سمعته، أو تقوله برأيك؟ قال : لا والله ما كل ما نفتي به سمعنا، ولكن رأينا خير لهم[٥] .

ويقول أيضًا : «نعم وزير العلم الرأي الحق»[٦] .

فهذه النصوص تبين الواقع لهؤلاء في الاجتهاد، كما أن تلك النصوص بينت الواقع لأولئك في الإحكام ، وقد زخر التراث بذلك كله، وما زالت كلمات أولئك

(١) السير (٥/ ٨٦)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٨٢)، والتهذيب (٧/ ٢٠٢).
(٢) ينظر ترجمة عكرمة ص (١٥٩).
(٣) سبق بيان ذلك في ترجمة قتادة (٢٧٤).
(٤) المعرفة (٢/ ٤٤).
(٥) تهذيب الكمال (٦/ ١٠٨)، إعلام الموقعين (١/ ٨٧).
(٦) جامع بيان العلم (٢/ ١٧٧).

غضة طرية، وعبارات هؤلاء لطيفة قوية، والكل ينظم في سلك واحد.

٦ـ أثر البيئة:

دأب الباحثون في علم الاجتماع على تعظيم أمر البيئة، وأثرها في الإنسان، ودائمًا يضعونها في المرتبة الأولى من الأسباب، هذا إن ذكروا معها غيره، ولكني رأيت أن الإنسان ـ وإن كان له تأثر ملموس بالبيئة المحيطة به ـ إلا أن تأثيره غالبًا ما يكون أقوى إذا جمع مؤهلات التأثير.

ولم يكن ثمة موانع، ولأجل ذا أخرت الكلام على هذا الجانب، مقدمًا عليه ما يلوح لي أنه أعظم تأثيرًا، وأبعد أثرًا في مسألة الاجتهاد في التفسير، وأضرب هنا مثالين: أحدهما في تأثير البيئة على الإنسان، والثاني عكسه، فأما الأثر الواضح للبيئة فهو أثر المُقام في مكة المكرمة في علم الرجل بالمناسك، وهذا أمر لا بد منه؛ لأن زوَّار البيت والعمَّار والحجاج يفدون إلى مكة في كل السنة، وكل منهم يحتاج إلى سؤال، أو أكثر، فكثرة الأسئلة، وابتلاء أحوال الناس يؤدي إلى تفتح المسائل، وصقل القريحة، وتفتق الاجتهادات.

ومن هذا الباب قالوا: إن علم عطاء كان في المناسك [١]، مع قلة المروي عنه في باب الاجتهاد، في حين كان علم إبراهيم في الصلاة. قال مطر الوراق: وكان علم صاحبنا الحسن في كلٍ [١].

وها هو عكرمة يحدث فيقول لغلامه: يا غلام هات الدواة والقرطاس، فقال: أعجبك؟ قلت: نعم، قال: إنما قلته برأيي [٢]، هذا مع أن عكرمة أكثر حديثه عن الصحابة [٣].

---

(١) تاريخ أبي زرعة (٢/ ٦٨٣).

(٢) السير (٥/ ٢٩)، وتهذيب الكمال (٢/ ٢٨٦)، والتهذيب (٧/ ٢٦٩).

(٣) الكامل لابن عدي (٥/ ١٩٠٧)، والسير (٥/ ٣٠)، وهدى الساري (٤٢٩).

ومن باب تأثير الإنسان في البيئة ما كان من أمر مجاهد في المدرسة المكية، فقد سافر إلى العراق واستقر في الكوفة، وقد مر بنا أنه من أكثر التابعين اجتهاداً وقدرة على الاستنباط، فهل تغير مجاهد عندما وضع رحاله بالعراق، الظاهر أن مجاهداً لم يتغير كثيراً، بل لربما أثر في المحيط الجديد الذي نزل به، ولهذا نجد أن ابن قتيبة يقول: كان أشد أهل العراق في الرأي والقياس الشعبي، وأسهلهم فيه مجاهد[1].

* * *

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٧٤).

الفصل الثاني

منهج التابعين في التفسير

الفصل الثاني

منهج التابعين في التفسير

لكل عالم أو كاتب أو مفكر منهج يلتزمه في علمه، أو كتابته، أو تفكيره، وبقدر وضوح ذلك المنهج تكون الفكرة، والعبارة، والمعلومة، واضحة للناس، سامعين وقارئين.

ولقد كان التابعون على منهج واضح المعالم في تناولهم لآيات الكتاب يتسم بالدقة والفهم وغزارة النتاج وقوة الاستنباط.. إلخ، برز من برز منهم في علم أو فن، فكان هذا منهجه في ذلك الفن، وبرز آخر في باب أو مسألة، فكان هذا منهجه في ذلك الوجه، ولأجل تقارب المناهج العامة، وتشابهها، رأيت أنه من المناسب دراسة الوجوه، والأبواب التي تباينت فيها الاتجاهات، واختلفت دون ما كان سمة عامة للجميع، ومنحى واحداً لكل المفسرين.

وسوف أتناول في هذا الفصل بيان منهجهم، وطرائقهم فيما يلي:

المبحث الأول: منهجهم في القراءات.

المبحث الثاني: منهجهم في آيات الصفات، والاعتقاد.

المبحث الثالث: منهجهم في استنباط آيات الأحكام.

المبحث الرابع: منهجهم في تلقي ورواية الإسرائيليات.

وسأعرض لكل منها بالدراسة المقارنة، سائلاً الله السداد والتوفيق.

منهج التابعين في القراءات :

عرف الزركشي القراءات بقوله : القراءات : اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها[١] .

فخص القراءة بما اختلف فيه من ألفاظ الوحي ، مع أن علماء القراءات يتوسعون في دائرة شمول القراءات للمختلف فيه والمتفق عليه .

فيقول ابن الجوزي : القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله[٢] .

وعرفها الدمياطي بقوله : القراءات علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى ، واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل ، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع[٣] .

ولمعرفة أسباب اختلاف القراءات لابد من نظرة لتاريخ المصحف الشريف ، قال البخاري ـ رحمه الله ـ : باب أنزل القرآن على سبعة أحرف . ثم ساق الإسناد عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : «**أقرأني جبريل على حرف ، فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف**»[٤] .

وساق بإسناده عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف

---

(١) البرهان (١/ ٣١) ، والإتقان (١/ ١٠٥) .

(٢) منجد المقرئين (٩١) ، وإتحاف فضلاء البشر (١/ ٦٧) .

(٣) إتحاف فضلاء البشر (١/ ٦٧) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ، ينظر الفتح (٩/ ٢٣) ٤٩٩١ ، وتفسير الطبري (١/ ٢٩) ، والمصنف لعبد الرزاق (١١/ ٢١٨) ، ومسند أحمد ، وينظر الفتح الرباني (١٨/ ٥٣) ، وكتاب الأحرف السبعة لأبي عمرو الداني (١٣) ٢ .

كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ ، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم ، فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها. فقال رسول الله ﷺ: «**أرسله، اقرأ يا هشام**، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: **كذلك أنزلت**، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: **كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه**»[٢].

وحديث الأحرف هذا من الأحاديث المتواترة[٣].

وقد اختلف الناس في معنى الحروف السبعة على أقوال، لعل من أرجحها: أن الأحرف السبعة هي تأدية المعنى باللفظ المرادف، ولو كان من لغة واحدة، فيكون القرآن قد أنزل أولاً بلسان قريش، ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيح للعرب أن يقرؤوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ، والإعراب، ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغته إلى لغة أخرى، للمشقة، ولما كان فيهم من الحمية، ولطلب تسهيل فهم المراد، كل ذلك مع اتفاق المعنى، وعلى هذا يتنزل اختلافهم في القراءة كما تقدم - في حديث عمر - وتصويب رسول الله ﷺ كلاً

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ينظر الفتح (٩/ ٢٣) ٤٩٩١، والمصنف لعبد الرزاق (١١/ ٢١٨)، وكتاب الأحرف السبعة (١٢)٢.

(٢) الفتح (٩/ ٢٣) ٤٩٩٢.

(٣) ووجه إنكار عمر على هشام أن هشامًا كان من مسلمة الفتح، فخشي عمر ألا يكون أتقن القراءة، ولأن هشامًا قد أقرأه الرسول ﷺ على ما نزل أخيرًا، فنشأ الاختلاف بينه وبين ما قرأ عمر أولاً، ينظر الفتح (٩/ ٢٦).

منهم، لكن ينبغي أن يتنبه أن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي، أي أن كل أحد يغير الكلمة بمرادفها في لغته، بل المراعى في ذلك السماع من النبي ﷺ، ويشير إلى ذلك قول كل من عمر، وهشام في حديث الباب: أقرأني النبي ﷺ[١].

ولما مات النبي ﷺ، واستحرَّ القتل في القرّاء في حروب الردة، أشار عمر - رضي الله عنه - على أبي بكر بجمع القرآن، ثم شرح الله صدر أبي بكر لذلك، وأوكلوه إلى زيد بن ثابت[٢] فجمعه، وأثبت منه ما كان متوافقًا مع العرضة الأخيرة، فما سواها يكون منسوخًا، وكان يتثبت في ذلك بإقامة شاهدين على كل آية يكتبها أنها مما كُتب في عهد رسول الله ﷺ في العرضة الأخيرة، فلم يكتف بحفظه هو، ولذلك نراه يقول: «فتتبعت القرآن أجمعه من العسب، واللخاف[٣]، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[٤]» حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر - رضي الله عنهما -[٥].

ولما رأى حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - اختلاف الناس في القراءة، أشار على عثمان بجمع الناس على مصحف واحد، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوا المصاحف، وبعث

(١) فتح الباري (٩/ ٢٧).

(٢) وبين أبو بكر - رضي الله عنه - سبب اختيار زيد، وهو اجتماع أربع مميزات فيه، وهي: العقل، والشباب، وعدم التهمة، وأنه من كتاب الوحي، ينظر الفتح (٩/ ١٠).

(٣) تُراجع الآثار الدالة على ذلك، والكلام عليها في الفتح (٩/ ١٤، ١٥).
العسب: جمع عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض، واللخاف: جمع لخفة وهي الحجارة الرقاق، ينظر الفتح (٩/ ١٤).

(٤) سورة التوبة: آية (١٢٨).

(٥) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن: باب جمع القرآن، ينظر الفتح (٩/ ١٠) ٤٩٨٦.

بها في الآفاق، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[١].

والظاهر أن الجمع الأخير هذا كان على بعض الحروف السبعة لا كلها؛ لأن الأمة أمرت بحفظ القرآن، وخيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت[٢].

يقول أبو شامة: «فالحق أن الذي جمع في المصحف هو المتفق على إنزاله، المقطوع به، المكتوب بأمر النبي ﷺ، وفيه بعض ما اختلف فيه من الأحرف السبعة لا جميعها، كما وقع في المصحف المكي (تجري من تحتها الأنهار) في آخر براءة، وفي غيره بحذف (من)، وكذا ما وقع من اختلاف مصاحف الأمصار من عدة واوات ثابتة في بعضها دون بعض، وعدة هاءات، وعدة لامات ونحو ذلك، وهو محمول على أنه نزل بالأمرين معًا، وأمر النبي ﷺ بكتابته لشخصين، أوأعلم بذلك شخصًا واحدًا وأمره بإثباتهما على الوجهين، وما عدا ذلك من القراءات مما لا يوافق الرسم، فهو مما كانت القراءة جوزت به توسعة على الناس، وتسهيلاً، فلما آل الحال إلى ما وقع من الاختلاف في زمن عثمان، وتكفير بعضهم بعضًا، اختاروا الاقتصار على اللفظ المأذون في كتابته، وتركوا الباقي ا هـ[٣].

فضابط المأذون في قراءته ما وافق رسم المصحف، فما خالف رسم المصحف فهو في حكم المنسوخ والمرفوع، كسائر ما نُسخ، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج عن المصحف[٤].

وأما السبب في اختلاف الناس في القراءات مع أنها على مصحف واحد فيرجع إلى أن الجهات التي وجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل

---

(١) المرشد الوجيز لأبي شامة (١٣٨، ١٣٩)، وفتح الباري (٩/ ٣٠).
(٢) الفتح (٩/ ١٠).
(٣) المرشد الوجيز (١٢٨)، وفتح الباري (٩/ ٣٠).
(٤) المرشد الوجيز (١٤٤، ١٤٥)، وفتح الباري (٩/ ٣٠).

تلك الجهة، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل، فثبت أهل كل ناحية على ما تلقوه سماعًا من الصحابة بشرط موافقة الخط، وتركوا ما يخالف الخط امتثالاً لأمر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة، لما رأوا في ذلك من الاحتياط للقرآن، فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار مع كونهم متمسكين بحرف واحد من السبعة، أو ببعض الحروف[١].

فمن أمثلة الاختلاف في النقط قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[٢]، وقرئ ﴿فتثبتوا﴾[٣]، ونحو (نُنْشزها) وقرئت (ننشرها)[٤].

ومن أمثلة الاختلاف في الشكل فقط قوله تعالى: ﴿يُضَل به﴾ في سورة التوبة في قراءة: حفص، وحمزة، والكسائي، ﴿وَيضِل﴾ في قراءة الباقين[٥].

وما كان فيه الاختلاف في النقط كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾[٦] فقد قرأ سعيد بن جبير (هل تستطيع ربك).

فالحاصل أن الاختلاف في القراءة كان هذا مرجعه، ولم يكن على سبيل التشهي.

---

(١) فتح الباري (٩/ ٣١).

(٢) سورة الحجرات: آية (٦).

(٣) تفسير الطبري (٢٦/ ١٢٣)، قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.
قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (فتثبتوا) بثاء مثلثة بعدها باء موحدة، بعدها ياء مثناة فوقية، وقرأ الباقون بباء موحدة، وياء مثناة، ينظر الغاية (١٣٦)، والنشر (٢/ ٢٥١)، والسبعة (٢٣٦)، والكشف (١/ ٣٩٤).

(٤) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو «ننشرها» بضم النون الأولى وبالراء، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي (ننشزها)، بالزاي. ينظر السبعة (١٨٩) والوافي في شرح الشاطبية (٢٣٣).

(٥) الوافي في شرح الشاطبية (٢٨٢)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٤٣٧).

(٦) سورة المائدة: آية (١١٢).

ويؤكد ذلك ما ورد عن الصحابة والتابعين من وجوب الاتباع في ذلك، فعن ابن مسعود أنه قرأ ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[١] فقال شقيق: إنا نقرؤها (هِيْتُ لَكَ) فقال ابن مسعود: أقرؤها كما عُلِّمْتُ أحبُّ إليَّ[٢].

ودرج على ذلك أصحابه، فقال الشعبي: القراءة سنة، فاقرءوا كما قرأ أولكم[٣].

وعن زيد قال: القراءة سنة[٤] وزيد إمام أهل المدينة. وعن محمد بن المنكدر قال: قراءة القرآن سنة يأخذه الآخر عن الأول[٥].

وعن ابن عباس قال: أقرأني أبي كما أقرأه رسول الله ﷺ[٦].

وحتى البصرة التي توسعت في التقعيد النحوي كان الاهتمام بالقراءة فيهم واضحًا.

فكان أبو العالية إذا قرأ عنده رجل، لم يقل: ليس كما يقرأ، يقول: أما أنا! فأقرأ كذا وكذا[٧]، يعني مخافة أن يرد قراءة صحيحة، وقد انتشرت القراءات وضبطها في أواخر عصر التابعين[٨]، وساعد على ذلك اهتمام الأئمة بالقرآن، وكثرة تلاوته، وترديده.

فعن إبراهيم قال: كان علقمة يقرأ القرآن في خمس، والأسود في ست،

(١) سورة يوسف: آية (٢٣).
(٢) سنن أبي داود (٤/ ٣٨) ٤٠٠٤، وتفسير الطبري (١٦/ ٣٠) ١٨٩٩٨، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٢٢).
(٣) الغاية (١/ ٣٥٠).
(٤) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٩٦) ١٥٩٦.
(٥) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤٣٥)، والجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٩٦) ١٥٩٧.
(٦) جزء فيه قراءات النبي ﷺ (١٢٤).
(٧) تاريخ دمشق (٦/ ٢٩٧).
(٨) العلل لأحمد (٣/ ٢٠٤) ٤٨٧٦.

وعبد الرحمن بن يزيد في سبع[١] .

وإذا أردنا أن نأخذ لمحة عامة عن الفروق بين كيفية تلقي الصحابة للقراءات ومن بعدهم، نجد الفرق واضحًا، فلم يكن الحذر والخوف عند الصحابة في مسألة القراءات كحال التابعين؛ لأنهم يعلمون أن النبي ﷺ أقرأ الجميع على ذلك.

وإنما اختار عثمان ـ رضي الله عنه ـ، وأجمع الصحابة على فعله ـ أن يجمع الناس للاختلاف الذي أدى ببعضهم لتكفير بعض، أو لتفسيقه، في حين لم يكن هذا شأن الصحابة، ولذا لم يكن التشدد معروفًا عندهم، كما كان يقرأ ابن مسعود، وأبيّ، وزيد، وغيرهم.

أما التابعون فقد وجدت فيهم هذه الحساسية، وهي في متأخريهم أكثر.

فها هو سعيد بن جبير يؤم في شهر رمضان، فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله بن مسعود، وليلة بقراءة زيد، وليلة بقراءة غيرهما[٢] .

ويقرأ كذلك مرة (تنبئ أخبارها) في الصلاة، ويومًا ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[٣] ، ولكن عندما يعلِّم تلاميذه يأمرهم بالالتزام بشيء واحد، فعن أبي عمرو قال: سمع ابن جبير قراءتي فقال: الزم قراءتك هذه[٤] .

وكان كبار التابعين غالبًا يعنون بالقراءات في جانب إيضاح معنى الآية، في حين كان المتأخرون منهم يعتنون بالنطق والنسبة أكثر.

---

(١) تاريخ أبي زرعة (١/ ٦٥١).

(٢) معرفة القراء الكبار (١/ ٥٧)، وغاية النهاية (١/ ٣٠٥)، وفيات الأعيان (٢/ ٣٧١)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٨٢).

(٣) تفسير الطبري (٣٠/ ٢٦٦)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن سعيد بلفظ مقارب (٨/ ٥٩٣).

(٤) السبعة في القراءات (٨٤).

ويتضح هذا بالمقارنة بين مجاهد، وقتادة مثلاً.

بل ربما أدى تشدد التابعين في الالتزام برسم المصحف إلى أن يردوا ما لم يوافق الرسم العثماني.

روى البخاري في صحيحه عن علقمة قال: «دخلت في نفر من أصحاب عبد الله الشام فسمع بنا أبو الدرداء، وأتانا فقال: أفيكم من يقرأ؟ فقلنا: نعم، قال: فأيكم أقرأ؟ فأشاروا إليّ فقال: اقرأ: فقرأت: (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى)[1]، قال: أنت سمعتها من فيّ صاحبك، قلت: نعم، قال: وأنا سمعتها من فيّ النبي ﷺ وهؤلاء يأبون علينا»[2]، فإذا قيل: هل لنا وقد صح عندنا الخبر أن نقرأ (والذكر والأنثى)؟!، فالجواب: أنه ليس لنا ذلك؛ لأن القرآن يتلقى من الأفواه، بإشارة الحديث السابق (من فيّ صاحبك) (من فيّ النبي)، فعلقمة تلقاها هكذا من فيّ ابن مسعود فله أن يقرأ بها، وأبو الدرداء تلقاها هكذا من فيّ رسول الله ﷺ فله أن يقرأ بها.

وأما الآن فلا يوجد من عنده الإسناد المتصل بأخذ الثقة عن فيّ الثقة إلا بما هو موافق للمصحف بالقراءات الواردة على الرسم العثماني المتعددة، فيقتصر في الأداء عليها دون غيرها، ولقد كانت الأوجه كثيرة فيما مضى، لكن اختارت الأمة بعضها فوصل إلينا بالنقل بالشرط المذكور سابقًا، فليس لنا أن نقرأ بخلافه، قال الكواشي: كل ما صح سنده، واستقام وجهه في العربية، ووافق لفظه خط المصحف الإمام، فهو من السبعة المنصوصة، فعلى هذا الأصل وبُني قبول القراءات عن سبعة كانوا أو سبعة آلاف، ومتى فقد شرط من الثلاثة فهو الشاذ[3].

---

(١) سورة الليل: الآيات (١-٣)، وقراءة في مصحفنا ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (وما خلق الذكر والأنثى)، ينظر الفتح (٨/ ٧٠٧) ٤٩٤٤، وتفسير الطبري (٣٠/ ٢١٧)، والسير (٤/ ٥٦)، ومختصر في شواذ القرآن (١٧٤)، وكتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن (١٠٧).

(٣) فتح الباري (٩/ ٣٢).

ثم القراءات السبعة المشهورة المنقولة بالسند الصحيح لا يعني أن كل ما نقل عنهم فهو بهذه الصفة، بل فيه الضعيف؛ لخروجه عن الأركان الثلاثة، فالاعتماد في غير ذلك على الضابط المتفق عليه[١].

منهج المدرسة الكوفية:

اشتهرت الكوفة بالقراء الكبار، وبرز منها الكثيرون[٢]، وقد يرجع ذلك إلى توسع شيخ المدرسة ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في القراءة، ولا سيما ما يمكن أن نطلق عليه القراءة التفسيرية، أو ما أطلق عليه قراءة على سبيل الاتساع اللغوي.

وقد توسع في ذلك أيضًا أبيُّ بن كعب، لكن ليس كتوسع ابن مسعود ـ رضي الله عنهم جميعًا ـ، فقد كان ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ حريصًا على ضبط القرآن وحفظه، ولذا فعند مراجعتنا كتب فضائل القرآن نجد أن جلَّ المروي فيها عن ابن مسعود، وفي الكثير منها يحث على حفظ القرآن، وضبطه، والنهي عن الاختلاف فيه، بل كان ينهى عن الاختلاف حتى في القراءات، مع أنه لم يرض بادئ ذي بدء عن جمع عثمان ـ رضي الله عنه ـ الناس على حرف زيد بن ثابت[٣].

ومن أجمع ما نقل عنه في ذلك ما أخبر به علقمة أنه قال: لما خرج عبد الله بن مسعود من الكوفة اجتمع إليه أصحابه فودعهم، ثم قال: لا تنازعوا في القرآن، فإنه لا يختلف ولا يتلاشى، ولايتغير لكثرة الرد، وإن شريعة الإسلام، وحدوده وفرائضه فيه واحدة، ولو كان شيء من الحرفين ينهى عن شيء يأمر به الآخر، كان ذلك الاختلاف، ولكنه جامعٌ ذلك كله، لا تختلف فيه الحدود ولا الفرائض، ولا شيء من شرائع

---

(١) فتح الباري (٩/ ٣٣).

(٢) عند مراجعة كتب تراجم القراء الكبار، نجد أن المشهورين من الكوفة هم أكثر قراء الأمصار ينظر في ذلك كتاب الذهبي معرفة القراء الكبار.

(٣) وسيأتي لذلك مزيد بيان في آخر هذا المبحث إن شاء الله.

الإسلام، ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله ﷺ ، فيأمرنا فنقرأ عليه، فيخبرنا أن كلَّنا محسنٌ، ولو أعلم أحدًا أعلم بما أنزل الله على رسوله مني لطلبته، حتى أزداد علمه إلى علمي، ولقد قرأت من لسان رسول الله ﷺ سبعين سورة، وقد كنت علمت أنه يُعْرض عليه القرآن في كل رمضان، حتى كان عام قبض، فعرض عليه مرتين، فكان إذا فرغ أقرأ عليه فيخبرني أني محسن، فمن قرأ علي قراءتي فلا يَدَعَنَّها رغبة عنها، ومن قرأ علي بشيء من هذه الحروف فلا يدَعَنَّه رغبة عنه، فإنه من جحد بآية جحد به كله[١] .

ولقد درج أصحابه ـ رضي الله عنه ـ على ذلك فاحتفظوا بقراءته .

فعن الأعمش في قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَال ﴾[٢] ، قال: كان أصحاب عبد الله يقرؤونها ﴿يسألونك الأنفال﴾[٣] ، وهي كذلك في قراءة ابن مسعود[٤] .

ولقد تجاوز تأثير قراءة ابن مسعود مدرسة الكوفة، فأثر في المدارس الأخرى، فالبصرة مثلاً، لم يرو قتادة فيها عن ابن مسعود في التفسير إلا بضع عشرة رواية، فإذا دققنا في تلك الروايات نجد أنها كلها في القراءة إلا رواية واحدة فقط في التفسير، وكذلك كان حال مجاهد، فقد وجدت له خمس روايات عن ابن مسعود، أربع منها في القراءات، وواحدة فقط في تفسير الكبائر[٥] .

ومثله السدي، فقد روى عن ابن مسعود خمسًا أيضًا، واحدة في التفسير، وسائرها في القراءات[٦] .

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٨) ١٨، والنشر في القراءات العشر (١/ ٥١).

(٢) سورة الأنفال: آية (١).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٣٧٨)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، عن الأعمش به (٤/ ١٠).

(٤) المرجع السابق (١٣/ ٣٧٨) ١٥٦٦٦، ومختصر في شواذ القرآن (٤٨)، البحر المحيط (٤/ ٤٥٦)، والمحتسب (١/ ٢٧٢).

(٥) سبق بيان تلك المواضع في ص (٤٦٨).

(٦) وسبق ذكر مواضعها ص (٤٦٨).

وهذا كله يدل على تقدُّم ابن مسعود في القراءة على غيره من الصحابة، إلا أن قراءته لم يجمعها أصحابه في مكان واحد.

منهج المدرسة المكية:

أما المدرسة المكية فقد تأثرت في القراءة بشيخها ابن عباس، ثم صار أئمة هذه المدرسة شيوخًا للطبقة التي تليها من القراء المشهورين.

قال ابن مجاهد: قرأ سعيد على ابن عباس، وقرأ ابن عباس على أبي بن كعب، وقرأ أبي على النبي ﷺ [١].

وعن أبي العباس أحمد بن محمد الليثي قال: سألت أبا عمرو: على من قرأت؟ فقال: على مجاهد، وسعيد بن جبير [٢].

وقد كثرت موافقة أئمة هذه المدرسة لشيخهم ابن عباس، وقلَّت مخالفتهم، فمجاهد مثلاً اهتم بالقراءة، فقد ختم على ابن عباس ثلاثين مرة وهذا أدعى لتحقيقه وفهمه لقراءة ابن عباس أكثر من غيره، وكان ـ رحمه الله ـ يقرأ القرآن على خمسة أحرف، ولا شك أن مجاهداً كان من أعلم أصحاب ابن عباس، ولذا فنحن نجد في المرويات التي بين أيدينا بعض مخالفات مجاهد للقراءة الموافقة للمصحف، ونجد أن هذه المخالفة أيضًا رواية عن ابن عباس، الذي أخذها عن أبي بن كعب المدني، وعليه فنحن نرى توافق المدرسة المكية مع المدرسة المدنية.

ومما نلحظه أيضًا أن أئمة المدرسة المكية مع أنهم توسعوا في الاجتهاد، إلا أنهم لم يخالفوا في القراءات إلا باختيار بعض القراءات من الوارد، فإن علم القراءات علم تَلَقٍ

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (٧٢).
(٢) المرجع السابق (٧٣).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٥٣) ٥٢.

ورواية.

ومن هذه الأمثلة التي خالف فيها المكيون تبعًا لشيخهم قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[١].

فعن أبي نضرة قال: سألت ابن عباس عن متعة النساء، قال: أما تقرأ سورة النساء؟ قال: قلت: بلى! قال: فما تقرأ فيها (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى)؟ قلت: لا! لو قرأتها هكذا ما سألتك! قال: فإنها كذا[٢]؛ ولذا نجد سعيد بن جبير يقرأ (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن)[٣].

بل ويذهب تلاميذ هذه المدرسة إلى القراءة المفسرة لبعض الأحكام تبعًا للوارد عن ابن عباس، من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾[٤]، فقد ذكر ابن جرير الأقوال في ذلك ثم قال: وقال بعضهم: إن الآية محكمة وليست منسوخة، واعتمدوا على قراءة ابن عباس (يُطوَّقونه)[٥].

وكان عكرمة، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، ومجاهد، يقرؤونها كذلك، ولم يذكر الطبري ذلك إلا عن تلاميذ المدرسة المكية[٦].

وكان أئمة هذه المدرسة مجتهدين في القراءة، والسؤال عنها، يدل على ذلك سؤال عطاء لابن عباس: كيف تقرأ: (واتبعوا)[٦] أو (ابتغوا) قال: أيهما شئت، ثم

---

(١) سورة النساء: آية (٢٤).

(٢) تفسير الطبري (٨/ ١٧٧) ٩٠٣٦، كتاب المصاحف لابن أبي داود (٨٨، ٩١).

(٣) تفسير الطبري (٨/ ١٧٨) ٩٠٤٣.

(٤) سورة البقرة: آية (١٨٤).

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٤٣٠) ٢٧٦٥، ٢٧٦٦، ٢٧٦٧، ٢٧٧٥، وزاد المسير (١/ ١٨٦).

(٦) تفسير الطبري (٣/ ٤٣٠) ٢٧٦٩، ٢٧٧٠، ٢٧٧١، ٢٧٧٣.

قال: عليك بالأولى[١].

ومما ينبغي الإشارة إليه أنه لم تتأثر هذه المدرسة بقراءة ابن مسعود في أول أمرها، فلم أعثر على أثر يفيد استفادة ابن عباس من قراءة ابن مسعود، ويؤكد ذلك أن مجاهداً لما رحل إلى الكوفة، وسمع قراءة ابن مسعود قال مقالة تبين أنه لو كان قد قرأ قراءة ابن مسعود لما سأل ابن عباس عن كثير من الآيات التي أشكلت عليه؛ لأنه وجد تفسيرها في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه.

منهج المدرسة البصرية:

مع أن المدرسة البصرية عراقية فقد خالفت المدرسة الكوفية في كثيرة من أبواب القراءات وأشكالها، إلا ما كان من قتادة، فقد استفاد من قراءة ابن مسعود -رضي الله عنه-[٢]، ولا سيما في القراءة التفسيرية التي اهتم بها أكثر من تحقيق النطق، والأداء، وقد تقدم في البصرة أبو العالية الذي قرأ على أبي وعلى عمر ثلاث مرات، واهتم بذلك حتى عدَّه الذهبي من الكبار، ومن أعلم التابعين بالقراءة، وقدمه على سعيد بن جبير، والسدي[٣].

وقال ابن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة من أبي العالية، وبعده سعيد بن جبير، وبعده السدي، وبعده الثوري[٤].

وقد تعدى تأثير أئمة البصرة في القراءة حدود مصرهم، فكثرت الرواية عن الحسن

---

(١) سنن سعيد بن منصور، كتاب التفسير (٢/ ٥٧٥)، والآية: ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾.

(٢) تفسير قتادة (٨٦).

(٣) معرفة القراء الكبار (١/ ٤٩).

(٤) التهذيب (٣/ ٢٨٥)، ومرآة الجنان (١/ ٢١٤)، وتاريخ الإسلام (٥٣٢)، وتهذيب الأسماء (٢/ ٢٥١)، والعبر (١/ ٨١)، والشذرات (١/ ١٠٢)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٧٣)، والتذكرة (١/ ٦٢)، وطبقات الحفاظ (٢٢)، ودول الإسلام (١/ ٦٤).

في بلاد المغرب، فوجد في تفسير المغاربة الكثير من قراءات الحسن، فقد اهتم الحسن ببيان منطوق الكلمة في الآية من حيث حركتها الفرعية، وقراءتها، وربما نسب القراءة لمن أخذها منه، ولربما سردها فتنسب إليه.

وعلى كلٍ فلم يقرأ أحد من التابعين حرفًا إلا بأثر.

عن أبي رجاء قال: قلت: يا أبا سعيد ﴿وقُرآناً فَرّقْناهُ﴾ فثقلها أبو رجاء، فقال الحسن: ليس فرّقناه، ولكن فرقناه، فقرأ الحسن مخففة. قلت: من يُحدثك هذا يا أبا سعيد أصحاب محمد، قال: فمن يحدثنيه؟![1].

منهج المدرسة المدنية:

اهتمت المدرسة المدنية بتحقيق النطق أكثر من اهتمامها بالقراءة التفسيرية، ولذا فهي تشبه المدرسة البصرية من هذا الجانب، ولاسيما مع وجود زيد وأبّي فيها[2].

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾[3]: قرأ عامة قراء المدينة، والبصرة: ﴿في عَمَدٍ﴾ وقرأ عامة قراء الكوفة ﴿في عُمُدٍ﴾[4].

ولما كان منهج المدنيين تحقيق النطق، والحركة، فإننا لا نعجب أن نرى من تشدد في القراءات يوصي بأخذ القراءة عن المدرسة المدنية.

قال سفيان بن عيينة: خذوا القراءة من أهل المدينة[5].

ونجد شاهد هذا في قلة المنقول عنهم من القراءات الشاذة بخلاف غيرهم[6].

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ١٧٩).

(٢) سبق بيان ذلك في خصائص المدرسة المدنية ص (٥٦٢).

(٣) سورة الهمزة: آية (٩).

(٤) تفسير الطبري (٣٠/ ٢٩٥)، وزاد المسير (٩/ ٢٣٠).

(٥) تأويل مشكل القرآن (٦٠)، والسير (١/ ٤٨٨).

(٦) بعد مراجعتي لكتاب مختصر في شواذ القرآن، وجدت أن المدنيين من أقل التابعين إيراداً للقراءة =

مناهج التابعين في الاستفادة من القراءات :

وبعد أن استعرضت مناهج المدارس التفسيرية في تلقي القراءات ، بقي أن أتحدث عن بعض مناهجهم في الاستفادة من القراءات .

١ ـ منهجهم في قبول القراءة ، أو ردها :

سبق أن بينت أن الحساسية في القراءات كانت قليلة عند الصحابة ، وأنها زادت في عصر التابعين ، ولا سيما المتأخرون منهم ، ومع ذلك فقد عرف التابعون اختلاف قراءات الصحابة ، لذا تورعوا في باب الإنكار على المخالف ، فكان أبو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل : ليس كما قرأ ، بل يقول : أما أنا فأقرأ كذا ، وكذا ، قال الراوي : فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي فقال : أرى صاحبك قد سمع أن من كفر بحرف منه فقد كفر به كله[1] .

وعن الأعمش قال : كنت أقرأ على إبراهيم فإذا مرّ بالحرف ينكره لم يقل ليس كذا ، ولكن يقول : كان علقمة يقرأ كذا وكذا[2] .

٢ ـ توجيه القراءة :

لم يكن التابعون يقرؤون دون تدبر لما يقرؤونه ، بل كانوا يتفهمون القراءة ، ويوجهون معناها .

= الشاذة اقتداءً بشيوخهم من الصحابة ، لا سيما زيد بن ثابت ، فإن زيداً لم يرو عنه في هذا الكتاب إلا ست روايات ، في حين بلغ عن ابن مسعود (٣٠٤) روايات ، وعن ابن عباس (١٤٠) رواية ، وعن علي بن أبي طالب (٧٦) رواية ، ولذا فإن ابن المسيب ، والقرظي ، وزيد ، من أقل التابعين في ذلك .

(١) شعب الإيمان (٢/ ٤٢٢) ٢٢٧٣ ، وتفسير الطبري (١/ ٥٤) ٥٦ .

(٢) غاية النهاية (١/ ٢٩) ، تاريخ الإسلام (ح٩٦ هـ/ ٢٨٣) .

فعن مجاهد أنه قرأ ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[١] فنصبها، وقال رجع إلى الغسل[٢].

وقرأ زر بن حبيش قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[٣] فقرأها بالظاء (بظنين) ثم قال: في قراءتنا بمتهم[٤]، ومن قرأها (بضنين) يقول: ببخيل[٥].

وكان الشعبي يقرأ، (ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين)[٦].

قال ابن جرير: وكأن الشعبي وجه معنى الكلام إلى أنهما يقسمان بالله لا نشتري به ثمنًا، ولا نكتم شهادة عندنا، ثم ابتدأ يمينًا باستفهام[٧]، وهذا ليس معناه أنه صح عن الشعبي معنى فقرأ به دون أن يتلقاه، حاشاه ذلك، بل المراد أن هذا اختياره مما ورد القراءة به لنظرته إلى هذا المعنى دون ذاك، والله أعلم.

ومن ذلك أيضًا ما جاء عن ابن كثير أنه سمع مجاهدًا يقول في قراءة ابن مسعود (له أصحاب يدعونه إلى الهدى بيِّنا)[٨] قال: الهدى الطريق إنه بين[٩]، وهذا توجيه منه لصحة القراءة بزيادة البينة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾[١٠]، قرأ عكرمة (يطوقونه) قال:

---

(١) سورة المائدة: آية (٦)، قرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، وحفص، بالنصب، وقرأ الباقون بالخفض، ينظر الكشف (١/ ٤٠٦)، والسبعة (٢٤٢)، وسراج القاري (١٩٨).
(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٥٧) ١٤٧٠.
(٣) سورة التكوير: آية (٢٤).
(٤) البحر المحيط (٨/ ٤٣٥)، وإعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٦٣)، والدر المنثور (٨/ ٤٣٥).
(٥) تفسير الطبري (٣٠/ ٨٢)، والدر المنثور (٨/ ٤٣٥).
(٦) سورة المائدة: آية (١٠٦).
(٧) تفسير الطبري (١١/ ١٧٨)، وزاد المسير (٢/ ٤٤٨).
(٨) سورة الأنعام: آية (٧١).
(٩) تفسير الطبري (١١/ ٤٥٥) ٣١٤٣١، والبحر المحيط (٤/ ١٥٨)، وتفسير القرطبي (٧/ ١٤).
(١٠) سورة البقرة: آية (١٨٤).

يكلفونه. وقال: ليس هي منسوخة، الذين يطيقونه: يصومونه، والذين يطوِّقونه عليهم الفدية[١].

في حين كانت قراءة الحسن: (وعلى الذين يطيقونه طعام مساكين)[٢].

وقرأ ابن عباس ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ﴾[٣]، قال عطاء: أرأيت لو كان الأوليان صغيرين كيف يقومان مقامهما[٤]؟!

ولما قرأ مجاهد قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾[٥] بتشديد تعلمون، وكان كثير من القراء يقرؤونها (تعلمون) بالتخفيف[٦]، أراد مجاهد أن يبين وجه اختياره فقال: ما علَّموه حتى علموه[٧]، وكان مجاهد يقرأ ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾[٨]، وينتصر لقراءته بقوله: لو كان (يقض) لكانت (يقضي بالحق)[٩].

وهذا سعيد بن جبير لما سئل عن توجيه قراءة قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾[١٠] بقراءة التخفيف، كيف توجه؟ فأجاب بقوله: نعم، حتى إذا استيأس

(١) تفسير الطبري (٣/ ٤٣٠، ٤٣٣) ٢٧٦٩، ٢٧٧٤، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٧٠).
(٢) تفسير الطبري (٣/ ٤٤٠) ٢٧٩٤.
(٣) سورة المائدة: آية (١٠٧)، قرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم (الأولين)، وقرأ الباقون (الأوليان)، يُنظر الكشف (١/ ٤٠٢)، والسبعة (٢٤٨)، والنشر (٢/ ٢٥٦).
(٤) تفسير الطبري (١١/ ٢٠٢) ١٢٩٧٧.
(٥) سورة آل عمران: آية (٧٩).
(٦) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، ينظر الكشف (١/ ٣٥١)، وسراج القاري المُبتدئ (١٨١)، والنشر (٢/ ٢٤٠).
(٧) حجة القراءات (١٦٧)، عن رسالة اتجاهات المفسرين في توجيهه القراءات (١/ ١٣٢).
(٨) سورة الأنعام: آية (٥٧).
(٩) حجة القراءات (٢٥٤)، عن رسالة اتجاهات المفسرين (١/ ١٣٣).
(١٠) سورة يوسف: آية (١١٠).

الرسل من تصديق قومهم، وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم[١] .

٣ ـ الترجيح بين القراءات :

لم يقتصر منهج التابعين على توجيه القراءة التي تلقوها ، بل تعدى ذلك إلى الاختيار والترجيح بين القراءات . وكان بعضهم يرجح العرضة الأخيرة على غيرها من القراءات .

فعن ابن سيرين قال : كانوا يرون أن قراءتنا هي هذه العرضة الأخيرة[٢] .

وربما رجح بعضهم بالرجوع إلى الصحابة وسؤالهم أي القراءة أرجح ، فعن عطاء قال : قلت لابن عباس : كيف تقرأ هذه الآية (وابتغوا) أو (اتبعوا)[٣] ؟ قال : أيتهما شئت ، قال : عليك بالقراءة الأولى[٤] .

وقد يكون الترجيح كذلك بالمعنى .

فقد سأل خصيفًا ابنُ جبير : كيف تقرأ هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ أو (يُغلَ) قال : لا ، بل (يَغُل)[٥] ، فقد كان النبي والله (يُغَل) و(يُقتل)[٦] .

٤ ـ معرفة المنسوخ من القراءات :

اهتم التابعون بمعرفة المنسوخ من القراءات ، ولذا لم يرد عنهم في أمر القراءة

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٨٣)، وأورده السيوطي في الدر ، وعزاه لابن جرير ، وأبي الشيخ ، عن سعيد بلفظ مقارب (٤/ ٥٩٧) .

(٢) أورده السيوطي في الدر ، وعزاه لابن الأنباري ، وابن أشته في المصحاف عن ابن سيرين به (١/ ٢٥٩)، وذكره ابن حجر في الفتح (٩/ ٤٤) بلفظ فيرون أن قراءتنا أحدث القراءات عهدًا بالعرضة الأخيرة، وينظر مختصر تفسير ابن زمنين (١/ ١٧٩) .

(٣) أي في قوله تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ سورة الزمر : آية (٥٥) .

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٥٠٨) ٢٩٨١ .

(٥) سورة آل عمران : آية (١٦١) .

(٦) تفسير الطبري (٧/ ٣٤٩) . ٨١٣٧، وتفسير ابن كثير (١/ ١٥٠)، والسبعة (٢١٨)، والكشف =

المنسوخة كبير أثر، وهذا كله بعد ضبط مصاحف الأمصار، في حين كان أبي بن كعب لا يدع قراءة سمعها، فربما قرأ ما نسخت تلاوته؛ لكونه لم يبلغه النسخ، مثل السورتين اللتين أطلق عليهما سورتا أبي[١٣]. (اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد. . .) والثانية (اللهم إنا نستعينك ونستهديك)، ولأجل ذا قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: أقرؤنا أبيّ، وأقضانا عليٌّ، وإنا لندعُ من قول أبيّ، وذلك أن أبيًا يقول: لا أدع شيئًا سمعته من رسول الله ﷺ وقد قال الله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسأها﴾[٢]، وفي رواية قال عمر: إنا لندع من لحن أبي، وأبيّ يقول: أخذته من فيّ رسول الله ﷺ فلا أتركه لشيء[٣].

٥ ـ الترجيح في الأحكام بالقراءة:

اختلاف القراءات قد يؤدي إلى اختلاف الأحكام، ولذلك فإننا نجد أن التابعين ربما اتخذوا منهجًا ترجيحيًا بالقراءة في مجال الأحكام، ولا سيما الكوفيون الذي اعتمدوا قراءة ابن مسعود، وفيها كثير من التوجيهات الحكمية، حتى إن مجاهدًا لما سمعها ذكر أنها لو كانت عنده لما احتاج أن يسأل ابن عباس عن كثير من التفسير.

فمن ذلك ما ورد عن إبراهيم النخعي في مسألة كفارة اليمين حيث قال: في قراءتنا ﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ متتابعات﴾[٤]، وهي قراءة ابن مسعود[٥].

= ١/ ٣٦٣، والوافي (٢٣٩).

(١) الإتقان (١/ ٣٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قول: (ما ننسخ من آية أو ننسأها)، ينظر الفتح (٨/ ١٦٧) ٤٤٨١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، ينظر الفتح (٩/ ٤٧) ٥٠٠٥.

(٤) سورة المائدة: آية (٨٩) والذي في المصحف بدون لفظ (متتابعات).

(٥) تفسير الطبري (١٠/ ٥٦١) ١٢٥٠٠، والبحر المحيط (٤/ ١٢)، وتفسير القرطبي (٦/ ١٨٣)، وكتاب مقدمتان في علوم القرآن (٢٣٣).

ولما تذاكر الشعبي، وسعيد بن أبي بردة، العمرة، فقال الشعبي: تطوع، واستدل على ذلك بأن قرأ ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[١]، برفع (العمرة) على الابتداء بها[٢].

وعن عكرمة قال: كانت تقرأ هذه الآية: ﴿وليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج﴾[٣].

وعن إبراهيم النخعي أنه استدل على حكم قطع يمين السارق بقوله: في قراءتنا، وربما قال: في قراءة عبد الله: ﴿والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم﴾[٤].

وكان عطاء يفتي بأنه لو أن حاجًا أفاض، ولم يسع، فأصابها يعني امرأته، لم يكن عليه شيء لا حج ولا عمرة، واستدل على ذلك بقوله: إن السعي تطوع، وذلك لقراءة ابن مسعود: ﴿فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ألا يطوف بهما﴾[٥]، قال ابن جريج له: فعاودته فقلت: إنه قد ترك سنة النبي ﷺ، قال: ألا تسمعه يقول: ﴿فمن تطوع خيراً﴾ فأبى أن يجعل عليه شيئًا[٦].

---

(١) سورة البقرة: آية (١٩٦).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ١٠) ٣٢٠٣، مختصر في شواذ القرآن (١٢)، والمصاحف لابن أبي داود (١٨)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٩٢)، والبحر المحيط (٢/ ٧٢).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ١٦٥) ٣٧٦٦، والمصاحف لابن أبي داود (٦٤، ٦٥)، والبحر المحيط (٢/ ٩٤)، وليس في مصحفنا (في مواسم الحج)، وهي قراءة ابن عباس.

(٤) آية المائدة: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ رقم (٣٨)، ينظر تفسير الطبري (١٠/ ٢٩٤) ١١٩٠٧، ١١٩٠٨، ومختصر في شواذ القرآن (٣٣)، والبحر المحيط (٣/ ٤٧٦)، وتفسير القرطبي (٦/ ١٠٩).

(٥) وفي قراءتنا ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ﴾ سورة البقرة: آية (١٥٨) بالإثبات، ينظر المحتسب (١/ ١١٥).

(٦) تفسير الطبري (٣/ ٢٤١) ٢٣٥٦، وأورده السيوطي في الدر، عن عطاء بلفظ: في مصحف ابن مسعود (فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير (١/ ٣٨٧).

٦ ـ الإفادة من القراءة في التفسير :

لا شك أن القراءات مجال واسع للفهم في كتاب الله، ولا سيما الصحيح منها، فهي تعطي معنى الآيات من باب تفسير القرآن بالقرآن، فما قرئ به في آية قد يكون تفسيراً لآية أخرى.

وقد سبق جملة أمثلة توضح ذلك، بل لا أدلَّ على ذلك من منهج كثير من المفسرين، فالإمام الطبري لا يبدأ بالتفسير حتى يذكر ما في الآية من قراءات واردة، ويعتمد عند ذكره الأقوال التفسيرية في الآية على ما ورد من قراءات، ثم يرجح بينها، وهذا كله يدلنا على أهمية هذا المنهج في التفسير.

قال أبو عبيد: فأما ما جاء من هذه الحروف التي لم يؤخذ علمها إلا بالإسناد، والروايات التي يعرضها الخاصة من العلماء دون عوام الناس، فإنما أراد أهل العلم منها أن يستشهدوا بها على تأويل ما بين اللوحين وتكون دلالة على معرفة معانيه، وعلم وجوهه[١].

وقال أيضًا: فهذه الحروف، وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن، وقد كان يروي مثل هذا عن التابعين في التفسير فيستحسن[٢].

وعمومًا فهذه المسألة تابعة لما قبلها، بل هي أعم منها، فإن التي قبلها تتعلق بالإفادةمن القراءة؛ أعني الترجيح في الأحكام الفقهية، وهي جزء من التفسير، ولقد توسع التابعون في هذا الجانب، ولا أدل على ذلك من قول مجاهد: لو كنت قرأت على قراءة ابن مسعود لم أحتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن[٣].

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد رسالة ماجستير للباحث محمد تيجاني (٢٩٣).
(٢) الإتقان (١/ ١٠٨).
(٣) تاريخ دمشق (١٦/ ١٢٧)، والسير (٤/ ٤٥٤)، والتهذيب (١٠/ ٤٣)، وطبقات المفسرين (٢/ ٣٠٦).

ويقول مجاهد: لم أكن أحسن ما (الزخرف)[١] ، حتى سمعتها في قراءة ابن مسعود ﴿ أو يكون لك بيتًا من ذهب ﴾[٢] .

وقال أيضًا: كنا نرى أن قوله: ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾[٣] ، هين، حتى وجدناه في قراءة ابن مسعود: (فقد زاغت قلوبكما)[٤] .

ولما أراد مجاهد أن يبين معنى قوله تعالى: ﴿ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾[٥] أسند عن ابن عباس أنه قرأها: ﴿ ورجلاً سالمًا لرجل ﴾[٦] .

وكذلك كان حال بقية التابعين، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾[٧] ، قال أبو العالية: ذكر نور المؤمن فقال: مثل نوره يقول: مثل نور المؤمن، ثم قال: وكان أبيّ ابن كعب يقرؤها كذلك ﴿ مثل المؤمن ﴾[٨] .

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ﴾[٩] ، قال عكرمة: كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة الحق . فاختلفوا فبعث الله النبيين، وكذلك هي في قراءة عبد الله: ﴿ كان الناس أمة واحدة فاختلفوا ﴾[١٠] .

---

(١) أي في قوله تعالى: ﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ﴾ سورة الزخرف: آية (٢٤، ٢٥).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ١٦٣)، وفتح الباري (٨/ ٥٦٨)، والبداية (٩/ ٢٢٧)، وتفسير الثوري (٢٣٣).

(٣) سورة التحريم: آية (٤).

(٤) تفسير الطبري (٢٨/ ١٦١)، شواذ القراءات للكرماني (٢٤٥)، والبحر المحيط (٨/ ٢٩٠)، وزاد المسير (٨/ ٣١٠).

(٥) سورة الزمر: آية (٢٩).

(٦) تفسير الطبري (٢٣/ ٢١٣)، والبحر المحيط (٧/ ٤٢٤).

(٧) سورة النور: آية (٣٥).

(٨) تفسير الطبري (١٨/ ١٣٦)، وزاد المسير(٦/ ٤٠)، وفتح القدير (٤/ ٣٦).

(٩) سورة البقرة: آية (٢١٣).

(١٠) تفسير الطبري (٤/ ٢٧٥) ٤٠٤٨ ، وتفسير القرطبي (٣/ ٢٣).

وعند تفسير قوله جل وعلا ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾[١] يقول: اختلف الكفار فيه فهدى الله الذين آمنوا للحق من ذلك، وهي قراءة ابن مسعود: ﴿ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا عنه ﴾ عن الإسلام[٢].

وعن الربيع بن أنس قال: يقول: ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام عن قتال فيه ﴾[٣]. قال: وكذلك كان يقرؤها ابن مسعود: ﴿ عن قتال فيه ﴾[٤].

وعن مجاهد: ﴿ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتابًا ﴾[٥] يقول مداداً، يقرؤها كذلك يقول: ﴿فإن لم تجدوا مداداً﴾ فعند ذلك تكون الرهون[٦]، وكذا قرأها أبو العالية[٧].

وعند قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾[٨]، قال قتادة في بعض الحروف: ﴿ يخافون الله أنعم الله عليهما ﴾[٩].

وعند قوله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾[١٠].

---

(١) سورة البقرة: آية (٢١٣).
(٢) تفسير الطبري (٤/ ٢٨٥) ٤٠٦٣، وتفسير القرطبي (٣/ ٢٤)، والدر المنثور (١/ ٥٨٤).
(٣) سورة البقرة: آية (٢١٧)، وليس فيها (عن).
(٤) تفسير الطبري (٤/ ٣٠٠) ٤٠٨٠، المصاحف لابن أبي داود (٦٩)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ١٤١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٠٧)، والبحر المحيط (٢/ ١٤٥).
(٥) سورة البقرة: (٢٨٣) وهي ﴿ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا ﴾.
(٦) تفسير الطبري (٦/ ٩٥) ٦٤٤١، ومختصر في شواذ القرآن (١٨).
(٧) المرجع السابق (٦/ ٩٦) ٦٤٤٢، ومختصر في شواذ القرآن (١٨)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٤٨).
(٨) سورة المائدة: آية (٢٣).
(٩) تفسير الطبري (١٠/ ١٧٩) ١١٦٧٤، ١١٦٧٥، وتفسير عبد الرزاق (١/ ١٨٦).
(١٠) سورة البقرة: آية (٢٧٥).

قال الربيع : وهي في بعض القراءة (لا يقومون يوم القيامة)[١] .

ولما تعرض قتادة لقوله تعالى : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾[٢] قال : وكانت تقرأ في الحرف الأول : (صمتاً)[٣] .

وعنه أيضًا في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾[٤] .

قال : هي في مصحف عبد الله (وما يعبدون من دون الله) هذا تفسيرها[٥] .

فاكتفى ـ رحمه الله ـ بالقراءة عن التفسير مما يؤكد هذا المنهج عندهم .

وقرأ عكرمة : (ولا يضارر كاتب ولا شهيد)[٦] ، ونسبها لعمر[٧] .

وهي قراءة ابن مسعود أيضًا ، كما جاء عن الضحاك[٨] .

وكان مجاهد يقرؤها كذلك[٩] .

٧ ـ منهج التصويب والتخطئة :

لم يكن منهج التصويب أو التخطئة في مجال القراءات ظاهرًا عند التابعين ، وإنما ظهر هذا المنهج في العصور المتأخرة عنهم بعد استقرار القراءة والرسم العثمانيين ، حتى

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٠) ٦٢٤٥ ، والبحر المحيط (٢/ ٣٣٣) ، وتفسير القرطبي (٣/ ٢٢٩) .
(٢) سورة مريم : آية (٢٦) .
(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٧٥) ، والبحر المحيط (٦/ ١٨٥) .
(٤) سورة الكهف : آية (١٦) .
(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٢٠٩) ، وتفسير القرطبي (١٠/ ٢٣٩) .
(٦) سورة البقرة : آية (٢٨٢) وهي في مصحفنا بإدغام الرائين .
(٧) تفسير الطبري (٦/ ٨٨) ٦٤١٨ ، والبحر المحيط (٢/ ٣٥٤) .
(٨) تفسير الطبري (٦/ ٨٨) ٦٤١٩ ، والبحر المحيط (٢/ ٣٥٤) ، وتفسير القرطبي (٣/ ٢٦٢) .
(٩) تفسير الطبري (٦/ ٨٨) ٦٤٢٠ .

صارت القراءات التي تخالف الرسم شاذة لفقدها شرط التلقي بالتواتر، وموافقة الرسم؛ إلا أنه قد وردت الروايات عن شيوخ مدارس التابعين من الصحابة فيها شيء من الترجيح، والتخطئة لبعض القراءات، وهذه الروايات اعتمد عليها بعض المستشرقين في طعنهم في القرآن، وقبل مناقشة هذه الروايات أود أن ألفت النظر إلى عدة قضايا هامة:

القضية الأولى: أن توثيق القرآن جاء بأعلى درجات التوثيق التي عرفها الناس، فالصحابة مع أنهم كانوا حفاظًا، إلا أنهم كانوا يعتمدون في التوثيق ما كان مكتوبًا، وشهد على كتابته في عهد النبي رجلان فأكثر، ولما شعر عمر بن الخطاب أن هشامًا يقرأ بحروف غير التي أقرأها له رسول الله ﷺ ساوره ولبه خشية على القرآن أن يحرفه أحد، هذابخلاف حفظ الله سبحانه ووعده بذلك ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

ومما يشهد لدقة الكتابة أنهم كتبوا (قال) بالألف في مواضعها من القرآن إلا في آخر الأنبياء فقد رسمت (قل)[2] بدون ألف، ليتمكن من قراءتها على القراءة الأخرى بفعل الأمر، وله نظائر[3].

القضية الثانية: ليس ثبوت صحة الرواية فرع عن ثبوت سندها فقط، فقد يصح السند، والحديث شاذ، أو منكر[4]، ولذا فإن الروايات التي فيها القول بخطأ الكاتب، أو سيلان المواد، أو أن الكاتب كتبها وهو ناعس، وهي قليلة، لا يكفي ثبوت سندها أن تكون صحيحة، بل هي منكرة شاذة لمخالفتها ما هو أوثق، وأدق، وأصح.

---

(١) سورة الحجر: آية (٩).

(٢) في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ الأنبياء (١١٢).

(٣) يراجع في ذلك كتب الرسم العثماني، مثل كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان لابن الأنباري، وينظر بعض الأمثلة لدقة الكتابة وإصلاحها في الإتقان (٢/ ٢٤٠).

(٤) تدريب الراوي (١/ ٢٣٨).

قال السيوطي بعد أن ذكرها : وهذه الآثار مشكلة جداً، وكيف يظن بالصحابة أولاً أنهم يلحنون في الكلام، فضلاً عن القرآن، وهم الفصحاء؟؟ ثم كيف يظن بهم ثانيًا في القرآن الذي تلقوه من النبي ﷺ كما أنزل، وحفظوه وضبطوه، وأتقنوه[١] ؟ ثم كيف يظن بهم ثالثًا اجتماعهم كلهم على الخطأ، وكتمانه؟؟، ثم كيف يظن بهم رابعًا عدم تنبيههم، ورجوعهم عنه؟؟، ثم كيف يظن بعثمان أنه ينهى عن تغييره؟؟، ثم كيف يُظن أن القراءة استمرت على مقتضى ذلك الخطأ، وهو مروي بالتواتر خلفًا عن سلف[٢] هذا مما يستحيل عقلاً وشرعًا وعادة[٣] ا هـ.

وقد جنح ابن الأنباري إلى تضعيف كل ما ورد من ذلك عن ابن عباس وغيره، ومعارضتها بروايات صحيحة عن ابن عباس فيها ثبوت هذه الأحرف في القراءة[٤] .

وتكلم أبو حيان على شيء من ذلك فقال : إن قول من قاله زنديق ملحد[٥] .

وجعلها الزمخشري من القراءات التفسيرية، ورد على من قال بخطأ الكاتب[٦] .

وقال الخازن عن بعض هذه الروايات : وفي هذه الرواية نظر لأن القرآن ثبت بالتواتر[٧] .

وقال أبو شهبة، في بعض هذه الروايات عن ابن عباس : ولا يخلو إسناده من مدلس، أو ضعيف[٨] .

---

(١) إشارة إلى أن الكاتب كان صحابيًا فكيف يخطئ في اللغة، فضلاً عن القرآن.
(٢) أي لو كان الخطأ من الكاتب فلم لا تتواتر القراءة غير الخطأ عن الصحابي ويتواتر الخطأ؟!
(٣) الإتقان (١/ ٢٣٩).
(٤) الإتقان (١/ ٢٤٣).
(٥) البحر المحيط (٥/ ٢٩٣)، (٦/ ٤٤٥).
(٦) تفسير الكشاف (٢/ ٣٦٠، ٣٦١).
(٧) تفسير الخازن (٥/ ٦٦).
(٨) المدخل لدراسة القرآن الكريم (٣٧١).

فلو كانت الروايات أسانيدها ضعيفة فلا إشكال، وإن كانت صحيحة فلا إشكال لمخالفتها المتواتر فهي روايات منكرة يجب طرحها ، وعدم الاعتماد عليها، وهذه طريقة من رأى الترجيح.

القضية الثالثة: أن الصحابة كان لهم اجتهاد في القراءات، ولم تكن لديهم حساسية تمنع من ترجيح قراءة على أخرى، ولذا فيحتمل أن ما جاء عنهم من آثار فيها إشارة إلى خطأ الكاتب في كتابة بعض الآيات، فإن المراد به أن الكاتب كتبها بما يحفظه، ولم يتنبه لاختيار القراءة الأسهل، عند من قال ذلك، ولذا فكل ما ورد من هذه الآثار هي عبارة عن قراءات أخرى أراد الصحابي أن يرجح إحداها على الأخرى.

قال ابن أشته: أخطأوا أي في اختيار الأولى من الأحرف السبعة لجمع الناس عليه، لا أن الذي كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز، وقال: والدليل على ذلك أن ما لا يجوز مردود بالإجماع وإن طالت مدة وقوعه[1].

وقال عنه السيوطي: (إنه أولى وأقعد)[2]، أي من طريقة تضعيف الآثار الواردة عن الصحابة.. وهذه هي طريقة الجمع، وقد ذكرا في الجمع بين هذه الروايات أوجهًا أقربها ما سبق.

فمنها أن هذه الروايات محمولة على الحروف المحذوفة، ومواضع الرمز والإشارة، أو الكلمات التي خالف رسمها لفظها مثل لأذبحنه[3].

وبعد استعراض هذه القضايا الثلاث، أورد هنا الروايات التي وقفت عليها مبينًا أنها كلها تعود لقراءات أخرى، وإن الروايات إن اعتمدنا صحتها تعود إلى الترجيح بين

(١) الإتقان (١/ ٢٤١).
(٢) الإتقان (١/ ٢٤٣).
(٣) ينظر في هذه الأوجه الإتقان (١/ ٢٣٩، ٢٤٠).

القراءات لا إبطال بعضها.

فمن ذلك ما أخرجه ابن جرير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عند قوله تعالى: ﴿لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾[١]، قال: وإنما (تستأنسوا) وهم من الكتَّاب، وفي روايةخطأ من الكاتب: حتى تستأذنوا، وتسلموا[٢].

وعن ابن المسيب، وابن جبير مثله، وعن ابن عباس أنه كان يقرؤها على قراءة أبي[٢].

وأخرج عن إبراهيم أنها في مصحف ابن مسعود (حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا).

قال ابن كثير في هذا الموضع من تفسيره: وهو غريب جداً عن ابن عباس[٣].

وعلى كل فقد ثبت القراءة عند ابن عباس بالوجهين، فالظاهر أراد الترجيح لا الرد، والله أعلم.

وجاء عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة﴾[٤].

قال: هي خطأ من الكاتب، وهي في قراءة ابن مسعود[٥] وإذْ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) وعن الربيع ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾ يقول: (وإذْ أخذ الله ميثاق الذين

---

(١) سورة النور: آية (٢٧).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ١٠٩)، وفتح القدير (٤/ ٢١).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٨).

(٤) سورة آل عمران: آية (٧٩).

(٥) تفسير الطبري (٦/ ٥٥٣) ٧٣٢٣، والبحر المحيط (٢/ ٥٠٨)، وزاد المسير (١/ ٤١٥).

أوتوا الكتاب) وكذلك كان يقرؤها الربيع: ﴿ **وإذْ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب** ﴾ إنما هم أهل الكتاب، قال: وكذلك كان يقرؤها أبي بن كعب، قال الربيع: ألا ترى أنه يقول: ﴿ **ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه** ﴾، يقول: لتؤمنن بمحمد ﷺ، ولتنصرنه قال: هم أهل الكتاب[1].

قال الطبري: وأما ما استشهد به الربيع بن أنس على أن المعنى بذلك أهل الكتاب من قوله: ﴿ **لتؤمنن به ولتنصرنه** ﴾ فإن ذلك غير شاهد على صحة ما قال؛ لأن الأنبياء قد أمر بعضها بتصديق بعض، وتصديق بعضها بعضًا نصرة من بعضها بعضًا[2].

ومن ذلك ما ورد عن التابعي الكبير أبان بن عثمان بن عفان أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ **لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ** ﴾[3] ما شأنها كتبت يعني هكذا (المقيمين)، فقال: إن الكاتب لما كتب ﴿ **لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُم** ﴾ حتى إذا بلغ قال: ما أكتب؟ قيل له: اكتب ﴿ **وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ** ﴾، فكتب ما قيل له[4].

وفي قراءة ابن جبير: ﴿ **والمقيمون الصلاة** ﴾[5].

قال ابن جرير الطبري بعد أن ذكر أنها هكذا في مصحف أبي بن كعب وقراءته: ﴿ **والمقيمين الصلاة** ﴾ قال: فلو كان ذلك خطأ من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه، بخلاف ما هو في

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٥٥٤) ٧٣٢٥، والدر المنثور (٢/ ٢٥٢).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٥٥٧).

(٣) سورة النساء: آية (١٦٢).

(٤) تفسير الطبري (٩/ ٣٩٤) ١٠٨٣٧، وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن عن عائشة، ينظر الإتقان (٢٣٩٨)، وفتح القدير (١/ ٥٣٧).

(٥) إعراب القرآن للنحاس (١/ ٥٠٥)، وزاد المسير (٢/ ٢٥١).

مصحفنا، وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبي في ذلك، ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ، مع أن ذلك لو كان خطأ من جهة الخط، لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ يعلِّمون من علَّموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن، ولا صلحوه بألسنتهم، ولقنوه الأمة تعليمًا على وجه الصواب.

وفي نقل المسلمين جميعًا ذلك قراءة على ما هو به في الخط مرسومًا، أدل الدليل على صحة ذلك وصوابه، وأنه لا صنع في ذلك للكاتب[١].

حول قراءة ابن مسعود:

سبق في كثير من ثنايا البحث ذكر اعتماد التابعين في التفسير على قراءة ابن مسعود، وجاء في كثير من الروايات ذكر هذه القراءة، وهي مما تخالف رسم المصحف، فأحببت أن أبين شيئًا عن هذه القراءة في هذا المبحث، حتى يسهل فهم منهج التابعين في اعتمادهم على هذه القراءة الصحيحة، ولماذا نعتبرها الآن شاذة.

لقد سبق أن القراءة الشاذة هي ما خالفت الضابط المتفق عليه، ولا سيما مخالفتها لرسم المصحف، ويزيد الأمر الآن أنه ليس لها إسناد صحيح يمكن أن تتلقى مشافهة به، وقد أثير حول ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يجوز القراءة بالمعنى لما روي عنه أنه كان يقول: إياكم والتنطع في الاختلاف، إنما هو كقول أحدكم: أقبل، وهلم[٢].

وجاء عنه أيضًا: ليس الخطأ أن تجعل خاتمة آية خاتمة آية أخرى[٣].

فلقد فهم بعض الناس منه أنه يجوز القراءة بالمعنى مطلقًا، وهذا غلط عليه.

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٣٩٦).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٤٢٠)، ٢٢٧٠، ٢٢٦٨، ١٢٦٩.

(٣) سنن سعيد بن منصور، كتاب التفسير (١/ ٤٣٠، ٤٣١).

قال الحموي: حكي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ تجويز القراءة بالمعنى ولا يصح[١].

وقال ابن تيمية: وأن من قال عن ابن مسعود إنه يجوز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه[٢].

وإنما مراد ابن مسعود في الأثر الأول هو اختلاف القراءة فيما يقرؤونه، وأنه كله يرجع إلى معان متقاربة متشابهة، ولذلك أشار في أول كلامه إلى النهي عن الاختلاف في القراءة، ويؤيد ذلك ما جاء عنه أنه قال: نظرت إلى القَرَأَة فرأيت قراءتهم متقاربة، وإنما هو كقول أحدكم هلم، وأقبل، وتعال، فاقرؤوا كما عُلّمتم[٣].

وأما الأثر الثاني فقد وجهه أبو عبيد بأن مراده أنك لا تقول أخطأت لمن نعت الله بهذه النعوت لأنها كلها حق، وليس وجهه أن يضع كل حرف من هذا في موضع الآخر، وهو عامد لذلك[٤].

فإن قيل: فما وجه إنكار عمر على ابن مسعود عندما قرأ (عتى حين) أي ﴿حتى حين﴾ وكتب إليه: إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل[٥].

فالجواب: أنه ليس هذا يمنع أن تكون قراءة ابن مسعود ثابتة، ويكون هذا من عمر ـ رضي الله عنه ـ على سبيل الاختيار، لا أن الذي قرأ به ابن مسعود لا يجوز، ويحتمل أن يكون قول عمر، وعثمان، من بعده نزل بلسان قريش، وأن ذلك كان أول نزوله،

---

(١) القواعد والإشارات في أصول علم القراءات (٤٠/ ٤١).
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ١٩٧).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٣٥٣)، وتاريخ المدينة (٣/ ١٠٠٧).
(٤) فضائل القرآن (٢١٤).
(٥) فتح الباري (٩/ ٢٧).

ثـم إن الله تعالى سهله على الناس فجوز لهم أن يقرءوه على لغاتهم، على أن لا يخرج ذلك عن لغات العرب؛ لكونه بلسان عربي مبين.

فـأما من أراد قـراءته من غـير العـرب فـالاختـيار له أن يقرأه بلسـان قـريش، لأنه الأولى، وعلى هذا يحمل ما كتب به عمر إلى ابن مسعود؛ لأن جميع اللغات بالنسبة إلى غير العربي مستوية في التعبير، فلابد إذًا من واحدة، فلتكن بلغة النبي ﷺ [١].

وإذا حـقـقنا النظر وجـدنا أن المخـالفـة للرسم العـثـمـاني أكـثـر مـا جـاءت عن ابن مسعود، وأبي بن كعب، فأما أبي فلربما قرأ ما نسخت تلاوته، ولم يبلغه النسخ، وأما ابن مسعود فإنه بقي على الحرف الذي أخذه عن رسول الله ﷺ، ولم يأخـذ بالرسم العثماني، فلم يوافق على حرق مصحفه بل أخفاه، وأمرهم بأن يغلوا مصاحفهم، أي: يخفونها، ويكتمونها فلا تخرج فتعدم[٢].

وهذا يحتمل أن يكون ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ رأى خلاف ما رأى عثمان ومن وافقه في الاقتصار على قراءة واحدة، وإلغاء ما عدا ذلك. ويحتمل أنه لا ينكر الاقتصار على قراءة واحدة، فإن فيه الاجتماع، وفي عدمه الخلاف، وأراد أن يكون الاقتصار على قراءته هو فيعوّل عليها دون غيرها؛ لما له من المزية في ذلك مما ليس لغيره.

فقد جاء عنه أنه قال: غلوا مصاحفكم، كيف تأمرونني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت، وقد قرأت من فيّ رسول الله ﷺ مثله[٣].

وقد شق عليه أيضًا أنه لم يكتب المصحف فقال: يا معشر المسلمين أعزل عن نسخ كتابة المصاحف ويتولاها رجل، والله لقد أسلمت، وإنه لفي صلب رجل كافر؟ يعني زيد بن ثابت[٤].

---

(١) ينظر في ذلك فتح الباري (٩/ ٢٧).
(٢) الفتح (٩/ ٤٩).
(٣) الفتح (٩/ ٤٩).
(٤) رواه الترمذي كتاب التفسير، في تفسير سورة التوبة (٥/ ٢٦٦) ٣١٠٤.

وقال أيضًا: لقد أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة، وإن زيد بن ثابت لصبي من الصبيان[١].

ويعتذر لعثمان في ذلك أنه لم يؤخر ما عزم عليه، وفي هذا الوقت كان ابن مسعود بالكوفة، ثم إن زيد بن ثابت كان هو الذي جمع القرآن بمشورة وأمر أبي بكر الصديق، وعثمان إنما نسخ من هذا المصحف، فكان لزيد أولية لذلك ليست لغيره[٢].

وقد بوب ابن أبي داود بابًا بعنوان (رضى ابن مسعود بعد ذلك بما صنع عثمان) إلا أن الحافظ تعقب ذلك بقوله: (لكن لم يورد ما يصرح بمطابقة ما ترجم به)[٣].

• • •

(١) سبق تخريجه ص (٤٦٦).
(٢) الفتح (٩/ ١٩).
(٣) الفتح (٩/ ٤٩)، ينظر كتاب قراءة ابن مسعود ص (٦٤، ٦٦، ٦٨).

المبحث الثاني

منهجهم في آيات الاعتقاد

يعد عصر التابعين من أقل العصور اختلافًا وفرقًا بالنسبة لما بعده.

ولم تكن الفرق قد تشعبت التشعب الكبير، الذي رأيناه بعد ذلك، بل إن عامة الفرق التي ظهرت آنذاك هي: القدرية، والخوارج، والرافضة، والمرجئة وهذا لا يمنع وجود آراء أخرى مخالفة، لكنها لم تكن بمثل هذه في الوضوح، والتأثير[١].

ولقد أدى انتشار هذه الفرق الأربع إلى التأثير على اتجاه التابعين في التفسير، فإن أئمتهم كانوا مخالطين للناس مطلعين على أمورهم، يسألهم القاصي والداني عن الآيات المشتبهة، التي تعلقت بها هذه الطائفة أو تلك.

كما أن تأثير الفرق تعدى إلى تفسير التابعين للكلمة القرآنية بغير الأوجه التي ظهرت عند الصحابة تبعًا لحاجة الناس، وهو ظاهر مثلاً في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[٢].

فقد كان الوارد فيها عن ابن عباس، وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ أنهما كانا يفسران الإيمان بالتصديق[٣].

فلما ظهرت بدع الإرجاء والقدر وجدنا أن الربيع والزهري كانا يفسران الإيمان

---

(١) بل قال السدي: في الجنة شيعة وقدرية ومرجئة، العلل لأحمد (٢/ ٤١٧) ٢٨٦٣.

(٢) سورة البقرة: آية (٢).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٣٦) ٢٧٣، والدر المنثور (١/ ٦٤).

بالخشية، والعمل[١] .

والناظر في أحوال الأئمة من التابعين يرى أنهم كانوا شديدين على أهل البدع في مخالفاتهم، في حين كانوا يوجهون كبير عتب إلى من أخطأ من الناس، ولم يكن معروفًا ببدعة ، يظهر ذلك مثلاً في عدم النكير الشديد على مجاهد، وكانت له آراء تخالف الظاهر القرآني، في حين اشتد نكير الأئمة على عكرمة، وطال عتبهم عليه، بل ربما وصم بالكذب؛ لما رمي به من رأي الخوارج .

وعند دراسة منهج التابعين في تناول آيات الاعتقاد نجد أنفسنا مضطرين إلى استعراض أماكن الفرق الموجودة في عصرهم؛ لنستكشف تأثر أو تأثير ذلك في التفسير، فبادئ ذي بدء نجد أن المدينة سلمت من الأهواء، واستقام أهلها على طريقة أئمتهم الخالية من الانحرافات العقدية؛ بسبب كثرة الآثار النبوية، والصحابة، وقلة الفلسفة؛ ولذا كانوا من أشد الناس على أهل البدع، يتبين ذلك من موقفهم الشديد من عكرمة؛ لتلبسه ببعض أقوال الخوارج[٢] .

وكذلك كان حال مكة، إلا ما كان من بعض اجتهادات مجاهد التي كانت تخالف الظاهر من الآيات، وهي قليلة. وبالجملة فقد سلمت مدرستا الحجاز من الوقوع في أقوال أهل الأهواء، في حين وقع ذلك في مدرستي العراق، وهما وإن كانتا في أرض واحدة إلا أنهما تباينا في ذلك أيضًا، فالكوفة وقع بها الإرجاء، والتشيع، في حين كانت البصرة تعاني من فكر الخوارج ، وبدعة القدرية، ولم يكن فيها شيء من الرفض، حتى إن بعضهم شبههم بأهل الشام الذين كان فيهم عداوة شديدة للشيعة، فها هو حماد بن أبي سليمان لما رجع إلى الكوفة وكان قد زار البصرة، يسأله الناس :

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٢٤) ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧١.

(٢) يُنظر ترجمة عكرمة ص (١٦٢).

كيف رأيت أهل البصرة؟ ، فقال: قطعة من الشام نزلوا بين أظهرنا، يعني ليسوا هم في أمر عليّ مثلنا[١] .

وتبعًا لهذا التقسيم قد كانت أقوال الأئمة في التفسير، أي أنها تابعة للأمصار، فالمدرسة التي كثر فيها التشيع والإرجاء كالكوفة نجد كلامًا شديدًا للشعبي في ذم التشيع، وكان قد تشيع ثم رجع عنه، ونجد ذم الإرجاء عن إبراهيم النخعي.

والمدرسة التي نبغ فيها القدر كالبصرة نجد كلامًا لابن سيرين يبين هذا الانحراف ويرده[٢] .

ومن وجه آخر نجد أنه ربما تلبس إمام المِصْر ببعض ما يقوله أهل المِصْر ذاته إلا أن الغالب عليهم الرجوع؛ لأن الحق ضالتهم يأخذونها أنى وجدوها.

كما نسب الحسن للقدر ولا يصح عنه، وكما كان الشعبي، والنخعي، والسدي، ينسبون إلى شيء من التشيع، وإن كان رجوع بعضهم مُحققًا - إلا أن الأقوال - التي كانت في هذه المدرسة أو تلك، قد أثرت في الجملة سلبًا وإيجابًا على اعتقادات أهلها مما أدى إلى ظهور أثر ذلك في التفسير نفسه.

هذا كله والأئمة متفقون على ذم الأهواء، والإنكار على أصحابها، ومن وقع في كلامه شيء من ذلك، فلا يخلو إما أن يكون قد رجع عنه، كحال الشعبي، وإما أن يكون كلامه لم يفهم على الوجه الصحيح، كما في بعض مقالات الحسن ومجاهد، وإما أن يكون قد ظن أن ذلك هو الحق فأخطأ، كمقالة قتادة في القدر على قولٍ برجوعه أيضًا.

وليس أدل على تجنب عامة أئمة التابعين للأهواء من قول أبي العالية: قرأت

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ٣٣٣).

(٢) المرجع السابق (٧/ ١٩٩)، ومختصر تاريخ دمشق (٢٢/ ٢٢٧)، والمعرفة (٢/ ٤٧).

المحكم بعد وفاة نبيكم بعشر سنين، فقد أنعم الله عليَّ بنعمتين ـ لا أدري أيهما أفضل ـ أن هداني للإسلام، ولم يجعلني حروريًا[١].

وكان رحمه الله يقول: تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإنه الإسلام، ولا تحرفوا الإسلام يمينًا ولا شمالاً، وعليكم بسنة نبيكم، والذي كان عليه أصحابكم، وإياكم وهذه الأهواء التي تُلْقِي بين الناس العداوة والبغضاء.

قال عاصم راوي الأثر: فحدثت الحسن، فقال: صدق ونصح، فحدثت به حفصة بنت سيرين: فقالت: يا باهلي أأنت حدثت محمداً[٢] بهذا؟ قلت: لا، قالت: فحدثه إذاً[٣].

ولذا كان محمد بن سيرين يقول: كانوا يرون أنهم على الطريق ما كانوا على الأثر[٤].

ويقول: لو خرج الدجال لرأيت أنه سيتبعه أهل الأهواء[٥].

وكذلك كان أيضًا قول الأئمة الكوفيين، فهذا الشعبي يبين لنا سبب تسمية أهل البدع بأهل الأهواء فيقول: إنما سميت الأهواء؛ لأنها تَهْوِي بصاحبها في النار[٦].

ولما عوتب مسروق على عدم مشاركته في الاقتتال في الفتن احتج بقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾[٧].

---

(١) السير (٤/ ٢١٢)، طبقات ابن سعد (٧/ ١١٣).
(٢) تعني محمد بن سيرين أخاها.
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٦) ١٧.
(٤) المصدر السابق (١/ ٨٧) ١٠٩، ١١٠، وسنن الدارمي (١٤٢).
(٥) شر أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٣١) ٢٣٥.
(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٣٠) ٢٢٩.
(٧) سورة النساء: آية (٢٩).
وينظر الأثر في السير (٤/ ٦٨)، ومختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٢٥١).

وأما مدرستا الحجاز فقد كانتا أبعد المدارس عن الأهواء التي كانت بالعراق كما تقدم، ولذا نقلت عنهم العبارات الشديدة في التحذير من تلك الأهواء.

فمجاهد المكي يروي عنه مقالة قريبة من مقالة أبي العالية المتقدمة، فيقول: ما أدري أي النعمتين عليَّ أعظم: أن هداني للإسلام، أو عافاني من هذه الأهواء[1].

ويقول سعيد بن المسيب: إذا تكلم الناس في ربهم وفي الملائكة، ظهر لهم الشيطان فقدمهم إلى عبادة الأوثان[2].

وعن عطاء أنه قال لقائده: أمسكوا واحفظوا عني خمسًا: القدر خيره وشره، حُلْوُه ومرُّه من الله، وأهل قبلتنا مؤمنون، حرام دماؤهم، وقتال الفئة الباغية بالأيدي والنعال لا بالسلاح، والشهادة على الخوارج بالضلالة[3].

وفيما يلي دراسة لما وقع فيه الاختلاف في بعض مسائل الاعتقاد، مع بيان موقف أئمة التفسير من التابعين من ذلك، وأثر ذلك في مناهجهم في التفسير.

وقد اعتمدت كثيرًا على كتابي شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، والأسماء والصفات للبيهقي، وذلك بعد ما تبين لي أنهما من أوسع الكتب اشتمالاً على نقل أقوال الأئمة، وتفاسيرهم لآيات الاعتقاد.

أولاً: منهجهم في تناول آيات الصفات:

لم تنتشر البدع المتعلقة بالصفات في عهد التابعين، وإنما أظهر الجهم مقالة التعطيل في آخر عهد التابعين، ثم تلقفت الطوائف بعد ذلك أقواله.

---

(١) سنن الدارمي (١/ ٩٢).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٢١) ١٩٧.

(٣) الحلية (٣/ ٣١٢)، والبداية (٩/ ٣٤٦)، والعقد الثمين (٦/ ٩١).

كان السلف يرون متابعة الصحابة والتابعين، الذين لم يختلفوا في مسائل الأسماء والصفات، وإنما وقع الخلاف بينهم في الأحكام والعبادات، ولذا كثرت الأسئلة في هذا الباب عنه في باب الأسماء والصفات[١].

ويخطئ بعض من يتوهم أن السلف لم يتكلموا في الاعتقاد وإنما كانوا يفوضون ذلك، وهذه مقولة من لم يعرف السلف وعلمهم، فإن القوم ما تكلموا فيما تكلموا فيه إلا عن اجتهاد، وما سكتوا عما سكتوا عنه إلا عن علم، ولكن لم تكن البدع قد فشت، فكلما ظهرت بدعة، تصدى العلماء للرد عليها، ومن أراد التأكد من ذلك فلينظر إلى تلاميذ التابعين ومن بعدهم، وموقفهم من الجهمية لما ظهرت في زمانهم، وكيف كان اشتدادهم عليهم، حتى قال ابن المبارك عنهم: إنا لنحكي أقوال اليهود والنصارى، ولا نحكي أقوال الجهمية - وجعلهم ليسوا من أئمة محمد من الثنتين والسبعين فرقة.

فالمقصود أن السلف ما توقفوا عن الخوض إلا عن علم[٢] وما زال أهل الحديث والأثر يرون متابعة الصحابة والتابعين في هذا الباب؛ لأنهم كما يقول ابن خلدون في مقدمته: غلّبوا أدلة التنزيه لكثرتها، ووضوح دلالتها، وعلموا استحالة التشبيه، وقضوا بأن الآيات من كلام الله فآمنوا بها، ولم يتعرضوا لمعناها ببحث[٣] ولا تأويل.

وهذا كلام سديد باعتبار أن السلف لم يبحثوا في الكيفية، ولم يصرفوا المعنى الظاهر من الآيات عن ظاهره، مع اعتقادهم التنزيه.

فها هو سعيد بن جبير يبين معاني التنزيه في قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٤] فيقول:

---

(١) يُراجع كلام المقريزي في الخطط (٤/ ١٨٠ - ١٨١).

(٢) يُراجع في ذلك مقدمة كتاب مختصر العلو للشيخ الألباني (١٠٣).

(٣) التعرض بالبحث للمعنى هو تعرض للكيفية، وإلا فالسلف كانوا يثبتون المعاني كما سيأتي.

(٤) سورة الصمد: آية (١).

هو الكامل في جميع صفاته[١] .

ويسند قتادة عن الحسن أنه قال : الصمد : الباقي بعد خلقه[٢] .

وعن أبي الرجاء أن الحسن قال : الصمد الذي لا يخرج منه شيء[٣] .

وعن الشعبي قال : أخبرني أنه الذي لا يأكل ولا يشرب[٤] .

وكلها معان متقاربة تدل على منهج واحد في إثبات الكمال المطلق لله تعالى .

وفي باب التنزيه نجد أن الحسن لما سأله رجلٌ فقال : يا أبا سعيد هل تصف لنا ربك ، قال : نعم أصفه بغير مثال[٥] .

فالحسن نظر إلى أن الله موصوف بصفات ، لكن مع نفي المماثلة كما قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[٦] .

ولما فسَّر ابن عباس قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾[٧] ، قال : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ ﴾ : صعد[٨] .

وها هو أبو العالية يفسِّر الاستواء بقوله : استوى : ارتفع[٩] .

---

(١) تفسير البغوي (٧/ ٢٦٥).

(٢) الأسماء والصفات (١/ ١١٠).

(٣) الأسماء والصفات (١/ ١٠٩، ١١٠).

(٤) الأسماء والصفات (١/ ١١٠)، والتفسير الكبير (٣٢/ ١٨١).

(٥) المرجع السابق (١/ ٤٢١).

(٦) سورة الشورى : آية (١١).

(٧) سورة البقرة : آية (٢٩).

(٨) الأسماء والصفات (٢/ ١٥٤)، وفتح القدير (١/ ٦٢).

(٩) تفسير ابن أبي حاتم (١٠٥) ٣٠٩، وأورده السيوطي في الدر ، وعزاه لابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي عن أبي العالية به (١/ ١٠٧).

ولما ورد حديث النزول، نجد الزهري ومكحولاً يقولان: أمْضُوا الأحاديث على ما جاءت[١].

فالحاصل أن الأئمة كانوا متفقين في هذا الباب في جانبي الإثبات والتنزيه.

ولهذا يقول الأوزاعي ـ رحمه الله ـ: كنا نقول ـ والتابعون متوافرون ـ: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته جلَّ وعلا[٢].

وإذا استعرضنا المنقول عنهم في هذا الباب وجدناه متفقًا غير مختلف.

ففي باب الأسماء:

يثبت الصحابة والتابعون الأسماء والصفات ويفسرونها، وأكثر من عرف عنه التعرض لذلك المدرسة المكية، ومع ذلك لم يقع منهم المخالفة؛ لأن التعرض لتفسير الأسماء يبنى على منهج التلقي، ولذلك كان إثباتها صحيحًا عندهم متبعين لشيخهم، فقد كان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عند تفسير قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٣]، يقول: الله سبحانه هادي أهل السموات والأرض[٤].

وعند قوله تبارك وتعالى: ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾[٥]، قال: يعني ذا السعة والغنى[٦].

---

(١) الأسماء والصفات (٢/ ١٩٨).
والمقصود كما جاءت يعني لها معنى معروف في اللغة ولا كيف نعلمه.

(٢) الأسماء والصفات (٢/ ١٥٠).

(٣) سورة النور: آية (٣٥).

(٤) الأسماء والصفات (١/ ١٤٣، ١٤٤)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن ابن عباس بنحوه (٦/ ١٩٧)، وفتح القدير (٤/ ٣٦).

(٥) سورة غافر: آية (٣).

(٦) الأسماء والصفات (١/ ٨٦)، وبمثله جاء عن مجاهد، ينظر فتح القدير (٤/ ٤٨١)، وجاء عن عكرمة: ذي المن. ينظر الدر المنثور (٧/ ٢٧١).

ويفسِّر اسم (الرحمن) بقوله: هو الرفيق[١].

واسم (الودود) بقوله: الحبيب، وفي رواية الرحيم[٢].

واسم (البر) بقوله: اللطيف[٣]، و(المتين) يفسره بقوله: الشديد[٤].

ويفسِّر ﴿ذو الجلال والإكرام﴾ بقوله: ذو العظمة والكبرياء[٥].

ويفسِّر تلميذه مجاهد اسم (القيوم) بقوله: القائم على كل شيء[٦].

وكذلك ينحو سعيد بن جبير نحوهم فيقول: (القيوم): الدائم الوجود[٧]. ويفسر ﴿عليم﴾ بقوله: عالم[٨]

وعند قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[٩]، يقول سعيد بن جبير: شهيداً[١٠].

وكذلك كان حال المفسرين في المدارس الأخرى، وإن كانوا دونهم في ذلك، فقد نقل عن قتادة أنه فسر اسمه تعالى (القدوس) بأنه: المبارك[١١].

---

(١) الأسماء والصفات (١/ ٩٧).
(٢) الأسماء والصفات (١/ ١٤١).
(٣) الأسماء والصفات (١/ ١٢٩).
(٤) الأسماء والصفات (١/ ٨٦).
(٥) الأسماء والصفات (١/ ١٦١)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، عن ابن عباس به (٧/ ٦٩٨).
(٦) الأسماء والصفات (١/ ٩٣)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن أبي إياس، وابن جرير، والبيهقي في الأسماء عن مجاهد به (٢/ ١٥)، وفتح القدير (١/ ٢٧٣).
(٧) روح المعاني (٣/ ٧).
(٨) الدر المنثور (١/ ٢٦٨).
(٩) سورة النساء: آية (٨٦).
(١٠) الدر المنثور (٢/ ٦٠٨)، وفسره مجاهد بقوله (حسيبًا): حفيظًا، ينظر معاني القرآن للنحاس (٢/ ١٥٠).
(١١) تفسير الطبري (٢٨/ ٥٤)، وأورده في الدر، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة به (٨/ ١٢٣).

والأمثلة كثيرة، وإن كانت تقل في الكوفة، والمدينة، وتزيد في البصرة، وتكثر في مكة، تبعًا لاختلاف المدارس في الإقدام على الاجتهاد في التفسير عمومًا، أو تركه كما سبق تقريره[١].

وكذلك كان الحال في باب الصفات:

ففي صفة العين جاء عن عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿ **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾[٢]، قال: بعين الله تبارك وتعالى[٣].

وجاء إثبات (اليد) لله، عن مجاهد فقد قال في قوله تعالى: ﴿ **وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾[٤]: وكلتا يديه يمين[٥].

ولما قرأها قتادة لم يفسرها[٦]، وهذا يؤكد ما سبق من أن منهج المكيين أدخل في تفسير آيات الصفات من غيرهم، على أننا نجد قتادة يفسر قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ** ﴾[٧]، قال ـ معتمدًا على الأثر النبوي ـ: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «**والذي نفس محمد بيده لا يتصدق رجلٌ بصدقة فتقع في يد السائل حتى تقع في يد الله**»[٨].

---

(١) يراجع مبحث الاجتهاد ص (٧١٩).

(٢) سورة هود: آية (٣٧).

(٣) الأسماء والصفات (٢/ ٤١)، وأورده السيوطي في الدر عن ابن عباس بلفظ، بعين الله ووحيه (٤/ ٤١٨)، وفتح القدير (٢/ ٥٠١).

(٤) سورة الزمر: آية (٦٧).

(٥) الأسماء والصفات (٢/ ٥٦).

(٦) الأسماء والصفات (٢/ ٦٢)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه البيهقي في الأسماء (٧/ ٢٤٨).

(٧) سورة التوبة: آية (١٠٤).

(٨) تفسير الطبري (١٤/ ٤٦٢) ١٧١٧١.

فذكر الحديث وفيه ذكر اليد، ولم يتعقبها بشيء، مما يؤكد منهج البصريين في التورع عن تفسير آيات الصفات.

ولما أنكر شريح قراءة من قرأ: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾[١]، بضم التاء من (عجبت) قال: إن الله لا يعجب، فبلغ ذلك إبراهيم النخعي فقال: إنما شريح شاعر يعجبه علمه، كان عبد الله أعلم منه وكان يقرأ بل عجبتُ[٢].

وكذلك كان منهجهم في تناول الآيات التي تتحدث عن القرآن:

فقد ورد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله عز وجل: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾[٣]، أنه قال: غير مخلوق[٤].

وروى لنا الشعبي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: إن القرآن كلام الله تعالى، فمن كذب على القرآن فإنما يكذب على الله عز وجل[٥].

قال ابن المديني في حديث جعفر بن محمد المدني، قال: ليس القرآن بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله تعالى[٦].

---

(١) سورة الصافات: آية (١٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠)، وزاد المسير (٧/ ٥٠)، وفتح القدير (٤/ ٣٩٠).

(٣) سورة الزمر: آية (٢٨).

(٤) الأسماء والصفات (١/ ٣٧٧)، وكتاب الشريعة للآجري (٧٧)، وزاد المسير (٧/ ١٧٩)، وفتح القدير (٤٦٣٤)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن مردويه، والآجري، والبيهقي (٧/ ٢٢٣).

(٥) الأسماء والصفات (١/ ٣٧٧).

(٦) الأسماء والصفات (١/ ١٨١)، وقال علي بن المديني: لا أعلم أنه تكلم بهذا الكلام في زمان أقدم من هذا. ا هـ، وقد يكون أثر ابن عباس السابق لم يثبت عنده، أو لم يطلع عليه، والله أعلم، ويُنظر مسائل الإمام أحمد لأبي داود (٢٦٥)، ومنهاج السنة (٢/ ١٨٧).

ومثله أيضًا عن الحسن أنه قال في القرآن: ما هو بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله[١].

يعني أنه صفة لله لا يقال هي الله، حتى يقال: (خالق)، ولا يقال هي غير الله حتى يقال: (مخلوق)، فالصفات قائمة بالذات لا يطلق أنها هي الذات، ولا هي غير الذات، والله أعلم[٢].

وعن الحسن أيضًا قال: القرآن كلام الله تعالى إلى القوة والصفاء، وأعمال بني آدم إلى الضعف والتقصير[٣].

وكذلك نقل عن علماء المدينة قولهم: (القرآن كلام الله غير مخلوق)[٤].

وعن الزهري قال: سألت عليّ بن الحسين ـ رضي الله عنهما ـ عن القرآن فقال: كتاب الله وكلامه[٥].

وهكذا نجد التابعين ما بين مفسر للأسماء والصفات، وما بين مثبت لا يدخل في التفسير، ولم ينقل عن واحد منهم تأويل صفة من صفات الله، أو إنكار اسم من أسمائه تعالى.

إلا أنه قد وردت بعض الآثار فهم منها البعض التأويل، وليس هذا صحيحًا، ولذلك أحببت أن أبينها في هذا المبحث:

١ ـ عند تفسير قوله سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[٦].

قال مجاهد: أي إلا ما أريد به وجهه[٧].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٢٣٨) ٣٩١.
(٢) يُراجع مبحث الصفة والموصوف من شرح الطحاوية (١٢٩).
(٣) الأسماء والصفات (١/ ٣٨١)، وكتاب الاعتقاد (٦٤).
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٢٧٤) ٤٧٩.
(٥) الأسماء والصفات (١/ ٣٨٢).
(٦) سورة القصص: آية (٨٨).
(٧) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧٢)، والدر المنثور (٦/ ٤٤٧).

أورده البخاري معلقًا في صحيحه كالمُقر له[١] .

فهذا وأمثاله مما قد يفهم منه تأويل الصفة، لا يدل في حقيقته على التأويل المذموم الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل يوجبه.

يوضح ذلك أن الأئمة كانوا يثبتون الصفات، إلا أنهم ربما وقع في أقوالهم التفسير باللازم مراعاة لسياق الآية، أو كان يرى أن (الوجه) هنا هو (الجهة) ففسَّر على ذلك.

ولربما فسروا باللازم أيضًا مراعاة للنصوص الأخرى، وعلى كل، فليس فيما روي عن مجاهد ـ رحمه الله ـ ما يدلُّ على أنه لا يثبت الوجه لله، وإنما نشأ الإشكال من ثبوت بقاء بعض المخلوقات غير الله سبحانه، وعدم تعرضها للهلاك كالجنة والنار، لذا فسَّر السلف هذه الآية بما لا يتعارض مع ذلك.

قال شارح الطحاوية عند تعرضه لهذه الآية: وإنما قالوا ذلك توفيقًا بينها وبين النصوص المحكمة الدالة على بقاء الجنة، وعلى بقاء النار أيضًا[٢] .

وبهذا يتضح أن تفسير مجاهد باللازم لو سلمنا أنه (تأويل)، فهو مما اقترن به الدليل الصحيح الدالّ على المراد، ولا إشكال في ذلك عند أهل السنة، والله أعلم.

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[٣] .

جاء عن مجاهد في تفسيرها قال: قبلة الله[٤] .

وهذا أيضًا مما قد يوهم أنه تأويل لصفة الوجه؛ لأنه جعل الوجه القبلة، وهذا قد

---

(١) فتح الباري (٨/ ٥٠٥) وذكر ابن حجر أن ابن أبي حاتم وصله.

(٢) شرح الطحاوية (٤٨٠).

(٣) سورة البقرة: آية (١١٥).

(٤) الأسماء والصفات (٢/ ٣٥)، أورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والترمذي، والبيهقي في سننه، عن مجاهد بنحوه (١/ ٢٦٧).

يكون إذا كانت هذه الآية من آيات الصفات ، إلا أن هذا ليس محل اتفاق، ولذلك لما احتج فقهاء عصر ابن تيمية عليه بذلك أجابهم بقوله: وليست هذه الآية من آيات الصفات، ومن عدَّها في الصفات فقد غلط، كما فعل طائفة، فإن سياق الكلام يدل على المراد حيث قال: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾، والمشرق والمغرب: الجهات، والوجه هو الجهة، يقال: أي وجه تريده؟ أي: أي جهة، وأنا أريد هذا الوجه، أي هذه الجهة، كما قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[١] ، ولهذا قال: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ أي تستقبلوا وتتوجهوا، والله أعلم[٢] .

٣ـ ما ذكر في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾[٣] .

جاء عن مجاهد قال: يعني بقوة، مثل ما جاء عن ابن عباس[٤] .

فهذا أيضًا مما قد فهم منه بعض الناس التأويل، وهذا غير صحيح؛ لأن (الأييد) هنا ليست جمع (يد)، بل هي مصدر آد يئيد، إذا قوى، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ﴾[٥] .

والإدة: الداهية والأمر العظمي، ومنه قوله تعالى: ﴿ شَيْئًا إِدًّا ﴾[٦] .

ولو فُرض أن هذه من آيات الصفات فإن هذا تفسير باللازم؛ لأنها جاءت مجموعة كما في قوله تعالى: ﴿ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾[٧] ، فإن حملها على القوة من

---

(١) سورة البقرة: آية (١٤٨).

(٢) ينظر المناظرة حول العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ٩٣)، (٦/ ١٧).

(٣) سورة الذاريات: آية (٤٧).

(٤) الأسماء والصفات (١/ ٢١٥)، وزاد المسير (٨/ ٤٠)، والدر المنثور (٧/ ٦٢٣).

(٥) سورة ص: آية (١٧).

(٦) سورة مريم: آية (٨٩)، ينظر مختار الصحاح (٩)، وقد نقله البخاري كما في الفتح (١/ ١٩٩).

(٧) سورة ص: آية (٤٥).

باب اللازم؛ لأنه لا يعرف إطلاق الأيدي بمعنى النعمة أو القوة إلا في حق من اتصف باليدين على الحقيقة، ولذلك لا يقال للريح يد، ولا للماء يد، ولهذا جاء عن العرب أنها تقول: ما لهم بذلك أيد: أي قوة، ولا يعرف عن العرب أنها تقول يد الهواء ويد الماء، فهب أن قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[١]، يراد به الصفة، فإنه لا يتجوز عنها بالقدرة والقوة إلا لمن له يد حقيقية[٢].

فبذلك ثبت أن هذه الآية ليست دليلاً لأهل التأويل، والله تعالى أعلم.

٤ ـ تفسير الكرسي:

ومما جاء كذلك عن مفسري التابعين مما يتوهم فيه التأويل ما روي عن سعيد بن جبير أنه قال: كرسيُّه علمه[٣].

وورد أنه أسنده عن ابن عباس، قد أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم من وجه آخر، عن سعيد بن جبير فزاد فيه (عن ابن عباس)، بل وروي مرفوعًا، قال العقيلي: إن رفعه خطأ[٤].

وتأويل الكرسي بالعلم اعتمده ابن جرير[٥] في حين قال عنه ابن حجر في الفتح: هذا التفسير غريب[٦].

وقد ثبت عن ابن عباس ما يخالف ذلك، فقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن

(١) سورة الذاريات: آية (٤٧).
(٢) انظر مجموع الفتاوى (٦/ ٣٧٠).
(٣) علقه البخاري (٨/ ١٩٩)، وذكر ابن حجر أن سفيان الثوري وصله بإسناد صحيح عن أبي حذيفة عنه، وينظر معاني القرآن للنحاس (١/ ٢٦٣)، وزاد المسير (١/ ٣٠٤).
(٤) الفتح (٨/ ١٩٩)، والأسماء والصفات (١/ ١٥٣)، والتغليق (٤/ ١٨٥).
(٥) تفسير الطبري (٥/ ٤٠٢).
(٦) فتح الباري (٨/ ١٩٩).

الكرسي موضع القدمين، قال ابن حجر: وروى ابن المنذر بإسناد صحيح عن أبي موسى مثله، وأخرجا عن السدي أن الكرسي بين يدي العرش، وليس ذلك مغايراً لما قبله، والله أعلم[١].

بل قد جاء هذا من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[٢]، قال: موضع القدمين[٣].

وجاء عن ابن عباس أن الكرسي يحمله أربعة من الملائكة[٤]، وهذا يقتضي أنه ليس هو العلم.

قال شيخ الإسلام: وقد نقل عن بعضهم أن (كرسيه) علمه، وهو قول ضعيف، فإن علم الله وسع كل شيء، كما قال: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[٥]، والله يعلم نفسه، ويعلم ما كان وما لم يكن، فلو قيل: وسع علمه السموات والأرض، لم يكن هذا المعنى مناسبًا، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾[٦]: أي لا يثقله ولا يكرثه، وهذا يناسب القدرة لا العلم، والآثار المأثورة تقتضي ذلك[٧].

وجاء عن مجاهد أنه قال: ما السموات والأرض في الكرسي إلا بمنزلة حلقة ملقاة في الأرض الفلاة[٨].

(١) المرجع السابق (٨/ ١٩٩).
(٢) سورة البقرة: آية (٢٥٥).
(٣) الأسماء والصفات (٢/ ٨٩)، وقريب منه عن وهب وغيره كما نقله شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٥/ ٧٥)، وينظر معاني القرآن للنحاس (١/ ٢٦٥)، وزاد المسير (١/ ٣٠٤).
(٤) الأسماء والصفات (٢/ ٩٦).
(٥) سورة غافر: آية (٧).
(٦) سورة البقرة: آية (٢٥٥).
(٧) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٨٤).
(٨) الأسماء والصفات (٢/ ١٤٩)، وتفسير القرطبي (٣/ ١٨٠)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وأبي الشيخ، والبيهقي عن مجاهد بنحوه (٢/ ١٨).

فهذا المروي عن سعيد، وابن عباس من أن الكرسي العلم، قد روي عنهما ما يخالفه، بل والأسانيد في كونه موضع القدمين أصح وأظهر[١]، لذا فليس أحدهما بأولى من الآخر، فإن سلكنا سبيل الترجيح لم يكن تأويل الكرسي هو الراجح، لا من جهة أرجحية إسناده، ولا من جهة أرجحية معناه.

قال شارح الطحاوية: وقيل: كرسيه: علمه، وينسب إلى ابن عباس، والمحفوظ عنه ما رواه ابن أبي شيبة كما تقدم، ومن قال غير ذلك فليس له دليل إلا مجرد الظن، والظاهر أنه من جراب الكلام المذموم، كما قيل في العرش، وإنما هو كما قال غير واحد من السلف، بين يدي العرش كالمرقاة إليه[٢].

٥ ـ تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[٣].

اختلف أهل التأويل في تفسير هذه الآية: فجاء عن ابن مسعود مرفوعًا: يكشف عن ساقه فيسجد كل مؤمن، ويقسو ظهر الكافر[٤].

وكذا جاء عن أبي سعيد أنها من الصفات، أي للحديث الذي في الصحيحين وفيه: يكشف ربنا عن ساقه.. إلخ[٥].

وجاء عن قتادة أن المراد عن شدة[٦].

---

(١) ينظر تفصيل ذلك في رد أبي سعيد الدارمي على بشر المريسي، في كتاب عقائد السلف ص(٤٢٨). ويُراجع أيضًا كلام أحمد شاكر في حاشية تفسير الطبري (٥/ ٤٠٠).

(٢) شرح الطحاوية (٣١٢، ٣١٣).

(٣) سورة القلم: آية (٤٢).

(٤) الأسماء والصفات (٢/ ٨٢).

(٥) رواه البخاري (٨/ ٦٦٤)، وأشار الحافظ إلى أن الإسماعيلي لمز رواية سعيد بن أبي هلال هذه، وأن الأصح رواية صفر بن ميسرة وفيها (عن ساق).

(٦) تفسير الطبري (٢٩/ ١٣٨) وينظر البرهان (٢/ ٨٤)، والدر المنثور (٨/ ٢٥٦).

وعن إبراهيم: أي عن أمر عظيم[١].

أما المدرسة المكية فقد ورد عن كثير منهم تفسير الآية بالكشف عن أمر شديد، جاء ذلك عن ابن عباس[٢] وعن مجاهد[٣] وعن عكرمة[٤] وسعيد بن جبير[٥].

قال ابن القيم: والصحابة متنازعون في تفسير الآية؛ هل المراد الكشف عن الشدة، أو المراد بها أن الرب تعالى يكشف عن ساقه، لا يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع فيها يذكر أنه من الصفات أم لا في غير هذا الموضع، وليس في ظاهر القرآن ما يدل على أن ذلك صفة الله؛ لأنه سبحانه لم يضف الساق إليه[٦].

وعلى هذا التقرير فمن قال: إن المراد بها الشدة، لا يكون قوله تأويلاً.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات فإنه قال: ﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾ نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله، ولم يقل عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر، ومثل هذا ليس بتأويل، إنما التأويل: صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف، ولكن كثير من هؤلاء يجعلون اللفظ على ما ليس مدلولاً له، ثم يريدون صرفه عنه، ويجعلون هذا تأويلاً، وهذا خطأ»[٧].

---

(١) تفسير الطبري (٢٩/ ١٣٨)، والدر المنثور (٨/ ٢٥٦).

(٢) الأسماء والصفات (٢/ ٨٠-٨٣)، وتفسير الطبري (٢٩/ ٣٨)، وفتح القدير (٥/ ٢٧٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٩/ ٣٩)، والدر المنثور (٨/ ٢٥٥).

(٤) الأسماء والصفات (٢/ ٨٣)، والدر المنثور (٨/ ٢٥٤).

(٥) تفسير الطبري (٢٩/ ٣٩)، والدر المنثور (٨/ ٢٥٥).

(٦) الصواعق المرسلة (١/ ٢٥٢).
وينظر الرد على الجهمية (٣٥)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٤).

(٧) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٥).

٦ ـ الرؤية :

ومما أشكل أيضًا فيما ورد عنهم في مجال الأسماء والصفات ؛ مسألة رؤية الله في الآخرة، فهل يوصف الرب تعالى بأنه يراه المؤمنون في الآخرة؟!

فذهب السلف إلى إثباتها، وروي عن مجاهد روايات مشكلة في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[١] قال : تنتظر الثواب من ربها، لا يراه من خلقه شيء، ويقول : يرى ولا يراه شيء[٢] .

بل وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾[٣] ، قال : أي من أن أسألك الرؤية[٤] ، وقيد بقية التابعين ذلك بالرؤية في الدنيا[٥] ، وأما سائر التابعين فقد ورد عنهم خلاف ذلك، فهم يثبتون رؤية الرب سبحانه في الآخرة، فها هو عكرمة المكي جاء عنه إثباتها بقوله مثلاً في تفسير آية : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[٦] قال : تنظر إلى ربها نظرًا، وكذلك قال الحسن وأشياخ من أهل الكوفة[٧] .

وجاء عن طاوس أنه قال : أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا السنة[٨] .

---

(١) سورة القيامة : آية (٢٣).

(٢) تنظر هذه الروايات في تفسير الطبري (٢٩/ ١٩٢ ، ١٩٣)، وعارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي (١٢/ ١٦٨ ، ١٦٩).
وقد سبق تفصيل ذلك في ترجمة مجاهد.

(٣) سورة الأعراف : آية (١٤٣).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ١٠٣) ١٥٠٩٦ ، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٣٨)، وزاد المسير (٣/ ٢٥٧).

(٥) تفسير الطبري (١٣/ ١٠٣)، وزاد المسير (٣/ ٢٥٧).

(٦) سورة القيامة : آية (٢٣).

(٧) تفسير الطبري (٢٩/ ١٩٢).

(٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٠٠) ٨٦٨ ، وزاد المسير (٨/ ٤٢٢)، والدر المنثور (٨/ ٣٤٩).

وعن الحسن: لو علم العابدون في الدنيا أنهم لا يرون ربهم لذابت أنفسهم[١].

بل من التابعين من أثبت رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا، كما قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[٢] قال: أتريد أن أقول لك قد رآه، نعم قد رآه، ثم قد رآه، ثم قد رآه حتى ينقطع النفس[٣].

وقد وجدتُ عدة روايات عن مجاهد فيها إثبات الرؤية أيضًا، رواها اللالكائي، منها ما أسنده عن حماد بن سلمة عن ليث عن مجاهد ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾[٤]، قال: الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى الرب[٥].

ومن طريق سفيان عن منصور عن مجاهد، في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾[٦]. قال: نظرت إلى ربها ناظرة[٧].

ومن طريق الوليد بن عبد الله بن أبي المغيث، عن مجاهد، في قوله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: حسنة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى ربها تبارك وتعالى[٨].

وهذه الروايات عن مجاهد تخالف الروايات الأول، وإن كانت تلك أكثر وأشهر وأصح، إلا أن وجود هذه مما يقوي قول ابن حزم ـ رحمه الله ـ حين اعتذر عنه أنه لم تبلغه الآثار في ذلك[٩].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٠١) ٨٦٩.
(٢) سورة النجم: آية (١١).
(٣) تفسير الطبري (٢٧/ ٤٨).
(٤) سورة يونس: آية (٢٦).
(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٩٤٦٣) ٧٩٧.
(٦) سورة القيامة: آية (٢٢).
(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٦٥) ٨٠١.
(٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٦٥) ٨٠٢، تفسير مجاهد (٢/ ٧٠٦).
(٩) الفصل (٣/ ٢).

فلربما لم تبلغه فقال ما قال من إنكارها، ثم بلغته فقال بإثباتها وهذا اللائق به - رحمه الله -، وإن لم يكن ذلك فقد أخطأ، وأبعد النجعة كما سبق تقريره[1] .

وقد يقال بالجمع فتحمل روايات نفي الرؤية على أن مجاهداً أراد بذلك الرؤية في الدنيا، بينما تحمل روايات الإثبات على الرؤية في الآخرة. والله تعالى أعلم.

ثانيًا: منهج مفسري التابعين في تفسير الآيات المتعلقة (بالإيمان):

لقد كانت بدعتا الخوارج والمرجئة من أول البدع ظهوراً كما سبق تقريره، وتفرع من ذلك اختلاف الناس في مسمى الإيمان، واتفق أهل السنة على إثبات حقيقة الإيمان بأنه قول وعمل يزيد وينقص، وما تفرع من ذلك من مسائل الاستثناء في الإيمان، ولقد كان أئمة المفسرين والتابعين في طليعة هؤلاء فاهتموا ببيان ذلك.

ولعل المدرسة البصرية من أكثر المدارس بروزاً في هذا الجانب[2] .

وقد يعزى ذلك لسببين:

السبب الأول: انتشار فكر الإرجاء في الكوفة.

السبب الثاني: المنهج الوعظي الذي سلكه أئمتها، فهو يتفق مع قبول العمل في الإيمان، وإخراجُ العمل عن مسمى الإيمان يجعل الناس في فتور عن العمل، في حين كانت مواعظ الحسن وقتادة تحث الناس على التخلق بالأخلاق الفاضلة، والزجر عن الأعمال الباطلة.

ولأجل ذلك كانت أكثر الأقوال في هذا المجال منقولة عن التابعين من المدرسة البصرية، يضاف إلى ذلك أن المدرسة الكوفية تلبس بعض من كان بها برأي المرجئة،

---

(١) وقد سبق تفصيل ذلك في ترجمته ص (١٠٧).

(٢) ينظر كتاب تفسير الحسن البصري، د. محمد عبد الرحيم (٢/ ٥١٠، ٥١١).

في حين كان ينسب عكرمة المكي لرأي الخوارج.

الإيمان: قول وعمل:

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ... أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾[١].

قال الربيع: تكلموا بكلام الإيمان، فكانت حقيقته العمل، صدقوا الله، قال: وكان الحسن يقول: هذا كلام الإيمان، وحقيقته العمل، فإن لم يكن مع القول عمل فلا شيء[٢].

وعن الحسن أيضًا قال: لا يصح القول إلا بعمل، ولا يصح قول وعمل إلا بنية، ولا يصح قول وعمل ونية إلا بالسنة[٣].

وعنه أيضًا: الإيمان قول وعمل[٤].

وجاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كذلك أن الإيمان قول وعمل[٥].

ودرج على ذلك أصحابه، فقال مجاهد: الإيمان قول وعمل[٦].

وربما أكثر مجاهد من هذه المقولة بعد أن رحل إلى الكوفة، ورأى وعايش الإرجاء بها.

---

(١) سورة البقرة: آية (١٧٧).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣٥٦) ٢٥٥٦، وفتح القدير (١/ ١٧٤).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٧) ١٨.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٨٣٢) ١٥٤١، (٤/ ٨٤٥) ١٥٧٧، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر عن السدي بلفظ مختصر (٢/ ٧٠٤).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٦١) ١٧٤٧، وكتاب الشريعة للآجري (١٣٢)، ومسائل الإمام أحمد لأبي داود (١١٣).

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٥٢) ١٧٢٨.

فعنه قال: سألت ابن عباس عن رجل يصوم النهار، ويقوم الليل ولا يحضر جمعة ولا جماعة، قال: هو من أهل النار[١].

وعن سعيد بن جبير أنه قال: لا يقبل قول إلا بعمل، ولا يقبل عمل إلا بقول، ولا يقبل قول وعمل إلا بنية، ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة[٢].

وكذلك جاء عن السدي في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[٣]، قال: قال: أبي أن يقبل الإيمان إلا بالعمل الصالح، وأبى أن يقبل الإسلام إلا بالإحسان[٤].

ونجد كذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[٥] فسره الزهري بالعمل[٦].

وعن ابن مجاهد قال: كنت عند عطاء بن أبي رباح فجاء ابنه يعقوب فقال: يا أبتاه إن أصحابًا لنا يزعمون أن إيمانهم كإيمان جبريل، فقال: يا بني ليس إيمان من أطاع الله كإيمان من عصى الله[٧].

فهذه الآثار تترادف، وتتوارد لتثبت أن العمل داخل في مسمى الإيمان، وليس الإيمان هو التصديق فقط بالقلب، أو باللسان فقط، كما تقوله بعض الطوائف، والأدلة على ذلك كثيرة وليس هذا مجال سردها، وبيان خطأ المخالف، والله أعلم.

الإيمان يزيد وينقص:

تكلم الأئمة في زيادة الإيمان ونقصه؛ وذلك لأنهم أدخلوا العمل في الإيمان؛ لأن

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/ ١٤٥٦) ٢٨٠٨.
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٧) ٢٠، والميزان (١/ ٩٠).
(٣) سورة النساء: آية (١٢٤).
(٤) تفسير الطبري (٩/ ٢٤٨) ١٠٥٣٥.
(٥) سورة البقرة: آية (٣).
(٦) تفسير الطبري (١/ ٢٣٥) ٢٧٠.
(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٥٦) ١٧٣٤، والسنة لعبد الله بن أحمد (٨٨).

الأعمال تتفاوت، فيزيد الإيمان بزيادة العمل القلبي، وعمل الجوارح، وينقص بنقص واحد منهما، أو نقصهما معًا.

فجاء عن مجاهد: الإيمان يزيد وينقص[١].

وعن إبراهيم عن علقمة أنه كان يقول لأصحابه: امشوا بنا نزداد إيمانًا[٢].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[٣].

قال جمع من التابعين: إن المقصود زيادة اليقين، قال به سعيد بن جبير، وقتادة والربيع[٤].

وقال آخرون: لأزداد إيمانًا مع إيماني، قاله مجاهد، وإبراهيم، وابن جبير[٥].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٦]. قال سعيد بن جبير: لقد علمت أن أناسًا سيدخلون النار، وهم يستغفرون الله بألسنتهم ممن يدعي الإسلام، وسائر الملل[٧].

وأدى هذا المفهوم الدقيق الذي يربط العمل بالإيمان إلى أن نحا التابعون منحى واضحًا في مسألة الشهادة بالإيمان وما يتبعه من الاستثناء، فالأئمة متفقون على أنه إن أراد المستثنى الشك في أصل الإيمان، منع من الاستثناء، وإنما يجوز الاستثناء إذا أراد به

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٥٢) ١٧٢٨، والسنة لعبد الله بن أحمد (٨٣).
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٥٢) ١٧٣٠، وكتاب الإيمان لابن أبي شيبة (٤١).
(٣) سورة البقرة: آية (٢٦٠).
(٤) تفسير الطبري (٥/ ٤٩٢) ٥٩٧٦، ٥٩٧٧، ٥٩٧٩، ٥٩٨٠، ٥٩٨١، ٥٩٨٢، وزاد المسير (١/ ٣١٣).
(٥) تفسير الطبري (٥/ ٤٩٣) ٥٩٨٤، ٥٩٨٥، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٢٨٤).
(٦) سورة الأنفال: آية (٣٣).
(٧) أورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن أبي حاتم عن سعيد به (٤/ ٥٦).

شيئًا من الآتي:

١ ـ أنه مؤمن من المؤمنين الموصوفين بالصفات الكاملة في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[١].

وفي قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٢].

٢ ـ أنه يستثنى، لعدم علمه بالعاقبة، وعلى أي شيء يختم له به.

٣ ـ وكذلك من استثنى تعليقًا للأمر بمشيئة الله لا شكًا في إيمانه[٣].

من هذا المنطلق كانت أقوالهم في مسألة الاستثناء.

فمن ذلك ما رواه اللالكائي بسنده عن علقمة أن رجلاً قال عند عبد الله بن مسعود: أنا مؤمن، قال: قل: إني في الجنة، ولكنا نؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله[٤].

وعن طاوس أنه إذا قيل لك أمؤمن أنت؟ فقل: آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله[٥].

---

(١) سورة الأنفال: الآيات (٢ ـ ٤).
(٢) سورة الحجرات: آية (١٥).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٣٩٨).
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٧٦) ١٧٨٠، وكتاب الإيمان لابن أبي شيبة (٢١) ٢٢، والسنة لعبد الله بن أحمد (٧٨)، وكتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (٦٧) ١١.
(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٧٩) ١٧٨٨، وكتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (٦٨) ١٣.

وعن إبراهيم أنه إذا قيل لك أمؤمن أنت؟ فقل: آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله[١].

وعن ابن سيرين أنه إذا قيل لك أمؤمن أنت؟ فقل: آمنا بالله وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم، وإسماعيل وإسحاق[٢].

ثالثًا: الإرجاء وأثره على المدارس التفسيرية في عصر التابعين:

هذه المسألة متعلقة بمسألة الإيمان قبلها، وإنما أفردتها لوضوح المخالفات فيها، والأثر القوي الذي تأثر به تفسير التابعين من جرائها.

لقد اعتقد المرجئة أن الإيمان قول بلا عمل، وحاولوا الاستدلال على ذلك ببعض النصوص القرآنية التي قد يتوهم منها ذلك، وبالتالي كان لا بد للمفسرين أن يتعرضوا لهذا الزيغ الجديد الذي تطاول على تفسير كتاب الله تعالى بما لا يصح شرعًا.

بل نجدهم أيضًا يتعرضون للمرجئة بالتحذير والتنبيه على أخطائهم، وفيما يلي بيان بعض أقوالهم، وأترك الحديث عن أثر ذلك على التفسير فيما يأتي من هذا المبحث، وأكتفي هنا ببيان موقف التابعين من هذه البدع والأهواء:

إن الناظر في عصر التابعين، يجد أن الكوفة قد جمعت مقالات كثيرة من الفكر الإرجائي، واشتهر ذلك عنها وذاع، وعمت هذه الصورة عنهم البلاد حتى وصلت إلى الحجاز، وأهل الحجاز أثريون لا يحبون الدخيل من الأهواء، ولذا تصدوا لهذه الأفكار بقوة، يدلنا على ذلك المقابلة التي تمت بين أبي حنيفة وعطاء.

يقول أبو حنيفة: لقيت عطاء بمكة فسألته عن شيء، فقال: من أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: أنت من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا؟ قلت:

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٧٩) ١٧٨٧، وكتاب الشريعة للآجري (١٤١)، وكتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (٦٨) ١٢.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٨٠) ١٧٩٠، وكتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (٦٨) ١٤.

نعم، قال: فمن أي الأصناف أنت؟ قلت: ممن لا يسب السلف، ويؤمن بالقدر، ولا يكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، فقال عطاء: عرفت فالزم[١].

ومما ينبغي التفريق فيه في هذا المقام أن المرجئة قسمان:

الأول: وهم الذين يخرجون العمل عن مسمى الإيمان، ولا يجعلونه شرطًا في الإيمان، فيجعلون إيمان أفسق الناس وأعبد الناس سواء ويقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، وهذا باطل، وهؤلاء الذين ذمهم التابعون بقوة وحذروا منهم.

والثاني: وهم مرجئة أهل السنة وهم الذين يوجبون العمل ويجعلونه شرطاً للإيمان لا شطراً، وبعضه شرط صحة كالعمل بالتوحيد، وغيره شرط كمال، فهم وإن كانوا وافقوا المرجئة على أن العمل ليس من الإيمان، إلا أنهم خالفوهم في إيجابه، وتوقف صحة الإيمان أو كماله عليه، ولهذا يرى بعض أهل العلم أن الخلاف بين هذا القسم وبين أهل السنة خلاف لفظي؛ لأن مرجئة الفقهاء نظروا إلى حقيقة الإيمان لغة مع أدلة من كلام الشارع، وبقية الأئمة رحمهم الله نظروا إلى حقيقته في عرف الشارع، فإن الشارع ضم إلى التصديق أوصافًا وشرائط كما في الصلاة، والصوم، والحج، ونحو ذلك[٢].

وينسب لهذا القسم الإمام أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن، وسعيد ابن جبير، ومقاتل بن سليمان، وحماد بن أبي سليمان[٣].

وهؤلاء كوفيون، ومن تتبع طبقات ابن سعد في الجزء الذي أفرده للكوفيين يستطيع أن يلمس بوضوح مدى الانتشار الواسع لمذهب الإرجاء فيها[٤].

---

(١) الحلية (٣/ ٣١٤)، والبداية (٩/ ٣٤٥)، والعقد الثمين (٦/ ٩١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٣٧٩).

(٣) الملل والنحل للشهر ستاني (١/ ١٤١)، والسير (٥/ ٢٣٣)، وينظر تاريخ المذاهب الإسلامية (١/ ١٤٦).

(٤) الطبقات (٦/ ٢٧٤)، الملل والنحل (١/ ١٤١)، والسنة لعبد الله بن أحمد (١٣٠)، والإبانة =

وقد تضافرت أقوال أهل العلم في الرد على المرجئة، فجاء عن مجاهد أن الإرجاء أول سلم الزندقة إذ يقول: يبدأون فيكونون مرجئة، ثم يكونون قدرية، ثم يصيرون مجوسًا[١].

في حين يجعلهم سعيد يهود أهل القبلة فيقول: المرجئة يهود القبلة[٢].

ويقول قتادة: إنما حدث هذا الإرجاء لما وقعت فتنة ابن الأشعث[٣].

يشير إلى أن الإرجاء رد فعل فحسب على مذهب الخوارج.

ويقول قتادة: ليس من الأهواء شيء أخوف عندهم على هذه الأمة من الإرجاء[٤].

وقال أبو وائل: إن حائكًا من المرجئة بلغه قول عبد الله في الإيمان فقال: زلة من عالم[٥].

ولم يقف الأمر عند حد بيان خطأ المرجئة فحسب، بل تعدى ذلك إلى التحذير منهم ومن مجالستهم.

فعن أيوب قال: ما رأيت أحدًا أعبد من طلق بن حبيب، فرآني سعيد بن جبير معه فقال: لا تجالس طلقًا، وكان يرى الإرجاء[٦].

= (٢/ ١٩٠ـ ١٩١).

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٤٥) ١١٦٨، (٥/ ٩٨٨) ١٨٠٣.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٨٩) ١٨٠٩، والسنة لعبد الله بن أحمد (٨٦).
وهذا يؤكد تقسيم المرجئة السابق، وأن سعيدًا كان من مرجئة الفقهاء؛ لأنه يقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ١٠٠٢) ١٨٤١.

(٤) المرجع السابق (٥/ ٩٩٢) ١٨١٦، وكتاب الشريعة (١٤٤).

(٥) المرجع السابق (٥/ ٩٧٨) ١٧٨٣.

(٦) التاريخ الصغير (١/ ٢٢٦).

وعن سعيد بن جبير قال: مثل المرجئة مثل الصابئين[١].

وأكثر الأئمة تحذيراً من المرجئة هم الكوفيون: إبراهيم، وعامر، وابن جبير، فقد كانوا يشنعون على المرجئة، وكان النخعي لا يسمح للمرجئة بحضور مجلسه[٢].

وكان رحمه الله يقول: الإرجاء بدعة، ويقول أيضًا: إياكم وأهل هذا الرأي المحدث؛ يعني المرجئة[٣].

ويقول: لأنا على هذه الأمة من المرجئة أخوف عليهم من عدتهم من الأزارقة[٤]، ويقول: تركت المرجئة الدين أرق من ثوب سابري[٥].

ومن شدة إبراهيم النخعي على المرجئة أنه لما مرَّ بالسدي يفسر قال: إنه ليفسر تفسير القوم، قال شريك ـ راوي هذا الأثر ـ: وكان إبراهيم شديد القول في المرجئة[٦].

وأيًا كان الأمر فلقد كانت الكوفة من أكثر الأمصار قولاً بالإرجاء، وكان أئمة الكوفة من التابعين أكثر الأئمة ردًا على المرجئة، وهذا يؤكد ما سبق تقريره من أن الإمام القريب من مكان انتشار البدعة يكون قوله فيها أشد؛ لشعوره بخطورتها أكثر ممن كان بعيدًا عنها.

رابعًا: موقف التابعين من التكفير، وأثر ذلك في تفسيرهم:

والحديث هنا له تعلق بما قبله؛ لأن المنحرفين في الإيمان إما قوم قالوا: إن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان، ولا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، كما لا ينفع مع الكفر

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٩٠) ١٨١٣، والسنة لعبد الله بن أحمد (٧٤، ٨٥).
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٨٨) ١٨٠٥.
(٣) الطبقات لابن سعد (٦/ ٢٧٣ ـ ٢٧٥).
(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٧٤)، والحلية (٤/ ٢٢٣) والسير (٤/ ٥٢٣)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٨٨) ١٨٠٦.
(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٨٩) ١٨٠٧، والسنة لعبد الله بن أحمد (٧١).
(٦) العلل لأحمد (١/ ٢٠١) ٢٠٠، (١/ ٣٢١) ٥٦١، والجرح (٢/ ١٨٤)، وتاريخ أصبهان (٢٠٥)، والكامل (١/ ٢٧٤).

طاعة، وهؤلاء في طرف وهم المرجئة، وإما قوم غالوا في الطرف النقيض فكفَّروا بالعمل، وقالوا: يخرج الإنسان من الإيمان بترك العمل الصالح، أو بفعل الكبائر، ويدخل في الكفر كما قالت الخوارج، أو يبقى في منزلة بين المنزلتين لا هو مؤمن ولا كافر، كما قالت المعتزلة ومن وافقهم من الإباضية، مع اتفاق كل من الخوارج والمعتزلة والإباضية على أنه لا يدخل الجنة، بل يخلد في النار.

وقد اتخذ التابعون منهجًا واضح المعالم في بيان هذه القضية، فبينوا في تفسيرهم القول الحق الذي يرد على هؤلاء الخوارج والمعتزلة.

فقد ثبت عنهم القول بأن أهل التوحيد لا يخلدون في النار، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[1]، قال سعيد بن جبير: لما أمر بإخراج رجال من النار من أهل التوحيد قال من فيها من المشركين: تعالوا نقول لا إله إلا الله لعلنا نخرج مع هؤلاء قال: فحلفوا: والله ربنا ما كنا مشركين، قال: فقال الله: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[2].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾[3]. قال سعيد: في النار رجل في شعب من شعابها ينادي مقدار ألف عام: يا حنان يا منان، فيقول رب العزة لجبريل: أخرج عبدي من النار، فيجدها مطبقة، فيرجع فيقول: يا رب ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾، فيقول: يا جبريل فكها وأخرج عبدي من النار، فيفكها، ويخرج مثل الخيال، فيُطرح على ساحل الجنة حتى يُنبت الله له شعرًا ولحمًا ودمًا[4].

---

(١) سورة الأنعام: آية (٢٣).
(٢) زاد المسير (٣/ ١٧).
(٣) سورة الهمزة: آية (٨).
(٤) تفسير الطبري (٣٠/ ٢٩٥)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر، عن سعيد به (٨/ ٦٢٥).

ويستنبط الحسن من القرآن مغفرة الذنوب للمؤمن، وبأنه لو جازاه الله على ذنوبه لما أدخله الجنة. فعند قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[١]، قال: الكافر، ثم قرأ: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾[٢]، قال: يعني بذلك الكفار، لا يعني بذلك أهل الصلاة[٣].

وعنه قال: والله ما جازى الله عبدًا بالخير والشر إلا عذبه ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا﴾[٤]، قال: أما والله لقد كانت لهم ذنوب ولكنه غفرها لهم، ولم يجازهم بها، إن الله لا يجازي عبده المؤمن بذنب، إذا توبقه ذنوبه[٥].

ومن الأمثلة أيضًا التي تؤكد ابتعادهم في تفسيرهم عن بدعة الخوارج، ما جاء عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٦]، قال: كفر لا ينقل عن الملة[٧].

وبمثله جاء عن طاوس، وقال عطاء: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق[٨].

ولقد تأثر التابعون بالصحابة في مسألة الابتعاد عن أهل الأهواء والأقوال الغريبة، فها هو مجاهد يقول: قيل لابن عمر: إن نجدة يقول: كذا وكذا فجعل لا يسمع منه كراهية أن يقع منه شيء[٩]، وكان نجدة حروريًا.

---

(١) سورة النساء: آية (٢٣).
(٢) سورة سبأ: آية (١٧).
(٣) تفسير الطبري (٩/ ٢٣٨) ١٠٥١٣.
(٤) سورة النجم: آية (٣١).
(٥) تفسير الطبري (٩/ ٢٣٨) ١٠٥١٤.
(٦) سورة المائدة: آية (٤٤).
(٧) كتاب الإيمان لابن تيمية (٢٦٤).
(٨) تفسير عبد الرزاق (١/ ١٩١).
(٩) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٢٢) ١٩٩.

ولذا فإن مجاهداً كان يقول: لقاتل المؤمن توبة، مخالفًا بذلك رأي شيخه ابن عباس -رضي الله عنهما-، فعن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾[1]، قال: إن الرجل إذا عرف الإسلام وشرائع الإسلام، ثم قتل مؤمنًا متعمدًا، فجزاؤه جهنم، ولا توبة له، قال سعيد فذكرت ذلك لمجاهد فقال: إلا من ندم[2].

وجاء عن مجاهد أيضًا في تفسير قوله سبحانه ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[3]، قال: هي كالتي في النساء ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾، في جزائه[4].

ومن المعلوم أن الخلاف في توبة القاتل هل تقبل أو لا، ليس معناه أن أصحاب المعاصي المصرين عليها مخلدون في النار؛ لأن من يقول بأن توبة القاتل لا تقبل يجعل هذا خاصًا بهذا الذنب العظيم؛ لخصوص الدليل ولا يتعداه إلى غيره، فليس لأحد من أهل الباطل الاحتجاج به على خلود أصحاب المعاصي في النار، كما هو مذهب أهل الباطل من خوارج وإباضية ومعتزلة.

ومما يؤكد ذلك ما ورد عن أئمة السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾[5].

فقد فسرها ابن عباس وتبعه على ذلك أبو العالية، ومجاهد، وقتادة، وأبو وائل، والربيع، وعكرمة قالوا: إنها الشرك[6].

---

(١) سورة النساء: آية (٩٣).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٦٢) ١٠١٨٧.

(٣) سورة المائدة: آية (٣٢).

(٤) تفسير الطبري (١٠/ ٢٣٦) ١١٧٨٤، ١١٧٨٥، وفتح القدير (٢/ ٣٣).

(٥) سورة البقرة: آية (٨١).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٥١)، يراجع تفسير الطبري الآثار (١٤٢١-١٤٢٨)، وزاد المسير (١/ ١٠٨)، وفتح القدير (١/ ١٠٦).

وجاء عن السدي من رواية أسباط عنه: أما السيئة فهي الذنوب التي وعد عليها النار[١].

وهذا - إن صح - فقد يكون مراده الخطيئة، كما قال بذلك الحسن، فقد سأله رجل عن قوله: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾، فقال: ما ندري ما الخطيئة، فقال: يا بني اتل القرآن، فكل آية وعد الله عليها النار فهي الخطيئة[٢]، وبمثله جاء من مجاهد[٣].

فتبين أن الأئمة لم يجعلوا شيئًا من الذنوب يخلد صاحبه في النار إلا الشرك، والخلاف واقع في قاتل المؤمن كما سبق، ولكن مما ينبغي التنبيه عليه أن الأئمة من التابعين عندما كانوا يتحاشون قول الخوارج، لم يكونوا ليقعوا في الإرجاء، بل استمسكوا بالسنة. ولذلك لما صح عند سعيد بن جبير كفر تارك الصلاة أفتى بذلك، فقد روي عنه أنه قال: من ترك الصلاة متعمدًا فقد كفر[٤].

وعن الحسن قال: بلغني أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون: بين العبد وبين أن يشرك فيكفر أن يدع الصلاة من غير عذر.

قال اللالكائي: وبه قال من التابعين مجاهد وسعيد، وجابر بن زيد، وإبراهيم النخعي، والقاسم بن مخيمرة[٥].

ولما تكلم قتادة عن استحلال المحرم ضرورة أفتى بكفر فاعله، فقد جاء عنه أنه قال: إذا أكل لحم الخنزير عرضت عليه التوبة، فإن تاب وإلا قتل[٦].

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٥١).
(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٨٥) ١٤٣٥.
(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٨٥) ١٤٣٦، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى وكيع، وابن جرير، عن الحسن بلفظ متقارب (١/ ٢٠٩)، وفتح القدير (١/ ١٠٧).
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٨٢٩) ١٥٤٠.
(٥) المرجع السابق (٤/ ٨١٦) ١٥٠٣.
(٦) الدر المنثور (٣/ ٤) ط. الأولى.

فاشتراطه عرض التوبة يدل على قيام الحجة، فمن أصر بعد ذلك فقد استحق العقوبة، ولذا فإنه يقتل؛ لأنه لا يحل دم المسلم إلا بثلاث: قاتل النفس والزاني المحصن والمرتد كما جاء في الحديث[1].

بل كان يطلقون الكفر على بعض المكفرات العملية إذا ثبتت عندهم الآثار بإطلاق هذا اللفظ فيها.

وعلى سبيل المثال فقد كان عبد الله بن مسعود يزجر عن أخذ الرشا على الحكم، ويجعله من الكفر، فتأثر به مسروق، فعندما قيل له: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك إلا الأخذ على الحكم، قال: الأخذ على الحكم كفر[2].

بل كان بعضهم يكفر الحجاج، كما نقل ذلك عن طاوس قال: عجبت لإخواننا من أهل العراق يسمون الحجاج مؤمنًا!!

وليس المقصود هنا إقرارهم على ذلك أو خلافهم، فإن هذا بحث آخر، وإنما المقصود أنهم كانوا لا يقولون بقول الخوارج ولا يقولون بقول المرجئة، والله أعلم.

خامسًا: القدر:

حرص الأئمة على إثبات القدر وبيانه في تفسيرهم، متبعين في ذلك نهج الصحابة رضوان الله عليهم، ولقد علم الصحابة أن الله سبحانه قدر كل شيء خيرًا كان أو شرًا، فدفعهم هذا الإيمان بالقدر إلى المزيد من العمل، فخلف خلوف من المعتزلة أنكروا القدر السابق، فمنهم من قال: لم يقدر شيئًا، ومنهم من قال: لم يقدر المعصية

---

(١) الحديث رواه الشافعي في مسنده (٢/ ٩٦) ٣١٨، والطيالسي في مسنده (١٣) ٧٢ (٢١٦) ١٥٤٣، وأحمد في مسنده (١/ ٦١)، والنسائي في سننه (٧/ ١٠٣)، وابن ماجه في سننه (٢/ ٨٤٧) ٢٥٣٣.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٢٢) ١١٩٦.

بخصوصها، وقد اشتد نكير الأئمة من التابعين على هؤلاء المخالفين، وجاءت النقول عنهم في ذلك أكثر مما جاء عنهم في مسائل الإرجاء، وفي مسائل الرد على بدع الخوارج، والأزارقة.

ولقد اشتهرت البصرة بالخوض في مسائل القدر، ولذا نجد الإمام أحمد يقول: لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا أكثر أهل البصرة[١].

وعن حماد بن زيد عن ابن عون قال: أدركت الناس وما يتكلمون إلا في علي وعثمان حتى نشأ هاهنا حقير يقال له: سنسويه البقال، قال: فكان أول من تكلم في القدر[٢].

وسنسويه هذا من الذين ارتدوا عن الإسلام لدينه الأول النصرانية كما قال الأوزاعي: أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانيًا فأسلم ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني[٣].

وعن أيوب قال: أدركت الناس وماكلامهم إلا أن قضى وأن قدر[٤].

وهذا يؤكد انطلاق بدعة القدرية من البصرة، وأنها قبل ذلك لم تكن تعرف، لا في البصرة، ولا في غيرها.

ولاشتهار هذه المدرسة بذلك قال وهيب بن خالد أبو بكر: جلست إلى ابن طاوس فقال: ممن أنتم؟ قلنا: من أهل البصرة، قال: لعلكم من هذه القدرية؟ قال: قلنا: نحن أصحاب أيوب، قال رحم الله أيوب لم يكن بقدري. فقلت له: ما كان أبوك يقول في

---

(١) كتاب الإيمان لابن تيمية (٣٦٩).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٧٤٨) ١٣٩٦، والإبانة (٢/ ٤١٤).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٧٥٠)، وكتاب الشريعة (٢٤٢)، والإبانة (٢/ ٤١٤ - ٤١٥).

(٤) المرجع السابق (٤/ ٧٤٧) ١٣٨٩، ١٣٩٠.

القدرية؟ فقال: كان يقول هو أمر، من تكلم فيه سئل عنه، ومن لم يتكلم فيه لم يسأل عنه[١].

ولأجل هذا نقل عن أئمة هذه المدرسة ولا سيما قتادة والحسن الخوض في مسائل القضاء والقدر، والجبر والاختيار[٢].

وقد تصدت المدارس لهذه الأهواء والبدع، وأكثر الحجازيون ـ مدرستا المدينة ومكة ـ من تقرير عقيدة الصحابة في الإيمان بالقدر، والرد على المخالفين.

فأما المدرسة المدنية فقد اتبعت في ذلك شيخها ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ حيث كان يتبرأ علانية ممن لم يؤمن بالقدر، فقد قال الشعبي: سمعت ابن عمر يقول: أنا بريء ممن لم يؤمن بالقدر[٣].

بل كان يوصي أصحابه بإبلاغ القدرية هذا البراء، فعن مجاهد قال: قال ابن عمر: من رأى أحداً منهم فليقل إن ابن عمر منكم بريء[٤].

وعليه تفقه نافع مولاه فكان يُشنع بالقدرية، حتى لقد حدث عبد المجيد بن أبي رواد عن أبيه أنه كان عند نافع مولى ابن عمر، فجاء رجل يسأل عن شيء، فقال له: أنا أفتيك يا قدري[٥].

بل كان نافع يرى ضرب أعناق القدرية.

فعن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة قال: سمعت نافعًا مولى ابن عمر يقول

---

(١) العلل لأحمد (١/ ٥١٩) ١٢٢٠.
(٢) دراسات في القرآن والحديث (١١٩).
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٤٤) ١١٦٤، والإبانة (٢/ ٢٢٨).
(٤) المرجع السابق (٤/ ٦٤٤) ١١٦٣، وكتاب السنة لعبد الله بن أحمد (١٢٣).
(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٤٥) ١١٦٩.

لأمير كان على المدينة: أصلحك الله اضرب أعناقهم، يعني القدرية[١].

وهو في ذلك مقتدٍ بابن عمر الذي جاء عنه: لو برزت لي القدرية في صعيد واحد فلم يرجعوا لضربت أعناقهم[٢].

ونجد كذلك الزهري يحذر من القدرية فيقول: القدر رياض الزندقة فمن دخل فيه هملج[٣].

ويبين زيد بن أسلم مخالفة القدرية الصريحة فيقول: والله ما قالت القدرية كما قال الله عز وجل، ولا كما قال أهل الجنة، ولا كما قال أهل النار، ولا كما قال أخوهم إبليس.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٤].

وقالت الملائكة: ﴿لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾[٥].

وقال شعيب: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾[٦]

وقال أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[٧].

وقال أهل النار: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾[٨].

---

(١) المرجع السابق (٤/ ٧٠٨) ١٣١٢.
(٢) المرجع السابق (٤/ ٧٠٨) ١٣١١.
(٣) المرجع السابق (٤/ ٧٠٩) ١٣١٤، وهملج: أي أسرع، لسان العرب (٢/ ٣٩٣).
(٤) سورة التكوير: آية (٢٩).
(٥) سورة البقرة: آية (٣٢).
(٦) سورة الأعراف: آية (٨٩).
(٧) سورة الأعراف: آية (٤٣).
(٨) سورة المؤمنون: آية (١٠٦).

وقال أخوهم إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[١]، اهـ.

وعن محمد بن كعب القرظي قال: قاتل الله القدرية، لإبليس أعلم بالله منهم[٢].

ومراده أن إبليس أثبت القدر بقوله: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾، وإنما ضلَّ عندما دفع الأمر بالقدر، واحتج بالقدر على معصيته، فالقدر إنما يحتج به في المصائب لا في المعايب[٣].

وعن محمد بن كعب أيضًا قال: إنما يسمى (الجبار) لأنه يجبر الخلق على ما أراد[٤].

وقال القاسم لقوم يذكرون القدر: كفوا عما كفَّ الله عنه، وكان هو وسالم يلعنان القدرية[٥].

وكان سالم يلعن القدرية الذين يكذبون بالقدر حتى يؤمنوا بخيره وشره[٦].

وطاوس اليماني قد تأثر بمذهب المدنيين، ولذا كان يحذر من القدرية، فعن عمرو ابن دينار قال: قال لنا طاوس: احذروا معبدًا الجهني فإنه قدري[٧].

وسيأتي في موقفه مع قتادة أنه كان يفر منه لما بلغه عنه من القدر.

---

(١) سورة الحجر: آية (٣٩)، وينظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٥٦٣) ١٠١٢، وكتاب الشريعة (١٦٢، ١٦٣)، والإبانة (٢/ ٣١٢).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٤) ١٤٣٦٣.

(٣) شرح الطحاوية (١٥٥).

(٤) الأسماء والصفات (١/ ٦٧).

(٥) طبقات ابن سعد (٥/ ١٨٨)، والسير (٥/ ٩٥).

(٦) طبقات ابن سعد (٥/ ٢٠٠).

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٨٩) ١٢٧٣، كتاب الشريعة (٢٤١).

وأما وهب فقد جاء عنه: ما كتبت كتبًا ولا تكلمت في القدر[١].

ومع ذلك فقد جاء أنه اتهم به، ولكنه رجع عنه كما قال الإمام أحمد[٢].

وأخرج البيهقي بسنده عن أبي سنان أنه قال: سمعت وهب بن منبه يقول: كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعًا وسبعين كتابًا من كتب الأنبياء، في كلها: من جعل شيئًا من المشيئة إلى نفسه فقد كفر، فتركت قولي[٣].

ولم يختلف حال المدرسة المكية عن حال المدرسة المدنية في الابتعاد عن هذه الزلة، وتلكم الأهواء.

فها هو شيخها ابن عباس ينكر على المتكلمين في القدر، فعن وهب ابن منبه قال: صحبت ابن عباس قبل أن يصاب بصره، فسئل عن القدر، فقال: وجدت أصوب الناس فيه حديثًا أجهلهم به، وأضعفهم فيه حديثًا أعلمهم به، ووجدت الناظر فيه كالناظر في شعاع الشمس، كلما ازداد فيه نظرًا ازداد بصره فيه تحيرًا[٤].

وجاء عنه أيضًا: ما غلا أحد في القدر إلا خرج من الإسلام[٥].

وسمع ـ رضي الله عنه ـ رجلاً يقول: الشر ليس بقدر، فقال: بيننا وبين أهل القدر، ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾[٦]، حتى بلغ: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٧]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: العجز والكيس من القدر[٨].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٨٣) ١٢٥٨.
(٢) السير (٤/ ٥٤٨).
(٣) الأسماء والصفات (١/ ٢٨٣).
(٤) المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٣١٨) ١٠٦٠٧.
(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٣٢) ١١٣١.
(٦) سورة الأنعام: آية (١٤٨).
(٧) سورة الأنعام: آية (١٤٩).
(٨) الأسماء والصفات (١/ ٢٨٧)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن =

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُون﴾[١].

قال: علم من إبليس المعصية وخلقه لها[٢].

وقال سعيد بن جبير: القدرية يهود[٣].

ودرج على هذا المنهج أهل الكوفة أيضًا. فعن الشعبي قال: لا تجالسوا القدرية، فوالذي يحلف به إنهم لنصارى[٤].

وعن إبراهيم: بيني وبين القدرية هذه الآية ﴿إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾[٥].

أما المدرسة البصرية، فقد جاء عن بعضهم ما يحمد، وعن بعضهم ما ينكر، فمن الأول ما جاء عن عاصم الأحول أنه قال: لما خاض الناس في القدر، اجتمع رفيع أبو العالية، ومسلم بن يسار، فقال أحدهما لصاحبه: تعال حتى ننظر فيما خاض الناس فيه، قال: اجتمع رأيهما أنهما قالا: يكفيك من هذا الأمر أن تعلم أنه لن يصيبك إلا ما كتب الله لك، وأنك مجزي بعملك[٦].

ودخل رجلٌ على ابن سيرين، ففتح بابًا من أبواب القدر، فتكلم فيه: فقال له ابن سيرين: إمَّا أن تقوم، وإما أن أقوم[٧].

= حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه عن ابن عباس به (٣/ ٣٨٠)، وفتح القدير (٢/ ١٧٦).

(١) سورة البقرة: آية (٣٠).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٤٦) ٩٦٠، وزاد المسير (١/ ٦١)، وفتح القدير (١/ ٦٤).

(٣) المرجع السابق (٤/ ٦٨٧) ١٢٦٧.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٨٧) ١٢٦٨.

(٥) سورة الحجر: آية (٦٠)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، عن إبراهيم به (٥/ ٨٨).

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٦٨٧) ١٢٦٩ وهو مذهب أهل السنة في إثبات القدر والشرع.

(٧) مختصر تاريخ دمشق (٢٢/ ٢٢٧).

وعن عثمان البتّي قال: دخلتُ على ابن سيرين فقال: يا عثمان ما يقول الناس في القدر؟ فقلتُ: منهم من يثبته، ومنهم من يقول: ما قد بلغك، فقال: لم تردّ القدر عليّ؟ إنّهُ من يرد الله به خيراً بوفّقه لطاعته، ومحابّه من الأعمال، ومن يرد به غير ذلك يعذّبه غير ظالم[١].

وكان رحمه الله من شدته على القدرية أنه كان يكره أكل ذبائحهم[٢].

وأما الحسن البصري رحمه الله فقد تضاربت فيه الأقوال فنسبه بعضهم للقدرية، ونفاه آخرون، فعن يونس بن عبيد قال: ما استخف الحسن شيء ما استخفه القدر[٣].

وروى قتادة عن الحسن أنه قال: الخير بقدر، والشر ليس بقدر، قال أيوب السختياني: فناظرته في هذه الكلمة فقال: لا أعود[٤].

وقال بعضهم: إنه كان يقول بذلك فخوفه أيوب السختياني وحميد الطويل، خوفاه بالسلطان، فرجع عن قوله[٥].

والظاهر أن الحسن ـ رحمه الله ـ دخل في كلامه شيء من نفي القدر لا يعتقده، فقد أخرج ابن بطة عن حمزة بن دينار قال: عوتب الحسن في شيء من القدر، فقال: كانت موعظة فجعلوها دينًا[٦].

ولأجل ذلك قال ابن عون: لو علمنا أنّ كلمة الحسن تبلغ الذي بلغت لكتبنا برجوعه كتابًا، وأشهدنا عليه شهوداً، ولكن قلنا كلمة خرجت لا تحمل[٧].

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٩).
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٧٣٣) ١٣٦٠.
(٣) أخبار القضاة (٢/ ١٣)، والسير (٤/ ٥٨٠).
(٤) التهذيب (٢/ ٢٧٠).
(٥) طبقات ابن سعد (٧/ ١٦٧)، والسير (٤/ ٥٨٠).
(٦) الإبانة (٢/ ٢٦٧).
(٧) رواه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب لزوم السنة، يُنظر عون المعبود (١٢/ ٣٧٩) ٤٦٠٠.

ولذا لما تكلم أيوب مع الحسن في ذلك قال: قال لي الحسن: ماأنا بعائد إلى شيء منه أبداً[١].

قال صاحب عون المعبود: أي من الكلام الذي يوهم إلى نفي القدر[٢].

ولهذا نجد أيوب يقسم على ذلك فيقول: أدركت الحسن والله ما يقوله ـ يعني القدر[٣].

ويقول أيضًا: كذب على الحسن ضربان من الناس: قوم القدر رأيهم، وهم يريدون أن ينفقوا[٤] بذلك رأيهم، وقوم له في قلوبهم شنآن وبغض، وهو كما قال أيوب: يقولون: أليس من قوله كذا، أليس من قوله كذا؟[٥].

وعن ابن عون قال: كنت أسير بالشام فناداني رجل من خلفي فالتفت، فإذا رجاء ابن حيوة، فقال: يا أبا عون: ما هذا الذي يذكرون عن الحسن؟ قال: قلت: إنهم يكذبون على الحسن كثيراً[٦].

وعن ابن سيرين أنه قيل له في الحسن وما كان ينحل إليه أهل القدر، فقال: كانوا يأتون الشيخ بكلام مجمل لو فسروه له لساءهم[٧].

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب لزوم السنة، يُنظر العون (١٢/ ٣٧٩) ١، ٤٦، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٨١) ١٢٥٢، والإبانة (٢/ ٢٦٨).

(٢) عون المعبود (١٢/ ٣٧٩).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٣٣) ٢٤١.

(٤) عن سفيان بن عيينة قال: سئل عمر بن عبيد عن مسألة فأجاب فيها وقال: هو من رأيي الحسن، فقال له رجل: إنهم يروون عن الحسن خلاف هذا، فقال: إنما قلت لك (هذا من رأيي الحسن) يريد نفسه، ينظر كتاب الاعتصام (١/ ١٦٩).

(٥) رواه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب لزوم السنة، ينظر عون المعبود (١٢/ ٣٧٨) ٤٥٩٨.

(٦) المرجع السابق (١٢/ ٣٧٨) ٤٥٩٧.

(٧) المعرفة (٢/ ٤٧).

ولقد كان الحسن ـ رحمه الله ـ حريصًا على نفي التهمة عنه .

فعن تمام بن نجيح قال : سمعت الحسن وأتاه رجل ، فأخذ بعنان دابته فقال : أيها الضال المضل حتى متى تضل الناس ، قال : وماذاك؟ قال : تزعم أن من قتل مظلومًا فقد قتل في غير أجله . قال : فمن يأكل بقية رزقه يا لكع ، خل الدابة ، قتل في أجله ، قال : فقال الرجل : والله ما أحب أن لي بما سمعت منك اليوم ما طلعت عليه الشمس[١] .

ولذلك قال عثمان البتي : قرأت القرآن كله على الحسن ، وهو متوار في بيت أبي خليفة ، ففسره على الإثبات[٢] .

وكان قرة بن خالد يقول : يا فتيان لا تغلبوا على الحسن ، فإنه كان رأيه السنة والصواب[٣] .

وعن حميد الطويل قال : كان الحسن يقول : لأن يسقط من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يقول : الأمر بيدي[٤] .

وعن حميد أيضًا قال : قدم علينا الحسن مكة ، فكلمني فقهاء أهل مكة أن أكلمه في أن يجلس لهم يومًا يعظهم فيه ، فقال : نعم ، فاجتمعوا فخطبهم فما رأيت أخطب منه ، فقال رجل : يا أبا سعيد من خلق الشيطان؟ ، فقال : سبحان الله هل من خالق غير الله ، خلق الله الشيطان ، وخلق الخير ، وخلق الشر ، قال الرجل : قاتلهم الله كيف يكذبون على هذا الشيخ[٥] .

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٨١) ١٢٥٠ .

(٢) سنن أبي داود ، وكتاب السنة ، باب لزوم السنة ، ينظر عون المعبود (١٢/ ٣٧٩) ٤٦٠٢ ، والمعرفة (٢/ ٤٠) ، والسير (٤/ ٥٨١) ، وكتاب المتوارين عن الحجاج (٤٦) ، وتفسير الطبري (١٤/ ٩) .

(٣) رواه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب لزوم السنة ينظر عون المعبود (١٢/ ٣٧٩) ٤٥٩٩ .

(٤) المرجع السابق (١٢/ ٣٧٦) ٤٥٩٣ .

(٥) المرجع السابق (١٢/ ٣٧٦) ٤٥٩٤ .

فالحسن تفطن لسؤال الرجل مما يدل على علمه باشتهار ذلك عنه فبادر إلى نفيه .

ومما يدل على أن الإثبات آخر ما جاء عن الحسن ، ما رواه عاصم قال : سمعت الحسن يقول في مرضه الذي مات فيه : إن الله قدر أجلاً ، وقدر معه مرضًا ، وقدر معه معافاة ، فمن كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن ، ومن كذب بالقرآن فقد كذب بالحق[١] ، وفي رواية عنه : من كذب بالقدر فقد كفر[٢] .

ولذا كان يقول ابن سيرين لما قيل له في الحسن وما كان ينحل إليه أهل القدر؟

قال : كانوا يأتون الشيخ بكلام مجمل لو فسروه له لساءهم[٣] .

يقول أبو سعيد بن الأعرابي : كان يجلس إلى الحسن طائفة من هؤلاء ، فيتكلم في الخصوص ، حتى نسبته القدرية إلى الجبر ، وتكلم في الاكتساب حتى نسبته السنة إلى القدر ، كل ذلك لافتنانه ، وتفاوت الناس عنده ، وتفاوتهم في الأخذ عنه ؛ وهو بريء من القدر ومن كل بدعة[٤] .

قال الذهبي معلقًا على هذا : وقد مرّ إثبات الحسن للأقدار من غير وجه عنه ، سوى حكاية أيوب عنه ، فلعلها هفوة منه ورجع عنها . ولله الحمد . اهـ[٥] .

أما شيخ البصرة الثاني ، وهو قتادة ، فقد كان أدخل في نفي القدر من غيره .

فقد جاء عنه أنه قال : كل شيء بقدر إلا المعاصي[٦] .

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٨٢) ١٢٥٤ ، والإبانة (٢/ ٢٧٦ـ ٢٧٧).
(٢) الزهد لأحمد (٢٨٥)، والمعرفة (٢/ ٤٤).
(٣) المعرفة (٢/ ٤٧)، والسير (٤/ ٥٨٢).
(٤) السير (٤/ ٥٨٢).
(٥) المرجع السابق (٤/ ٥٨٣).
(٦) التذكرة (١/ ٢٢٤)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٩٩) ١٢٩٦ .

فهذا هو المنقول عنه في نفي القدر، قال ابن سعد: كان يقول بشيء من القدر[١]، وكذا قال الذهبي[٢].

بل أشد ما وجدته عنه هو ما رواه الفسوي بسنده عن عبد الله بن شوذب قال: ما كان قتادة يرضى حتى يصيح به صياحًا (يعني القدر)[٣].

فهذا المنقول عنه، إلا أنه ذكر يحيى بن معين أن مشايخ من البصريين كانوا يرمون بالقدر إلا أنهم لا يدعون إليه، ولا يأتون في حديثهم بشيء منكر، منهم قتادة، وهشام الدستوائي[٤].

ولقد كان طاوس يقول: أدركت ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر، ولأجل هذا هجر قتادة لما بلغه أنه يقول بالقدر، فكان يفر منه[٥].

وقد وقفت على بعض الآثار تخالف ما تقدم من رمي قتادة بالقدر، منها أنه حدث عن سعيد بن المسيب فقال: سألت سعيد بن المسيب عن القدر، فقال: ما قدر فقد قدر، وما لم يقدر فلم يقدر[٦]، فهذا كالإقرار له، وإلا لتعقبه.

وجاء عنه أيضًا أنه قال: ما زالت العرب تثبت القدر في الجاهلية[٧].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾[٨]، قال: فسقوا

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٩).

(٢) التذكرة (٢٢٤)، وهدي الساري (٤٣٦)، والميزان (٣/ ٣٨٥)، وفيات الأعيان (٤/ ٨٥) وتاريخ الثقات للعجلي (٣٨٩).

(٣) المعرفة (٢/ ٢٨٠، ٢٨١).

(٤) رسالة صغيرة ليحيى بن معين، مخطوطة بالجامعة الإسلامية رقم عام ١٣٤ خاص ٢١٥.

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٣٧) ١١٤٣، (٤/ ٦٦١) ١٢٠٠.

(٦) المصدر السابق (٤/ ٦٩٩) ١٢٩٥، ورواه عبد الرزاق عن معمر عنه في المصنف (١١/ ١٢٦) ٢٠١٠١.

(٧) كتاب خلق أفعال العباد (٩٩) ٣١٣، وتأويل مشكل القرآن (١٢٧).

(٨) سورة البقرة: آية (٢٦).

فأضلهم الله على فسقهم[١] .

ولما تعرض قتادة لتفسير اسم (الجبار)، قال: جبر خلقه على ما يشاء[٢] .

وعن الحكم بن عمر قال: أرسلني خالد بن عبد الله إلى قتادة وهو بالجيزة؛ أسأله عن مسائل فكان فيما سألت قلت: أخبرني عن قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[٣] هم مشركو العرب؟، قال: لا، ولكنهم الزنادقة المباينة الذين جعلوا لله شركاء في خلقه، فقالوا: إن الله يخلق الخير، وإن الشيطان يخلق الشر، وليس لله على الشيطان قدرة[٤] .

وهذا الأثر يخالف ما تقدم من قوله إن الأشياء كلها بقدر إلا المعاصي.

وقد يكون هذا آخر أمره، فإنه كان بين الأئمة الذين كانوا يثبتون القدر، ولربما اتفق معهم، غفر الله له ورحمه[٥] .

سادسًا: التشيع:

لم ينتشر التشيع في عهد التابعين في مصر، كما انتشر في الكوفة[٦]، ولذلك

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٧) ٢٨٦، وفتح القدير (١/ ٥٩).

(٢) تفسير الطبري (٢٨/ ٥٥)، وتفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٨٥)، وزاد المسير (٨/ ٢٢٧).

(٣) سورة الحج: آية (١٧).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٩٩) ١٢٩٧.

(٥) قال الإمام الذهبي في ترجمة قتادة: وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع، فإنه مُدلس معروف بذلك، وكان يرى القدر، نسأل الله العفو. ومع هذا فما توقف أحد في صدقه، وعدالته، وحفظه، ولعلَّ الله يعْذُرُ أمثاله ممن تلبس ببدعة يُريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل، ثم إنَّ الكبير من أئمة العلم إذا كَثُرَ صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له زلله، ولا نضلله ونطرحه، وننسى محاسنه. نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك، ينظر السير (٥/ ٢٧١).

(٦) المعرفة (٣/ ١٣٤).

أسبابه المعروفة التي منها وجود أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بها، واتخاذه لها عاصمة لخلافته، يضاف إلى ذلك كثرة السبئية فيها والذين كانوا يغالون في علي - رضي الله عنه - ، ثم بعد ذلك فتنة المختار بن عبيد الثقفي الذي أظهر التشيع.

وقد تأثر بعض التابعين بهذا الوسط المحيط، لكن لم يتعد هذا التأثير إلا في تفضيل عليّ على عثمان وتقديمه وحبه، فلم يكن منهم رافضي أو سبئي، بل ظهر منهم النكير أيضًا على التشيع والشيعة.

كما مال بعضهم إلى التشيع أول أمره ثم رجع عنه، وصار حربًا على الشيعة والرافضة كالشعبي.

وفي الجملة، لقد كان تشيع الأوائل من أهل الكوفة يدور حول المناصرة لعليّ دون غلو فيه، أو تنقيص لغيره.

قال الإمام أحمد: أهل الكوفة يفضلون عليًا على عثمان إلا رجلين: طلحة بن مصرف، وعبد الله بن إدريس[١].

ولم يكن التشيع محصورًا في الكوفة، فلقد وجد في غيرهم شيعة، فطاوس كان يتشيع[٢] وهو يمني، ولعل عبد الرزاق تأثر به في ذلك.

والغالب أن تشيعه يسير لا يضر، فإنه قد ورد عنه أنه قال: حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة[٣].

إلا أنه لما كثر التشيع في الكوفة انتشر عنهم حتى صار علمًا على الكوفيين[٤].

---

(١) العلل لأحمد (٢/ ٥٣٥) ٣٥٣٢.

(٢) السير (٥/ ٤٣) وقال الذهبي: إن كان فيه تشيع فهو يسير لا يضر إن شاء الله، يُنظر السير (٥/ ٤٥).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/ ١٢٣٩) ٢٣٢٣.

(٤) وقد قمت بمراجعة تقريب التهذيب؛ فوجدت أن الكوفة من أكثر المدن التي وجد بها من نسب=

فعن مالك بن مغول عن أبي الوليد عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: سألني: ممن أنت؟ قال: فقلت: من أهل الكوفة، فقال: بئس القوم بين سبئي وحروري[١].

وكان نتيجة لهذا الأمر أن تشدد المحدثون من أهل الكوفة في الرواية؛ وذلك لكثرة الكذب من الرافضة عندهم، ولا سيما على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، ولذا عدت مراسيل الكوفة أقوى من مراسيل غيرها كالبصرة أو مكة[٢].

وقد كان بعض الأئمة من الكوفة يقدمون عليًا على عثمان كما وقع ذلك من إبراهيم النخعي[٣]، وهما قولان لأهل السنة، لكن الصحيح منهما والذي استقر عليه قولهم تقديم عثمان[٤]؛ لما كان من أهل الشورى الستة، قال أيوب: من قدم عليًا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار[٥].

جاء عن إبراهيم قوله: عليّ أحب إليّ من عثمان، ولأن أخر من السماء أحب إليّ من أتناول عثمان بسوء[٦].

وهذا التشيع اليسير مع حبه لعثمان لايؤثر في عقيدة الرجل كما هو معروف[٧].

ونحو ذلك ما نقل عن زر بن حبيش، فلقد كان زر يحب عليًا ويقدمه[٨].

= إلى التشيع حيث بلغوا (٨١) راويًا، في حين كان عددهم في البصرة أربعة رواة فقط، وفي المدينة ثلاثة، وغيرها من الأمصار أقل منهم في ذلك.

(١) المعرفة (٢/ ٧٥٨).

(٢) العلل لأحمد (٣/ ٣٨٠) ٥٦٧٣.

(٣) ينظر موسوعة إبراهيم النخعي (٤٦، ٤٧، ٤٩).

(٤) العقيدة الواسطية (١٠٨).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٥٤٨).

(٦) الحلية (٤/ ٢٢٤).

(٧) العلل لأحمد (٥٢٢٦ ـ ٢١٣٢).

(٨) المعرفة (٣/ ١٣٤).

أما الشعبي فكان شيعيًا، فرأى منهم أمورًا، وسمع كلامهم وإفراطهم فترك رأيهم وكان يعيبهم[١] . وكان الشعبي يحدد موقف المسلم من الشيخين بقوله: حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة[٢] . وساعد الشعبي على معرفة السنة وصحيح الاعتقاد أنه أدرك عددًا كثيرًا من الصحابة والأئمة وسألهم وسمع منهم.

فلقد قال: أدركت خمسمائة كلهم يقولون: أبو بكر، عمر، عثمان، علي[٣] .

ويقول أيضًا: أدركت خمسمائة من الصحابة كلهم يقولون: علي والزبير وطلحة في الجنة[٤] .

ويبين الشعبي كذب الشيعة على عليّ بقوله: ما كذب على هذه الأمة ما كذب على عليّ[٥] .

ويعيب الشيعة بقوله: لو كانت الشيعة من الطير كانوا رَخَمًا، ولو كانوا من الدواب كانوا حميرًا[٦] .

وقال وهو يقسم الأمة في مسألة التشيع: أصبحت الأمة على أربعة فرق: محبٌ لعلي مبغضٌ لعثمان، ومحبٌ لعثمان مبغضٌ لعلي، ومُحبٌ لهما، ومبغضٌ لهما. قيل له: من أيهما أنت؟ قال: مبغضٌ لباغضهما[٧] .

ويبين الشعبي المنهج الصحيح الواضح في مسائل الخلاف ويوضح سبيل الخروج

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤٨).
(٢) السير (٤/ ٣١٠).
(٣) السير (٤/ ٣٠١)، وأخبار القضاة (٢/ ٤٢٦).
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ١٤٠٩) ٢٧١٣، تاريخ دمشق (٨/ ٦٩٠).
(٥) السير (٤/ ٣٠٧).
(٦) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤٨)، وتاريخ دمشق (٨/ ٧٠٣).
(٧) السير (٤/ ٣٠٨)، والتذكرة (١/ ٨٢)، والحلية (٤/ ٣٢١).

من الأهواء فيقول:

أحب أهل بيت نبيك ولا تكن رافضيًا، واعلم أن ما أصابك من حسنة فمن الله، ولا تكن قدريًا، وأطع الإمام وإن كان عبدًا حبشيًا[١].

وقال أيضًا: أحب صالح المؤمنين، وصالح بني هاشم، ولا تكن شيعيًا، وارج ما لم تعلم ولا تكن مرجئًا، واعلم أن الحسنة من الله، والسيئة من نفسك ولا تكن قدريًا، وأحبب من رأيته يعمل بالخير، وإن كان أخرم سندريًا[٢].

أما السدي، فهو أكثر من رمي بالتشيع من مفسري التابعين في الكوفة[٣]، وقد بالغ الجوزجاني[٤] وقال عنه: كذاب شتام[٥].

وقال أيضًا: كان بالكوفة كذابان، فمات أحدهما: السدي والكلبي[٦]، وقال حسين بن واقد المروزي: سمعتُ من السدي فما قمتُ حتى سمعته يشتم أبا بكر وعمر، فلم أعد إليه[٧].

قال الذهبي معلقًا على ما قاله حسين: وهو السدي الكبير، فأما الصغير فهو محمد بن مروان، يروي عن الأعمش واهٍ بمرة[٨].

---

(١) تاريخ دمشق (٨/ ٧٠٢).
(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤٨).
(٣) الخلاصة (٣٥)، والميزان (١/ ٢٣٧)، والتقريب (١٠٨)، وتهذيب الكمال (٣/ ١٣٥)، والتهذيب (١/ ٣١٤).
(٤) قال ابن حجر: تعصب الجوزجاني على أصحاب علي معروف، يُنظر تهذيب التهذيب (٥/ ٤٦).
(٥) كتاب أحوال الرجال للجوزجاني (٤٨)، وتهذيب الكمال (٣/ ١٣٥).
(٦) الميزان (١/ ٢٣٧).
(٧) المرجع السابق (١/ ٢٣٧).
(٨) المرجع السابق (١/ ٢٣٧).

ومع ذا فقد أثنى عليه بعض الأئمة، فعن ابن المدني قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما رأيت أحداً يذكر السدي إلا بخير، ما تركه أحد[١]، ووثقه الإمام أحمد[٢].

والناظر في تفسيره يجد بعضًا من التأثر بالمذهب الشيعي في تفسيره، فنجده عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ﴾[٣]، قال السدي: لما قتل الحسين بن عليّ رضوان الله عليهما بكت السماء عليه وبكاؤها حمرتها[٤].

وكان يرجح القول بجواز نكاح المتعة، فعند تفسيره لقوله سبحانه: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾[٥]، قال: فهذه المتعة: الرجل ينكح المرأة بشرط إلى أجل مسمى، ويشهد شاهدين، وينكح بإذن وليها، وإذا انقضت المدة فليس له عليها سبيل، وهي منه بريَّة، وعليها أن تستبرئ ما في رحمها، وليس بينهما ميراث، ليس يرث واحد منهما صاحبه[٦].

ومما يؤكد هذا ما نجده من اهتمام الشيعة بتقديمه وإيراد العديد من أقواله في كتب تفسيرهم[٧] وتوثيقه[٨].

وأما سائر التابعين فقد كانوا معظمين لقدر الصحابة مقدمين للشيخين ثم عثمان، رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) المرجع السابق (١/ ٢٣٦).
(٢) تهذيب الكمال (٣/ ١٣٤)، والجرح (٢/ ١٨٤).
(٣) سورة الدخان: آية (٢٩).
(٤) تفسير الطبري (٢٥/ ١٢٤).
(٥) سورة النساء: آيه (٢٤)، وهي قراءة شاذة.
(٦) تفسير الطبري (٨/ ١٧٦) ٩٠٣٣، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، عن السدي به (٢/ ٤٨٤).
(٧) سيأتي مزيد بسط لهذه المسألة في أثرهم في كتب التفسير عند الشيعة.
(٨) ينظر روضات الجنات (٢/ ٩)، وأعيان الشيعة (١٢/ ٧)، ومعجم الرجال للخوئي (٣/ ١٤٨).

فها هو إمام أهل المدينة سعيد بن المسيب يقول: الخلفاء الراشدون المهديون: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي[١].

وقال الحسن: حب أبي بكر وعمر فريضة[٢].

وقال قتادة: ما سب أحد عثمان إلا افتقر[٣].

ولما سئل سعد بن جبير عن الحكمين، لم يرسل لسانه عليهما، إنما قال ـ رحمه الله ـ: لم أولد إذ ذاك[٤].

سابعًا: الفرق وأثرها في تفسير التابعين:

ليس هذا المطلب تكراراً لما سبق ذكره، وإنما أردت هنا أن أبين مدى تلبس بعض الأئمة بشيء من مقالة بعض المذاهب التي كانت منتشرة آنذاك، وأثره في عدم قبول المروي عنهم، أو قلته.

لقد سبق أن بينت أن الفرق التي اشتد عليها نكير الأئمة كثيراً هي الخوارج في الدرجة الأولى، ثم القدرية، ثم الشيعة.

أما مخالفة مفسري التابعين في باب الأسماء والصفات فلم تكن منتشرة آنذاك مثلما ظهرت بعدهم، وأما الإرجاء فهو مرتبط بالقدر؛ لأنه نوع انحراف فيه، ويؤكد ذلك قول مجاهد في أهل الأهواء: يبدؤون فيكم مرجئة، ثم يكونون قدرية، ثم يصيرون مجوساً[٥].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/ ١٣٨٩) ٢٦٦١.
(٢) المرجع السابق (٧/ ١٢٣٩) ٢٣٢١.
(٣) المرجع السابق (٧/ ١٢٦٨) ٢٣٩٧.
(٤) تفسير الطبري (٨/ ٣٢٦) ٩٤٢٠.
(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٨٨) ١٨٠٣.

وقد ظهر لي أن أكثر الفرق التي دار الحديث عنها في تفسير التابعين هم الخوارج، وخاصة الحرورية، ثم الصفرية والإباضية، ثم القدرية والمرجئة، ثم الشيعة.

فأما الخوارج:

فقد بلغ الأمر بالتابعين إلى أنهم لم يحملوا عنهم العلم والتفسير؛ لانحرافهم في هذا الباب، مع أن حديثهم من أصدق الأحاديث، وأضبطها؛ لأنهم كانوا يرون الكذب كفرًا فتركوه، ولذا نجد الأئمة من الشاميين يقول أحدهم: متى كان علماء الشام يحملون العلم عن خوارج أهل العراق[١].

ولقد تأثر كما أسلفنا عكرمة ببعض مقولة الخوارج، وكان يحدث برأي نجدة الحروري، فقد أتاه وأقام عنده ستة أشهر[٢].

يقول يحيى بن بُكير: قدم عكرمة مصر ونزل بها، وخرج إلى المغرب، فالخوارج الذين بالمغرب عنه أخذوا[٣]، وبسبب تلبسه ببعض هذا الرأي لم يكتب عنه أهل مصر[٤]، ولم يرض عنه أهل المدينة عندما استقر عندهم، بل لما توفي بها لم يصل عليه إلا القليل من أهلها[٥].

وانتقل أثر هذا إلى التفسير، فصار المفسرون كلما مروا بآية ذم في أقوام زاغوا عن الحق حملوها على فرقة من تلك الفرق الضالة فقالوا: إنهم الخوارج، أو الشيعة، أو

(١) المعرفة (٢/ ٧٥٧).
(٢) السير (٥/ ٢٠)، وهدي الساري (٤٢٦).
(٣) السير (٥/ ٢١)، والمعرفة (٢/ ٧)، والتهذيب (٧/ ٢٣٧).
(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ١٦)، والتذكرة (١/ ٨٤).
(٥) سبق تفصيل ذلك في ترجمته.
وبعد مراجعتي لكتاب اللالكائي وجدته لم يعن بالنقل عن عكرمة، كما نقل عن غيره من التابعين، ولعله لم يرتض إدخال قوله لما رمي به من رأي الخوارج.

غيرهم، فمن ذلك أن قتادة كان إذا قرأ هذه الآية : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾[1] ، قال : إن لم يكونوا الحرورية والسبائية، فلا أدري من هم! ولعمري لقد كان في أهل بدر والحديبية الذي شهدوا مع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار خبرٌ لمن استخبر، وعبرةٌ لمن استعبر، لمن كان يعقل أو يبصر.

إن الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ كثيرٌ بالمدينة، والشام، والعراق، وأزواجه يومئذ أحياء. والله إن خرج منهم ذكرٌ ولا أنثى حروريًا قط، ولا رضوا الذي هم عليه، ولا ما لؤوهم فيه، بل كانوايحدّثون بعيب رسول الله ﷺ إياهم، ونعته الذي نعتهم به، وكانوا يبغضونهم بقلوبهم، ويعادونهم بألسنتهم، وتشتد والله عليهم أيديهم إذا لقوهم. ولعمري لو كان أمر الخوارج هُدى لاجتمع، ولكنه كان ضلالاً فتفرّق. وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافًا كثيرًا. فقد ألاصوا هذا الأمرمنذ زمان طويل[2].

فهل أفلحوا فيه يومًا أو أنجحوا؟ يا سبحان الله ! كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأولهم؟ لو كانوا على هدى، قد أظهره الله وأفلجه ونصره. ولكنهم كانوا على باطل أكذبه الله وأدحضه. فهم ـ كما رأيتهم ـ كلما خرج لهم قرنٌ أدحض الله حجتهم، وأكذب أحدوثتهم، وأهراق دماءهم. إن كتموا كان قرحًا في قلوبهم، وغمًا عليهم. وإن أظهروه أهراق الله دماءهم . ذاكم والله دين سوء فاجتنبوه. والله إنّ اليهودية لبدعة، وإن النصرانية لبدعة، وإن الحرورية لبدعة، وإن السبائية لبدعة، ما نزل بهن كتابٌ، ولا سنَّهن نبي[3] .

وقتادة متأثر في ذلك بالصحابة، فهذا سعد بن أبي وقاص يفسر قوله تعالى :

---

(١) سورة آل عمران : آية (٧).

(٢) ألاص فلانًا على هذا الأمر : أداره على الشيء الذي يريده.

(٣) تفسير الطبري (٦/ ١٨٧) ٦٦٠٣.

﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً ﴾، إن المراد بهم الخوارج[١] ، ويتأول قوله عز وجل: ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ أنهم الحرورية، فعن مصعب بن سعد قال: سألت أبي فقلت: عن قوله: ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ فقال: هم الحرورية[٢] .

ولذا نجد قتادة عند قوله سبحانه: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[٣] ، قال: منّ الله عليهم من غير دعوة ولا رغبة من هذه الأمة، جعله الله رحمة لهم؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط مستقيم، قوله: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾، الحكمة السنة، ﴿ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[٤] ، ليس والله كما يقول أهل حروراء: محنة غالبة، من أخطأها أهريق دمه ولكن الله بعث نبيه ﷺ إلى قوم لا يعلّمون فعلمهم، وإلى قوم لا أدب لهم فأدبهم[٥] .

فهذه الآيات وأشباهها تدل على وصف أقوام معينين، فلما رأى الأئمة صدق هذا الوصف على بعض الناس حكموا به عليهم، وليس معناه أن الآية تصدق على هؤلاء ولا تصدق على غيرهم ممن اتصف بهذا الوصف.

وقد يكون التأثير من وجه آخر، وهو أن الأفكار التي كان يعتقدها الخوارج كانوا يستدلون عليها ببعض آيات الكتاب، وبالتالي نجد المفسرين يفصلون فيها ويذكرون الاحترازات، وينبهون على الخطأ في الفهم الذي يتداوله هؤلاء أو أولئك.

ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٦) ٢٨٢، وفتح القدير (١/ ٥٩).
(٢) المرجع السابق (١/ ٩٧) ٢٨٨، ٢٩٣.
(٣) سورة آل عمران: آية (١٦٤).
(٤) سورة آل عمران: آية (١٦٤).
(٥) تفسير الطبري (٧/ ٣٧٠) ٨١٧٧، وأورده السيوطي، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة بلفظ مختصر (٢/ ٣٦٧).

﴿وَشَهِيقٌ﴾[١] . قال قتادة: حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج قوم من النار»، ثم قال: ولا نقول مثل ما يقول أهل حروراء»[٢] .

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾[٣] وكان الخوارج يستدلون بها على قتال من خالفهم من أهل القبلة، قال قتادة في تفسيرها: أبو سفيان بن حرب، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة. . . وليس والله كما تأول أهل الشبهات والبدع والفرى على الله وكتابه[٤] .

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٥] .

قال مجاهد: كفر لا ينقل عن الملة[٦] .

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[٧]، فقد جاء عن السدي قول شبيه بقول الخوارج؛ إذ قال فيها: من يجتنب الكبائر من المسلمين[٨] . وإن كان ليس صريحًا في ذلك، ولكن مما يؤيده ما جاء عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[٩]، قال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ من وجد ما يحج به ثم لم يحج فهو كافر[١٠] .

---

(١) سورة هود: آية (١٠٦، ١٠٧).
(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٨٤٢) ١٨٥٧٥، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٣٨٣)، وفتح القدير (٢/ ٥٢٦).
(٣) سورة التوبة: آية (١٢).
(٤) تفسير الطبري (١٤/ ١٥٥) ١٦٥٢٦، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٦٨).
(٥) سورة المائدة: آية (٤٤).
(٦) الإيمان لابن تيمية (٢٦٤).
(٧) سورة النساء: آية (٤٨).
(٨) تفسير الطبري (٩/ ٢٠٦) ١٠٤٢٩.
(٩) سورة آل عمران: آية (٩٧).
(١٠) تفسير الطبري (٧/ ٥١) ٧٥٢١.

وقد يكون مراده الكفر الذي لا ينقل عن الملة، فيكون قد خرج مخرج الزجر، إلا أننا نجد مجاهداً عندما تعرض لهذه الآية قال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: من كفر بالله واليوم الآخر.

وفي رواية: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ من كفر بالحج فلم ير حجه برّاً، ولا تركه مأثماً[١].

وأما القدرية:

فلقد كان تأثيرهم كبيراً في اتجاه بعض التابعين في تفسير الآيات، وإن كان تأثر الروايات بهم أقل من غيره؛ لأن الأئمة احتملوا في الجملة الرواية عن القدرية.

قال أحمد: لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا أكثر أهل البصرة[٢].

وقال الجوزجاني: وكان قوم يتكلمون في القدر منهم، احتمل الناس حديثهم لما عرفوا من اجتهادهم في الدين، وصدق ألسنتهم وأمانتهم[٣].

ولقد كان معاذ بن معاذ قاضيًا على البصرة، فأبى أن يجيز شهادة القدرية، قال عبد الله بن أحمد: فكلمه أبي، وخالد بن الحارث، وقالا له: لقد عرفت أهل هذا المصر، فكأنه تساهل بعد[٤].

وهذا يدل على قلة تأثر الرواية بمذاهب القدرية، ولكن حصل التأثير في التفسير، إما بتنزيل بعض الآيات عليهم، أو بتفسير آيات أخرى مع الاحتراز عن أقوالهم.

فمن النوع الأول:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾[٥]، قال مجاهد:

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٤٨)، وسنن البيهقي (٤/ ٣٢٤).
(٢) الإيمان لابن تيمية (٣٦٩).
(٣) أحوال الرجال للجوزجاني، وذكر منهم قتادة (١٨١).
(٤) العلل لأحمد (٢/ ٣٦٠) ٢٥٩٥.
(٥) سورة القمر: آية (٤٨).

هم المكذبون بالقدر[١] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾[٢] ،

قال ابن سيرين : إن لم يكن أهل القدر من الذين يخوضون في آيات الله فلا أدري من هم[٣] .

ومن النوع الثاني :

ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[٤] .

قال الحسن : خلق هؤلاء لجنته وهؤلاء للنار ، وخلق هؤلاء لرحمته وهؤلاء لعذابه[٥] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[٦] .

قال طاوس : وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا قدرتها[٧] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾[٨] .

---

(١) الحلية (٣/ ٢٩٩)، وزاد المسير (٨/ ١٠١).

(٢) سورة الأنعام : آية (٦٨).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٣٠) ١١٢٥ ، والسنة لعبد الله بن أحمد (١٢٩ ـ ١٣٠).

(٤) سورة هود : الآيتان (١١٨ ، ١١٩).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٤٩) ٩٦٧ ، والآجري في الشريعة (١٦٠)، وتفسير الطبري (١٢/ ١٤١)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٣٨٩).

(٦) سورة النساء : آية (٧٩).

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٥٤) ٩٧٩ ، وجاء عن مجاهد مثله ، ينظر معاني القرآن للنحاس (٢/ ١٣٦).

(٨) سورة الرعد : آية (٣٩).

قال سعيد بن جبير: يثبت في البطن الشقاء، والسعادة، وكل شيء[١].

وقال مجاهد: يمحو الله ما يشاء إلا الحياة، والموت، والشقاء، والسعادة، فإنهما لا يتغيران[٢].

وهذا الحسن البصري وقد قال ببعض مقالة القدرية، ولكنه رجع عنها، نجد الأئمة ينقلون الكثير من أقواله المثبتة للقدر، ويردون بها على من زعم أنه قدري، فمن ذلك ما جاء عن خالد الحذاء: أن رجلاً من أهل الكوفة كان يقدم البصرة، فكالا يأتي الحسن من أجل القدر، فلقيه يومًا في الطريق فسأله فقال: يا أبا سعيد﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ** ﴾[٣] قال: نعم أهل رحمته لا يختلفون. قال: فقوله: ﴿ **وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ** ﴾ ؟[٤]، قال: خلق هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار. قال: فقال الرجل: لا أسأل عن الحسن بعد اليوم[٥].

وعن خالد الحذاء قال: غبت غيبة فقدمت فأخبروني أن الحسن تكلم في القدر، فأتيته فقلت: يا أبا سعيد آدم خلق للجنة أم للأرض؟ قال: فقال: يا أبا منازل ما كان هذا من مسائلك. قال: قلت: إني أحببت أن أعلم. قال: لا، بل للأرض. قلت: أرأيت لو اعتصم فلم يأكل من الشجرة؟ قال: لم يكن ليعتصم فلا يأكل من الشجرة، إنما خلق للأرض. أرأيت قول الله عز وجل: ﴿ **مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ** ﴾[٦] ـ الشياطين لم يكونوا يفتنون بضلالتهم إلا من أوجب الله له أن

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ١٧٠)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير عن سعيد به (٤/ ٦٦٥).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ١١١)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير عن مجاهد به (٤/ ٦٦٣).

(٣، ٤) سورة هود: الآيتان (١١٨، ١١٩).

(٥) المعرفة (٢/ ٣٨).

(٦) سورة الصافات: الآيتان (١٦٢، ١٦٣).

يصلى الجحيم[١] .

وعن أبي الأشهب عن الحسن في قوله عز وجل : ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[٢] ، قال : الإيمان[٣] .

وعن حبيب بن الشهيد، ومنصور بن زاذان قالا : سألنا الحسن عما بين﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤] إلى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[٥] ، ففسره على الإثبات[٦] .

وعن حميد الطويل : قرأت القرآن كله على الحسن في بيت أبي خليفة، ففسره لي أجمع على الإثبات. فسألته عن قوله: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾[٧] ، قال : الشرك سلكه الله في قلوبهم.

وسألته عن قوله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾[٨] ، قال : أعمال سيعملوها[٩] .

وأما التشيع :

فلم يكن تأثيره في تفسير التابعين مغايراً لتأثير الخوارج والقدرية إلا في باب الرواية، فقد أثر التشيع في الرواية فردت روايات الرافضة، في حين احتمل الأئمة

---

(١) المعرفة (٢/ ٣٨)، (٢/ ٤١)، والسير (٤/ ٥٨١).

(٢) سورة سبأ: آية (٥٤).

(٣) المعرفة (٢/ ٣٩)، وزاد المسير (٦/ ٤٧٠)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن الحسن به (٦/ ٧١٥).

(٤) سورة الفاتحة: آية (١).

(٥) سورة الناس: آية (١).

(٦) المعرفة (٢/ ٣٩).

(٧) سورة الشعراء: آية (٢٠٠).

(٨) سورة المؤمنون: آية (٦٣).

(٩) المعرفة (٢/ ٤١)، وزاد المسير (٥/ ٤٨٢)، وفتح القدير (٣/ ٤٩١).

مرويات من تشيعهم يسير.

قال شريك: أحمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة[١]، وقال الأعمش: أدركت الناس وما يسمونهم إلا الكذابين[٢].

وأما التشيع اليسير:

فقد قال ابن المديني: لو تركت أهل البصرة للقدر، وتركت أهل الكوفة للتشيع لخربت الكتب[٣].

وقد أدى انتشار الكذب بسبب التشيع إلى التشديد في الإسناد، كما سبق بيانه، قال إبراهيم: إنما سئل عن الإسناد أيام المختار[٤].

ومن آثاره في التفسير ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٥]، يعني هل هي خطاب خاص بآل البيت، أو هي أعم من ذلك، فقد روى سعيد بن منصور عن طريق الشعبي قال: أكثروا علينا في هذه الآية فكتبت إلى ابن عباس أسأله عنها، فكتب أن رسول الله ﷺ كان واسط النسب في قريش، لم يكن حي من أحياء قريش إلا ولده، فقال الله: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ تودوني بقرابتي منكم، وتحفظوني في ذلك[٦].

ولما انتشر عند الناس بعض البدع المتعلقة بالتشيع وجدنا الأئمة يوضحون ذلك في

---

(١) الميزان (١/ ٢٨)، ومنهاج السنة (١/ ١٦).
(٢) منهاج السنة (١/ ١٦)، والكفاية (١٢٦).
(٣) شرح علل الترمذي لابن رجب (٦٤).
(٤) العلل لأحمد (٣/ ٣٨٠) ٥٦٧٣.
(٥) سورة الشورى: آية (٢٣).
(٦) أورده ابن حجر في الفتح، وعزاه إلى سعيد بن منصور (٨/ ٥٦٥)، وزاد المسير (٧/ ٢٨٤)، وفتح القدير (٤/ ٥٣٦).

تفسيرهم للآيات، فمن ذلك ما روي عن عطاء عند قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[١]، قال: لم أر أحداً يمسح على القدمين[٢].

أثر التوحيد في تفسير التابعين:

لا شك أن التوحيد يؤثر في قلب كل من قال: (لا إله إلا الله)، وينعكس ذلك على أفعاله وأقواله، فإذا جئنا لمفسري التابعين وجدنا هذا الأمر قد انعكس فعلاً على تناولهم لتفسير آيات القرآن الكريم.

ولذا فإنهم لما تعرضوا للآيات الجوامع، التي عليها مدار الدين حملوها على أنها (لا إله إلا الله).

وأذكر هنا شيئًا مما جمعه الإمام الطبراني في كتابه الدعاء.

وقبل البدء في استعراض ذلك أحب أن أنبه على أن أكثر المنقول في هذا جاء عن المدرسة المكية، وذلك يتوافق مع ما سبق تقريره من تميز هذه المدرسة في مبحث الاجتهاد في التفسير؛ لأن حمل هذه الآيات على أن المراد بها (لا إله إلا الله) مما لا نص فيه، وإنما يعرف بالنظر وإعمال الفكر والاجتهاد، والله أعلم.

فقد فسر مجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، والحسن، قوله سبحانه: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾[٣] بـ(لا إله إلا الله)[٤].

---

(١) سورة المائدة: آية (٦).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٥٧) ١١٤٦٩، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير عن عطاء به (٣/ ٢٩).

(٣) سورة الأنعام: آية (١٦٠)، سورة النمل: آية (٨٩)، سورة القصص: آية (٨٤).

(٤) كتاب الدعاء (٣/ ١٤٩٨) ١٥٠٩: ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٨، ١٥١٩: ١٥٢٣، ١٥٢٦.

وفسر مجاهد وعكرمة الكلمة في قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾[١]، بـ(لا إله إلا الله)[٢].

كما فسَّر مجاهد وعكرمة الإحسان في قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾[٣]، بـ(لا إله إلا الله)[٤].

وفسر عكرمة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾[٥]، قال: المؤذن حين يقول: لا إله إلا الله[٦].

كما فسرعكرمة قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[٧] قال: من قال: لا إله إلا الله[٨]، وأيضًا قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾[٩]، قال: هل لك إلى أن تقول: لا إله إلا الله[١٠].

وفسر الحسن قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوه﴾[١١] قال: لما قام رسول الله ﷺ يدعوه قال: يقول: لا إله إلا الله ويدعو الناس إليها[١٢].

---

(١) سورة الزخرف: آية (٢٨).
(٢) كتاب الدعاء (٣/ ١٥٠٦)، ١٥٤١، ١٥٤٢، وفتح القدير (٤/ ٥٥٣).
(٣) سورة الرحمن: آية (٦٠).
(٤) كتاب الدعاء (٣/ ١٥٠٨) ١٥٤٦، ١٥٤٧، وفتح القدير (٥/ ١٤٢).
(٥) سورة فصلت: آية (٣٣).
(٦) كتاب الدعاء (٣/ ١٥٠٩) ١٥٤٩.
(٧) سورة الأعلى آية: (١٤).
(٨) كتاب الدعاء (٣/ ١٥١٠) ١٥٥٢، والدر المنثور (٨/ ٤٨٤).
(٩) سورة النازعات: آية (١٨).
(١٠) كتاب الدعاء (٣/ ١٥١١) ١٥٥٣، والدر المنثور (٨/ ٤١٠).
(١١) سورة الجن: آية (١٩).
(١٢) كتاب الدعاء (٣/ ١٥١١) ١٥٥٤، والدر المنثور (٨/ ٣٠٨).

فسر عكرمة الرجل الرشيد في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[١] قال: أليس منكم رجل يقول: لا إله إلا الله[٢].

كما فسر قوله تعالى: ﴿فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٣]، قال: على من لا يقول لا إله إلا الله[٤].

وفسر قتادة قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾[٥]، قال قول: لا إله إلا الله[٦].

وفسر أبو العالية قوله تعالى: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[٧]، قال: لا إله إلا الله[٨].

وفسر عكرمة القول اللين من قوله تعالى: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا﴾[٩]، بـ(لا إله إلا الله)[١٠].

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي ساقها الطبراني في كتابه الدعاء في بيان فضل لا إله إلا الله[١١].

---

(١) سورة هود: آية (٧٨).
(٢) كتاب الدعاء (٣/ ١٥١٢) ١٥٥٥، والدر المنثور (٤/ ٤٥٨)، وفتح القدير (٢/ ٥١٦).
(٣) سورة البقرة: آية (١٩٣).
(٤) كتاب الدعاء (٣/ ١٥١٢) ١٥٥٦، والدر المنثور (١/ ٤٩٦)، وفتح القدير (١/ ١٩٢).
(٥) سورة البقرة: آية (١٩٣).
(٦) كتاب الدعاء (٣/ ١٥١٣) ١٥٥٨، والدر المنثور (١/ ٤٩٥).
(٧) سورة آل عمران: آية (٦٤).
(٨) كتاب الدعاء (٣/ ١٥١٤) ١٥٦٠، والدر المنثور (٢/ ٢٣٥).
(٩) سورة طه: آية (٤٤).
(١٠) كتاب الدعاء (٣/ ١٥١٥) ١٥٦٢.
(١١) للمزيد من الأمثلة تراجع الآثار التالية في كتاب الدعاء للطبراني: ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٩، ١٥٧٣، ١٥٧٨، ١٥٧٩، ١٥٨٥، ١٥٨٧، ١٥٨٩، ١٥٩٣، ١٥٩٥، ١٥٩٩، ١٦٠١، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٧، ١٦٢٠، ١٦٢١، ١٦٢٢، ١٦٢٣، ١٦٢٤، ١٦٢٥، ١٦٢٦، ١٦٢٧، ١٦٢٨.

المبحث الثالث

منهجهم في استنباط آيات الأحكام

يعتبر هذا المبحث من أدق المباحث ، وأغمضها مسلكًا، وهذا لم ينتج من عدم توافر المادة العلمية، فهي كثيرة في هذا الموضوع؛ وإنما السبب في ذلك يرجع إلى صعوبة تحديد منهج عام يشمل التابعين، أو جماعة منهم.

إن تحديد مفهوم دقيق لمنهج التابعين في استنباط آيات الأحكام يحتاج إلى دراسة مقارنة متوسعة في فقه كل تابعي تشمل آراءه الفقهية، واستنباطاته لاستخلاص منهجه الذي يبني الفتوى عليه، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة المقارنة، ويمكن اعتبار التابعين جميعهم قد اشتركوا في أصول عامة في الاستدلال كاعتمادهم على الكتاب والسنة في الفتوى، وبناء الحكم الفقهي على ذلك، وتقديم أدلة الوحي على غيره، والاجتهاد فيما سوى ذلك، وعدم القطع باجتهاد ليس له دليل واضح، وكذلك اعتماد اتفاق الصحابة وهديهم. . . إلخ، مما يظهر جليًا في تفاسيرهم، وكل هذه العمومات لا تصلح لدراسة استنباط مناهجهم؛ لأنها تكاد تكون متفقة مع ما ينهجه كل الفقهاء وعامة العلماء، وإنما وقع الخلاف نتيجة أمور أخص من ذلك.

فمثلاً وقع الخلاف في دلالات القرآن وترتيبها، وتقديم العموم وظاهر النصوص، وكذلك ما بين المفهوم والمنطوق، وإلحاق المسكوت عنه بما ورد النص به.

ثم بعد ذلك الموقف من تعارض النصوص، ومقاييس الموازنة بين المتعارضين، سواء كانا دليلين من الكتاب، أو من السنة، أو أحدهما من الكتاب والآخر من السنة،

وكيفية الترجيح والتأويل والجمع، وكذلك تعارض ظاهر النصوص فيما ظاهره مصلحة. . . إلخ.

إن منهج الاستنباط والاستدلال يعني حصيلة الفقيه أو العالم العلمية وطرق الثبوت وعناصر الدلالة، وتطبيق الأحكام على المشكلات الاجتماعية التي تقذف بها الحياة كل يوم، والموقف منها، فمن هذه الآراء التي يقدمها لنا الفقيه يمكن أن نعرف منهجه الفقهي[1].

ومن المؤكد أن دراسة هذه الأمور عند التابعين تحتاج إلى جمع الأقوال الفقهية الواردة عن كل إمام من أئمة التابعين في التفسير، ثم دراستها، وذلك يخرج عن نطاق هذا البحث، بل ويحتاج إلى عدة رسائل متخصصة لدراسته[2].

لكن ما لا يدرك جله لا يترك كله. .

ومن هنا ومن هذا المنطلق يمكن أن أعطي فكرة عامة عن مناهجهم بحسب ما يبدو لي من خلال النصوص التي جمعتها عنهم، والله المستعان.

مدارس التفسير وأئمتها :

أول ما يمكن أن نلمحه في مدارس التفسير هو تميز المدرستين المدنية والكوفية في ذلك، ولا غرو فإن ابن عمر شيخ المدنيين، وابن مسعود شيخ الكوفيين قد اعتنيا بتفسير آيات الأحكام، والاستنباط الفقهي منها أكثر من باقي التفسير فتأثر أصحابهما بذلك،

---

(١) يراجع في ذلك كتاب مناهج التشريع الإسلامي في القرن الثاني (١/ ٥ ـ ٨).

(٢) ظهرت بعض الرسائل في بحث وجمع الحصيلة الفقهية لفقهاء القرن الثاني والثالث، وقد اطلعت عليها وأخذت منها، إلا أنني لم أجد دراسة مقارنة يمكن أن أستفيد منها في بحثي هذا غير ها، فإن كثيراً منها لم يهتم إلا بأقوال فقهاء الصحابة ولم يستوعب التابعين. . ولا سيما أن بعضهم ليس معدوداً في فقهائهم كمجاهد وعكرمة لغلبة التفسير عليهم.

في حين كانت المدرسة البصرية تعج بالفتاوى الفقهية، وإن كان المنقول عنها في التفسير أقل نسبة، إلا أن الحسن؛ لأنه إمام عامة فقد تصدر للوعظ والإرشاد فنقل عنه في ذلك جملة كبيرة من تفسير آيات الأحكام، وكذلك كانت حال قتادة.

أما المدرسة المكية فهي أقل المدارس اعتناءً بذلك، اللهم إلا في مسائل الحج التي فرضت نفسها بحكم البيئة على النتاج المكي.

ولا عجب حينئذ أن نسمع مقولة ابن عيينة، وهو يصف حال التابعين فيذكر أن أهل مكة أعلم بالمناسك، في حين جعل أعلمهم بالحلال والحرام أهل الكوفة[١].

وكانت قبل ذلك عائشة ترى أن أعلم من بقي بالمناسك هم أهل مكة[٢]، ولأجل تقدم المكيين في ذلك نجد أئمة الكوفة يسألون أصحاب ابن عباس عن مسائل الحج، والآيات المتعلقة به، كما في مراجعة إبراهيم النخعي لسعيد بن جبير في مسائل الحج التي كان يفتي فيها علقمة[٣].

وكان الثوري الكوفي يقول: خذو المناسك عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة[٤].

ومعلوم أنهم من المدرسة المكية. وقد لاحظ بعض الباحثين تقاربًا فقهيًا بين مدرسة العراق ومدرسة مكة[٥]، وقد يرجع السبب في ذلك إلى أنه عدَّ سعيد بن جبير عراقيًا كوفيًا، أما أنا فقد أدرجته ـ كما سبق ـ في المدرسة المكية، ولذا فسؤالات إبراهيم له كانت من باب سؤال الكوفي للمكي.

---

(١) معجم البلدان (٤/ ٤٩٣).
(٢) العلل لأحمد (١/ ٤٩٥) ٥٨٨٥، وكتاب الاجتهاد (٤٣).
(٣) تفسير الطبري (٤/ ٧، ٢٨، ٥٥، ٧٤) ٣١٨٥، ٣٢٠٤، ٣٣٧٦.
(٤) البداية والنهاية (٩/ ٢٧٦).
(٥) تاريخ المذاهب الفقهية لأبي زهرة (٣٦).

وربما توسعت المدرسة المكية في تفسير الآيات المتعلقة بالحج توسعًا خرج عن الظاهر، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾[١] فقد فسروا المقام بأنه الحج كله، أو عرفة والمزدلفة والجمار، أو الحرم[٢]، في حين فسرها قتادة[٣]، والربيع[٤]، والسدي[٥]، بالمقام الذي في المسجد الحرام، وفيه أثر عقب إبراهيم عليه السلام.

وكأني ألمس من خلال تتبع بعض الآيات الواردة في ذكر طرف من أحكام الحج أن المدرسة المكية تميل إلى التسهيل في أحكامه فيما لم يرد فيه نص قاطع، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ﴾[٦]، يفتي أكثر التابعين في العشر إلى يوم عرفة[٧].

في حين ينقل عن عطاء، وعن مجاهد، وطاوس: أنه إذا صامهن في أشهر الحج أجزأه[٨].

بل إن عطاء نفسه لا يجزم بأنها في العشر، بل يقول: من استطاع أن يصومهن فيما بين أول يوم من ذي الحجة إلى يوم عرفة فليصم[٩].

---

(١) سورة البقرة: آية (١٢٥).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣٣، ٣٤) ١٩٩٠-١٩٩٥، وزاد المسير (١/ ١٤١)، وفتح القدير (١/ ١٣٨).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٣٥) ٢٠٠١.

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣٥) ٢٠٠١.

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٣٥) ٢٠٠٢، وذكر فيه أثرًا إسرائيليًا.

(٦) سورة البقرة: آية (١٩٦).

(٧) وعلى ذلك عطاء، وإبراهيم، والشعبي، وقتادة، والربيع، وغيرهم. ينظر تفسير الطبري (٤/ ٩٥-٩٧)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ١٢٥)، والدر المنثور (١/ ٥١٧).

(٨) تفسير الطبري (٤/ ٩٥) ٣٤٤٦، والدر المنثور (١/ ٥١٨).

(٩) تفسير الطبري (٤/ ١٠٢)، ٣٤٧٧، ووردت رواية بالجزم (٣٤٨٠)، إلا أن الأكثر باللفظ السابق، وزاد المسير (١/ ٢٠٦).

وفيما كان ابن عمر وغيره يفتي بأنها لا تصام إلا بعد الإحرام بالحج[١] .

نجد عطاء يقول: ولا بأس أن يصوم المتمتع في العشر، وهو حلال[٢]، ويفتي عكرمة من خشى أن لا يدرك الصوم بمكة أن يصوم بالطريق يومًا أو يومين[٣] ، وفي مسألة الرمي يرى عطاء وطاوس جواز الرمي قبل الزوال نهارًا مطلقًا، في حين يرى جمهور أهل العلم وجوبه بعد الزوال إلا في يوم النحر[٤] .

وعن عكرمة جوازه في اليوم الثالث[٥] ، والأمثلة في ذلك كثيرة[٦] .

في حين كان المدنيون أكثر أخذًا بالشدة، والاحتياط ، ولا سيما سعيد بن المسيب، وربما كان السبب في ذلك هو ورعهم العام؛ لأن هذه المسائل ينبني عليها الحل والحرمة اللذان هما من أحكام الرب لا من وضع العباد، ثم إن المدينة لم يكن قد غلبها الوافدون نحو مكة، ولا كانت ملتقى حضارات كالعراق، ولذا كانت المسائل الفقهية محدودة في الجملة، وأكثرها أفتى فيه الصحابة، فلم يكن هناك كبير حاجة إلى استنباط جديد من آيات الأحكام.

وأما أئمة المفسرين من التابعين فقد جاءت شهادات العلماء لهم بالتقدم في الفقه والتخصص في بعض فروعه.

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ١٠٣، ١٠٤) ٣٤٨٣، ٣٤٨٥.

(٢) تفسير الطبري (٤/ ١٠٢) ٣٤٧٨، ٣٤٨٢، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ١٢٦).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ١٠٣) ٣٤٨١.

(٤) فتح الباري (٣/ ٥٨٠).

(٥) المغني (١/ ٣٢٨).

(٦) ينظر في ذلك المغني (٥/ ٣٢٠) في عدم وجوب الترتيب في أفعال النحر، و(٥/ ٣٢٢) في عدم وجوب من حلق عمدًا بعد الرمي وقبل التحلل، وجواز الرجوع من الطائف للوداع لأنه قريب (٥/ ٣٣٩)، وغير ذلك.

وقد وجدت أن أكثر من شهد له بذلك هو سعيد بن المسيب، فقد عدوه أفقه الفقهاء، وسيد العلماء، وأفقه التابعين، وعالم العلماء[١].

وكان المقدم في مسائل الطلاق لانشغاله بالقضاء، فحفظ مسائل القضاء المروية عن النبي ﷺ وأبي بكر، وعمر[٢].

ويعتبر إبراهيم النخعي من أكثرهم فقهًا، ومروياته في تفسير آيات الأحكام غلبت على سائر ما نقل عنه في التفسير جملة[٣].

وقد انشغل إبراهيم بالفقه لقلة الرواية عنده، وكثرة الكذب الذي كان بالكوفة، لذا استعمل المقاييس على ما صح عنده من النصوص حتى لقد قال: إني أسمع الحديث الواحد فأقيس به مائة حديث[٤].

ويقول: فقست ما لم أسمع بما قد سمعته[٥].

فإذا كان هذا في شأن الحديث واحتياجه إلى سماعه والتثبت منه فلا عجب حينئذ أن تكثر أقواله في آيات الأحكام؛ لعدم احتياجه إلى التثبت؛ لأن القرآن تواتر عنده وعرفه كله، فكثرت اجتهاداته وأقيسته حتى قال حماد بن أبي سليمان: ما رأيت أحدًا قط كان أحضر قياسًا من إبراهيم[٦]، وقد اختص إبراهيم بعلمه في مسائل الصلاة، كما اختص عطاء بالمناسك، فقيل: كان علم عطاء في المناسك، وإبراهيم في الصلاة،

(١) يراجع ذلك في ترجمته ص (٣٨٣).
(٢) تاريخ أبي زرعة (١/ ٥١٥).
(٣) بلغت نسبة الآثار الواردة عنه في آيات الأحكام (٣٨,٠) من جملة ما نقل عنه، في حين كانت (٣٤,٠) عن سعيد بن المسيب، و(٣٣,٠) عن عطاء، و(٢٣,٠) عن الشعبي.
(٤) الفتاوى الكبرى (٣/ ٢٢٧).
(٥) المعرفة (٢/ ٦٠٩).
(٦) العلل لأحمد (١/ ٢٥٣) ٣٥٥.

والحسن في كلٍ[١] .

أما مجاهد فمع أنه كان من المكثرين إلا أنه لم ينصرف إلى الفقه، بل ربما كان ضعيفًا في بعض فروعه كالفرائض[٢] ، ولذا فهو أكثر موافقة في مسائل الأحكام لابن عباس أكثر من عطاء وسعيد وسائر المكيين.

وبالنظر في المنقول عن التابعين رأيت أن الشعبي يعتبر من أكثرهم اتباعًا للظاهر من النص، فقد ورد عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾[٣] ، أن ذلك في الرجل يحلف على المعصية قال: يترك المعصية ولا يكفر، ولو أمرته بالكفارة لأمرته أن يتم على قوله[٤] .

وعنه أيضًا في الصيام قال: لو صمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذي يشك فيه فيقال من شعبان[٥] .

ونلحظ ورعه في تفسير آيات الأحكام، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ ﴾[٦] .

قال: إنما ذلك في قتال عُمية إذا أصيب من هؤلاء عبد، ومن هؤلاء عبد، تكافآ، وفي المرأتين كذلك، وفي الحرين كذلك، ثم يعقب فيقول: هذا معناه إن شاء الله[٧] .

---

(١) تاريخ أبي زرعة (٢/ ٦٨٣)، وتاريخ دمشق (١١/ ٦٣٨).

(٢) العلل لأحمد (٣/ ٨٥) ٤٢٩٢.

(٣) سورة البقرة: آية (٢٢٥).

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٤٤٢)، ٤٤٤٩، ٤٤٥٠.

(٥) المرجع السابق (٣/ ٤١٠) ٢٧٢٠ في تفسير قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ البقرة (١٨٣).

(٦) سورة البقرة: آية (١٧٨).

(٧) تفسير الطبري (٣/ ٣٦٠) ٢٥٦١، وفتح القدير (١/ ١٧٦).

وأبلغ من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ...﴾[١]، فقد سئل الشعبي عن المجدور تصيبه الجنابة، فقال: ذهب فرسان هذه الآية[٢].

وقد رأيت أن الكوفيين تغلب عليهم مدرسة الرأي، فهم يراعون فيما يفسرونه علة الحكم، ويبنون الحكم عليها، فمن ذلك، ما جاء عن النخعي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]، فقد سأله الشعبي لم لا تقبل شهادته؟ فقال: لأني لا أدري تاب أم لا[٤].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾[٥]، قال إبراهيم: إني لأكره أن يكون مال اليتيم عندي عرة، حتى أخلط طعامه بطعامي، وشرابه بشرابي[٦].

ويعتبر البصريون أكثر التزامًا في اعتماد الآثار في تفسير آيات الأحكام، ولا سيما قتادة لحافظته، والغالب أنهم لا يسندونها بل يرسلونها كما هي عادتهم، والملاحظ أن الحسن أجرأ على فتيا الناس في مسائل النكاح والطلاق؛ لتصدره للعامة، في حين قلَّ أن يتعرض قتادة لذلك، أو لغيره من دقيق الفقه.

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾[٧]، قال قتادة: هؤلاء المهاجرين تركوا الديار، والأموال، والعشائر، وخرجوا حبًا لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدة حتى لقد ذكر لنا أن

(١) سورة النساء: آية (٤٣).
(٢) تفسير الطبري (٨/ ٣٨٧) ٩٥٧٨.
(٣) سورة النور: آية (٥).
(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٧٧).
(٥) سورة البقرة: آية (٢٢٠).
(٦) تفسير الطبري (٤/ ٣٥٥) ٤١٩٩، ٤٢٠٠، والعرة: القذر وما يتجنبه الناس.
(٧) سورة الحشر: آية (٨).

الرجل كان يعصب الحجر على بطنه؛ ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها[١] .

فعندما أراد قتادة أن يبين مصارف الفيء غلبه حبه للأثر والوعظ، فأخرجه بهذه الصورة[٢] .

ويأتي الحسن في المرتبة الثانية بعد قتادة، فيخرج الكلام في آيات الأحكام مصحوبًا بالآثار، إما صراحة، وإما موافقًا في تفسيره للأثر النبوي، فمن ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾[٣] ، عن سليمان بن أرقم أن الحسن حدثهم: أن الناس كانوا على عهد رسول الله ﷺ يطلق الرجل أو يعتق، فيقال: ما صنعت؟ فيقول: إنما كنت لاعبًا، قال رسول الله ﷺ : «**من طلق لاعبًا، أو أعتق لاعبًا فقد جاز عليه**»، قال الحسن: وفيه نزلت: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾[٤] .

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾[٥]، قال الحسن: يبيتان في لحاف واحد - يعني الحائض - إذا كان على الفرج ثوب[٦] ، ومعلوم أن هذا فعل النبي ﷺ كما في الصحيحين وغيرهما[٧] ، وهكذا كان غالب كلام الحسن في آيات

---

(١) تفسير الطبري (٢٨/ ٤٠)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة بنحوه (٨/ ١٠٥).

(٢) ولمزيد من الأمثلة يراجع تفسير الطبري الآثار ذوات الأرقام ٢٠٦٣، ٢٩٨٤، ٤٣٥٤، ٥٥٤٧، ٨٧٧٩، ٩٣٨٣، ٩٣٨٥، ١١٤٢٢، ١٢٣٦٧، ١٢٦١٩، ١٣٩٧٣، ١٤٠٨٧، ١٦٤٧٦، (٢٨/ ٧٦)، (٢٨/ ١٣٠)، (١٥/ ٨٣)، (١٦/ ٧٥)، وقد سبق تفصيل في ترجمته ص (٢٩٠).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٣١).

(٤) تفسير الطبري (٥/ ١٣) ٤٩٢٣، وزاد المسير (١/ ٢٦٧)، وفتح القدير (١/ ٢٤٣).

(٥) سورة البقرة: آية (٢٢٢).

(٦) تفسير الطبري (٤/ ٣٨٠) ٤٢٥٤.

(٧) صحيح البخاري (١/ ٦٢٠)، وصحيح مسلم (١/ ٩٥)، وسنن أبي داود (١٢/ ١١٣).

الأحكام[١] .

طرق الاستنباط عند مفسري التابعين :

لقدتعددت طرق الاستدلال والاستنباط عند التابعين، وفيما يلي بيان لأشهرها، وأوضحها، مما استخرجته من الأقوال المنقولة عنهم، فمن ذلك :

١ ـ ملاحظة النسخ :

يلاحظ التابعون الناسخ والمنسوخ، فيعملون المتأخر من الآيات[٢] ، وقد توسعت المدرسة المدنية ثم البصرية في النسخ، في حين لم تتوسع المدرستان الكوفية، والمكية، ومن أمثلة ذلك ما جاء عن ابن المسيب في الذي يطلق امرأته، وقد فرض لها أنه قال في المتاع : قد كان لها المتاع في الآية التي في الأحزاب، فلما نزلت الآية التي في البقرة جعل لها النصف من صداقها إذا سمي ، ولا متاع لها، وإذا لم يُسم فلها المتاع[٣] .

وكذلك رأى بكر بن عبد الله المزني[٤] تحريم مخالفة الزوجة لزوجها مخالفًا بذلك جميع الفقهاء الذين يجوزون خلع المرأة من زوجها إذا أبغضته[٥] .

---

(١) ولمزيد من الأمثلة عن الحسن تنظر الآثار : ٢٨٤٦، ٢٨٥٥، ٣٣٢٤، ٣٣٧٤، ٤٨٥٤، ٤٨٥٥، ٤٩٢٣، ٥٢٠٩، ٥٥٤٠، (٢٨/ ١٣٠).
وقد سبق بيان إمامة الحسن في الفقه في ترجمته ص (٢٥٧).

(٢) وسيأتي زيادة بيان لهذه المسألة في الباب الرابع عند بحث أثرهم في أصول التفسير ص(١٠٨٤).

(٣) تفسير الطبري (٥/ ١٢٦) ٥٢١٧، والمقصود بآية الأحزاب قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾ آية رقم (٢٨)، والمقصود بآية البقرة: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ آية رقم (٢٣٧).

(٤) هو بكر بن عبد الله المزني البصري أحد الأئمة الأعلام، يُذكر مع الحسن، وابن سيرين، وقال سليمان التيمي: الحسن شيخ البصرة، وبكر المزني فتاها، ينظر السير (٤/ ٥٣٢)، وطبقات ابن سعد (٧/ ٢٠٩).

(٥) المغني (١٠/ ٢٦٨).

قال ابن قدامة: قال ابن عبد البر: بعد ذكر حديث الخلع: ولا نعلم أحدًا خالفه إلا بكر بن عبد الله المزني، فإنه لم يجزه، وزعم أن آية الخلع منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾[١].

ومن ذلك أيضًا اختلافهم في نسخ الوصية بالمواريث، وسيأتي تفصيله آخر هذا المبحث.

ومن ذلك أيضًا استدلال ابن المسيب، وجابر بن زيد، وعطاء، وطاوس، على جواز نكاح الزانية في تفسير قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾[٢] لأنها منسوخة بالآية التي بعدها ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾[٣].

وعن الحسن أنه قال: الآية محكمة غير منسوخة، ومعناها: أن المجلود على الزنا لا ينكح إلا زانية مجلودة على الزنا[٤].

وكذلك استدلال بعض التابعين على عدم وجوب الوصية في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾[٥]، وقالوا: إن الآية منسوخة على خلاف بينهم فيما نسخ منها على ثلاثة أقوال: الأول: إن الآية كلها منسوخة، وبه قال الحسن، وعكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير[٦].

---

(١) سورة النساء: آية: (٢٠)، وينظر المغني (١٠/ ٢٦٨).
(٢) سورة النور: آية (٣).
(٣) سورة النور: آية (٣٢)، وينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢٢٩)، والإيضاح لناسخ القرآن المكي (٣٥٩)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (٤٠٤)، والدر (٦/ ١٣٠).
(٤) الإيضاح لناسخ القرآن (٣٥٩)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (٢٣٠).
(٥) سورة البقرة: آية (١٨٠).
(٦) نواسخ القرآن (١٥٩)، والناسخ للنحاس (٢٣)، والإيضاح لناسخ القرآن (١٤٣).

الثاني: أن الآية نسخ منها الوصية للوالدين بآية المواريث، وهو قول مجاهد، والنخعي، وطاوس[١].

الثالث: إن المنسوخ من الآية الوصية لمن يرث دون من سواهم، وهو قول قتادة، وقول للحسن[٢].

٢ ـ الاستدلال بالقراءة غير المتواترة:

قد يستدل بعض التابعين على الحكم في الآية بما ورد في القراءات الشاذة من بيان أو مزيد إيضاح.

فمن ذلك استدلال عطاء، ومجاهد، وعكرمة، على وجوب التتابع في كفارة اليمين بقراءة ابن مسعود، وأبي بن كعب ﴿**فصيام ثلاثة أيام متتابعات**﴾، ولفظة (متتابعات) ليست في رسم المصحف فهي قراءة شاذة على ما سبق تقريره[٣].

ووجه الاستدلال بهذه القراءة بينه ابن قدامة في المغني فقال: وهذا إن كان قرآنًا فهو حجة لأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإن لم يكن قرآنًا فهو رواية عن النبي ﷺ إذ يحتمل أن يكونا سمعاه من النبي ﷺ فظناه قرآنًا، فثبت له مرتبة الخبر، ولا ينقص عن درجة تفسير النبي ﷺ للآية، وعلى كلا التقديرين فهو حجة يجب المصير إليه[٤].

ومن ذلك استدلال بعضهم كسعيد بن جبير، ومحمد بن سيرين على عدم وجوب السعي بين الصفا والمروة بقراءة ابن مسعود، وابن عباس، وأبي (فلا جناح عليه أن لا

---

(١) نواسخ القرآن (١٥٨).
(٢) الإيضاح لناسخ القرآن (١٤٣).
(٣) ينظر منهجهم في القراءات ص (٧٦٨)، وتراجع الآثار في تفسير الطبري (١٠/ ٥٦٠).
(٤) المغني (١٤/ ٥٢٩)، القواعد والفوائد لابن اللحام (١٥٥).

يطوف بهما)[١] .

وكذلك اختلف التابعون في حكم العمرة على قولين :

الأول : الوجوب : وبه قال الشعبي ، ومسروق ، وابن جبير ، وعطاء .

الثاني : الاستحباب : وبه قال إبراهيم ، والشعبي في رواية ، وقد كان لنظرهم في القراءة غير المتواترة أثر في وجه الاستدلال لكل فريق ، فمن أدلة أصحاب القول الأول قراءة ابن مسعود (وأقيموا الحج والعمرة إلى البيت) وهذه القراءة صريحة في الوجوب .

وفي المقابل استدل الآخرون على عدم الوجوب بقراءة الشعبي (وأتموا الحج والعمرةُ لله) برفع العمرة على الاستئناف ، وأنها تطوع[٢] .

٣ ـ الاستدلال بظاهر الآية :

وفي هذا الاستدلال ينظر التابعي إلى ظاهر النص ، ولا يعدوه إلى غيره ، وقد يرتبط بذلك لفتة فقهية دقيقة .

فمن ذلك ما رواه قتادة عن أبي العالية قال : سافرت إلى مكة ، فكنت أصلي ركعتين ، فلقيني قُرَّاء من أهل هذه الناحية ، فقالوا : كيف تصلي؟ قلت : ركعتين . قالوا : أسنة أو قرآن؟ قلت : كل سنة وقرآن . فقد صلى رسول الله ﷺ ركعتين ، قالوا : إنه كان في حرب! قلت : قال الله : ﴿ **لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ** ﴾[٣] ، وقال : ﴿ **وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ** ... فقرأ حتى بلغ :

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٨)، وأحكام القرآن للجصاص (١/ ٩٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ١٨٢)، وبداية المجتهد (١/ ٣٥٨) .

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٨ـ ١٤) .

(٣) سورة الفتح : آية (٢٧) .

فإذا اطمأننتم ﴾[١] .

ومن ذلك ما قاله سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ ﴾[٢] ، قال : الطلاق قبل النكاح غير واقع ؛ لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية : إذا نكحتك فأنت طالق ، أو قال : كل امرأة أنكحها فهي طالق فنكح ، لا يقع الطلاق[٣] .

ويذهب سعيد بن المسيب إلى حل المطلقة ثلاثًا إذا نكحت ولم توطأ ، عملاً بظاهر قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾[٤] ، قال ابن المنذر : لا نعلم أحدًا من أهل العلم قال بقول سعيد بن المسيب إلا الخوارج أخذوا بظاهر قوله سبحانه : ﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾[٥] .

ومن تمسكهم بظاهر النص أيضًا ، ما أفتى به ابن سيرين ، وأبو قلابة من تحريم الخلع إلا أن يجد على بطنها رجلاً ، تمسكًا بظاهر قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾[٦] .

ومنه قول بعض التابعين كابن المسيب ، وعطاء ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد ، وعلي بن الحسين ، والشعبي ، بتحريم الصيام في السفر ، وأن من صام عليه القضاء .

---

(١) سورة النساء : آية (١٠١) ، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٢٥) ١٠٣١٣ .
(٢) سورة الأحزاب : آية (٤٩) .
(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٣٥) .
(٤) سورة البقرة : آية (٢٣٠) .
(٥) المغني (١٠/ ٥٤٩) ، والجمهور على وجوب وقوع الوطء لحديث امرأة رفاعة «حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها» ، المغني (١/ ٥٤٨) .
(٦) سورة النساء : آية (١٩) .

قال الجصاص: واحتج من أبى الصوم على المسافر، وأوجب عليه القضاء بظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[١] قالوا: العدة واجبة في الحالين، إذ ليس في الآية فرق بين الصائم، والمفطر[٢].

ويرى بعض التابعين وجوب عين الطعام والكسوة في الكفارة عملاً بظاهر قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾[٣]، وإليه ذهب مجاهد، وسعيد بن جبير، والنخعي إعمالاً لظاهر النص[٤].

وقد يجمع التابعي بين الأخذ بظاهر النص مع القراءة غير المتواترة، كما في قولهم بأن السعي بين الصفا والمروة ليس واجبًا، وقد سبق بيان هذه المسألة قبل ورقات.

٤ ـ الأخذ بالعمومات وإطلاق الآيات إلا أن يرد تخصيص أو تقييد لها:

وظهر في منهج التابعين أيضًا التوسع في الأخذ بالعام، وتقديم عموم الآية على غيره من الأدلة.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما جاء عن ابن سيرين من جواز الإفطار للصائم إذا ألمَّ به أدنى مرض كوجع الإصبع[٥]؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[٦] إذ لفظة (مريض) نكرة في سياق الشرط فتعم[٧].

قال ابن قدامة: وحكي عن بعض السلف أنه أباح الفطر بكل مرض حتى من وجع

---

(١) سورة البقرة: آية (١٨٥).
(٢) أحكام القرآن (١/ ٢١٤)، وينظر أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٧٨)، والمحلى (٦/ ٣٨١، ٣٨٩، ٣٩٠)، وتفسير الطبري (٣/ ٤٦٢).
(٣) سورة المائدة: آية (٨٩).
(٤) المغني (١٣/ ٥١١).
(٥) تفسير الطبري (٣/ ٤٥٨) ٢٨٥٦.
(٦) سورة البقرة: آية (١٨٥).
(٧) يراجع في ذلك شرح الكوكب المنير (٣/ ١٤٠).

الإصبع والضرس: لعموم الآية[١].

ومن أمثلة ذلك أيضًا استدلال الحسن البصري على عدم انقطاع متعة المتمتع، وإن عاد إلى بلده؛ لعموم قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾[٢]، وهذا أوسع ما قيل في المسألة[٣].

ويدخل في ذلك أيضًا ما أثبته الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز من تسوية الدية في الحل والحرم، والأشهر الحرم أنها اثنا عشر ألف درهم أخذًا بعموم قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا﴾[٤]، فإن لفظة (مؤمن) نكرة في سياق الشرط فتعم[٥].

ومن عمل التابعين بإطلاق الآية، استدلال ابن المسيب، والحسن، وطاوس، على جواز عتق ولد الزنا في الكفارة.

قال ابن قدامة: ولنا دخوله في مطلق قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[٦]، وكذلك استدل طاوس بجواز عتق المدبر في الكفارة للإطلاق في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[٧].

وكذلك استدل عطاء، وطاوس، وعكرمة، والقاسم، والحسن، وجابر بن زيد، والنخعي، وقتادة، على أن النذر إذا خرج مخرج اليمين بمنع نفسه أو غيره، أو حث به

---

(١) المغني (٤/ ٤٠٤).

(٢) سورة البقرة: آية (١٩٦).

(٣) وفي المسألة أقوال أخرى: أنه ينقطع بسفره، وينقطع برجوعه إلى بلده خاصة. وينظر في ذلك أحكام القرآن للجصاص (١/ ٢٨٨)، والمغني (٥/ ٣٥٤).

(٤) سورة النساء: آية (٩٢).

(٥) يراجع في ذلك المغني (١٢/ ٢٥، ٢٦).

(٦) سورة النساء: آية (٩٢)، وسورة المجادلة: آية (٣)، وينظر المغني (١٣/ ٥٢٧).

(٧) المغني (١٣/ ٥٢٦).

على شيء كقوله: إن كلمت زيداً فلله علي الحج أو الصدقة أو الصوم، فهذا يمين.

قال ابن قدامة: فهذا يمين حكمه أنه مخير بين الوفاء بما حلف عليه فلا يلزمه شيء، وبين أن يحنث، فيتخير بين فعل المنذور، وبين كفارة اليمين، ويسمى نذر اللجاج، والغضب، ولا يتعين عليه الوفاء به، وإنما يلزم نذر التبرر، وهذا قول عمر، وابن عباس؛ لأنه لا مخالف لهم في عصرهم؛ ولأنه يمين، فيدخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾[1].

وكاستدلال عطاء بن أبي رباح على أن من حلف على طلاق، أو عتاق، ثم فعله ناسيًا فلا يحنث لعموم قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[2].

ومن ذلك أيضًا استدلال سعيد بن المسيب، وعطاء بن أبي رباح، وعمر ابن عبد العزيز، على جواز الهدي بذكران الإبل، وأنها كإناثها في الإجزاء، خلافًا لمن كرهه واستدلالاً بعموم الآية.

قال ابن قدامة: لأن الله تعالى قال: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[3]، ولم يذكر ذكرًا، أو أنثى[4].

ومنه أيضًا استدلال عطاء، والنخعي، بأن الإحصار يكون من المرض والعرج، أو ذهاب النفقة، وكل ما صد عن البيت كالإحصار من العدو، وعليه فله التحلل

---

(١) سورة المائدة: آية (٨٩)، وينظر المغني (١٣/ ٤٦٢).
(٢) سورة الأحزاب: آية (٥)، وينظر المغني (١٣/ ٤٤٧).
(٣) سورة الحج: آية (٣٦).
(٤) المغني (٥/ ٤٥٧).

بذلك، وهذا خلاف من قصر الإحصار على إحصار العدو، وحجة هؤلاء التمسك بعموم النص.

قال ابن قدامة: ولأنه يدخل في عموم قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[1] يحقق أن لفظ الإحصار إنما هو للمرض ونحوه، يقال: أحصره المرض إحصاراً، فهو محصر، وحصره العدو حصراً فهو محصور[2].

٥ ـ تخصيص العام:

فمع أن أكثر ما وقفت عليه من الآثار عن التابعين كانت في الأخذ بالعمومات، إلا أنه في المقابل جاء عنهم تخصيص للعموم بالمعنى والنظر العقلي[3].

فمن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[4]، فقد قال جمع من المفسرين بتحريم الجدال في الحج، ورأى آخرون أن الجدال بالحق جائز في الحج وغيره، والجدال المحرم حرام في الحج وغيره، لذا فإن الآية وإن كانت عامة فإن النظر الصحيح يقتضي تخصيصها وتوجيه المصدر إلى غير ذلك المعنى الذي ذهبوا إليه، فيكون هذا الأسلوب خبراً من الله تعالى عن استقامة وقت الحج على ميقات واحد لا يتقدمه، ولا يتأخره[5].

فعن مجاهد في قوله: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ قال: قد استقام الحج، ولا جدال

---

(١) سورة البقرة: آية (١٩٦).

(٢) المغني (٥/ ٢٠٣).

(٣) ينظر في التخصيص بالمخصص المنفصل (العقل النظري)، شرح الكوكب المنير (٣/ ٢٨٠).

(٤) سورة البقرة: آية (١٩٧).

(٥) العموم مأخوذ من كون لفظة (جدال) نكرة في سياق النفي وهي تعم، ينظر شرح الكوكب المنير (٣/ ١٣٧).

فيه[١] ، وعن السدي نحوه[٢] ، ورجحه الطبري، وضعف خلافه[٣] .

٦ ـ حمل المطلق على المقيد :

ومن طرق الاستدلال عند التابعين حمل المطلق على المقيد، وقد ظهر ذلك عندهم في غير ما موضع.

ومن أبرز هذه المواضع حملهم الدم الوارد ذكره في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾[٤] ، على أن المراد به الدم المسفوح دون غيره، فعن قتادة قال: حُرِّم الدم ما كان مسفوحًا، وأما لحم خالطه دم فلا بأس به[٥] .

وعن عكرمة في قوله: ﴿أو دمًا مَسْفُوحًا﴾، قال: لولا هذه الآية لتتبع المسلمون من العروق ما تتبعت اليهود[٦] .

٧ ـ الاستدلال بالمفهوم:

أ ـ الاستدلال بمفهوم الموافقة:

مفهوم الموافقة، وهو ما يسمى بفحوى الخطاب إذا كان أوليًا، وبلحن الخطاب إذا كان مساويًا[٧] ، هو من الحجج عند الجمهور، ونقل في ذلك الإجماع[٨] ، وقد ورد عن التابعين الاستدلال به على الأحكام.

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ١٤٦) ٣٧٠٤، ٣٧٠٥، ٣٧٠٧، ٣٧١١ـ٣٧١٣، ٣٧١٥.
(٢) تفسير الطبري (٤/ ١٧٤) ٣٧٠٩.
(٣) تفسير الطبري (٤/ ١٤٩).
(٤) سورة المائدة: آية (٣).
(٥) تفسير الطبري (١٢/ ١٩٣) ١٤٠٨٧.
(٦) تفسير الطبري (١٢/ ١٩٣، ١٩٤) ١٤٠٨٢، ١٤٠٨٩.
(٧) شرح الكوكب المنير (٣/ ٤٨٢).
(٨) المرجع السابق (٣/ ٤٨٣).

فمن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[١]. فقد استدل بذلك المفهوم: الزهريُ، فجعل الكفارة واجبة في قتل العمد؛ لأنها إذا وجبت في قتل الخطأ ففي العمد أولى، لأن المأثم منه أعظم[٢].

ب- الاستدلال بمفهوم المخالفة:

مفهوم المخالفة وهو دليل الخطاب، وهو ما يخالف منظوم الخطاب، وهو مختلف في حجيته وشروطه عند أهل العلم بالأصول[٣].

وقد ورد الاستدلال به عن التابعين، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾[٤].

استدل بذلك طاوس والقاسم، وسالم، وعطاء، ومجاهد، بمفهوم المخالفة لكلمة (متعمدًا) فأسقطوا الجزاء على من قتل صيد الحرم خطأ؛ لأن الله تعالى أوجبه على المتعمد[٥].

وقريب من ذلك ما جاء أيضًا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ...﴾[٦]. فذكر سبحانه المحارم، ولم تذكر الآية الأعمام، والأخوال، والأجانب، فمفهوم الآية احتجاب المرأة عن غير المذكورين، وهذا مسلم في الأجانب، أما الأعمام، والأخوال، فلا يسلم هذا المفهوم.

---

(١) سورة النساء: آية (٩٢).
(٢) المغني (١٢/ ٢٢٨).
(٣) شرح الكوكب المنير (٣/ ٤٨٩-٤٩٨).
(٤) سورة المائدة: آية (٩٥).
(٥) المحلى (٧/ ٣٢٢، ٣٢٣).
(٦) سورة النور: آية (٣١).

فبين الشعبي سبب ذلك فقال: لئلا يضعها العم عند ابنه، وهو ليس بمحرم لها، وكذا الخال، فيفضي إلى الفتنة[١].

٨ ـ بيان المجمل:

قد يختلف التابعون في حكم مسألة بسبب اختلافهم في بيان المجمل.

فيحمله بعضهم على شيء، والآخرون على شيء آخر، فمن ذلك اختلافهم في القُرء الذي تحسب به عدة المطلقة، هل هو الحيض أو هو الطهر؟ على قولين:

١ ـ أنها تكون بالحيض، وبه قال مجاهد، وقتادة، وعكرمة، والنخعي، والسدي والحسن، وهو قول عمر، وابن مسعود، والأشعري.

٢ ـ أنها تكون بالطهر، وبه قالت عائشة، وابن عمر، ورواه سعيد عن زيد بن ثابت[٢].

أدلة أصحاب القول الأول:

قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾[٣]، قالوا: إن القُرْء هنا هو الحيض.

فعن همام بن يحيى قال: سمعت قتادة في قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ يقول: جعل عدة المطلقات ثلاث حيض، ثم نسخ منها المطلقة التي طلقت قبل أن يدخل بها زوجها، واللائي يئسن من الحيض، واللائي لم يحضن، والحامل.

وعن عطاء الخراساني، عن ابن عباس ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ

---

(١) البرهان (٢/ ١٨٢)، وعنون له الزركشي بقوله: (قد يستنبط الحكم من المسكوت عن الشيء).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٥٠٠ـ٥٠٦).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٣٨).

قُرُوءٍ﴾ قال: ثلاث حيض[١].

عن معمر عن رجل سمع عكرمة قال: الأقراء الحيض، وليس بالطهر، قال تعالى: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ ولم يقل: «لقرئهن»[٢].

عن إبراهيم النخعي أنه رفع إلى عمر فقال لعبد الله بن مسعود: لتقولن فيها، فقال: أنت أحق أن تقول! قال: لتقولن، قال: أقول: إن زوجها أحق بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة. قال: ذاك رأيي وافقت ما في نفسي. فقضى بذلك عمر[٣].

عن النخعي عن قتادة: أن عمر بن الخطاب، قال لابن مسعود... فذكر نحوه[٤].

وعن الحسن قال: قال عمر: هو أحق بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة[٥].

وعن الحسن: أن رجلاً طلق امرأته تطليقة أو تطليقتين، ثم وكل بها بعض أهله، فغفل الإنسان حتى دخلت مغتسلها، وقربت غسلها، فأتاه فآذنه، فجاء فقال: إني قد راجعتك؟ فقالت: كلا والله! قال: بلى والله! قالت: كلا والله! قال: بلى والله! قال: فتخالفا، فارتفعا إلى الأشعري، واستحلفها بالله: لقد كنت اغتسلت، وحلّت لك الصلاة، فأبت أن تحلف فردّها عليه[٦].

وعن أبي قلابة قال: أخبرنا معمر عن قتادة قالا: راجع امرأته حين وضعت ثيابها تريد الاغتسال فقال: قد راجعتك. فقالت: كلا! فاغتسلت، ثم خاصمها إلى الأشعري فردها عليه.

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٥٠٠) ٤٦٧٠.
(٢) تفسير الطبري (٤/ ٥٠١) ٤٦٧٢.
(٣) تفسير الطبري (٤/ ٥٠١) ٤٦٧٥.
(٤) تفسير الطبري (٤/ ٥٠١) ٤٦٧٧.
(٥) تفسير الطبري (٤/ ٥٠٢) ٤٦٨٠.
(٦) تفسير الطبري (٤/ ٥٠٣) ٤٦٨٧.

وعن إبراهيم أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: يحل لزوجها الرجعة عليها حتى تغتسل من الحيضة الثالثة، ويحل لها الصوم[1].

أدلة أصحاب القول الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ قالوا: إن القرء هنا الطهر، وليس الحيض.

وعن عائشة قالت: إذا دخلت المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها، وحلت للأزواج. قال الزهري: قالت عمرة: كانت عائشة تقول: القرء الطهر، وليس بالحيضة.

عن سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار: أن زيد بن ثابت قال: إذا دخلت المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها، وحلت للأزواج. قال معمر: وكان الزهري يفتي بقول زيد.

عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن زيد بن ثابت قال: إذا دخلت في الحيضة الثالثة فلا رجعة له عليها.

وفي رواية: عن ابن المسيب في رجل طلق امرأته واحدة، أو اثنتين قال زيد بن ثابت: إذا دخلت في الحيضة الثالثة فلا رجعة له عليها ـ وزاد ابن أبي عدي قال: قال علي بن أبي طالب: هو أحق بها ما لم تغتسل.

وعن ابن عمر، وزيد بن ثابت، أنهما كانا يقولان: إذا دخلت المرأة في الدم من الحيضة الثالثة فإنها لا ترثه، ولا يرثها، وقد برئت منه، وبرئ منها.

وعن نافع أن معاوية بعث إلى زيد بن ثابت فكتب إليه زيد «إذا دخلت في الحيضة

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٥٠٥) ٤٦٩٥.

الثالثة فقد بانت» وكان ابن عمر يقوله[١] .

٩- دلالات الأمر والنهي :

للأمر والنهي دلالات عدة، ومن ذلك دلالة الأمر على الوجوب، ودلالة النهي على التحريم والفساد.

وقد جاء عن التابعين شيء من ذلك، فمما وقفت عليه مما يفهم منه ذهاب بعضهم إلى أن الأمر المجرد عن القرينة يفيد الوجوب؛ ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[٢]، استدل بذلك سعيد بن المسيب، والحسن، وجابر بن زيد على وجوب الإشهاد في الرجعة، قال ابن قدامة، وظاهر الأمر الوجوب[٣].

ومن ذلك- أيضًا- ما ورد عنهم في الاستدلال على وجوب العمرة بالأمر الوارد في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[٤].

ومن باب دلالة النهي على الفساد :

ما جاء عن القاسم بن محمد أنه فسخ بيعًا وقع في وقت الجمعة لقوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾[٥].

وكذلك استدلال عطاء، ومجاهد، والشعبي، والنخعي، والقاسم، وغيرهم على بطلان الخلع، وتحريم أخذ العوض إذا أكرهت المرأة عليه بسبب عضل الزوج، ومضارتها بالضرب، والتضييق، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ

---

(١) تنظر الآثار في تفسير الطبري (٤/ ٥٠٦- ٥١٠).
(٢) سورة الطلاق : آية (٢).
(٣) المغني (١٠/ ٥٥٩)، والمحلى (١١/ ١٦٧).
(٤) سورة البقرة: آية (١٩٦).
(٥) سورة الجمعة: آية (٩) وينظر في ذلك المحلى (٥/ ١١٩).

شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾[٢].

والنهي هنا يقتضي التحريم، وفساد المنهي عنه[٣].

٩ ـ الاستدلال بالعرف :

الاستدلال العرف أمر درج عليه الأصوليون، وإن كانوا اختلفوا في جعله دليلاً مستقلاً، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ ﴾[٤].

لاحظ التابعون أن الآية أحالت في تقدير ذلك إلى العرف، ولذا ذهبوا في تفسيرها إلى مذاهب شتى :

فجاء عن عبيدة أنه الخبز والسمن.

وعن ابن سيرين: أفضله الخبز، واللحم، وأوسطه الخبز والسمن، وأخسه الخبز والتمر.

وعن الحسن قال: خبز ولحم، أو خبز وسمن، أو خبز ولبن.

واختلفوا في مقدار ذلك، هل هو معين من حنطة، أو صاع من سائر الحبوب، أو من واحد من تمر ومن بر، أو غير ذلك؟.

وكذلك في مقدار الكسوة هل هي ثوب أوثوبان، أو قميص، أو رداء، أو إزار، أو عباءة، أو شيء من ذلك مع عمامة... إلخ[٥].

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٢٩).
(٢) سورة النساء: آية (١٩).
(٣) المغني (١٠/ ٢٧٢).
(٤) سورة المائدة: آية (٨٩).
(٥) المغني (١٣/ ٥١٠).

وهذا كله منهم مراعاة للعرف في وقتهم، مما دلَّ على اعتمادهم عليه حجة في مثل هذا، والله أعلم.

١١ ـ الاستنباط من اللغة وعادات العرب وأسباب النزول :

لم يغفل التابعون اللغة عند استنباطهم الأحكام الشرعية من القرآن، وهذا أمر بدهي، لأن القرآن نزل بلغة العرب، فمن لم يعرفها فكيف يمكن أن يفهم المراد من الأوامر والنواهي[١] ؟

إلا أنني رأيت أنهم لم يغفلوا ـ أيضًا ـ أسباب النزول، وعادات العرب في الجاهلية، فوضعوها نصب أعينهم حتى يتعرفوا على الأحكام من خلالها[٢] .

فمن ذلك ما جاء في آيات الحج في سورة البقرة قال تعالى : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُم** ﴾[٣] ، وأنه لما كان الله تعالى قد منع الجدال في الحج، وكانت المعاملات التجارية تفضي إلى الجدال والمخاصمة، كانت التجارة مظنة المنع، وأيضًا لما حظر لبس المخيط والإنسان قد يكون شديد الحاجة، وكانت التجارة مظنة الحظر، فمن أجل ذلك قال الله تعالى : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُم** ﴾[٤] فإذا قيل : فإن الفعل المذكور في الآية نكرة يمكن أن يحمل على الفعل الشرعي، كالاستزادة من الصلاة، أو الصيام، وقراءة القرآن في الحج، فما الذي يجعلنا نقصره على التجارة ونحوها علمًا أن هذا خروج بالعموم من عمومه؟[٥] .

---

(١) ومن ذلك ما مرَّ من اختلافهم في معنى القرء في قوله تعالى : ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ** ﴾.

(٢) مرَّ بيان ذلك ص (٧٧٣).

(٣) سورة البقرة: آية (١٩٨).

(٤) تفسير آيات الأحكام لمحمد علي السايس (١/ ١٠٨).

(٥) سبق أن الراجح عند الأصوليين أن النكرة في سياق النفي تعم.

فالجواب ما نجده عند مجاهد، وقتادة، والربيع، فقد بينوا لنا سبب نزول الآيات؛ وذلك أن العرب كانوا يحجون، ولا يتجرون، ويتحرجون من التجارة في الحج، فنزلت هذه الآية[1]، فصار سبب النزول معينًا على فهم معنى الآية، وكما يظهر فلا معرفة لنا به إلا إذا كنا على علم بعادات العرب في الجاهلية.

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[2]، نجد أنفسنا بين أمرين:

الأول: أن تكون الإفاضة المذكورة من عرفات.

الثاني: أن تكون الإفاضة هي الإفاضة من مزدلفة قبل طلوع الشمس، وقد استشكل كل من الأمرين.

أما بالنسبة للأول فلأن الله قال قبل ذلك: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ وهنا قال: ﴿ثم أفيضوا﴾، والمعروف أن الإفاضة واحدة.

وأما بالنسبة للثاني فلأن (حيث) للظرفية المكانية، والقول الثاني يدور حول الإفاضة قبل طلوع الشمس أي الزمانية، ثم لفظ (الناس) من أسماء الأجناس التي تدل على العموم.

وبسبب هذا الإشكال في فهم الآية نجد أئمة التابعين يرجعون في فهمها إلى عادات العرب، فيوردون سبب ذلك وهو أن قريشًا كانت تقول: نحن الحمس، أهل الحرم، ولا نخلف الحرم، ويبقون في مزدلفة، فأمروا أن يبلغوا عرفة، جاء هذا عن مجاهد، وقتادة، والسدي، والربيع، وغيرهم[3].

وبذلك عرفنا أن المراد هو الإفاضة من عرفات، ثم بعد ذلك يسهل توجيه

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ١٦٢-١٦٩) ٣٧٦٢-٣٧٧٧-٣٧٨١-٣٧٨٧.

(٢) سورة البقرة: آية (١٩٨).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ١٨٧) ٣٨٣٥-٣٨٣٩.

الإشكال بأن تكون (ثم) بمعنى الواو، أو أن (ثم) للترتيب الذكري، أو أن (ثم أفيضوا) معطوف على قوله: (واتقون)، وقد أجاز بعضهم أن تكون هذه الآية متقدمة على تلك، ولكنه مجرد احتمال[١].

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[٢].

نجد في هذه الآية الأمر بالذكر، والذكر قد يكون عامًا فيشمل كل ما دل عليه اسم الجنس هذا، وقد يخصص فيكون المراد التكبير بعد الصلاة في يوم النحر، وأيام التشريق، لأنه لم يعرف في هذه الأيام ذكر خاص إلا هذا الذكر، وقد يكون المراد غير ذلك. ولذا نجد أئمة التفسير يرجعون في استنباط الحكم من الآية إلى عادات العرب التي أشارت الآية إليها ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾.

وهي أن القوم في جاهليتهم بعد فراغهم من حجهم ومناسكهم كانوا يجتمعون فيتفاخرون بمآثر آبائهم، فأمرهم الله في الإسلام أن يكون ذكرهم بالثناء، والشكر والتعظيم لربهم، وقوله: ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ أي (بل) أشد ذكرًا، وجاء هذا المعنى عن مجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وغيرهم[٣].

فتكون الآية تربية لهم لتحويلهم عن هذه العادة القبيحة، فإن الأرض بكم وقد أنعم الله عليكم بشهود الحج أن تشغلوا بذكر الله لا بذكر آبائكم، يعني توافروا على ذكره، كما كنتم تتوافرون على ذكرهم، بل هذا أولى، لأن ذكركم وثناءكم على آبائكم قد يكون كذبًا[٤].

---

(١) انظر هذه الأجوبة في تفسير آيات الأحكام للسايس (١/ ١١٠)، وقد أجاب على الإشكال الثاني بأن (حيث) يمكن أن تكون للتوقيت بالمكان، كما أنها للتوقيت بالزمان.

(٢) سورة البقرة: آية (٢٠٠).

(٣) تفسير آيات الأحكام للسايس (١/ ١١١).

(٤) تفسير الطبري (٤/ ١٨٧)، الآثار ٣٨٣٥-٣٨٣٩.

ولذا فلمـا أمـر الله بالذكر عقبه ما يكون من الناس في الدعاء، ليأخذوا بأحسن الأحوال، ويتركوا غيره: فقال: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[١].

١٢ ـ موقف التابعين من إطلاق الأحكام التكليفية:

المقصود بالأحكام التكليفية: الأحكام الخمسة التي هي الفرض، والمستحب، والمباح، والمكروه، والحرام.

وذهب بعض أهل العلم إلى زيادة الواجب، وهم الحنفية الذين جعلوا الفرض ما يثبت بالقرآن والمتواتر، والواجب ما ثبت بخلاف ذلك[٢]؛ وإلا فإن الصحابة، وأئمة التابعين، لم يكونوا يفرقون بينهما، وعلى ذلك الجمهور، وإليه ذهب الحنفية أيضًا؛ أي: التفريق بين المكروه تحريمًا، والمكروه تنزيهًا، وجعلوا كراهة التحريم أقل مرتبة من الحرام[٣].

وأما كراهة التنزيه فهي لا تنافي الإباحة، هذا ما استقر عليه القول في الأحكام التكليفية[٤].

وقد لاحظت أن أئمة التابعين لم يكونوا يطلقون الأحكام التكليفية (الحرام) أو (الوجوب) إلا فيما كان فيه الدليل قطعيًا، ولذا فمع استقرائي لاستنباطاتهم الحكم من آيات الأحكام لم ألحظ لهم قولاً شاذًا يطلق التحريم أو الإيجاب في مسائل الاجتهاد، بل كانت أقوالهم وفتاواهم تدور حول أمري ـ (يعجبني)، (لا ينبغي) ونحو ذلك،

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٠١ ـ ٢٠٢).

(٢) يراجع في ذلك فواتح الرحموت (١/ ٥٨)، وشرح الكوكب المنير (١/ ٣٤٥).

(٣) ينظر فتح الباري (٢/ ٣٦٣) ٥٥٩ ـ (٣/ ٣١٨).

(٤) فواتح الرحموت (١/ ٥٨).

حتى المدرسة البصرية التي كانت تميل لمنهج الوعظ، وكانت عباراتها شديدة لم تكن تطلق الأحكام القطعية في موارد الاجتهاد، وقد تبين لي ذلك من خلال استقراء ما ورد عنهم من اجتهادات في التفسير والاستنباط، وهم في هذا كله متأدبون بأدب القرآن الكريم[١].

﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ﴾[٢] ، وقوله: ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ﴾[٣] .

* * *

(١) فتح الباري (٤/ ١٥٠).
(٢) سورة النحل: آية (١١٦).
(٣) سورة الأنعام: آية (١٥٠).

المبحث الرابع

منهجهم في تلقي ورواية الإسرائيليات

إن التفسير ثروة ضخمة، وعلم لا ساحل له، فهو علم يحتاج من الإنسان علومًا ومعارف عظيمة متنوعة، من لغة، وإعراب، وبلاغة، وفقه، واطلاع على الخلافات، والفرق، والتاريخ، وغير ذلك من العلوم.

وكان من المتوقع أن يصطدم المفسرون بروايات أهل الكتاب عن كتبهم، ويحدث عند المسلمين رد فعل لذلك، إلا أنه مما سهل خطب هذا الأمر وجود الآثار النبوية التي توضح لنا الموقف من مرويات أهل الكتاب، فإن الآثار الواردة عنه ﷺ منها ما قد نُسخ بغيره، وهي آثار المنع المطلق، ولم يبلغ النسخ بعضهم فتشدد في منع الرواية عنهم مطلقًا، ومنهم من فهم من الرخصة أمرًا أوسع مما جاءت به، فانطلق في روايته عنهم.

وأحاول في هذا البحث أن أبين منهج التابعين في تلقي الإسرائيليات وآدائها في التفسير خاصة، ولا سيما أن الرواية عن بني إسرائيل كثرت في عصر متأخري التابعين من مثل السدي، وغيره، وإن كان قبله قد ظهر كعب الأحبار، ووهب بن منبه؛ إلا أنهم أقل منه في هذا الباب، ثم إنهم ليسوا من مشاهير مفسري التابعين[1].

سبب التسمية :

إسرائيل: اسم أعجمي مركب من «إسرا» وهو العبد، و«إيل» من أسماء الله، فكأنه عبد الله[2]، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام،

---

(١) ومرادي بذلك أنهم ليسوا ممن صارت لهم شهرة بالمعنى الذي ذكرته في مقدمة فصل أشهر رجال المدارس ص (٨٠).

(٢) وفيه أقوال أخرى تنظر في البحر المحيط (١/ ١٧١).

ومن ذريته كانت اليهود، والإسرائيليات الموجودة في كتب التفسير ليست كلها من اليهود، بل منها ما هو عن النصارى، فكان المتوقع أن تكون التسمية تشمل ما ورد عن أهل الكتاب يهودًا كانوا أو نصارى، إلا أن الذي درج هو تسميتها بالإسرائيليات نسبة لليهود ذرية يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهذه التسمية تسمية أغلبية لعدة أسباب:

١ ـ وجود النص النبوي (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج).

٢ ـ كثرة اليهود في المدينة، وقلة النصارى بها[١].

٣ ـ الرواية عن اليهود أكثر عددًا، فبالنظر إلى المروي عن موسى وعيسى، نجد المروي عن موسى أكثر عددًا[٢]، حتى عند أهل الكتاب، وقد يرجع السبب إلى أن عيسى عليه السلام لم ينسخ كل شريعة موسى وإنما بعضها، ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[٣] و ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾[٤].

كل هذه الأسباب وغيرها، كانت الباعث على تسمية المروي عن أهل الكتاب بالإسرائيليات، وإن كان منه ما هو ليس عن بني إسرائيل.

الإسرائيليات بين القبول والرد:

ورد في شأن الحديث عن أهل الكتاب أخبار صحيحة، منها ما يمنع ومنها ما يبيح، ولهذا اختلف أهل العلم في المراد بها.

فعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أتى

---

(١) علوم القرآن والتفسير، لعبد الله شحاتة (٢٤٥).

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (١٤).

(٣) سورة آل عمران: آية (٥٠).

(٤) سورة آل عمران: آية (٥٠).

النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النبي ﷺ فغضب فقال: «**أمتهوكون**[١] **فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني**»[٢].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا**»[٣].

وعن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»[٤].

فهذه بعض الأحاديث التي رويت في هذا الباب، والظاهر أن الحديث الأخير هو الرخصة المتأخرة، لما تقرر من أن الرخصة إنما تكون بعد العزيمة، يؤيده فهم الراوي لحديث الإباحة منه ذلك، وهو عبد الله بن عمرو بن العاص، وكان أكثر الصحابة حديثًا عن أهل الكتاب.

قال ابن حجر: قوله: (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) أي: لا ضيق عليكم

---

(١) التهوك: التحير، وفي الحديث: «أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟»، قال الحسن: معناه متحيرون، ينظر مختار الصحاح (٦١٨).

(٢) رواه أحمد في مسنده(٣/ ٣٨٧) ١٥١٦٤، ط شاكر.

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب (قولوا آمنا بالله، وما أنزل إلينا)، ينظر الفتح (٨/ ١٧٠) ٤٤٨٥.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ينظر الفتح (٦/ ٤٩٦) ٣٤٦١، ورواه الترمذي في سننه كتاب العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل (٥/ ٣٩) ٢٦٦٩.

في الحديث عنهم؛ لأنه تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية، والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور، وقع الإذن في ذلك؛ لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار[١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر حديث الإباحة: ولهذا كان عبد الله بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك، ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد[٢].

وقد ورد في معنى الحديث أقوال أخر، يقول ابن حجر: وقيل: لا حرج في أن لا تحدثوا عنهم؛ لأن قوله أولاً: (حدثوا) صيغة أمر تقتضي الوجوب، فأشار إلى عدم الوجوب، وأن الأمر فيه للإباحة بقوله: (ولا حرج) أي: في ترك التحدث عنهم.

وقيل: المراد رفع الحرج عن حاكي ذلك لما في أخبارهم من الألفاظ الشنيعة، نحو قولهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾[٣]، وقولهم: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا﴾[٤].

وقيل: المراد ببني إسرائيل: أولاد إسرائيل نفسه، وهم أولاد يعقوب، والمراد حدثوا عنهم بقصتهم مع أخيهم يوسف، وهذا أبعد الأوجه.

وقال مالك: المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا.

---

(١) فتح الباري (٦/ ٤٩٨).
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٦).
(٣) سورة المائدة: آية (٢٤).
(٤) سورة الأعراف: آية (١٣٨).

وقيل: المعنى حدثوا عنهم بمثل ما ورد في القرآن، والحديث الصحيح، وقيل: المراد جواز التحدث عنهم بأي صورة وقعت من انقطاع، أو بلاغ؛ لتعذر الاتصال في التحدث عنهم، بخلاف الأحكام الإسلامية، فإن الأصل في التحدث بها الاتصال، ولا يتعذر ذلك لقرب العهد.

وقال الشافعي: من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب، فالمعنى: حدثوا عن بني إسرائيل مما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم، وهو نظير قوله: «**إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم**»، ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يُقطع بصدقه[1].

ثم ذكر ابن حجر بعض أحاديث المنع فقال: قال ابن بطال عن المهلب: هذا النهي إنما هو في سؤالهم عما لا نص فيه؛ لأن شرعنا مكتف بنفسه، فإذا لم يوجد فيه نص، ففي النظر والاستدلال غنى عن سؤالهم، ولا يدخل في النهي سؤالهم من الأخبار المصدقة لشرعنا، والأخبار عن الأمم السالفة، وأما قوله تعالى: ﴿**فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك**﴾، المراد به: من آمن منهم، والنهي إنما هو عن سؤال من لم يؤمن منهم، ويحتمل أن يكون الأمر مختصًا بما يتعلق بالتوحيد والرسالة المحمدية، وما أشبه ذلك، والنهي عما سوى ذلك[2].

تقرر من ذلك أن الإذن بالتحديث هو الرافع المبيح، فالمعلوم أن أحاديث أهل الكتاب فيها كذب كثير، وهذا كما جاء في كلام مالك والشافعي، مما لا تحل روايته.

وكذلك عندهم ما لا يتوقف ثبوت ديننا عليه مما جازت روايته، فهل تكفي الرواية دون التمحيص؟! والجواب أن ما لم يعلم كذبه، ولا صدقه، فالأصل فيه الإباحة؛

---

(١) فتح الباري (٦/ ٤٩٨-٤٩٩).

(٢) الفتح (١٣/ ٣٣٤).

للحديث المبيح، لكن قد يكون البحث ناقصًا.

يقول شيخ الإسلام بعد أن ذكر أن الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد: فإنها على ثلاثة أقسام:

«أحدها» ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.

و«الثاني» ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

و«الثالث» ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك.

كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿ **سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا** ﴾[1].

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعف القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدل على صحته: إذ لو كان باطلاً لرده كما ردهما، ثم أرشد إلى أن الاطلاع على

(١) سورة الكهف: آية (٢٢).

عدتهم لا طائل تحته، فيقال في مثل هذا: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه؛ فلهذا قال: ﴿فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ أي لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك، فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب.

فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن ينبه على الصحيح منها، ويبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لافائدة تحته، فيشتغل به عن الأهم، فأما من حكى خلافًا في مسألة، ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص؛ إذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكي الخلاف ويطلقه، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضًا، فإن صحح غير الصحيح عامدًا فقد تعمد الكذب، أو جاهلاً فقد أخطأ، كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته، أو حكى أقوالاً متعددة لفظًا ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معىً فقد ضيع الزمان، وتكثر بما ليس بصحيح، فهو كلابس ثوبي زور، والله الموفق للصواب[1].

وقد نقل الإمام ابن كثير كلام شيخ الإسلام بطوله في مقدمة تفسيره واعتمده عند تعرضه للتفسير[2]، فنقل عن التابعين وأتباعهم، بعض ما رووه من الإسرائيليات، وإن كان غالبًا ما يعلق على المنكر منها.

وأما الشيخ أحمد شاكر فقد خالف هذا المسلك في اختصاره لابن كثير فقال: إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن، وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يتعين فيها، أو في تفصيل ما أجمل فيها ـ شيء آخر!! لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٦ ـ ٣٦٨).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٨).

أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه، ومفصل لما أجمل فيه، وحاشا الله وكتابه من ذلك[١].

أما حال التابعين فقد اختلف في هذا المسلك، فمنهم من اعتمد هذه الروايات المبينة، واعتمدوا فعل الصحب الكرام في الجواز، وأكثر منها مستأنسًا، في حين أننا نجد البعض الآخر قد ترك الاعتماد على هذا المصدر، وأعرض عن هذا المنهج إعراضًا كليًا بناءً على قناعته وعدم رضاه، ولم تختص بذلك مدرسة دون أخرى.

فها هو عطاء كان من المدرسة المكية التي تعد من أكثر المدارس تساهلاً في الرواية عن أهل الكتاب، ومع ذلك فإنه يعتبر من أقل التابعين في هذا الجانب، فالمروي عنه قليل جدًا[٢].

ومما تجدر الإشارة إليه أن التابعين الذين اعتمدوا منهج الأخذ عن بني إسرائيل، واعتبروا ذلك أحد مصادر تفسيرهم، لم يكثروا في هذا الجانب، بل بقيت النسبة في حدود مقبولة في سائر عصر التابعين، وإن كان بعض المتأخرين منهم كالسدي قد خالف هذا المنهج، وانفرد بالإكثار من الرواية، أما بقيتهم بل جميعهم، فلم ينقل عنهم إلا القليل[٣].

ثم إن هؤلاء لم يدخلوا في كثير من التفاصيل، وتبقى روايتهم للمنكر من القصص قليلة أيضًا بالنسبة لما رووه عن بني إسرائيل، والله أعلم[٤].

---

(١) عمدة التفاسير (١/ ١٥).

(٢) وقد سبق أن فصلت هذه المسألة في ترجمة عطاء ص (١٩٥).

(٣) باستثناء السدي، فإن مشاهير مفسري التابعين لم يعتمدوا تلك الأخبار في تفاسيرهم، فإن المروي عنهم في التفسير (١٧١٧٢) أثراً، منها (٣٥٥) في الإسرائيليات، أي أن نسبة المروي عنهم لا تزيد على (٠,٢) من مجموع تفسيرهم.

(٤) ظهر لي أنه يمكن أن تكون كل الأحاديث معمولاً بها لا نسخ فيها، وأن تحمل رواية المنع على من لا علم له، أو ما زال دينه رقيقًا؛ لأن المنع جاء في بداية الدعوة قبل انتشارها، وتمكنها من القلوب خشية تسرب الشك للمؤمنين، وأما من كان قويًا في دينه ومعتقده فلا عليه أن يحدث =

جماع أعذار المفسرين في النقل عن بني إسرائيل :

سبق بيان أقوال أهل العلم في جواز الرواية عن بني إسرائيل فيما لا يعلم كذبه، وذلك للاستشهاد لا للاعتقاد، ومع ذلك فقد وجدنا في بعض ما نقل إلينا ما لا يصلح أن يعتمد عليه ولو في الاستشهاد.

والمطالع لأحوال التابعين يجدهم يروون الآثار دون حرج يذكر ممن يرويها، وأعتقد أن الحساسية الموجودة اليوم من مجرد الرواية للإسرائيليات لم تكن موجودة بمثل هذا التحرج الموجود اليوم، فالتابعون كانوا يوردون الإسرائيليات للاستشهاد لا للاعتقاد، ولذلك فإن القصة التي تنقلها هذه الرواية لا يعتمدون عليها، بل يذكرونها لكونها حدثًا تاريخيًا مثلاً يوضح شيئًا من المراد من تلك القصة، ولا يؤدي هذا بهم إلى تصديقها مع الأثر الوارد: «**لا تصدقوا أهل الكتاب**».

وثمة عذر آخر، وهو أنهم تركوا لمن بعدهم فرصة التعرف عليها وبيان سقيمها من صحيحها.

قال الطوخي: إنهم دونوا كثيراً من الإسرائيليات لما يظنون به أن له نفعًا؛ لتبيين بعض النواحي في أنباء القرآن الكريم من معارف عصرهم المتوارثة من اليهود وغيرهم، تاركين أمر غربلتها لمن بعدهم من النقاد؛ حرصًا على إيصال تلك المعارف إلى من بعدهم؛ لاحتمال أن يكون فيها بعض فائدة من إيضاح مجمل، لا لتكون حقائق يراد اعتقادها، والأخذ بها على علاتها دون تمحيص، فلا تثريب على من دون الإسرائيليات بهذا القصد.

= عنهم بالشرط المذكور وهو عدم التصديق، أو التكذيب فيما لا يعلم كذبه، وسيأتي أن ابن عباس كان ينهى عن الحديث عنهم، في حين حدث عنهم مما يبلغ قرابة الثلاثمائة وخمسين رواية. والله أعلم.

ثم مثل ذلك بصنيع رواة الحديث حين عنوا بادئ ذي بدء بجمع الروايات كلها، تاركين أمر التمييز بين صحاحها وضعافها لمن بعدهم من النقاد[١] .

موقف المدارس التفسيرية من الإسرائيليات :

لم تكن المدارس المختلفة على نهج واحد في تلقي الإسرائيليات، بل لم يكن أتباع المدرسة الواحدة على منهج واحد في قبول أو رواية الإسرائيليات، ولكننا يمكن أن نلحظ عاملاً مشتركًا أغلبيًا في كل مدرسة على حدة كما سيأتي، كما يمكن أن ندرك على سبيل عموم التابعين خمسة أقسام رئيسة :

١ ـ معرض عنها؛ كالحسن، والنخعي، والشعبي، وعطاء، ويعد النخعي من أشدهم على الإطلاق في قبول ورواية الإسرائيليات.

٢ ـ متورع في روايتها مع الاختصار والاحتياط؛ نحو قتادة.

٣ ـ مورد لها باختصار مع الحرص على رواية المقبول؛ كعكرمة، ومجاهد.

٤ ـ متردد في المنهج؛ كالربيع بن أنس، فإننا نجده ينقله بطوله، وتارة نجده يحتاط كسائر البصريين.

٥ ـ متساهل مكثر؛ كالسدي في المقام الأول، ومحمد بن كعب، وأبي العالية، وابن جبير في المقام الثاني[٢] .

وبعد هذا أستعرض المدارس الرئيسة للتفسير لبيان موقفها من الإسرائيليات :

---

(١) مقالات الكوثري (٣٤).

(٢) بلغت نسبة الإسرائيليات في عموم روايات السدي (٠,١٦)، يليه في ذلك محمد بن كعب القرظي (٠,٠٧)، ثم أبو العالية (٠,٠٦٥)، فابن جبير (٠,٠٦).

المدرسة المكية:

تعد المدرسة المكية من أكثر المدارس توسعًا في الاعتماد على روايات أهل الكتاب، وأسباب ذلك ترجع إلى:

١ ـ شيخ المدرسة ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ:

لقد كان ابن عباس ينعي على المسلمين سؤال أهل الكتاب، كما أخرج البخاري عنه أنه قال: يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله محضًا لم يُشَب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا، فكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمنًا قليلاً، أو لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم[١].

ومع هذا فقد كان ابن عباس يكثر من سؤال كعب الأحبار، فعن عبد الرحمن بن الأعرج قال: كان ابن عباس يقرأ ﴿في عين حمئة﴾ ثم فسرها ذات حمأة، قال لنافع: واسأل عنها كعب فقال: أنتم أعلم بالقرآن مني، ولكني أجدها في الكتاب: تغيب في طينة سوداء[٢].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة، ينظر الفتح (٥/ ٢٩١) ٢٦٨٥، ورواه أيضًا في كتاب الاعتصام باب قول النبي ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء»، ينظر الفتح (١٣/ ٣٣٣)، ورواه أيضًا في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾، ينظر الفتح (١٣/ ٤٩٦) ٧٥٢٣.

(٢) تفسير نافع بن أبي نعيم (٤٢)، وتفسير الطبري (١٦/ ١١)، وتفسير ابن كثير (٥/ ١٨٩)، وأورده السيوطي بذكر قصة في أوله، وفيه فقال: فأرسل إلى كعب فقال له: أين تجد الشمس تغرب في التوراة؟.. وذكر بقية الأثر بلفظ مقارب، وعزى السيوطي هذا الأثر إلى عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم (٥/ ٤٥٠).

ولعل السبب في هذا الاختلاف عن ابن عباس أنه كان يحذر؛ لئلا يسأل من ليس بأهل فيقع في شك، أو حيرة، في حين أن العالم المتمكن الذي لا يخشى عليه من ذلك له أن يسأل مستفيداً من الرخصة، ثم إن ظاهر كلامه أنه يخاطب غير أهل مكة؛ لأن مكة لا يدخلها غير مسلم، وهو يقول: (والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم).

والحاصل أن ابن عباس توسع في الرواية عن بني إسرائيل فتبعه أصحابه في ذلك، ولا سيما مجاهد.

ومن الأدلة الواضحة على توسع المدرسة المكية أننا نرى القادمين إليها قد تأثروا بها، وتوسعوا في الرواية عن بني إسرائيل تبعًا لتوسع أئمة المدرسة المكية، فعلى سبيل المثال نرى أبا العالية الذي تأثر بالمنهج المكي من أكثر البصريين رواية لها، وبدا هذا واضحًا في سلوك تلميذه الربيع

وكذلك من الكوفيين سعيد بن جبير والسدي، أكثروا من الروايات تأثرًا بمكة. في حين كانت المدرستان العراقيتان تتقيان هذا النمط، حتى إن الكوفيين قد انتقدوا تفسير مجاهد بسبب كثرة أخذه عن أهل الكتاب.

٢ ـ لقاؤهم كعب الأحبار:

لا شك أن وجود رجل مثل كعب بين ظهراني تابعي المدرسة المكية، وسؤال ابن عباس له، كان له الأثر القوي في كثرة الرواية عن أهل الكتاب في هذه المدرسة.

٣ ـ الوسط المكي الذي لا يوجد به يهود، فمكة لا يدخلها اليهود، لذا لم تكن ثمة حساسية في الرواية عن أهل الكتاب، في حين كان الحذر والحيطة في المدينة شديدين.

وقبل أن أختم الحديث عن المدرسة المكية أقف وقفة مع عكرمة، وعطاء، فمع حرصهما على الرواية عن شيخ المدرسة ابن عباس فقد كانت رواياتهم بعامة عن بني

إسرائيل قليلة .

فعكرمة وإن كان محبًا لأسباب النزول ، ومن المكثرين من الرواية عن ابن عباس فإنه أعرض عن كثير من الإسرائيليات ، ولم يرو عن ابن عباس منها إلا القليل ، وغالبها كان في بيان المبهمات[١] .

وأما عطاء فمما يحمد له أيضًا أنه مع انتمائه إلى مدرسة أكثرت من الرواية عن بني إسرائيل ، فقد خالفها في ذلك ، وأعرض عن تلك الروايات .

وبعد استعراض منهج المدرسة المكية في الأخذ عن بني إسرائيل ، أود أن ألفت النظر أن المشتهرين من الصحابة بالرواية عن بني إسرائيل كان أكثرهم من الصحابة الذين عاشوا بالمدينة ومكة[٢] ، مما يؤكد منهج المدرسة المكية في الإكثار من هذه الروايات .

المدرستان العراقيتان (البصرية والكوفية) :

انفردت مدرستا العراق ، وخاصة مدرسة الكوفة بقلة المروي عنها في الجانب الإسرائيلي ، فلا نكاد نجد فيها الكثرة التي كانت في المدرسة المكية ، وقد تعود أسباب ذلك إلى ما يلي :

١ ـ تأثر المدرستين بالمدرسة المدنية التي قلَّ فيها هذا النتاج ، ولا سيما أن عمر ـ رضي الله عنه ـ كان شديداً على كعب الأحبار ، لئلا يحدث الناس بما يفتنهم[٣] .

وتأثرت المدرسة الكوفية أيضًا بابن مسعود شيخها ، الذي كان بعيدًا عن الرواية في

---

(١) بلغ المروي عن ابن عباس في الإسرائيليات من طريق أصحابه (٣٤٦) رواية انفرد سعيد بن جبير فيها بنسبة (٢٦ , ٠) ، بينما لم يزد ما ورد عن عكرمة عنه على (١٠ , ٠) ، في حين لم تتعد نسبة المروي عن عطاء (٠٠٣ , ٠) أي : رواية واحدة فقط .

(٢) الإسرائيليات في التفسير والحديث (٥٦) ، (٧٦) .

(٣) السير (٣/ ٤٩٠) .

هذا الجانب، يحذو حذو عمر في أعماله، وأقواله.

٢ ـ كثرة الأهواء والفتن بالعراق، فقد حذر العلماء من هذه الروايات من قبل عهد التابعين، فقد جاء علي ـ رضي الله عنه ـ وأخرج القُصَّاص من مسجد الكوفة، وكانوا قد انتشروا في العراق، فكان ـ رضي الله عنه ـ يمنعهم. ومما يروى عنه ـ رضي الله عنه ـ أنه أخرج كل من فيه من القُصَّاص، ووقف عند الحسن البصري فرآه لم يخرج في قصصه عن القرآن، والدعوة إلى هدايته فتركه[١].

ومما يحمد للمدرسة البصرية أيضًا أنها مع تساهلها في الجانب الروائي لحديث المصطفى ﷺ، وتجويز روايته بالمعنى، وكثرة الأحاديث المرسلة عندهم، وميلها للوعظ والقص؛ فقد كانت بضاعة الإسرائيليات عندها قليلة.

ومما يدل على ذلك، ما نلحظه من تفسير الحسن، وتفسير غيره، والتفاوت بينهم، فعند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾[٢]، ذكروا في ذلك الأثر المنكر في تسمية عبد الحارث لولد حواء، وإشراكهما في التسمية، قال ابن كثير: وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كمجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومن الطبقة الثانية قتادة، والسدي، وغير واحد من السلف[٣]، في حين قد روي عن الحسن فقط المخالفة، ورجحه ابن كثير[٤].

المدرسة المدنية:

يعد أبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ من أقل الصحابة اعتمادًا على الإسرائيليات،

(١) القرآن المعجزة الكبرى لأبي زهرة (٥٦٤).
(٢) سورة الأعراف: آية (١٩٠).
(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣١).
(٤) المرجع السابق (٣/ ٥٣١).

فلم يرو عنه إلا خبران، وفي إسنادهما مقال[١] .

ومع عناية المدنيين، واهتمامهم بالمغازي، والسير، وتقدمهم فيها إلا أنه مما يلفت النظر إعراضهم عن قصص بني إسرائيل، وشدة تحرجهم من روايتها، واتضح هذا في طبقة كبار التابعين، ومتوسطيهم، وإن كثرت عند صغارهم كمحمد بن كعب، وبعده من أتباعهم محمد بن إسحاق .

الفرق بين الصحابة والتابعين في تناول الإسرائيليات :

لقد قمت بحمد الله باستعراض جل الآيات التي تكلم فيها التابعون وغيرهم في مجال الإسرائيليات، وقد بلغت نحواً من اثنين وأربعين موضعًا .

ثم قمت بدراسة هذه المواضع كلها، فتبين لي من خلالها أن هناك فروقات بين تناول الصحابة لبعض الآيات، وتناول التابعين لها .

وجماع هذه الفروقات فيما ظهر لي كما يلي :

١ ـ عدد المرويات :

كان المنقول عن الصحابة من الإسرائيليات أقل من المنقول عن التابعين[٢] .

٢ ـ كيفية إيراد المرويات :

الغالب على عموم الصحابة من المفسرين الإقلال من الرواية عن بني إسرائيل، إلا ما كان من حال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فإنه توسع في سرد قصص بني إسرائيل، ومن أهم الفروق بينه، وبين غيره من مشاهير مفسري التابعين أنه غلب عليه الإطالة،

---

(١) ينظر رسالة أبي بن كعب وتفسير القرآن (٣٧١) .

(٢) وجدت أن ما روي عن ابن عباس بلغ (٣٤٦) رواية، في حين كان المروي عن السدي (٢٧٧) رواية، ومجاهد (١٩٣) رواية، وعن قتادة (١٦٩)، أي أن مجموع ما روي عن التابعين أكثر من مجموع ما روي عن الصحابة .

والتفصيل في رواية تلك القصص، مع تساهله في إيراد بعض القصص المخالفة، والمنكرة، ويتضح لنا هذا جليًا بذكر بعض الأمثلة:

فقد جاء عنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾[1]، قال: لما هجم فرعون على البحر هو وأصحابه، وكان فرعون على فرس أدهم ذنوب حصان، فلما هجم على البحر، هاب الحصان أن يقتحم في البحر، فتمثل له جبريل على فرس أنثى وديق، فلما رآها الحصان تقحّم خلفها. قال: وعرف السامري جبريل؛ لأن أمه حين خافت أن يُذبح خلفته في غار وأطبقت عليه، فكان جبريل يأتيه فيغذوه بأصابعه، فيجد في بعض أصابعه لبنًا، وفي الأخرى عسلاً، وفي الأخرى سمنًا، فلم يزل يغذوه حتى نشأ. فلما عاينه في البحر عرفه، فقبض قبضة من أثر فرسه، وألقي في روع السامري: أنك لا تلقيها على شيء فتقول: «كن كذا وكذا» إلا كان. فلم تزل القبضة معه في يده حتى جاوز البحر.

فلما جاوز موسى وبنو إسرائيل البحر، وأغرق الله آل فرعون، قال موسى لأخيه هارون: اخلفني في قومي وأصلح. ومضى موسى لموعد ربه، قال: وكان مع بني إسرائيل حليّ من حليّ آل فرعون قد تعوروه، فكأنهم تأثموا منه، فأخرجوه لتنزل النار فتأكله. فلما جمعوه، قال السامري بالقبضة التي كانت في يده هكذا، فقذفها فيه وقال: كن عجلاً جسدًا له خُوار، فصار عجلاً جسدًا له خوار، وكان تدخل الريح في دبره وتخرج من فيه، يسمع له صوت، فقال: هذا إلهكم وإله موسى. فعكفوا على العجل يعبدونه، فقال هارون: يا قوم، إنما فتنتم به، وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري! قالوا: لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى[2].

وعندما نقارن هذا بما جاء عن مجاهد، حيث اقتصر واختصر، فقال: العجل حَسيلُ البقرة، ثم قال: حليُ استعاروه من آل فرعون، فقال لهم هارون: أخرجوه

(١) سورة البقرة: آية (٥١).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٦٣) ٩١٨، وينظر الأثر (٩٢١) فقد أطال في سرد، وتفصيل القصة.

فتطهروا منه وأحرقوه. وكان السامري أخذ قبضة من أثر فرس جبريل فطرحه فيه، فانسبك، فكان له كالجوف تهوي فيه الرياح[١].

وقال أبو العالية عند هذه الآية: إنما سُمي العجل؛ لأنهم عَجلوا فاتخذوه قبل أن يأتيهم موسى[٢].

والأمثلة غير هذا كثيرة[٣].

كما أن ابن عباس - رضي الله عنهما - تساهل في رواية بعض القصص الغريب والمنكر، فمن ذلك:

ما جاء عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[٤]، حيث قال: كان الذي أصاب سليمان بن داود، في سبب أناس من أهل امرأة يقال لها جرادة، وكانت من أكرم نسائه عليه. قال: فكان هوى سليمان أن يكون الحق لأهل الجرادة فيقضى لهم، فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدًا. قال: وكان سليمان بن داود إذا أراد أن يدخل الخلاء أو يأتي شيئًا من نسائه، أعطى الجرادة خاتمه. فلما أراد الله أن يبتلي سليمان بالذي ابتلاه به أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه، فجاء الشيطان، في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي! فأخذه فلبسه. فلما لبسه دانت له الشياطين، والجن والإنس. قال: فجاءها سليمان فقال: هاتي خاتمي! فقالت: كذبت، لست بسليمان! قال: فعرف سليمان أنه بلاء ابتلي به. قال: فانطلقت

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٦٨) ٩٢٣، ٩٢٥، ٩٢٦.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٦٨) ٩٢٤.

(٣) لملاحظة الفرق تُراجع الآثار التالية في تفسير الطبري (١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٢) و(٥٦٦٠، ٥٦٦٢، ٥٦٦٣)، و(١١٦٥٧، ١١٦٥٨، ١١٦٦٠)، و(١٨١٣٨، ١٨١٤١، ١٨١٣٤، ١٨١٣٥)، و(١٥/ ٢٠١، ١٥/ ٢٠٤).

(٤) سورة البقرة: آية (١٠٢).

الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتبًا فيها سحر وكفر، ثم دفنوها تحت كرسي سليمان، ثم أخرجوها فقرأوها على الناس وقالوا: إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب! قال: فبرئ الناس من سليمان وأكفروه، حتى بعث الله محمدًا ﷺ، فأنزل جل ثناؤه: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ - يعني الذي كتب الشياطين من السحر والكفر - ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾، فأنزل الله جل وعز عُذره[1].

وعندما نقارن هذا بالمروي عن التابعين نجد قتادة يقول عند تفسير هذه الآية: كتبت الشياطين كتبًا فيها سحر وشرك، ثم دفنت تلك الكتب تحت كرسي سليمان، فلما مات سليمان استخرج الناس تلك الكتب، فقالوا: هذا علم كتمناه سليمان! فقال الله جل وعز: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[2].

ونجد مجاهدًا يفسرها بقوله: كانت الشياطين تستمع الوحي من السماء، فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مثلها، وإن سُليمان أخذ ما كتبوا من ذلك فدفنه تحت كرسيه، فلما توفي وجدته الشياطين فعلمته الناس[3].

ومن ذلك أيضًا ما جاء عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾[4].

قال: أراد سليمان عليه السلام أن يدخل الخلاء، فأعطى الجرادة خاتمه وكانت جرادة امرأته أحب نسائه إليه، فجاء الشيطان في صورة سليمان، فقال لها: هاتي خاتمي، فأعطته، فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين، فلما خرج سليمان عليه

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤١٤) ١٦٦٠.
(٢) تفسير الطبري (٢/ ٤١٦) ١٦٦٤.
(٣) تفسير الطبري (٢/ ٤١٦) ١٦٦٥، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٥٣)، وزاد المسير (١/ ١٢١).
(٤) سورة (ص): آية (٣٤).

السلام من الخلاء قال لها: هاتي خاتمي فقالت: قد أعطيته سليمان، قال: أنا سليمان قالت: كذبت لست سليمان. فجعل لا يأتي أحدًا يقول: أنا سليمان إلا كذبه، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة، فلما رأى ذلك عرف أنه من أمر الله عز وجل، وقام الشيطان يحكم بين الناس.

فلما أراد الله تعالى أن يرد على سليمان عليه السلام سلطانه، ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان، فأرسلوا إلى نساء سليمان عليه السلام فقالوا لهن: أيكون من سليمان شيء؟ قلنا: نعم، إنه يأتينا ونحن حيض، وما كان يأتينا قبل ذلك.

فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له، ظن أن أمره قد انقطع، فكتبوا كتبًا فيها سحر ومكر، فدفنوها تحت كرسي سليمان، ثم أثاروها وقرأوها على الناس قالوا: بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم، فأكفر الناس سليمان، فلم يزالوا يكفرونه، وبعث ذلك الشيطان بالخاتم، فطرحه في البحر، فتلقته سمكة فأخذته، وكان سليمان عليه السلام يعمل على شط البحر بالأجر، فجاء رجل فاشترى سمكًا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فدعا سليمان عليه السلام فقال: تحمل لي هذه السمك؟ ثم انطلق إلى منزله، فلما انتهى الرجل إلى باب داره أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فأخذها سليمان عليه السلام، فشق بطنها فإذا الخاتم في جوفها، فأخذه فلبسه، فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين، وعاد إلى حاله، وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر، فأرسل سليمان عليه السلام في طلبه، وكان شيطانًا مريدًا يطلبونه ولا يقدرون عليه، حتى وجدوه يومًا نائمًا، فجاءوا فنقبوا عليه بنيانًا من رصاص، فاستيقظ، فوثب، فجعل لا يثبت في مكان من البيت إلا أن دار معه الرصاص، فأخذوه وأثقوه، وجاءوا به إلى سليمان عليه السلام، فأمر به فنقر له في رخام، ثم أدخل في جوفه، ثم سد بالنحاس، ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله:

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ﴾ يعني الشيطان الذي كان تسلط عليه[١] .

وقد ذكر ابن كثير هذه الرواية عن ابن عباس، وقوى إسنادها، وقال: في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء، فإن المشهور أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان، بل عصمهن الله منه، تشريفًا وتكريمًا لنبيه ﷺ[٢] .

وهذه القصة رويت عن بعض التابعين كمجاهد وقتادة[٣] وغيرهما، ومع هذا فلم يرو عنهم مسألة التسليط على النساء، بل إن قتادة فيما رواه ابن جرير عنه صرح بذلك فقال: سُلط على ملك سليمان كله غير نسائه[٤] .

٣ ـ ما انفرد به التابعون:

ومع هذا التميز في منهج التابعين، فإنهم قد انفردوا بعدد من المواضع[٥] التي لم أجد فيها رواية لأحد من الصحابة، ومنها ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[٦] ، حيث اختلفوا في السبب الذي من أجله سأل الملأ من بني إسرائيل نبيهم ذلك، فروى قصة ذلك وهب بن منبه[٧] ، والربيع بن أنس[٨] والسدي[٩] .

---

(١) أورده السيوطي في الدر وقوى إسناده، وعزاه إلى النسائي، وابن أبي حاتم عن ابن عباس به (٧/ ١٧٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٦٠).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٧).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٨).

(٥) كما سبق أن ذكرت أني قمت بتتبع أشهر مواضع الإسرائيليات، فوجدتها تروى في اثنين وأربعين موضعًا كما جاء ذلك عند الطبري، وانفرد التابعون باثني عشر موضعًا منها.

(٦) سورة البقرة: آية (٢٤٦).

(٧) تفسير الطبري (٥/ ٢٩٤ ـ ٢٩٧) ٥٦٣١.

(٨) تفسير الطبري (٥/ ٢٩٧) ٥٦٣٢.

(٩) تفسير الطبري (٥/ ٢٩٨) ٥٦٣٥.

وعند تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾[١]، قص وهب بن منبه[٢]، والسدي[٣] السبب الذي كان وراءه تمليك الله طالوت على بني إسرائيل، وقولهم لنبيهم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾، وعند تأويل قوله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٤]، فصل عكرمة[٥]، ووهب[٦] القول في سبب نذر امرأة عمران.

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي ذكرها ابن جرير الطبري[٧].

أسباب رواية الإسرائيليات في كتب التفسير:

سبق وأن بينت أن النبي ﷺ كان ينهى عن النظر في كتب اليهود، ونهى عن سؤال أهل الكتاب، ثم لما استقرت الشريعة أباح النبي ﷺ ذلك الأمر، بشرط ألا نكذبهم، وألا نصدقهم فيما لا نعلم كذبه يقينًا، ولكن بعد التتبع والاستقرار وجدت أن ثمة أسبابًا أخرى دفعت إلى الرواية عن بني إسرائيل في كتب الإسرائيليات غير الرخصة المذكورة، ومن ذلك.

١ ـ عنصر التشويق:

يذكر ابن خلدون في مقدمته أن العرب غلبت عليهم البداوة والأمية، وتشوقوا

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٤٧).
(٢) تفسير الطبري (٥/ ٣٠٦) ٥٦٣٦، ٥٦٣٧.
(٣) تفسير الطبري (٥/ ٣٠٩) ٥٦٣٨.
(٤) سورة آل عمران: آية (٣٥).
(٥) تفسير الطبري (٦/ ٣٣٢) ٦٨٧٥.
(٦) تفسير الطبري (٦/ ٣٤١) ٦٨٩٤.
(٧) تراجع الآثار التالية في تفسير الطبري (٧٠٠١، ٧٠٠٢) و(٧٠٩٨، ٧١٠٧، ٧١٢٢، ٧١٣٧، ٧١٤٢)، و(١٥/ ٢١٦)، (١٥/ ٢٢٢) و(١٦/ ٢١) و(١٩/ ١٦٨، ١٩/ ١٦٩)، و(١٩/ ١٥٦) و(٢٣/ ٨٢) و (٢٣/ ٩٢ـ٩٣).

لمعرفة ما تشوقت إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات والكونيات، وبدء الخليقة[١]، والمعروف أن التوراة في أسفارها بخاصة في سفر التكوين تميل إلى الإطناب والإفاضة، ورواية كل ما يتعلق بتكوين الخليقة[٢].

فنحن نرى مجاهداً على جلالة قدره، وهو شيخ المفسرين من التابعين بعامة، وإمام المدرسة المكية بخاصة كان شغوفًا بمعرفة العجائب والغرائب حتى إنه كان ليسافر لرؤية الأماكن التي جاء ذكرها في القرآن كبئر هاروت وماروت وغيرها[٣].

٢ ـ عدم وجود النص المرفوع:

وقد يدخل التابعي إلى التفسير عن بني إسرائيل من باب أنه لا يجد غير ذلك من النصوص في هذه الآية، فيجذبه النص الإسرائيلي حتى يرويه في التفسير، ولذا نجد أن جل الإسرائيليات جاءت فيما لا أثر صحيح فيه، وهذا من أكثرها، فمن ذلك ما ورد في السبب الذي من أجله قالوا لموسى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾[٤]، حيث قال السدي: لما تابت بنوإسرائيل من عبادة العجل، وتاب الله عليهم بقتل بعضهم بعضًا كما أمرهم به، أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل، يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موعداً. فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً على عينه، ثم ذهب بهم ليعتذروا، فلما أتوا ذلك المكان قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾، فإنك قد كلمته فأرناه؛ فأخذتهم الصاعقة فماتوا. فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم، وقد أهلكت خيارهم؟، رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا؟ فأوحى الله إلى موسى: إن

(١) مقدمة ابن خلدون (٣٨٣)، وكتاب علوم القرآن والتفسير للدكتور عبد الله شحاتة (٢٦٣ ـ ٢٦٥).
(٢) دراسات في القرآن (١١٣).
(٣) سبق بيان ذلك في ترجمة مجاهد ص (١٣٠).
(٤) سورة البقرة: آية (٥٥).

هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل. فذلك حين يقول موسى: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ [إلى قوله]: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[1] [يقول: تبنا إليك] وذلك قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾.

ثم إن الله جل ثناؤه أحياهم، فقاموا وعاشوا رجلاً رجلاً، ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون، فقالوا: يا موسى أنت تدعو الله فلا تسأله شيئًا إلا أعطاك، فادعه يجعلنا أنبياء، فدعا الله تعالى فجعلهم أنبياء. فذلك قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾، ولكنه قدَّم حرفًا وأخر حرفًا[2].

وقد علق على ذلك ابن جرير بقوله: فهذا ما روي في السبب الذي من أجله قالوا لموسى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾، ولا خبر عندنا بصحة شيء مما قاله من ذكرنا قوله في سبب قيلهم ذلك لموسى، تقوم به حجة فيسلم لهم[3].

٣ ـ الجمع بين ما ورد في القرآن والكتب السابقة:

وهذا باب واسع للدعوة، فإن الكتب السابقة كتب صحيحة منزلة من عند الله، إلا أنها قد دخل فيها التحريف، ولكن الذي يظهر أن التحريف في المعاني كان أكثر من التحريف في المباني، وربما جاء التحريف من الترجمات ونحوها، يدل على ذلك أن التوراة كانت موجودة في عهد النبي ﷺ، وقرأت بين يديه قصة الزانيين اليهوديين بمشورة ابن سلام[4]، والحق سبحانه قال في القرآن: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[5]، فلو كانت محرفة كلها فهي ليست التوراة، وأصرح من ذلك قوله

(١) سورة الأعراف: آية (١٥٥ـ١٥٦).
(٢) تفسير الطبري (٢/ ٨٧) ٩٥٨.
(٣) تفسير الطبري (٢/ ٨٩).
(٤) الحديث رواه أبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب في رجم اليهوديين (٤/ ١٥٣) ٤٤٤٦.
(٥) سورة آل عمران: آية (٩٣).

تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ﴾[١]، والمخاطبون هم اليهود في المدينة[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾[٣]، ولما أخبر سبحانه عن تحريف اليهود قال: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾[٤] وفي الآية الأخرى: ﴿ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾[٥].

فهذا يدل على أن التحريف في المواضع كان هو الأكثر والأغلب، وكذلك في التأويل، والتعطيل[٦].

ومما يؤكد أيضًا هذه النظرة للمنهج الدعوي أن الله سبحانه لما ذكر عدة ملائكة النار أنهم تسعة عشر ملكًا قال سبحانه: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[٧]، أي ليستيقن الذين أوتوا الكتاب أن النبي حق؛ وذلك لأنه في كتبهم موجود العدد نفسه (تسعة عشر)، ويزداد الذين آمنوا، أي من أهل الكتاب إيمانًا لما يجدوا أن القرآن مصدق للتوراة والإنجيل في هذا العدد[٨].

وقد سلك التابعون هذا المنهج، فلما تعرض مجاهد لقوله سبحانه: ﴿ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾[٩]، قال: من كل سبط من بني إسرائيل رجل، أرسلهم موسى إلى الجبارين، فوجدوهم يدخل في كُمِّ أحدهم اثنان منهم يُلقونهم إلقاء، ولا يحمل عنقود عنبهم إلا

(١) سورة المائدة: آية (٤٣).
(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٣٣٧) ١٢٠٠٤، ١٢٠٠٥.
(٣) سورة المائدة: آية (٤٧).
(٤) سورة المائدة: آية (١٣).
(٥) سورة المائدة: آية (٤١).
(٦) ينظر في ذلك كتاب الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٩).
(٧) سورة المدثر: آية (٣١).
(٨) تفسير الطبري (٢٩/ ١٦١).
(٩) سورة المائدة: آية (١٢).

خمسة أنفس منهم في خشبة، ويدخل في شطر الرمانة إذا نُزع حبُّها خمسة أنفس أو أربع. فرجع النقباء كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم، إلا يوشع بن نون، وكلاب بن يافنة، يأمران الأسباط بقتال الجبابرة وبجهادهم، فعصوا هذين وأطاعوا الآخرين[١].

وساق هذا الأثر السيوطي وزاد فيه: منهما الرجلان اللذان أنعم الله عليهما، فتاهت بنو إسرائيل أربعين سنة يصبحون حيث أمسوا ويمسون حيث أصبحوا في تيههم ذلك، فضرب موسى الحجر لكل سبط عينا حجر لهم يحملونه معهم، فقال لهم موسى: اشربوا يا حمير. فنهاه الله عن سبهم، وقال: هم خلقي فلا تجعلهم حميرًا، والسبط كل بطن بني فلان[٢].

٤ ـ توضيح المبهم:

وذلك بأن يرد في القرآن إبهام اسم رجل، أو شجرة، أو غير ذلك، ويكون هذا مما تكلم فيه بنو إسرائيل، فيرويها عنهم التابعون، وهذا لا يكون فيه كبير فائدة، فإنه لو تعلق به حكم شرعي لبينه الله، ولكن هذا نوع من التشوق لمعرفة المبهمات، ولذا فهو قريب من السبب الأول وهو عنصر التشويق.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في قصة آدم فإنها جاءت في القرآن، ولم يتعرض فيها إلى نوع الشجرة، ولا الحيوان الذي تقمصه الشيطان ليزلهما عنها، ولا ما كان من تفصيل الحوار بينهما، ولا البقعة التي طرد إليها آدم بعد خروجه من الجنة[٣].

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١١٢) ١١٥٧٣، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد بنحوه (٣/ ٣٩)، وفتح القدير (٢/ ٢٢).

(٢) أورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر، وعبد بن حميد عن مجاهد بنحوه (٣/ ٣٩).

(٣) قصة آدم وردت في القرآن في عدة مواضع، منها سورة البقرة: آية (٣٤)، وما بعدها، وسورة آل عمران: آية (٣٣)، وسورة الأعراف: آية (٢٠) وما بعدها، وسورة الإسراء: آية (٦١)، وسورة طه: آية (١١٥ ـ ١٢٢)، إلى غير ذلك من المواضع.

وقد تعرضت التوراة لكل ذلك ، وأكثرت منه، فأبانت أن الجنة في عدن شرقًا، وأن مكان الشجرة في وسط الجنة، وأن الشجرة كانت التينة[١]، وأن الحيوان الذي تقمص فيه إبليس هي الحية، وعوقبت بأن جعلها تمشي على بطنه وتأكل التراب[٢] .

ومن ذلك أيضًا الخلاف في المن، والسلوى، وغيره.

٥ ـ عدم ظهور الإنكار الشديد في عصرهم:

لم يكن التابعون يرون كبير غضاضة في الأخذ عن أهل الكتاب، كيف وهم يجدون ابن عباس على جلالة قدره في العلم والدين كان كثيراً ما يجلس إلى كعب الأحبار، وينقل عنه الإسرائيليات، وغيرها.

بل إن السدي لما عيب عليه كثرة الرواية عن بني إسرائيل احتج بابن عباس.

على أنه ظهر بعض الإنكار في العهد الأول على القصاص الذين تساهلوا في القص عن بني إسرائيل كما أنكر عمر على كعب، إلا أن هذا الإنكار لم يكن شديداً بحيث يعطي طابعًا عامًا لاجتناب هذه الروايات، كما حدث هذا في العصور التي أعقبت عصر التابعين؛ ولأجل هذا تنوعت مآخذهم، فمنهم من ينقل الخبر بطوله، ومنهم من يختصر، ومنهم من يفصل ويذكر الغرائب، ومنهم من يعرض عن ذلك كما سبق بيانه، ومع هذا كله فإنهم أقل نقلاً ورواية للإسرائيليات من أتباع التابعين.

نتائج وآثار الإسرائيليات في التفسير:

لقد أدى دخول الإسرائيليات في التفسير إلى عدة آثار نتجت من هذا الزخم الهائل الوافد على الثقافة الإسلامية.

---

(١) وقيل: السنبلة، وقيل: الكرمة، وقيل: النخلة، ينظر تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٢٦ ـ ١٢٧).

(٢) العهد القديم الإصحاح الأول من سفر التكوين ص (٤ ـ ٥)، ينظر كتاب علوم القرآن والتفسير د. عبد الله شحاتة (٢٥٠).

وقد تنوعت هذه النتائج، فمنها ما كان إيجابيًا، ومنها ما كان سلبيًا.

وفيما يلي بعض ما ظهر لي من تلك النتائج:

١ ـ مخالفة الظاهر:

أدى وجود الإسرائيليات إلى مخالفة الظواهر من بعض الآيات، ذلك أن التابعي قد يتأثر بالأثر الإسرائيلي فيوجه الآية على وفاقه ـ ولو كان مخالفًا للظاهر من اللفظ القرآني، كما يتأثر التابعي فيحمل الآية على غير الظاهر المتبادر من اللفظ؛ لئلا يوافق الأثر الإسرائيلي، فمن الأول ما ورد عن سعيد بن المسيب في قصة آدم قال: وهو يحلف بالله ما يستثني ـ فيقول: ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل، ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر قادته إليها فأكل[١]. فهنا نجد تأثر سعيد بالرواية الإسرائيلية التي وردت.

ومن الضرب الثاني: ما ورد في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾[٢]، أن الحسن البصري كان يحلف أنه ليس من ابنه لصلبه، قال قتادة: فقلت له: إن الله حكى عنه ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾[٣] وأنت تقول: لم يكن ابنه، ثم قال له: وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه، فقال الحسن: ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب[٤].

٢ ـ الجرح والرد لما جاء عن بعضهم:

إن رواية الإسرائيليات كانت علامة للجرح عند بعض أهل العلم فكان الأئمة يجرحون من التبس بذلك من المفسرين، لما بلوه من كذب على من التبس بذلك، وأدى هذا الأمر بهم إلى رد رواية من اعتمد في كل نقله على أهل الكتاب.

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥٣٠) ٧٤٩، وتفسير ابن عطية (١/ ١٨٨)، (١/ ٢٣٧)، وتفسير البغوي (١/ ٩٤).

(٢) سورة هود: آية (٤٢).

(٣) سورة هود: آية (٤٥).

(٤) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٣٠٦).

وهذا يرد قول من قال: إن الإسرائيليات من مصادر الصحابة والتابعين، فقد عد بعضهم منها (التوراة، والإنجيل) وكأنه يشير بذلك إلى أن من مصادر الفكر الإسلامي، أو المتمم له على الأقل: التوراة والإنجيل، وهذا غير صحيح؛ لأن الناقلين لهذه الروايات من الأئمة لا يقصدون في روايتها الاعتماد عليها في التفسير، أو غيره، بل غاية الأمر أنهم أخذوا بالرخصة، وكان في الإسرائيليات بعض الأمور المشوقة، إلى غير ما تقدم من الأسباب.

ومما يؤكد حرص الأئمة، وبالأخص أهل الكوفة والبصرة على عدم التلبس بشيء من ذلك: ما جاء عن الأعمش أنه قيل له: ما بالهم يتقون تفسير مجاهد؟ قال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب.

فمع أنه شيخ المفسرين إلا أنهم اتقوا تفسيره لهذا.

٣ ـ التوسع فيما لا طائل تحته مما اعتمده من جاء بعدهم:

ومن الآثار السلبية للإسرائيليات التوسع فيما لا طائل تحته، كلون كلب أهل الكهف، واسم الشجرة التي أكل منها آدم، ونحو ذلك مما لا فائدة في معرفته، ونقل أئمة التفسير عنهم في هذا أقاويل كثيرة، وصارت كالأقوال المعتمدة عند من بعدهم، يوردها الآخر عن الأول، والخلف عن السلف.

فمن ذلك ما جاء في اختلاف التابعين، تبعًا للنقل عن أهل الكتاب، فقد اختلفوا في البعض الذي ضُرب به القتيل من البقرة، وأي عضو كان ذلك منها: فقال مجاهد: ضرب بفخذ البقرة فقام حيًا، وبنحوه عن عكرمة، وعبيدة السلماني، وقتادة[1]، وقال آخرون: ضُرب بالبَضْعة التي بين الكتفين، قاله السدي[2]، وقال أبو العالية:

(١) تفسير الطبري (٢/ ٢٢٩) ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٣٠) ١٣١١، وزاد المسير (١/ ١٠١)، وفتح القدير (١/ ١٠١).

أمرهم موسى أن يأخذوا عظمًا منها فيضربوا به القتيل[١] .

قال ابن جرير بعد إيراد هذه الأقوال: والصواب من القول عندنا في تأويل قوله: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾[٢] أن يقال: أمرهم الله جل ثناؤه أن يضربوا القتيل ببعض البقرة ليحيا المضروب، ولا أدلة في الآية، ولا في خبر تقوم به حجة على أن أبعاضها التي أمر القوم أن يضربوا القتيل به (إلى أن قال) ولا يضر الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل، ولا ينفع العلم[٣] .

٤ ـ غلبة الضعف على التفسير بالمأثور :

التفسير بالمأثور يراد به ما كان مأخوذًا من طريق الرواية والأثر، وهو ينقسم إلى أقسام:

١ ـ ما كان مرفوعًا للنبي ﷺ .

٢ ـ ما كان موقوفًا على صحابي.

٣ ـ ما كان من اجتهاد علماء التفسير المتقدمين، ولا سيما علماء التابعين.

٤ ـ ما كان من رواية المفسرين للإسرائيليات.

أما الأول فما صح منه فلا يُقدم عليه شيء، لكنه قليل جدًا بالنسبة لغيره، ويدخل فيه ما قاله الصحابة مما لا يقال بالرأي، ولا يعرف إلا بالنقل، ولم يكن الصحابي معروفًا بالأخذ عن أهل الكتاب.

والثاني: لا يتقدمه غيره ما لم يكن في الآية نص مرفوع، وهذا مما يتعلق بالمعاني اللغوية، أو عمل عصرهم.

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٢٣١) ١٣١٢، وزاد المسير (١/ ١٠١)، وفتح القدير (١/ ١٠١).

(٢) سورة البقرة: آية (٧٣).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٣١).

أما الثالث: فهو أيضًا ضروري؛ لأن الأئمة حصلوا شروط الاجتهاد وكانت لهم وقفات لطيفة، ولكن هذا أبعد ما يكون عن أهل الكتاب ومروياتهم[1]، والمنقول في هذا الضرب أكثر من سابقيه.

أما الروايات عن أهل الكتاب فالوقف إنما يكون فيما ينقل نقلاً صحيحًا عن كتب الأنبياء، كالتوراة والإنجيل التي عندهم، لا نصدقهم فيه؛ لاحتمال أنه مما حرفوا فيه، ولا نكذبهم، لاحتمال أنه مما حفظوا منها، فقد قال تعالى فيهم: ﴿أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾[2].

ولكننا نجزم أن المنقول عن بني إسرائيل في التفسير ليس كله من المنقول من كتبهم المعتمدة كالتوراة، والإنجيل، بل منه ما يظهر عليه أنه من زيادة أحبارهم، وعلماء السوء فيهم، بل ومن زنادقة اليهود، والفرس أيضًا.

قال محمد رشيد رضا: وجل ذلك في قصص الرسل مع أقوامهم، وما يتعلق بكتبهم، ومعجزاتهم، وفي تاريخ غيره كأصحاب الكهف، ومدينة إرم ذات العماد، وسحر بابل، وعوج بن عنق، وفي أمور الغيب ومفتريات صدقهم فيها الرواة[2].

ولذا قال بعد ذلك عن التفسير المأثور: إن أكثر ما روي فيه أو كثيره حجاب على القرآن لشغله عن مقاصده العالية المزكية للأنفس المنورة للعقول، فالمفضلون للتفسير المأثور لهم مشاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات، التي لا قيمة لها سندًا، ولا موضوعًا[3].

٥ ـ الاستدلال بالقرآن والسنة لتأييد الرواية عن بني إسرائيل:

ومن الآثار للرواية عن بني إسرائيل وما كان يحتاجه المفسِّر من النظر والاجتهاد في

(١) تفسير المنار (١/ ٩).
(٢) سورة آل عمران: آية (٢٣)، وينظر تفسير المنار (١/ ٩).
(٣) تفسير المنار (١/ ١٠)، وينظر الإسرائيليات لأبي شهبة (٨٤، ٨٥، ١١١، ١١٤).

تعضيد موقفه بالآيات أو الأحاديث، أو أقوال الصحابة إذا أنكر عليه بعض أصحابه، وممن سار على هذا المنهج: السدي[١] فقد شعر بعدم الرضى ممن حوله، ولا سيما من الشعبي الذي كان يغضب عليه، ويصفه بجهل القرآن، فاتجه السدي إلى سرد الروايات الإسرائيلية فيسرد القصة بطولها، وتفاصيلها، ثم يذكر الآيات الدالة على صحة هذه القصة في ثناياها حتى يقبل خبره، ويقل النكير عليه[٢].

٦ ـ الاطلاع على أحوال أهل الكتاب:

لاشك أن الرواية عن بني إسرائيل تعطي فكرة واضحة عن المجتمع الإسرائيلي إبان ظهور الأنبياء فيهم، وهذا بدوره يمكن من معرفة تفسير الآيات التي تتحدث عن ذلك، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ﴾[٣]، يحتاج القارئ إلى معرفة علة قول امرأة عمران ذلك بعد أن جعلت ما في بطنها محررًا، ويحدثنا قتادة مبينًا ذلك فيقول: كانت المرأة لا يستطاع أن يصنع بها ذلك ـ يعني أن تحرر للكنيسة ـ فتجعل فيها تقوم عليها وتكنسها فلا تبرحها مما يصيبها من الحيض والأذى، فعند ذلك قالت: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ﴾[٤]، وفي رواية قال قتادة: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾، وإنما كانوا يحررون الغلمان[٥]. وبنحوه قال الربيع، والسدي، وعكرمة[٦].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[٧] فما هذه الأقلام، وأين يلقونها؟ ولماذا؟، يحدثنا السدي عن ذلك فيقول: فانطلقت بها أمها في خرقها حين ولدتها إلى المحراب، وقال بعضهم: انطلقت حين بلغت إلى المحراب، وكان

(١) وكان ابن زيد وابن إسحاق من أتباع التابعين قريبين من هذا المنهج.
(٢) وقد سبق تفصيل ذلك، وذكر بعض الأمثلة في ترجمة السدي فتراجع ص (٣١٢).
(٣) سورة آل عمران: آية (٣٦).
(٤) تفسير الطبري (٦/ ٣٣٥) ٦٨٧٩.
(٥) تفسير الطبري (٦/ ٣٣٥) ٦٨٨٠، وتفسير عبد الرزاق (١/ ١١٨).
(٦) تفسير الطبري (٦/ ٣٣٥) ٦٨٨١، ٦٨٨٢، ٦٨٨٣.
(٧) سورة آل عمران: آية (٤٤).

الذين يكتبون التوراة إذا جاؤوا إليهم بإنسان يجربونه، اقترعوا عليه أيهم يأخذه فيعلمه، وكان زكريا أفضلهم يومئذ، وكان بينهم، وكانت خالة مريم تحته، فلما أتوا بها اقترعوا عليها، قال لهم زكريا: أنا أحقكم بها، تحتي أختها! فأبوا، فخرجوا إلى نهر الأردن، فألقوا أقلامهم التي يكتبون بها أيهم يقوم قلمه فيكفلها، فجرت الأقلام، وقام قلم زكريا على قُرنته كأنه في طين فأخذ الجارية، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[1] فجعلها زكريا معه في بيته، وهو المحراب[2]، وبنحوه جاء الأثر عن عكرمة[3].

٧ ـ الترجيح:

ومن النتائج التي ترتبت على الأخذ عن أهل الكتاب أن صار بعض المفسرين يرجح بين الأقوال المحتملة بما روي من الإسرائيليات، فمن ذلك ما ورد في المحاورة بين الحسن وتلميذه قتادة في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾[4].

وكان الحسن يرى أنه ليس ولده لصلبه، فاحتج عليه قتادة بأن أهل الكتاب لا يختلفون في أنه ولده لصلبه، فكأنه يرى ذلك مرجحًا، ولم يرتض ذلك الحسن، وأنكر قائلاً: ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب[5].

ومن الترجيح ما ورد عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾[6]، فقد أنكر مجاهد نزول المائدة حقيقة مخالفًا ظاهر الآية، وجعل سبب الترجيح أن أهل الكتاب لم يرد عندهم فيها شيء، وهذا مما تقوم الدواعي على نقله، فلما لم ينقل عنهم، رأى مجاهد أن القول بعدم نزولها هو الأولى بالقبول[7].

---

(١) سورة آل عمران: آية (٣٧).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣٤٩) ٦٩٠٤، وسنن البيهقي (١٠/ ٢٨٦)، وزاد المسير (١/ ٣٧٩).
(٣) تفسير الطبري (٦/ ٣٥١) ٦٩٠٩.
(٤) سورة هود: آية (٤٢).
(٥) انظر ص (٢٣٢) من هذا البحث.
(٦) أي المائدة، وانظر سورة المائدة: آية (١١٥).
(٧) سبق في ترجمة مجاهد ص (٩٤).

أشهر من أسلم من أهل الكتاب :

وفيما يلي أحاول أن أستعرض ترجمة بعض من أسلم من أهل الكتاب مُركِّزًا على مروياتهم الإسرائيلية، وأثر ذلك في التفسير، وأخذت من هؤلاء ثلاثة دار عليهم الحديث غالبًا وهم :

١ ـ عبد الله بن سلام.

٢ ـ كعب الأحبار.

٣ ـ وهب بن منبه.

أولاً : عبد الله بن سلام :

هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف حليف الأنصار[١] ، قيل : كان اسمه الحصين فسماه النبي ﷺ عبد الله ، وهو من خواص أصحاب النبي ﷺ . قال ابن سعد : هو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام[٢] ، وكان رضي الله عنه ممن شهد له رسول الله بالجنة، قال ابن كثير : وهو ممن يقطع له بدخولها[٤] .

لقد أسلم عبد الله بن سلام بعد أن عرف النبي ﷺ بعلاماته، وكان اليهود يحبونه ويثنون عليه، فلما أسلم وقعوا فيه، وقد حدث ابن سلام ـ رضي الله عنه ـ عن كتب اليهود، وروي عنه في ذلك جملة أحاديث، إلا أنها ليست بالكثرة التي جاءت عن كعب، أو وهب.

ولعل السبب في قلة ما حُمل عنه تقدم وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ فقد توفي سنة

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٥٢)، والمعرفة (١/ ٢٦٤)، وأسد الغابة (٣/ ٢٦٤).
(٢) السير (٢/ ٤١٤).
(٣) المستدرك (٣/ ٤١٢).
(٤) البداية (٨/ ١٢٩).

ثلاث وأربعين بالمدينة[١] .

ثانيًا : كعب الأحبار :

هو أبو إسحاق كعب بن ماتع الحميري اليماني[٢] ، كان يهوديًا فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ على عهد عمر[٣] .

وقدم المدينة من اليمن ، فحدث بها بالإسرائيليات ، ثم انتقل إلى الشام وحدث بها أيضًا .

وقد جالس أصحاب النبي ﷺ ، فكان يُحدثهم من الكتب الإسرائيلية ، ويحفظ العجائب[٤] .

وقد أخذ عنه ابن عمر قصة الزهرة كما ورد ذلك عند ابن جرير[٥] ، وروى عنه ابن عباس في مواضع كثيرة ، منها ما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : أربع آيات من كتاب الله لم أدر ما هي حتى سألت عنهن كعب الأحبار ـ رضي الله عنه ـ قوله : ﴿قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ في القرآن ، ولم يذكر (تبع) فقال : إن تبعًا كان ملكًا ، وكان قومه كهانًا ، وكان في قومه قوم من أهل الكتاب ، وكان الكهان يبغون على أهل الكتاب ويقتلون تابعهم ، فقال أهل الكتاب لتبع : إنهم يكذبون علينا . فقال تبع : إن كنتم صادقين فقربوا قربانًا فأيكم كان أفضل أكلت النار قربانه ، فقرب أهل الكتاب والكهان ، نزلت نار من السماء ، فأكلت قربان أهل الكتاب ، فأتبعه تبع فأسلم ، فلهذا ذكر الله قومه في القرآن ولم يذكره .

---

(١) السير (٢/ ٤٢٤).
(٢) العلل لأحمد (١/ ٢٤٢) ٣١٩.
(٣) العلل لأحمد (٢/ ٥٢١) ٣٤٣٢، والسير (٣/ ٢٨٩).
(٤) السير (٣/ ٣٨٩).
(٥) ينظر ذلك في تفسير الطبري (٢/ ٤٢٩) ١٦٨٤، ١٦٨٥ .

قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: وسألته عن قوله: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ قال: الشيطان أخذ خاتم سليمان عليه السلام الذي فيه ملكه، فقذف به في البحر، فوقع في بطن سمكة، فانطلق سليمان يطوف إذ تصدق عليه بتلك السمكة، فاشتواها فأكلها، فإذا فيها خاتمه، فرجع إليه ملكه[١].

ومع وجود أحاديث الإباحة التي أعطت الرخصة في الرواية عن بني إسرائيل إلا أن الصحابة لم يكونوا دائمًا يأخذون، إلا أننا نجد كعبًا له وضع آخر، فهو وإن كان أنكر عليه عمر مرة، وقال له: لتتركن الأحاديث أو لألحقنك بأرض القردة[٢].

إلا أنه في مرة أخرى نجده يسأله يقول له: ما أول شيء ابتدأه من خلقه؟ فقال كعب: كتب الله كتابًا لم يكتبه بقلم ولا مداد، ولكن كتبه بأصبعه[٣].

وكان من أشد الناس خبرة بالتوراة، ذكر كعب التوراة مرة فقال: فاتحة التوراة فاتحة الأنعام ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[٤]، ثم زاد: وخاتمة التوراة خاتمة هود[٥].

قال عنه الذهبي: وكان خبيرًا بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة[٦].

(١) الدر المنثور (٧/ ١٨٠).
(٢) تاريخ أبي زرعة (١/ ٥٤٤)، والبداية (٨/ ١١٠).
(٣) تفسير الطبري (١١/ ٢٧٧) ١٣١٠٨.
(٤) سورة الأنعام: آية (١).
(٥) تفسير الطبري (١١/ ٢٥٢) ١٣٠٤٢، ١٣٠٤٣، وزاد المسير (٣/ ٢)، الواضح بعد مراجعتي لتفسير الطبري، لاحظت هذا الفرق بين وهب، وكعب، ويمكن ملاحظة ذلك بمتابعة أشهر الروايات الواردة في تفسير الطبري من أهمهما:
أولاً: ما جاء عن وهب: ٩٩٥، ٥٥٩٨، ٥٦٠٦، ٥٦٣١، ٥٦٣٦، ٥٦٣٧، ٥٦٥٨، ٥٦٥٩، ٥٦٦٤، ٥٦٧٧، ٥٦٨٠، ٥٦٨١، ٥٦٩٧، ٥٦٩٨، ٥٧٤٠، ٥٧٤١، ٥٧٤٢، ٦٨٩٤، ٧٠٩٨، ٧١٤٢، (١٥/ ٢٠٥)، (١٥/ ٢١٦)، (١٦/ ١٧)، (١٩/ ١٦٨)، (٢٣/ ٩٢)، (١٣/ ١٤٩).
ثانيًا: ما جاء عن كعب: ١٦٨٤، ١٦٨٥، ٢٠٥٠، ٧١٣٧، (٢٣/ ٨٢).
(٦) السير (٣/ ٤٩٠).

والحق أن هذا الكلام نفيس ودقيق لأن كعبًا ـ كما قال الذهبي ـ: له تلك الروح في رواياته.

ولأجل ذلك نجد أهل مكة ومفسريها تأثروا به تأثرًا واضحًا، وخاصة أن شيخهم تساهل في النقل عنه، فكان المكيون من أكثر مفسري التابعين رواية للإسرائيليات، ومع تقدم كعب وكونه أدق وأحسن إيرادًا للروايات من وهب وغيره، إلا أن مما يعكر على ذلك ما رواه البخاري عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطًا من قريش بالمدينة، وذكر كعب الأحبار فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب[1].

وقوله: (لنبلو) أن نختبر، قال الحافظ في الفتح: «أي يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به، ثم نقل عن ابن العتيق قوله: قال: والمراد بالمحدثين أنداد كعب ممن كان من أهل الكتاب وأسلم فكان يحدث عنهم، وكذا من نظر في كتبهم فحدث عما فيها.

قال: ولعلهم كانوا مثل كعب، إلا أن كعبًا كان أشد منهم بصيرة وأعرف بما يتوقاه، وقال ابن حبان: أراد معاوية أنه يخطئ أحيانًا فيما يخبر به، ولم يرد أنه كان كذابًا.

وقال غيره: الضمير في قوله: (لنبلو عليه) للكتاب لا لكعب، وإنما يقع في كتابهم الكذب لكونهم بدلوه، وحرفوه.

وقال عياض: يصح عوده على الكتاب، ويصح عوده على كعب، وعلى حديثه،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء. (٣/ ٣٣٤)، وينظر تاريخ أبي زرعة (١/ ٥٤٥).

وإن لم يقصد الكذب ويتعمده، على أنه لا يشترط في مسمى الكذب التعمد، بل هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، وليس فيه تجريح لكعب بالكذب.

وقال ابن الجوزي: المعنى أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبًا، لا أنه يتعمد الكذب، وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار[١].

سكن كعب الشام في آخر عمره، وتوفي سنة (٣٥هـ) بحمص في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ[٢].

وهب بن منبه

أما وهب فهو: وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار، العلامة الأخباري القصصي[٣].

يشبه بكعب الأحبار، وله صلاح وعبادة، أدرك عدة من الصحابة، وأسند عن ابن عباس، وجابر، والنعمان بن بشير[٤].

كان رحمه الله صاحب أقوال حسنة ومواعظ بليغة[٥]، ولعل هذا من الأسباب الرئيسة في إكثاره من إيراد قصص بني إسرائيل.

ولقد بلغ علم وهب بالإسرائيليات شأوًا كبيرًا، وذلك لكثرة ما قرأ من كتب بني إسرائيل، فقد جاء عنه: لقد قرأت ثلاثين كتابًا نزلت على ثلاثين نبيًا[٦]، وفي رواية

(١) ينظر الفتح (١٣/ ٣٣٤ـ٣٣٥).
(٢) السير (٤/ ٤٩٠)، والشذرات (١/ ٥٢)، والتذكرة (١/ ٥٢).
(٣) السير (٤/ ٥٤٤)، وطبقات ابن سعد (٥/ ٥٤٣)، والتاريخ الكبير (٨/ ١٦٤).
(٤) السير (٤/ ٥٤٥).
(٥) ينظر البداية (٩/ ٢٨٨ـ٣١٣).
(٦) طبقات ابن سعد (٥/ ٥٤٣)، وتاريخ دمشق (١٧/ ٤٧٧).

عنه: قرأت سبعين كتابًا[١]، وفي رواية: قرأت نيفًا وتسعين كتابًا من كتب الله، منها سبعون ظاهرة في الكنائس، ومنها عشرون لا يعلمها إلا القليل[٢].

وقد كان من أكثر الثلاثة رواية عن بني إسرائيل، وكان أقل هؤلاء ابن سلام، ويليه كعب، الذي لم يبلغ مجموع ما رواه ربع ما جاء عن وهب[٣].

كما أن مما يؤخذ على وهب روايته للعديد من الآثار الغريبة والمنكرة[٤].

• • •

(١) السير (٤/ ٥٥١).

(٢) الشذرات (١/ ١٥٠)، وطبقات ابن سعد (٥/ ٥٤٣)، والحلية (٤/ ٢٤).

(٣) كما سبق الإشارة إليه ص ١٠٠١.

(٤) ينظر في ذلك الآثار التالية في تفسير الطبري: ٥٦٥٨، ٥٧٤٢ (١٦/ ١٧)، و(١٩/ ١٦٨)، وغيرها.

الباب الرابع

قيمة تفسير التابعين وأثره

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : قيمة تفسير التابعين رواية .

الفصل الثاني : قيمة تفسير التابعين دراية ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نوع الاختلاف بين مفسري التابعين .

المبحث الثاني : مميزات تفسير التابعين .

المبحث الثالث : منزلة تفسير التابعين عند العلماء .

الفصل الثالث : أثر التابعين في التفسير وأصوله ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أثر التابعين في كتب التفسير عند أهل السنة ، وغيرهم .

المبحث الثاني : أثر التابعين في كتب أصول التفسير .

بين يدي الباب:

لا شك أن المفسرين من التابعين قد أثروا في علم التفسير رواية ودراية، وكان لتفسيرهم قيمة رفيعة، ومنزلة عظيمة في نفوس العلماء، والمصنفين.

وفي هذا الباب أحاول أن أوضح هذه القيمة لتفسيرهم، متجنبًا قدر الإمكان التكرار، أو الإطالة، مبرزًا مكانة تفسيرهم رواية ودراية، مبينًا نوع الاختلاف الواقع بينهم، ومميزات تفسيرهم.

ثم أتكلم عن منزلة تفسيرهم من خلال نصوص أهل العلم، الذين خبروا العلوم، وعرفوا موقع أئمة التفسير من التابعين فيها.

وأما الفصل الأخير فقد خصصته لبيان أثر التابعين في كتب التفسير، وكتب علوم القرآن.

ولم أقتصر فيه على التفسير المنسوب لأهل السنة، بل ذهبت أبحث عن تفاسير أخرى للفرق المختلفة، إلا أنني لم أظفر بتراث تفسيري نقلي إلا عند الشيعة، وقد حرصت على استعراض جملة من كتبهم، وركزت في دراستها على أثر التابعين فيها، كما أنني عرجت على بعض كتب الخوارج، وحاولت معرفة مدى تأثرهم بتفسير التابعين.

وبعد هذا كله ختمت هذا الباب ببيان أثر التابعين في علوم القرآن، فتبين لي الأثر الواضح للتابعين في كثير من الفنون المتعلقة بأصول التفسير، وإن كان الأثر يختلف كثرة وقلة من فن لآخر، كما اتضح لي من خلال تتبع الكتب المؤلفة في علوم القرآن مدى إجلال أهل العلم لأقوالهم، فإنهم يقدمونها في الجملة، وربما صدروا الباب بقولهم، وجعلوها الأساس في تأصيل أقوالهم، ولعل فيما يأتي ما يوضح ما ذكرته.

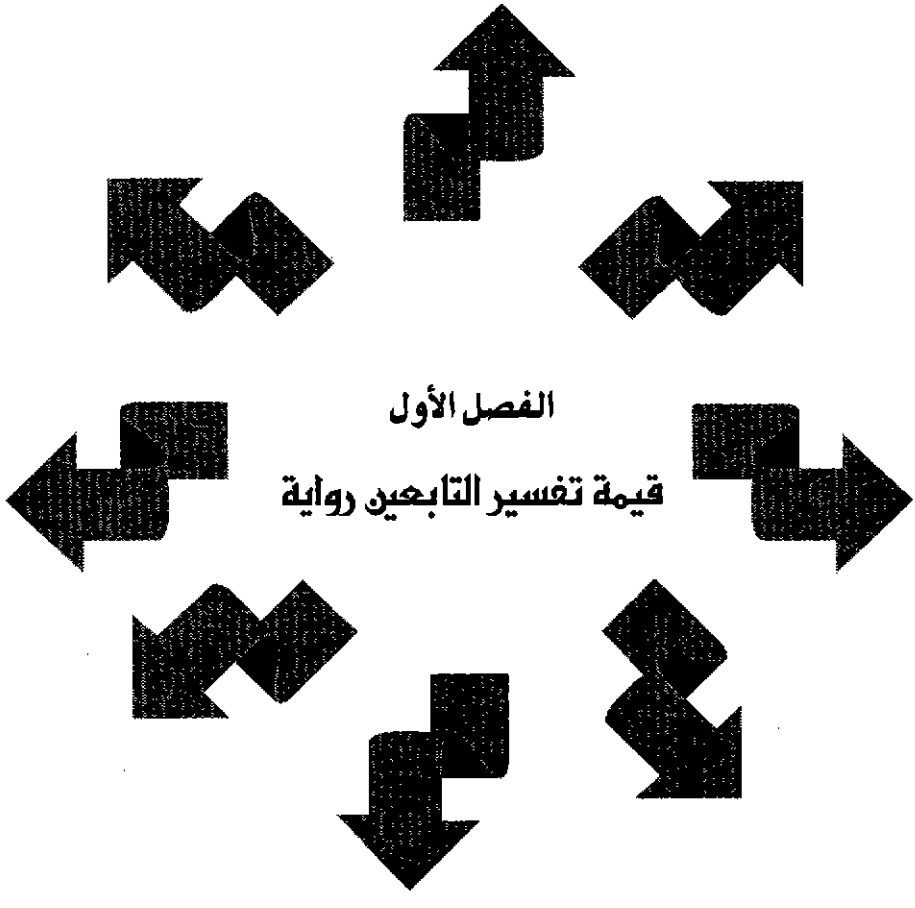

الفصل الأول

قيمة تفسير التابعين رواية

قيمة تفسير التابعين رواية :

هذا الفصل يعد من أدق الفصول مسلكًا، وأكثرها أهمية؛ لأنه يتعلق بصحة، أو ضعف تفسير التابعين، فهل أكثره صحيح أو ضعيف؟ وقبل الإجابة عن هذا السؤال أود أن ألفت الانتباه إلى ما يلي :

أولاً : إن الإسناد الصحيح يعطي إشارة إلى صحة القول المنقول بهذا الإسناد غالبًا، لكن ليس بالضرورة أن يكون الإسناد الذي لم يصل إلى درجة الصحة أو الحسن، دليلاً قاطعًا على عدم صحة القول المنقول بهذا الإسناد، فعلى سبيل المثال تكرر عند أهل العلم قولهم : إن طاوسًا أعلم الناس بأحكام معاذ، وسعيد بن المسيب أعلم الناس بقضاء عمر، وعلي بن أبي طلحة أعلم الناس بتفسير ابن عباس، وهؤلاء التابعون لم يتحملوا عن أولئك الصحابة، ولذا فلا بد من النظر الشامل للروايات، لا الحكم على رواية بمفردها.

ثانيًا : نبهت في المقدمة إلى أن أغلب اعتمادي كان على تفسير ابن جرير الطبري، فقد أكثر النقل عن التابعين، وانتقى الأسانيد حتى زادت على نصف الكتاب، فهي غالب مادة تفسيره، واعتمدها في الترجيح والموازنة، ولم ينبه إلا في مواطن يسيرة جدًا على ضعف إسناد أو نكارة آخر، وكذا كان غالب فعل المحقق الشيخ أحمد شاكر، مع أن بعض الأسانيد بمفردها لا تخلو مما يفت في عضدها، وليس الكثير منها في فضائل الأعمال، وكذا كان اعتماد العلماء ممن جاء بعد التابعين في مختلف الفنون، كما تجيء الإشارة إليه في الفصل القادم، فكان لي أسوة بهؤلاء.

ثالثًا : إن هذه الرسالة قد أخذت مني جهدًا كبيرًا مضنيًا في الجمع والاستقراء، والبحث، والترتيب، استمر خمس سنوات، فلو انشغلت بتتبع إسناد كل أثر مع تتبع شواهده ومتابعاته لاحتجت عدة سنوات أخرى، وأظن أن النتيجة الكلية للبحث لن تختلف عن النتائج التي توصلت إليها.

رابـــعًا: لقد حظي تفسير التابعين بميزة (روائية) لم أرها لغيرهم، ألا وهي كثرة الأسانيد في تفسير الآية عند أحدهم، وكثرة الشواهد والمتابعات للرواية الواحدة، مما يجبر ضعف أحدها إن كان ضعيفًا، وخاصة المروي عن مجاهد، والحسن ، وقتادة، وهذا ما سيأتي بيانه قريبًا في هذا الفصل.

خامسًا: لقد تتبعت الأسانيد الواردة عن التابعين من طريق تابع التابعين، فوجدت أغلبها أسانيد مستقيمة وهي أعلى في الجملة من الأسانيد المروية عن غيرهم من الصحابة، بل المروية في التفسير النبوي ، وهذا ما سيأتي بيانه.

فهذه الأسباب وغيرها كانت وراء اكتفائي في الاعتماد في هذه الدراسة على المنقول عنهم دون التحقق من صحة أو ضعف الإسناد[1] .

وفيما يلي دراسة لقيمة المروي عنهم رواية فيما ظهر لي من تتبع الروايات والآثار من خلال عدة نقاط:

١ـ الحجم الكبير للآثار المنقولة عن التابعين:

لقد حظي التفسير بالمأثور بميزة ميزته عن غيره، وهي كثرة الأسانيد الواردة فيه، فلا تكاد تمر بتفسير كلمة من آية إلا وتجد معها إسنادها، وهذا بدوره يعطينا صورة واضحة للجهود التي بذلت لحفظ كتاب الله وحفظ تفسيره، وإن كان بعض هذه المؤلفات في التفسير قد حوى أقوالاً مختلفة، وآثارًا متفاوتة؛ لأن أصحابها كانت همتهم مدفوعة إلى التدوين والجمع أكثر من النقد[2] ، إلا أن منهم من اهتم بنقدها وتمييز ما يصح منها مما لا يصح، ورجح بينها واختار كابن جرير الطبري، وابن

(١) أما المسائل التي ينبني عليها اعتقاد، أو حكم، يتوقف على صحة الإسناد ، فإنني لا أغفل دراسة الإسناد، وقد لا أسجل ذلك في البحث إن كانت دراسة الإسناد لم تعط نتيجة مغايرة لما توصلت إليه، وسبق شيء من هذا في مبحث منهجهم في آيات الاعتقاد، والقراءات، وغيرها.

(٢) ينظر دراسات في التفسير وأصوله لبلتاجي ص (٣٦).

أبي حاتم، وغيرهما.

والمراجع لكتب التفسير بالمأثور، يتبين له كبير الاهتمام الذي عني به تفسير التابعين إذا ما قورن بغيره من المروي عن غيرهم، فقد بلغ حجم المروي عن التابعين ما يزيد على نصف ما ورد في التفسير، وعلى سبيل المثال: فمن خلال تفسير الطبري، بلغت الروايات الواردة في التفسير عن المصطفى ﷺ ما يقارب ثلاثة آلاف حديث، وعن الصحابة ما يقارب تسعة آلاف أثر[1]، وأكثر المروي كان عن ابن عباس[1]، وعن تابع التابعين بلغ خمسة آلاف أثر، وباقي الروايات جاءت عن التابعين، وهي تربو عن واحد وعشرين ألف قول.

٢ـ أسباب تفاوت المروي عن أئمة التابعين:

ومع وجود هذا القدر الكبير من الآثار عن التابعين في التفسير، فإنها لم تكن موزعة على أئمة التابعين بنسب متقاربة، بل هي نسب متفاوتة، فمنهم من نقل عنه بكثرة، وتعددت طرق النقل عنه، ومنهم من نقل عنه بقلة، ويرجع سبب ذلك إلى ما يلي:

أ ـ أثر المكان:

للمكان أثر في قلة تداول تفسير إمام أو كثرته، وعلى سبيل المثال نجد مدرسة المدنيين اشتهر فيها مفسرون، ولكن لغلبة الجانب الروائي على المدرسة، واهتمامها بالحديث والفقه، وتعظيمها شأن التفسير، قلَّ المنقول عنهم في التفسير، في حين أن المدارس التي يكون جل حديثها، وحلقاتها وعلمها منصبًا على التفسير، نجد احتفاء التلاميذ متجهًا لنقل التفسير، كما أن وجود التابعي في مكان يكثر فيه الصحابة، يجعل همة التلاميذ تتوجه للنقل عن الصحابي طلبًا لعلو السند.

(١) وأكثر المروي كان عن ابن عباس حيث بلغ مجموع ما روي عنه كما جاء في تفسير الطبري (٥٨٠٩) روايات، وعن ابن مسعود (٨٥٦) رواية، وغيرهم من الصحابة دونهم في ذلك.

ب ـ حال الشيخ :

لا شك أن لحال الشيخ تأثيراً بيناً فيما يروى عنه من حيث القلة أو الكثرة، فإذا تقدمت وفاته، قل المروي عنه بالنسبة لمن تأخرت وفاته، ولذا نجد المنقول عن مجاهد، وقد تأخرت وفاته نسبياً أعظم مما نقل عن سعيد بن جبير، أو حتى عن أصحاب ابن مسعود كعلقمة ومسروق ومرة.

ومن جانب آخر فإذا كان الشيخ ممن يكثر الترحال، والأسفار والتنقل، فإن هذا يؤثر سلباً على ملازمة الطلاب له، واستمرارهم معه، كحال عكرمة الذي كان كثير التنقل، والجولان في البلدان.

كما أن لعبارة الشيخ الأثر الواضح في نقلها، فعبارات الحسن الوعظية البليغة، كان لها الأثر في نفوس الناس، فحملوها عنه أكثر مما حملوا عبارات غيره.

جـ ـ حال التلاميذ :

من أسباب انتشار الآثار، وجود التلاميذ، والأصحاب الذين يحملون الآثار والعلوم وينشرونها، ولا أدلَّ على ذلك من أن هناك مفسرين تورعوا عن الفتوى بعامة، وعن التفسير خاصة، ومع ذلك وصل إلينا قطعة من تفاسيرهم، وهذا يفسَّر بوجود أحد التلاميذ الحريصين على السؤال والنقل والرواية، وهذا مثل المنقول عن عطاء مثلاً، فلولا وجود أمثال ابن جريج، وحرصهم، لضاع كثير من تفسير ذلك الإمام.

وكذلك كان حال الزهري الذي نشر علم ابن المسيب وعروة المدنيين.

ومن العوامل التي أدت إلى قلة المروي عن التابعي أيضاً: قلة التلاميذ، فإذا قارنا أبا العالية بالحسن وقتادة، نجد أن قلة تلاميذ أبي العالية وعدم شهودهم مجلسه أدى إلى ضياع كثير من علمه.

ولأجل ذلك فقد يتعاصر شيخان في مدرسة واحدة، ولكل منهما جهوده، وأثره، ثم نجد أن المنقول عن الأدنى يفوق ما نقل عن الأعلى؛ لأن التلاميذ كانت همتهم في نشر علم شيخهم.

ومن أمثلة ذلك الشعبي والنخعي، فلقد كان النخعي يجل الشعبي ويسكت عنده لعلمه، ولكن كان تلاميذ إبراهيم أكثر حتى قال الشعبي له: أما إني أفقه منك يا إبراهيم حيًا، وأنت أفقه مني ميتًا، وذلك أن لك أصحابًا[1].

وللتلاميذ أثر في نقل العلم غير ما تقدم، وهو وجود متخصصين منهم في رواية التفسير، وتفرغهم لذلك، مما أدى إلى كثرة المنقول[2].

فقد كان لتفرغ ابن أبي نجيح الأثر البالغ في نشر تراث إمام المدرسة المكية مجاهد، وهذه مفارقة رئيسة، وميزة ميزت تفسير بعض التابعين.

ولذا نجد أن المجتهدين من المفسرين ظهروا في عصر التابعين بوضوح أكثر من عصر أتباع التابعين الذين كانت همتهم للنقل أعلى، ودوافعهم للرواية أقوى.

ومن آثار التلاميذ أيضًا السلبية، والتي أدت إلى عدم الاعتماد على تفسير تابعي ما، هو تخصص أحد التلاميذ الضعفاء في نقل آثاره[3]، كما هو الحال في رواية أبي معشر عن محمد بن كعب[4]، ورواية أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس كما سيأتي بيانه.

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٨٤)، والسير (٤/ ٥٢٦).

(٢) اعتنى بعضهم بروايات شيخه أكثر من غيره، فتفسير السدي مثلاً، نقل أكثر من (٩٥, ٠) منه عن أسباط بن نصر، فقلَّ أن نجد له رواية إلا عن السدي؛ ولذا قال عنه ابن سعد: راوية السدي.

(٣) ينظر في ذلك شرح علل الترمذي لابن رجب (٣٥٠-٣٥١).

(٤) وإن كان بعض الأئمة رضي عن رواية أبي معشر عن محمد بن كعب في التفسير خاصة، فقد=

٣- كثرة الطرق والشواهد لتفسيرهم:

ومما يميز تفسير التابعين أيضًا: كثرة الطرق والشواهد الواردة في تفسير الآية عن أحد أئمة التابعين، وقد اهتم المفسرون بنقل أقوالهم بطرقها وشواهدها، بل إن بعض تلاميذهم أنفسهم كان له أثر كثير اشتغال بذلك، فابن جريج مثلاً لا يكتفي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾[١]، بالأثر الذي أخبره به ابن أبي نجيح، عن عكرمة، بل يذهب فيعرضه على مجاهد، فلم ينكره، قال ابن جريج: فاجتمع على هذا القول مجاهد وعكرمة جميعًا[٢].

ويروى كذلك عن مجاهد في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٣]، قال: لا يكون إمامًا ظالمًا، قال ابن جريج: وأما عطاء فإنه قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ فأبى أن يجعل من ذريته إمامًا ظالمًا[٤].

فها هو ابن جريج يجمع شواهد التفسير من أكثر من إمام.

وجاء بعد ذلك الطبقات المتأخرة من أتباع التابعين فاشتد حرصهم على جمع الطرق والأسانيد ولو عن إمام واحد، وبلغ من عنايتهم بذلك أننا نجد مثل مجاهد، والنخعي، وغيرهما، يروى عنهم العديد من الروايات بعبارات مختلفة، أو متقاربة، بل وباللفظ نفسه بالعديد من الطرق، والأسانيد، مما يعطي قوة لذلك القول والتفسير.

وقد اهتم إمام المفسرين بالأثر؛ ابن جرير الطبري؛ بإيراد العديد من الأسانيد وجمعها

= قال ابن معين: اكتبوا عن أبي معشر حديث محمد بن كعب في التفسير، ينظر شرح علل الترمذي (٣٥٠).

(١) سورة البقرة: آية (١٢٤).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ١١) ١٩١٩، ١٩٢٠.

(٣) سورة البقرة: آية (١٢٤).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٢١) ١٩٥٣، وفتح القدير (١/ ١٤٠).

لأئمة التابعين، خاصة مجاهد، الذي حظي تفسيره بعناية فائقة في إيراد العديد من الطرق والأسانيد له، وفي بيان اختلاف ألفاظه، مما يدل على أهميته عند ابن جرير وقيمته، بل لا نبعد إذا قلنا: إن تفسير مجاهد جاء في المرتبة الثانية بعد تفسير ابن عباس في عناية الطبري به، من حيث جمع الطرق والشواهد، حتى إننا نجده يروي المعنى الواحد عنه بخمسة أو ستة طرق، وأكثر، بل جاء عنه في تفسير قوله: ﴿فُرْقَانًا﴾[١]، أنه قال: مخرجًا، وقد رواه ابن جرير بعشرة أسانيد مع أنه تفسير لكلمة واحدة[٢]، ومثل ذلك ما جاء عنه أيضًا في تفسير قوله: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[٣]، حيث قال: علم من إبليس المعصية وخلقه لها، وقد ساقها ابن جرير بعشرة أسانيد[٤]، والأمثلة عن مجاهد في هذا كثيرة[٥].

وقريبًا من ذلك ما جاء عن الحسن، حيث جاء عنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾[٦]، فسَّر السر: بالزنا، فرواه عنه ابن جرير بخمسة أسانيد[٧].

وعند تفسيره للذي بيده عقدة النكاح[٨]، ساق ابن جرير ستة أسانيد عن الحسن في

---

(١) سورة الأنفال: آية (٢٩).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٤٨٨) ١٥٩٣٦، ١٥٩٣٧، ١٥٩٣٨، ١٥٩٣٩، ١٥٩٤٠، ١٥٩٤١، ١٥٩٤٣، ١٥٩٤٤، ١٥٩٤٧، ١٥٩٥٠.

(٣) سورة البقرة: آية (٣٠).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٤٧٦) ٦٢٨٠، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧.

(٥) من ذلك يُراجع تفسير الطبري عند الآثار: (٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٩) (٢٣٧٩ـ ٢٣٨٤) (٢٤١٧ـ ٢٤٢٢) وغيرها.

(٦) سورة البقرة: آية (٢٣٥).

(٧) تفسير الطبري (٥/ ١٠٦) ٥١٤١، ٥١٤٢، ٥١٤٣، ٥١٤٧، ٥١٤٨.

(٨) عند قوله تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ سورة البقرة: آية (٢٣٧).

أن المراد به الولي[١] .

ومن ذلك ما جاء عن قتادة، حيث روى عنه ابن جرير بعض الآثار التفسيرية من خمسة طرق، كما في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[٢] ، قال: فأنبأ كل صنف من الخلق باسمه، وألجأه إلى جنسه[٣] .

ولم يقتصر ابن جرير في تكراره الأسانيد على مجاهد ، والحسن وقتادة، بل كان الحال كذلك في ابن المسيب، والنخعي، وابن جبير، وعكرمة، في حين قلّت الروايات المكررة عن أبي العالية والسدي[٤] .

ومما ينبغي التنبه له أنه مع تكرار أسانيد القول الواحد عن بعض المفسرين، فإن كل الأسانيد تأتي لمتن واحد، وبمعنى واحد، أو متقارب، وقلَّ أن تجد روايتين متعارضتين، بل لا تكاد ترى روايتين مختلفتين من باب اختلاف التنوع فضلاً عن اختلاف التضاد[٥] .

وكثرة الطرق، والشواهد، واتفاقها ، زادت من قيمة تفسير التابعين رواية؛ لأن

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٤٨) ٥٢٩٠، ٥٢٩١، ٥٢٩٢، ٥٢٩٣، ٥٢٩٤، ٥٣٠٢، ولمزيد من الأمثلة تراجع الآثار (٣٨٧٨، ٣٨٧٩، ٣٨٨٠)، (٤٤٠٦، ٤٤٠٧، ٤٤٠٨)، (٤٨٥٤، ٤٨٥٥، ٤٨٥٦).

(٢) سورة البقرة: آية (٣١).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٤٨٤) ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٦٤، ٦٦٧، ولمزيد من الأمثلة تراجع الآثار (٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨)، (١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٧٠)، (١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤)، (١٨٣٥، ١٨٣٦، ١٨٣٧).

(٤) بلغ المكرر من الروايات عن مجاهد في تفسير الطبري (٤٥ , ٠) من مجموع تفسيره وعن ابن المسيب (٤٢ , ٠)، وعن النخعي (٤٠ , ٠)، وعن ابن جرير (٣١ , ٠)، وعن الحسن والشعبي (٢٦ , ٠)، وعن عكرمة (٢٣ , ٠)، وعن عطاء وقتادة (١٧ , ٠)، وعن محمد بن كعب (١٦ , ٠)، وعن أبي عالية (١٤ , ٠)، وعن السدي (٠٣ , ٠)، وذلك نسبة لمجموع المروي عن كل واحد منهم في تفسير الطبري.

(٥) بخلاف المروي عن الصحابة، وخاصة ابن عباس الذي نجد فيه الكثير من الاختلاف.

الشواهد ترفع الحكم على الأثر من حسن لصحيح، أو من صحيح لأصح منه، بل تجبر الضعيف إذا توبع بما هو أقوى منه.

ولذا فلا نعجب عندما نجد الأئمة أمثال البخاري، والشافعي، وأحمد، قد اعتمدوا تفسير مجاهد، ولم يذكروا في الكثير مما ورد عنه علة، أو ضعفًا[١].

٤ـ التفسير بالمأثور بين الضعف والقوة:

قال الإمام أحمد: ثلاثة ليس لها أصل: التفسير، والملاحم، والمغازي.

وهذه المقولة هي من الأسباب التي دعتني إلى التعرض لهذه النقطة لإيضاح مراده ـ رحمه الله ـ، فمقصوده ـ والله أعلم ـ من ذلك هو المروي من الأحاديث المرفوعة دون الموقوفة والمقطوعة، ولذا قال الزركشي في البرهان بعد أن ذكر كلام أحمد: قال المحققون من أصحابه: مراده أنّ الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متصلة، وإلا فقد صح من ذلك كثير كتفسير الظلم بالشرك في آية الأنعام، والحساب اليسير بالعرض، والقوة بالرمي، وغيره[٢].

قال السيوطي: الذي صح من ذلك قليل جدًا، بل أصل المرفوع منه في غاية القلة، وسأسردها كلها آخر الكتاب[٣].

وذكر الشيخ الذهبي أيضًا أن المراد بكلام الإمام أحمد الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ في التفسير، قال: أما الأحاديث المنقولة عن الصحابة والتابعين، فلا وجه لإنكارها،

---

(١) سيأتي بحث ذلك في قيمة المروي عن التابعين دراية ص (١٠٦١)، وينظر كتاب مقدمة في أصول التفسير (٣٧).

(٢) البرهان (٢/ ١٥٦)، مقدمة في أصول التفسير (٥٩) والإتقان (٢/ ٢٢٨)، وتذكرة الموضوعات (٨٢).

(٣) الإتقان (٢/ ٢٢٨)، وقد سردها فيما لا يزيد على عشرين صفحة، المرجع السابق (٢/ ٢٤٥ ـ ٢٦٥).

وقد اعترف هو بنفسه ببعضها[١]، والظاهر أن الإمام أحمد أراد النقولات التي تساهل فيها المفسرون، سواء كانت أحاديث مرفوعة لا تصح، أو كانت من المرويات عن أهل الكتاب وغيرهم، فإن المفسرين ـ كما قال ابن خلدون ـ قد تساهلوا في مثل ذلك وملؤوا كتب التفسير بهذه المنقولات[٢].

ويدخل في ذلك أيضًا المرفوع الذي ليس له أصل، أي إسناد؛ لأن الغالب على ذلك المراسيل، إلا أن المراسيل إذا تعددت طرقها وخلت عن المواطأة قصدًا، أو الاتفاق بغير قصد كانت صحيحة قطعًا[٣].

فالتابعون إذا أرسلوا الحديث، وجاء من عدة أوجه، لم يكن هذا من المردود.

وبهذا نعلم أن الاعتماد في التفسير على المرفوع لا يفيد إلا فيما صح فيه النقل، وهو قليل جدًا كما تقدم، وهذا مما يبرز قيمة تفسير التابعين الذي صح منه أضعاف ما صح من المأثور عن النبي ﷺ.

أما المنقول عن الصحابة وأتباع التابعين، فهو أقل عددًا من المنقول عن التابعين[٤]، ثم إن أسانيده ليست بقوة وصحة أسانيد التابعين، ولأجل أن تتضح هذه النقطة أعقد مقارنة بين علمين من أعلام التفسير في عصر الصحابة، وهما ابن عباس، وابن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ، وأقارن الأسانيد التي وردت عنهما، بما ورد عن مجاهد، وقتادة، اللذين روي عنهما أكثر من نصف التفسير المروي عن التابعين، ثم أبين حال أسانيد أتباع التابعين ممثلة في أسانيد رجلين من أكثر الأتباع إنتاجًا في التفسير وهما ابن زيد،

---

(١) التفسير والمفسرون (١/ ٤٧).

(٢) مقدمة ابن خلدون تحقيق د. علي عبد الواحد وافي (٣/ ١١٣٢)، وينظر دراسات في القرآن لأحمد خليل (١١٢)، وعلوم القرآن د. عدنان زرزور (٤٠٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٤٧)، ومقدمة في أصول التفسير (٥٩).

(٤) وسيأتي تفصيل ذلك في أثر التابعين في كتب التفسير ص (١٠٧٦).

والضحاك.

طرق التفسير عن ابن عباس وابن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ :

لقد أعطى ابن عباس تلاميذه أسس الاجتهاد وأصوله، وأذن لهم فيه، ودرَّبهم عليه، فانطلقوا يعملون الفكر، ويشغلون النظر في استخراج المعاني، فاجتهدوا وانشغلوا بذلك عن نقل تفسير شيخهم، فيما نشط لذلك آخرون، لما رأوا أن الناس تميل إلى ما كان منسوبًا للصحابة أكثر من غيرهم، ولذلك كثر الوضع على الصحابة أكثر من التابعين.

لقد نقل التفسير عن ابن عباس أصحابه، عكرمة، ومجاهد، وسعيد، والسدي، وطاوس، إلا أن أصحابه لم يكثروا، في حين أكثر من الرواية عنه كل من عطية العوفي، وعلي بن أبي طلحة، والضحاك بن مزاحم، وأبو صالح باذام مولى أم هاني.

أما العوفي: فهو عطية بن سعد بن جنادة العوفي، وهو صدوق يخطئ كثيرًا، وكان شيعيًا مدلسًا[1].

وقد أخرج ابن جرير للعوفي هذا في مواضع من تفسيره[2].

فالعوفي الغالب عليه الضعف، وقد أكثر الرواية عن ابن عباس[3].

---

(١) تقريب التهذيب (٢/ ٢٤)، والميزان (٣/ ٧٩)، قال عنه ابن حجر في طبقات المدلسين: تابعي ضعيف الحفظ، مشهور بالتدليس القبيح (٥٠)، وينظر إتحاف ذوي الرسوخ (٣٩).

(٢) بإسناده عن شيخه محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي عن أبيه، يُراجع لسان الميزان (٥/ ١٧٤)، وتاريخ بغداد (٥/ ٣٣٢) والجرح والتعديل (٣/ ٤٨).

(٣) جاء من رواية العوفي عند ابن جرير (١٤٣٩) رواية؛ أي (٢٥, ٠) من مجموع المروي عنه في التفسير.

وأما علي بن أبي طلحة: فهو صدوق، ولكنه لم يلق ابن عباس، وإنما أخذ تفسيره عن مجاهد، أو سعيد بن جبير[١].

وأما الضحاك بن مزاحم: فطريقه عن ابن عباس منقطعة، فإن الضحاك لم يلقه، فإذا انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة عن أبي روق فضعيفة لضعف بشر، وإن كانت من رواية جويبر عن الضحاك فأشد ضعفًا؛ لأن جويبرًا شديد الضعف متروك[٢].

وأوهى الطرق عن ابن عباس طريق الكلبي عن أبي صالح، فإذا انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب[٣].

وأما أبو مالك غزوان الغفاري: فهو ثقة، إلا أن روايته جاءت عن أبي صالح عن ابن عباس.

قال الخليلي في الإرشاد: وهذه التفاسير الطوال التي أسندوها إلى ابن عباس غير مرضية، ورواتها مجاهيل.

ثم ذكر من ذلك أسانيد عن ابن جريج والسدي لا تصح[٤].

وبالجملة فإن الأسانيد إلى ابن عباس في النفس من بعضها شيء، وهذا ما دعا الشافعي إلى أن يقول: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث[٥].

---

(١) التقريب (٤٠٢)، وقد جاء من طريق علي (١٤٠٤) روايات، أي (٢٤,٠) من مجموع المروي عنه في التفسير، قال ابن حجر: بعد أن عرفت الواسطة وهو ثقة فلا ضير في ذلك، ينظر الإتقان (٢/ ٢٤١).

(٢) الإتقان (٢/ ٢٤٢).

(٣) الإتقان (٢/ ٢٤٢).

(٤) الإتقان (٢/ ٢٤١).

(٥) الإتقان (٢/ ٢٤٢)، ولعله أراد الأسانيد الصحيحة التي لا مطعن فيها، وإلا فقد روى عنه من الحسن وشبهه شيء كثير.

وأما الأسانيد عن ابن مسعود: فلم تكن بأحسن حالاً على قلتها، فلقد كان التفسير المنقول عنه قليلاً؛ وذلك لأن أصحابه النقاد كانوا على رهبة من التفسير فلم ينقلوا عنه كثيراً، وجاء أكثر تفسيره من طريق مرة عنه، ومرة تابعي ثقة من كبار التابعين، إلا أن أكثر من روى عنه هو السدي، وتفسير السدي يرويه لنا أسباط بن نصر، وأسباط - وإن كان من رجال مسلم - إلا أنه متكلم فيه من جهة حفظه، ولذا لا نعجب أن يقول ابن كثير على هذا الإسناد: إن هذا الإسناد يروي به السدي أشياء فيها غرابة[1].

وقال الإمام أحمد عن السدي: إنه ليحسن الحديث، إلا أن هذا التفسير الذي يجيء به قد جعل له إسناداً واستكلفه[2].

ولذا فإن النفس تطمئن لصحة الروايات التي جاءت عن السدي من قوله، أكثر من اطمئنانها إلى ما رواه بإسناده عن ابن مسعود، أو غيره، والله أعلم.

الطرق التي رويت بها آثار التابعين:

وإذا نظرنا إلى الطرق والآثار التي نقلت إلينا بها أسانيد التابعين، فإننا لا نجدها كذلك على قدر واحد من القوة والضعف، إلا أننا نجدها في مجموعها أقوى وأصح من تلك التي رويت عن الصحابة، وفيما يلي بيان لأشهرها:

---

(١) ينظر تعليق الأستاذ أحمد شاكر على تفسير الطبري (١/ ١٥٨) حيث قال: ثم إن جلَّ المروي عن الطبري من طريق مرة جاء من طريق أسباط عن السدي، عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود عن أناس من أصحاب النبي ﷺ قال ابن جرير: لست أعلمه صحيحًا، إذ كنت بإسناده مرتابًا، قال شاكر معلقًا على ما قاله ابن جرير: وحق لأبي جعفر أن يرتاب في إسناده، فإن هذا الإسناد فيه تساهل كثير، من جهة جمع مفرق التفاسير عن الصحابة في سياق واحد. . إلخ ما قال، ينظر تفسير الطبري (١/ ٣٤٨) (١/ ٣٥٤).

(٢) شرح علل الترمذي لابن رجب (٣٥١)، وتهذيب التهذيب (١/ ٣١٤).

١ ـ طرق وأسانيد تفسير مجاهد:

لقد تعددت الأسانيد التي حملت لنا تفسير مجاهد، إلا أن إسناد ابن أبي نجيح عن مجاهد يعدُّ أكثرها وروداً، فقد نقل إلينا ما يقارب (٥٦ , ٠) من تفسيره جاء من طريق ابن أبي نجيح، الذي قال عنه ابن المديني: أما التفسير فهو فيه ثقة يعلمه قد قفز القنطرة[١].

وهذا الطريق قد اعتمده الأئمة في التفسير، وقد وقع بعض الاختلاف عليه، فقال يحيى بن سعيد القطان: لم يسمع ابن أبي نجيح التفسير من مجاهد، في حين قال وكيع: كان سفيان الثوري يصحح تفسير ابن أبي نجيح، وقال الذهبي معلقًا على قول يحيى بن سعيد: وهو من أخص الناس بمجاهد[٢].

وليس بين القولين تعارض، فكونه لم يسمع التفسير من مجاهد لايقدح في صحته ـ كما قدمت ذلك آنفًا ـ، وبيانه أنه حمل التفسير عن القاسم بن أبي بزَّة ـ بفتح الموحدة وتشديد الزاي ـ المكي المخزومي مولاهم أبو عبد الله، والقاسم هذا ثقة، قد روى له الجماعة، ووثقه ابن معين، والعجلي، وابن سعد، والنسائي، وغيرهم[٣]، وقال ابن حبان: لم يسمع التفسير من مجاهد غير القاسم، وكل من يروي عن مجاهد التفسير فإنما أخذه من كتاب القاسم[٤].

وقال أيضًا: ابن أبي نجيح نظير ابن جريج في كتاب القاسم بن أبي بزَّة عن مجاهد في التفسير، رويا عن مجاهد عن غير سماع[٥].

---

(١) السير (٦/ ١٢٦).
(٢) السير (٦/ ١٢٦).
(٣) تاريخ الثقات (٣٦٨)، تهذيب الكمال (٢٣/ ٣٣٩)، والتقريب (٤٤٩)، وطبقات ابن سعد (٥/ ٤٧٩).
(٤) الثقات (٧/ ٣٣١)، والتهذيب (٨/ ٣١٠).
(٥) تهذيب الكمال (٢٣/ ٣٣٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الحديث عن تلاميذ ابن عباس في التفسير : وأخص أصحابه بالتفسير مجاهد، وعلى تفسير مجاهد يعتمد أكثر الأئمة كالثوري ، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والبخاري، قال الثوري : إذا جاء التفسير عن مجاهد فحسبك به، والشافعي في كتبه أكثر الذي ينقله عن ابن عيينة عن أبن أبي نجيح عن مجاهد، وكذلك البخاري في صحيحه يعتمد على هذا التفسير، و قول القائل : لا تصح رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد، جوابه : أن تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد من أصح التفاسير، بل ليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير أصح من تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد، إلا أن يكون نظيره في الصحة[1] .

وبهذا يتضح صحة هذا الطريق عن مجاهد في التفسير، فإذا انتقلنا إلى الطريق الثانية، وهي طريق ابن جريج عن مجاهد، نجد أن ابن جريج قد احتل المرتبة الثانية، فروى عن مجاهد نحوًا من (١٥ , ٠) من التفسير عن مجاهد، والغالب أنه لم يحمله عنه مباشرة، ففي سؤالات ابن الجنيد لابن معين، سأله عن ابن جريج : هل سمع من مجاهد شيئًا؟ قال : حرفًا أو حرفين . قلت : فمن بينهما؟ قال : لا أدري[2] ، ولهذا فإن الغالب أن الواسطة بينهما هو القاسم بن أبي بزة كما تقدم في كلام ابن حبان قريبًا . . . فالقول فيهما واحد .

وبهذا يكون قريب ثلاثة أرباع التفسير المنقول عن مجاهد جاء بإسناد ابن أبي نجيح، وابن جريج عن القاسم عن مجاهد، وهو في الصحة كما ترى .

٢ ـ طرق وأسانيد الآثار المنقولة عن قتادة في التفسير :

فإذا انتقلنا إلى الطرق والأسانيد التي روي بها تفسير قتادة نجدها تدور على

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩)، وتفسير سورة الإخلاص (٩٤)ط ١٣٢٣ هـ، ومقدمة تفسير مجاهد للشيخ عبد الرحمن السورتي (١/ ٥٨ ـ ٦٠).

(٢) سؤالات ابن الجنيد (٣٦٤)، (٤١٥).

رجلين:

الأول: سعيد بن أبي عروبة، فقد روى عن قتادة ما يقرب من ثلثي تفسيره.

والثاني: معمر بن راشد، فقد روى عنه نحواً من ثلث تفسيره[١]، وسعيد بن أبي عروبة عده النسائي من أثبت أصحاب قتادة فيه[٢].

وسئل ابن معين: أيهما أحب إليك تفسير سعيد عن قتادة، أو تفسير شيبان عن قتادة؟ فقال: سعيد[٣].

وأما معمر بن راشد، فقد صاحب قتادة وهو في مبدأ الطلب فوعى عنه وحفظ، قال معمر: جالست قتادة، وأنا ابن أربع عشرة سنة، وما سمعته من تلك السنن إلا كأنه مكتوب في صدري[٤].

وقد تكلم بعض أهل العلم في رواية معمر هذه، إلا أن التفسير إنما جاء من رواية عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، وهذا الإسناد ليس مما تُكلم فيه؛ لأن رواية عبد الرزاق عن معمر صحيحة عندهم.

قال الإمام أحمد: إذا اختلف أصحاب معمر فالحديث لعبد الرزاق[٥].

وبهذا تتضح صحة الطرق والأسانيد التي روي بها تفسير قتادة رحمه الله[٦]. بل هي من أصح الطرق الواردة في التفسير.

---

(١) بلغت مرويات التفسير عن قتادة عند الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة (٦٢, ٠)، و(٣٠, ٠) من طريق معمر بن راشد.
(٢) نصب الراية (٣/ ٢٨٢).
(٣) تاريخ ابن معين (٢/ ٢٠٥).
(٤) المعرفة (٢/ ١٤١).
(٥) السير (٩/ ٥٦٦).
(٦) وغالب أسانيد ابن جرير عن قتادة بإسنادين، الأول: بشر بن معاذ، عن يزيد بن زريع، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة، والثاني: الحسن بن يحيى، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة.

٣ ـ طرق وأسانيد تفسير سائر التابعين:

لقد مرَّ بنا فيما سبق دراسة الطرق والأسانيد للآثار المروية عن مجاهد وقتادة، فإذا علمنا أن أكثر من نصف الآثار المنقولة عن التابعين في التفسير هي من رواية قتادة ومجاهد[١]، أدركنا بذلك قيمة دراسة الأسانيد التي روي بها تفسيرهما.

إلا أنني لم أغفل دراسة باقي الأسانيد التي روي بها التفسير عن غيرهم، وقد وجدت فيها ما يضعّف إلا أنه في الغالب ممن لم ينقل عنهم في التفسير كبير شيء، أو كان الضعف ليس شديداً، فمن ذلك السديُّ، فقد جاء عنه روايات كثيرة في التفسير[٢]، ويعد أسباط بن نصر راوية لتفسيره، فلم يفته إلا القليل، وجاء غالب تفسيره من طريقه[٣]، وأسباط من رجال مسلم، وفيه كلام معروف من جهة حفظه، وسبق الإشارة لذلك[٤].

وأما الحسن البصري: وهو من المكثرين أيضًا، فقد روي عنه في التفسير آثار تقارب ما روي عن السدي عدداً[٥]، إلا أنني لم أجد له طريقًا يمكن جعله أساس الطرق والأسانيد التي روي بها تفسيره، اللهم إلا طريق قتادة، ومعمر عنه، وقد بلغت ثلث الطرق التي روي بها تفسيره عند الطبري[٦].

---

(١) بعد استخراج روايات أئمة التفسير من التابعين الذين اعتمدت على أقوالهم وترجمت لهم في بحثي هذا وجدت أن مجموع ما ورد من تفسيرهم في تفسير الطبري (١٨٨٥٤) رواية، انفرد مجاهد وقتادة بـ(١١٤٨٨) رواية، أي ما يزيد على (٦٠, ٠) من جملة تفسيرهم.

(٢) بلغت رواياته في تفسير الطبري (١٦٨٢) رواية، أي بنسبة (٠٩, ٠) من مجموع تفسير التابعين في تفسير الطبري.

(٣) بلغ مرويات أسباط (٩٥, ٠) من مجموع روايات السدي في التفسير عند الطبري.

(٤) ينظر قيمة المروي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ص (٩٣٠).

(٥) بلغت في مجموعها (١٤٨٧) أثراً، أي ما نسبته (٨, ٠) من مجموع تفسير التابعين عند الطبري.

(٦) بلغت نسبة ما رواه قتادة عن الحسن (١٢, ٠) من مجموع ما نقل عن الحسن في الطبري، وأما ما رواه معمر عنه فقد بلغ (٥, ١١, ٠) منه.

فإذا انتقلنا إلى مرويات عطاء على قلتها، وجدنا الكثير منها جاء من طريق ابن جريج، فقد انفرد بنصف المروي عن عطاء[١]، فإنه لازم شيخه عطاء سبع عشرة سنة، وفي رواية عشرين سنة[٢]، حتى سئل عطاء: من نسأل بعدك يا أبا محمد، قال: هذا الفتى؛ يعني ابن جريج[٣].

وقال أحمد بن حنبل: أثبت الناس في عطاء: عمرو بن دينار، وابن جريج[٤].

وقال ابن المديني: لم يكن في الأرض أحد أعلم بعطاء من ابن جريج[٥].

ولقد كان ابن جريج من التلاميذ الذين حفظوا لنا علم عطاء الذي كان يميل إلى ترك الفتوى، والورع من التفسير، فأخرج علمَه سؤالاتُ ابن جريج له، قال ابن جريج: كنت أسأل عطاء عن كل شيء يعجبني، فلما سألته عن البقرة وآل عمران قال: اعفني من هذا؛ يعني تفسيره[٦].

وأما سعيد بن المسيب: فعلى قلة المروي عنه في التفسير إلا أن أكثره جاء من رواية قتادة، ومعلوم إتقان قتادة وحفظه[٧].

ويليه في الرواية عن سعيد يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري، الذي قاله عنه ابن المديني: لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم من يحيى[٨]، وهذان الإمامان نقلا ما

(١) بلغت مرويات التفسير عن عطاء عند الطبري من طريق ابن جريج (٥٠, ٠) من مجموع تفسيره.
(٢) السير (٦/ ٣٣٢).
(٣) السير (٦/ ٣٢٨).
(٤) العلل لأحمد (٢/ ٤٩٦) ٣٢٧٢.
(٥) السير (٦/ ٣٣٠).
(٦) العلل لأحمد (٣/ ٢٦٨) ٥١٨٨.
(٧) جاء من طريق قتادة (٣٧, ٠) من مجموع المروي عن ابن المسيب.
(٨) تهذيب الكمال (٣١/ ٣٥٣)، والتقريب (٥٩١)، والتذكرة (١/ ١٣٧).

يزيد على نصف المروي عن سعيد[١] .

وأما إبراهيم النخعي : فقد جاء ما يزيد على ثلثي تفسيره من طريق المغيرة بن مقسم .

والمغيرة بن مقسم الضبي روى وأكثر عن إبراهيم[٢] ، وقد وثقه أبو حاتم والعجلي والنسائي[٣] .

وأما الناقل الثاني لتفسير إبراهيم فهو منصور بن المعتمر أحد الأئمة الأعلام والثقات الأثبات، قال يحيى بن سعيد القطان : ما أحد أثبت من منصور بن المعتمر في إبراهيم[٤] .

وأما الشعبي فقد جاءت الروايات عنه من طرق متعددة، وثلث ما روي عنه جاء عن طريق داود بن أبي هند، والمغيرة بن مقسم[٥] ، وداود هو القشيري مولاهم البصري، قال عنه ابن حجر : ثقة متقن[٦] .

ومرويات أبي العالية على قلتها فإنما جاء أكثرها من طريق الربيع بن أنس، إلا أن فيها ما لا يُفرح به؛ لأنه من رواية أبي جعفر الرازي عن الربيع ، والناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبي جعفر لأن فيها اضطرابًا كثيراً[٦]، إلا أن المروي عن

---

(١) جاء من طريق يحيى (١٦ , ٠) من مجموع المروي عن سعيد و(٣٧ , ٠) منه من طريق قتادة، أي أن ما مجموع نسبته (٥٣ , ٠) من المروي عنه كان من طريق قتادة، ويحيى .

(٢) روى (٣٦ , ٠) من تفسير إبراهيم .

(٣) تهذيب الكمال (٢٨/ ٤٠٠ ، ٤٠١)، وينظر في ترجمته، طبقات ابن سعد (٦/ ٣٣٧)، والجرح (٨/ ٢٢٨)، وتاريخ الثقات للعجلي (٤٣٧)، وثقات ابن شاهين (٢١٩) .

(٤) شرح علل ابن رجب (٢٩٤)، والمعرفة (٣/ ١٣، ١١٢) .

(٥) روى داود بن أبي هند (٢٣ , ٠) من الروايات التي جاءت عن الشعبي، وأما المغيرة فكانت نسبة مروياته عنه (١١ , ٠) من مجموع تفسيره .

(٦) الثقات (٤/ ٢٢٨)، ومشاهير علماء الأمصار (١٢٦) .

أبي العالية ليس كثيراً[١] .

وأما عكرمة وسعيد بن جبير فلم أجد من تلاميذهم من تخصص في الرواية عنهما، وإن كان جعفر بن أبي المغيرة روى مايزيد قليلاً عن عُشر مرويات سعيد[٢] ، وقاربه جعفر بن أبي وحشية أبو بشر[٣] ، وكذا سالم الأفطس[٤] وجميعهم ممن روى عنه الأئمة، فجعفر بن أبي المغيرة صدوق يهم[٥] ، وجعفر بن أبي وحشية ثقة من أثبت الناس في سعيد[٦] ، وسالم الأفطس ثقة[٧] ، أي أن ثلث تفسيره جاء من تلك الطرق.

وهذا عكرمة جاء تفسيره في أشهر طرقه عن يزيد النحوي، وابن جريج، والحكم ابن أبان، وقتادة، فقد جاء ما يقارب من ربع تفسيره من طريقهم[٨] ، ولكنهم من الأئمة الثقات، باستثناء الحكم بن أبان وهو صدوق[٩] .

وأما محمد بن كعب القرظي، فقد روى أبو معشر المدني ما يزيد قليلاً عن ربع تفسيره، وروى موسى بن عبيدة نحواً من خمسها، وكلاً منهما ضعيف[١٠] .

---

(١) روى الربيع (٧٨, ٠) من مجموع مرويات أبي العالية، أي نحواً من (١٩٠) رواية.
(٢) جاء من طريقه (١١٤) رواية، أي ما يقارب (١١, ٠) من مجموع تفسير سعيد.
(٣) جاء من طريقه (٩٨) رواية، أي ما يقارب (٠٩٧, ٠) من مجموع تفسير سعيد.
(٤) جاء من طريقه (٩٦) رواية، أي ما يقارب (٠٩٥, ٠) من مجموع تفسير سعيد.
(٥) التقريب (١٤١).
(٦) التقريب (١٣٩).
(٧) التقريب (٢٢٧).
(٨) جاء من طريق ابن جريج (٧٥) رواية، وعن يزيد النحوي (٦٩) رواية، وعن الحكم بن أبان (٤٥) رواية، وعن قتادة (٣٠) رواية.
(٩) ينظر التقريب (١٧٤، ٦٠١).
(١٠) روى أبو معشر (٢٨, ٠) من مجموع تفسيره، وروى موسى (١٩, ٠) من جملة الروايات، وينظر التقريب (٥٥٩) و (٥٥٢).

إلا أن مما يهون الأمر أن المروي عن محمد بن كعب في التفسير قليلاً[١] .

مما تقدم نجد أن أشهر الروايات عن التابعين قد تنوعت بين القوة والضعف، إلا أن المكثرين منهم في التفسير جاءت الأسانيد عنهم في غاية القوة لا سيما قتادة، وبعده مجاهد، ثم عطاء، فالحسن، وسعيد، وعكرمة، وأما الأسانيد الضعيفة فقد ظهرت في المقلين، فيكون حاصل ذلك أنه جلَّ تفسير التابعين جاء صحيحًا، بخلاف غيره من التفسير المأثور.

وتمتد هذه الميزة لأسانيد التابعين، حتى نجدها كذلك أصح وأنظف من كثير من الأسانيد التي جاءت عن مفسري تابعي التابعين، أمثال الضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن زيد، فإن أسانيد تفسيره جاءت جلَّها من طريق جويبر بن سعيد الأزدي قال عنه ابن حجر: راوي التفسير ضعيف جدًا[٢] .

وأما عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وإن كان الراوي لكثير من تفسيره هو عبد الله بن وهب بن مسلم المصري قال فيه ابن حجر: الحافظ الثقة[٣] ، إلا أن صاحب التفسير عبد الرحمن بن زيد ضعيف جدًا كما قاله علي بن المديني وابن سعد وغيرهم[٤] ، وكثير من تفسير عبد الرحمن إنما أخذه عن أبيه زيد، يقول ابن خزيمة: عبد الرحمن ليس هو ممن يحتج أهل العلم بحديثه لسوء حفظه، هو رجل صناعته العبادة والتقشف ليس من أحلاس الحديث[٥] .

---

(١) لم تزد الروايات عنه في التفسير كما عند ابن جرير عن (١٥٣) رواية.

(٢) التقريب (١٤٣).

(٣) التقريب (٣٢٨).

(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ٤١٣)، والضعفاء الصغير (٧١)، والضعفاء الكبير (٢/ ٣٣١).

(٥) التهذيب (٦/ ١٧٩).

ولذا فعبد الرحمن ما كان من تفسير اعتمد فيه على النقل من أسباب نزول عن غيره فهو ضعيف غير مقبول، وما كان من اجتهاده فالأمر في ذلك أسهل، والله أعلم.

ومما سبق يتضح لنا قيمة تفسير التابعين رواية.

• • •

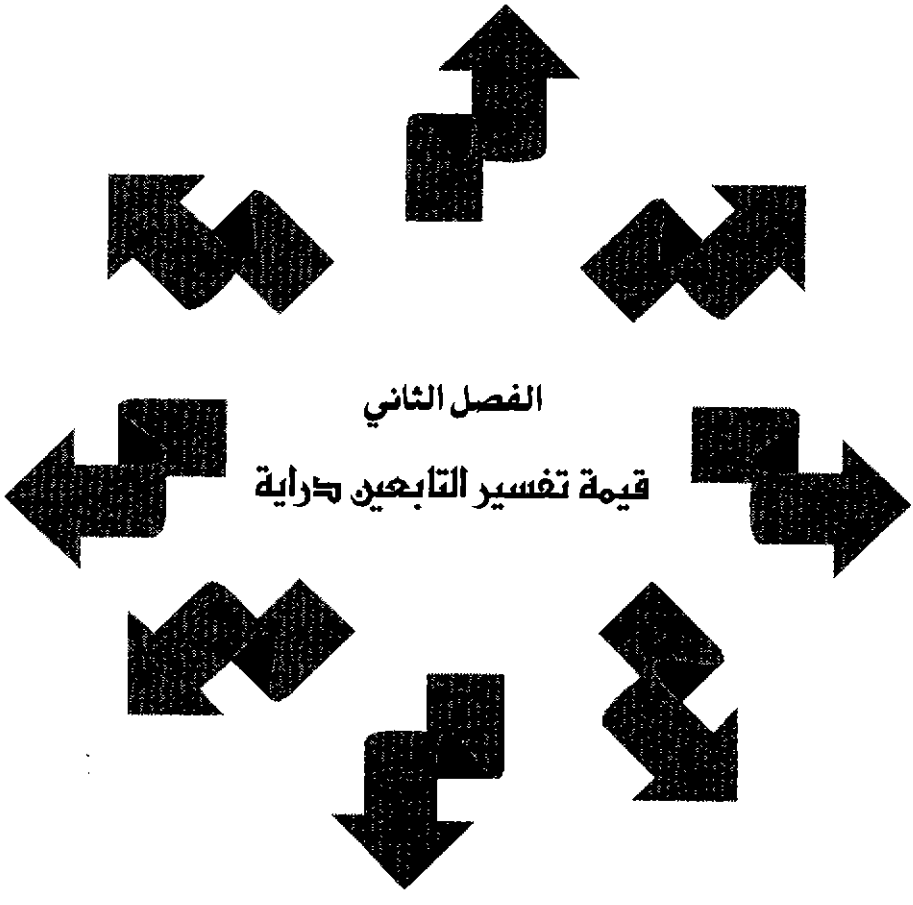

الفصل الثاني

قيمة تفسير التابعين دراية

المبحث الأول
نوع الخلاف بين مفسري التابعين

بعد أن استعرضنا قيمة تفسير التابعين رواية، وتبين لنا الأثر الواضح الذي تركه تفسيرهم في هذا الجانب كان لزامًا أن أوضح هنا أن الأمر لم يقتصر على مجرد الروايات فحسب، بل أن لتفسيرهم قيمة علمية سامية، ومنزلة عالية، فإذا علمنا أن الاختلاف بين التابعين لم يكن ذلك الاختلاف الموجود عند من جاء بعدهم من التنازع والتشاحن، واتضح لنا أن تفسيرهم تميز بميزات ليست لغيره من أنواع التفاسير بعد ذلك لبيان منزلتهم، وقيمة تفسيرهم عند أهل العلم، ـ رحم الله الجميع ـ .

الأصل في تفسير القرآن الكريم أنه يرجع كله إلى قول واحد[1]، وإن بدا في أول الأمر خلاف ذلك، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾[2].

فنفى الله عز وجل أن يقع فيه اختلاف ألبتة، ولو كان فيه ما يقتضي قولين مختلفين لم يصدق هذا الكلام بحال.

وأيضًا فإن قوله سبحانه: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾[3] صريح في رفع التنازع، والاختلاف. ولا يرتفع الخلاف إلا بالرجوع إلى شيء واحد، إذ لو كان فيه ما يقتضي الاختلاف لم يكن في الرجوع إليه رفع تنازع، وهذا باطل[4].

---

(١) أي فليس من مقاصد الشرع وضع حكمين متخالفين في موضوع واحد.
(٢) سورة النساء: آية (٨٢).
(٣) سورة النساء: آية (٥٩).
(٤) الموافقات (٤/ ١١٨).

والآيات في ذلك كثيرة، وأنه لا اختلاف فيها، وإنما هي على مأخذ واحد وقول واحد.

وعن عبد الله بن أبي رباح الأنصاري: أن عبد الله بن عمرو قال: هجرت إلى رسول الله ﷺ يومًا، فسمعت أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب، فقال: «**إنما هلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب**»[١].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لقد جلست أنا وأخي مجلسًا ما أحب أن لي به حمر النعم. أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم. فجلسنا حجرة. إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم. فخرج رسول الله ﷺ مغضبًا قد احمر وجهه يرميهم بالتراب، ويقول: «**مهلاً يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم. وضربهم الكتب بعضها ببعض. إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضًا، وإنما نزل يصدق بعضه بعضًا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه**»[٢].

وعن سفيان قال: ليس في تفسير القرآن اختلاف، إنما هو كلام جامع يراد منه هذا وهذا[٣].

ومن هنا فإن جمعًا من أهل العلم نبه على مسألة اختلاف المفسرين، وأبان عن نوع الخلاف بينهم، منهم المقل في ذلك، والمستكثر[٤].

---

(١) مسند أحمد (٢/ ١٩٢)، وشرح السنة للبغوي (١/ ٢٦١).

(٢) مسند أحمد (٢/ ١٨١، ١٨٥).

(٣) فتح القدير (١/ ١٢).

(٤) عقد ابن قتيبة مبحثًا في اختلاف التنوع واختلاف التضاد في كتابه: «تأويل مشكل القرآن» =

وابتداءً ينبغي أن نقرر أن اختلاف التابعين ـ رحمهم الله ـ إنما هو من قبيل اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد، ومرد ذلك إلى معاصرة التابعين وقربهم، بل وتلقيهم من صحابة رسول الله ﷺ الذين عاصروا التنزيل، وشاهدوا الأحوال، وأدركوا نصوص القرآن الكريم، ومدلولاته الدقيقة من خلال السياق. بخلاف الذين جاءوا من بعدهم..

أنواع الاختلاف:

رد شيخ الإسلام أنواع الاختلاف إلى قسمين رئيسين: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد.

أولاً: اختلاف التنوع:

وهو أن يكون كل واحد من القولين حقًا مشروعًا، كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة، حتى زجرهم رسول الله ﷺ عن الاختلاف، وقال: «**كل منكما محسن**».

ومنه ما يكون كل من القولين هو في الواقع في معنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان. ومنه ما يكون المعنيان غيرين، لكن لا يتنافيان، فهذا قول صحيح، وذلك قول صحيح، وإن لم يكن أحدهما هو معنى الآخر.

ثانيًا: اختلاف التضاد:

فهو القولان المتنافيان، واللذان لا يمكن القول بهما جميعًا[1]. انتهى.

= (٦٥، ٨٥)، وفصل شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الموضوع أيضًا في مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣٣)، وأفرد الإمام الشاطبي في «الموافقات» مبحثًا كاملاً في ذلك (٤/ ٢١٤)، وللبطليوسي رسالة سماها «التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين». وهناك رسالة لشيخنا الدكتور سعود الفنيسان أسماها «اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره».

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٣٠).

وقريبًا من هذا التقسيم ما ذكره الإمام الشاطبي، قال: من الخلاف ما لا يعتد به في الخلاف، وهو ضربان:

أحدهما: ما كان من الأقوال خطأ مخالفًا لمقطوع به في الشريعة.

والثاني: ما كان ظاهره الخلاف، وليس في الحقيقة كذلك، وأكثر ما يقع ذلك في تفسير الكتاب والسنة، فتجد المفسرين ينقلون عن السلف في معاني ألفاظ الكتاب أقوالاً مختلفة في الظاهر، فإذا اعتبرتها وجدتها تتلاقى على العبارة كالمعنى الواحد. والأقوال إذا أمكن اجتماعها والقول بجميعها من غير إخلال بمقصد القائل فلا يصح نقل الخلاف فيها عنه[1].

ولتوضيح ذلك أعرضه فيما يلي بشيء من التفصيل:

اختلاف التنوع:

وهذا النوع هو أكثر ما وجدته بين المفسرين من التابعين، وقد قسم شيخ الإسلام هذا الخلاف إلى أربعة أنواع:

الأول: أن يعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى.

الثاني: أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه.

قلت: وهذان النوعان من أكثر الأنواع التي ظهرت لي في تفسير التابعين.

الثالث: أن يكون اللفظ المختلف فيه محتملاً للأمرين، إما لكونه مشتركًا في

(١) الموافقات (٤/ ٢١٤).

اللفظ، وإما لكونه متواطئًا في الأصل، لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشيئين.

الرابع: أن يتم التعبير عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة[١].

ومثال ما جاء عن التابعين من النوع الأول، وهو أن يعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٢].

قال بعضهم: إنه كتاب الله، وقال الحسن، وأبو العالية: هو دين الإسلام، وقال مجاهد: الطريق الهادي إلى دين الله[٣].

فهذه الأقوال متفقة، ولكن كل واحد منهم نبه على وصف غير الوصف الآخر. ومثال ذلك أيضًا ما جاء عنهم عند قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾[٤].

فقال عامر الشعبي: إنه الذي يقع على الشجر فيأكله الناس، وقال مجاهد: صمغه، وقال قتادة: كان المن ينزل عليهم مثل الثلج. وقال السدي: إنه الزنجبيل.

وعند قوله تعالى: ﴿السَّلْوَى﴾ قال بعضهم: إنه طير يشبه السمان، وقال قتادة، ومجاهد: طائر كانت تحشرها عليهم الريح الجنوب، وقال عامر الشعبي: إنه السُّمّاني[٥].

قال الشاطبي بعد أن ذكر هذا المثال: فمثل هذا يصح حمله على الموافقة، وهو

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣٣).
وزاد الذهبي في (التفسير والمفسرون) نوعًا خامسًا فقال: أن يكون في الآية الواحدة قراءتان أو قراءات، فيفسر كل منهم على حسب قراءة مخصوصة (١/ ١٣٧).
(٢) سورة الفاتحة: آية (٥).
(٣) تفسير الطبري (١/ ١٧١).
(٤) سورة البقرة: آية (٥٧).
(٥) تفسير الطبري (٢/ ٩١).

الظاهر فيها[١] .

ومثال النوع الثاني: وهو أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع، لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه؛ ما جاء عند تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾[٢] .

فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات، والمنتهك للحرمات. والمقتصد يتناول فاعل الواجبات، وتارك المحرمات، والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات، فالمقتصدون هم أصحاب اليمين، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٣] .

ثم إن كلاً منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات، كقول القائل: السابق الذي يصلي في أول الوقت، والمقتصد الذي يصلي في أثنائه، والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار. ويقول (الآخر): السابق، والمقتصد والظالم قد ذكرهم في آخر سورة البقرة، فإنه ذكر المحسن بالصدقة، والظالم بأكل الربا، والعادل بالبيع، والناس في الأموال إما محسن، وإما عادل، وإما ظالم، فالسابق المحسن بأداء المستحبات مع الواجبات، والظالم آكل الربا، أو مانع الزكاة، والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة، ولا يأكل الربا، وأمثال هذه الأقاويل.

فكل قول فيه ذكر نوع داخل في الآية ذكر لتعريف المستمع بتناول الآية له، وتنبيهه به على نظيره، فإن التعريف بالمثال قد يسهل أكثر من التعريف بالحد المطلق[٤] .

---

(١) الموافقات (٤/ ٢١٥).
(٢) سورة فاطر: آية (٣٢).
(٣) سورة الواقعة: آية (١٠، ١١).
(٤) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣٧).

ومثال ذلك أيضًا: ما ورد عند قوله تعالى: ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴾[١].

حيث فسر قتادة والسدي القوة: بالجد والاجتهاد، وقال أبو العالية: الطاعة، وقال مجاهد: العمل بما فيه[٢].

وعند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ ﴾[٣] ورد في معنى ﴿ الصَّابِئِينَ ﴾ أنهم قوم بين النصارى والمجوس ليس لهم دين، وبه قال مجاهد، وقيل: إنهم قوم بين اليهود والنصارى، وبه قال سعيد بن جبير، وقال الحسن: إنهم قوم كالمجوس[٤].

ويدخل ضمن هذا النوع ما يذكره المفسرون من أسباب فهي كالمثال، فإذا قيل: نزلت هذه الآية في كذا، أو قيل: نزلت في غيرها من الأسباب، فإنها كالأمثلة تدخل في حكم الآية.

وأما النوع الثالث: وهو أن يكون اللفظ محتملاً للأمرين، إما لكونه مشتركًا في اللفظ، وإما لكونه متواطئًا في الأصل، لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشيئين.

فمثال الأول ـ وهو الاشتراك اللفظي ـ: كلفظة (النكاح) فهي تطلق على العقد كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾[٥] وتطلق على الوطء كقوله: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾[٦].

وكلفظ ﴿ قسورة ﴾ قال مجاهد، وعكرمة: الرماة، وقال غيرهما:

---

(١) سورة البقرة: آية (٦٣).
(٢) تفسير الطبري (٢/ ١٦٠)، وزاد المسير (١/ ٩٣).
(٣) سورة البقرة: آية (٦٢).
(٤) تفسير الطبري (٢/ ١٤٥)، وزاد المسير (١/ ٩١).
(٥) سورة الأحزاب: آية (٤٩).
(٦) سورة البقرة: آية (٢٣٠)، وينظر رسالة اختلاف المفسرين للدكتور سعود الفنيسان (٧٢).

الأسد[١] وكلفظ ﴿عسعس﴾ قال مجاهد، وقتادة: إذا أدبر، وقال الحسن: أقبل وغشي الناس بظلامه[٢].

ومثال الثاني: كالضمائر في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[٣] أي: جبريل عليه السلام، قاله الحسن، ومجاهد، وقال غيرهم: دنا الرب من محمد ﷺ[٤].

والشفع والوتر في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾[٥] فقال قتادة، وعكرمة: الشفع يوم النحر، والوتر يوم عرفة، وقال الحسن، ومجاهد: الشفع: كل الخلائق، والوتر: الله[٦].

ولفظ ﴿النازعات﴾ حيث قيل: هم الملائكة تنزع نفوس بني آدم، وبه قال سعيد ابن جبير، وقال غيره: بل هو الموت ينزع النفوس، وبه قال مجاهد، وقال الحسن: النجوم، وقال عطاء: القسي تنزع بالسهم، وقال السدي: النفس حين تغرق في الصدر[٧].

ولا شك أن هذه الأقوال يمكن أن تكون داخلة ضمن معاني الآية، فتحمل عليها جميعًا. ويمكن أن يكون أحدها راجحًا على الآخر، فيؤخذ به، ويترك ما سواه.

وأما النوع الرابع: فهو أن يعبر المفسر عن المعنى بألفاظ متقاربة لا مترادفة، فهو

---

(١) تفسير الطبري (٢٩/ ١٦٩).
(٢) تفسير الطبري (٣٠/ ٧٨).
(٣) سورة النجم: الآيتان (٨، ٩).
(٤) تفسير الطبري (٢٧/ ٤٤).
(٥) سورة الفجر: الآيات (١ ـ ٣).
(٦) تفسير الطبري (٣٠/ ١٧٠).
(٧) تفسير الطبري (٣٠/ ٢٨).

مثل قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾[١] قال الحسن، ومجاهد، والسدي: أن تُسْلَم، وقال قتادة: تحبس وتؤخذ، وقال غيرهم: ترتهن[٢].

فجميع هذه العبارات متقاربة، وليست من اختلاف التضاد.

وكذلك قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[٣] قال مجاهد: أي نصب، وقال غيره: عناء، وقال آخر: سآمة[٤].

وأيضًا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٥] قال مجاهد: إنها عهود الله التي أخذها على عباده فيما أحل وحرم، وقال الحسن: إنها عهود الدين كلها[٦].

وهناك نوع خامس: وهو أن يكون في الآية الواحدة قراءتان أو قراءات، فيفسر كل منهم على حسب قراءة مخصوصة، فيظن ذلك اختلافًا، وليس ذلك باختلاف، فمثاله قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾[٧]. فقد قرأها مجاهد، وقتادة، والحسن: ﴿نُنسِهَا﴾ بمعنى النسيان والرفع، قال قتادة: كان الله تعالى ذكره ينسي نبيه ﷺ ما شاء، وينسخ ما شاء، أو بمعنى الترك، كما ورد عن السدي قال: نتركها لا ننسخها، وقرأها عطاء وغيره: (أو ننسأها) بفتح النون وهمزة بعد السين، بمعنى نرجئها ونؤخرها، من قولك: «نسأت هذا الأمر أنسؤه نسأ ونساءً إذا أخرته»[٨].

---

(١) سورة الأنعام: آية (٧٠).
(٢) تفسير الطبري (١١/ ٤٤٣)، وزاد المسير (٣/ ٦٥).
(٣) سورة (ق): آية (٣٨).
(٤) تفسير الطبري (٢٦/ ١٧٨).
(٥) سورة المائدة: آية (١).
(٦) تفسير الطبري (٩/ ٤٤٩)، وزاد المسير (٢/ ٢٦٧).
(٧) سورة البقرة: آية (١٠٦).
(٨) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٣)، وفتح القدير (١/ ١٢٦)، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٥٥).

ومثاله أيضًا قوله سبحانه حكاية عن امرأة العزيز : ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾[١] .

فقرأها جماعة منهم الحسن، وعكرمة، وقتادة، والسدي: «هيْتَ» بفتح الهاء والتاء، بمعنى هلم لك، وادن وتقرب. وقرأها آخرون: «هئت» لك بكسر الهاء، وضم التاء والهمزة، بمعنى: تهيأت لك، من قول القائل: هئت لأمر أهيء هيئة[٢] .

ومثال ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[٣] .

فقد قرأها الحسن وغيره: الجَمَلَ، أي: البعير زوج الناقة. وقرأها عكرمة ومجاهد وغيرهما: الجُمَّلُ، يعني: قلوس السفن، يعني: الحبال الغلاظ[٤] .

• • •

(١) سورة يوسف: آية (٢٣).
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٢٦)، وزاد المسير (٤/ ٢٠٢)، وفتح القدير (٣/ ١٦).
(٣) سورة الأعراف: آية (٤٠).
(٤) تفسير الطبري (١٢/ ٤٢٨).

المبحث الثاني

مميزات تفسير التابعين

اتضح لنا فيما سبق دراسته قيمة تفسير التابعين من خلال النصوص والآثار الواردة عنهم، ومعرفة مصادرهم، ومناهجهم التي اعتمدوها، وساروا عليها.

وهذا المبحث مخصص لإبراز المميزات الموضوعية التي اختص بها التابعون.

ودراسة هذه المميزات تستلزم عقد مقارنة بين بعض الجوانب التفسيرية بين التابعين والمفسرين من الصحابة من جهة، وبين التابعين وأتباعهم من جهة أخرى؛ ولذا فإن هذا المبحث يحتوي على شيء من ذلك لإبراز المميزات التي تميز بها تفسيرهم:

١ ـ ظهور الاجتهاد في التفسير، ونشأة المدارس التفسيرية:

ازدادت الحاجة للتفسير في عصر التابعين؛ لأن ما نقل عن النبي ﷺ في التفسير كان موجزاً يقصد إلى بيان موطن الهداية في الآية، وكذلك ما نقل عن خواص أصحابه، وعلمائهم من مأثور التفسير؛ فإنه ذهب هذا المذهب[1]، مع ورع الكثيرين من الدخول في التفسير خشية الخطأ، فاحتاج الناس إلى إيضاح دلالات القرآن، ولا سيما بعد دخول العجمة على اللسان، واختلاط الثقافات، وانشغال الناس بعلم الفقه، والرواية الحديثة تبعًا لاهتمام الأصحاب بذلك، فخشي الصالحون أن يعزل القرآن عن أن يأخذ مكانته في الحياة بوضعه كتاب هداية، وحكمة، فتصدر التابعون إلى تفسير القرآن والاجتهاد في فهم الآيات، بحيث سدُّوا هذه الخلة، بل ربما لم

(١) القرآن العظيم هدايته وإعجازه، ص (١٨٤)، وضحى الإسلام (٢/ ١٤٣).

يتركوا كبير مجال لأتباع التابعين للاجتهاد فيه[1] ؛ ولأجل اختلاف النزعات ، والمشارب ، والشيوخ ، والأماكن ، اختلفت الأنظار والمناهج ، مما أدى إلى قيام المدارس التفسيرية المختلفة التي سبق الكلام عنها[2] ، ومما تجد الإشارة إليه ، أن الطابع الروائي ظل موجوداً في عهد التابعين بطرفيه ، فمنهم من كان يتورع من الرواية خشية الوقوع في مغبة الكذب على رسول الله ، ومنهم من اختار الوقوف على الأثر ، وترك الاجتهاد ، إلا أن الفرجة بين هذين المنهجين اتسعت في عصر التابعين ، فصار الذين يؤثرون الرواية يزيدون في الاستمساك بطريقتهم ، ويرون فيها عصمة من الفتن ، والآخرون يرون كثرة الكذب على الرسول ﷺ مانعًا من الرواية ، كما أن الأحداث والمستجدات الجديدة جعلت الاجتهاد والإفتاء ضرورة يمليها الواقع ، وهكذا اتسعت المسافة بين الطريقين .

ومما يدل على تميز التابعين في علم التفسير أن المكثرين المشتهرين بالتفسير من التابعين أكثر عدداً ونتاجًا من المشهورين من الصحابة ، وكذا الحال بالنسبة للمقلين في الجانبين .

كما تميز بعض المفسرين من التابعين بالنبوغ في علم التفسير رواية ، ودراية ، بل إن من كان الجانب الروائي أغلب على حاله ، كان يوصف أيضًا بالاجتهاد ، والدراية بالتفسير ، ولذا فلا نعجب عندما يقول العجلي عن السدي : إنه عالم بتفسير القرآن

---

(١) كما تقدم تقريره في غلبة النقل على تفسير ابن زيد ، والضحاك ، وغيرهم من أتباع التابعين ، وكذلك كان ابن أبي نجيح ، وسعيد بن أبي عروبة ، وانشغل الكثير منهم بالقراءات ، وتحريرها .

(٢) دراسات في التفسير ص (٧٣) .

راوية له [١] .

٢ ـ كثرة اعتمادهم على المأثور من التفسير :

تميز تفسيرهم بكثرة ووفرة مادته، وكان الغالب على مكثريهم العناية والاهتمام بالمنقول عن الصحابة، فهذا المصدر يعد من أهم المصادر التي اعتمد عليها مفسرو التابعين، فقتادة كان يقول : ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئًا [٢] .

وعن مجاهد قال : لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود، لم أحتج إلى أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت [٣] .

٣ ـ الاستقلالية :

مع أن أئمة التفسير في عصر التابعين كانوا مجتهدين، إلا أنهم يعتبرون وسطاء نقلوا إلينا الكثير من تفسير الصحابة مسندًا، مع دقة النقل، وتفسير ما أشكل منه أحيانًا، وسبق نقل مواضع من ذلك في هذه الرسالة.

وممن اهتم بنقل تفسير ابن عباس مثلاً سعيد، وعكرمة، ومن بعدهم الضحاك، واهتم مرة بنقل تفسير ابن مسعود، كما حفظ لنا مجاهد جملة كبيرة من تفسير ابن عباس، وقتادة نقل إلينا عن هذين وغيرهما أيضًا روايات عديدة، إلا أنه يلاحظ أن المنقول في التفسير عن الصحابة أكثره في تفسير آيات الأحكام، وعمومًا فقد كان التفسير قليلاً بين الصحابة، بل يعد من أقل العلوم المروية عنهم، ففروع العلم الأخرى من فقه، وحديث، وسيرة، وقراءة، كان لها النصيب الأكبر في المنقول عنهم، يدل على ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري ـ وقد ذكر أصحاب النبي ﷺ ـ فقال : كان هذا

(١) مرَّ في ترجمة السدي ص (٣٢٩).
(٢) سبق بيانه في ترجمته ص (٢٧٤).
(٣) سبق بيانه في ترجمته ص (١٢٧).

حديثهم (يعني الفقه) إلا أن يقرأ رجل سورة من القرآن[١] .

ولولا ما ورد عن ابن عباس في التفسير لكانت نسبة المروي عن الصحابة في التفسير أقل من القليل[٢] .

وابن عباس - رضي الله عنهما - معدود في صغار الصحابة الذين كان أكثر عهدهم بين التابعين، وكثير من رواياته، ولا سيما المطولة منها كان مما أخذه عن مسلمة اليهود، أو ممن تتلمذ عليهم، كالروايات عن كعب، وغيره[٣] ، وكثير من المروي عنه لا يصح سنده إليه[٤] .

لقد نقل التابعون هذا التفسير لنا، ولم يقفوا عنده، بل اجتهدوا، وظهر أثر ذلك الاجتهاد في اتجاهين :

الأول : مخالفة المنقول عن الصاحب.

الثاني : التطرق لآيات ليس فيها نقل عن النبي ﷺ وصحابته - رضي الله عنهم - ، وهذا الاتجاه الثاني سيأتي بحثه عند الحديث عن أثر التابعين في التفسير عند أهل السنة[٥] .

وأما مخالفاتهم للصحابة فكثيرة، ولأجل أن تتضح معالم هذه الاستقلالية في التفسير أستعرض شيئًا من ذلك مبرزًا إياه في المنقول عن اثنين من كبار المفسرين،

---

(١) تاريخ أبي زرعة (١/ ٥٥٣).

(٢) المروي عن ابن عباس عند ابن جرير بلغ نحو من (٥٨٠٩) روايات، وكان الذي يليه من الصحابة في كم المروي ابن مسعود، حيث بلغ (٨٥٦)، وعن عمر بن الخطاب بلغ ما يقارب (٣٠٠) رواية، وغيرهم من الصحابة أقل منهم في ذلك.

(٣) القرآن العظيم هدايته وإعجازه لمحمد الصادق عرجون، ص (١٨٤) ط.

(٤) يراجع في ذلك قيمة المنقول عن الصحابة رواية، ص (١٠١٨).

(٥) ينظر ص (١٠٧٦).

أحدهما ابن عباس، والآخر تلميذه مجاهد بن جبر.

فمع أن مجاهدًا كان من أكثر تلاميذ ابن عباس تلقيًا وأخذًا عنه، فإنه كان ذا شخصية متميزة في التفسير، كما حدث هو عن نفسه، فقال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقفه عند كل آية أسأله فيم نزلت؟ وكيف نزلت؟ وكان من حرصه - رحمه الله - أن كان يكتب ما يأخذه عنه، يقول ابن أبي مليكة: رأيت مجاهدًا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواحه، فيقول له ابن عباس: اكتب، قال: حتى سأله عن التفسير كله.

والمفترض - والحالة هذه - أن يكون الاتباع، والاقتداء بمنهج شيخه وتفسيره هو الغالب عليه، وأن يحذو حذوه، إلا أننا وجدنا شخصيته المتميزة، وتفرده المستقل، واضحًا بينًا في تفسيره، فنجد أن له العديد من الأمثلة التي أورد فيها معاني مخالفة لما قاله شيخه[1]، فمن ذلك ما ورد عنه في قوله تعالى: ﴿مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا﴾[2]، قال: مسلمة من الشية، لا بياض فيها، ولا سواد[3].

في حين قال شيخه ابن عباس: لا عوار فيها[4].

وعند قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ

(١) المراد اختلاف التنوع، وليس اختلاف التضاد، وإن كان ورد عنه هذا النوع أي اختلاف التضاد، لكنه كان من القليل النادر، فمن ذلك ما ورد عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ سورة البقرة: آية (٦٥)، قال: مسخت قلوبهم، في حين قال ابن عباس: إنهم مسخوا. سبق بيان ذلك في ترجمة مجاهد ص (٩٣).

(٢) سورة البقرة: آية (٧١).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢١٣) ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، والدر المنثور (١/ ١٩١)، وفتح القدير (١/ ٩٩).

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٢١٤) ١٢٦٢.

﴿بِكُمْ﴾[١] قال مجاهد: قام النبيﷺ يوم قريظة تحت حصونهم فقال: «**يا إخوان القردة، ويا إخوان الخنازير، ويا عبدة الطاغوت**». فقالوا: من أخبر هذا محمدًا؟ ما خرج هذا إلا منكم! ﴿**أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ**﴾ بما حكم الله، للفتح، ليكون لهم حجة عليكم[٢].

في حين قال ابن عباس: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا**﴾ أي بصاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: لا تحدثوا العرب بهذا، فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم، فكان منهم[٣].

وكذلك ما ورد عنه في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ**﴾[٤] قال مجاهد: أناس من يهود. وقال ابن عباس: الأميون قوم لم يصدقوا رسولاً أرسله الله، ولا كتابًا أنزله الله، فكتبوا كتابًا بأيديهم، ثم قالوا لقوم سفلة جهال: هذا من عند الله. وقال: وقد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم، ثم سماهم أميين، لجحودهم كتب الله ورسله[٥].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ**﴾[٦]، قال ابن عباس: الممتلئ، وقال مجاهد: الموقد[٧].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ**﴾[٨] قال ابن عباس: الكبد

---

(١) سورة البقرة: آية (٧٦).
(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٥٢) ١٣٤٧، والدر المنثور (١/ ١٩٩)، وفتح القدير (١/ ١٠٣).
(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٥١) ١٣٤٠.
(٤) سورة البقرة: آية (٧٨).
(٥) تفسير الطبري (٢/ ٢٥٧) ١٣٥٤، وزاد المسير (١/ ١٠٥)، والدر المنثور (١/ ٢٠٠)، وفتح القدير (١/ ١٠٥).
(٦) سورة الطور: آية (٦).
(٧) أقسام القرآن لابن القيم (١٦٨)، وزاد المسير (٨/ ٤٨)، والدر المنثور (٧/ ٦٢٩).
(٨) سورة البلد: آية (٤).

المنتصب على قدميه، وقال مجاهد: النصب[١].

وفسر ابن عباس (العفو) في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾[٢] بأنه العفو عن الغنى، في حين قال مجاهد: الصدقة المفروضة[٣].

وفسر ابن عباس (الفوم) بأنه الحنطة، وقال مجاهد: الخبز[٤].

وفسر ابن عباس (الأسر) في قوله: ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾[٥] بمعنى الخلق: شددنا خلقهم، وقال مجاهد: موضع البول[٦].

وفي مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾[٧]، قال ابن عباس: إنه عائد على الحق، وقال مجاهد: إنه عائد على محمد[٨].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾[٩]، قال ابن عباس البروج: مواقع الشمس، وقال مجاهد: الكواكب[١٠].

وفي قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾[١١] قال ابن عباس: الملائكة تنزع نفوس الكفار بشدة وعنف، وقال مجاهد: هي شدائد الموت، وأهواله[١٢].

---

(١) الدر المنثور (٨/ ٥١٩، ٥٢٠)، وفتح القدير (٥/ ٤٤٦).
(٢) سورة البقرة: آية (٢١٩).
(٣) زاد المسير (١/ ٢٤٢)، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ١٧٥)، والدر المنثور (١/ ٦٠٨).
(٤) أقسام القرآن ص (٣٠).
(٥) سورة الإنسان: آية (٢٨).
(٦) أقسام القرآن ص (٢٤)، زاد المسير (٨/ ٤٤١)، والدر المنثور (٨/ ٣٧٨)، وفتح القدير (٥/ ٣٥٤).
(٧) سورة البقرة: آية (١٤٦).
(٨) المحرر الوجيز (١/ ٤٤٨)، وزاد المسير (١/ ١٥٨)، والدر المنثور (١/ ٣٥٦).
(٩) سورة الحجر: آية (١٧).
(١٠) زاد المسير (٤/ ٣٨٧)، وأضواء البيان (٣/ ١٠٩).
(١١) سورة النازعات: آية (١).
(١٢) أقسام القرآن ص (٨٤)، وزاد المسير (٩/ ١٤)، وفتح القدير (٥/ ٣٧٢٧)، والدر المنثور (٨/ ٤٠٥).

وأحيانًا يكون اجتهاد مجاهد أقرب للمراد من عبارة شيخه التفسيرية.

ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[١] فسرها ابن عباس بـ(الناظرين)، إلا أن مجاهدًا لم يتابعه على ذلك، وفسرها بـ(المتفرسين)، وهو معنى أخص وأدق، تؤيده اللغة، يقال: توسمت في فلان حتى إني رأيت فيه أثرًا منه[٢].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[٣]، قال مجاهد: عتيًا، يعني نحول العظم، في حين قال ابن عباس: عتيًا يعني الكبر[٤].

قال ابن كثير: والظاهر أنه أخص[٥].

وقد يكون الخلاف في تفسير الآية أكثر تباينًا بين الصاحب، والتابعي، وقد يكون قول التابعي أصوب فيها، فمن ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[٦] قال ابن عباس: أرذل العمر، وقال مجاهد: إنه النار، وصوبه ابن القيم[٧]. والأمثلة على ذلك كثيرة، ومتنوعة.

٤ - بدء عصر التدوين للتفسير، وعلومه:

يعد عصر التابعين بداية عصر التدوين؛ إذ لم يدون التفسير في عصر الصحابة، وقد ظهر ذلك في كتابات سعيد بن جبير، كما كان مجاهد يسأل ابن عباس، ومعه

---

(١) سورة الحجر: آية (٧٥).

(٢) معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٥)، وزاد المسير (٤/ ٤٠٩)، والدر المنثور (٥/ ٩٠)، وفتح القدير (٣/ ١٣٩).

(٣) سورة مريم: آية (٨).

(٤) معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣١٠)، وزاد المسير (٥/ ٢١١)، والدر المنثور (٥/ ٤٧٩، ٤٨٢).

(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ١١٢).

(٦) سورة التين: آية (٥).

(٧) أقسام القرآن لابن القيم (٢٩)، والدر المنثور (٨/ ٥٥٤)، وفتح القدير (٥/ ٤٦٥).

ألواحه، فيقول ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله، وكذلك كان السدي قد جمع التفسير، ورواه عنه أسباط بن نصر[١].

ولم يقتصر الأمر على تدوين التفسير، بل دونت كثير من العلوم التي لها تعلق بالتفسير، واعتمد هذا التدوين على أقوال التابعين، وآرائهم في التفسير.

فالنحاة أخذوا أقوال التابعين، وكذلك فعل الفقهاء، والمتكلمون، وغيرهم، فصارت التفاسير المنسوبة للتابعين مادة لكل هؤلاء[٢].

مما جعل تفسير التابعين مميزاً عن التفاسير التي جاءت بعده.

وسيأتي مزيد بيان لذلك عند عرض أثر التابعين في أصول التفسير[٣]، وبيان منزلتهم عند أهل العلم[٤].

٥ ـ منهج التلقي والرواية:

ظل التفسير قائماً على الرواية حتى نهاية عصر التابعين، وبالتالي فإن المحدثين كانوا هم أصحاب الشأن فيه، وظل منهج التلقي هو المنهج السائد في هذا العصر[٥]، إلا أنه قد تجرد ما ورد في الحديث المرفوع والموقوف من التفسير[٦]، وعني بذلك جماعة من التابعين اختص كل جماعة منهم بجمع تفسير عالم مصرهم، فعني المكيون برواية ما ورد عن ابن عباس ومجاهد، وأضرابه، والكوفيون بما ورد عن ابن مسعود،

(١) مقدمة تفسير مقاتل (١٦)، ومناهج التجديد لأمين الخولي (٢٧٩)، ويراجع تعليق أحمد شاكر على تفسير الطبري (١/ ١٥٨)، وتاريخ التراث (١/ ٧٧).

(٢) ضحى الإسلام (٢/ ١٤٦).

(٣) ينظر ص (١١٣٤).

(٤) ينظر ص (١٠٦٤).

(٥) التفسير والمفسرون (١/ ١٣٠)، والاتجاهات الفكرية في التفسير (١٦١)، ودراسات في التفسير (٧٣).

(٦) ضحى الإسلام (٢/ ١٣٩).

والشعبي، ونحوهم، وهكذا[١]، وتبعًا لهذا المنهج صار المفسِّر يذكر سبب النزول في الآية، وما ورد فيها من آثار ينقلها غير ما يظهر له من اجتهاد، أو استنباط. مما جعل التفسير يزداد حجمه ويتضخم، وشمل كل آيات القرآن[٢]، بل كل ألفاظه وكلماته، بعد أن كان في عهد الصحابة يكتفى فيه بالمعاني الإجمالية، ولم يشمل كل الآيات، وبالتالي صار النقل فيه يشوبه الحذر من اختلاطه بالدخيل لكثرته، ولا سيما رواية الضعفاء تفسير الصحابة، ولذا دخلت الروايات التفسيرية في حيز النقد الحديثي، واختبرت وشملها قواعد النقد.

وأدى هذا المنهج الحديثي في سبر مرويات التفسير إلى تحرير أقوال المفسرين من التابعين أكثر من تحرير أقوال الصحابة، وصارت الروايات عنهم متفقة رغم تعدد طرقها، في حين كانت الروايات عن الصحابة متناقضة، ويصعب في كثير من الأحيان ترجيح بعضها على بعض، أو التمييز بين ما صح منها، وما لم يصح.

كما أدى تعدد طرق الرواية عن التابعين واتفاقها إلى قوة الآثار وصحتها، وإمكانية الاعتماد عليها، والركون لصحتها بدرجة أعلى من الآثار الواردة عن الصحابة[٣].

٦ ـ نواة الخلاف:

لقد كان الخلاف بين السلف قليلاً، ولعل أكثره كان يتركز على الخلاف الفقهي، ولم يختلف الصحابة في أصول مسائل الاعتقاد بحمد الله تعالى.

وقد عدَّ بعض الباحثين أن نواة الخلاف الذهبي العقدي نشأت في عصر التابعين[٤]، وأحسب أن هذه المقولة يشوبها بعض المبالغة؛ فإن كثيرًا من التهم التي وجهت إلى أئمة

(١) ضحى الإسلام (٢/ ١٣٩).
(٢) المرجع السابق (٢/ ١٣٩).
(٣) يراجع قيمة المروي عن التابعين رواية في ص (٩١٨).
(٤) ضحى الإسلام (٢/ ١٤٣)، اللآلئ الحسان في علوم القرآن (٣٣٦ـ٣٣٨).

التابعين لم تكن تهمًا صحيحة؛ مثل ما رمي به الحسن من أنه كان يفسر القرآن على مذهب القدرية، وما رمي به عكرمة ومجاهد وغيرهم، وقد سبق دراسة هذه التهم، والحكم عليها[١].

بل إن بعض الروايات التي نقل عنهم فيها شيء من ذلك كانت روايات محدودة لا يمكن عدها خلافًا عامًا بين التابعين.

نعم، قد ورد من ذلك شيء مبثوث في أقوالهم، إلا أنه كان نتيجة لظهور الفرق، وتشعبها في هذا العصر، إلا أن المنهج السلفي، والاتجاه الحديثي كان هو الأغلب على أئمة التابعين.

ومما يؤكد ذلك ما ذكره ابن المديني عن جعفر بن محمد من قوله: ليس القرآن بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله تعالى.

قال علي بن المديني: لا أعلم أنه تكلم بهذا الكلام في زمان أقدم من هذا[٢].

ويدل عليه أيضًا أن اعتماد الأئمة على الأقوال في تقرير الاعتقاد كان يشمل أقوال الصحابة والتابعين دون تمييز بينهم، ويلحظ ذلك كل من طالع كتب الاعتقاد التي تذكر الآثار فيها[٣]؛ بل لم نجد على سبيل المثال أثرًا لأقوال ومذهب جابر بن زيد في البصرة؛ بسبب وجود ابن عباس أميرًا عليها، بينما انتشر مذهبه أكثر بعد موته، وبقيت البصرة في عهد التابعين من الناحية التفسيرية أقرب إلى المدينة من حيث الرواية والأثر.

أما ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية من أن النزاع في التابعين كان أكثر منه في

(١) ينظر منهج التابعين في آيات الاعتقاد والصفات ص (٧٨١).
(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٣٨٣).
(٣) نحو كتاب اللالكائي والبيهقي، وغيرهما.

الصحابة فقد بين أنه أراد اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد[١] ، وإن كان وجد شيء من اختلاف التضاد إلا أنه قليل، وغالبه ليس من الاختلاف العقدي والمذهبي[٢] .

٧ ـ التابعون بين عصرين :

وإذا أردنا أن نعرف موقع التابعين بين جيلي الصحابة وأتباع التابعين، كان لزامًا أن نعقد مقارنة في بعض المسائل الواردة في هذه العصور، وقد سبق في المميزات المذكورة آنفًا شيء من ذلك، وأعرض هنا لبعض المسائل التي ظهر فيها الخلاف بينهم على وجه الإيجاز.

أ ـ الإسرائيليات :

من أبرز المميزات التي تعرف فتذكر، وتشكر ولا تنكر، أن المشاهير من مفسري التابعين والكبار منهم، وكذلك الطبقة الوسطى، لم يكثروا من الرواية عن بني إسرائيل بخلاف المتأخرين[٣] ، وخاصة السدي، وما انفرد به الربيع، وكان منهج الصحابة في الجملة إيراد هذه الروايات كما كان شأن ابن عباس، وعبد الله بن عمرو، وابن سلام، وكذلك كان منهج أتباع الأتباع، كابن إسحق، وابن زيد، وابن جريج، والضحاك، وهذا مما يؤكد أن جل الإسرائيليات إنما كثرت في التفسير عن طريق نقل أتباع التابعين لها بخلاف التابعين، وذلك خلافًا لمن رأى أن دخول الإسرائيليات وأخذها بدون تحرٍ، وبدون نقد، وبدون تمييز بين المعقول وغير المعقول، كان في عهد التابعين[٤] .

وهذه مقولة غير دقيقة، فحتى ما روي من الإسرائيليات عن أئمة التابعين، كان

---

(١) المقدمة ص (١١٦٠)، زرزور.

(٢) الثقافة الإسلامية لمحمد راغب الطباخ ص ١٠٠ .

(٣) يلاحظ أن وهب بن منبه وكعبًا الأحبار لم يكونا من مشاهير مفسري التابعين.

(٤) ذهب إلى ذلك د. موسى لاشين في كتابه اللآلئ الحسان ص ٣٣٨، ولعله نظر إلى مرويات السدي، وغفل عن منهج الحسن، وقتادة، ومجاهد، وغيرهم.

أصل الكثير منه مرويًا من طريق الأصحاب - رضي الله عنهم - وكانوا يروونها بصيغة التمريض تعبيرًا عن عدم الرضا التام عنها . والله أعلم .

ب - أسباب النزول :

يعد التابعون عمومًا من المقلين في أسباب النزول ، فأما الصحابة فقد تميزت رواياتهم بغزارة ما جاء فيها من أسباب النزول ، والعناية به ، ولا سيما ابن عباس الذي جاء عنه عدد كبير من الروايات في ذلك مقارنة بالتابعين[1] .

أما أتباع التابعين فقد توسعوا في أسباب النزول توسعهم في الإسرائيليات ؛ إذ الجميع يدور على الجانب القصصي والروائي الذي شغف به أتباع التابعين ، وبالتالي نجد أن لهم توسعًا آخر في سياق سبب النزول بأحداثه العديدة مما حدا بهم إلى التفصيل في السيرة ، والتاريخ ، كما كان حال ابن إسحاق وغيره .

جـ - اللغة :

يعد التابعون أكثر تعرضًا للغة ، وبيانًا لمفرداتها ، وشكلها من الصحابة ، إلا أن الاعتماد في كتب الغريب كان على أقوال الصحابة والتابعين معًا ، ولا سيما غريب الحديث ، وكان الاعتماد الأكبر على أقوال الصحابة .

أما أتباع التابعين فلم يكتفوا بعبارة التابعين المختصرة ، بل ذهبوا إلى توضيح العبارات بمزيد شرح ، وبيان عود للضمير المعلوم ، وبالجملة كان استعمالهم للغة أكثر

---

(١) وقفت علي العديد من المرويات عنه في أسباب النزول ، ويمكن مراجعة كتب أسباب النزول ككتابي الواحدي والسيوطي لمعرفتها .
وقد بلغ عدد المرويات عن ابن عباس في أسباب النزول (٤٨٥) رواية ، في حين كان نصيب عكرمة ، وهو أكثر التابعين اهتمامًا بذلك (١٢١) رواية .
وما جاء عن سعيد كان (٩٣) رواية ، وعن عطاء (١٠) روايات ، وعن مجاهد (٧) روايات .

من التابعين[١] .

ويمكن ملاحظة أن الإطالة في العبارة، وزيادة الشرح والبيان بدأ يزيد كلما زاد البعد عن العصر النبوي، ولعله كان يزيد لازدياد الحاجة، وكثرة العجمة، ونحو ذلك.

د ـ الاجتهاد في التفسير :

لقد تميز التابعون عن الطبقة التي تليهم من تبع الأتباع بأن المجتهدين من المفسرين في التابعين كانوا أكثر، في حين غلبت على أتباعهم الرواية والنقل، ويمكن بعبارة أخرى أن نلمح أثر التربية والدعوة في الجيلين، فلقد كان أثر الصحابة واضحًا في تخريج المفسرين من التابعين، وحثهم على الاجتهاد، ولا سيما المدرسة المكية، في حين كان أثر التابعين على من يليهم أقل في ذلك.

ولعل وضوح الجانب الوعظي في تفسير التابعين، ولا سيما في مدرستي العراق، كان له الأثر في إحجام تابعي التابعين تمامًا، كما كان أثر المدرسة الكوفية على أبنائها التابعين، والذي سبق الإشارة إليه.

إلا أن هذا لا يمنع من وجود أمثال الثوري ، وابن جريج، وابن زيد، ممن كانت له اجتهاداته التفسيرية، إلا أنها كانت في مباحث محددة من أهمها :

أولاً : القراءة :

اجتهد تابعوا التابعين في بيان القراءة، واعتنوا بالأداء، ومن ثم نقلوه إلى الأئمة بعدهم من القراء الذين عمت قراءتهم الأمصار، ومنهم السبعة المعروفون، وهذه العناية كانت أعلى بكثير من عناية التابعين الذين كانوا يقرءون بقراءة أصحابهم، ويرون في الأمر سعة، حتى في مخالفة رسم المصحف، كقراءة ابن مسعود[٢] ، وإنما كانوا

(١) راجع على سبيل المثال أثر الطبري (٦/ ٥٤٩) ٧٣٢٢.

(٢) سبق توجيه ذلك في مبحث منهج التابعين في القراءات ص (٨٤٠، ٨٥١).

يتعرضون أكثر للقراءة التفسيرية .

ثانيًا : النسخ :

من المباحث التي اجتهد فيها تابعو الأتباع التوسع في النسخ ، وهذا يتفق مع المنهج الروائي الذي سلكوه ؛ فهو أقرب إلى ذكر النسخ منه إلى الاجتهاد في إعمال النصوص ، وبالتالي لم يكن اجتهادهم هنا يوازي اجتهاد التابعين في الفنون التي طرقوها في التفسير .

ثالثًا : ترابط الآيات :

هذا الفن هو الذي شمر فيه فعلاً تابعو الأتباع عن ساق الاجتهاد ، وهو وإن كان أصله موجوداً عند التابعين ، وقبلهم الصحابة ، إلا أن الآثار عن تابعي الأتباع ، وخاصة ابن زيد ، وابن إسحق أكثر وأشهر من تلك التي وردت عن الجيلين قبلهما[1] .

وإذا تجاوزنا ما تقدم لم نجد لأتباع التابعين كبير حظ في الاجتهاد التفسيري الذي تميز به جيل التابعين . .

• • •

(١) ينظر على سبيل المثال تفسيرهم لسورة آل عمران من الآية ١٠٠ إلى الآية ١٥٠ من تفسير الطبري .

المبحث الثالث

منزلة تفسير التابعين عند العلماء

من المعلوم بداهة أن العلوم حلقات متماسكة، يشد بعضها بعضًا، وهذا الصرح العلمي يكمّل بعضه بعضًا، وتندمج فيه الاتجاهات، ويكون الفضل فيه للسابق.

ومع وجود هذا التكامل، وذلكم الاندماج في علم التفسير، فقد كان للتابعين في علم التفسير، أبرزت عطاءات متجددة متلاحقة فكانت معينًا لا ينضب نهل منه العلماء والدعاة ممن جاء بعدهم، وأثمرت شجرة التفسير وأورقت، وامتد ظلها الوارف فشمل كل جوانب الحياة؛ لأن القرآن ـ موضوع التفسير ـ هو منهج حياة.

ولم يقتصر دور التابعين في نقل تفسير الصحابة والرسول إلى من بعدهم، فهم وإن كانوا قد فعلوا، إلا أنهم لم يكونوا وسيطًا ثقافيًا بين جيلين فحسب، بل كانوا أعمدة علم وفهم، أثرت فيمن جاء بعدهم، وأسسوا علومًا ومعارف آتت أكلها في الأيام التي تلت وجودهم، وسيأتي شيء من ذلك عند بيان أثرهم في التفسير وأصوله، والمقصود هنا معرفة منزلتهم عند أهل العلم.

لقد وجد أهل كل فن مطلبهم عند التابعين، فأهل اللغة والغريب اتخذوا الحسن والشعبي وغيرهما منارات لهم، وأهل الفقه تتلمذوا على ابن المسيب، وعطاء، والنخعي، وأهل التفسير كان لمجاهد، وعكرمة، وقتادة والحسن، قدم السبق، والصدق فيه، كذلك فقد ظهر أثر التابعين في الرواية كمًا، وكيفًا، أما الكم فيكفي أن نعلم أن بعض العلوم كان للآثار عن التابعين فيها النصيب الأوفى، ومن ذلك ما سيأتي

تفصيله من أن نحواً من ثلثي التفسير بالمأثور كان عن التابعين.

وأما كيفًا، فإن المطالع لحال أتباع التابعين يجد أن دورهم في الغالب اقتصر على الرواية، والنقل، وليس عندهم إلا قليل من الدراية، بل بدأ هذا التراجع في الدراية عند صغار التابعين كالربيع، والسدي، إلاأن دورهم أخذ صبغة أخرى، وهي أن صغارهم جمعوا الآثار وصنفوها، ويعد السدي من أوائل من جمع التفسير، وكتبه وجعله في مصنف واحد[1].

منزلتهم في التفسير:

صار الأئمة من المفسرين الذين اهتموا بالتفسير يعتمدون مرويات التابعين ويرجحون بها، ولذا نجد الإمام الطبري كثيراً ما يرجح بأقوالهم فيقول: (وبمثل الذي قلنا في ذلك تظاهرت الرواية عن السلف من الصحابة، والتابعين)، بل أثر تفسيرهم على الطابع العام لبعض التفاسير المتأخرة، فقد قلت الإسرائيليات مثلاً عند مفسري المغاربة لاعتمادهم تفسير الحسن، وقتادة[2].

وأيضًا مما قلل القبول لبعض الكتب من التفاسير المشهورة مع تقدم مؤلفيها في علم التفسير، قلة عنايتها بتفسير الصحابة، والتابعين، كتفسير ابن عطية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وتفسير ابن عطية وأمثاله، أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري، ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل، فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري، وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدراً، ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن

---

(١) ينظر حاشية الشيخ أحمد شاكر على تفسير الطبري (١/ ١٥٨)، وتاريخ التراث (١/ ٧٧).

(٢) لما رحل يحيى بن سلام، واستقر في المغرب، انتشر تفسير الحسن وقتادة، فكان تفسيرهم من أهم المأثور الذي وصل إليهم، وكان مما ميّز الحسن وقتادة قلة رواياتهم للإسرائيليات، مما أثر بدوره على مفسري المغرب الإسلامي، بخلاف مفسري المشرق.

السلف لا يحكيه بحال، ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام. . . (إلى أن قال): وفي الجملة: من عدل عن مذاهب الصحابة، والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئًا في ذلك بل مبتدعًا، وإن كان مجتهدًا مغفورًا له خطؤه[١].

وقد لخص السيوطي كلام شيخ الإسلام هذا وأعقبه بقوله: وهذا كلام نفيس جدًا[٢].

منزلتهم في أصول التفسير:

ولم تكن منزلة التابعين عند من اعتنى بأصول التفسير وعلوم القرآن بأقل من منزلتهم عند المفسرين، كيف لا وقد كان للتابعين قدم السبق، ولسان الصدق، والقول الفصل الذي انتهى بعده بحث مثل هذه المسائل، وقد وضعوا ضوابط وإشارات كانت أساس فتح باب الاجتهاد في هذه العلوم.

منزلة التابعين عند الصحابة:

أما الصحابة فقد نقل عنهم عبارات المدح لأئمة التابعين، والإشادة بعلمهم، وهذا مما أعطى اتساعًا في الأخذ عن التابعين، ولا سيما أن فقهاء الصحابة ومفسريهم كانوا في مقدمة من يثني على أئمة التابعين.

فها هو ابن عمر يرسل إلى ابن المسيب يسأله عن مسائل وقضايا عمر وغيره، ويقول: لو رأى هذا الرسول ﷺ لسره[٣].

ويقول رضي الله عنه أيضًا لأهل مكة لما اجتمعوا يسألونه: تجتمعون إلي يا أهل

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦١)، ومقدمة في أصول التفسير ص(٩٠).
(٢) الإتقان (٢/ ٢٢٨).
(٣) التهذيب (٤/ ٨٦).

مكة، وعندكم عطاء[١] .

ومثل ذلك يروى عن ابن عباس[٢]، وكان ـ رضي الله عنهما ـ يقدم عكرمة في الفتوى ويقول له: انطلق وأفت الناس، وأنا لك عون[٣] .

منزلة التابعين عند تابع التابعين:

سبق الإشارة إلى أن أتباع التابعين اعتنوا بالرواية عن التابعين وقلَّ فيهم الاجتهاد، ومما يؤكد ذلك أيضًا أنه قلَّ أن يوجد خلاف بين المتأخرين إلا وأصله وبذرته كانت بين الأوائل من التابعين وغيرهم، ولقد عرفت الطبقة التي تلي التابعين قيمة كبار مفسري التابعين، فأعطوهم حقهم من الإجلال والتبجيل، قال الزهري: العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والحسن بالبصرة، والشعبي بالكوفة، ومكحول بالشام[٤] .

ويوضح لنا ابن عيينة شغف الناس بأقوال التابعين، فيقول: كنت أقول لهم: هاتوا، إيش عندكم، فيجيئونني بإبراهيم، قال سفيان: فنغلبهم؛ يعني بالإسناد[٥] .

لقد تأثر أتباع التابعين بشيوخهم حتى في المنهج التفسيري، فعلى سبيل المثال لما كان سفيان الثوري ممن تربى في الكوفة، وكانت المدرسة الكوفية قد اشتهرت بالورع، وقلة المروي، واختصار العبارة في التفسير، نجد سفيان قد تأثر بهم في تفسيره الذي جمعه، وصار ذلك من مميزاته.

---

(١) التهذيب (٧/ ٢٠٠).

(٢) التذكرة (١/ ٩٨).

(٣) الجرح (٧/ ٨)، وتاريخ دمشق (١١/ ٧٦٨)، والبداية (٩/ ٢٧٥).

(٤) مرآة الجنان (١/ ٢١٦)، طبقات فقهاء الشافعية (ص ٥٨)، ويلاحظ أن جميعهم من أئمة التفسير.

(٥) العلل لأحمد (٣/ ٦٩) ٤٢٠٨.

وعلى الجانب الآخر نجد ابن زيد قد تأثر بقتادة والمدرسة الأثرية، فصارت عباراته التفسيرية فيها شيء من الطول وجمال العبارة.

منزلة التابعين عند أصحاب المذاهب الفقهية المتبوعة:

١ ـ عند الإمام أبي حنيفة:

تتلمذ أبو حنيفة على أئمة التابعين، وجمع آثارهم، فصارت له ملكة فقهية عظيمة، والذي يخصنا في بحثنا هو تتلمذه على المفسرين منهم، وقد ظهر ذلك في فقهه، ولاسيما فيما يتعلق بآيات الأحكام، ولا غرو في ذلك لأن شيوخه الذين تلقى علمهم كانوا ممن اهتم بتفسير آيات الأحكام مثل إبراهيم وعطاء.

ولقد كان حماد بن أبي سليمان شيخ أبي حنيفة قد جمع علم الكوفيين، ولاسيما فقهاء الرأي منهم، فأخذه عنه أبو حنيفة..

لقد كانت فتاوى إبراهيم أحق بالأخذ عند أهل الكوفة[٤]، فشغف بها أبو حنيفة حتى قال: إبراهيم أفقه من سالم، ولولا فضل الصحبة لقلت علقمة أفقه من ابن عمر[٥].

بل يذهب الدهلوي إلى أن أقوال إبراهيم وأقرانه في كتب الآثار كجامع عبد الرزاق ومصنف ابن أبي شيبة هي مادة مذهب أبي حنيفة، لا تجده يفارقها إلا في

---

(١) التهذيب (٤/ ٤٥٣).
(٢) ينظر تفسير الطبري (١٣/ ٢٣٠) ١٥٣٥٢.
(٣) التهذيب (٤/ ٤٥٣)، والبرهان (٢/ ١٥٨).
(٤) قواعد التحديث للقاسمي (٣٣٢).
(٥) الإنصاف في بيان سبب الاختلاف للدهلوي (٨)، قواعد التحديث (٣٤٣)، الرأي وأثره في المدينة (١٣٦).

مواضع يسيرة، وهو في تلك المواضع أيضًا لا يخرج عما ذهب إليه فقهاء الكوفة[١] .

وقد حج أبو حنيفة مرارًا، فروي أنه حج خمسًا وخمسين حجة، وفي موسم الحج كان يأخذ من عطاء بن أبي رباح، ويلازمه ما دام مجاورًا في بيت الله الحرام[٢] .

وفيه يقول: ما رأيت أفضل من عطاء، وعامة ما أحدثكم به عن عطاء[٣] .

وبهذا يتضح لنا مدى أثر أقوال مفسري التابعين في مذهب الإمام أبي حنيفة رحمهم الله تعالى.

٢ ـ عند الإمام مالك بن أنس:

لقد نشأ مالك في بيئة الأثر في المدينة، حتى قال عن موطئه: إن ما في كتابي من حديث رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين رأيًا هو إجماع أهل المدينة لم أخرج عنهم[٤] .

وتأثر مالك أيضًا بابن وهب، فهو وإن كان لم يسمع منه، إلا أنه حفظ علمه، وأموره[٥] .

أما سعيد بن المسيب فكان من أبرز التابعين تأثيرًا في مالك؛ لأنهما من مدرسة واحدة، وقد أكثر الإمام مالك من النقل عنه في موطأه.

ويعد زيد بن أسلم من الشيوخ الذين تلقى عنهم مالك التفسير، يقول شيخ

---

(١) حجة الله البالغة (١/ ١٤٦)، ويراجع مقال أحمد عبد الغفور عطار في المنهل بعنوان مذهب أبي حنيفة ومصادر فقهه، ص (٣)، عدد (١٢)، سنة (١٣٨٩هـ).

(٢) أبو حنيفة، لأبي زهرة (٦٩).

(٣) تاريخ دمشق (١١/ ٦٤١).

(٤) مالك لأمين الخولي (٣/ ٥٤٦).

(٥) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤٠٥).

الإسلام: زيد بن أسلم كان إمامًا في التفسير، وأخذ التفسير عنه مالك، وعبد الله بن وهب[١].

٣ ـ عند الإمام الشافعي:

قال الإمام الذهبي: كان ابن جريج شيخ الحرم بعد الصحابة، وعطاء ومجاهد، وخلفهما قيس بن سعد، وابن جريج، ثم تفرد بالإمامة ابن جريج فدون العلم، وحمل عنه الناس، وعليه تفقه مسلم الزنجي، وتفقه بالزنجي الشافعي، وكان الشافعي بصيراً بعلم ابن جريج عالمًا بدقائقه[٢].

فهذا يبين سلسلة إسناد علم الشافعي، ولذا فلا غرو أن نجد النووي يذكر عطاء من شيوخ الشافعية[٣].

وبلغ تأثر الشافعي ـ رحمه الله ـ بالتابعين أنه كان يقدم أقوال أئمتهم على غيرهم، فجاء عنه رحمه الله قوله: وإذا رأيت قول سعيد بن المسيب في حكم أو سنة فلا تعدل عنه إلى غيره[٤].

ولكن الظاهر أن الشافعي أكثر الذين تأثر بهم في التفسير، إنما كان بمجاهد في المرتبة الأولى، ولذا كان يعتمد أقواله في التفسير، ويقدمها على أقوال غيره.

يقول شيخ الإسلام: الأئمة كالشافعي، وأحمد، والبخاري، ونحوهم يعتمدون على تفسيره[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٦٧، ٦٨)، وينظر في ذلك مفتاح السعادة (٢/ ٥٩٠)، والتفسير والمفسرون (١/ ١١٦ ـ ١١٧).

(٢) السير (٦/ ٣٣٢).

(٣) تهذيب الأسماء (١/ ٣٣٣).

(٤) الإرشاد (١/ ٣١٦).

(٥) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٠١).

وقد تتلمذ الشافعي على سفيان بن عيينة، ويعتبر ابن عيينة من المكثرين عن مجاهد في التفسير، وكان الشافعي من أكبر الصحابة المكثرين عنه، ولذا فلا نعجب عندما يقول: لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز[١] (يعني على ما أبقوه من علم مجاهد وأضرابه).

وقد كثرت موافقات الشافعي لمجاهد في التفسير، فعند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[٢]، قال مجاهد: قبلة الله، ولم نجد من وافقه على ذلك إلا الشافعي، فقال بنحو ما قال[٣].

ولما فسّر مجاهد الرعد والبرق فقال: الرعد ملك، والبرق أجنحته يسقن السحاب، قال الشافعي: ما أشبهه بظاهر القرآن، يعني قوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾[٤].

وقد وافقه في كثير من المواطن غير ما تقدم[٥].

٤ ـ عند الإمام أحمد:

أما منزلة التابعين عند الإمام أحمد فهي لا تدانيها منزلة؛ لأن الإمام أحمد كان من منهجه أنه لا يخرج عن الآثار المرفوعة والموقوفة، فإذا لم يكن ثمَّ شيء من ذلك فإنه يرجع إلى أقوال التابعين، وغالبًا ما يحكيها، ولا يتعداها، فإن كان هناك اختلاف في الحكم عن التابعين، انعكس ذلك على آرائه، واتضح جليًا في تعدد أقواله[٦].

---

(١) السير (٨/ ٤٠٢).

(٢) سورة البقرة: آية (١١٥).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٥)، وكتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٥)، وقد سبق بحث ذلك في مبحث منهجهم في آيات الاعتقاد ص (٧٩٣) وبيان أن ذلك ليس من التأويل المذموم.

(٤) سورة النازعات: آية (٣)، ويراجع حاشية ابن القاسم على الروض المربع (٢/ ٥٦٣).

(٥) يراجع الرسالة للإمام الشافعي ص (١٤، ١٦)، وأحكام القرآن للشافعي (١/ ١١٢)، (٢/ ١٣٥)، والسنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٥١)، (١٠/ ٣١٣).

(٦) ابن حنبل لأبي زهرة (٢٧٠)، وقد سبق التفصيل في حكم تفسير التابعي ص (٤٩).

أما التفسير، فقد سبق عن شيخ الإسلام النقل أن الإمام أحمد اعتمد تفسير مجاهد[١]، ويوجد كذلك جملة من اعتماده على آثار التابعين مبثوثة في فتاويه، ومسائله.

فمن ذلك ما جاء عنه رحمه الله أنه قال: لا ينظر العبد إلى شعر مولاته، واستدل في ذلك بتفسير سعيد بن المسيب، وقدمه على قول ابن عباس رضي الله عنهما[٢].

ومثله عندما قدم قول سعيد بن المسيب على قول ابن عباس عندما قال في جراح العبد: هو فيها بمنزلة الحر في ديته[٣].

منزلة التابعين في كتب الزهد والرقائق:

اهتم بعض التابعين بجوانب من العلم، لم يعتن غيرهم بها كاعتنائهم، وكان هناك آيات في كتاب الله لم تتضح معالم المنهج التفسيري فيها، ولم يُتوسع في التعرض لها، وكان للتابعين قدم السبق في تناولها والإكثار من توضيحها، ولا سيما آيات الوعد، والوعيد، والتوجيه الوعظي لها، ورسم كثير من المعالم الدعوية من خلال استنباط الفوائد منها، وعلى رأس من عني بذلك الحسن الذي كان لكلماته وأخباره القدح المعلى في تأثيرها في كتب الزهد والعناية بها، حتى فاقت بذلك عنايتهم بأقوال الصحابة الزهاد، ولا سيما ابن مسعود، وعمر، وابن عباس، وأنس -رضي الله عنهم-[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٠١).

(٢) المسائل الأصولية في كتاب الروايتين والوجهين (٥٥).

(٣) المرجع السابق (٥٦).

(٤) بعد مراجعة كتب الزهد للإمام أحمد وابن المبارك كان ما روي عن الحسن (٤٦٤) رواية، في حين كان المروي عن ابن مسعود (٣٦٧) رواية، وعن عمر (١٤٨) رواية، وعن ابن عباس (١٢١) رواية، وعن أنس (١٢٠) رواية.

وإذا أردنا أن نستعرض منزلة أقوال أئمة التابعين في باقي الفنون والعلوم، فإننا نستزيد تأكيدًا على علو هذه المنزلة، فالقرّاء المشاهير تخرجوا وقرأوا عليهم، وعلماء السير والتاريخ استفادوا من أقوالهم، ولاسيما في أسباب النزول، وهذا واضح في كتب المغازي كمغازي الواقدي، والفتوح، وأنساب الأشراف للبلاذي، وكتب الذهبي كالتاريخ، والعبر، والسير، وغيرها.

وكتب ابن خلدون، وابن كثير، وابن الأثير، وغيرهم، كلهم استفاد من علوم التابعين، واعتمدوا أقوالهم.

وكذلك في علوم اللغة والغريب، وقد سبق في هذه الرسالة بحث شيء من ذلك، أما منزلتهم وأثرهم في التفسير وعلومه فسأفرد لها مبحثًا خاصًا حتى تظهر منزلتهم جلية واضحة، رحمة الله عليهم أجمعين.

• • •

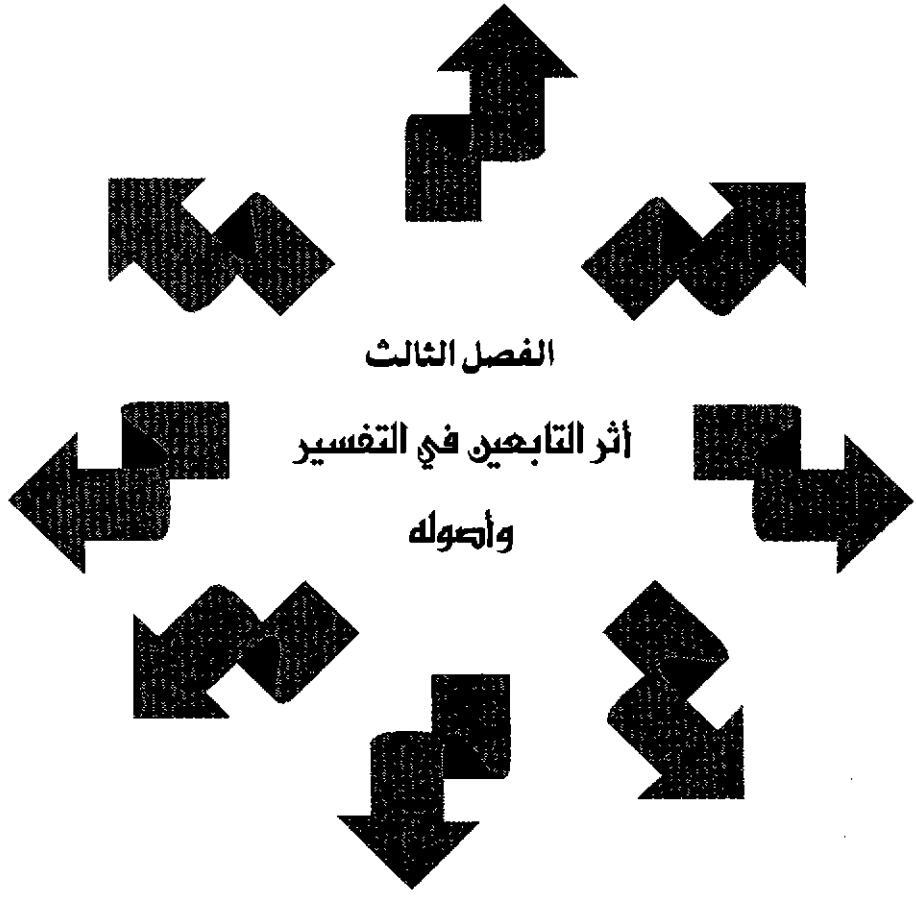

الفصل الثالث

أثر التابعين في التفسير وأصوله

الفصل الثالث

مقدمة :

التفسير في أصله علم يستند إلى الرواية عن الرسول ﷺ والصحابة، والتابعين، لكن التفسير تطور بعد تدوين علوم العربية من بلاغة، ونحو، وأدب، وغير ذلك، فقام لون من التفسير يعتمد على الدراية، إلا أنه لم يخل من التفسير الأثري.

هذا هو الاتجاه السائد في النظرة لنوعي التفسير رواية، ودراية، إلا أن ما ينبغي التأكيد عليه وبيانه، هو أن ما يسمى بالتفسير الأثري الروائي كانت فيه الأصول الثابتة التي اعتمد عليها من جاء بعدهم في التفسير سواء أكان رواية، أم دراية.

ولا أدل على ذلك من أن كتب التفسير بالأثر اعتمدت في نقولاتها، وتحليلاتها على التراث المنقول عن التابعين، بل وكتب أصول التفسير، كانت أكثر مادتها منقولة عنهم، كما أن كثيراً من أنواع علوم القرآن، وضع لبنتها الأولى الأئمة من مفسري التابعين.. وفي هذا الفصل سأبين أثر التابعين في كتب التفسير، وأثرهم في علم أصول التفسير، فأقول وبالله التوفيق:

لا شك أن التابعين قد أثروا في علم التفسير تأثيراً واضحًا، ليس في التفسير بالمأثور فحسب، بل امتد تأثيرهم إلى التفاسير التي اعتمدت على الرأي، بل ربما اعتمد على أقوالهم كذلك بعض أصحاب الأهواء في تفاسيرهم التي وضعوها.

ولقد وضح الجانب العلمي في تفسير التابعين في مختلف جوانبه، فإذا أردنا أن نشير إلى مراحل تطور علم التفسير، فإننا لا نجده يبدأ في مراحله الأولى بمستوى يزيد

مع الزمن شأن كثير من العلوم الأخرى، بل نجد عصر التابعين في كثير من مباحث هذا العلم يعتبر العصر الذهبي للتفسير، ولا سيما أن المنقول من التفسير النبوي، وتفسير الصحابي قليل بالنسبة لآيات القرآن الحكيم.

إننا إذا طالعنا كتب التفسير فإننا قلما نجد آية لا يكون للتابعين فيها قول، أو أثر.

وإذا أردنا إعمال الفكر، والاجتهاد في آية، توصلنا بذلك إلى قضية صحيحة تقوم الأدلة على صحتها، فإننا في الحقيقة نكون قد وافقنا قولاً لتابعي، أو اجتهاداً لتابعي آخر.

ولا أدل على صحة هذه الدعوى من أن علماء التفسير الجهابذة إذا اجتهدوا في التفسير، وأمعنوا النظر في استخراج المعاني من الآيات فإنهم لا يُعدمون أن يجدوا أثراً عن تابعي يوافق اجتهادهم الصحيح وقولهم المستقيم.

بل وأكثر من ذلك ما نجد في كتب الاعتقاد من اعتماد الأئمة في ردودهم على منتحل نحلة باطلة، قد استدل على بدعته بآية من كتاب الله، فإن قول التابعي هو من أهم الأدلة التي يعتمدها أئمة السنة في هدم هذا القول، وتلكم البدعة.

فإذا عرجنا على الفقه فإننا نجد الفقهاء قد درجوا على الاستدلال بالكتاب، ثم بالسنة، والآثار عن الصحابة، والتابعين، فإذا أرادوا إقامة الشرح، والبيان، وطرق الاستدلال، فإننا نجدهم يعتمدون أقوال المفسرين من التابعين في بيان معنى أدلة الكتاب، وفقه الآيات، ولا يكادون يتجاوزونها.

وإذا علمنا أن القرآن الكريم حوى أسس الفقه كلها عرفنا قيمة تفسير التابعين للقرآن، ولا سيما لآيات الأحكام، وكذلك الأمر في القراءات، واللغة، والأصول، وغيرها.

إن علم التفسير كان الأساس لكثير من العلوم؛ لأنه يتعلق بكتاب الله الذي هو

أصل كل العلوم، ومدار دين الإسلام، وتفسير التابعين يعتبر أساس هذا العلم ولبه، ويمكن معرفة ذلك، واستنباطه من المباحث التي مرت معنا.

وفيما يلي بيان لأثر التابعين في التفسير بالمأثور، يتبين لنا منه قيمة مروياتهم في هذه الكتب، وسأكتفي بذلك، نظرًا لأن ما سوى ذلك من المؤلفات في التفسير بالرأي أو الاجتهاد، أو كتب العلوم الأخرى من قراءات، وفقه، وغير ذلك، ما استفادته في كثير مما نقلته، إنما هو مما أخذته عن التابعين، لا سيما ما نقل عنهم في كتب التفسير بالمأثور، وبعضه من كتب السنن، والآثار.

أثر التابعين في كتب التفسير بالمأثور:

التفسير بالمأثور - كما مرَّ معنا في الباب الأول - هو التفسير الذي يقوم على الرواية، والآثار عن النبي ﷺ، والصحابة، والتابعين، ومن بعدهم.

وإذا أمعنا النظر في الروايات الواردة عن أتباع التابعين نجد أن أكثر هذه الروايات منقول عن التابعين، أو اجتهادات هي في الواقع أثر ونتاج لأقوال التابعين، فلم يكن تفسير الثوري وعبد الرزاق وآدم بن أبي إياس إلا نقولاً وآثارًا في الجملة.

وأما الطبقة التي تلي أتباع التابعين من جاء بعدهم من المفسرين كابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، وأضرابهم، فلقد كانت لهم أقوال واجتهادات، واختيارات في التفسير، إلا أنهم في الأعم الأغلب لم يخرجوا عن تفسير التابعين، فكان اجتهادهم في ترجيح قول تابعي على آخر، وكان اختيارهم من بين آثار التابعين، وقد يخرج الاختيار للمروي عن غير التابعين (صحابة، أو تابع الأتباع)، إلا أنه غالبًا ما يكون هو قول أحد التابعين في الجملة ولا سيما أننا نجد ما انفرد به التابعون في تفسير بعض الآيات، ولم يشاركهم في تفسيرها آثار عن الصحابة، أكثر بكثير من الآيات التي لا نجد فيها أقوالاً للتابعين، وبها أقوال لغيرهم. بل إن شئت أن أقول: إنني لم أجد

بهذه الصفة الأخيرة شيئًا فيما اطلعت عليه من كتب التفسير، لما أبعدت النجعة في ذلك، إذ لم أجد آية انفرد بتفسيرها صحابي، ولا يوجد عن التابعين فيها نقل وأثر!! في حين، وجدت الكثير من الروايات عن التابعين في تفسير آيات لم ينقل فيها عن الصحابة تفسير لها.

وإذا أردنا أن نستعرض كتب التفسير بالمأثور نجد أنها اختلفت في عدد الآثار التي حوتها ونوعيتها، فاتجه كل مفسر إلى تفسير أحد التابعين فأكثر منه بالنسبة لغيره، فكانت كتب المغاربة مثلاً تكثر من التفسير المنقول عن المدرسة البصرية، ولا سيما الحسن وقتادة، فتفسير يحيى بن سلام وتفسير ابن عطية، لم يكن فيه عن الصحابة إلا شيء يسير، بينما كان الاعتماد في هذه التفاسير على تفسير التابعين، ولا سيما الحسن، وقتادة.

وها هو ذا عبد الرزاق يكثر في نقله عن قتادة، حتى بلغ المروي فيه عنه نحو ثلثي المرويات الواردة في تفسيره.

وقريب من الثلثين من تفسير الطبري كان عن التابعين، ويعد تفسير مجاهد الأكثر شيوعًا، فقد بلغ نحوًا من سدس مجموع روايات الكتاب، وقريب من هذا كانت حال تفسير ابن أبي حاتم.

ولقد اعتمد السفيانان؛ الثوري وابن عيينة، على تفسير التابعين في كتابيهما في التفسير، ولا سيما الآثار الواردة عن مجاهد، في حين كانت المرويات عن أبي العالية هي الأكثر في تفسير آدم بن أبي إياس.

ولم يختلف الحال بالنسبة للماوردي، والبغوي، وابن الجوزي في تفاسيرهم، فقد قاربت المرويات فيها عن التابعين ثلثي حجم كتبهم.

وتفسير عبد بن حميد ـ وهو من التفاسير المفقودة ـ يعتبر كذلك من التفاسير التي

اعتمدت على أقوال التابعين أكثر من غيرهم، وذلك إذا رجعنا إلى تفسير الدر المنثور فيما ينقله عنه، وقد سبق بيان ذلك.

وهكذا نجد أن كل كتب التفسير بالمأثور التي وصلت إلينا كان لتفسير التابعين فيها القدح المعلى، والحظ الأسمى من جملة المنقول في التفسير[١].

وهذا كله يعطينا صورة عامة، ولمحة قوية عن أثر التابعين في التفسير عمومًا، وفي التفاسير التي عنيت بالمأثور خصوصًا، ومن ثم الأثر الشامل لكل ما يتعلق بالتفسير في كتب علوم الإسلام الأخرى.

وفيما يلي بيان لبعض المواطن التي وقفت عليها، وفيها نقول عن التابعين، ولم يرد فيها نقل عن الصحابة وغيرهم، مما يؤكد منزلة التابعين في التفسير بعامة، وأثرهم في كتب التفسير بخاصة.

من الآيات التي انفردوا بتفسيرها في سورة البقرة:

فقد انفرد مجاهد ببيان المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾[٢] فقال: هو أن تفديه في يد غيرك، وتقتله أنت بيدك[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا﴾[٤].

---

(١) سبق في الباب الأول في بيان المصادر التي يُستقى منها تفسير التابعين ترجمة لكل هذه التفاسير المذكورة هنا (٥٥-٨٢).
ومما ينبغي الإشارة إليه أن تفسير ابن المنذر، اعتمد على الموقوف على الصحابة أكثر من نقله للمقطوعات من تفسير التابعين، لكن هذا لم يكن مسلك إلا القليل من المفسرين.

(٢) سورة البقرة: آية (٨٥).

(٣) زاد المسير (١/ ١١٢)، وتفسير الطبري (٢/ ٣١٠).

(٤) سورة البقرة: آية (٩٠).

قال قتادة: إن المراد بقوله «بغيًا»: حسدًا[١].

وفي بيان المراد من المناسك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾[٢] قولان:

أحدهما: أنها جميع أفعال الحج، قاله الحسن.

والثاني: أنها إراقة الدماء، قاله مجاهد[٣].

وعند قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾[٤].

ذكر قتادة في بيان المراد بالآية البينة: أنها الآيات التي جاءت بني إسرائيل كالعصا، والغمام، والمن، والسلوى، والبحر[٥].

وفي بيان المراد بـ ﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٦] ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم المتطهرون من الذنوب، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو العالية.

والثاني: أنهم المتطهرون بالماء، قاله عطاء.

والثالث: أنهم المتطهرون من إتيان أدبار النساء، روي عن مجاهد[٧].

وانفرد طاوس ببيان تأويل قوله تعالى: ﴿إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾[٨]، فقال:

---

(١) زاد المسير (١/ ١١٤)، وتفسير الطبري (٢/ ٣٤٢).
(٢) سورة البقرة: آية (٢٠٠).
(٣) زاد المسير (١/ ٢١٥)، وتفسير الطبري (٤/ ١٩٥).
(٤) سورة البقرة: آية (٢١١).
(٥) زاد المسير (١/ ٢٢٧)، وتفسير الطبري (٤/ ٢٧٣).
(٦) سورة البقرة: آية (٢٢٢).
(٧) زاد المسير (١/ ٢٤٩)، وتفسير الطبري (٤/ ٣٩٥).
(٨) سورة البقرة: آية (٢٣٠).

هو ما فرض الله على كل واحد منهما من حسن العشرة والصحبة[١] .

وعند قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ ﴾[٢] .

ذكر مجاهد أن المراد بذلك : التشاور فيما دون الحولين ، فإن أرادت أن تفطم وأبى فليس لها ، وإن أراد هو ولم ترض فليس له ذلك حتى يقع عن تراض منهما وتشاور ، غير مسيئين إلى أنفسهما وإلى صبيهما[٣] .

وعند قوله تعالى : ﴿ وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾[٤] .

ذكر مجاهد أن المراد بذلك : هو إتمام الرجل الصداق ، وترك المرأة شطرها[٥] .

وعند قوله تعالى : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[٦] انفرد الحسن بتفسير قوله : ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فقال : بنصر الله[٧] .

وانفرد مجاهد بتفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾[٨] . فقال : يحصيه[٩] .

وعند قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[١٠] .

قال ابن جبير : إن المراد بقوله : ﴿ وَمَنْ عَادَ ﴾ أي : من عاد إلى الربا مستحلاً محتجًا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾[١١] .

---

(١) زاد المسير (١/ ٢٦٦)، وتفسير الطبري (٤/ ٥٩٨).
(٢) سورة البقرة: آية (٢٣٣).
(٣) زاد المسير (١/ ٢٧٣)، وتفسير الطبري (٥/ ٦٨).
(٤) سورة البقرة: آية (٢٣٧).
(٥) زاد المسير (١/ ٢٨١)، وتفسير الطبري (٥/ ١٦٥).
(٦) سورة البقرة: آية (٢٤٩).
(٧) زاد المسير (١/ ٢٩٩)، وتفسير الطبري (٥/ ٣٥٤).
(٨) سورة البقرة: آية (٢٧٠).
(٩) زاد المسير (١/ ٣٢٤)، وتفسير الطبري (٥/ ٥٨١).
(١٠) سورة البقرة: آية (٢٧٥).
(١١) زاد المسير (١/ ٣٣١)، وتفسير الطبري (٦/ ١٣).

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾[١].

قال سعيد بن جبير: إن المراد بقوله: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أي كما علمه الله الكتابة[٢].

وقال سعيد بن جبير أيضًا في بيان المراد بقوله: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾[٣]، يعني: المطلوب[٤].

ومن أمثلة ما جاء عنهم في سورة آل عمران:

ما ورد عند قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[٥].

ذكر قتادة أن المراد بذلك: أنه كان قد حرم عليهم موسى الإبل والثروب[٦]، وأشياء من الطير، فأحلها عيسى[٧].

وقال قتادة في بيان المراد بقوله تعالى: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[٨] يعني: محمدًا، والإسلام[٩].

ومما انفردوا به عند تأويل سورة النساء:

جاء عنهم في بيان المراد بالقول المعروف في قوله تعالى: ﴿فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٨٢).
(٢) زاد المسير (١/ ٣٣٧)، وتفسير الطبري (٦/ ٥٢).
(٣) سورة البقرة: آية (٢٨٢).
(٤) زاد المسير (١/ ٣٣٧)، وتفسير الطبري (٦/ ٥٦).
(٥) سورة آل عمران: آية (٥٠).
(٦) الثروب: جمع ثرب، وهي الشحم الرقيق الذي يغشى الكرش والأمعاء والمصارين من الذبائح والأنعام.
(٧) زاد المسير (١/ ٣٩٣)، وتفسير الطبري (٦/ ٤٣٦).
(٨) سورة آل عمران: آية (٧٠).
(٩) زاد المسير (١/ ٤٠٤)، وتفسير الطبري (٦/ ٥٠٢).

﴿لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾[١] أربعة أقوال:

أحدها: أن يقول لهم الولي حين يعطيهم: خذ بارك الله فيك. رواه سالم الأفطس عن ابن جبير.

والثاني: أن يقول الولي: إنه مال يتامى، ومالي فيه شيء. رواه أبو بشر عن ابن جبير.

وفي رواية أخرى عن ابن جبير قال: إن كان الميت أوصى لهم بشيء أنفذت لهم وصيتهم، وإن كان الورثة كباراً رضخوا لهم، وإن كانوا صغاراً قال وليهم: إني لست أملك هذا المال، إنما هو للصغار؛ فذلك القول المعروف.

والثالث: أنه العِدَة الحسنة، وهو أن يقول لهم أولياء الورثة: إن هؤلاء الورثة صغار فإذا بلغوا أمرناهم أن يعرفوا حقكم. رواه عطاء بن دينار عن ابن جبير.

والرابع: أنهم يعطون من المال، ويقال لهم عند قسمة الأرضين والرقيق: بورك فيكم، وهذا القول المعروف قال الحسن والنخعي: أدركنا الناس يفعلون هذا[٢].

وعند قوله تعالى: ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾[٣].

بين قتادة المراد بالشركة في الثلث بأن: ذَكَرَهم وأنثاهم فيه سواء[٤].

وعند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ﴾[٥].

ذكر عطاء السبب في تقييد ذلك بذكر ﴿أَصْلابِكُمْ﴾ فقال: إنما ذكر الأصلاب

---

(١) سورة النساء: آية (٨).
(٢) زاد المسير (٢/ ١٩ ـ ٢٠)، تفسير الطبري (٨/ ١٨).
(٣) سورة النساء: آية (١٢).
(٤) زاد المسير (٢/ ٣٣)، وتفسير الطبري (٨/ ٦٢).
(٥) سورة النساء: آية (٢٣).

لأجل الأدعياء[١] .

وفي تأويل قوله تعالى : ﴿ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾[٢] .

ورد عن عطاء والسدي أن المراد بقوله : ﴿ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ ما قد سلف من أمر يعقوب عليه السلام ؛ لأنه جمع بين أم يوسف وأختها[٣] .

وجاء تأويل قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا ﴾[٤] عن سعيد بن جبير بأن المراد : إلا أن يتصدق أولياء المقتول بالدية على القاتل[٥] .

وعند قوله تعالى : ﴿ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ ﴾[٦] .

ذكر قتادة، وعكرمة ، والسدي، أن المراد بذلك هو : شق أذن البَحِيرَة[٧] .

وعند قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[٨] وردعنهم في بيان المراد بالذين آمنوا هاهنا قولان :

الأول : أنهم المسلمون، قاله الحسن .

والثاني : المنافقون، قاله مجاهد[٩] .

---

(١) زاد المسير (٢/ ٤٨)، وتفسير الطبري (٨/ ١٤٩).
(٢) سورة النساء : آية (٢٣).
(٣) زاد المسير (٢/ ٤٨)، وتفسير الطبري (٨/ ١٤٩).
(٤) سورة النساء : آية (٩٢).
(٥) زاد المسير (٢/ ١٦٤)، وتفسير الطبري (٩/ ٣٧).
(٦) سورة النساء : آية (١١٩).
(٧) زاد المسير (٢/ ٢٠٥)، وتفسير الطبري (٩/ ٢١٤).
(٨) سورة النساء : آية (١٣٦).
(٩) زاد المسير (٢/ ٢٢٤)، وتفسير الطبري (٩/ ٣١٣).

ومما انفردوا به في سورة المائدة :

عند قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾[١] .

ذكر سعيد بن جبير بأن المراد بـ ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ : لا تستحلوا ما لم يذكر اسم الله عليه[٢] .

وفي بيان المراد بقوله تعالى : ﴿ واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٣] . قال سعيد بن جبير : شديد في انتقامه ، حكيم إذ حكم بالقطع[٤] .

وذكر المفسرون في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ ﴾[٥] قولين :

أحدهما : ولكن يؤاخذكم بما عقدتم عليه قلوبكم في التعمد لليمين ، قاله مجاهد .

والثاني : بما عقدتم عليه قلوبكم أنه كذب ، قاله سعيد بن جبير[٦] .

ومن الأمثلة الواردة عنهم في سورة الأنعام :

ما جاء في بيان المراد بالموتى من قوله تعالى : ﴿ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[٧] ، فقد ورد أنهم الكفار ، قاله الحسن ، ومجاهد ، وقتادة[٨] .

ومن ذلك أيضًا ما جاء في بيان المراد بشياطين الإنس والجن في قوله تعالى :

---

(١) سورة المائدة : آية (٤) .
(٢) زاد المسير (٢/ ٢٩٤) ، وتفسير الطبري (٩/ ٥٧٢) .
(٣) سورة المائدة : آية (٣٨) .
(٤) زاد المسير (٢١/ ٣٥٤) ، وتفسير الطبري (١٠/ ٢٩٨) .
(٥) سورة المائدة : آية (٨٩) .
(٦) زاد المسير (٢/ ٤١٣) ، وتفسير الطبري (١٠/ ٥٢٥) .
(٧) سورة الأنعام : آية (٣٦) .
(٨) زاد المسير (٣/ ٣٣) ، وتفسير الطبري (١١/ ٣٤٢) .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾[١] . فقد ورد في ذلك ثلاثة أقوال :

أحدها : أنهم مردة الإنس والجن ، قاله الحسن ، وقتادة .

والثاني : أن شياطين الإنس الذين مع الإنس ، وشياطين الجن : الذين مع الجن ، قاله عكرمة ، والسدي .

والثالث : أن شياطين الإنس ، والجن : كفارهم ، قاله مجاهد[٢] .

ما جاء عنهم عند قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[٣] .

فقد بين الحسن وقتادة المراد بذلك بأنه : أول المسلمين من هذه الأمة[٤] .

ومن أبرز ما انفردوا به في سورة الأعراف ما يأتي:

وما جاء عند تأويل قوله سبحانه : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾[٥] .

قال الحسن : إن المراد بذلك : مشارق الشام ومغاربها[٦] .

وقد بين الحسن المراد بـ ﴿ تَأَذَّنَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ ﴾[٧] .

فقال : أعلم ، وقال عطاء : إن المراد بذلك حتم[٨] .

---

(١) سورة الأنعام : آية (١١٢).
(٢) زاد المسير (٣/ ١٠٨)، وتفسير الطبري (١٢/ ٥١).
(٣) سورة الأنعام : آية (١٦٣).
(٤) زاد المسير (٣/ ١٦١)، وتفسير الطبري (١٢/ ٢٨٥).
(٥) سورة الأعراف : آية (١٣٧).
(٦) زاد المسير (٣/ ٢٥٣)، وتفسير الطبري (١٣/ ٧٦).
(٧) سورة الأعراف : آية (١٦٧).
(٨) زاد المسير (٣/ ٢٧٩)، وتفسير الطبري (١٣/ ٢٠٤).

وعند قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾[١] ذكر الحسن وقتادة في سبب نزولها: أن رسول الله ﷺ علا على الصفا ليلة ودعا قريشًا فخذًا فخذًا: يا بني فلان، يا بني فلان، فحذَّرهم بأس الله وعقابه فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يصوت حتى الصباح، فنزلت هذه الآية[٢].

وفي تأويل قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[٣].

ذكر مجاهد أن المراد بـ«تذكروا» هاهنا: تذكروا الله إذا هموا بالمعاصي فتركوها[٤].

ومن أبرز الأمثلة التي انفردوا بتفسيرها من سورة التوبة:

ما ورد عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾[٥]، فقد جاء في المراد بالحج الأكبر، وسبب تسميته ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه سماه بذلك؛ لأنه اتفق في سنة حج فيها المسلمون والمشركون، ووافق ذلك عيد اليهود، والنصارى، قاله الحسن.

والثاني: أن الحج الأكبر هو الحج، والأصغر هو العمرة، قاله عطاء، والشعبي.

والثالث: أن الحج الأكبر القران، والأصغر الإفراد، قاله مجاهد[٦].

وعند قوله تعالى: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[٧]. المراد بالمشار إليهم هنا قولان:

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٨٤).
(٢) زاد المسير (٣/ ٢٩٦)، وتفسير الطبري (١٣/ ٢٨٩).
(٣) سورة الأعراف: آية (٢٠١).
(٤) زاد المسير (٣/ ٣١٠)، وتفسير الطبري (١٣/ ٣٣٧).
(٥) سورة التوبة: آية (٣).
(٦) زاد المسير (٣/ ٣٩٦)، وتفسير الطبري (١٤/ ١٢٨).
(٧) سورة التوبة: آية (٩).

أحدهما: أنهم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامه، قاله مجاهد.

والثاني: أنهم قوم من اليهود، قاله أبو صالح السمان[١].

وجاء في بيان المراد بـ ﴿بِأَمْرِهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[٢] قولان:

أحدهما: أنه فتح مكة، قاله مجاهد.

والثاني: أنه العقاب، قاله الحسن[٣].

وفي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾[٤]، ذكر محمد بن كعب القرظي أن الأنصار لما بايعت رسول الله ﷺ ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلاً، قال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: «**أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون أنفسكم**» قالوا: فإذا فعلنا ذلك فمالنا؟ قال: الجنة، قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل»، فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ...﴾[٥].

ومن ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿الحامدون﴾[٦].

فقد قال قتادة في ذلك: يحمدون الله على كل حال[٧].

وفي معنى قوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾[٨].

---

(١) زاد المسير (٣/ ٤٠٣)، وتفسير الطبري (١٤/ ١٥١).
(٢) سورة التوبة: آية (٢٤).
(٣) زاد المسير (٣/ ٤١٣)، وتفسير الطبري (١٤/ ١٧٨).
(٤) سورة التوبة: آية (١١١).
(٥) زاد المسير (٣/ ٥٠٤)، وتفسير الطبري (١٤/ ٤٩٩).
(٦) سورة التوبة: آية (١١٢).
(٧) زاد المسير (٣/ ٥٠٥)، وتفسير الطبري (١٤/ ٥٠٢).
(٨) سورة التوبة: آية (١٢٨).

قال الحسن: أي حريص عليكم أن تؤمنوا[١].

ومن أبرز الأمثلة الواردة في سورة يونس:

ما ورد عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾[٢]، فقد بين مجاهد أن معنى ذلك: ثم اقضوا إليّ ما في أنفسكم[٣].

وعند قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾[٤]. جاء في المراد بالحنيف ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه المتبع، قاله مجاهد.

الثاني: المخلص، قاله عطاء.

والثالث: المستقيم، قاله القرظي[٥].

ومن أمثلة ما جاء في تفسير سورة يوسف:

ما ورد عند تفسير قوله تعالى: ﴿آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾[٦].

فقد بين قتادة من المقصود بهذا الأخ، فذكر أنه بنيامين، وكان أخاه لأبيه وأمه[٧].

وعند قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾[٨].

---

(١) زاد المسير (٣/ ٥٢١)، وتفسير الطبري (١٤/ ٥٨٧).
(٢) سورة يونس: آية (٧١).
(٣) زاد المسير (٤/ ٤٨)، وتفسير الطبري (١٥/ ١٥٠).
(٤) سورة يونس: آية (١٠٥).
(٥) زاد المسير (٤/ ٧٠)، وتفسير الطبري (١٥/ ٢١٨).
(٦) سورة يوسف: آية (٦٩).
(٧) زاد المسير (٤/ ٢٥٥)، وتفسير الطبري (١٦/ ١٧٠).
(٨) سورة يوسف: آية (١٠٩).

قال الحسن: لم يبعث الله نبيًا من أهل البادية ولا من الجن، ولا من النساء[١].

ومن أبرز ما جاء عنهم في تفسير سورة الرعد:

ما جاء في بيان المراد بالأكل في قوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾[٢].

فقد بين الحسن ذلك بقوله: يريد أن ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا[٣].

ومما جاء في سورة الحجر:

ما ورد في بيان المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾[٤].

فقد روي عن مجاهد في ذلك قولان:

أولهما: أنه الدواب والأنعام، رواه عنه ابن أبي نجيح.

والثاني: أنه الوحوش، رواه عنه منصور[٥].

ومن الأمثلة الواردة في تفسير سورة النحل:

ما جاء في معنى قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾[٦].

فقد بين قتادة أن المراد بذلك: جميع الناس[٧].

وجاء في بيان المراد بـ«الدين» في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾[٨]، ثلاثة

---

(١) زاد المسير (٤/ ٢٩٥)، وتفسير الطبري (١٦/ ٢٩٣).
(٢) سورة الرعد: آية (٣٥).
(٣) زاد المسير (٤/ ٣٣٤)، وتفسير الطبري (١٦/ ٤٧٢).
(٤) سورة الحجر: آية (٢٠).
(٥) زاد المسير (٤/ ٣٩١)، وتفسير الطبري (١٤/ ١٧).
(٦) سورة النحل (٣٩).
(٧) زاد المسير (٤/ ٤٤٧)، وتفسير الطبري (١٤/ ١٠٦).
(٨) سورة النحل: آية (٥٢).

أقوال:

أحدها: أنه الإخلاص، قاله مجاهد.

والثاني: العبادة، قاله سعيد بن جبير.

والثالث: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقامة الحدود، والفرائض، قاله عكرمة[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٢].

قال الحسن في ذلك: وجميعهم كفار، فذكر الأكثر، والمراد به الجميع[٣].

معنى ﴿كَفِيلاً﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾[٤].

فقد قال سعيد بن جبير: معناه شهيدًا، وقال مجاهد: معناه وكيلا[٥].

ومن الأمثلة الواردة في سورة الإسراء:

ما جاء عند تفسير كلمة ﴿وكيلاً﴾ في قوله تعالى: ﴿أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾[٦].

فقد فسرها مجاهد فقال: شريكًا[٧].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾[٨].

---

(١) زاد المسير (٤/ ٤٥٥)، وتفسير الطبري (١٤/ ١١٨).
(٢) سورة النحل: آية (٨٣).
(٣) زاد المسير (٤/ ٤٧٩)، وتفسير الطبري (١٤/ ١٥٨).
(٤) سورة النحل: آية (٩١).
(٥) زاد المسير (٤/ ٤٨٥)، وتفسير الطبري (١٤/ ١٦٥).
(٦) سورة الإسراء: آية (٢).
(٧) زاد المسير (٥/ ٦)، وتفسير الطبري (١٥/ ١٨).
(٨) سورة الإسراء: آية (١٤).

فقد فسر ذلك الحسن بقوله: يقرؤه أميًا كان أو غير أمي[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾[٢].

فقد قال عطاء في معناه: لا تنفض يدك عليهما[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾[٤].

فقد ورد فيه قولان:

أحدهما: لابتغوا سبيلاً إلى مما نعته وإزالة ملكه، قاله الحسن وسعيد بن جبير.

والثاني: لابتغوا سبيلاً إلى رضاه؛ لأنهم دونه، قاله قتادة[٥].

جاء في بيان المراد بـ ﴿ الآيات ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾[٦] أربعة أقوال:

أحدها: أنها الموت الذريع، قاله الحسن.

والثاني: معجزات الرسل، جعلها الله تعالى تخويفًا للمكذبين.

والثالث: آيات الانتقام تخويفًا من المعاصي.

والرابع: تقلب أحوال الإنسان من صغر إلى شباب، ثم إلى كهولة، ثم إلى مشيب، ليعتبر بتقلب أحواله فيخاف عاقبة أمره. ذكر هذه الأقوال الثلاثة الماوردي،

---

(١) زاد المسير (٥/ ١٦)، وتفسير الطبري (١٥/ ٥٣).
(٢) سورة الإسراء: آية (٢٣).
(٣) زاد المسير (٥/ ٢٥)، وتفسير الطبري (١٥/ ٦٥).
(٤) سورة الإسراء: آية (٤٢).
(٥) زاد المسير (٥/ ٣٨)، وتفسير الطبري (١٥/ ٩١).
(٦) سورة الإسراء: آية (٥٩).

ونسب القول الأخير منها إلى الإمام أحمد - رضي الله عنه -[١] .

وعند تأويل ﴿ سلطاناً ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا ﴾[٢] ورد عنهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه التسلط على الكافرين بالسيف، وعلى المنافقين بإقامة الحدود، وهو قول الحسن[٣] .

والثاني: أنه الحجة البينة، وهو لمجاهد.

والثالث: الملك العزيز الذي يقهر به العصاة، قاله قتادة.

ومن الأمثلة التي انفردوا بها في سورة الكهف:

ما ورد عند تفسير قوله: ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾[٤]، فقد جاء في ذلك أثران:

أحدهما: واعتزلتم ما يعبدون إلا الله، فإن القوم كانوا يعبدون الله، ويعبدون معه آلهة، فاعتزل الفتية عبادة الآلهة، ولم يعتزلوا عبادة الله، وهذا قول عطاء.

والثاني: وما يعبدون غير الله، قال قتادة: هي في مصحف عبد الله: «وما يعبدون من دون الله»، وهذا تفسيرها[٥] .

وعند تأويل ﴿ إمراً ﴾ في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾[٦] .

قال مجاهد: منكرًا، وقال قتادة: عجبًا[٧] .

---

(١) زاد المسير (٥/ ٥٢)، وتفسير الطبري (١٥/ ١٠٩).
(٢) سورة الإسراء: آية (٨٠).
(٣) زاد المسير (٥/ ٧٨)، وتفسير الطبري (١٥/ ١٥٠).
(٤) سورة الكهف: آية (١٦).
(٥) زاد المسير (٥/ ١١٦)، وتفسير الطبري (١٥/ ٢٠٩).
(٦) سورة الكهف: آية (٧١).
(٧) زاد المسير (٥/ ١٧) وتفسير الطبري (١٥/ ٢٨٤).

ومما جاء في سورة طه:

ما جاء عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾[١].

فقد جاء ذكر عدد هؤلاء السحرة، وعدد صفوفهم عن الحسن حيث قال: كانوا خمسة وعشرين صفًا، كل ألف ساحر صف[٢].

ومما جاء من ذلك في سورة الأنبياء:

بيان المراد بالنكس في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾[٣]. فعن قتادة: أدركت الناس حيرة سوء، وعن السدي: نكسوا في الفتنة على رءوسهم[٤].

وعند قوله تعالى: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾[٥].

قال محمد بن كعب: من أصابه بلاء فليذكر ماأصاب أيوب فليقل: إنه قد أصاب من هو خير مني[٦].

ومن أمثلة ذلك في سورة الحج:

ما جاء عند بيان المراد بالتشبيه في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٧].

حيث ذكر قتادة ذلك فقال: إنه شبه المشرك بالله في بعده عن الهدى وهلاكه بالذي يخر من السماء[٨].

---

(١) سورة طه: آية (٦٤).
(٢) زاد المسير (٥/ ٣٠٠)، وتفسير الطبري (١٦/ ١٨٤).
(٣) سورة الأنبياء: آية (٦٥).
(٤) تفسير الطبري (١/ ٤١) ط. دار الكتب العلمية.
(٥) سورة الأنبياء: آية (٨٤).
(٦) زاد المسير (٥/ ٣٧٩)، وتفسير الطبري (١٧/ ٧٣).
(٧) سورة الحج: آية (٣١).
(٨) زاد المسير (٥/ ٤٢٩)، وتفسير الطبري (١٧/ ١٥٥).

ومن سورة المؤمنون:

ماورد في بيان المراد بـ ﴿ العادين ﴾ في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾[١] وفي ذلك أثران:

أحدهما: الملائكة، قاله مجاهد.

والثاني: الحُسَّاب، قاله قتادة[٢].

ومما جاء في سورة النور:

عند بيان مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾[٣] ورد قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الله عز وجل، قاله مجاهد.

والثاني: إلى رسول الله ﷺ، قاله قتادة[٤].

ومما جاء في سورة الفرقان:

ما ورد عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾[٥] ورد في بيان المراد بالسبيل قولان:

أحدهما: لا يستطيعون مخرجًا من الأمثال التي ضربوها، قاله مجاهد.

والثاني: سبيلاً إلى الطاعة، قاله السدي[٦].

---

(١) سورة المؤمنون: آية (١١٣).
(٢) زاد المسير (٥/ ٤٩٥)، وتفسير الطبري (١٨/ ٦٣).
(٣) سورة النور: آية (٦٣).
(٤) زاد المسير (٦/ ٦٩) وتفسير الطبري (١٨/ ١٧٨).
(٥) سورة الفرقان: آية (٩).
(٦) زاد المسير (٦/ ٧٤)، وتفسير الطبري (١٨/ ١٨٥).

ومما جاء في سورة الشعراء:

فقد ذكر الحسن السبب في عدم ذكر إبراهيم عليه السلام أمه في دعائه عند قوله تعالى: ﴿ وَاغْفِرْ لأَبِي ﴾[١].

فقال: بلغني أن أمه كانت مسلمة على دينه، فلذلك لم يذكرها[٢].

وفي بيان المراد بالمصانع في قوله تعالى: ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾[٣] ثلاثة أقوال:

أحدها: قصور مشيدة، قاله مجاهد.

والثاني: مصانع الماء تحت الأرض، قاله قتادة.

والثالث: بروج الحمام، قاله السدي[٤].

ومما جاء في سورة النمل:

ما ورد عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾[٥] قال مجاهد: السيئة: العذاب، والحسنة: الرحمة[٦].

ومما جاء عنهم في سورة القصص:

ما جاء عند تفسيرقوله تعالى: ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾[٧].

فقد بين قتادة المراد باب ﴿ أئمة ﴾ هنا فقال: ولاة وملوكًا[٨].

---

(١) سورة الشعراء: آية (٨٦).
(٢) زاد المسير (٦/ ١٣٠)، وتفسير الطبري (١٩/ ٨٦).
(٣) سورة الشعراء: آية (١٢٩).
(٤) زاد المسير (٦/ ١٣٦)، وتفسير الطبري (١٩/ ٩٥).
(٥) سورة النمل: آية (٤٦).
(٦) زاد المسير (٦/ ١٨٠)، وتفسير الطبري (١٩/ ١٧١).
(٧) سورة القصص: آية (٥).
(٨) زاد المسير (٦/ ٢٠١)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٢٨).

ما ورد عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ﴾[١] . ذكر المفسرون فيما وكزه به قولين:

أحدهما: كفه، قاله مجاهد.

والثاني: عصاه، قاله قتادة[٢].

وعند قوله تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾[٣] . اختلف فيمن نزلت الآية فيه على أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في رسول الله ﷺ وأبي جهل.

والثاني: في علي وحمزة عليهما السلام وأبي جهل. والقولان مرويان عن مجاهد.

والثالث: في المؤمن والكافر، قاله قتادة.

والرابع: في عمار، والوليد بن المغيرة، قاله السدي[٤].

وفي المراد بـ﴿المحضرين﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾[٥] .

قال قتادة: من المحضرين في عذاب الله[٦].

وفي بيان المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾[٧] وردت ثلاثة

---

(١) سورة القصص: آية (١٥).
(٢) زاد المسير (٦/ ٢٠٨)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٤٦).
(٣) سورة القصص: آية (٦١).
(٤) زاد المسير (٦/ ٢٣٤)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٩٧).
(٥) سورة القصص: آية (٦١).
(٦) زاد المسير (٦/ ٢٣٥)، وتفسير الطبري (٢٠/ ٩٧).
(٧) سورة القصص: آية (٧٨).

أقوال:

أحدها: لا يسألون ليعلم ذلك من قبلهم، وإن سئلوا سؤال توبيخ، قاله الحسن.

والثاني: أن الملائكة تعرفهم بسيماهم فلا تسألهم عن ذنوبهم، قاله مجاهد.

والثالث: يدخلون النار بغير حساب، قاله قتادة.

وقال السدي: يعذبون ولا يسألون عن ذنوبهم[١].

ومن الأمثلة الواردة عنهم في تفسير سورة العنكبوت:

ما ورد في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾[٢] فقد فسر مجاهد ذلك بقوله: لا يفتنون في أنفسهم بالقتل والتعذيب[٣].

ومن الأمثلة الواردة عنهم في تفسير سورة لقمان:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾[٤].

قال عطاء في المراد بذلك: امش بالوقار والسكينة[٥].

ما جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[٦].

فقد ذكر مجاهد أن رجلاً من أهل البادية جاء النبي ﷺ، فقال: إن امرأتي حبلى، فأخبرني ماذا تلد؟ وبلدنا مجدب، فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى

---

(١) زاد المسير (٦/ ٢٤٣)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١١٤).

(٢) سورة العنكبوت: آية (٢).

(٣) زاد المسير (٦/ ٢٥٥)، وتفسير الطبري (٢٠/ ١٢٨).

(٤) سورة لقمان: آية (١٩).

(٥) زاد المسير (٦/ ٣٢٣)، وتفسير الطبري (٢١/ ٧٦).

(٦) سورة لقمان: آية (٣٤).

ولدتُ، فأخبرني متى أموت. فنزلت هذه الآية[١].

ومن أبرز الأمثلة الدالة على ذلك في سورة السجدة:

ما جاء عند بيان المراد بالذي جعل هدى لبني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٢] قولان:

أحدهما: الكتاب، قاله الحسن.

والثاني: موسى، قاله قتادة[٣].

ومن سورة الأحزاب:

ما جاء عنهم في بيان المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾[٤] ثلاثة أقوال:

أحدها: فيما أخطأتم به قبل النهي، قاله مجاهد.

والثاني: في دعائكم من تدعونه إلى غير أبيه، وأنتم ترونه كذلك، قاله قتادة.

والثالث: فيما سهوتم فيه، قاله حبيب بن أبي ثابت[٥].

وعند تأويل قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾[٦].

قال مجاهد فيما شح به هؤلاء المنافقون: أشحة بالخير.

وروي عن قتادة قولان:

---

(١) زاد المسير (٦/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠)، وتفسير الطبري (٢١/ ٨٧).
(٢) سورة السجدة: آية (٢٣).
(٣) زاد المسير (٦/ ٣٤٤)، وتفسير الطبري (٢١/ ١١٢).
(٤) سورة الأحزاب: آية (٥).
(٥) زاد المسير (٦/ ٣٥٢)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٢١).
(٦) سورة الأحزاب: آية (١٩).

أحدهما: بالنفقة في سبيل الله.

والثاني: بالغنيمة[١].

وقول قتادة في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾[٢].

حيث بين المراد بما فرض الله له بقوله: فيما أحل الله له من النساء[٣].

وقد ورد قولان في بيان المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾[٤].

أحدهما: ألا يجاوز الرجل أربع نسوة، قاله مجاهد.

والثاني: ألا يتزوج الرجل المرأة إلا بولي وشاهدين وصداق، قاله قتادة[٥].

ومما جاء في سورة سبأ:

عند تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾[٦].

ذكر الحسن وقتادة المراد بتقدير السير فقالا: إنهم كانوا يغدون فيقيلون في قرية ويروحون فيبيتون في قرية[٧].

ورد في بيان المراد بالواحدة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾[٨] ثلاثة

---

(١) زاد المسير (٦/ ٣٦٥)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٤٠).
(٢) سورة الأحزاب: آية (٣٨).
(٣) زاد المسير (٦/ ٣٩٢)، وتفسير الطبري (٢٢/ ١٤).
(٤) سورة الأحزاب: آية (٥٠).
(٥) زاد المسير (٦/ ٤٠٦)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٢٤).
(٦) سورة سبأ: آية (١٨).
(٧) زاد المسير (٦/ ٤٤٨)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٨٤).
(٨) سورة سبأ: آية (٤٦).

أقوال:

أحدها: أنها «لا إله إلا الله» رواه ليث عن مجاهد.

والثاني: طاعة الله، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد.

والثالث: أنها قوله: ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾، قاله قتادة[١].

ومما جاء في سورة فاطر:

تأويل قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾[٢].

فقد قال مجاهد في تفسير ذلك: من كان يريد العزة بعبادة الأوثان ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾.

وقال قتادة: من كان يريد العزة فليعتز بطاعة الله[٣].

ومما جاء في سورة الصافات:

ورد في بيان المراد بـ ﴿الرزق﴾ في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾[٤] قولان:

أحدهما: أنه الجنة، قاله قتادة،

والثاني: أنه الرزق في الجنة، قاله السدي[٥].

عند بيان المراد بـ ﴿فتنة﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾[٦].

---

(١) زاد المسير (٦/ ٤٦٤)، وتفسير الطبري (٢٢/ ١٠٤).

(٢) سورة فاطر: آية (١٠).

(٣) زاد المسير (٦/ ٤٧٦)، وتفسير الطبري (٢٢/ ١٢٠).

(٤) سورة الصافات: آية (٤١).

(٥) زاد المسير (٧/ ٥٥)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٥٢).

(٦) سورة الصافات: آية (٦٣).

قال قتادة: إنه لما ذكر أنها في النار، افتتنوا وكذبوا، فقالوا: كيف يكون في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، فنزلت هذه الآية. وقال السدي: فتنة لأبي جهل وأصحابه[١].

وأمثلة ذلك في تفسير سورة ص:

عند تأويل قوله تعالى: ﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[٢]. ورد في ذلك قولان:

أحدهما: بما تركوا العمل ليوم الحساب، قاله السدي.

والثاني: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا، أي: تركوا القضاء بالعدل، وهو قول عكرمة[٣].

وقد بين الحسن المراد بقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٤] عند قوله: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

بقوله: لا تبعة عليك في الدنيا، ولا في الآخرة.

وقال سعيد بن جبير: ليس عليك حساب يوم القيامة[٥].

وعند قوله تعالى: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾[٦].

قال مجاهد في تأويل ذلك وبيان المراد به: يقول أبو جهل في النار: أين صهيب، أين عمار، أين خبّاب، أين بلال؟![٧].

(١) زاد المسير (٧/ ٦٢)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٦٣).
(٢) سورة (ص): آية (٢٦).
(٣) زاد المسير (٧/ ١٢٤)، وتفسير الطبري (٢٣/ ١٥٢).
(٤) سورة (ص): آية (٣٩).
(٥) زاد المسير (٧/ ١٤١)، وتفسير الطبري (٢٣/ ١٦٣).
(٦) سورة (ص): آية (٦٢).
(٧) زاد المسير (٧/ ١٥٢)، وتفسير الطبري (٢٣/ ١٨١).

ومن أبرز الأمثلة لذلك عند تفسير سورة غافر:

فقد ورد في بيان المراد بـ ﴿ مسرف ﴾ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ ﴾[١] قولان:

أحدهما: أنه المشرك، قاله قتادة.

والثاني: أنه السفاك للدم، قاله مجاهد[٢].

وفي معنى قوله تعالى: ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾[٣].

قال مجاهد: إنهم قالوا: نحن أعلم منهم، لن نبعث ولن نحاسب.

وقال السدي: فرحوا بما كان عندهم أنه علم[٤].

ومن الأمثلة على ذلك في سورة فصلت:

في بيان المراد بـ ﴿ الباطل ﴾ في قوله تعالى: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ ﴾[٥] ثلاثة أقوال:

أحدهما: التكذيب، قاله سعيد بن جبير.

والثاني: الشيطان، والثالث: التبديل، رويا عن مجاهد.

قال قتادة: لا يستطيع إبليس أن ينقص منه حقًا، ولا يزيد فيه باطلاً. وقال مجاهد: لا يدخل فيه ما ليس منه[٦].

---

(١) سورة غافر: آية (٢٨).

(٢) زاد المسير (٧/ ٢١٩)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٥٩).

(٣) سورة غافر: آية (٨٣).

(٤) زاد المسير (٧/ ٢٣٨)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٨٩).

(٥) سورة فصلت: آية (٤٢).

(٦) زاد المسير (٧/ ٢٦٢)، وتفسير الطبري (٢٤/ ١٢٥).

وعند بيان المراد بما يقال للرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾[١].

قال الحسن وقتادة: إنه قد قيل فيمن أرسل قبلك: ساحر وكاهن ومجنون، وكذبوا كما كذبت[٢].

ومن ذلك في سورة الشورى:

عند تفسير الاستجابة في قوله: ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٣].

روى قتادة عن إبراهيم النخعي قال: يشفَّعون في إخوانهم ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ قال: يشفَّعون في إخوان إخوانهم[٤].

ومن أمثلة ذلك في تفسير سورة الزخرف:

عند تأويل قوله تعالى: ﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾[٥].

بين قتادة معنى ﴿ مُقْتَرِنِينَ ﴾ بقوله: متتابعين[٦].

وقد ذكر مجاهد وقتادة تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ ﴾[٧].

بقولهما: يعبد في السماء، ويعبد في الأرض[٨].

---

(١) سورة فصلت: آية (٤٣).
(٢) زاد المسير (٧/ ٢٦٣)، وتفسير الطبري (٢٤/ ١٢٦).
(٣) سورة الشورى: آية (٢٦).
(٤) زاد المسير (٧/ ٢٨٧)، وتفسير الطبري (٢٥/ ٢٩).
(٥) سورة الزخرف: آية (٥٣).
(٦) زاد المسير (٧/ ٣٢٢).
(٧) سورة الزخرف: آية (٨٤).
(٨) زاد المسير (٧/ ٣٣٣)، وتفسير الطبري (٢٥/ ١٠٤).

ومن الأمثلة الدالة على ذلك في سورة القمر:

عند بيان المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا﴾[١].

ذكر قتادة أنها السفينة، قال: أبقاها الله على الجودي حتى أدركها أوائل هذه الأمة[٢].

ومما جاء في سورة الرحمن:

في تفسير قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُم﴾[٣] بين الحسن المراد بالسيما بقوله: بسواد الوجوه وزرق الأعين[٤].

ومن الأمثلة على ذلك في سورة الواقعة:

عند بيان المراد بالسابقين في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُون﴾[٥]. وردت خمسة أقوال:

أحدها: أنهم السابقون إلى الإيمان من كل أمة، قاله الحسن، وقتادة.

والثاني: أنهم الذين صلوا إلى القبلتين، قاله ابن سيرين.

والثالث: أهل القرآن، قاله كعب.

والرابع: الأنبياء، قاله محمد بن كعب.

والخامس: السابقون إلى المساجد وإلى الخروج في سبيل الله، قاله عثمان بن أبي

---

(١) سورة القمر: آية (١٥).
(٢) زاد المسير (٨/ ٩٤)، وتفسير الطبري (٢٧/ ٩٥).
(٣) سورة الرحمن: آية (٤١).
(٤) زاد المسير (٨/ ١١٨)، وتفسير الطبري (٢٧/ ١٤٣).
(٥) سورة الواقعة: آية (١٠).

سودة[١] .

وعند تأويل قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾[٢] .

ذكر الزجاج أن مذهب سعيد بن جبير أن «لا» دخلت توكيداً، والمعنى: فأقسم؛ كما في قوله تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾[٣] .

ومن الأمثلة على ذلك في تفسير سورة المجادلة:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا ﴾[٤] .

بين سعيد بن جبير المراد بالعود هنا فقال: المعنى: يريدون أن يعودوا إلى الجماع الذي قد حرموه على أنفسهم، وقال الحسن وطاوس والزهري: العود: هو الوطء[٥] .

ومما جاء في سورة الحشر ما يأتي:

ذكر قتادة معنى ﴿ الْمُتَكَبِّرُ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾[٦] أنه: الذي تكبر عن كل سوء[٧] .

ومما جاء في سورة القلم:

فقد ذكر قتادة الأمر الذي نهى رسول الله ﷺ أن يكون كصاحب الحوت فيه في

---

(١) زاد المسير (٨/ ١٣٣)، وتفسير الطبري (٢٧/ ١٧١).

(٢) سورة الواقعة: آية (٧٥).

(٣) سورة الحديد: آية (٢٩)، وينظر زاد المسير (٨/ ١٥٠)، وتفسير الطبري (٢٧/ ٢٠٣).

(٤) سورة المجادلة: آية (٣).

(٥) زاد المسير (٨/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، وتفسير الطبري (٢٨/ ٨).

(٦) سورة الحشر: آية (٢٣).

(٧) زاد المسير (٨/ ٢٢٧)، وتفسير الطبري (٢٩/ ٥٦).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾[١]: أنه العجلة والغضب[٢].

ومن الأمثلة الواردة في سورة الدهر:

عند بيان المراد بالأسير في قوله تعالى: ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٣].

قال عطاء، ومجاهد، وابن جبير: إنه المسجون من أهل القبلة.

وقال الحسن وقتادة: إنه الأسير المشترك[٤].

ومن سورة عبس:

عند بيان المراد بقوله تعالى: ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾[٥].

قال مجاهد: لا يقضي أحدٌ أبدًا كل ما افترض الله عليه[٦].

ومن سورة الشمس:

عند بيان معنى «ما» في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾[٧].

ورد في ذلك قولان:

أحدهما: بمعنى «من» تقديره «ومن بناها»، قاله الحسن ومجاهد.

والثاني: أنها بمعنى المصدر، تقديره: وبنائها، وهذا مذهب قتادة[٨].

---

(١) سورة القلم: آية (٤٨).
(٢) زاد المسير (٨/ ٣٤٢)، وتفسير الطبري (٢٩/ ٤٥).
(٣) سورة الدهر: آية (٨).
(٤) زاد المسير (٨/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤)، وتفسير الطبري (٢٩/ ٢٠٩).
(٥) سورة عبس: آية (٢٣).
(٦) زاد المسير (٩/ ٣٢)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٥٦).
(٧) سورة الشمس: آية (٥).
(٨) زاد المسير (٩/ ١٣٩)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٢٠٩).

وفي المراد بـ ﴿نَفْسٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾[١] قولان:

أحدهما: آدم، قاله الحسن.

والثاني: جميع النفوس، قاله عطاء[٢].

ومن سورة الضحى:

المراد بالقهر في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾[٣].

فقد قال مجاهد في ذلك: لا تحقر[٤].

ومن سورة الهمزة:

المراد بقوله: ﴿وَعَدَّدَهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾[٥]، فللمفسرين في معنى الكلام قولان:

أحدهما: أحصى عدده، قاله السدي.

والثاني: أعده لما يكفيه في السنين، قاله عكرمة[٦].

هذا بعض مما جاء عنهم وانفردوا بتأويله وقد ذكرته، واستطردت في ذكر الأمثلة من أكثر سور القرآن للدلالة على بيان أهمية تفسيرهم ومدى اعتماد الأئمة عليه.

أثر التابعين في التفسير عند غير أهل السنة

يعد هذا المبحث من المباحث الصعبة؛ لأنه يستلزم استعراض كتب التفسير عند

---

(١) سورة الضحى: آية (٧).

(٢) زاد المسير (٩/ ١٣٩).

(٣) سورة الضحى: آية (٩).

(٤) زاد المسير (٩/ ١٦٠)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٢٣٣).

(٥) سورة الهمزة: آية (٢).

(٦) زاد المسير (٩/ ٢٢٨)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٢٩٣).

الفرق المخالفة لأهل السنة، وكثير منها عزيز المنال، نادر الوجود، كما أن أكثر الفرق لم أجد لهم تراثًا تفسيريًا اعتمدوا فيه على الآثار، لا سيما الآثار عن التابعين.

ويعتبر الشيعة على اختلاف فرقهم من الطوائف التي وجدت لهم تراثًا تفسيريًا أثريًا، وقد اجتهدت حتى حصلت على العديد منها.

أثر التابعين في تفاسير الشيعة:

قبل بيان أثر التابعين في تفاسير الشيعة لابد أن نستعرض أولاً كيفية تقبل النصوص عند الشيعة إجمالاً، وطريقة تلقيهم للمنقول، ومدى اعتمادهم عليها، حتى يمكن بذلك فهم أثر التابعين في تفسيرهم سلبًا وإيجابًا.

طبيعة الروايات والآثار في تفسير الشيعة:

الروايات في تفسير الشيعة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: النصوص الواردة بأسانيدهم، والمعزوة لأئمتهم.

القسم الثاني: النصوص الواردة بأسانيد لأهل السنة، أو المعزوة لأئمتهم.

أما القسم الأول: فهو المعتمد عندهم عمومًا، وعليه المعوَّل في تفسيرهم، إلا أن هذا القسم كثير منه في الفضائل والقصص والأخبار، والقليل منه في التفسير.

ولذا نجد بعض علمائهم كالكاشاني يهتم بدراسة بعض هذه المرويات دراسة موضعية، وربما بين خللاً فيها؛ إلا أنه في نهاية الأمر يقبل الكثير منها.

فمن ذلك ما أورده في تفسيره أن قتادة دخل على أبي جعفر فقال: يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون، فقال أبو جعفر: بلغني أنك تفسر القرآن؟ قال له قتادة: نعم، فقال أبو جعفر بعلم تفسره أم بجهل؟ قال: لا، بل بعلم. فقال له أبو جعفر: فإن كنت تفسره بعلم فأنت أنت، وأنا أسألك؛ قال قتادة: سل، قال: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[1]، فقال

(١) سورة سبأ: آية (١٨).

قتادة: ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يريد هذا البيت كان آمنًا حتى يرجع إلى أهله، فقال أبو جعفر: نشدتك بالله يا قتادة هل تعلم أنه قد يخرج الرجل من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يريد هذا البيت، فيقطع عليه الطريق، فتذهب نفقته، ويضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه؟ قال قتادة: اللهم نعم. فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت، ويحك يا قتادة، ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يؤم هذا البيت عارفًا بحقنا يهوانا قلبه كما قال الله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِم﴾ ولم يعن البيت فنحن والله دعوة إبراهيم «عليه السلام» التي من هوانا قلبه قبلت حجته وإلا فلا، يا قتادة فإذا كان كذلك كان آمنًا من عذاب جهنم يوم القيامة، قال قتادة: لا جرم والله لا فسرتها إلا كذلك، فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة، إنما يعرف القرآن من خوطب به[1].

فبعد أن ذكر الرواية قال: هكذا وجدنا هذا الحديث في نسخ الكافي ويشبه أن يكون قد سقط منه شيء وذلك لأن ما ذكره قتادة لا تعلق له بقوله تعالى: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[2]؛ وذلك لأن ما ذكر فيه أين هي من الأرض، وإنما يتعلق بقوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾[3]، ثم ذكر رواية أخرى عن أبي جعفر وأبي حنيفة بنحو ذلك، وفيها السقط الذي أشار إليه[4].

---

(١) تفسير الصافي (١/ ٢٢).

(٢) سورة سبأ: آية (١٨).

(٣) سورة آل عمران: آية (٩٧).

(٤) تفسير الصافي (١/ ٢٢، ٢٣)، ولم يزد على ذلك، وليته ناقش الرواية نفسها مناقشة موضوعية مثلما ناقش سقطها، ولكن أحسب التعصب هو رائد هؤلاء، والله المستعان.

ويلاحظ في هذا القسم أنهم أكثروا من الرواية عن (أبي جعفر الباقر) وعن أبي عبد الله الصادق أكثر من غيرهما، بل كادت تفاسيرهم أن تكون عن هذين الإمامين[١].

وكلاهما يعتبره أهل السنة إمامًا، وكان الباقر ثقة، وتتلمذ الصادق على جابر بن عبد الله، إلا أن أكثر الآثار المروية عنهم في كتب الشيعة لا تصح ولا يمكن قبولها بأي مقياس علمي، بل وأحيانًا بالمقاييس العقلية العادية، فجلها أساطير حول معتقدات العصمة، والقائم المنتظر، وبعضها فيه شرك صريح وغلو في آل البيت قد يصل إلى تأليههم[٢].

وهناك بعض الآثار صحيحة المعنى ترد عن بعض آل البيت، والتي يؤولونها بهواهم، مثل الأثر الوارد في قوله تعالى: ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾[٣].

فقد استنبط منها الصادق أن من طعن في الدين فقد كفر، فيجعلون ذلك من طعن في التشيع[٤].

وهناك بعض الآثار التفسيرية المعقولة واردة عنهم بغض النظر عن أسانيدها[٥].

---

(١) ينظر مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٤٤)، يقول شريك بن عبد الله: أحمل العلم عن كل من لقيته إلا الرافضة فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه دينًا. ويقول الإمام الشافعي: لم أر أحدًا أشهد بالزور من الرافضة. ينظر المنتقى من منهاج الاعتدال (٢١، ٢٢).

(٢) مثل ما كذبوا عليهما في: طواف الملائكة بالأئمة في ليلة القدر، ينظر تفسير القمي (٢/ ٤٣٢)، وذبح الرسول لإبليس، ينظر تفسير القمي (٢/ ٢٤٥)، وأنهم السبع المثاني، ويدور الفلك حولهم، ينظر البرهان (٢/ ٣٥٤)، ونور الثقلين (٣/ ٢٨)، وجعل الناس كلهم أولاد بغايا إلا الشيعة، ينظر البرهان (٢/ ٣٦)، وقولهم في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾ أي علي بن أبي طالب، ينظر البرهان (٢/ ٢٨٧)، وكونهم أهل الذكر دون غيرهم، ينظر البرهان (٢/ ٣٧٢)، ونزول الأمر من السماء إلى الوصي، البرهان (٤/ ٣٥٠).

(٣) سورة التوبة: آية (١٢).

(٤) البرهان في تفسير القرآن (٢/ ١٠٧).

(٥) مثل تفسير السبع المثاني بفاتحة الكتاب، ينظر تفسير نور الثقلين (٣/ ٢٨). وتفسير الويل بأنه بئر في جهنم، ينظر تفسير القمي (٢/ ٤١٠).

وأما القسم الثاني: فهو محل النظر في هذا البحث، وقد رأيت أنهم يوردونه إما لبيان مخالفته لهم، وهو قليل في هذا القسم، وإما يوردون منه ما كان صحيحًا ثابتًا ولاسيما ما جاء في فضل عليّ -رضي الله عنه-، ويفرحون به فيكثرون منه ويعتمدونه[١]، وإما أن يكذبوا على أهل السنة ويفترون على أئمتهم بالوضع عليهم تعصبًا لمذاهبهم الردية، وعلى هذا مدار أكثر الآثار التي يوردونها عن أهل السنة في فضائل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-.

وقد لاحظت أن نقلهم عن الصحابة غير عليّ -رضي الله عنه- قليل جدًا، وقد أوردوا بعضًا من الآثار عن ابن عباس رضي الله عنهما[٢].

ولقد كانت هذه الروايات الواردة عن ابن عباس في كتبهم، وهي قليلة، روايات مطلقة بلا إسناد، وبعضها كان من طريق التابعين، وأكثرها عن مجاهد عنه، ومن طريق الكلبي عن أبي صالح عنه[٣]، وهي طريق موضوعة، بل هي أوهى طرق تفسير

---

(١) ومن ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]، أن المراد عليّ وحمزة وعبيدة وخصماؤهم (تفسير فرات/ ٢٧١، ١، ٢٧٢)، عن السدي وابن سيرين، وكما ورد في آية المباهلة (تفسير فرات ١/ ٨٦، ٨٨)، وتصدق علي قبل المناجاة قبل أن تنسخ (تفسير فرات ٢/ ٤٧٠)، وأكثر اعتمادهم في هذا الباب على السدي لميله لهم، والغالب عليهم الفرح بما يرد عن أهل السنة مما يتوافق معهم، ولذا يكثر في كتاب البرهان أن يقول: (ومن طريق المخالفين) ثم يذكر آثارًا عن أهل السنة غالبها الوضع، وكثير منه من تفسير الثعلبي والكلبي وآخرين، ينظر على سبيل المثال البرهان (١/ ١٦٦)، (١/ ٢٧٥)، (١/ ٢٧٢)، (٢/ ٥٣)، (٢/ ١٠٤)، (٢/ ٣١٥)، (٢/ ٤١٥)، (٣/ ٢٧)، (٣/ ٢٩)، (٣/ ١٢٩)، (٣/ ١٤٥)، (٣/ ١٧١)، (٣/ ٣٣٨)، (٤/ ٧٦)، (٤/ ٨٩)، (٤/ ١٦٨)، (٤/ ٢٠٢)، (٤/ ٣٧٨)، (٤/ ٤٤١).

(٢) بلغت الروايات الواردة عن ابن عباس في تفسير البرهان (١٠٥) روايات، في حين بلغت عن ابن مسعود (٥) روايات فقط، وعن أنس (٣) روايات.

(٣) بلغت الطرق الواردة عن ابن عباس من طريق مجاهد (١٣) رواية، ومن طريق أبي صالح (١٣) رواية، ومن طريق عكرمة (٢٨) رواية، وعن طريق ابن جبير (٩) روايات، وعن السدي (٤) روايات، وعن عطاء (٤) روايات، وعن أبي العالية وقتادة روايتان، وعن الشعبي رواية =

ابن عباس كما قاله السيوطي وغيره[١] .

كما أوردت هذه التفاسير قليلاً من أقوال التابعين صدقًا وكذبًا، وأكثرها كان عن السدي، وعن ابن المسيب[٢] .

النصوص القرآنية في تفسير الشيعة:

عامة النصوص القرآنية الدالة على مدح فهي في عليّ وشيعته، والدالة على ذم فهي في مخالفيه.

وهذه طريقة من طرقهم في التفسير وسمة بارزة في مناهجهم، ومعناه بتطبيق الآيات القرآنية على أئمتهم إن كان في مدح، وعلى أعدائهم إن كان في ذم.

وفي ذلك يقول الطباطبائي في تفسيره: وأعلم أن الجري - وكثيرًا ما نستعمله في هذا الكتاب - اصطلاح مأخوذ من قول أئمة البيت عليهم السلام[٣] .

ويقول أيضًا: الروايات في تطبيق الآيات القرآنية عليهم (عليهم السلام)، أو على أعدائهم - أعني روايات الجري - كثيرة في الأبواب المختلفة وربما تبلغ المئتين[٤] .

= واحدة، وعن النخعي رواية واحدة، والروايات المطلقة بلا إسناد (٣٨) رواية، وذلك بعد مراجعة كتاب البرهان في تفسير القرآن.

(١) الإتقان (٢/ ٢٤٢).

(٢) بلغت الروايات الواردة عن السدي (٩) روايات، وعن ابن المسيب (٩) روايات، وعن مجاهد (٥) روايات، وعن قتادة (٥) روايات، وعن سعيد (٤) روايات، وعن الحسن (٣) روايات، وابن سيرين روايتان، وعن الشعبي (٣) روايات، وعن النخعي روايتان، وعن الزهري رواية واحدة، ويكون بذلك مجموع الروايات عن التابعين (٤٤) رواية، وذلك بعد مراجعة كتاب البرهان في تفسير القرآن.

(٣) الميزان في تفسير القرآن (١/ ٤١).

(٤) المرجع السابق (١/ ٤٢).

ومن أمثلة ذلك ـ وهي كثيرة جداً ـ ما رواه فرات بسنده عن علي بن أبي طالب (ع) قال: القرآن أربعة أرباع، ربع فينا، وربع في عدونا، وربع فرائض وأحكام، وربع حلال وحرام، ولنا كرائم القرآن[١].

وأصرح منه ما أورده البحراني في مقدمة تفسيره، باب ما عني به الأئمة (ع) في القرآن ثم قال: روى أبو جعفر الطوسي بإسناده إلى الفضل ابن شاذان، عن داود بن فرقد، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أنتم الصلاة في كتاب الله عز وجل، وأنتم الزكاة، وأنتم الحج؟ فقال: يا داود نحن الصلاة في كتاب الله عز وجل، ونحن الزكاة ونحن الصيام، ونحن الحج، ونحن الشهر الحرام، ونحن البلد الحرام، ونحن كعبة الله، ونحن قبلة الله، ونحن وجه الله، ونحن الآيات، ونحن البينات، وعدونا في كتاب الله الفحشاء، والمنكر، والبغي، والخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام، والأصنام، والأوثان، والجبت، والطاغوت، والميتة، والدم، ولحم الخنزير، يا داود إن الله خلقنا، وأكرم خلقنا، وفضلنا، وجعلنا أمناءه، وحفظته، وخزانه على ما في السموات، وما في الأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداء فسمانا في كتابه، وكنى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبها إليه تكنية عن العدو، وسمى أضدادنا وأعداءنا في كتابه، وكنى عن أسمائهم، وضرب لهم الأمثال في كتابه[٢].

وهذا الأسلوب يسمى عندهم أسلوب الجري، وليس هذا فحسب؛ بل صار للقرآن عندهم ظهر وبطن، فظاهر القرآن في الدعوة إلى التوحيد والنبوة والرسالة، وجعل باطنه في الدعوة إلى الإمامة والولاية، وما يتعلق بهما[٣].

وهذا ما يفهم من قول عبد اللطيف الكازراني ـ أحد علمائهم ـ في مقدمة تفسيره:

---

(١) تفسير فرات الكوفي (١/ ٢)، والبرهان (١/ ٢٢).
(٢) البرهان (١/ ٢٢).
(٣) التفسير والمفسرون (٢/ ٢٨).

القرآن له ظهر وبطن ، بل كل فقرة من كتاب الله لها سبعة وسبعون بطنًا ، وجملة باطن الكتاب في الدعوة إلى الإمامة والولاية ، وجملة ظاهره في الدعوة إلى التوحيد والنبوة والرسالة ، وكل ما ورد من الآيات المشتملة على التهديد ، والوعيد ، والتوبيخ ، والتقريع ففي المخالفين[١] .

وفي تفسير العياشي ، عن الفضيل بن يسار قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرواية : ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن ، وما فيه حرف إلا وله حد ، ولكل حد مطلع ، قلت : ما تعني بقوله : ظهر وبطن؟ قال : ظهره تنزيله ، وبطنه تأويله ، منه ما مضى ، ومنه ما لم يكن بعد ، يجري كما تجري الشمس ، والقمر ، كلما جاء منه شيء وقع ، قال الله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾[٢] ، نحن نعلمه[٣] .

وفي تفسير الصافي عن النبي ﷺ : إن للقرآن ظهرًا وبطنًا ، ولبطنه بطنًا إلى سبعة أبطن[٤] .

هذا هو المنهج الشيعي في استقراء آيات القرآن الكريم ، ولذلك فهم في غير حاجة إلى تراث منقول في ذلك ، فالقرآن يمدح عليًا ، ويذم مخالفيه ، فكل آية فيها مدح أو ذم ، فتفسيرها قد عرف مسبقًا ، بل كثير من الآيات لا تدل على مدح أشخاص ، ومع ذلك تُلوى حتى تتوافق مع المنهج السابق ، بل ما كان من الآيات في القرون السابقة فإنه يصنع لها قصة حتى ينزل مدحها على عليّ - رضي الله عنه - ، ولم يقتصر كذبهم وروايتهم على أئمة البيت ؛ بل تعدى ذلك للنقل عن بعض الصحابة ، والتابعين ، وهذه بعض الأمثلة على ذلك :

---

(١) تفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ، عن كتاب التفسير والمفسرون (٢/ ٧٦) .

(٢) سورة آل عمران : آية (٧) .

(٣) تفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ، عن كتاب التفسير والمفسرون (٢/ ٧٦) .

(٤) الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي (٣/ ٧٢) .

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١].

ينقل صاحب كتاب البرهان في تفسير القرآن عن صحيفة الرضا: ليس في القرآن آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا في حقنا[٢].

ثم يقول: ومن طريق المخالفين[٣] روى الموفق بن أحمد ـ وهو من أعيان المخالفين ـ بإسناده، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ما أنزل الله آية فيها يا أيها الذين ءامنوا إلا عليٌّ رأسها، وأميرها وقال بعدها: وعنه أيضًا بإسناده عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ما أنزل الله تعالى في القرآن آية يقول فيها: يأيها الذين آمنوا إلا كان علي بن أبي طالب شريفها وأميرها[٤].

وينقل فرات في تفسيره بسنده عن مجاهد أنه قال: كل شيء في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فإن لعلي سابقته وفضيلته؛ لأنه سبقهم إلى الإسلام[٥].

وفي تفسيره أيضًا لقوله سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[٦] عن أبي صالح، عن ابن عباس: أنها نزلت في علي، وحمزة، وجعفر، وعبيدة بن الحارث[٧].

وفي كلمات آدم التي تاب الله بها عليه، يسند فرات عن أبي صالح: أنها رب أسألك بحق محمد نبيك وبحق علي وصي نبيك وبحق فاطمة بنت نبيك[٨].

---

(١) سورة البقرة: آية (١٥٣).
(٢) البرهان (٢/ ١٦٦).
(٣) يقصد غير الشيعة.
(٤) البرهان (٢/ ١٦٦، ١٦٧).
(٥) تفسير فرات (١/ ٤٩)٥.
(٦) تفسير البقرة: آية (٢٥).
(٧) تفسير فرات (١/ ٥١) ١١.
(٨) تفسير فرات (١/ ٥٧) ٣٨.

وقوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾[١].

أسند عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس قال: نزلت في علي[٢].

وعند قوله: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[٣] قال ابن عباس: نزلت في علي[٤].

وفي تفسير قوله: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٥] نزلت في علي وحمزة وعبيد الله بن الحارث[٦].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[٧] قال ابن سيرين: نزلت في علي[٨].

وعند قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[٩] عن أبي صالح عن ابن عباس قال: بولاية علي بن أبي طالب[١٠]. وعند قوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١١]

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٠٧).
(٢) تفسير فرات (١/ ٦٥) ٣١، ٣٢.
(٣) سورة البقرة: آية (٢٧٤).
(٤) أسنده فرات عن ابن عباس ومجاهد وأبي عبد الرحمن السلمي وغيرهم، ينظر تفسير فرات (١/ ٧١، ٧٢) ٤٣-٤٦.
(٥) سورة آل عمران: آية (١٥، ١٦).
(٦) تفسير فرات (١/ ٧٠) ٤٢.
(٧) سورة التوبة: آية (١٩).
(٨) تفسير فرات (١/ ١٦٦، ١٦٧).
(٩) سورة إبراهيم: آية (٢٧).
(١٠) تفسير فرات (١/ ٢٢١).
(١١) سورة المؤمنون: الآيتان (٩٣، ٩٤).

أسندوا عن جابر بن عبد الله أنه قال: إن الظالمين هم أصحاب الجمل[١].

وعند قوله: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾[٢] أسندوا عن السدي أنه قال: عليّ وأصحابه[٣].

وعند قوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[٤]، أسندوا عن الشعبي، عن ابن عباس أنه قال: عن ولاية عليّ بن أبي طالب[٥].

وعند قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾[٦] أسندوا عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس، أي بعلي عليه السلام[٧].

وعند قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٨] زعموا أن مجاهداً قال: علي بن أبي طالب[٩].

وعند قوله: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[١٠] زعموا أن قتادة ومكحول قالا: أذُنُ علي[١١].

وهناك جملة كبيرة من ذلك في تفسير فرات واردة عن التابعين أو منقولة بواسطتهم.

---

(١) تفسير فرات (١/ ٢٧٩).
(٢) سورة العنكبوت: آية (٢).
(٣) تفسير فرات (١/ ٣١٨).
(٤) سورة الصافات: آية (٢٤).
(٥) تفسير فرات (١/ ٣٥٥).
(٦) سورة الزخرف: آية (٤١).
(٧) تفسير فرات (٢/ ٤٠٣).
(٨) سورة التحريم: آية (٤).
(٩) تفسير فرات (٢/ ٤٩٠).
(١٠) سورة الحاقة: آية (١٢).
(١١) تفسير فرات (٢/ ٥٠١).

ولم تكن التفاسير الأخرى غير فرات بأحسن حالاً منه .

ففي تفسير القمي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ ﴾[١] عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : ذكر ربه ولاية علي بن أبي طالب[٢] .

وفي سياق حجة الوداع يورد القمي رواية عن ابن مسعود أن النبي سأله من بعده ، فعدَّ رجالاً فقال له : ثكلتك الثواكل ، فأين أنت من علي بن أبي طالب لم لا تقدمه على الخلق أجمعين ، يا ابن مسعود إنه إذا كان يوم القيامة رفعت لهذه الأمة أعلام ، فأول الأعلام لوائي الأعظم مع علي بن أبي طالب ، والناس أجمعين تحت لوائه ينادي مناد : هذا الفضل يا بن أبي طالب ، ثم نزل كتاب الله يخبر عن أصحاب رسول الله فقال : ﴿ وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[٣] أي لا يكون اختبار ولا يمتحنهم الله بأمير المؤمنين عليه السلام ﴿ فَعَمُوا وَصَمُّوا ﴾ حيث كان رسول الله بين أظهرهم ﴿ ثم عَمُوا وصَمُّوا ﴾ حين قبض رسول الله ﷺ وأقام أمير المؤمنين عليه السلام عليهم[٤] .

وفي تفسير نور الثقلين عند قوله تعالى : ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[٥] نقل عن كتاب الاحتجاج حديثًا طويلاً وفيه قول مرفوع للنبي ﷺ يقول فيه : معاشر الناس أنا الصراط المستقيم الذي أمركم باتباعه ثم عليّ عليه السلام من بعدي ، ثم ولدي من صلبه أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون ، ثم ذكر عن ابن عباس والسدي والربيع والضحاك أن من قوم موسى قومًا لم يبدلوا ولم يحرفوا من وراء الحسين[٦] .

---

(١) سورة الجن : آية (١٧) .
(٢) تفسير القمي (٢/ ٣٩٠) .
(٣) سورة المائدة : آية (٧١) .
(٤) تفسير القمي (١/ ١٧٥) .
(٥) سورة الأعراف : آية (١٥٩) .
(٦) نور الثقلين (٢/ ٨٦) .

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾[١] أي أنه علي بن أبي طالب[٢].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ﴾[٣] أسندوا، عن أبي صالح، عن ابن عباس أنه قال (ذكر به): ولاية علي بن أبي طالب[٤].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾[٥] أسندوا عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قال: (من اتقى الذنوب) علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين[٦].

وعند قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾[٧] علي بن أبي طالب ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[٨] خاصًا لعلي، ومن كان على منهاج علي[٩].

ومن النصوص الواردة في تفسير الآيات في كتب تفاسير الشيعة نصوص فيها تكلف وتعسف لحمل الآية على عليّ بن أبي طالب، وشيعته، أذكر منها بعضها لمعرفة مدى تعصبهم، وتوجيههم للنصوص والآيات القرآنية:

فعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾[١٠] هو في سياق قصة طالوت كما هو ظاهر الآية، إلا أن فراتًا يورد من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس (أن

---

(١) سورة هود: آية (٣).
(٢) نور الثقلين (٢/ ٣٤٤).
(٣) سورة الجن: آية (١٧).
(٤) البرهان (٤/ ٣٩٤).
(٥) سورة المرسلات: آية (٤١).
(٦) البرهان (٤/ ٤١٨).
(٧) سورة النازعات: آية (٤٠).
(٨) سورة النازعات: آية (٤١).
(٩) البرهان (٤/ ٤٢٦).
(١٠) سورة البقرة: آية (٢٤٩).

المراد به): علي بن أبي طالب، ابتليتم بولايته لمعرفة الناجح، والمقصر[١].

وعند قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[٢] يورد فرات أثرين عن ابن مسعود، وأبي ذر، يفسر (البحرين بعلي، وفاطمة)، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الحسن، والحسين[٣].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[٤] يورد فرات أثرًا عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: فيَّ نزلت هذه الآية[٥].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[٦] يورد أثرًا عن سعيد بن جبير أنه فسرها بقوله: إلى ولاية علي بن أبي طالب[٧].

ويورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾[٨] أثرًا عن عكرمة أن المراد به: علي[٩].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾[١٠] يورد القمي في تفسيره أثرًا عن علي بن إبراهيم: أن المراد بهم من أحال الخلافة والإمامة عن أمير المؤمنين بعد أخذ الميثاق عليهم مرتين له[١١].

---

(١) تفسير فرات (١/ ٦٩).
(٢) سورة الرحمن: آية (١٩).
(٣) تفسير فرات (٢/ ٤٦١).
(٤) سورة الزخرف: آية (٥٧).
(٥) تفسير فرات (٢/ ٤٠٣).
(٦) سورة الجمعة: آية (١٠).
(٧) تفسير فرات (٢/ ٤٨٤).
(٨) سورة الشمس: آية (٢).
(٩) تفسير فرات (٢/ ٥٦١).
(١٠) سورة الجاثية: آية (٢٣).
(١١) تفسير القمي (٢/ ٢٩٤).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾[١] يورد القمي في تفسيره عن أبي الحسن الرضا أن المراد بها الأئمة عليهم السلام[٢].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[٣] جاء في نور الثقلين عن أبي جعفر أن المراد سبعة أئمة والقائم[٤].

وأغرب من ذلك كله ما جاء في تفسير البرهان في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[٥] أن نوحًا أراد (عليًا وفاطمة)؛ لأنه حمل قبره في السفينة، ثم تركها خارج الكوفة[٦].

نظرة الشيعة لأئمة التفسير من التابعين:

الظاهر من الروايات الواردة في كتب الشيعة، أنهم كانوا يعرفون فضل أئمة التفسير من أهل السنة، وإن حاولوا إخفاء ذلك.

ولعل أبرز ما يمكن أن يوضح هذا الأمر هو اختلاقهم المحاورة التي تمت بين قتادة ابن دعامة وأبي جعفر، والتي نقلتها كثير من كتبهم، وفيها يقول أبو جعفر لقتادة: بلغني أنك تفسر القرآن؟ قال له قتادة: نعم، فقال أبو جعفر: بعلم أم بجهل؟ قال: لا، بل بعلم، فقال له أبو جعفر: فإن كنت تفسره بعلم فأنت أنت وأنا أسألك، قال قتادة: سل، فسأله عن تفسير آية: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[٧] وأنه لما أخبره قتادة بذلك قال له

(١) سورة الجن: آية (١٨).
(٢) تفسير القمي(٢/ ٣٩٠).
(٣) سورة الحجر: آية (٨٧).
(٤) نور الثقلين (٣/ ٢٨).
(٥) سورة نوح: آية (٢٨).
(٦) البرهان (٤/ ٣٩٠) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.
(٧) سورة سبأ: آية (١٨).

أبو جعفر: ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت، ثم ذكر له أن تفسير الآية هو أنهم البيت الذي تهوى إليه أفئدة الناس، ولا يقبل حجهم إلا بذلك، ثم قال له: ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به[١].

فهذه المحاورة يمكن أن نلحظ منها أمورًا:

الأول: التأكيد على إمامة قتادة في التفسير، وشهرة ذلك عند واضعي هذه القصة[٢].

الثاني: إلفات النظر إلى أن قتادة وأنه مع علمه بالتفسير فإنه يخطئ؛ لأنه لم يتلقه عن أئمة الشيعة.

الثالث: التأكيد على عدم قبول العمل إذا لم يكن حب الشيعة في قلب العامل، وقد أورد في البرهان نحو هذه القصة عن الحسن البصري أنه دخل على أبي جعفر فقال له الباقر: يا أخا أهل البصرة، بلغني أنك فسرت آية من كتاب الله على غير ما أنزلت، فإن كنت فعلت فقد هلكت واستهلكت، ثم ذكر له نفس آية سبأ الواردة في الأثر عن قتادة السابق، وبين له أن المراد بالقرى الظاهرة العلماء من الشيعة[٣].

ومن وجه آخر أورد القصة، وفيها أن أبا جعفر قال له: بلغني عنك أمر فما أدري أكذلك أنت أم يكذب عليك؟ قال: ما هو؟ قال: زعموا أنك تقول: إن الله خلق العباد وفوّض إليهم أمورهم. قال: فسكت الحسن[٤] ثم سأله عن آية سبأ بنحو الرواية عن

---

(١) تفسير الصافي (١/ ٢١، ٢٢)، والبرهان (٣/ ٣٤٧)، وقد سبق الأثر بطوله ص(١٠١٦).

(٢) سندها في البرهان فيه محمد بن يعقوب عن عدة من أصحابنا، فالإسناد لا يصح من أجل هؤلاء المبهمين، ثم مداره على زيد الشحام، وهو مجهول.

(٣) البرهان (٣/ ٤٣٨).

(٤) البرهان (٣/ ٣٤٨).

قتادة[١] .

وقد أورد الرواية من طريق آخر لم يصرح باسم الحسن أوقتادة، بل قال الصادق: دخل على أبي بعض من يفسر القرآن فقال له . . . وذكر القصة بنحو ما سبق[٢] .

وهذه الرواية المضطربة تدل على شيوع شهرة الحسن البصري بين الشيعة على أنه مفسر للقرآن حتى غلبهم الحسد فوضعوا هذه القصة ليؤكدوا على إمامتهم في التفسير دون غيرهم.

ولعمر الله فإن الصادق والباقر لا يحتاجان إلى أن يكذب لهم، فهم من أئمة المسلمين المعروفين بالفضل، إلا أنه لا يلزم من ذلك تقدمهم على غيرهم في التفسير، ولا في غيره من العلوم، وقد يكون لهما تراث تفسيري، إلا أن الرافضة أفسدوه بكثرة ما أدخلوا عليهم من الكذب وأضافوا لهما ما لم يعرفاه.

ومن آثار التابعين في تفسير الشيعة ما كان من تفسير دقيق لم يجدوا في تراثهم مثله فاضطروا لقبوله.

فقد أورد في البرهان أثر عكرمة في سبب نزول سورة الفتح واعتمده[٣] .

وينقلون عن مجاهد أن العذاب الأدنى هو العذاب في القبر[٤] .

ويورد القمي في تفسيره أثرًا طويلاً عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس في سورة البروج، لم يعكروه ببدعتهم[٥] .

---

(١) البرهان (٣/ ٣٤٧).

(٢) هذا لمز للحسن أنه كان يقول بنفي القدر، وسبق تبرئته من ذلك، في مبحث منهجهم في آيات الاعتقاد ص (٨٢١).

(٣) تفسير البرهان (١/ ٢١٦).

(٤) البرهان (٣/ ٢٨٨).

(٥) تفسير القمي (٢/ ٤١٤).

ومن الملاحظ أن الشيعة أكثروا من الآثار عن سعيد بن المسيب، وقد توقفت طويلاً في سبب ذلك، فإن سعيداً من الأثريين من أئمة السنة، ثم زال العجب لما رأيت أن أكثره موضوع ظاهر الوضع، أراد صاحبه أن يرفع شأن المرويات عن أئمتهم بوضع عالم العلماء وسيد التابعين في إسنادها.

ومن أدلة ذلك أنه يأتي الأثر هو هو، يرويه سعيد مرة عن علي بن الحسين، ومرة عن جده علي بن أبي طالب بنفس الإسناد كما هو، فقد أورد صاحب البرهان أثراً عن سعيد يقول فيه: كان علي بن الحسين يعظ الناس، ويزهدهم في الدنيا، ويرغبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كل جمعة في مسجد رسول الله ﷺ، وحفظ عنه وكتب ثم ذكر الموعظة وفيها كما هو متوقع أن الإنسان يسأل عن إمامه الذي كان يتولاه... إلخ[1].

وفي موضع آخر وبنفس السند الذي هو للأثر المتقدم، يقول سعيد بن المسيب: كان علي بن أبي طالب يعظ الناس، ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كل جمعة في مسجد رسول الله ﷺ، وحفظ عنه، وكتب، وذكر الحديث بغير القصة الأولى[2].

ولا ندري متى كان علي بن أبي طالب يحدث الناس في كل جمعة في مسجد رسول الله، لئن كان هذا لكانت الدواعي متوفرة لنقله، ولا سيما أن الأثر الذي أوردوه أشبه بكلام الوعاظ والقصّاص، لا بكلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ الذي كان ينهى عن القصص مما يدل على وضعه، وافترائه، والله أعلم[3].

---

(١) البرهان (١/ ٢٧٥).

(٢) البرهان (٣/ ٥٣).

(٣) قد يقال: إن الأثرين عن علي بن الحسين، ولكن صُحِّف في المطبعة، وهذا وإن كان محتملاً إلا أن القصتين مختلفتان، ثم فيهما ما لا يقبل لا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولا عن =

ومما يدل على إيرادهم الموضوعات وتساهلهم في الكذب ما ورد في تفسير البرهان عند قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[١].

فقد نقل صاحب البرهان عن ابن شهر آشوب، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود: يعني لصبر علي بن أبي طالب، وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، في الدنيا، إنهم هم الفائزون[٢].

فهذا الأثر ركيك الألفاظ، وأراد واضعه أن يكسب الصحة بأن جعل له أصح أسانيد ابن مسعود، ولكن الحمل فيه على ما دون سفيان، وابن شهر آشوب هذا روى لهم عدة موضوعات، بل كل ما ورد في تفسير البرهان منسوبًا لابن مسعود ـ على قلته ـ فهو ضعيف أو موضوع[٣]، منه ما جاء عنه أن الرسول أمره أن يدخل للمخدع، قال: فولجت فرأيت أمير المؤمنين راكعًا، وساجدًا، ثم ذكر توسله بالنبي، وتوسل النبي به لغفران الخطايا للأمة، وللشيعة[٤].

وإننا لنتساءل: إذا كان ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ توفي سنة (٣٢) هـ، قبل ولاية علي بن أبي طالب، فكيف يقول عنه أمير المؤمنين؟![٥] هذا غير ركاكة اللفظ، والتوسل المحرم الذي فيه، ثم في آخره أن الله خلق محمدًا، وعليًا، والحسن، والحسين، من نور عظمته قبل الخلق بألفي عام، وخلق السموات من محمد، والعرش من علي... إلخ هذا الافتراء.

= علي بن الحسين، وهذا الاضطراب في الأسماء كثير في كتبهم مما يدل على أنه لا قيمة للمرويات عندهم في غالبه.

(١) سورة المؤمنون: آية (١١١).

(٢) البرهان (٣/ ١٢٢).

(٣) إلا الأثر الواحد في قراءة (فامضوا إلى ذكر الله) تفسير البرهان (٤/ ٣٣٤).

(٤) تفسير البرهان (٤/ ٢٢٦).

(٥) وورد أيضًا عن ابن مسعود مثل هذا في البرهان (٤/ ٤٢١).

ومن جملة ما تقدم يتبين لنا أن أثر التابعين في تفسير الشيعة كان أثرًا معاكسًا، فلم يوردوا أقوالهم إلا اعتضادًا، وانتهزوا إمامتهم وشهرتهم بالتفسير ليلفقوا الأحاديث التي تدل على أنهم كانوا يتعلمون من آل البيت.

وفي الجملة لم أشعر أن للرواية قيمة عند هؤلاء؛ لأن الرواية الموضوعة مقبولة إذا كانت في مدحهم، والصحيحة مرفوضة إذا كانت ضدهم، أيًا كان قائلها فالله المستعان.

أثر التابعين في تفاسير الخوارج:

لقد وقفت على تفسير للإباضية الذي صنفه هود الهواري، وإذ هو مختصر من تفسير يحيى بن سلام، والذي اعتمد أقوال البصريين: الحسن وقتادة في تفسيره[١].

ولما كان منهج الوعظ غلب على المدرسة البصرية؛ لذا كانت لهم أقوال شديدة على العصاة مما أعجب الإباضية الذين يقولون بخلود أهل المعاصي في النار، وينكرون الشفاعة في أهل الكبائر، ولذا فلا غرو أن ينقل الكثير من آثاره عن الحسن وقتادة.

وفيما عدا ذلك لم أجد تفسيرًا للإباضية، ولكني وقفت أيضًا على نقولات لأئمة التابعين في كتب الإباضية الأخرى، ومن أشهر من وجدت أقواله جابر بن زيد تلميذ ابن عباس، فقد جمع الربيع بن حبيب الفراهيدي وهو من أئمتهم مروياته في مسندٍ، قام بعض متأخريهم بشرحه[٢].

إلا أنني لم أظفر فيها بشيء عن التفسير كبير ولا قليل، اللهم إلا بضعة أبواب في فضائل القرآن وآدابه، والمكي والمدني، جعلها في أول المسند[٣].

---

(١) يراجع الكلام على تفسير يحيى بن سلام ص (٦٧).

(٢) وهو نور الدين السالمي.

(٣) مسند الربيع بن حبيب (١/ ١٥ ـ ٤١) وغالب أسانيد هذا الكتاب من طريق الربيع عن أبي عبيدة =

واهتم الإباضيون كذلك بإيراد الآثار عن التابعين التي تؤيد مذهبهم العقدي في مسائل إنكار رؤية الباري في الآخرة[١] ، والقول بخلود عصاة الموحدين في النار[٢] ، وغير ذلك ، وبالجملة فلم أطلع على تراث نقلي لهم في التفسير[٣] ، وأما سائر الخوارج فلم أجد عنهم كذلك تراثًا تفسيريًا نقليًا .

* * *

= مسلم بن أبي كريمة ، عن جابر بن زيد ، عن الصحابي الذي هو في الأغلب ابن عباس ، ويكفي أن يُعلم أنه أورد بهذا السند حديث (اطلبوا العلم ولو بالصين) الذي درج الحفاظ على تضعيفه ، بل والحكم عليه بالوضع كما قال ابن الجوزي ، وابن حبان ، وغيرهما .

(١) يراجع في ذلك مشارق أنوار العقول لنور الدين السالمي ، بتحقيق أحمد الخليلي (١٩٢) ، والحق الدامغ للخليلي (٤٧) .

(٢) ينظر في ذلك الحق الدامغ لأحمد الخليلي (٢٠٣ـ٢٠٥) ، وغالبه منقول من تفسير الطبري .

(٣) لمفتي عُمان الحالي أحمد بن حمد الخليلي تفسير ينشر في بعض المجلات التي تصدر هناك ، وما وجد منه إنما كان يعتمد فيه على الاستنباطات العقلية أكثر من اعتماده على النصوص المنقولة .

المبحث الثاني
أثر التابعين في علم أصول التفسير

مرّ في المبحث السابق أثر التابعين في كتب التفسير، وتبين كيف أن كتب التفسير بالمأثور قد اعتمدت في جُلِّ رواياتها على تفسير التابعين، وأن كتب التفاسير الأخرى لم تخلُ من ذلك أيضًا.

وفي هذا المبحث أحاول أن أبين أثر التابعين في كتب أصول التفسير، وكيف أن أقوالهم صارت النواة الأولى التي اعتمد عليها المصنفون في هذا العلم، وما تفرع منه.

لقد عني التابعون بجملة من علوم القرآن، وقد كان لعلم نزول القرآن، وأسبابه، ومكيه، ومدنيه، وناسخه، ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، النصيب الأوفى من هذا الاهتمام.

وإن المراجع لكتب التفسير وأصوله، ليجد هذا الأثر واضحًا عنهم، وهذا لا يعني أنهم أغفلوا ما سوى ذلك، فإن كلامهم مبثوث في التفسير في كل فروع علم أصول التفسير غالبًا، فقد تكلموا في الكليات وفي أول ما نزل وآخر ما نزل، وأقسام القرآن، والأمثال، والمصاحف، وما يتعلق بها من الأحرف السبعة، وأسماء السور، وعدّ الآي، ومناسبات الآيات وأسرار ختمها، والنطق والأداء، وما يتعلق به من الوقف والابتداء، وغير ذلك مما سيأتي تفصيله في هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

ومع أن كتب علوم القرآن وأصول التفسير، قد اعتمدت كثيرًا على المنقول عن التابعين، إلا أنني وجدت أنه من الأفضل دراسة الروايات المنقولة عنهم دراسة مقارنة ما

أمكن، واستخلاص النتائج من ذلك، فلم يكونوا رحمهم الله على درجة واحدة في فروع أصول التفسير، بل تفوق في كل فرع بعضهم دون الآخر، كما أن طريقتهم في العرض لم تكن واحدة؛ فمنهم من يعرض عرضًا مفصلاً، في حين أن منهم من يُعرض عن هذا المطلب أو ذاك، ومنهم من يذكر شواهد كثيرة، ومنهم من لا يذكر شاهداً وهكذا . . .

وبذلك الكم الوافر المروي عنهم في مختلف فروع هذا العلم تابعت الدراسة والتحقيق مما جعلني أكتفي بكتب علوم القرآن، وإن كنت لم أغفل كتب التفسير.

وفيما يلي دراسة لأهم العلوم التي تعرضوا لها.

١ ـ كليات القرآن (الوجوه والنظائر):

المقصود بكليات القرآن، أو الوجوه والنظائر: هو معرفة الألفاظ المشتركة التي تستخدم في أكثر من معنى، أو ما كان منها متواطئًا مع غيره[١].

وإنما أطلق عليها كليات لكثرة استخدامهم لفظة «كل كذا» في القرآن فهو بمعنى كذا.

وقد يرتبط البحث في كليات القرآن والوجوه والنظائر، بما اصطلح عليه حديثًا باسم التفسير الموضوعي للقرآن، والذي يقصد منه استقراء الآيات المتعلقة بموضوع واحد، وتفسيرها جميعًا في سياق واحد، وهذا اللون من التفسير يشمل كليات القرآن كما أنه يشمل مناسبات الآيات، وتعلقها بموضوع السورة نفسها[٢].

وعلم جمع الوجوه والنظائر ليس من العلوم المستحدثة، وإنما وجد مع بداية نشأة التفسير في عهد الصحابة، بل جاء ما يدلُّ على أن النبي ﷺ أخبر بشيء من هذا، فقد

(١) يراجع في ذلك البرهان (١/ ٢٠١)، والإتقان (١/ ٥٨١).
(٢) ينظر تفسير مجاهد جمع الدكتور عبد الرحمن السورتي (١/ ٥٣٣).

أورد مقاتل حديثًا رفعه للنبي ﷺ : «لا يكون الرجل فقيهًا كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهًا كثيرة[١] .

ولعل الصحيح أنه موقوف على أبي الدرداء[٢] ، قال السيوطي : وقد فسره بعضهم بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة، ولا يقتصر به على معنى واحد[٣] .

وقد أخرج ابن عساكر من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء قال : إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهًا، قال حماد : فقلت لأيوب : أرأيت قوله : حتى ترى للقرآن وجوهًا، أهو أن ترى له وجوهًا فتهاب الإقدام عليه؟ قال : نعم هو ذا[٤] .

وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة، عن ابن عباس : أن علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج فقال : اذهب إليهم فخاطبهم، ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة، وفي رواية قال له : يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم، في بيوتنا نزل، قال : صدقت، ولكن القرآن حمالٌ ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن خاصمهم بالسنن فإنهم لم يجدوا عنها محيصًا، فخرج إليهم فخاصمهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة[٥] .

وهذه الآثار تدلُّ على أن الصحابة كانوا يدركون أن القرآن يشمل الوجوه

(١) جامع بيان العلم (٢/ ٤٥)، والمصنف لابن أبي شيبة (١١/ ٢٥٥)، والحلية (١/ ٢٨١).
(٢) الإتقان (١/ ١٨٥).
(٣) الإتقان (١/ ١٨٥).
(٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٣٢).
(٥) الإتقان (١/ ١٨٥).

والنظائر، وتدل أيضًا أن هذا العلم لم يكن مقاتل أول من قال به[١]، بل سبقه الصحابة في ذلك، وورد عن ابن عباس خصوصًا في هذا الباب كثير من الأمثلة التي تدلُّ على اضطلاعه به[٢]، وفهمه له، إلا أن أريد بالأوليّة التوسع في استعمالها، فهو مسلم بأنه لم يكن مثل ذلك في الصحابة، إلا أن شيخ مقاتل وهو مجاهد قد توسع في استعمالها أيضًا قبل مقاتل، والله أعلم.

ولقد تقدم التابعون في هذا النوع من أنواع علوم القرآن، وكثرت عباراتهم فيه، وتنوعت استنباطاتهم، ولا سيما المكيون، وفيما يلي بيان لبعض الأمثلة بكليات الحروف، والأسماء، والأفعال، والأحكام الواردة عنهم.

فمن كليات الحروف:

ماجاء عن مجاهد: كل شيء في القرآن (أو . . . أو . . .) نحو قوله: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[٣]، فهو فيه يخير، وما كان: (فمن لم يجد) فهو على الأول ثم يخير فيه، وجاء ذلك عنه بروايات متعددة[٤].

وجاء ذلك عن عكرمة[٥]، وعطاء[٦]، بل عن شيخ المدرسة ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ[٧]، وهو مروي أيضًا عن الحسن وإبراهيم[٨].

---

(١) ذكر ذلك د. عبد الله شحاتة في مقدمة تحقيق تفسير مقاتل (٧٢).

(٢) يراجع في ذلك الإتقان (١/ ١٨٨/ ١٨٩).

(٣) سورة البقرة: آية (١٩٦).

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٧٥) ٣٣٧٨ـ ٣٣٩٠، و(١١/ ٣٥) ١٢٦١٤، وتفسير الثوري (١٢)، والدر المنثور (١/ ٢١٤)، وسنن البيهقي (١٠/ ٦٠).

(٥) تفسير الطبري (٤/ ٧٥) ٣٣٨٦، ١٢٦١٢.

(٦) تفسير الطبري (٤/ ٧٥) ٣٣٨٣ـ ٣٣٨٧، (١١/ ٣٥) ١٢٦١٠.

(٧) تفسير الطبري (١١/ ٣٥) ١٢٦١٧.

(٨) تفسير الطبري (١١/ ٣٥) ١٢٦١٦.

وعن السدي عن أبي مالك قال: ما كان في القرآن (إن) بكسر الألف فلم يكن، وما كان (إذ) فقد كان[١].

وجاء عن السدي عن أبي مالك قال: (لعلكم) في القرآن بمعنى (كي) غير آية في الشعراء ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[٢]، يعني كأنكم تخلدون[٣].

وعن قتادة قال: كان في بعض القراءة ﴿وتتخذون مصانع كأنكم تخلدون﴾[٤].

ومن كليات الأسماء:

ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾[٥].

قال عطاء: الجماع وكل شيء من ذكر المباشرة فهو الجماع نفسه[٦]، وعن مجاهد نحوه[٧].

وعن السدي قال: ما كان في القرآن من ﴿حنفاء﴾، قال: مسلمين، وما كان من ﴿حنيفًا مسلمًا﴾ قال: حجاج[٨].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ﴾[٩].

قال مجاهد: كل (ظن) في القرآن فهو علم[١٠].

---

(١) الإتقان (١/ ١٩٢).
(٢) سورة الشعراء: آية (١٢٩).
(٣) الإتقان (١/ ٢٢٥).
(٤) الإتقان (١/ ٢٢٥).
(٥) سورة البقرة: آية (١٨٧).
(٦) تفسير الطبري (٣/ ٥٠٤) ٢٩٥٧.
(٧) تفسير الطبري (٣/ ٥٠٥) ٢٩٦٤.
(٨) غريب الحديث للحربي (١/ ٢٩٣).
(٩) سورة البقرة: آية (٤٦).
(١٠) تفسير الطبري (٢/ ١٩) ٨٦٢، ٨٦٣، وتفسير الثوري (٤٥)، وتفسير ابن كثير (١/ ٨٨).

وفي رواية : كل ظن في القرآن يقين[١] .

وهذا غير مسلَّم؛ لأنه قد ورد الظن بمعنى الشك كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّون ﴾[٢] ، وفي قوله : ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾[٣] ، وفي قوله : ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾[٤] ، وفي قوله : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾[٥] ، وغيرها من الآيات .

ولذا فإن أبا العالية لما تعرض لهذه الآية لم يجزم بالكلية ، وإنما قال : إن الظن هاهنا يقين[٦] .

ولعل الكلية مقيدة بمجيء (إن) المخففة ، أو المثقلة بعد (الظن) كالآية التي فسرها مجاهد ، وأبو العالية .

وعن عكرمة قال : ما كان في القرآن من (سلطان) فهو حجة[٧] .

وعن سعيد أيضًا قال : (الشجر) كل شيء قام على ساق[٨] .

وعنه قال : كل شيء في القرآن (إفك) فهو كذب[٩] .

وقال أيضًا : (الأليم) : الموجع في القرآن كله[١٠] .

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ١٩) ٨٦٢، ٨٦٣.
(٢) سورة الجاثية : آية (٢٤).
(٣) سورة آل عمران : آية (١٥٤).
(٤) سورة الجاثية : آية (٣٢).
(٥) سورة الأحزاب : آية (١٠).
(٦) تفسير الطبري (٢/ ١٩) ٨٦١، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٧) ٤٩٧.
(٧) تفسير الطبري (٩/ ٣٠) ١٠٠٨٦، (٩/ ٣٣٧) ١٠٧٣٨.
(٨) تفسير الطبري (٢٧/ ٦٩).
(٩) الدر المنثور (٥/ ٦٣).
(١٠) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٥٠).

وعنه أيضًا (النجم) كل شيء ذهب مع الأرض فراشًا[١] .

وقال في شأن الكبيرة: كل ذنب نسبه الله إلى النار في الكبائر[٢] .

وقال أيضًا: كل موجبة في القرآن كبيرة[٣] .

وعن مجاهد قال: كل شيء في القرآن (قُتل) (لُعن)، فإنما عني بها الكافر[٤] .

وعنه قال: كل شيء في القرآن (إن الإنسان كفور) يعني به الكفار[٥] .

وربما استدل المفسر على الكلية بعدة أمثلة، كما صنع مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾[٦] ، قال: (الخير) في القرآن كله: المال، ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٧] ، الخير: المال، ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾[٨] ، : المال، ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾[٩] : المال، ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ : المال[١٠] .

ومن كليات الأفعال:

ما جاء عن مجاهد: كل شيء في القرآن (عسى) فإن عسى من الله واجب[١١] .

---

(١) تفسير الطبري (٢٧/ ٢٦٨)، والدر المنثور (٦/ ١٤٠).

(٢) تفسير الطبري (٨/ ٢٤٧) ٩٢١٤، والدر المنثور (٢/ ٤٩٩)، وزاد المسير (٢/ ٦٦).

(٣) تفسير الطبري (٨/ ٢٤٦)، ٩٢١٣.

(٤) الإتقان (١/ ١٨٩).

(٥) الإتقان (١/ ١٨٩).

(٦) سورة البقرة: آية (١٨٠).

(٧) سورة العاديات: آية (٨).

(٨) سورة (ص): آية (٣٢).

(٩) سورة النور: آية (٣٣).

(١٠) تفسير الطبري (٣/ ٣٩٣) ٢٦٦٧، وفتح القدير (١/ ١٧٨)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن جرير، عن مجاهد به (١/ ٤٢٢).

(١١) أورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن المنذر عن مجاهد به (١/ ٥٨٧).

وعن أبي العالية قال: كل ما ذكره الله في القرآن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأمر بالمعروف: دعاء من الشرك إلى الإسلام، والنهي عن المنكر: النهي عن عبادة الأوثان والشياطين[١].

وتناول التابعون أيضًا بيان الرخصة من العزيمة، وذكروا في تفسيرهم كل الآيات التي تتناول الرخص في موضع واحد، فعن مجاهد قال: خمس آيات في كتاب الله رخصة وليست بعزيمة: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾[٢]، إن شاء اصطاد وإن شاء لم يصطد، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا﴾[٣]، ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[٤]، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وأَطْعِمُوا﴾[٥].

وعن عطاء قال: خمس آيات من كتاب الله رخصة، وليست بعزيمة ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وأَطْعِمُوا﴾[٦]، فمن شاء أكل، ومن شاء لم يأكل، ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾[٧]، من شاء فعل، ومن شاء لم يفعل، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾[٨] فمن شاء صام ومن شاء أفطر، ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ﴾[٩]، إن شاء كاتب، وإن شاء لم يفعل، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا﴾[١٠]، إن شاء انتشر، وإن شاء لم ينتشر[١١].

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٣٤٨) ١٦٩٣٨، (١٤/ ٥٠٧) ١٧٣١٧.

(٢)، (٧) سورة المائدة: آية (٢).

(٣) سورة الجمعة: آية (١٠).

(٤)، (٨) سورة البقرة: آية (١٨٤).

(٥)، (٦) سورة الحج: آية (٢٨)، والأثر أورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد به (٣/ ١٠)، ويلاحظ أنه لم يورد الآية الخامسة فيه.

(٩) سورة النور: آية (٣٣).

(١٠) سورة الجمعة: آية (١٠).

(١١) أورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن أبي حاتم عن عطاء به (٣/ ١١).

ومن كليات الأفعال أيضًا قال أبو العالية: كل آية نزلت في القرآن يذكر فيها حفظ الفرج فهو من الزنى، إلا هذه الآية: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[١]، أن لا يراها أحد[٢].

كليات الأحكام:

وهذا النوع هو جزء مما قبله، إلا أنني أفردته لبيان أن التابعين كانوا يهتمون بالكليات لا لبيان التفسير اللغوي فحسب، بل أحيانًا لما يترتب عليها من بيان الأحكام.

فمن ذلك ما جاء عن مجاهد قال: كل طعام في القرآن فهو نصف صاع[٣].

وعنه قال: كل صوم في القرآن فهو متتابع إلا قضاء رمضان[٤].

زاد في رواية: فإنه عدة من أيام أخر[٥].

وعن إبراهيم قال: ما كان في القرآن من (رقبة مؤمنة) فلا يجزئ إلا من صام وصلّى، وما كان في القرآن من (رقبة) ليست مؤمنة، فالصبي يجزئ[٦].

وقد استفاد تابع التابعين من هذه الكليات، فأعملوا النظر والفكر متابعة لشيوخهم، واستخرجوا كليات غير ما ذكرها التابعون.

فمن ذلك ما جاء عن الضحاك قال: القنوت الذي ذكره الله في القرآن إنما يعني به الطاعة[٧].

---

(١) سورة النور: آية (٣١).
(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٧)، والإتقان (١/ ١٨٩).
(٣) الإتقان (١/ ١٨٩).
(٤) تفسير مجاهد (١/ ٢٠٣) وهي مسألة خلافية، فكفارة اليمين مثلاً لا يشترط لها التتابع، والتتابع ظاهر مذهب أحمد، ينظر المغني (١٣/ ٥٢٨، ٥٢٩).
(٥) تفسير الطبري (١٠/ ٥٥٩) ١٢٤٩٦.
(٦) تفسير الطبري (٩/ ٣٥) ١٠٠٩٦، ١٠٠٩٧، (١٠/ ٥٥٤) ١٢٤٨٧.
(٧) تفسير الطبري (٥/ ٢٢٩) ٥٥٠٤.

وعن ابن زيد : الزجر العذاب، وكل شيء في القرآن زجر فهو عذاب[١] .

وعنه أيضًا: كل فسق في القرآن فمعناه الكذب[٢] .

وعنه أيضًا: كل شيء في القرآن فاسق فهو كاذب إلا قليلاً، وقرأ قول الله: ﴿إن جاءَكُمْ فاسِقٌ﴾[٣] .

وعن ابن جريج قال: كل شيء في القرآن فيه (أو) للتخيير، إلا قوله تعالى: ﴿أن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾[٤] ليس بمخير فيها[٥] .

٢- نزول القرآن :

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[٦] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾[٧] فهذه الآيات دلت على أن القرآن نزل في شهر رمضان وبالتحديد في ليلة القدر، وهذا واضح من دلالة الآيات، إلا أنه ورد أيضًا في القرآن قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾[٨] ، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[٩] .

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ١١٧) ١٠٤١ .
(٢) تفسير الطبري (١١/ ٣٧٠) ١٣٥٢١ .
(٣) سورة الحجرات: آية (٦)، والأثر أخرجه الطبري (١٠/ ٣٧٦) ١٢١٠٣ .
(٤) سورة المائدة: آية (٣٣).
(٥) البرهان (٤/ ٢١٣).
(٦) سورة البقرة: آية (١٨٥).
(٧) سورة الدخان: آية (٣).
(٨) سورة الإسراء: آية (١٠٦).
(٩) سورة الفرقان: آية (٣٢).

فهذه الآيات تقتضي أن القرآن نزل مفرقًا منجمًا، ولذلك اختلف أهل العلم في التنزل الأول هل المقصود به نزوله جملة واحدة إلى السماء الدنيا أو المراد ابتداء نزوله.

ولقد ظهر هذان الرأيان في تفسير التابعين، فأخذ بالقول الأول، سعيد بن جبير، وعكرمة، وإبراهيم النخعي، والسدي.

فعن سعيد قال: نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر، في شهر رمضان، فجعل في سماء الدنيا[١].

وفي رواية: نزل القرآن جملة من السماء العليا إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم نزل مفصلاً[٢].

وأما أثر عكرمة فقد رواه عن ابن عباس قال: نزل القرآن إلى سماء الدنيا جملة واحدة في ليلة القدر، ثم نزل بعد في عشرين سنة[٣].

وأما أثر إبراهيم فقد أخرجه سعيد بن منصور عن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾[٤]، قال: نزل القرآن جملة على جبريل عليه السلام وكان جبريل يجيء بعد إلى محمد ﷺ[٥].

وكذلك كان قول السدي، فقد رواه عن ابن عباس[٦].

وأما القول الثاني: وهو أن المراد أن ابتداء نزوله كان في ليلة القدر، ثم نزل بعد

(١) تفسير الطبري (٣/ ٤٤٥) ٢٨١٣، ونحوه في (٣٠/ ٢٢٨).
(٢) سنن سعيد، كتاب فضائل القرآن (٢/ ٢٩٣)، والمرشد الوجيز (١٦)، والدر (٧/ ٣٩٩).
(٣) فضائل القرآن للنسائي (٥٩)، وتحفة الأشراف (٥/ ٣٣)، وكتاب جزء فيه قراءات النبي ﷺ (١٢١).
(٤) سورة الدخان: آية (٣).
(٥) سنن سعيد، كتاب فضائل القرآن (٢/ ٢٩٢)، والدر (٧/ ٣٣٩).
(٦) تفسير الطبري (٣/ ٤٤٨) ٢٨٢٢.

ذلك منجمًا فقد قال به الشعبي[١] .

إلا أنني وجدت له رواية أخرى فيها غير ذلك . فقد روي عنه أنه قال : بلغنا أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا[٢] .

وهناك أقوال أخرى في المسألة[٣] ، والمقصود أن التابعين اختلفوا في كيفية إنزاله ، ثم تبعهم على ذلك العلماء والمصنفون في علوم القرآن ، ولعل المعتمد من هذه الأقوال هو قول ابن عباس وهو أن له نزولين[٤] .

وقد ذكر بعض المصنفين في علوم القرآن كلامًا مضطربًا في النزول على النبي ﷺ هل هو اللفظ ، أو المعنى ، أو كلاهما ، وجعل قوله : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[٥] من جملة القرآن المنزل جملة واحدة أولاً ، وغير ذلك[٦] من الأمور المبنية على المذاهب غير الصحيحة في كلام الله سبحانه ، فإن نزول القرآن جملة هو نزوله مكتوبًا والوجود الرسمي لا يعارض الوجود العيني ، فليس ثمة معارضة أن يكون الله كتبه وأنزله جملة واحدة ثم تكلم به بعد ذلك . . . فقد خلق الله السموات والأرض ، وكتب ذلك قبل أن يخلقها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الكلام على نزول القرآن من الله : وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي

---

(١) البرهان (١/ ٢٢٨ ، ٢٢٩) .

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٤٤٧) ٢٨٢٠ .

(٣) البرهان (١/ ٢٢٩) ، والإتقان (١/ ٥٣ ، ٥٤) ، وفتح الباري (٩/ ٤ ، ٥) .

(٤) ينظر في وجوه ترجيح هذا القول : البرهان (١/ ٢٢٨) ، والإتقان (١/ ٥٣ ، ٥٤) ، وفتح الباري (٩/ ٤) ، والزيادة والإحسان (١/ ٢١٦) ، النوع (٧) ، تحقيق محمد صفا .

(٥) سورة القدر : آية (١) .

(٦) يراجع في ذلك الاضطراب البرهان (١/ ٢٣٠ ، ٢٣١) ، والإتقان (١/ ٥٤ ، ٥٥) .

﴿لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[١] : أنه أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أنزله بعد ذلك منجمًا مفرقًا بحسب الحوادث، ولا ينافي أنه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله، كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٥]، فإن كونه مكتوبًا في اللوح المحفوظ وفي صحف مطهرة بأيد الملائكة لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله، سواء كتبه الله مثل أن يرسل به جبريل، أو بعد ذلك، وإذا كان قدأنزله مكتوبًا إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر، فقد كتبه كله قبل أن ينزله.

والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وهو سبحانه قد قدر مقادير الخلائق، وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوها، كما ثبت ذلك في صريح الكتاب، والسنة، وآثار السلف، ثم إنه يأمر الملائكة بكتابتها بعدما يعملونها، فيقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتأخرة عنه، فلا يكون بينهما تفاوت، هكذا قال ابن عباس وغيره من السلف ـ وهو حق ـ، فإذا كان ما يخلقه باثنًا عنه قد كتبه قبل أن يخلقه، فكيف يستبعد أن يكتب كلامه الذي يرسل به ملائكته قبل أن يرسلهم به[٦].

ولاهتمام التابعين بنزول القرآن نجد أن منهم من ألف في ذلك.

---

(١) سورة القدر: آية (١).
(٢) سورة البروج: آية (٢١، ٢٢).
(٣) سورة الواقعة: آية (٧٧ـ٧٩).
(٤) سورة عبس: الآيات (١١ـ١٦).
(٥) سورة الزخرف: آية (٤).
(٦) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢٦، ١٢٧)، (١٥/ ٢٣، ٢٢٥).

فقد ذكر في الفهرست أن الحسن وسعيد بن جبير، وعكرمة، ممن ألف في نزول القرآن[١].

وعندما نبحث عن الحكمة في نزول القرآن منجمًا نجد التابعين قد ذكروا ذلك.

فقد جاء عن الشعبي أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾[٢]، أما كان ينزل عليه في سائر السنة؟ قال: بلى، ولكن جبريل كان يعارض مع النبي ﷺ في رمضان ما أنزل الله[٣]، وفيه زيادة فيحكم الله ما يشاء، ويثبت ما يشاء[٤].

قال ابن حجر: ففي هذا إشارة إلى الحكمة في التقسيط الذي أشرت إليه لتفصيل ما ذكره من المحكم، والمنسوخ[٤].

وتكلم قتادة في الحكمة أيضًا فذكر أن في ذلك ميزة انفرد بها القرآن من بين الكتب السماوية[٥] يعني تعظيمًا لشأنه، وكل ذلك يرجع إلى ما ذكره ربنا في القرآن ردًا على المشركين: ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢) وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾[٦].

وقوله: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾[٧].

---

(١) الفهرست ص (٤٠، ٥١).

(٢) سورة البقرة: آية(١٨٥).

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد ص(٢٢٣)، وفتح الباري (٩/ ٤٥)، والزيادة من الفتح ولم أجدها في كتاب أبي عبيد.

(٤) فتح الباري (٩/ ٤٥).

(٥) مفتاح السعادة (٣٩٥).

(٦) سورة الفرقان: آية (٣٢, ٣٣).

(٧) المرشد الوجيز ص (١٦)، والآية من سورة الإسراء: آية (١٠٦).

فعن قتادة قال: كان بين أوله وآخره عشرين سنة، ولهذا قال: لتقرأه على الناس على مكث[١].

وقد ذكر أهل العلم من المصالح أيضًا في ذلك تكريم القرآن بنزوله منجمًا، ومراعاة مصلحة الأمة بتنجيمه حسب الحاجات[٢].

وقد تعرض التابعون أيضًا للكلام على مكان وزمان نزول بعض الآيات، وإن لم يتوسعوا في هذا الجانب.

ففي تفسير قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[٣]، قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ يوم عرفة، يوم جمعة[٤].

وعن الشعبي[٥]، والسدي بنحوه[٦].

٣- أسباب النزول:

يعد علم أسباب النزول من العلوم النقلية الروائية، وبالتالي فإننا نجد أن التابعين الذين كان لهم عناية بهذا الجانب هم الذين كانت لهم دراية وحب رواية الآثار، والأخبار، والسير، في حين أن من كان يميل للاجتهاد والرأي، أو التفسير الجزئي، فإن هذا العلم يقل اعتماده عليه نسبيًا.

ومن ثم كان مجاهد من أقل التابعين اهتمامًا بذلك، في حين كان من أكثرهم قولاً

---

(١) البرهان (١/ ٢٣٠)، الإتقان (١/ ٥٥).
(٢) البرهان (١/ ٢٣٠)، الإتقان (١/ ٥٥).
(٣) سورة المائدة: آية (٣).
(٤) الدر المنثور (٣/ ١٧)، وفتح القدير (٢/ ١٢).
(٥) تفسير الطبري (٩/ ٥٢٢) ١١٠٩٠، ١١٠٩١، والدر المنثور (٣/ ١٧).
(٦) تفسير الطبري (٩/ ٥١٨) ١١٠٨١.

بعموم اللفظ[١] ، جاء عنه ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾[٢] ، قال : نزلت في الوليد بن المغيرة ، وكذلك الخلق كلهم[٣] ، وعند قوله عز وجل : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾[٤] ، قال : ليست بخاصة لأحد[٥] .

وإذا نظرنا إلى المكثرين منهم في ذلك نجد أن عكرمة يعد من أغزرهم رواية لأسباب النزول ، يليه الشعبي ، ثم السدي[٦] .

ومما ينبغي ملاحظته أن من عادة التابعين أن أحدهم إذا قال : نزلت هذه الآية في كذا وكذا أنه لا يقصد الحصر في تلك الرواية ، بل يريد أن الآية تتضمن هذا الحكم ، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع[٧] .

ولذا لاحظ التابعون أن العبرة إنما تكون بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، إلا ما دلّ الدليل على خصوصيته ، ولهذا كثر الاستدلال بالعمومات عندهم فيما نزل في أسباب مخصوصة ، وقد أكثر مجاهد من ذلك كما سبق ، وكان محمد بن كعب القرظي يقول : إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد[٨] ، قال ابن كثير : وهذا الذي قاله القرظي حسن صحيح[٩] .

---

(١) يراجع ذلك في ترجمته ص (١١٣) .
(٢) سورة المدثر : آية (١١) .
(٣) تفسير الطبري (٢٩/ ٥٢) ، وزاد المسير (٨/ ٤٠٣) ، والدر المنثور (٨/ ٣٢٩) .
(٤) سورة الهمزة : آية (١) .
(٥) تفسير الطبري (٣٠/ ٢٩٣) ، وزاد المسير (٩/ ٢٢٧) .
(٦) بلغت مرويات عكرمة في أسباب النزول ما نسبته (١٤ , ٠) من مجموع تفسيره ، وقريب منه الشعبي حيث بلغ (١٣ , ٠) من مجموع تفسيره ، ثم السدي حيث بلغ (١١ , ٠) من مجموع تفسيره .
(٧) تفسير القاسمي (١/ ٢٦ ـ ٢٧) .
(٨) تفسير الطبري (٤/ ٢٣٢) ٣٩٦٤ .
(٩) تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٩) .

ومن ذلك ما جاء عن زيد بن أسلم عند تفسير قوله سبحانه: ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾[1]، حيث اختلف الصحابة فيها، فذهب علي وابن مسعود أن المراد بها: الإبل، بناءً على ما ورد في سبب نزولها، وقال ابن عباس، وأصحابه: الخيل، وقال ابن جرير: وقد كان زيد بن أسلم يذكر تفسير هذه الأحرف ويأباها، ويقول: إنما هو قسم أقسم الله به، قال ابن زيد في بيان مراد أبيه: لم يكن أبي ينظر فيه إذا سئل عنه ولا يذكره[2] يعني أنه يفسر الآية بالعموم.

ومن أمثلة ما جاء عنهم في أسباب النزول:

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[3]، قال السدي: نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي ـ وهو حليف لبني زهرة ـ، وأقبل إلى النبي ﷺ بالمدينة، فأظهر له الإسلام، فأعجب النبي ﷺ ذلك منه، وقال: إنما جئت أريد الإسلام، والله يعلم أني صادق، وذلك قوله: ﴿ وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ﴾، ثم خرج من عند النبي ﷺ فمرَّ بزرع لقوم من المسلمين وحُمُر، فأحرق الزرع، وعقر الحُمر، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾، وأما ﴿ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ فأعوج الخصام، وفيه نزلت: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾[4]، ونزلت: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ إلى ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾[5].

٤ـ ما نزل أولاً وما نزل آخرًا:

يعد هذا المبحث من المباحث التي تناولها التابعون، وتنوعت عباراتهم؛ بل

---

(١) سورة العاديات (١، ٢).
(٢) تفسير الطبري (٣٠/ ٢٧٥).
(٣) سورة البقرة: آية (٢٠٤).
(٤) سورة الهمزة: آية (١).
(٥) سورة القلم: الآيات (١٠ـ١٣)، والأثر أخرجه الطبري في التفسير (٤/ ٢٢٩، ٢٣٠) ٣٩٦١.

تعارضت أحيانًا، وقد شملت أول ما نزل مطلقًا، أو من بين السور، أو أول آية من السورة، أو أول ما نزل بالمدينة، وأول ما نزل في قصة، أو حكم ما، وكذلك الأمر بالنسبة لآخر ما نزل.

فمما قيل: إنه أول ما نزل مطلقًا:

ما جاء عن مجاهد أنه ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[١]، وعن ابن جبير مثله[٢]، وقيل: أول ما نزل ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، جاء عن الحسن وعكرمة[٣].

وبالنسبة لأول ما نزل من سورة معينة:

جاء عن مجاهد: أول ما نزل من براءة: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾[٤].

ولقد اهتم التابعون كذلك بأوائل القضايا الخاصة، ولا سيما الجهاد والقتال، لما يترتب عليه من معرفة الناسخ والمنسوخ في هذه القضية الهامة.

فعن قتادة قال: إنها قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[٥]، وعن زيد بن أسلم نحوه[٦]، وخالف الربيع فقال: هي قوله:

---

(١) سورة العلق: آية (١).

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد (٢٢٠)، والمصنف لابن أبي شيبة (١/ ٥٤١)، وأنساب الأشراف (١٠٨)، ودلائل النبوة (٧/ ١٤٤)، والإتقان (١/ ٢٣).

(٣) وأسباب النزول ص (٦)، وزاد المسير (١/ ٥)، والزيادة والإحسان (١/ ٢٤٠) النوع التاسع، تحقيق محمد صفا.

(٤) سورة التوبة: آية(٢٥)، والأثر أخرجه الطبري (١٤/ ٢٧٠) ١٦٧٥٩، وينظر زاد المسير (٣/ ٣٨٨)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وسنيد، وابن حرب، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد به (٤/ ١٥٨).

(٥) سورة الحج: آية (٣٩)، والأثر أخرجه الطبري في التفسير (١٧/ ١٧٣)، وينظر زاد المسير (٥/ ٤٣٦).

(٦) تفسير ابن كثير (٣/ ٢١٨)، وفتح القدير (٣/ ٤٥٧).

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[١] ، ومثله ما جاء عن سعيد بن جبير[٢] ، وخالفه مسلم بن صبيح فقال : أول ما نزل من براءة ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾[٣] ، وعن أبي الضحى مثله[٤] .

وعن سعيد بن جبير قال : أول ما نزل من سورة آل عمران ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[٥] ، ثم أنزل بقيتها يوم أحد[٦] .

وأما أول ما نزل بالمدينة :

فقد جاء عن جمهور التابعين أنها سورة البقرة، جاء ذلك عن الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وغيرهم[٧] ، وذكر الحافظ في الفتح الاتفاق على ذلك[٨] .

وقد اهتم مجاهد بمعرفة ترتيب السور فقال : أول ما أنزل (اقرأ)، ثم (نون)[٩] ، وفي رواية عنه قال : (تَبَّت)، ثم (التكوير)، ثم (سبح)، ثم (ألم نشرح)، ثم (العصر) ثم (الفجر) ثم (الضحى)[١٠] .

ومعرفة أول ما نزل وترتيب نزول السور يعطي كذلك تصوراً واضحًا عن المنهج

---

(١) سورة البقرة : آية (١٩٠). وينظر الأثر في تفسير الطبري (٣/ ٥٦١) ٣٠٨٩، وتفسير البغوي (١/ ١٦١).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (١/ ٢٥٧)، وزاد المسير (١/ ١٩٧)، وفتح القدير (١/ ١٩١).

(٣) سورة التوبة : آية (٤١).

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٢٦٩) ١٦٧٥٧، ١٦٧٥٨، وزاد المسير (٣/ ٣٨٩).

(٥) سورة آل عمران : آية (١٣٨).

(٦) الإتقان (١/ ١٦)، وفتح القدير (١/ ٣٨٧).

(٧) زاد المسير (١/ ٢٠)، والدر المنثور (١/ ٤٦)، وفتح القدير (١/ ٢٧).

(٨) فتح الباري (٨/ ١٦٠).

(٩) أنساب الأشراف (١٠٨)، والكشاف (٤/ ٢٧٠)، والمصنف لابن أبي شيبة (١/ ٥٤١)، وفتح الباري (١٠/ ٣٤٣).

(١٠) الفهرست (٣٦)، ومن الغريب أن ابن النديم لم يذكر سورة العلق في أوائل ما نزل.

الدعوي الذي نزل به القرآن الكريم، وفي ذلك تقول أمُّنا عائشة ـ رضي الله عنها ـ : إنه نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدًا، لقد نزلت بمكة ـ وإني لجارية ألعب ـ ﴿ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾[1] .

وأما آخر ما نزل :

فقد وقع فيه اختلاف كثير بين الصحابة؛ لعل سببه أن كل واحد ذكر آخر آية سمعها، أو آخر ما كتب من الآيات، أو السور، ونحو ذلك .

وتبعًا لذلك اختلف التابعون، فقال بعضهم : آخر آية نزلت مطلقًا هي قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾[2] .

جاء هذا عن سعيد بن جبير[3] ، والسدي[4] ، وأسنده عكرمة عن ابن عباس[5] .

وعن سعيد بن المسيب أنه بلغه : أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين[6] ، وقيل : آخر ما نزل ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[7] ، قال السدي : هذا نزل يوم عرفة فلم ينزل

---

(١) سورة القمر : آية(٤٦) . والحديث رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ينظر الفتح (٩/ ٣٨) ٤٩٩٣، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٥) وزاد في آخره (على محمد ﷺ)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢٢٠) .

(٢) سورة البقرة: آية (٢٨١) .

(٣) زاد المسير (١/ ٦)، والإتقان (١/ ٢٧)، والدر (١/ ٣٧٠) .

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٤١) ٦٣١٦، ٦٤١٤، والمصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٥٤٠) .

(٥) دلائل النبوة (٧/ ١٣٧)، والمعجم الكبير للطبراني (١١/ ٣٧١)، والدر المنثور (١/ ٣٦٩ـ ٣٧٠)، والزيادة والإحسان (١/ ٢٤٢) النوع العاشر، تحقيق محمد صفا .

(٦) العلل لابن أبي حاتم (٢/ ٨٦)، وتفسير الطبري (٦/ ٤١) ٦٣١٦ .

(٧) سورة المائدة: آية (٣) .

بعدها حرام، ولا حلال، ورجع رسول الله ﷺ فمات[١] .

ولعل المراد به معظم الفرائض، وإلا فآيات الدين، والربا، والكلالة، مما نزل بالمدينة بعد ذلك، وهي في الأحكام[٢] .

وقيل: آخر ما نزل: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[٣] .

جاء هذا عن السدي أيضًا، ولعله أراد آخر ما نزل من سورة براءة.

وعن الحسن: إن أحدث القرآن عهدًا بالله ـ وفي لفظ بالسماء ـ هاتان الآيتان: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ...﴾[٤] إلى آخر السورة[٥] .

وجاء عن البراء بن عازب أن آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ﴾[٦] ، وقد يكون هذا باعتبار ما بلغه أو آخر آيات الميراث.

وأما آخر السور التي نزلت:

فقد جاء عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: قال لي ابن عباس: تعلم آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعًا؟ قلت: نعم ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ...﴾[٧] قال: صدقت[٨] .

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٥١٨)، وتفسير القرطبي (٣/ ٢٠٥٨).

(٢) الإتقان (١/ ١٠٦).

(٣) سورة التوبة: آية(١٢٩).

(٤) ينظر البرهان (١/ ٢٠٩).

(٥) سورة التوبة: آية (١٢٨، ١٢٩).

(٦) سورة النساء: آية (١٧٦)، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، باب آخر آية أنزلت آية الكلالة (٣/ ١٢٣٦).

(٧) سورة النصر: آية (١).

(٨) صحيح مسلم، كتاب التفسير (٤/ ٢٣١٩) ٣٠٢٤، والمعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٣٦٩) =

قال الزرقاني: تستطيع أن تحمل هذا الخبر على أن هذه السورة آخر ما نزل، وأنها مشعرة بوفاة النبي ﷺ، ويحتمل أنها آخر ما نزل من السور، يدل عليه رواية ابن عباس[١].

وجاء عن عطاء أنها (المؤمنون)[٢].

وقيل: بل آخر ما نزل (ويل للمطففين) جاء ذلك عن مجاهد[٣]، ويحمل أن هذا على آخر ما نزل في مكة.

وموضوع آخر ما نزل يدلنا أيضًا على معرفة التدرج في التشريع، ومعرفة الناسخ والمنسوخ كما سيأتي بيانه إن شاء الله في مبحث الناسخ والمنسوخ[٤].

٥. معرفة المكي والمدني:

معرفة المكي والمدني من الفروع التي عني بها التابعون، ولم يأت عليها مزيد بحث، أو بيان لمن جاء بعدهم غالبًا، بل صار المفسرون يتناقلون هذا العلم رواية عن هؤلاء الأعلام من التابعين خاصة، وإن لم تكن بعض ضوابطه قد تحددت معالمها في هذا العصر، كضوابط التعريف والسياق، إلا أن هذا لا يمنع أن من قام بتحديدها ممن جاء بعدهم قد استفاد من أقوالهم في ذلك.

وعند الحديث على المكي والمدني، لا بد أن نعرف أنه لا طريق لمعرفة المكي والمدني إلا بما ورد من روايات؛ إذ لا مجال للعقل في تحديده، ولا دخل له في ذلك، ولذا فإننا نجد أن الاتفاق على أسس هذه الأمور هو الأمر السائد عند التابعين، والاختلاف فيه

= ١٠٧٣٦، ودلائل النبوة للبيهقي (٧/ ١٣٤).

(١) مناهل العرفان (١/ ٩٣).

(٢) البرهان (١/ ١٩٤).

(٣) المرجع السابق (١/ ١٩٤).

(٤) ينظر ص (١٠٨١).

عندهم قليل إذا ما قيس بالكم الكبير المتفق عليه[١] .

وباستعراض أقوال التابعين في ذلك ، نجد أن المدرسة البصرية أكثر من روي عنها الكلام في هذا الفرع ، وأخص منها قتادة ، ثم الحسن ، ثم جابر بن زيد .

أما قتادة فلغلبة الصبغة الروائية على تفسيره ؛ لكونه من الحفاظ ، صار من أكثرهم عناية به .

وأما الحسن ؛ فلأن هذا العلم يعرف به التدرج التشريعي ، والوعظ المتفق مع منهج الحسن ـ رحمه الله ـ ، ويليهما في ذلك عكرمة ، وسبب تقدمه في ذلك معرفته الواسعة بنوع أسباب النزول الذي مكنه من التقدم في معرفة المكي ، والمدني[٢] .

ويلاحظ في المروي عن قتادة أنه ربما استثنى بعض آيات من السورة فيعطيها حكمًا غير حكم السورة ، فيقول مثلاً : السورة مدنية إلا آية كذا وكذا ، أو بالعكس[٣] .

وأما تحديد المكي والمدني :

فقد اختلف المنقول عن التابعين في ذلك على أقوال :

١ ـ النظر باعتبار حال المخاطبين بالآيات :

فما كان خطابًا لأهل المدينة فهو مدني ، وما كان خطابًا لأهل مكة فهو مكي ، واستدلوا بالخطاب بـ (يا أيها الناس) ، و(يا بني آدم) على الخطاب المكي ، وبـ (يا أيها الذين آمنوا) على الخطاب المدني ، فقد جاء عن علقمة والحسن أنهما قالا : كل شيء في

---

(١) ظهر لي أن الخلاف بينهم روي في (١٢) سورة ، كما سيأتي تفصيله في آخر هذا المبحث .

(٢) بلغ المنقول عن قتادة فيما اطلعت عليه (٤٠) نقلاً ، وعن الحسن (٣٤) نقلاً ، وعن عكرمة (٢٦) نقلاً ، في حين كان المروي عن مجاهد (١٩) نقلاً ، وعن عطاء (١٤) نقلاً ، وليس هناك كبير روايات عن غير هؤلاء ، فلم أجد عن ابن جبير مثلاً إلا روايتين فقط .

(٣) ظهر هذا في (١٥) نقلاً عنه ، من أصل (٤٠) نقلاً ، وقد سبق تفصيل ذلك في ترجمته ص (٢٧٧) .

القرآن: «يا أيها الناس» فإنه مكي، وما كان «يا أيها الذين آمنوا» فبالمدينة[١].

وعن إبراهيم قال: كل شيء في القرآن (ياأيها الذين آمنوا) أنزل بالمدينة، وكل شيء في القرآن (يا أيها الناس) أنزل بمكة[٢].

وعن علقمة قال: كل ما نزل فيه: (يا أيها الناس)، فهو مكي، وما نزل فيه (يا أيها الذين آمنوا) فمدني[٣].

وهذا في الأصل منقول عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فقد قال: قرأنا المفصل بمكة حججًا ليس فيه (يا أيها الذين ءامنوا)[٤].

قال ابن عطية، وغيره: هو في (يا أيها الذين ءامنوا) صحيح، وأما (يا أيها الناس) فقد يأتي في المدني[٥]، وأيضًا فهذا غير مضطرد.

فقد استدرك العلماء على ذلك سورة النساء فهي مدنية بالاتفاق، وأولها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾[٦]، وسورة الحج فهي مكية وفيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾[٧]، وسورة البقرة مدنية وفيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[٨] وفيها

(١) فضائل القرآن لابن الضريس (٧٩)، وفضائل القرآن لأبي عبيد (١/ ٢٢٢)، والمصنف لابن أبي شيبة (١/ ١٨٩)، فضائل القرآن لابن كثير (٧)، والدر المنثور (١/ ٨٤)، والتفسير الكبير للرازي (٢/ ٨٢)، والبرهان (١/ ١٩١).

(٢) المصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٥٢٢) ١٠١٩١ وبنحوه جاء، عن عكرمة، وعروة، ينظر المصنف الآثار ١٠١٩٣، ١٠١٩٦.

(٣) أورده الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف، وعزاه لابن أبي شيبة، والواحدي في أسباب النزول، ينظر تخريج أحاديث وآثار الكشاف (١/ ٤٩).

(٤) مستدرك الحاكم (٢/ ٢٢٤)، والمصنف لابن أبي شيبة (١/ ٥٢٢) ١٠١٩٢، وأشار السيوطي في الإتقان إلى ضعفه (١/ ٢٢)، وينظر البرهان (١/ ١٨٧).

(٥) تفسير ابن عطية (٤/ ٥)، والإتقان(١/ ٢٢).

(٦) سورة النساء: آية (١).

(٧) سورة الحج: آية (٧٧)، وأورده ابن العربي في أحكام القرآن (٢/ ٥٢٣)، وينظر الزيادة والإحسان (١/ ٢٧٩) النوع الخامس عشر، تحقيق محمد صفا.

(٨) سورة البقرة: آية (٢١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا ﴾[١] ، ولذا فالأقرب حمله على الأمر الأغلبي لا الاستيعاب[٢] ، وبهذا لا يمكن الجزم بهذا الضابط لتحديد المكي من المدني .

٢ ـ النظر باعتبار مكان النزول :

فالمكي ما نزل بمكة ، والمدني ما نزل بالمدينة .

وهذا هو الغالب على تطبيقاتهم للمكي والمدني ، ولذا فما نزل في السفر فإنهم يحددونه كأنه قسم مستقل .

فعن قتادة قال : نزلت سورة القصص بين مكة والمدينة[٣] .

وفي تحديدهم لسورة محمد ﷺ ، جاء عن قتادة أنه قال عنها : مدنية إلا آية منها نزلت بعد حجة الوداع حين خرج من مكة[٤] .

وفي سورة المطففين ، جاء عن جابر بن زيد أنها نزلت بين مكة والمدينة[٥] .

٣ ـ النظر باعتبار زمان النزول :

فما كان قبل الهجرة فهو مكي وإلا فهو مدني ، وقد يرى البعض أن هذا الاصطلاح لم يكن من لدن التابعين وإنما جاء بعدهم ، لكن ذهب آخرون إلى أن هذا الضابط إنما عرف عن التابعين[٦] .

ويدل عليه أنهم عدُّوا عدة سور من السور التي نزلت بعد الهجرة في غير المدينة

(١) سورة البقرة : آية (١٦٨) .
(٢) الإتقان (١/ ٢٣) .
(٣) فتح القدير (٤/ ١٥٧) .
(٤) فتح القدير (٥/ ٥١) .
(٥) زاد المسير (٩/ ٥١) ، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٥٠) ، وفتح القدير (٥/ ٣٩٧) ، ومصاعدالنظر (٢/ ٤٨٥) .
(٦) التبيان في علوم القرآن (٣٧) .

أنها مدنية، ومن ذلك سور: براءة، والفتح، والمنافقون، فقد عدها الحسن وعكرمة مدنية[١]، ولم أعثر على ما يخالف ذلك عنهما[٢].

وعن عبد الله بن عوف قال: ذكروا عند الشعبي قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٣] فقيل: عبد الله بن سلام، فقال: كيف يكون ابن سلام، وهذه السورة مكية[٤]

ومع ذلك فقد يكون حكمهم بأنها مدنية من باب الأغلب، وعليه فلا يمكن الجزم بأن هذا الاصطلاح درج عليه التابعون.

فوائد معرفة المكي والمدني:

لقد درج المصنفون في كتب علوم القرآن، وأصول التفسير على ذكر فائدة معرفة الناسخ والمنسوخ، فائدة مأخوذة من معرفة المكي، والمدني، وربما اقتصروا على ذلك[٥].

وقد سبق الإشارة إلى فائدة ثانية، وهي المنهج الدعوي بمعرفة حال المخاطبين، والتدرج في دعوتهم، غير ما يمكن استنباطه من حكم التدرج في التشريع.

وقد تبين لي فائدة ثالثة من خلال المطالعة في المنقول عن التابعين في هذا الباب، ألا وهي: الترجيح بين الأقوال.

فمثلاً جاء عن أبي بشر أنه قال لسعيد بن جبير، في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ١٤٢، ١٤٣).

(٢) زاد المسير (٣/ ٣١٦).

(٣) سورة الأحقاف: آية (١٠).

(٤) المصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٥٢٣) ١٠١٩٧.

(٥) البرهان (١/ ١٨٧)، والإتقان (١/ ١١)، والزيادة والإحسان (١/ ٢٦٢) النوع الرابع عشر، تحقيق محمد صفا.

الْكِتَابِ﴾[١] : أهو عبد الله بن سلام؟ ، ولما كان سعيد يرى أن هذه السورة مكية[٢] ، استدل بذلك على عدم صحة هذا القول، فقال لأبي بشر: هذه السورة مكية فكيف يكون عبد الله ؟[٣]، وسبق نحوه عن الشعبي في آية الأحقاف قريبًا.

وقد اهتم التابعون كذلك بوضع بعض القواعد التي يمكن من خلالها معرفة المكي من المدني، فمن ذلك ما جاء عن عروة قال: كل شيء نزل على رسول الله ﷺ من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون، وما يثبت به الرسول، فإنما نزل بمكة، وما كان من الفرائض والسنن نزل بالمدينة[٤] .

وعنه أيضًا قال: إني لأعلم ما نزل من القرآن بمكة، وما نزل بالمدينة، فأما ما نزل بمكة فضرب الأمثال، وذكر القرون، وأما ما نزل بالمدينة فالفرائض، والحدود ، والجهاد[٥] .

وقد تلقف العلماء هذه الضوابط والقواعد، وأعملوا النظر لاستخراج مثيلاتها.

قال الجعبري: لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي وقياسي، فالسماعي: ما وصل إلينا نزوله بأحدهما، والقياسي: كل سورة فيها (يأيها الناس) فقط، أو كلا، أو أولها حرف تهجٍّ سوى الزهراوين، والرعد، وفيها قصة آدم وإبليس سوى البقرة فهي مكية، وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية[٦]، اهـ، وقال مكي: كل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية، وزاد غيره

---

(١) سورة الرعد : آية (٤٣).

(٢) وقع الخلاف فيها، فذهب ابن عباس، وجابر بن زيد إلى أنها مدنية، وذهب الباقون ومنهم الحسن، وابن جبير، وعطاء، وقتادة، إلى أنها مكية، ينظر زاد المسير (٤/ ٢٩٩).

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٥٠٥) ٢٠٥٥٥، والدر المنثور (٤/ ٦٦٩)، وفتح القدير (٣/ ٩٢).

(٤) دلائل النبوة (٧/ ١٤٤)، والإتقان (١/ ٢٣)، ومصاعد النظر (١/ ١٦١).

(٥) المصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٥٢٣) ١٠١٩٨.

(٦) الإتقان (١/ ٢٣)، والزيادة والإحسان (١/ ٢٨٠)، النوع الخامس عشر تحقيق محمد صفا=

سوى العنكبوت[١] .

وقيل أيضًا: كل سورة فيها سجدة فهي مكية[٢] .

وقد يكون الترجيح بين كون هذه الآية مكية، أو مدنية بمرجح خارجي من معرفة الزمان الذي فُرِضَ فيه الصلاة والزكاة مثلاً.

فعن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ...﴾[٣] ، قال عنها: مدنية لأن الصلوات نزلت بالمدينة[٤]، وفي سورة لقمان المكية استثنى الحسن أيضًا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[٥] ، فقال عنها: مدنية؛ لأن الصلاة والزكاة مدنيتان[٦] .

المكي والمدني من السور:

أحاول هنا أن أستعرض على سبيل الاختصار والإجمال، ما ورد في ذلك عن التابعين. فقد أخرج البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن عكرمة والحسن قالا: أنزل الله من القرآن بمكة: ﴿اقرأ بسم ربك الذي خلق...﴾، ﴿نون، والقلم﴾ ، والمزمل، والمدثر، و﴿تبت يدا أبي لهب...﴾، و﴿إذا الشمس كورت﴾، و﴿سبح اسم ربك الأعلى..﴾، و﴿والليل إذا يغشى...﴾ ، والفجر، والضحى، والإنشراح ﴿ألم نشرح...﴾، والعصر، والعاديات، والكوثر، و﴿ألهاكم...﴾، و﴿أرأيت...﴾

= ومصاعد النظر (١/ ١٦١).

(١) الإتقان (١/ ٢٣).

(٢) الإتقان (١/ ٢٣).

(٣) سورة (ق): آية (٣٩)، وسورة غافر: آية (٥٥)، وسورة النجم: آية (٤٨).

(٤) فتح القدير (٤/ ٤٧٩)، زاد المسير (٨/ ٢٠٥).

(٥) سورة لقمان: آية (٤).

(٦) فتح القدير (٤/ ٢٣٣)، وزاد المسير (٦/ ٣١٤).

(٧) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ١٤٢، ١٤٣)، والإتقان (١/ ٤٠، ٤١).

و﴿ قل يا أيها الكافرون... ﴾، و﴿ أصحاب الفيل... ﴾، والفلق، و ﴿ قل أعوذ برب الناس... ﴾، و ﴿ قل هو الله أحد ﴾ والنجم، و﴿ عبس وتولى... ﴾ ،و﴿ إنا أنزلناه... ﴾،و﴿ والشمس وضحاها... ﴾، و﴿ والسماء ذات البروج... ﴾، و﴿ والتين والزيتون... ﴾، و﴿ لإيلاف قريش ﴾ ، والقارعة، و﴿ لا أقسم بيوم القيامة... ﴾ ، والهمزة، والمرسلات، و﴿ ق والقرآن المجيد... ﴾، و﴿ لا أقسم بهذا البلد... ﴾، و﴿ والسماء والطارق... ﴾،و﴿ اقتربت الساعة... ﴾،و﴿ ص والقرآن... ﴾، والجن، ويس، والفرقان، والملائكة ، طه، والواقعة ، طسم، طس وطسم، وبني إسرائيل، وهود، ويوسف ، وأصحاب الحجر، والأنعام، والصافات، ولقمان ، وسبأ، والزُّمَر، وحم المؤمن، وحم الدخان، وحم السجدة، وحمعسق، وحم الزخرف، والجاثية، والأحقاف، والذاريات، والغاشية، وأصحاب الكهف، والنحل ، ونوح، وإبراهيم، والأنبياء، والمؤمنون، وألم السجدة، والطور، و﴿ تبارك الذي بيده الملك... ﴾، والحاقة، و﴿ سأل سائل... ﴾، و﴿ عم يتساءلون... ﴾، والنازعات، و﴿ وإذا السماء انشقت... ﴾، و﴿ إذا السماء انفطرت... ﴾، والروم، والعنكبوت[1] .

وما نزل بالمدينة:

﴿ ويل للمطففين... ﴾، والبقرة، وآل عمران، والأنفال، والأحزاب، والمائدة، والممتحنة، والنساء، و﴿ إذا زلزلت... ﴾، والحديد ، ومحمد، والرعد، والرحمن، و﴿ هل أتى على الإنسان... ﴾ ، والطلاق، و﴿ لم يكن... ﴾، والحشر، و﴿ الحجرات... ﴾، و﴿ يا أيها النبي لم تحرم... ﴾، والصف، والجمعة، والتغابن، والفتح، وبراءة.

---

(١) فضائل القرآن لابن الضريس (٣٣) ١٧ ، وجمال القراء (١/ ٧)، ولطائف الإشارات (١/ ٢٨)، وفنون الأفنان (٣٣٨)، وبصائر ذوي التمييز (١/ ٩٨).

وعن قتادة قال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والرعد، والنحل، والحجر، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والرحمن، والحديد إلى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ** ﴾[١] عشر متواليات، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله والفتح، قال: هذا مدني وسائر القرآن مكي[٢].

وقد ذكر الزهري في كتابه الناسخ والمنسوخ المكي والمدني مرتبًا لجميع سور المصحف حسب ترتيب النزول، مبتدئًا بالعلق ومنتهيًا بالمطففين فيما أنزل بمكة وعدته (٨٥) سورة.

ثم ذكر المدني من السور فابتدأ بالفاتحة فالبقرة، وانتهى بالتوبة، وعدتها (٢٩) سورة، ثم قال: وآخر ما نزلت هذه الآية قوله تعالى: ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم...** ﴾[٣] الآيتين.

وأما على سبيل التفصيل، فقد راجعت عدة تفاسير كابن عطية والبغوي، وابن كثير، وابن أبي حاتم، فلم أرهم يهتمون كثيرًا بتحديد المكي والمدني، ورأيت القرطبي، وابن الجوزي، والشوكاني، يهتمون بذلك أكثر منهم، ولا سيما في نقلهم لاختلاف التابعين، وفيما يلي بيان السور المختلف فيها ومدى عناية المفسرين بنقل أقوالهم في ذلك[٤]:

سورة الفاتحة: اختلفوا فقيل أنها مكية قاله علي بن أبي طالب، والحسن، وأبو العالية، وقتادة.

---

(١) سورة التحريم: آية (١).

(٢) الناسخ والمنسوخ لقتادة (٥٢)، والبرهان (١/ ١٩٣)، والإتقان (١/ ٢٨)، ودلائل النبوة (٧/ ١٤٣)، والزيادة والإحسان، النوع الرابع عشر، (١/ ٢٦٥) تحقيق محمد صفا.

(٣) سورة البقرة: آية (١٢٨، ١٢٩)، وينظر الأثر في كتاب الناسخ والمنسوخ للزهري ص (٣٧-٤٢).

(٤) وغالبه راجعت فيه زاد المسير.

وقال أبو هريرة، ومجاهد، وعطاء الخرساني: إنها مدنية[١].

سورة البقرة: مدنية، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وقتادة[٢].

سورة النساء: مكية، قاله الحسن، ومجاهد، وجابر بن زيد، وقتادة[٣].

سورة المائدة: قال ابن عباس: إنها مدنية، وتبعه على ذلك قتادة[٤].

سورة الأنعام: روى مجاهد، عن ابن عباس: أنها مكية، وهو قول الحسن، وقتادة، وجابر بن زيد.

وروى أبو صالح، عن ابن عباس أنها مكية، نزلت جملة واحدة ونزلت ليلاً، وكذبوها من ليلتهم غير ست آيات ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...﴾[٥].

سورة الأعراف: روى أبو صالح، عن ابن عباس أنها من المكي، وهو المروي عن الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، وجابر بن زيد، وقتادة، وروي عن ابن عباس وقتادة أنها مكية إلا خمس آيات، أولها قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ...﴾[٦].

سورة يونس: مكية، وعن قتادة فيها من المدني قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم

---

(١) زاد المسير (١/ ١٠)، وتفسير الخازن (١/ ١٥)، وجمال القراء (١/ ١١).
(٢) زاد المسير (١/ ١٩).
(٣) زاد المسير (٢/ ١)، والمحرر الوجيز (٤/ ٥).
(٤) زاد المسير (٢/ ٢٦٧)، وفتح القدير (٢/ ٣).
(٥) زاد المسير (٣/ ١)، والزيادة والإحسان (١/ ٢٨٣) النوع الخامس عشر، تحقيق محمد صفا، والآيات من سورة الأنعام (١٥١ ـ ١٥٧).
(٦) زاد المسير (٣/ ١٦٤)، وفتح القدير (٣/ ١٨٧)، ومصاعد النظر (٢/ ١٢٨)، والآيات من سورة الأعراف (١٦٣ ـ ١٦٨).

مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ . . . ﴾[١] .

سورة هود: مكية، واستثنى قتادة قوله: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ ﴾[٢] .

سورة الرعد: اختلفوا فقيل: إنها مكية، وهو مروي عن الحسن، وابن جبير، وقتادة، وابن أبي طلحة، عن ابن عباس.

وقيل مدنية: وهو مروي عن عطاء، وابن عباس، وبه قال جابر بن زيد[٣] .

سورة النحل: مكية، قاله ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وعطاء، وخالف جابر ابن زيد فجعل من أولها أربعين آية مكية، وبقيتها نزلت بالمدينة[٤] .

سورة الإسراء: مكية، واستثنى ابن عباس ثمان آيات، وبه قال قتادة[٥] .

سورة الكهف: مكية في رواية عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وقتادة، وروي عن ابن عباس استثناء قوله: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾[٦] .

سورة الفرقان: مكية، قال بذلك ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة،

---

(١) سورة يونس: آية (٤٠)، وينظر زاد المسير (٤/ ٣)، وجمال القراء (١/ ١٢)، ومصاعد النظر (٢/ ١٦٢)، والبحر (٥/ ١٢١).

(٢) سورة هود: آية (١١٤)، وينظر زاد المسير (٤/ ٧٢)، ومصاعد النظر (٢/ ١٧٠)، والبحر (٥/ ٢٠٠).

(٣) زاد المسير (٤/ ٢٩٩)، ودلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ٦٦)، ومصاعد النظر (٢/ ١٨٩).

(٤) زاد المسير (٤/ ٤٢٦)، وفتح القدير (٣/ ١٤٦)، والبرهان (١/ ٢٠٠)، ومصاعد النظر (٢/ ٢٠٩).

(٥) زاد المسير (٥/ ٦٩)، وفتح القدير (٣/ ٢٤٩)، وجمال القراء (١/ ١٣)، ومصاعد النظر (٢/ ٢٨٢).

(٦) سورة الكهف: آية (٢٨)، وينظر زاد المسير (٥/)، ومصاعد النظر (٢/ ٢٤٠).

وقتادة، وحكي عن ابن عباس وقتادة استثناء ثلاث آيات[١] .

سورة الشعراء: مكية، واستثنى ابن عباس، وقتادة أربع آيات[٢] .

سورة القصص: مكية، قال به الحسن، وعطاء، وعكرمة، واستثنى ابن عباس منها آية[٣] .

سورة العنكبوت: مكية، وبه قال الحسن، وقتادة، وعطاء، وجابر بن زيد.

وقيل مدنية: جاء في رواية عن ابن عباس، وقتادة[٤] .

سورة لقمان: مكية، قاله عطاء، والحسن، واستثنى قتادة منها قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ﴾[٥] .

سورة الزمر: مكية، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وجابر بن زيد.

واستثنى ابن عباس ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة[٦] .

سورة المؤمنون: مكية، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة[٧] .

وحكي عن ابن عباس وقتادة استثناء آيتين منها نزلتا بالمدينة[٨] .

---

(١) زاد المسير (٦/ ٢٧١)، والبحر المحيط (٦/ ٤٨٠).
(٢) زاد المسير (٦/ ١١٤)، وجمال القراء (١/ ١٥١)، ومصاعد النظر (٢/ ٣٢٤).
(٣) زاد المسير (٦/ ٢٠٠)، وفتح القدير (٤/ ١٧٩)، وجمال القراء (١/ ١٥).
(٤) زاد المسير (٦/ ٢٥٣)، وفتح القدير (٤/ ١٩١)، وجمال القراء (١/ ١٥).
(٥) زاد المسير (٦/ ٣١٤)، وفتح القدير (٤/ ٢٣٣)، وجمال القراء (١/ ١٥)، والبحر المحيط (٧/ ١٨٣).
(٦) زاد المسير (٧/ ١٦١)، وفتح القدير (٤/ ٣٥٨)، والمعجم الكبير للطبراني (١١/ ١٩٧)، ومصاعد النظر (٢/ ٤٢١)، وجمال القراء (١/ ١٦).
(٧) فتح القدير (٤/ ١٤٧)، وجمال القراء (١/ ١٦)، وزاد المسير (٧/ ٢٠٤).
(٨) زاد المسير (٧/ ٢٠٨)، وفتح القدير (٤/ ٤٧٩).

سورة الشورى: مكية، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وعطاء، وجابر بن زيد.

واستثنى ابن عباس وقتادة أربع آيات منها أنزلت بالمدينة[١].

سورة الجاثية: مكية، وبه قال ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وجابر، ومجاهد، وقتادة، واستثنى ابن عباس وقتادة آية منها[٢].

سورة محمد: مدنية، قاله الجمهور، واستثنى ابن عباس وقتادة آية نزلت عليه بعد حجة الوداع.

مكية، قاله الضحاك، والسدي[٣].

سورة ق: مكية، وبه قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، وقتادة، وعامر، وحكي عن ابن عباس وقتادة الاستثناء[٤].

سورة النجم: مكية، وروي الاستثناء عن ابن عباس، وقتادة[٥].

سورة الرحمن: مكية، وبه قال ابن عباس، والحسن، وعطاء.

وقيل: مدنية، وبه قال ابن مسعود، ورواه العوفي عن ابن عباس[٦].

---

(١) زاد المسير (٧/ ٢٧١)، وفتح القدير (٤/ ٥٣٧)، ومصاعد النظر (٢/ ٤٤٩)، والبحر المحيط (٧/ ٥٠٧).

(٢) زاد المسير (٧/ ٣٥٤)، فتح القدير (٥/ ٣)، وجمال القراء (١/ ١٧)، والزيادة والإحسان (١/ ٣٠٤) النوع الخامس عشر، تحقيق محمد صفا.

(٣) زاد المسير (٧/ ٣٩٥)، فتح القدير (٥/ ٢٨).
وهذا يؤكد أن الضابط الزمني بالهجرة لم يكن مشهوراً عندهم.

(٤) زاد المسير (٨/ ٣٠)، وجمال القراء (١١/ ١٧)، وفتح القدير (٥/ ٧٠).

(٥) زاد المسير (٨/ ٦٢)، وفتح القدير (٥/ ١٠٣)، وجمال القراء (١/ ١٧).

(٦) زاد المسير (٨/ ١٠٥)، وفتح القدير (٥/ ١٣٠)، وجمال القراء (١/ ١٨).

سورة الواقعة: مكية، وبه قال ابن عباس، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وقتادة، وجابر، وجاء عن ابن عباس استثناء آية منها[١].

سورة الحديد: مدنية، وبه قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وجابر ابن زيد، وقتادة.

وقيل: مكية، وبه قال عطاء بن السائب[٢].

سورة المجادلة: مدنية، وبه قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، واستثنى ابن السائب آية.

مكيةإلا عشر آيات فمدنية، وبه قال عطاء[٣].

سورة الصف: مدنية، وبه قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة.

وقيل: مكية، وبه قال عطاء بن يسار[٤].

سورة التغابن: مدنية، وبه قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة.

وقيل: مكية، وبه قال عطاء بن يسار[٥].

سورة التحريم: مدنية، وخالف قتادة، وقال: إن المدني منها إلى رأس العشر الآيات، والباقي مكي[٦].

---

(١) زاد المسير (٨/ ١٣٠)، وفتح القدير (٥/ ١٤٦)، ومصاعد النظر (٣/ ٥٠)، وجمال القراء (١/ ١٨).

(٢) زاد المسير (٨/ ١٦٠)، والإتقان (١/ ٤٦).

(٣) زاد المسير (٨/ ١٨٠)، وفتح القدير (٥/ ١٨١)، ومصاعد النظر (٣/ ٦٧).

(٤) زاد المسير (٨/ ٢٤٩)، وفتح القدير (٥/ ٢١٨).

(٥) زاد المسير (٨/ ٢٧٩)، وفتح القدير (٥/ ٢٣٤).

(٦) الزيادة والإحسان (١/ ٣٠٧)، النوع الخامس عشر، تحقيق محمد صفا.

سورة الدهر : مدنية، وبه قال مجاهد، وقتادة، والجمهور، والحسن، وعكرمة، واستثنى الحسن، وعكرمة آية منها.

وقيل: مكية، حكي عن ابن عباس[١].

سورة المرسلات: مكية، واستثنى ابن عباس، وقتادة، آية منها[٢].

سورة المطففين: مكية، وبه قال ابن مسعود.

وقيل: مدنية، وبه قال ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، واستثنى ابن عباس، وقتادة ثمان آيات، وقال جابر بن زيد: إنها نزلت بين مكة والمدينة[٣].

سورة التين: مكية، وبه قال ابن عباس في رواية، والحسن، وعطاء.

وقيل: مدنية، وبه قال ابن عباس، وقتادة[٤].

سورة الزلزلة: مكية في رواية عن ابن عباس، وابن مسعود، وعطاء، وجابر بن زيد.

وقيل: مدنية، وبه قال ابن عباس، وقتادة، والجمهور[٥].

سورة العاديات: مكية، وبه قال ابن مسعود، وعطاء، وعكرمة، وجابر بن زيد.

وقيل: مدنية، وبه قال ابن عباس، وأنس، وقتادة[٦].

---

(١) زاد المسير (٨/ ٤٢٧)، ومصاعد النظر (٣/ ١٤٣)، وتفسير الماوردي (٤/ ٣٦٥)، مقدمة تفسير عين المعاني في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٦).

(٢) زاد المسير (٨/ ٤٤٣)، وفتح القدير (٥/ ٣٥٥).

(٣) زاد المسير (٩/ ٥١)، وفتح القدير (٥/ ٣٩٧)، وجمال القراء (١/ ١٩).

(٤) زاد المسير (٩/ ١٦٨)، وفتح القدير (٥/ ٤٦٤).

(٥) زاد المسير (٩/ ٢٠١)، وفتح القدير (٥/ ٤٧٨)، ومصاعد النظر (٣/ ٢٣٠).

(٦) زاد المسير (٩/ ٢٠٦)، وفتح القدير (٥/ ٤٨١)، وجمال القراء (١/ ١٩)، ومصاعد النظر (٣/ ٢٣٧).

سورة العصر مكية، وبه قال الجمهور، وابن عباس وابن الزبير.

وقيل مدنية، وبه قال مجاهد، وقتادة[١].

سورة الماعون: مكية، قاله الجمهور، وبه قال عطاء، وجابر بن زيد، وابن عباس في رواية.

وقيل: مدنية، وبه قال ابن عباس، وقتادة[٢].

سورة الكوثر: مكية، وبه قال ابن عباس، والجمهور.

وقيل: مدنية، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة[٣].

سورة الكافرون: مكية، وبه قال ابن مسعود، والحسن.

وقيل: مدنية، قال به قتادة[٤].

سورة الإخلاص: مكية، وبه قال ابن مسعود، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر.

وقيل: مدنية، وبه قال ابن عباس، وقتادة، والسدي[٥].

سورة العلق: مكية في رواية عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر بن زيد.

وقيل: مدنية، في رواية عن ابن عباس، وبه قال قتادة[٦].

---

(١) زاد المسير (٩/ ٢٢٤)، وفتح القدير (٥/ ٤٩١).
(٢) زاد المسير (٩/ ٢٤٣)، وفتح القدير (٥/ ٤٩٩)، وجمال القراء (١/ ١٩)، ومصاعد النظر (٣/ ٢٥٢).
(٣) زاد المسير (٩/ ٢٤٧)، ومصاعد النظر (٣/ ٢٥٥).
(٤) المرجع السابق (٩/ ٢٥٢)، وفتح القدير (٥/ ٥٠٥).
(٥) زاد المسير (٩/ ٢٦٤)، وجمال القراء (١/ ١٩)، ومصاعد النظر (٣/ ٢٧٩).
(٦) زاد المسير (٩/ ٢٧٠)، ومصاعد النظر (٣/ ٢٩٨).

سورة الناس: مكية في رواية عن ابن عباس.

وقيل: مدنية، في رواية أخرى عنه[١].

ومن مجموع الآيات تبين لي أن أكثرهم عناية بذلك قتادة؛ بدليل كثرة المروي عنه، مع ما امتاز به من الدقة في هذا الباب، يدل عليه كثرة تفصيله في الآيات، وبيان الآيات المستثناة من السور، كما يعد جابر بن زيد أكثرهم مخالفة للجمهور، وسعيد بن جبير أقلهم رواية في ذلك[٢].

٦- المحكم والمتشابه:

قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ ﴾[٣]، فوصف القرآن كله بأنه متشابه، وقال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾[٤] فوصف القرآن كله بأنه محكم، وقال سبحانه: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾[٥]، فوصف القرآن بأن منه المتشابه، ومنه المحكم، وليس بينها تعارض، فالمتشابه الذي يعم القرآن كله هو أن آياته يشبه بعضها بعضًا في القوة والإحكام، والبيان، والفصاحة، والتحدي بها، وإجزائها في القراءة في الصلاة، وكونها هدى وشفاء، ونحو ذلك، فكلها متشابهة بهذا الاعتبار، والإحكام في القرآن كله أن آياته كلها معجزة، ولا ينقض بعضها بعضًا، وليس بينها تعارض، وهذا لا يرد عليه النسخ؛ لأن الآيات المنسوخة محكمة من وجه الإعجاز، والفصاحة، ونحو ذلك[٦].

---

(١) زاد المسير (٩/ ٢٧٧)، وفتح القدير (٥/ ٥٢٢).

(٢) بلغ مجموع ما جاء عن قتادة (٥٤) رواية، منها (١٤) قال فيها بالاستثناء، وبلغت عن الحسن (٣٤)، وعن عكرمة (٢٦)، وعن جابر بن زيد (٢٠). وعن مجاهد (١٩)، وعن عطاء (١٤)؛ حين كانت المرويات عن سعيد بن جبير بلغت روايتين فقط.

(٣) سورة الزمر: آية (٢٣).

(٤) سورة هود: آية (١).

(٥) سورة آل عمران: آية (٧).

(٦) الإتقان (٢/ ٣)، وتفسير المنار (٣/ ١٦٣)، والزيادة والإحسان (٣/ ٧٠٢) النوع (٩٦) =

وأما كون بعض الآيات محكمًا، والبعض الآخر متشابهًا، فهذا ليس بمعنى التشابه، أو الإحكام الذي يعم كل منهما القرآن كله، بل له معنى آخر.

وهنا وقع الاختلاف والاشتباه في المراد بالإحكام والتشابه الذي لا يعم كل آيات القرآن.

وقد اختلف العلماء حول معنى هذا الإحكام، والتشابه الخاص، وتنوعت عبارات المفسرين في ذلك تنوعًا واضحًا، فقيل المحكم: ما عرف المراد منه، إما بالظهور وإما بالتأويل، والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور[1].

وقيل المحكم: ما وضح معناه، والمتشابه نقيضه، وقيل: المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهًا واحدًا، والمتشابه ما احتمل أوجهًا، وقيل: المحكم ما كان معقول المعنى، والمتشابه بخلافه كأعداد الصلوات، واختصاص الصيام برمضان دون شعبان، وقيل المحكم: ما استقل بنفسه، والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره، وقيل المحكم: ما تأويله تنزيله، والمتشابه: ما لا يدرك إلا بالتأويل، وقيل: المحكم: ما لم تكرر ألفاظه، ومقابله المتشابه، وقيل المحكم: الفرائض، والوعد، والوعيد. والمتشابه: القصص، والأمثال[2].

وبعض هذه الأقوال مأخوذ عن السلف، وأما سائرها فمختلف، ولم يقتصر الأمر على هذا الاختلاف فحسب، بل تعداه إلى القول بأن المتشابه لا حيلة لأحد إلى

= تحقيق: إبراهيم المحمود.

(١) قال الشعبي في تفسير الحروف المقطعة: إنها من المتشابه نؤمن بظاهرها، ونكل العلم فيها إلى الله عز وجل، ينظر البرهان (١/ ١٧٣).

(٢) الإتقان (٢/ ٣).

معرفته، ومعرفة معانيه؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّه﴾[١]، على قراءة الوقف على لفظ الجلالة، بل صاروا ينكرون على من قرأ بالوصل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[٢].

قال ابن السمعاني: لم يذهب إلى القول الأول (أي الوصل) إلا شرذمة قليلة، واختاره العتبي، وقال: وقد كان يعتقد مذهب أهل السنة، لكنه سها في هذه المسألة، قال: ولا غرو فإن لكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة[٣].

والقول بالوصل الذي بالغ ابن السمعاني في رده هو المروي عن ابن عباس، ومجاهد، وصححه النووي، واستظهره ابن الحاجب، فكيف يعرِّض بمن قاله بأنه ليس على مذهب السنة؟!!، ومن هذا الاختلاف، وذلك التناقض نشأ من يقول: إن في القرآن ما لا يدرك معناه، فحجب القرآن عن هدايته للناس، وصار المتشابه لا يحل لأحد أن يفسره، أو يتكلم في معانيه، بل تعدى ذلك إلى آيات الصفات، فعطلت معانيها، وصار التأويل هو الغالب، واضطرابهم في تأويلها أعظم من اختلافهم في معنى المتشابه[٤].

ويوضح لنا محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ ما وجده في كتب التفسير من الاختلاف فيقول عند تفسير آية آل عمران: اعلم أنه ليس في كتب التفسير المتداولة ما يروي الغليل في هذه المسألة، وما ذكرناه آنفًا هوصفوة ما قالوه، وخيره كلام الأستاذ الإمام[٥]، وقد رأينا أن نرجع بعد كتابته إلى كلام في المتشابه والتأويل لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، كنا قرأنا بعضه من قبل في تفسيره لسورة الإخلاص، فرجعنا إليه، وقرأناه بإمعان،

(١)، (٢) سورة آل عمران: آية (٧).

(٣) الإتقان (٢/ ٤).

(٤) الإتقان (٢/ ٤)، والزيادة والإحسان (٣/ ٧٥٦) النوع (٩٦)، تحقيق إبراهيم المحمود.

(٥) أي محمد عبده ـ رحمه الله ـ.

فإذا هو منتهى التحقيق والعرفان والبيان الذي ليس وراءه بيان، أثبت فيه أنه ليس في القرآن كلام لا يفهم معناه، وأن المتشابه إضافي إذا اشتبه فيه الضعيف لا يشتبه فيه الراسخ، وأن التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى هو ما تؤول إليه تلك الآيات في الواقع ككيفية صفات الله تعالى، وكيفية عالم الغيب من الجنة، والنار، وما فيهما، فلا يعلم أحد غيره تعالى كيفية قدرته، وتعلقها بالإيجاد، والإعدام، وكيفية استوائه على العرش، مع أن العرش مخلوق له، وقائم بقدرته، ولا كيفية عذاب أهل النار، ولا نعيم أهل الجنة كما قال تعالى في هؤلاء: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[١].

فليست نار الآخرة كنار الدنيا، وإنما هي شيء آخر، وليست ثمرات الجنة، ولبنها وعسلها من جنس المعهود لنا في هذا العالم، وإنما هو شيء آخر يليق بذلك العالم. . إلى أن قال: إنما غلط المفسرون في تفسير التأويل في الآية؛ لأنهم جعلوه بالمعنى الاصطلاحي، وإن تفسير كلمات القرآن بالمواصفات الاصطلاحية قد كان منشأ غلط يصعب حصره[٢].

وهذا الكلام من السيد رشيد رضا سديد، وقامت الأدلة عليه، ويأتي بعضها.

والمقصود هنا بيان المحكم من المتشابه، ثم تقرير أن المتشابه يدرك منه معنى، وأن التأويل الذي لا يعلمه إلا الله غير هذا المعنى الذي يدرك من المتشابه، وليس المنقول عن السلف، والتابعين مما يخالف هذا.

فقد سئل سعيد بن جبير: ما المحكم؟ قال: المفصل[٣].

وأكثر السلف على أن المتشابه هو المنسوخ، وهو المأثور عن ابن عباس[٤]، وابن

(١) سورة السجدة: آية (١٧).
(٢) تفسير المنار (٣/ ١٧٢).
(٣) المعرفة (١/ ٢٤١، ٥١٥).
(٤) تفسير الطبري (٦/ ١٧٤) ٦٥٧٣ـ٦٥٧٥.

مسعود[١] ، وقتادة[٢] ، والربيع[٣] ، والضحاك[٤] ، والسدي[٥] .

ومعلوم أن القول بأن هذا هو المتشابه لا ينفي علمنا بمعناه، فإنه من المعلوم قطعًا باتفاق المسلمين أن الراسخين يعلمون معنى المنسوخ، وعليه فيكون المتواتر عنهم أن الراسخين يعلمون معنى المتشابه[٦] .

ونقل عن السلف أيضًا في معنى المحكم، والمتشابه، أن المحكم: ما أحكم الله فيه بيان حلاله وحرامه، والمتشابه من الآيات: ما أشبه بعضه بعضًا من المعاني، وإن اختلفت ألفاظه. وهذا قول مجاهد[٧] ، وهو لا يعني أن المتشابه لا يعلمه إلا الله.

وقريب منه المنقول عن السدي أن المحكم هو: هؤلاء الآيات التي أوصى بها من محكم القرآن: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾[٨] .

قال ابن عباس عنها: أجمعت عليها شرائع الخلق، ولم تنسخ قط في مكة[٩] ، وقال آخرون: المحكمات ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد، والمتشابه منها ما

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٧٥) ٦٥٧٦ .

(٢) تفسير الطبري (٦/ ١٧٥) ٦٥٧٧، ٦٥٧٨ .

(٣) المرجع السابق (٦/ ١٧٦) ٦٥٧٩ .

(٤) المرجع السابق (٦/ ١٧٦) ٦٥٨٠-٦٥٨٤ .

(٥) المرجع السابق (٦/ ١٨٦) ٦٦٠١ .

(٦) تفسير المنار (٣/ ١٩١).

(٧) تفسير الطبري (٦/ ١٧٧) ٦٥٨٥، وقد روى البخاري في صحيحه معلقًا تفسير هذه الآية عن مجاهد: منه آيات محكمات، قال مجاهد: الحلال، والحرام ﴿ وأخر متشابهات ﴾ يصدق بعضها بعضًا، كقوله تعالى: ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ ، وكقوله جل ذكره: ﴿ ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ﴾، وكقوله: ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾، وينظر صحيح البخاري ، كتاب التفسير، باب منه آيات محكمات، الفتح (٨/ ٢٠٩)، والبخاري -رحمه الله- ساق قول مجاهد، ولم يسق قول غيره في هذه الآية.

(٨) سورة الأنعام: آية (١٥٢)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٢٨) ١٤١٦١ .

(٩) تفسير القرطبي (٤/ ٢٥٦٧، ٢٥٦٨).

احتمل من التأويل أوجهًا .

جاء هذا عن محمد بن جعفر بن الزبير[١] ، ونُقل عن الشافعي ، وأحمد[٢] ، وقال غيرهم : المحكم ما أحكم الله فيه من آي القرآن ، وقصص الأمم ورسلهم الذين أرسلوا إليهم مفصلة ببيان ذلك لمحمد وأمته ، والمتشابه هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور ، بقصه باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني ، وبقصّه باختلاف الألفاظ ، واتفاق المعاني ، وجاء هذا عن ابن زيد[٣] .

وقال آخرون : بل المحكم من آي القرآن ما عرف العلماء تأويله ، وفهموا معناه وتفسيره ، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه ، وهو مروي عن جابر بن عبد الله بن رئاب[٤] ، ورجحه الطبري فقال : وهذا القول الذي ذكرناه عن جابر بن عبد الله أشبه بتأويل الآية ، وذلك أن جميع ما أنزل الله عز وجل من آي القرآن على رسوله ﷺ فإنما أنزله عليه بيانًا له ، ولأمته ، وهدى للعالمين ، وغير جائز أن يكون فيه ما لا حاجة بهم إليه ، ولا أن يكون فيه ما بهم إليه الحاجة ، ثم لا يكون لهم إلى علم تأويله سبيل . .

ثم ذكر مثالاً للمتشابه ، وهو عدد سنين هذه الأمة حتى الآيات ، إلى أن قال : فإذا كان المتشابه هو ما وصفنا ، فكل ما عداه محكم ؛ لأنه لن يخلو من أن يكون محكمًا بأنه بمعنى واحد لا تأويل له غير تأويل واحد ، وقد استغنى بسماعه عن بيان يبينه ، أو يكون محكمًا ، وإذا كان ذا وجوه وتأويلات وتصرف في معان كثيرة ، فالدلالة على المعنى المراد منه إما من بيان الله تعالى ذكره عنه ، أو بيان رسوله ﷺ لأمته ، ولن يذهب علم ذلك من علماء الأمة لما قد بينا[٥] .

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٧٧) ٦٥٨٧ .
(٢) تفسير المنار (٣/ ١٩٣) .
(٣) تفسير الطبري (٦/ ١٧٨) ٦٥٨٨ .
(٤) تفسير الطبري (٦/ ١٨٠) ، (١/ ٢١٧) ٢٤٦ .
(٥) تفسير الطبري (٦/ ١٨٠ ـ ١٨٢) ، والبرهان (٢/ ٧٣) .

وهذا الذي قاله الطبري جيد، إلا أن المتشابه لا ينحصر في التأويل الذي لا يعلمه إلا الله ولا يعلمه الراسخون، أي في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ بالوقف، وهو العاقبة، وما يؤول إليه الأمر، فإنه إذا أريد به التفسير فالراسخون في العلم يعلمونه أيضًا، وهي قراءة من وصل وقرأ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، وبهذا يوفق بين قراءتي الوقف على لفظ الجلالة، والوصل بما بعدها. وهذا ظاهر المنقول عن التابعين، ولهذا قال الحسن البصري: ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم في ماذا أنزلت وماذا عني بها[1]، ولم يستثن الحسن متشابهًا ولا غيره.

وقال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس من أوله إلى آخره ثلاث مرات أقفه عند كل آية، وأساله عنها.

قال شيخ الإسلام: فهذا ابن عباس حبر الأمة، وهو أحد من كان يقول: لا يعلم تأويله إلا الله، يجيب مجاهدا عن كل آية في القرآن، وهذا هو الذي حمل مجاهدًا ومن وافقه كابن قتيبة على ان جعلوا الوقف عند قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فجعلوا الراسخين يعلمون التأويل؛ لأن مجاهدًا تعلم من ابن عباس تفسير القرآن كله، وبيان معانيه، فظن أن هذا هو التأويل المنفي عن غير الله. . إلى أن قال: ومجاهد إمام التفسير، قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، وأما التأويل فشأن آخر، ويبين ذلك أن الصحابة والتابعين لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله، ولا قال هذه من المتشابه الذي لا يُعلم معناه، ولا قال قط أحد من سلف الأمة، ولا من الأئمة المتبوعين: إن في القرآن آيات لا يعلم معناها، ولا فهمها رسول الله ﷺ، ولا أهل العلم والإيمان جميعهم، وإنما قد ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس، وهذا لا ريب فيه[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨٤، ٢٨٥).

وبناءً على ما تقدم يمكن القول بأن الراسخين في العلم يعلمون تفسير المحكم، والمتشابه، إلا أنهم لا يعلمون الكيفيات التي لم يخبر بها في المحكم والمتشابه معًا، وهو التأويل المنفي علمه عن غير الله[١]، فالتشابه أمر إضافي، فما تشابه على إنسان فلا يتشابه على آخر، أما عاقبة الأخبار والأوامر فلا يعلمها إلا الله[٢].

وبهذا يعلم أن آيات الصفات محكمه من جهة معرفة معناها، ومتشابهة من جهة عدم علمنا بكيفيتها، على القول بأن المتشابه هو التأويل الذي لايعلمه إلا الله.

وعلى الرأي الآخر، وهو أن المتشابه يعرفه الراسخون في العلم فتكون آيات الصفات معلومة أيضًا من جهة معناها، ولذا فنحن نعلم ما أخبرنا به من وجه دون وجه، فنعلمه من وجه الإحكام والمعنى، ولا نعرفه من وجه الكيفية التي لم نخبر بها، وبناءً على ما تقدم يتضح الحق في هذه المسألة التي غلطت فيها طوائف كثيرة، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) وينظر في ذلك أيضًا تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية (١٧/ ٣٥٩-٤٢٩) من مجموع الفتاوى، وتفسير المنار (٣/ ١٩٥).

(٢) وبعد ذلك لا يضر أن يختار أحد التعريفات السابقة للمحكم والمتشابه التي للسلف، فأكثرها يدور حول أن المحكم ما وضح معناه، والمتشابه بخلافه.

٧ ـ الناسخ والمنسوخ:

من العلوم التي اشتغل التابعون ببيانها الناسخ والمنسوخ، وقد اختلفت أقوالهم في بيان الناسخ من المنسوخ، إلا أن تعريفهم للنسخ كان في الجملة قريبًا من بعضه، وربما عبروا عنه مرة بلفظ المحو، وربما بلفظ التبديل، إلا أن أكثر عباراتهم كانت بلفظ النسخ.

فمما جاء عنهم أن النسخ بمعنى المحو ما جاء عن الحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾[١]، قال: محتها: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[٢]، وعن مجاهد في قوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾[٣]، قال: نثبت خطها، ونبدل حكمها[٤]، وعليه فيمكن أن نقول: إن تعريف النسخ بالمحو أو الإزالة لحكم شرعي متقدم بآخر متأخر عنه، هو مما ورد عليه كلام التابعين في العمل بالنسخ[٥].

قال الحازمي: غير أن المعروف أن النسخ في القرآن الكريم هو إبطال الحكم، مع إثبات الخط[٦].

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٨٤).

(٢) سورة البقرة: آية (٢٨٦)، والأثر أخرجه الطبري (٦/ ١١١) ٦٤٧٤.

(٣) سورة البقرة: آية (١٠٦).

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٢٤٧٣) ١٧٤٩، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣٢٢) ١٠٦٢، والناسخ لأبي عبيد (٧) ٥.

(٥) راجع في تعريف النسخ: الإيضاح لمكي (ص ٤٧ ـ ٤٩)، والمستصفى للغزالي (١٠٧ ـ ١٠٨)، والأحكام للآمدي (٢/ ٢٣٦)، والأحكام لابن حزم (٤/ ٤٤٠)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (٢٩).

(٦) الاعتبار للحازمي (٧).

اتساع مفهوم النسخ عند التابعين:

مما ينبغي الانتباه إليه أن مفهوم النسخ عند التابعين كان أوسع من مفهومه الذي استقر في أصول الحديث، والفقه، والتفسير، وعلوم القرآن، فإن السلف ربما أطلقوا لفظ النسخ على التخصيص، أو التقييد[١]، بل وبيان ما أبهم أولاً؛ أي بعبارة أخرى: كانوا يرون كل ما أثبت حكمًا في مسألة جديدًا مخالفًا ولو من بعض الوجوه لحكم المسألة المتقدم- فإنهم يجعلونه نسخًا.

قال شيخ الإسلام: والنسخ عندهم اسم عام لكل ما يرفع دلالة الآية على معنى باطل، وإن كان ذلك المعنى لم يرد بها، وإن كان لا يدل عليه ظاهر الآية؛ بل قد لا يفهم منها، وقد فهمه منها قوم، فيسمون ما رفع ذلك الإبهام والإفهام نسخًا[٢].

وبهذا يزول كثير من الإشكال حول كثرة المنقول عنهم في باب النسخ، وتضاده أحيانًا، فهو إنما كان بسبب اتساع بعضهم في مفهوم معنى النسخ وشموله لغيره، ولذا نجد في عباراتهم كثيرًا جملة: ثم نسخ واستثنى.

فمن ذلك ما جاء عن عكرمة والحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾[٣]، قالا بعد أن ذكرا آيات القتل، ومنها: ﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[٤] قالا: فجعل لهم أربعة أشهر يسيحون في الأرض وأبطل ما كان قبل ذلك، وقال في التي تليها: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ

(١) يراجع في الفرق بين النسخ والتخصيص: الاعتبار للحازمي (٢٣، ٢٤)، ومناهل العرفان للزرقاني (٢/ ١٨٤-١٨٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٩، ٣٠)، ويُراجع تيسير العزيز الحميد (٥٣٥).

(٣) سورة النساء: آية (٩٠).

(٤) سورة التوبة: آية (٢).

مَرْصَدٍ﴾[١]، ثم نسخ، واستثنى، فقال: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾[٢].

وعن عكرمة والحسن أيضًا قالا في سورة النحل: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣]، ثم نسخ واستثنى من ذلك فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤].

وعن عكرمة والحسن قالا في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[٥]: فنسختها الآية التي في سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[٦]، ثم ذكرا آيات سورة الأحزاب، ثم قالا: فبين الله ما يفعل به وبهم[٧].

وعن الزهري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾[٨] الآية، نسخت بالاستثناء بعدها في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾[٩]، يقول: فلا سبيل لكم عليهم بعد التوبة[١٠].

---

(١) سورة التوبة: آية (٥، ٦).
(٢) تفسير الطبري (٩/ ٢٥) ١٠٠٧٤.
(٣) سورة النحل: آية (١٠٦).
(٤) سورة النحل: آية (١١٠)، والأثر في تفسير الطبري (١٤/ ١٨٤)، والدر المنثور (٥/ ١٧١).
(٥) سورة الأحقاف: آية (٩).
(٦) سورة الفتح: آية (١).
(٧) تفسير الطبري (٢٦/ ٧)، وزاد المسير (٧/ ٣٧٣)، والدر المنثور (٧/ ٧٣٦).
(٨) سورة المائدة: آية (٣٣).
(٩) سورة المائدة: آية (٣٤).
(١٠) الناسخ والمنسوخ، لابن شهاب الزهري (٣٦).

أنواع النسخ عند التابعين:

لقد أثبت التابعون أنواع النسخ الثلاثة، وهي نسخ التلاوة والحكم، ونسخ الحكم دون التلاوة، ونسخ التلاوة دون الحكم.

إلا أن النوع الأخير لم يظهر كثيراً في رواياتهم، فقلَّ النقل عنهم فيه، وأكثر الأنواع التي نقلت عنهم هو نسخ الحكم مع بقاء التلاوة، ولعل سبب ما تقدم هو اتساع معنى النسخ عند التابعين.

فمما جاء عنهم في بيان نسخ التلاوة والحكم معًا:

ما جاء عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[١]، قال: كان عبيد بن عمير يقول: (ننسها): نرفعها من عندكم[٢].

وعن السدي: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾، أما نسخها فقبضها[٣].

وعن قتادة قال: كان ينسخ الآية بالآية بعدها، ويقرأ نبي الله ﷺ الآية، أو أكثر من ذلك، ثم تنسى وترفع[٤].

وعن الحسن قال فيها: إن نبيكم ﷺ أقرئ قرآنًا، ثم نسيه[٥].

ومما جاء في إثبات نسخ الحكم دون التلاوة:

ما جاء عن الحسن أنه قال في الآية السابقة: ومن القرآن ما قد نسخ وأنتم

---

(١) سورة البقرة: آية (١٠٦).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٤) ١٧٥٣، والناسخ والمنسوخ لأبي عبيد (٩) ١٠، والدر المنثور (١/ ٢٥٥).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٣) ١٧٤٦.

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٤) ١٧٥١، ١٧٥٢.

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٥) ١٧٥٤.

تقرأونه[١].

وعن مجاهد أيضًا قال: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾، قال: نثبت خطها، ونبدل حكمها[٢].

وعن ابن أبي نجيح، عن أصحاب ابن مسعود في قوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾: أي نثبت خطها، ونبدل حكمها[٣].

ومما جاء عنهم في بيان نسخ التلاوة دون الحكم:

ما أسنده قتادة عن أنس قال: إن أولئك السبعين من الأنصار الذين قتلوا ببئر معونة، قرأنا بهم وفيهم كتابًا: (بلّغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا)، ثم إنّ ذلك رُفِع[٤].

وعن سعيد بن المسيب، عن عمر قال: إياكم أن تهلكوا عند آية الرجم، أن يقول قائل: لا نجد حدين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا، والذي نفسي بيده، لولا أن يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى، لكتبتها (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة)، فإنا قد قرأناها[٥].

وقد اشتغل التابعون بطرق النسخ أيضًا، إلا أن أكثر الطرق ورودًا في تفسيرهم هو نسخ القرآن بالقرآن.

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٢) ١٧٤٥، ١٧٤٩.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٣) ١٧٤٩، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣٢٢) ١٠٦٢.

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٣) ١٧٤٨، وتفسير مجاهد (١/ ٨٥).

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٤٧٨) ١٧٦٩، والحديث أصله في الصحيحين من رواية إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة، ينظر فتح الباري((٧/ ٤٤٥، ٤٥٠).

(٥) رواه مالك في الموطأ في كتاب الحدود، باب ما جاء في الرجم (٢/ ٨٢٤).

وقد جاء عنهم أيضًا نسخ السنة بالقرآن، فمن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾[١]، فعن عطاء: كان عليهم الصيام ثلاثة أيام من كل شهر، ولم يسمّ الشهر أيامًا معدودات، قال: وكان هذا صيام الناس قبل، ثم فرض الله عز وجل على الناس شهر رمضان[٢].

وعن قتادة قال: قد كتب الله ـ تعالى ذكره ـ على الناس قبل أن ينزل رمضان: صوم ثلاثة أيام من كل شهر[٣].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[٤]، قال ابن سيرين: إنها ناسخة لفعل النبي بالعرنيين[٥].

أما مسألة نسخ الكتاب بالسنة فلم أجد آثارًا كثيرة تدل عليها صراحة، ولكن جاء عن قتادة في قوله سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[٦]، قال: فجعلت الوصية للوالدين والأقربين، ثم نسخ ذلك بعد ذلك، فجعل لهما نصيب مفروض، فصارت الوصية لذوي القرابة الذين لا يرثون، وجعل للوالدين نصيب معلوم، ولا تجوز وصية لوارث[٧].

فآخر الأثر هو معنى الحديث المشهور «لا وصية لوارث»[٨]، فكأنه أشار إلى النسخ

---

(١) سورة البقرة: آية (١٨٤).

(٢) تفسير الطبري ٣/ ٤١٤ (٢٧٢٧).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٤١٥) ٢٧٣٠.

(٤) سورة المائدة: آية (٣٣).

(٥) وقريب من ذلك قول الحسن، ينظر الإيضاح لمكي (٢٧٠)، وفتح القدير (٢/ ٣٤).

(٦) سورة البقرة: آية (١٨٠).

(٧) تفسير الطبري (٣/ ٣٨٨) ٢٦٤٠.

(٨) مسند الطيالسي (١٦٩) ١٣١٧، وسنن الدارمي (٢/ ٤١٩)، وسنن الترمذي (٤/ ٤٣٤) ٢١٢١، وسنن ابن ماجه (٢/ ٩٠٥) ٢٧١٢.

بذلك، إلا أنه قد وردت عنه رواية أخرى قال فيها: فأمر أن يوصي لوالديه وأقربيه، ثم نسخ بعد ذلك في سورة النساء، فجعل للوالدين نصيبًا معلومًا، فألحق لكل ذي ميراث نصيبه منه[١].

فدلَّ هذا الأثر الأخير صراحة على أن الناسخ عنده هو القرآن لا السنة[٢].

وقد وجدت في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾[٣]، قال عطاء: منسوخ بقوله ﷺ: «لا يجمع بين المرأة وعمتها» الحديث[٤].

على أي شيء يقع النسخ:

قال هبة الله بن سلامة: قال مجاهد، وسعيد بن جبير: لا يدخل النسخ إلا على الأمر والنهي فقط، افعلوا ولا تفعلوا[٥].

يعني أن الأخبار غير قابلة للنسخ؛ لأنها حق ثابت لا يتغير، ويخرج من ذلك الأوامر والنواهي التي جاءت بصيغة الخبر؛ لأنها في حقيقتها أوامر لا أخبار، وإنما خرجت مخرج الخبر تأكيدًا للأمر، وتثبيتًا له.

المدارس التفسيرية والنسخ:

مع أن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يعد من أكثر الصحابة توسعًا في القول

(١) الناسخ والمنسوخ لقتادة (٣٥).

(٢) يراجع في مسألة نسخ القرآن بالسنة مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٧/ ١٩٧ ـ ١٩٩)، (٢٠/ ٣٩٦ ـ ٣٩٩).

(٣) سورة النساء: آية (٢٤).

(٤) صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب لا تنكح المرأة على عمتها، ينظر: الفتح (٩/ ١٦٠) ٥١٠٩، وصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها (٢/ ١٠٢٨)، وسنن النسائي (٦/ ٩٦)، والسنن الكبرى للبيهقي (٧/ ١٦٥)، وسنن الدارمي (٢/ ١٣٦).

(٥) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (٨)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (٣)، والنسخ في القرآن لمصطفى زيد (١/ ٣٥٩).

بالنسخ، إلا أن الغريب أن تلاميذ المدرسة المكية لم يتابعوه في توسعه هذا، ولا سيما مجاهد، وعطاء[١]، وقد يرجع سبب عدم توسع مجاهد إلى تأثره بالمدرسة الكوفية التي ضيقت دائرة النسخ، وقالت بإحكام الكثير من الآيات التي عدّها البعض منسوخة، ولا سيما ما كان من الشعبي، والنخعي[٢].

أما المدرسة البصرية فقد توسع قتادة في القول بالنسخ، وكذلك المدرسة المدنية، توسع سعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم، ولعل السبب في ذلك هو أن القول بالنسخ يعتمد كثيراً على الرواية، ومعرفة التاريخ، وكان قتادة وكذلك سعيد بن المسيب من الحفاظ الذين لا يخفى عليهم ذلك، يضاف كذلك إلى قتادة أنه كان يميل للمنهج الوعظي، فتوسع في القول بالنسخ لكثير من آيات العفو، والصفح، ويعد المتأخرون من التابعين من المتوسعين في مسألة النسخ كما يظهر ذلك من مرويات السدي، وقتادة، والزهري، حتى إن ابن الجوزي عاب السدي على هذا التوسع[٣].

ولأجل توسع قتادة في مسألة الناسخ والمنسوخ، لا نعجب حين نعلم أنه أول من ألف فيه كتاباً مستقلاً[٤].

وكذلك لا غرو أنه يجعل بعض الآيات ناسخة منسوخة، فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[٥]، قال: قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ

(١) النسخ لمصطفى زيد (١/ ٣٥٩).
(٢) يراجع في جعل النخعي الكثير من الآيات محكمة ما جاء في تفسير الطبري في الآثار ذوات الرقم (٨٦٦٠، ٨٦٦٣، ٨٦٦٦).
(٣) نواسخ القرآن لابن الجوزي (٧٦).
(٤) البرهان (٢/ ٢٨).
(٥) سورة البقرة: آية (١٩١).

﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[١]، قال: أي حيث أدركتموهم في الحل والحرم، صارت هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[٢]، ثم نسختها آية السيف في براءة، فهي ناسخة منسوخة[٣].

وربما تمر الآية ولا يصرح بنسخها إلا قتادة، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[٤]، قال قتادة: جعل عدة المطلقات ثلاث حيض، ثم نُسخ منها المطلقة التي طُلِّقت قبل أن يدخل بها زوجها، واللائي يئسن من المحيض واللائي لم يحضن، والحامل[٥].

كيفية تناول التابعين للنسخ:

ليس المقصود هنا تكرار نقول عن التابعين في مسألة النسخ، وإنما المقصود هنا بيان ملامح ونكات في معرفتهم بالناسخ والمنسوخ.

فمن ذلك معرفتهم بأول الآيات التي نسخت في القرآن، فعن عكرمة والحسن قالا: أول ما نسخ من القرآن: القبلة[٦].

ومن ذلك دقتهم في معرفة المنسوخ من الآيات من بين آيات السورة كلها.

فعن مجاهد قال: لم ينسخ من (المائدة) إلا هاتان الآيتان: ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[٧]، نسختها: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾[٨]،

---

(١)، (٢) سورة البقرة: آية (١٩١).

(٣) تفسير عبد الرزاق (١/ ٧٣)، وزاد المسير (١/ ١٩٩)، وتفسير البغوي (١/ ١٦٢).

(٤) سورة البقرة: آية (٢٢٨).

(٥) تفسير الطبري (٤/ ٥٠٠) ٤٦٦٨، والدر المنثور (١/ ٦٥٧).

(٦) تفسير الطبري (٣/ ١٣٨) ٢١٥٨، والدر المنثور (١/ ٣٤٣).

(٧) سورة المائدة: آية (٤٢).

(٨) سورة المائدة: آية (٤٩).

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾[١]، نسختها: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[٢].

وفي المقابل نجد الشعبي يقول: لم ينسخ من المائدة إلا هذه الآية: ﴿لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾[٣]، ويحدد قتادة الناسخ فيقول: ﴿آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ نسختها براءة[٤]، ويراها أبو ميسرة محكمة كلها فيقول: آخر سورة أنزلت سورة المائدة، وإن فيها لسبع عشرة فريضة، وفي رواية: فيها ثمان عشرة فريضة ليس في سورة من القرآن غيرها، وليس فيها منسوخ[٥].

ومن ذلك أيضًا تناول مسألة النسخ مقرونة بالحكمة، ففي قوله تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[٦]، ينبه قتادة على حكمة النسخ فيقول: فيها تخفيف، وفيها رحمة، وفي رواية: فيها تخفيف وفيها رخصة[٧]، ويعبر عن الحكمة في موضع آخر بعبارات لطيفة، فيقول في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[٨]: قال: ثم أنزل التخفيف واليسر، وعاد بعائدته ورحمته على ما يعلم من ضعف خلقه، فقال: ﴿فَاتَّقُوا

---

(١) سورة المائدة: آية (٢).

(٢) سورة التوبة: آية (٥)، والأثر أخرجه الطبري (١٠/ ٣٣١) ١١٩٨٩، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٣١٠)، وزاد المسير (٢/ ٣٦١).

(٣) سورة المائدة: آية (٢)، والأثر أخرجه الطبري (٩/ ٤٧٥) ١٠٩٦٤، وينظر زاد المسير (٢/ ٢٧٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٢٥١).

(٤) تفسير الطبري (٩/ ٤٧٧) ١٠٩٧٢، وزاد المسير (٢/ ٢٧٨)، والدر المنثور (٣/ ٨).

(٥) فضائل القرآن لأبي عبيد (١٢٩)، وكذا فيه عن الحسن، الدر المنثور (٣/ ٤).

(٦) سورة البقرة: آية (١٠٦).

(٧) تفسير الطبري (٢/ ٤٨١) ١٧٧٢، تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٥)، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٥٥).

(٨) سورة آل عمران: آية (١٠٢).

﴿اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[١]، فجاءت هذه الآية فيها تخفيف وعافية ويسر[٢].

الآيات التي ورد عنهم القول فيها بالنسخ:

وفيما يلي سرد سريع للآيات التي وقفت على قول للتابعين، أو لشيوخهم، أو لتلاميذهم بأنها منسوخة، مرتبة حسب ترتيب السور.

سورة البقرة

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾[٣]، الجمهور على أنها محكمة، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: إنها منسوخة بقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا...﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا...﴾[٥]، هي محكمة عند عطاء[٦]، ومنسوخة عند قتادة.

والناسخ آية السيف[٧].

وقوله تعالى: ﴿لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾[٨].

ناسخة لما كان يقول الأنصار في الجاهلية، وفي أول الإسلام، حيث كانوا يقولون

---

(١) سورة التغابن: آية (١٦).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٦٨) ٧٥٥٦، ومعاني القرآن للنحاس (١/ ٤٥١)، وزاد المسير (١/ ٤٣٢).

(٣) سورة البقرة: آية (٦٢).

(٤) سورة آل عمران: آية (٨٥)، وينظر الناسخ والمنسوخ لمكي بن أبي طالب (١٢٣).

(٥) سورة البقرة: آية (٨٣).

(٦) الناسخ والمنسوخ لمكي (١٢٤)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (٣٠).

(٧) الناسخ والمنسوخ لمكي (١٢٤)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (٢٠).

(٨) سورة البقرة: آية (١٠٤).

للنبي ﷺ: راعنا سمعك، وكانت الكلمة عند اليهود سبًا، وبه قال عطاء ومجاهد[١].

وقوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾[٢].

منسوخة بالقتال عند السدي[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[٤].

محكمة: ونسخت التوجه لبيت المقدس، وهو قول مجاهد، أو هي مخصوصة فيمن جهل القبلة، وهو قول النخعي.

ومنسوخة: وبه قال قتادة، ورواية عن ابن عباس[٥].

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾[٦].

محكمة: وهي مخصوصة في قوم بأعيانهم، وبه قال الشعبي، والسدي.

منسوخة: والناسخ آية المائدة، وهو مروي عن ابن عباس[٧].

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[٨].

محكمة: وبه قال الشعبي، والنخعي، ومجاهد، والوصية مندوبة.

منسوخة: والناسخ آية المواريث، وبه قال الحسن، وعطاء، ومجاهد، وزيد بن

---

(١) الناسخ لمكي (١٢٥)، و الناسخ للنحاس (٣١) قال مكي: وقد كان حق هذا ألا يذكر في الناسخ؛ لأنه لم ينسخ قرآنًا؛ إنما نسخ ما كانوا عليه، وأكثر القرآن على ذلك.

(٢) سورة البقرة: آية (١٠٩).

(٣) الناسخ لمكي (١٢٥)، والناسخ للنحاس (٣٢).

(٤) سورة البقرة: آية (١١٥).

(٥) الناسخ والمنسوخ لمكي (١٣١)، والناسخ للنحاس (١٦).

(٦) سورة البقرة: آية (١٧٨).

(٧) الناسخ لمكي (١٣٤، ١٣٥)، والناسخ للنحاس (٢٠).

(٨) سورة البقرة: آية (١٨٠).

أسلم[١].

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[٢].

محكمة: وناسخة لما فرض على من كان قبلنا، وهو ثلاثة أيام، وبه قال عطاء، وقتادة.

منسوخة: بشهر رمضان، وبه قال أبو العالية، والسدي[٣].

قوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾[٤].

محكمة: وبه قال الشعبي، والحسن، ومجاهد[٥].

وعن ابن عباس ﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ يعني بذلك الذي فعل عمر، فأنزل الله عفوه فقال: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ اهـ. فكأنه رآها منسوخة[٦].

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[٧].

محكمة: على قراءة (يطوقونه)، وبه قال مجاهد، وابن جبير، وعطاء، وعكرمة.

منسوخة: والناسخ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٨]، وبه قال عكرمة، والحسن، وعطاء، وقتادة[٩].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[١٠].

---

(١) الناسخ لمكي (١٤٢)، والناسخ للنحاس (٢٣).
(٢) سورة البقرة: آية (١٨٣).
(٣) الناسخ لمكي (١٤٧)، والناسخ للنحاس (٢٥).
(٤) سورة البقرة: آية (١٨٧).
(٥) الناسخ لمكي (١٤٨).
(٦) الدر المنثور (١/ ٤٧٦).
(٧) سورة البقرة: آية (١٨٤).
(٨) سورة البقرة: آية (١٨٥).
(٩) الناسخ لمكي (١٥٠-١٥٢).
(١٠) سورة البقرة: آية (١٩٠).

محكمة: ومخصوصة في النهي عن قتال الصبيان، وبالإحكام قال ابن عباس، ومجاهد.

منسوخة: والناسخ الأمر بالقتال، وبه قال ابن زيد[١].

قوله تعالى: ﴿وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾[٢].

محكمة: وبه قال مجاهد، وطاوس، وقال: إنها مخصوصة في النهي عن القتال في الحرم.

منسوخة: والناسخ قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[٣]، وبه قال قتادة[٤].

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾[٥].

محكمة: وبه قال عطاء، ومجاهد.

منسوخة: لأنها للسلطان، ولا يجوز لأحد أن يقتص ممن اعتدى عليه، وبه قال ابن عباس[٦].

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾[٧].

محكمة، وبه قال عطاء، ومجاهد.

منسوخة: وبه قال ابن عباس، وقتادة، وابن المسيب[٨].

---

(١) الناسخ لمكي (١٥٥)، والناسخ للنحاس (٣٣).
(٢) سورة البقرة: آية (١٩١).
(٣) سورة البقرة: آية (١٩٣).
(٤) الناسخ لمكي (١٥٧)، والناسخ للنحاس (٣٤).
(٥) سورة البقرة: آية (١٩٤).
(٦) الناسخ لمكي (١٥٨، ١٥٩)، والناسخ للنحاس (٣٦).
(٧) سورة البقرة: آية (٢١٧).
(٨) الناسخ لمكي (١٦٠)، والناسخ للنحاس (٣٩).

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾[١].

محكمة: ومخصصة في التطوع، وبه قال الحسن، وعطاء، ومجاهد، والربيع، وقتادة.

منسوخة: وبه قال ابن عباس، وقال الضحاك: نسخت الزكاة كل صدقة في القرآن[٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾[٣].

محكمة: مبينة آية المائدة في جواز نكاح الكتابيات، وبه قال قتادة، وابن جبير.

منسوخة: نسخ منها نساء أهل الكتاب، وبه قال الحسن، وعكرمة[٤].

قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[٥].

محكمة: واستثنى ابن عباس التي لم يدخل بها، واليائسة، والحامل، وعبر عن ذلك قتادة بالنسخ[٦].

قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[٧].

ناسخة: وبه قال قتادة، وقال: نسخت ما كان قبل، وجعل الله حد الطلاق ثلاثًا[٨].

---

(١) سورة البقرة: آية (٢١٩).
(٢) الناسخ لمكي (١٦٨، ١٦٩)، والناسخ للنحاس (٦٧).
(٣) سورة البقرة: آية (٢٢١).
(٤) الناسخ لمكي (١٦٥، ١٧٢).
(٥) سورة البقرة: آية (٢٢٨).
(٦) الناسخ لمكي (١٧٦)، والناسخ للنحاس (٧٦).
(٧) سورة البقرة: آية (٢٢٩).
(٨) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٨١).

قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾[١].

أكثر الناس على أنه مُحكم أباح به التعريض بالنكاح للمُعتدة.

منسوخة: وبه قال ابن زيد، والناسخ قوله: ﴿وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[٣].

محكمة: قال ابن المسيب: كانت المتعة واجبة لمن لم يُدخل بها من النساء، بقوله في الأحزاب: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾، فنسخ بقوله: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾[٤].

قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[٥].

محكمة: وبه قال الشعبي، وذكر أنها نزلت في قوم بأعيانهم[٦].

سورة النساء

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾[٧].

منسوخة بالحدود في سورة النور، وبه قال قتادة[٨].

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٣٥).
(٢) الناسخ لمكي (١٨٤، ١٨٥)، والناسخ للنحاس (٨٨).
(٣) سورة البقرة: آية (٢٣٦).
(٤) سورة البقرة: آية (٢٣٧)، وينظر الناسخ والمنسوخ لمكي (١٨٦).
(٥) سورة البقرة: آية (٢٥٦).
(٦) الناسخ والمنسوخ لمكي (١٩٤).
(٧) سورة النساء: آية (١٥).
(٨) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢١٥).

قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾[١].

منسوخة: وبه قال عطاء، والناسخ قوله ﷺ: «لا يجمع بين المرأة وعمتها»[٢].

قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[٣].

منسوخة: وبه قال ابن عباس، وعائشة، والقاسم، وعروة، وابن المسيب، والسدي[٤].

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾[٥].

محكمة: ونسخت التوارث بالأخوة، وبه قال ابن جبير، ومجاهد، وقتادة.

منسوخة: وبه قال ابن المسيب، والناسخ قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾[٦].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾[٧].

منسوخة بتحريم الخمر، قاله عكرمة[٨].

قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾[٩].

---

(١) سورة النساء: آية (٢٤).
(٢) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢١٨).
(٣) سورة النساء: آية (٢٤).
(٤) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٢١).
(٥) سورة النساء: آية (٣٣).
(٦) سورة الأنفال: آية (٧٥)، وينظر الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٢٧).
(٧) سورة النساء: آية (٤٣).
(٨) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٢٩).
(٩) سورة النساء: آية (٩٠).

منسوخة: وبه قال ابن عباس، وقتادة، والناسخ آية السيف[١].

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾[٢].

منسوخة: وبه قال عطاء[٣].

سورة المائدة

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾[٤].

منسوخ بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، وبه قال مجاهد، وابن زيد، والسدي، والشعبي، وقتادة.

محكمة: وبه قال مجاهد، وقال: لم ينسخ من المائدة إلا القلائد.

وقال الشعبي: نسخ من هذه السورة خمسة أحكام: ﴿لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾[٥].

قوله تعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾[٦].

محكمة: وبه قال الجمهور، وهي مخصوصة في مطالبة المسلمين بعدم الاعتداء على المشركين؛ لأجل بغضهم لهم يوم ردُّوهم عام الحديبية.

---

(١) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٣٠).
(٢) سورة النساء: آية (٩٢).
(٣) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٣١).
(٤) سورة المائدة: آية (٢).
(٥) والآية من سورة المائدة (٢)، وينظر الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٥٥).
(٦) سورة المائدة: آية (٢).

منسوخة: وبه قال ابن زيد[١].

قوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾[٢].

منسوخة: وبه قال ابن عباس، وقتادة، والناسخ آية السيف: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[٤].

محكمة: وناسخة لفعل النبي ﷺ بالعرنيين، وبه قال ابن سيرين، وقريب منه قول الحسن[٥].

قوله تعالى: ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[٦].

محكمة: وبه قال عطاء، والحسن، والشعبي، والنخعي.

منسوخة: وبه قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والزهري، وعمر بن عبد العزيز، وعطاء، والناسخ قوله تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾[٧].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[٨].

محكمة: وبه قال ابن مسعود[٩].

وقيل: بأن آية السيف ناسخة لمثل هذا، وأن حكم المسايفة ناسخ لحكم المسالمة[١٠].

---

(١) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٦٠).
(٢) سورة المائدة: آية (١٣).
(٣) الآية من سورة التوبة (٢٩)، وينظر الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٦٩).
(٤) سورة المائدة: آية (٣٣).
(٥) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٧٠).
(٦) سورة المائدة: آية (٤٢).
(٧) والآية من سورة المائدة (٤٨)، وينظر الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٧٢).
(٨) سورة المائدة: آية (١٠٥).
(٩) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٧٤).
(١٠) البرهان (٢/ ٤٣، ٤٤).

سورة الأنعام

قوله تعالى: ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[١].

منسوخة بآية السيف، وبه قال ابن عباس[٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[٣].

منسوخة: وبه قال ابن عباس، والناسخ قوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾[٤].

قوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾[٥].

منسوخة: وبه قال قتادة، والناسخ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾[٦].

قوله تعالى: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾[٧].

منسوخة بآية الزكاة، وبه قال ابن جبير، وعكرمة، ومن أتباعهم الضحاك، وقال: نسخت الزكاة كل صدقة في القرآن.

منسوخة: بالسنة في إيجاب العشر، وبه قال ابن عباس.

محكمة: والمراد بها الزكاة، وبه قال أنس، والحسن، وابن المسيب، وجابر

---

(١) سورة الأنعام: آية (٦٦).
(٢) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٨١).
(٣) سورة الأنعام: آية (٦٩).
(٤) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٨٢)، والآية من سورة النساء (١٤٠).
(٥) سورة الأنعام: آية (٧٠).
(٦) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٨٢)، والآية من سورة التوبة (٥).
(٧) سورة الأنعام: آية (١٤١).

ابن زيد، وعطاء، وقتادة، وزيد بن أسلم، ومجاهد[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[٢].

منسوخة بآية السيف، وبه قال ابن عباس[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾[٤].

محكمة: وبه قال الحسن، وابن سيرين، والشعبي، وابن جبير.

منسوخة: وبه قال عكرمة، وعطاء، ومكحول، والناسخ قوله: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾[٥].

قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾[٦].

محكمة: وبه قال الشعبي، وابن جبير.

منسوخة: وبه قال الزهري، والناسخ تحريم الحُمر، وكل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير[٧].

---

(١) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٨٣).

(٢) سورة الأنعام: آية (١٠٦).

(٣) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٨٦).

(٤) سورة الأنعام: آية (١٢١).

(٥) سورة المائدة: آية (٥)، الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٨٧).

(٦) سورة الأنعام: آية (١٤٥).

(٧) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٨٨).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[١].

منسوخة: وبه قال قتادة، والناسخ: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾[٢].

سورة الأعراف

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[٣].

منسوخة بالقتال، وبه قال ابن زيد[٤].

قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٥].

محكمة: وبه قال مجاهد، والقاسم، وسالم، وعروة بن الزبير.

منسوخة: والناسخ الزكاة، وبه قال ابن عباس.

وقيل: والناسخ الغلظة، وبه قال ابن زيد.

وقيل: الناسخ القتال، وهو مروي عن ابن زيد أيضًا[٦].

سورة الأنفال

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ﴾[٧].

محكمة: وبه قال عطاء، والحسن، ومجاهد.

---

(١) سورة الأنعام: آية (١٥٢).
(٢) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٨٩)، والآية من سورة البقرة رقم (٢٢٠).
(٣) سورة الأعراف: آية (١٨٠).
(٤) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٩١).
(٥) سورة الأعراف: آية (١٩٩).
(٦) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣).
(٧) سورة الأنفال: آية (١).

منسوخة: وبه قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والناسخ قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾[٢].

محكمة: وبه قال ابن عباس.

منسوخة: وبه قال عطاء[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[٤].

محكمة، وبه قال مجاهد، والضحاك.

منسوخة: وبه قال الحسن، والناسخ قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾[٥].

قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾[٦].

محكمة: وناسخة لقوله: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾، وبه قال قتادة[٧].

قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾[٨].

منسوخة بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، وبه قال قتادة.

---

(١) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٩٥).
(٢) سورة الأنفال: آية (١٦).
(٣) الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٩٧).
(٤) سورة الأنفال: آية (٣٣).
(٥) سورة الأنفال: آية (٣٤)، وينظر الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٩٨، ٢٩٩).
(٦) سورة الأنفال: آية (٤١).
(٧) سورة الحشر: آية (٧)، وينظر الناسخ والمنسوخ لمكي (٢٩٩).
(٨) سورة الأنفال: آية (٦١).

وقيل: منسوخة بقوله: ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾، وبه قال ابن عباس[١].

قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾[٢].

منسوخ بالتخفيف، وبه قال ابن عباس[٣].

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾[٤].

منسوخ بقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾، وبه قال ابن عباس[٥].

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾[٦].

منسوخة: وبه قال قتادة، والناسخ قوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾[٧].

سورة التوبة

قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾[٨].

محكمة: وناسخة للعهود بعيدة الأجل، وبه قال مجاهد، والسدي[٩].

---

(١) سورة محمد: آية (٣٥)، والناسخ والمنسوخ لمكي (٣٠٠).
(٢) سورة الأنفال: آية (٦٥).
(٣) الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٠٠).
(٤) سورة الأنفال: آية (٦٧).
(٥) الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٠١).
(٦) سورة الأنفال: آية (٧٢).
(٧) سورة الأنفال: آية (٧٥)، وينظر الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٠٤).
(٨) سورة التوبة: آية (١).
(٩) الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٠٧).

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾[١].

محكمة: وبه قال قتادة.

منسوخة بقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾.

وبه قال الحسن، وعطاء، والسدي، والضحاك[٢].

قوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾[٣].

منسوخة بقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِينفِرُوا كَافَّةً﴾.

وبه قال ابن عباس، وعكرمة[٤].

قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[٥].

منسوخة: وبه قال ابن عباس، والحسن، وعكرمة.

والناسخ قوله: ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾[٦].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ...﴾[٧].

محكمة: نسخت كل صدقة في القرآن، وبه قال عكرمة، والقاسم، وسالم[٨].

---

(١) سورة التوبة: آية (٥).
(٢) سورة محمد: آية (٤)، والناسخ والمنسوخ لمكي (٣٠٩).
(٣) سورة التوبة: آية (٤١).
(٤) الناسخ والمنسوخ لمكي (٣١٠).
(٥) سورة التوبة: آية (٤٣).
(٦) سورة النور: آية (٦٢)، وينظر الناسخ والمنسوخ لمكي (٣١٦).
(٧) سورة التوبة: آية (٦٠).
(٨) الناسخ والمنسوخ لمكي (٣١٧).

قوله تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾[١].

منسوخة بقوله: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ﴾، وبه قال ابن عباس[٢].

سورة يونس

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ﴾[٣].

منسوخ: بالأمر بالقتال في براءة، وبه قال ابن زيد[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ﴾[٥].

منسوخ: بالأمر بالقتال، وبه قال ابن زيد[٦].

سورة هود

قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾[٧].

منسوخة بقوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ ﴾، وبه قال ابن عباس، والضحاك[٨].

سورة الحجر

قوله تعالى: ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾[٩].

---

(١) سورة التوبة: آية (٨٠).

(٢) سورة المنافقون: آية (٦)، وينظر الناسخ والمنسوخ لمكي (٣١٩).

(٣) سورة يونس: آية (٤١).

(٤) الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٢٣).

(٥) سورة يونس: آية (١٠٩).

(٦) الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٢٣).

(٧) سورة هود: آية (١٥).

(٨) سورة الإسراء: آية (١٨)، وينظر الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٢٥).

(٩) سورة الحجر: آية (٨٥).

منسوخة بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾، وبه قال قتادة، و ابن جبير[١].

سورة الإسراء

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾[٢].

منسوخة: وبه قال مجاهد، قال: كانوا في مشقة وجهد حتى نزل قوله: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾[٣]. يريد أنه نسخ بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[٤].

منسوخة بقوله: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾.

وبه قال ابن عباس[٥].

سورة طه

قوله تعالى: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾[٦].

محكمة: وناسخ لفرض قيام الليل، ونَسَختها الفرائض، وبه قال مجاهد[٧].

سورة الحج

قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾[٨].

منسوخة بقوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ...﴾، وبه قال ابن زيد[٩].

---

(١) الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٢٩).
(٢) سورة الإسراء: آية (٣٤).
(٣) سورة البقرة: آية (٢٢٠)، وينظر الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٣٩).
(٤) سورة الإسراء: آية (١١٠).
(٥) سورة الأعراف: آية (٢٠٥)، وينظر الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٤٠).
(٦) سورة طه: آية (٢).
(٧) الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٤٧).
(٨) سورة الحج: آية (٣٩).
(٩) سورة الأعراف: آية (١٨٠)، وينظر الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٥٥).

سورة النور

قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾[١].

محكمة: وبه قال الحسن، ومجاهد.

منسوخة: وبه قال ابن المسيب، والناسخ قوله: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾، فدخلت الزانية في الأيامى[٢].

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾[٣].

منسوخة بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ...﴾، وبه قال ابن عباس[٤].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾[٥].

منسوخة بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾[٦].

قوله تعالى: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[٧].

منسوخة بقوله: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾، وبه قال ابن عباس[٨].

---

(١) سورة النور: آية (٣).
(٢) سورة النور: آية (٣٢)، وينظر الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٥٩، ٣٦٠).
(٣) سورة النور: آية (٤).
(٤) سورة النور: آية (٦)، وينظر الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٦٣).
(٥) سورة النور: آية (٢٧).
(٦) سورة النور: آية (٢٩)، وينظر الناسخ و المنسوخ لمكي (٣٦٥).
(٧) سورة النور: آية (٣١).
(٨) الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٦٦).

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾[١].

محكمة: وبه قال الشعبي، قيل له: إن الناس لا يعملون به. قال: الله المستعان.

منسوخة: وبه قال ابن عباس، وابن المسيب، قال ابن عباس: نسخه بأن البيوت أصبح لها ستور[٢].

سورة الشعراء

قوله تعالى: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾[٣].

منسوخ بقوله: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾، قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ[٤].

سورة القصص

قوله تعالى: ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾[٥].

محكمة: وبه قال مجاهد[٦].

وقيل: هذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال، ذكره البغوي في تفسيره[٧].

سورة العنكبوت

قوله تعالى: ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٨].

محكمة: وبه قال مجاهد، وابن زيد، وقال: يجاهد ذوو العهد.

---

(١) سورة النور: آية (٥٨).
(٢) الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٦٧، ٣٦٨).
(٣) سورة الشعراء: آية (٢٢٤).
(٤) الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٧٣).
(٥) سورة القصص: آية (٥٥).
(٦) الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٧٥).
(٧) تفسير البغوي (٦/ ٢١٥).
(٨) سورة العنكبوت: آية (٤٦).

منسوخة: وبه قال قتادة، والناسخ قوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾[١].

سورة الأحزاب

قوله تعالى: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾[٢].

محكمة: وبه قال الحسن، وابن سيرين.

منسوخة: وبه قال علي، وابن عباس، والضحاك[٣].

سورة ص

قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ﴾[٤].

محكمة: وبه قال مجاهد، وعطاء[٥].

وعن ابن عباس: «ولا يجوز ذلك لأحد بعد أيوب إلا الأنبياء عليهم السلام»[٦].

سورة الزمر

قوله تعالى: ﴿إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٧].

منسوخة بآية السيف، وبه قال ابن عباس[٨].

سورة الشورى

قوله تعالى: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾[٩].

---

(١) سورة التوبة: آية (٢٩)، و ينظر الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٧٧).

(٢) سورة الأحزاب: آية (٥٢).

(٣) الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٨٦).

(٤) سورة ص: آية (٤٤).

(٥) الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٩٣).

(٦) الدر المنثور (٧/ ١٩٦).

(٧) سورة الزمر: آية (٣٩).

(٨) الناسخ والمنسوخ لمكي (٣٩٧).

(٩) سورة الشورى: آية (١٥).

منسوخ: وبه قال ابن عباس، ومجاهد.

والناسخ قوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾[١].

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾[٢].

منسوخة بقوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[٣].

وبه قال ابن عباس، وهو نسخ المكي بالمكي[٤].

قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٥].

منسوخة بقوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾[٦]، وبه قال ابن عباس، وزيد بن أسلم، وهو من نسخ المكي بالمكي[٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾[٨].

منسوخة: وبه قال ابن زيد[٩].

سورة الزخرف

قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ﴾[١٠].

---

(١) سورة التوبة: آية (٢٩)، وينظر الناسخ والمنسوخ لمكي (٤٠٣).
(٢) سورة الشورى: آية (٢٠).
(٣) سورة الإسراء: آية (١٨).
(٤) الناسخ والمنسوخ لمكي (٤٠٤).
(٥) سورة الشورى: آية (٢٣).
(٦) سورة سبأ: آية (٤٧).
(٧) الناسخ والمنسوخ لمكي (٤٠٥).
(٨) سورة الشورى: آية (٤٢).
(٩) الناسخ والمنسوخ لمكي (٤٠٦).
(١٠) سورة الزخرف: آية (٨٩).

منسوخة بالأمر بالقتال، وبه قال ابن عباس، وقتادة[١].

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾[٢].

منسوخة: وبه قال قتادة[٣].

سورة الأحقاف

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾[٤].

محكمة: وبه قال الحسن.

منسوخة بقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، وبه قال ابن عباس[٥].

سورة محمد

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾[٦].

محكمة: وبه قال عطاء، والضحاك.

منسوخة بقتل الأسارى، وبه قال السدي[٧].

سورة الذاريات

قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[٨].

---

(١) الناسخ والمنسوخ لمكي (٤٠٧).
(٢) سورة الجاثية: آية (١٤).
(٣) الناسخ والمنسوخ لمكي (٤٠٩).
(٤) سورة الأحقاف: آية (٩).
(٥) الناسخ والمنسوخ لمكي (٤١١).
(٦) سورة محمد: آية (٤).
(٧) الناسخ والمنسوخ لمكي (٤١٤).
(٨) سورة الذاريات: آية (١٩).

محكمة: وبه قال النخعي، والحسن؛ لحديث: «وفي المال حق سوى الزكاة».

منسوخة بالزكاة، وبه قال الضحاك[١].

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾[٢].

منسوخ، وبه قال الضحاك[٣].

سورة الحشر

قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾[٤].

منسوخة: وبه قال قتادة.

والناسخ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ...﴾[٥].

سورة الممتحنة

قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾[٦].

محكمة: وبه قال مجاهد، والحسن.

---

(١) الناسخ والمنسوخ لمكي (٤١٩).

(٢) سورة الذاريات: آية (٥٤).

(٣) الناسخ والمنسوخ لمكي (٤١٩).

(٤) سورة الحشر: آية (٧).

(٥) الناسخ والمنسوخ لمكي (٤٢٩)، والآية في سورة الأنفال رقم (٤١).

(٦) سورة الممتحنة: آية (٨).

منسوخة بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾، وبه قال قتادة، وابن زيد، وقالا متوسعين في النسخ: نسخت هذه الأحكام التي في هذه السورة براءة، وأمر النبي ﷺ بنبذ عهودهم[١].

قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾[٢].

منسوخة: وبه قال قتادة، قال: كان أول الإسلام[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾[٤].

منسوخة: وبه قال ابن زيد[٥].

وباستعراض الأقوال السابقة يتضح لنا أن من جملة الآيات التي قيل فيها النسخ، كان ابن عباس أكثر من روي عنه نسخ الآيات، ولعل المراد عنده التخصيص لا النسخ الذي هو رفع الحكم كما هو ظاهر، وكانت نسبة القول بالنسخ عند عكرمة وابن المسيب وابن زيد وقتادة هي أعلى النسب، في حين لم يقل النخعي بنسخ شيء منها، وكانت نسبة النسخ عند مجاهد قليلةً نسبيًا[٦].

---

(١) الناسخ والمنسوخ لمكي (٤٣٧).

(٢) سورة المزمل: آية (١٠).

(٣) الناسخ والمنسوخ لمكي (٤٤٤).

(٤) سورة الإنسان: آية (٢٦).

(٥) الناسخ والمنسوخ لمكي (٤٤٤).

(٦) يمكن معرفة ذلك من الجدول الآتي في الصفحة القادمة.

المفسِّر	مجموع ما جاء عنه	ما قال فيه بإحكامه	نسبته	ما قال فيه بنسخه	نسبته
ابن عباس	٤٢	٣	٠,٠٧	٣٨	٠,٩٣
ابن مسعود	٢	-	-	٢	٠,١٠٠
قتادة	٣٣	٨	٠,٢٤	٢٥	٠,٧٦
مجاهد	٣١	٢٦	٠,٨٤	٥	٠,١٦
عطاء	٢٢	١٦	٠,٧٣	٦	٠,٢٧
الحسن	٢٢	١٥	٠,٦٨	٧	٠,٣٢
ابن زيد	٢٠	٣	٠,١٥	١٧	٠,٨٥
الشعبي	١٤	١٢	٠,٨٦	٢	٠,١٤
النخعي	٥	٥	٠,١٠٠	-	-
الضحاك	١٠	٥	٠,٥٠	٥	٠,٥٠
ابن المسيب	١٠	٤	٠,٤٠	٦	٠,٦٠
ابن جبير	١٠	٦	٠,٦٠	٤	٠,٤٠
عكرمة	١٠	٢	٠,٢٠	٨	٠,٨٠

٨ ـ أمثال القرآن :

امتن الله تعالى علينا بأن ضرب لنا الأمثال، فقال: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾[١]، وبين تعدد الأمثال في القرآن في كل وجه فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾[٣].

وليس المراد بالأمثال هو فقط ما جاء فيه لفظ المثل؛ فإن أمثال القرآن منها ما يصرح فيه بتسميته مثلاً، ومنها ما لم يصرح بذلك، وقد يكون على صيغة الخبر، أو صيغة الإنشاء[٤].

ولأجل كثرة الأمثال القرآنية، وشمولها، وتنوعها، ودقة معانيها، وكذلك الأوامر الربانية بتدبرها، لأجل كل ذلك كانت همة التابعين منصرفة إلى استخراج المعاني من هذه الأمثال في عبارات وعظية بليغة، أو جمل علمية دقيقة، ومما لاحظته على منهج التابعين في تناول الأمثال ما يلي:

١ ـ قلَّ أن يتعرض التابعون للتفصيل في بيان المثل إذا ورد في الآية آثار مرفوعة، سيراً على طريقتهم في تقديم المرفوع على الرأي دائمًا.

فمن ذلك تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[٥]، فقد ثبت عن النبي ﷺ أن هذه الشجرة هي

---

(١) سورة إبراهيم: آية (٤٥).

(٢) سورة الروم: آية (٥٨).

(٣) سورة الإسراء: آية (٨٩).

(٤) يراجع في أمثال القرآن: مجموع الفتاوى (١٤/ ٥٤ ـ ٦٧)، والبرهان (١/ ٤٨٦)، والإتقان (٢/ ١٦٧)، والزيادة والإحسان (٢/ ٨٣٢)، النوع (١٣٨)، تحقيق: مصلح السامدي.

(٥) سورة إبراهيم: آية (٢٤).

(النخلة)[١].

ولذا فإننا نجد التابعين لا يزيدون عندما يتعرضون لتفسيرهم على قولهم: (هي النخلة)، ورد ذلك عن أبي العالية[٢]، ومسروق[٣]، ومجاهد[٤]، وعكرمة[٥]، وقتادة[٦]، وغيرهم.

٢ ـ وإذا ورد شرح المثل عن الصحابة، فإن التابعين ـ كذلك ـ لا يستفيضون في شرحه غالبًا، مكتفين بما ورد عن الصحابي في ذلك.

ففي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٧]، وردت عدة روايات عن ابن عباس في شرحه مفردات المثل، وورد عن أبيّ بن كعب شرحًا مطولاً له[٨]، ولذا اقتصر مجاهد[٩]، والحسن[١٠]، وقتادة، على بيان المفردات، اللهم إلا أن قتادة ربطه بقضية وعظية[١١].

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة إبراهيم عليه السلام (٥/ ٢٩٥)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٥٢)، وابن جرير في تفسيره (١٦/ ٥٧٤) ٢٠٦٩٦، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى الترمذي، والنسائي، والبزار، وأبي يعلى، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم وصححه (٥/ ٢٢).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٥٧٠) ٢٠٦٨١.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٥٧١) ٢٠٦٨٣.

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٥٧١) ٢٠٦٨٤، ٢٠٦٨٥، وزاد المسير (٤/ ٣٥٨)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن جرير عن مجاهد به (٥/ ٢٣).

(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٥٧٢) ٢٠٦٨٧، وزاد المسير (٤/ ٣٥٨)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن أبي حاتم عن عكرمة بنحوه (٥/ ٢٣).

(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٥٧٢) ٢٠٦٨٩، ٢٦٨٩٠، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٣٤٢).

(٧) سورة النور: آية (٣٥).

(٨) الدر المنثور (٦/ ١٩٧، ١٩٨).

(٩) المرجع السابق (٦/ ١٩٧).

(١٠)، (١١) المرجع السابق (٦/ ٢٠٠).

٣ ـ كثير من الأمثال اقتصر التابعون على بيان سبب النزول، ولم يتوسعوا في شرحه.

كما في تفسير قوله تعالى: ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾[١]، فقد ورد عن عكرمة أنها نزلت في الأصنام، موافقًا بذلك ما ورد عن ابن عباس[٢]، ولم أر من شرح هذا المثل إلا السدي، بعد أن ذكر ـ أيضًا ـ أن المراد به الصنم[٣].

٤ ـ ربما تعرض التابعون إلى تعميم بعض الأمثال التي وردت في أسباب خاصة، بالنظر إلى أن الأمثال القرآنية إنما وردت للعظة والقياس، والاعتبار، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ﴾[٤].

فقد جاء عن عكرمة بيان أن خيانة المرأتين كانت في الدين[٥].

وأما قتادة فإنه ذكر ذلك، وأشار إلى العبرة بضرب المثل، فقال: يقول: لن يغني صلاح هذين عن هاتين شيئًا، وامرأة فرعون لم يضرها كفر فرعون[٦].

٥ ـ ومما يلاحظ أيضًا أنهم قد تعرضوا لبيان الأمثال القرآنية وتناولوها بالشرح، وبعض هذه الأمثال لم أجد عن الصحابة أحدًا تعرض لتأويلها، من ذلك الأمثال التي

---

(١) سورة الحج: آية (٧٣).

(٢) أورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر (٦/ ٧٥).

(٣) زاد المسير، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي حاتم (٦/ ٧٥)، وفتح القدير (٣/ ٤٧١).

(٤) سورة التحريم: آية (١٠).

(٥) تفسير الطبري (٢٨/ ١٥٠)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، عن عكرمة به (٨/ ٢٢٨)، وفتح القدير (٥/ ٢٥٥).

(٦) أورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن قتادة به (٨/ ٢٢٨).

جاءت في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ...﴾[١]، وفي قوله: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ...﴾[٢]، وفي قوله: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ...﴾[٣]، وقوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[٤]، ويلاحظ أيضًا أن من المفارقات بينهم وبين التابعين أن الصحابة قلَّ أن يتعرضوا لتوضيح البيِّن من الأمثال، وإنما تأتي الروايات عنهم إذا جاء المثل فيه نوع غموض، فعند قوله سبحانه: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ...﴾[٥].

لما كان هذا المثل غامضًا، نجد أن الصحابة تعرضوا له، فوردت روايات عن عمر، وابن عباس - رضي الله عنهما - في بيان معنى المثل[٦]، وأنه مثل لمن عمل بعمل أهل الخير، ثم ختم له في آخر عمره، فعمل بعمل أهل الشقاء فأفسده كله، وتتابعت أقوال مجاهد، وقتادة، والربيع، على ذلك بعبارة وعظية جميلة[٧].

وذهب السدي إلى أن المراد بالآية نفقة الرياء لا يجدها صاحبها يوم القيامة[٨]، واختاره الطبري[٩].

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٦٥)، وينظر تفسير الطبري (٥/ ٥٣٩) ٦٠٨٧، ٦٠٨٨، ٦٠٨٩، ٦٠٩٠.

(٢) سورة آل عمران: آية (١٠٣)، وينظر تفسير الطبري (٧/ ٨٧) ٧٥٩١، ٧٥٩٢، ٧٥٩٣.

(٣) سورة الحج: آية (٣١)، وينظر تفسير الطبري (١٧/ ١٥٥)، والدر (٦/ ٤٦).

(٤) سورة الروم: آية (٢٨)، وينظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٨)، والدر (٦/ ٤٩٢).

(٥) سورة البقرة: آية (٢٦٦).

(٦) تفسير الطبري (٥/ ٥٤٤) ٦٠٩٤، ٦٠٩٧، ٦١٠١، والدر (٢/ ٤٧)، وفتح القدير (١/ ٢٨٨).

(٧) تفسير الطبري (٥/ ٥٤٦) ٦٠٩٨، ٦٠٩٩، ٦١٠٢، ٦١٠٣، ٦١٠٤، وتفسير عبد الرزاق (١/ ١٠٨)، والدر (٢/ ٤٨).

(٨) تفسير الطبري (٥/ ٥٤٣) ٦٠٩١.

(٩) تفسير الطبري (٥/ ٥٤٣، ٥٥٠).

ومن أمثلة ما تعرض الصحابة له لغموضه أيضًا، ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ...﴾[١]، فقد ورد عن علي بن أبي طالب وابن عباس روايات في ذلك، ثم تبعهم على ذلك مجاهد، وقتادة[٢].

٦ـ وعند استعراض الروايات في بيان الأمثال التي جاءت عن التابعين، نلحظ أن أكثرهم تعرضًا للأمثال بالبيان، والشرح، واستنباط الفائدة، هو قتادة، الذي غلب عليه المنهج الوعظي في ذلك، ففاق أقرانه في عدد الأمثال التي تعرض لها بالتأويل[٣].

كما تميز أسلوبه بالبيان البليغ لمفردات، وتوضيح المفردات، والسر في ضرب المثل، فتميزت مروياته كمًّا، وكيفًا[٤].

في حين كان مجاهد قد غلب عليه البيان المجمل لغامض المثل، مما جعل شرحه للمثل مختصرًا.

وأما عطاء، وسعيد، وعكرمة، ومحمد بن كعب، فكان نتاجهم في باب الأمثال قليلاً.

المقارنة بين تناول التابعين للأمثال، وبين تناول الصحابة أو أتباع التابعين لها:

وفيما يلي عرض لبعض الأمثلة للروايات الواردة عن التابعين في بيان بعض

---

(١) سورة الرعد: آية (١٤).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٤٠٠) ٢٠٢٨٦ـ٢٠٢٩٧.

(٣) بعد مراجعتي لأربعة وعشرين موضعًا من أمثال القرآن، وجدت أن قتادة تكلم في (٢١) موضعًا، ومجاهد في (١٤) موضعًا، وغيرهم من التابعين دونهم في ذلك.

(٤) يتضح هذا بمراجعة الآثار التالية في تفسير الطبري: ٤٥٨، ٤٥٩، ٦٠٤٠، ٦٠٨٨، ٧٥٩١، ٢٠٢٩٣، ٢٠٢١٩، (١٤/ ١٤٩)، ويتضح الفرق عند مقارنة بيانه ببيان غيره ـ رحمه الله ـ، وقد سبق تفصيل منهجه، واهتمامه بالأمثال في ترجمته ص (٢٧٠).

الأمثال القرآنية، ومقارنتها بما جاء عن الصحابة وأتباع التابعين، والإحالة لمصادرها، علمًا أنني - بحمد الله - جمعت جلَّ ما يتعلق بهذا البحث من تفسيري الطبري، والسيوطي، ومما يلاحظ أن الطبري - رحمه الله - لم يستوف كل الروايات عن التابعين في ذلك، وقد أتى السيوطي في الدر المنثور على جملة صالحة من ذلك، وطلبًا للاختصار سأكتفي بعرض بعض الأمثلة، التي يظهر من خلالها الفرق بين شرح التابعين للمثل، وشرح غيرهم.

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾[1]، جاء تفسير هذا المثل عن أئمة التابعين بطرق مختلفة في كيفية تناولهم للمثل، فجاء تفسير المثل عن مجاهد بعبارة قصيرة، اقتصر فيها على شرح المفردات، مع تعدد الروايات عنه، ومنها أنه قال: إضاءة البرق، وإظلامه على نحو ذلك المثل[2].

وبنحو هذا الاختصار قال عطاء: مثل ضرب للكفار[3].

ومع طول الرواية الواردة عن ابن عباس فيه[4]، فقد جاءت عبارة صغار التابعين أطول، و أجمل، فعن الربيع أنه قال: مثلهم كقوم ساروا ليلة مظلمة، ولها مطر، ورعد، وبرق، على جادة، فلما أبرقت أبصروا الجادة فمضوا فيها، وإذا ذهب البرق تحيَّروا، وكذلك المنافق، كلما تكلم بكلمة الإخلاص أضاء له، فإذا شك تحيّر ووقع في

(١) سورة البقرة: آية (١٩، ٢٠).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٤٩) ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧.
(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٥١) ٤٦٤.
(٤) تفسير الطبري (١/ ٣٤٨، ٣٤٩) ٤٥٣، ٤٥٤.

الظلمة، فكذلك قوله: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾، ثم قال في أسماعهم وأبصارهم التي عاشوا بها في الناس: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾[١].

وأما قتادة فكانت عبارته أيضًا طويلة، وهي أفصح، وأبلغ أثرًا في نفوس السامعين من عبارة غيره، فقد ورد عنه أنه قال في المنافق إذا رأى الإسلام رخاء، أو طمأنينة، أو سلوة من عيش قال: أنا معكم، وأنا منكم، وإذا أصابته شديدة حقحق والله عنها، فانقطع به، فلم يصبر على بلائها، ولم يحتسب أجرها، ولم يَرْجُ عاقبتها[٢].

وفي رواية عنه قال: أجبن قوم، لا يسمعون شيئًا إلا ظنوا أنهم هالكون فيه؛ حذرًا من الموت، والله محيط بالكافرين.

ثم ضرب لهم مثلاً آخر فقال: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾، يقول: هذا المنافق إذا كثر ماله، وكثرت ماشيته، وأصابته عافية قال: لم يُصبني منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرٌ، ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾، يقول: وإذا ذهبت أموالهم، وهلكت مواشيهم، وأصابهم البلاء قاموا متحيرين[٣].

وإذا أردنا أن نتعرف على كيفية تناول أتباع التابعين للمثل نجدها لا تختلف عن حال التابعين، فأكثرهم فسره بعبارة قصيرة، مثل الضحاك الذي قال: أما الظلمات

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٥٠) ٤٦٠.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٥٠) ٤٥٨.
والحقحقة: أرفع السير وأتعبه للظهر، ينظر: مختار الصحاح (١٤٧)، وغريب الحديث لابن عبيد القاسم بن سلام (٤/ ٣٨٨).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٥٠) ٤٥٩.

فالضلالة، والبرق الإيمان[١].

وجاء عن ابن زيد حيث قال: هذا أيضًا مثل ضربه الله للمنافقين، كانوا قد استناروا بالإسلام، كما استنار هذا بنور هذا البرق[٢].

وأما ابن جريج فقال في بيان هذا المثل: ليس في الأرض شيء سمعه المنافق إلا ظن أنه يُراد به، وأنه الموت؛ كراهية له، والمنافق أكره خلق الله للموت، كما إذا كانوا بالبراز في المطر فرُّوا من الصواعق[٣].

وأما ما ورد عن الصحابة، فكان أميل للطول، فمن ذلك ما جاء من طريق السدي، عن ابن عباس، وابن مسعود، وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، وفيه قصة سبب نزول هذا المثل، وفيها طول وغرابة[٤].

وجاء عن ابن عباس بيان المثل أنه: مثل للكافر[٥]، وجاء عنه أنه: مثل للمنافق[٦]، ومن ذلك رواية علي بن أبي طلحة عنه أنه قال: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وهو المطر، ضرب مثله في القرآن ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ يقول: ابتلاء، ﴿ورعد﴾ فيه تخويف، ﴿وبرق﴾، ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يقول: يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين، ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾، يقول: كلما أصاب المنافقون من الإسلام عزًا اطمأنوا، وإذا أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفار، يقول: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾، قاموا كقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٥١) ٤٦١.
(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٥١) ٤٦٢.
(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٥١) ٤٦٣.
(٤) تفسير الطبري (١/ ٣٤٧) ٤٥٢.
(٥) تفسير الطبري (١/ ٣٤٦) ٤٥١.
(٦) تفسير الطبري (١/ ٣٤٨) ٤٥٢، ٤٥٤.

فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[1]، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

فقد ضرب الله في الآيات مثلين، وقد اختلف المفسرون في ذلك، فقيل: كلاهما مثل لله والآلهة التي تعبد من دونه، وهو قول مجاهد حيث قال: ضرب الله هذا المثل، والمثل الآخر بعده لنفسه، والآلهة التي تعبد من دونه[3].

وقيل: بل كلاهما مثل للمؤمن والكافر، وهو قول ابن عباس، فقد جاء عنه في المثل الأول: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ يعني الكافر أنه لا يستطيع أن ينفق نفقة في سبيل الله، ﴿وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ يعني المؤمن، وهذا المثل في النفقة[4]، وجاء عن ابن عباس في المثل الثاني: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ...﴾ يعني بالأبكم الذي هو كلٌّ على مولاه الكافر، وبقوله: ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾: المؤمن، وهذا المثل في الأعمال[5]، وفي رواية: أنه في مولى عثمان بن عفان الكافر[6].

وأما قتادة فقد جاءت عنه الرواية في المثل الأول بعبارة لطيفة، فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ هذا مثل ضربه الله للكافر، رزقه مالاً فلم يقدم فيه

---

(١) سورة الحج: آية (١١)، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٣٤٩) ٤٥٤.

(٢) سورة النحل: آية (٧٥-٧٦).

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ١٩٩، ١٥٠)، والأمثال لابن القيم (٢٠٥)، والدر المنثور (٥/ ١٥٠).

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ١٤٩)، والأمثال لابن القيم (٢٠٥).

(٥)، (٦) تفسير الطبري (١٤/ ١٥١).

خيرًا، ولم يعمل فيه بطاعة الله، قال الله تعالى ذكره: ﴿وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ فهذا المؤمن أعطاه الله مالاً، فعمل فيه بطاعة الله، وأخذ بالشكر، ومعرفة حق الله، فأثابه الله على ما رزقه الرزق المقيم الدائم لأهله في الجنة، قال الله تعالى ذكره: ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾، لا والله ما يستويان ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[١].

ولم يرد عن قتادة في المثل الآخر شيء في تفسير الطبري.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[٢]، شرحه السدي باختصار فقال: وكنتم على شفا حفرة من النار وأنقذكم منها محمد ﷺ، يقول: كنتم على طرف النار؛ من مات منكم أو بقي في النار، فبعث الله محمدًا ﷺ فاستنقذكم من تلك الحفرة[٣].

واختصر الربيع في شرحه أيضًا فقال: كنتم على الكفر بالله فأنقذكم منها، من ذلك، وهداكم إلى الإسلام[٤].

وأما قتادة فقد توسع في شرحه مع عبارة بليغة، وعظيمة فصيحة، فقال: كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلاً، وأشقاه عيشًا، وأبينه ضلالة، وأعراه جلودًا، وأجوعه بطونًا، مكعومين[٥] على رأس حجر بين الأسدين، فارس والروم، لا والله ما في بلائهم يومئذ من شيء يحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقيًا، ومن مات ردي في

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ١٤٩)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٣٥٩)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٩١)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن قتادة بنحوه (٥/ ١٥٠).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٠٣).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٨٨) ٧٥٩٣، وفتح القدير (١/ ٣٦٩).

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٨٨) ٧٥٩٢.

(٥) كعمه الخوف فهو مكعوم: أمسك فاه، ومنعه من النطق، ينظر معجم اللغة (٣/ ٧٨٦).

النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلاً يومئذ من حاضر الأرض كانوا فيها أصغر حظًا، أو أدق فيهم شأنًا منهم، حتى جاء الله عز وجل بالإسلام، فورثكم به الكتاب، وأحل لكم به دار الجهاد، ووضع لكم به من الرزق، وجعلكم به ملوكًا على رقاب الناس، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا نعمه، فإن ربكم منعم يحب الشاكرين، وإن أهل الشكر في مزيد الله، فتعالى ربنا وتبارك[١].

وفيما يلي عرض موجز لسائر الأمثلة القرآنية التي تتبعت فيها أقوال التابعين، مقارنًا لها بما جاء عن الصحابة وأتباع التابعين، مقتصراً على وصف العبارة والإحالة لمرجعها؛ خشية الإطالة، والله المستعان.

فعند قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[٢]، جاء شرحه مفصلاً عن قتادة، في حين كان بيان مجاهد له مختصراً، وقد شرحه ابن عباس بشيء مفصل، واختصره الضحاك، ثم ابن زيد من أتباع التابعين[٣].

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[٤]، جاء عن ابن عباس وابن مسعود شرح هذا المثل مع إيراد السبب، وشرحه مجاهد بالسياق، وشرحه قتادة بإيراد السبب، وكان شرح الربيع بعبارة سهلة جميلة[٥].

وعند قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾[٦]، شرحه السدي بعبارة موجزة، والربيع بأطول منها، ثم من أتباعهم ابن زيد

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٨٧، ٨٨) ٧٥٩١، وزاد المسير (١/ ٤٣٣)، والدر المنثور (٢/ ٢٨٧).

(٢) سورة البقرة: آية (١٧).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣١١٨-٣١٢٤) ٣٨٦-٣٩٧.

(٤) سورة البقرة: آية (٢٦).

(٥) تفسير الطبري (١/ ٣٩٨-٤٠١) ٥٠٤-٥٦١.

(٦) سورة البقرة: آية (٢٦١).

والضحاك[١].

وعند قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾[٢].

وضحه ابن عباس باختصار، وكانت عبارة قتادة جميلة على اختصارها، وشابهتها عبارة الربيع، بينما فصَّل السدي فيها القول بعبارة مليحة، ومن أتباعهم شرحها الضحاك باختصار، وكذلك ابن جريج، وشرحها ابن زيد بآية من القرآن[٣].

وعند قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾[٤]، لم أجد فيها تفسيراً منقولاً عن الصحابة، وقد فسرها السدي بعبارة مختصرة، في حين أطال قتادة في تفسيرها بعبارة جميلة، واختصر الربيع القول فيها جداً، وكذا من أتباعهم الضحاك[٥].

وعند قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ...﴾[٦]، جاء في شرح هذا المثل عبارات كثيرة عن الصحابة، وفيها طول، فجاء شرحه عن عمر ـ رضي الله عنه ـ، وقد أطال مجاهد النفس فيها على غير عادته، وكذلك السدي، وكانت عبارة قتادة وعظية فيها خطاب للسامعين، وقريب منها عبارة الربيع، وبنحو ذلك كانت عبارة أتباع التابعين؛ كابن زيد، والضحاك[٧].

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٥١٢ ـ ٥١٥) ٦٠٢٨ ـ ٦٠٣١.
(٢) سورة البقرة: آية (٢٦٤).
(٣) تفسير الطبري (٥/ ٥٢٦ ـ ٥٢٨) ٦٠٤٠ ـ ٦٠٤٦.
(٤) سورة البقرة: آية (٢٦٥).
(٥) تفسير الطبري (٥/ ٥٣٩ ـ ٥٤٠) ٦٠٨٧ ـ ٦٠٩٠.
(٦) سورة البقرة: آية (٢٦٦).
(٧) تفسير الطبري (٥/ ٥٤٣ ـ ٥٥٠) ٦٠٩١ ـ ٦١٠٤.

وعند قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾[١].

جاء شرحه مفصلاً عن ابن عباس، وبنحوه السدي، في حين كانت عبارة مجاهد مختصرة، وذكر قتادة سبب النزول مقتصراً عليه[٢].

وعند قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾[٣]، شرحه ابن عباس شرحًا فيه شيء من التفصيل، في حين اختصر العبارة كل من قتادة، ومجاهد، والحسن، ومن أتباعهم شرحه ابن جريج بعبارة مختصرة جداً[٤].

وعند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾[٥]، جاء شرح هذا المثل عن علي بن أبي طالب، وابن عباس مختصراً، وجاء بيان مجاهد مختصراً، وبعبارة مخالفة، وشرحه قتادة شرحًا مطولاً جميلاً، ووافقه ابن زيد[٦].

وعند قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾[٧]، جاء بيانه عن ابن عباس باختصار من طريق علي بن أبي طلحة، وبطول من طريق العوفي، واختصر شرحه مجاهد والحسن وعطاء، وأطال قتادة الشرح، والتفصيل، مبينًا وجه الأمثال

---

(١) سورة الأنعام: آية (٧١).

(٢) تفسير الطبري (١١/ ٤٥٢-٤٥٣) ١٣٤٢٢-١٣٤٢٩.

(٣) سورة الأعراف: آية (١٧٦).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٢٧٢-٢٧٣) ١٥٤٣٥-١٥٤٤٠.

(٥) سورة الرعد: آية (١٤).

(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٤٠٠-٤٠٢) ٢٠٢٨٦-٢٠٢٩٧.

(٧) سورة الرعد: آية (١٧).

الثلاثة في الآية: زبد السيل، وزبد الحلية، وزبد المتاع، وما ينفع الناس من الثلاثة[١].

وعند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾[٢]، فسر ابن عباس المثل ببيان غريب ألفاظه فحسب[٣]، بينما فصّل الربيع المراد تفصيلاً جميلاً، واختصر بيانه ابن جريج من تابعيهم[٤].

وعند قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾[٥]، اكتفى المفسرون من الصحابة: كابن عباس، ومن التابعين: مجاهد، وقتادة، ومن أتباعهم كابن زيد، بأن فسروها أنها مكة، ولم يزيدوا على ذلك[٦].

وعند قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾[٧]، لم أجد من تعرض له بالشرح إلا قتادة[٨].

وعند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾[٩]، لم يورد الطبري فيه روايات عن المفسرين، إلا رواية عن ابن عباس في شرح كلمتين من المثل، ورواية عن ابن زيد في بيانه باختصار[١٠].

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٤١٠ ـ ٤١٤) ٢٠٣١١ ـ ٢٠٣٢٤، والزيادة والإحسان (٢/ ٨٣٥)، النوع (١٣٨) تحقيق مصلح السامدي.

(٢) سورة إبراهيم: آية (٢٤).

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٥٦٦، ٥٦٨) ٢٠٦٥٨ ـ ٢٠٦٧٣.

(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٥٦٨) ٢٠٦٧٧ ـ ٢٠٦٩٥، وأخرج الطبري بعد ذلك (٢٤) أثراً عن الصحابة، والتابعين، وأتباعهم، لم تخرج عن بيان كون المراد به النخلة.

(٥) سورة النحل: آية (١١٢).

(٦) تفسير الطبري: (١٤/ ١٨٥، ١٨٦).

(٧) سورة الحج: آية (٣١).

(٨) تفسير الطبري (١٧/ ١٥٥)، والدر المنثور (٦/ ٤٦).

(٩) سورة الحج: آية (٧٣).

(١٠) تفسير الطبري (١٧/ ٢٠٣، ٢٠٤).

بينما نجد في المقابل أن السيوطي قد نقل فيه عن ابن عباس، وعكرمة سبب نزوله، وعن السدي شرحًا له[١].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ﴾[٢].

جاءت روايات عديدة عن ابن عباس، في بيان مفردات المثل، وجاء شرحه عن أبيّ بن كعب شرحًا مطولاً، واقتصر مجاهد والحسن على عبارة مختصرة تدور حول بيان مفردات المثل، في حين شرحه قتادة بعبارة وعظية[٣].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾[٤]، اهتم ابن عباس بشرح هذا المثل، وكذلك أبيّ بن كعب، في حين اختصر مجاهد الشرح، و البيان، وفصَّل قتادة تفصيلاً يسيرًا، بينما امتاز ابن زيد من أتباعهم بالشرح، والتفصيل[٥].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾[٦]، شرحه أبيّ بن كعب شرحًا جميلاً، وجاء بعده قتادة، ثم ابن زيد، فتناولوه بالشرح أيضًا بعبارات جزلة واضحة[٧].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ

---

(١) الدر المنثور (٦/ ٧٥).
(٢) سورة النور: آية (٣٥).
(٣) الدر المنثور (٦/ ١٩٦ ـ ٢٠٠).
(٤) سورة النور: آية (٣٩).
(٥) تفسير الطبري (١٨/ ١٤٩ ـ ١٥٠)، والدر المنثور (٦/ ٢٠٩ ـ ٢١٠).
(٦) سورة النور: آية (٤٠).
(٧) تفسير الطبري (١٨/ ١٥٠).

﴿اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾[١].

اختصر ابن عباس شرح المثل، وتبعه على هذا الاختصار قتادة، وابن زيد[٢].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[٣].

لم أجد في تفسير هذه الآية إلا أثرًا عن قتادة شرح شرحًا مختصرًا، في حين بينه ابن زيد تبيينًا فيه شيء من التفصيل[٤].

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾[٥].

جاء شرحه مطولاً عن ابن عباس، في حين شرحه مجاهد باختصار، وجرى قتادة على عادته في العبارة الطويلة الماتعة، ومثله السدي[٦].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾[٧].

جاء عن المفسرين في هذا المثل بيانه بذكر سبب النزول، أو بإيضاح المشكل، في حين انفرد قتادة بالعبارة التي فيها تعظيم للمثل[٨].

---

(١) سورة العنكبوت: آية (٤١).
(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٢، ١٥٣)، والدر المنثور (٦/ ٤٦٣).
(٣) سورة الروم: آية (٢٨).
(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٣٨، ٤٨)، والدر المنثور (٦/ ٤٩٢).
(٥) سورة الزمر: آية (٢٩).
(٦) تفسير الطبري (٢٣/ ٢١٤)، الدر المنثور (٧/ ٢٢٤).
(٧) سورة التحريم: آية (١٠).
(٨) تفسري الطبري (٢٨/ ١٧٠)، الدر المنثور (٨/ ٢٤٨).

٩ ـ إقسام القرآن :

الأصل أن القسم بالشيء تعظيم له، ولذا فليس للإنسان أن يقسم بأحد إلا بالله سبحانه، والله سبحانه يقسم بمن يشاء من خلقه، ليبين لنا بذلك عِظَم المقسم به[١].

قال الحسن: إن الله يقسم بما شاء من خلقه، وليس لأحد أن يقسم إلا بالله[٢].

والأقسام التي في القرآن عامتها بالذوات الفاعلة، وغير الفاعلة، يقسم بنفس الفعل كقوله: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ① فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ② فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾[٣]، وكقوله: ﴿والنَّازِعَاتِ﴾[٤]، ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾[٥]، ونحو ذلك، وهو سبحانه تارة يقسم بنفس المخلوقات، وتارة بربها وخالقها، كقوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[٦]، وكقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ﴾[٧]، وتارة يقسم بها وبربها[٨].

فأما الأمور المشهودة الظاهرة كالشمس، والقمر، والليل، والنهار، والسماء، والأرض، فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها، وما أقسم عليه الرب ـ عز وجل ـ فهو من آياته، فيجوز أن يكون مقسمًا به ولا ينعكس[٩].

وهو سبحانه يذكر جواب القسم تارة ـ وهو الغالب ـ، وتارة يحذفه لظهوره ووضوحه، أو لتهويله وتعظيمه، وقد اعتنى التابعون بتفسير إقسام القرآن وبيان المراد

---

(١) ينظر تيسير العزيز الحميد ص (٤٦١).
(٢) الإتقان (٢/ ١٧٠).
(٣) سورة الصافات: الآيات (١ ـ ٣).
(٤) سورة النازعات: آية (١).
(٥) سورة المرسلات: آية (١).
(٦) سورة الذاريات: آية (٢٣).
(٧) سورة الليل: آية (٣).
(٨) مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٢٨، ٢٢٩).
(٩) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣١٥).

به، وتوجيهه.

ففي قسم ربنا سبحانه: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾[١].

جاء عن كعب، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وإبراهيم: أنها مكة البلد الحرام[٢].

وعند قوله تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[٣]، فسرها مجاهد، وقتادة، وعطاء، بأنها مكة[٤].

واهتم التابعون كذلك بالقسم المتقدمة عليه(لا)[٥] إذا تتابع، نحو قوله تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[٦] فهل هو قسم في الموضعين؟!

فعن الحسن قال: أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة، وخالفه قتادة فقال: أقسم بهما جميعًا، ورجحه الطبري[٧].

وربما اشتبه القسم فوقع الاختلاف أيضًا، نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[٨].

فقد وقع الاشتباه: هل أقسم ربنا بـ(ن)، أو (ن) حرف هجاء، أو اسم من أسماء

---

(١) سورة التين: آية (٣).

(٢) تفسير الطبري (٣٠/ ٢٤٢)، وتفسير عبد الرزاق (٣/ ٣٧٣)، والدر المنثور (٨/ ٥١٧، ٥١٨)، وفتح القدير (٥/ ٤٤٦).

(٣) سورة البلد: آية (١).

(٤) تفسير الطبري (٣٠/ ١٩٦).

(٥) باعتبار (لا) صلة، أو توكيدًا، أو رد لكلامهم، يراجع تفسير الطبري (٢٩/ ١٧٢، ١٧٣).

(٦) سورة القيامة: آية (١، ٢).

(٧) تفسير الطبري (٢٩/ ١٧٣)، وينظر: زاد المسير (٨/ ٤١٦)، وفتح القدير (٥/ ٢٣٥).

(٨) سورة القلم: آية (١).

السورة، على أقوال، فممن فسرها بالقسم قتادة ـ رحمه الله ـ، فعنه في قوله: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[١] قال: يقسم الله بما شاء[٢].

أما موقع القسم وجوابه فقد يكون ظاهراً في القرآن، وقد يكون موضع اجتهاد، وأكثر من رأيت تعرضًا لذلك من التابعين قتادة، ومن أمثلة ما جاء عنه ما ورد عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾[٣]، اختلف المفسرون هل ذكر جواب القسم، أو لا؟ (أي هل حذف وترك)، فاختار قتادة ذكره، فقال: وقع القسم هاهنا: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[٤].

وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[٥]، يشير قتادة إلى جوابه في قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، فيقول: وقع القسم هاهنا[٦].

وفي أقسام سورة الشمس المتتالية: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾[٧]، يبين قتادة جواب القسم فيقول: قد وقع القسم هاهنا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[٨].

---

(١) سورة القلم: آية (١).

(٢) تفسير الطبري (٢٩/ ١٦)، والدر المنثور (٨/ ٣٤٢).

(٣) سورة البروج: آية (١).

(٤) سورة البروج: آية (١٢)، والأثر في تفسير الطبري (٣٠/ ١٣٥).

(٥) سورة البلد: آية (١).

(٦) سورة البلد: آية (٤)، والأثر في تفسير الطبري (٣٠/ ١٩٦)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، عن قتادة بزيادة في آخره (٨/ ٥١٩).

(٧) سورة الشمس: آية (١).

(٨) سورة الشمس: آية (٩)، والأثر في تفسير الطبري (٣٠/ ٢١٢)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة، بزيادة في أوله (٨/ ٥٢٩).

وفي جواب قسم قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾[١]، وما بعده من الأقسام، قال قتادة: وقع القسم هاهنا: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾[٢].

وفي جواب قسم قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾[٣]، وما بعدها، قال قتادة: وقع القسم هاهنا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٤].

١٠ ـ علم المناسبات:

المقصود بعلم المناسبات، هو الفن الذي يبحث في تناسب آي القرآن بعضها لبعض، وتناسب السور، ومناسبة الآية لموضوع السورة، ونحو ذلك، وقد أكثر المفسِّر فخر الدين من ذلك، فقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات، والروابط[٥].

وقد قال ابن العربي في سراج المريدين: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلم نجد له حملة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه[٦].

فقد ذكر هنا ابن العربي ما معناه أن هذا العلم لم يتكلم فيه المفسرون الأوائل، فإن كان المقصد جمعه لكل الآيات في سورة، وبيان مناسبة هذه لتلك فمسلَّم، وإن كان المقصود أنه لم يشر إليه أحد من السلف، فغير صحيح، فقد وجدت عدة روايات عن

---

(١) سورة الليل: آية (١).
(٢) سورة الليل: آية (٤)، والأثر في تفسير الطبري (٣٠/ ٢١٨)، وينظر الدر المنثور (٨/ ٥٣٤).
(٣) سورة التين: الآيتان (١، ٢).
(٤) سورة التين: آية (٤)، والأثر في تفسير الطبري (٣٠/ ٢٤٢)، والدر المنثور (٨/ ٥٥٤).
(٥) الإتقان (٢/ ١٣٨).
(٦) البرهان (١/ ٣٦)، والإتقان (٢/ ١٣٨).

التابعين فيها كلام على ترتيب النظم، وأسرار ذلك، ووجدت روايات أكثر في أسرار ختم الآيات، ومناسبة الختم لأول الآية، وغير ذلك مما يأتي ذكره.

ولعل السبب في عدم إكثار التابعين من هذا الفن، أن بعضه يجيء تكلفًا، وكان القوم من أبعد الناس عن التكلف، قال عز الدين بن عبد السلام[١]: المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر، قال: ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حَسَن الحديث فضلاً عن أحسنه[٢].

والمقصود أن التابعين لم يغفلوا هذا الفن؛ بلا كان كلامهم فيه من أرق ما يكون، وهو بمثابة القاعدة التي قام عليها بنيانه فيما بعد.

فمما جاء عنهم في ربط الآية بما قبلها من الآيات، ما جاء عن التابعين في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾[٣]، فقد فسروها بأن القوم الآخرين هم الأنصار، ولكن لم يرتض قتادة ـ رحمه الله ـ هذا القول نظرًا لسياق الآيات، فسياقها في ذكر بعض النبيين، ولحاقها في الأمر بالاقتداء بهم، فتكون الآية في أهل مكة، والنبيين.

---

(١) هو عبد العزيز بن عبد السلام المشهور بالعز، ولد سنة (٥٧٧ هـ)، وتوفي سنة (٦٦٠هـ)، ينظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٨٠ـ١٠٧).

(٢) البرهان (١/ ٣٧)، وقد أشار بعده إلى أنه يمكن الرباط بين الآيات المختلفة النزول على حسب الوقائع، وينظر الإتقان (٢/ ١٣٨).

(٣) سورة الأنعام: آية (٨٩).

قال قتادة: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾ يعني: قوم محمد، ثم قال: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾، يعني النبيين الذي قصَّ قبل هذه الآية قصصهم، ثم قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[١].

ولما كان هذا تفسيراً للآية مع ملاحظة ترابطها بما قبلها، وما بعدها ـ يعني في ذكر النبيين ـ نجد أن الطبري رجح قول قتادة هذا، وقال معللاً: وذلك أن الخبر في الآيات قبلها عنهم مضى، وفي التي بعدها عنهم ذكر، فما بينها أن يكون خبراً عنهم أولى وأحق من أن يكون خبراً عن غيرهم[٢].

ومن ملاحظة السياق في التفسير ما جاء في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾[٣] الآيات، فقد ورد عن ابن عباس، ومجاهد، والسدي أنها نزلت في قوم آمنوا بالنبي، ثم ارتدوا[٤]، ولكن الحسن ـ رحمه الله ـ لاحظ أن الآيات قبلها في أهل الكتاب، وميثاق النبيين وغير ذلك، فربط هذه بتلك، فقال في تفسيرها: هم أهل الكتاب، كانوا يجحدون محمداً ﷺ في كتابهم، ويستفتحون به، فكفروا بعد إيمانهم.

ومال الطبري إليه، إلا أنه هاب مخالفة الأكثر الأعلم بتأويل القرآن، فاستجاز أن تكون الآيات نزلت في القوم المرتدين، فجمع الله قصتهم وقصة من كان سبيله مثلهم، فتكون الآية عامة[٥].

---

(١) سورة الأنعام: آية (٩٠)، والأثر أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢١٣)، وذكره النحاس في معاني القرآن (٢/ ٤٥٥).

(٢) تفسير الطبري (١١/ ٥١٨).

(٣) سورة آل عمران: الآيات (٨٦ ـ ٨٩).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٥٧٥) ٧٣٧١، والدر المنثور (٢/ ٢٥٧)، وفتح القدير (١/ ٣٥٩، ٣٦٠).

(٥) تفسير الطبري (٦/ ٥٧٥، ٥٧٦)، والدر المنثور (٢/ ٢٥٨)، وفتح القدير (١/ ٣٥٩).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1].

قال الربيع: نزلت الأولى في المؤمنين، ونزلت الوسطى في المنافقين، يعني: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾، والأخرى في الكفار، يعني: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[2].

فهنا ربط الربيع بين الآيات، ولاحظ أن ثمة معنى يجمع بينها؛ وهو من تقبل توبته ومن لا تقبل، فلم يفسر كل جملة مستقلة عن الأخرى، بل جمع بين الآيتين، وبين ما فيهما من تقسيم وحصر شامل لكل هؤلاء.

وجاء أيضًا عن أبي العالية في تفسير آيات المحرمات من النساء، وما قبلها وما بعدها في سورة النساء، أنه قال: يقول: انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى، وثلاث، ورباع، ثم حرم ما حرم من النسب والصهر، ثم قال: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، فرجع إلى أول السورة، إلى أربع، فقال: هن حرام أيضًا إلا بصداق وسنة وشهود[3]، فأبو العالية هنا أراد أن يربط قوله: ﴿والمحصنات﴾ بما قبلها؛ يعني أن النساء المحصنات اللائي يبحن، لابد من استيفاء شروط العقد؛ لئلا يعتل رجل بالآية الأولى فلا يشترط ذلك[4].

---

(١) سورة النساء: آية (١٧-١٨).

(٢) تفسير الطبري (٨/ ١٠٠) ٨٨٦٥، وفتح القدير (١/ ٤٣٩).

(٣) تفسير الطبري (٨/ ١٥٩) ٨٨٩٩.

(٤) وهذا إذا كان معنى (المحصنات) أي العفيفات، وأما إن كان معناه المتزوجات فلا يتأتى هذا التفسير، ويكون سياق الآيات أنه ذكر المحرمات بالنسب، والصهر، ثم ذكر تحريم المتزوجة، والله أعلم.

ومما جاء عن التابعين في ربط الآية بما جاء بعدها، ما جاء عن مجاهد أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾[١].

فقال حينئذ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾[٢].

ويلاحظ أن مجاهداً ربط بين الآيات بكلمة واحدة، وهذا عهدنا به في اختصار جمل التفسير مع غزارة المعاني ـ رحمه الله ـ.

ومما ورد عن التابعين في ربط كلمات الآية الواحدة بعضها ببعض ما جاء عن يعلى ابن مسلم، قال: سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾ قال: اقرأ ما قبلها، فقرأت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾[٣]، قال: اللغو أن تحرم هذا الذي أحل الله لك، وأشباهه تكفر عن يمينك، ولا تحرمه، فهذا اللغو الذي لا يؤاخذكم به، ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾، فإن مت عليه أخذت به[٤].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً﴾[٥].

يربط قتادة بين الفحشاء والفقر، وبين المغفرة والفضل، فيقول: مغفرة

---

(١) سورة المائدة: آية (٥٢).

(٢) سورة المائدة: آية (٥٣)، وقراءة ترك الواو التي قرأها مجاهد: (يقول الذين آمنوا) هي قراءة أهل المدينة، كما نبه عليه الطبري، ينظر الأثر والتنبيه في تفسير الطبري (١٠/ ٤٠٧) ١٢١٧٦.

(٣) سورة المائدة: آية (٨٩).

(٤) أورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى أبي الشيخ (٣/ ١٥٠).

(٥) سورة البقرة: آية (٢٦٨).

لفحشائكم، وفضلاً لفقركم[١].

وفي سر ترتيب قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[٢]، قال قتادة: فإنه خلق السموات قبل الأرض، والظلمة قبل النور، والجنة قبل النار[٣].

وأما أسرار ختم الآيات، وائتلاف الفواصل، فقد أكثر التابعون منه، وإن كان جلُّ ما جاء عنهم هو من باب التمكين[٤].

فمما جاء عنهم ما ورد عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥]، قال سعيد بن جبير: غفور لما أكل؛ إذ أحل له الحرام في الاضطرار[٦].

ويفسِّر الحسن البصري قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ

(١) تفير الطبري (٥/ ٥٧١) ٦١٦٩، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن جرير، عن قتادة به (٢/ ٦٥).

(٢) سورة الأنعام: آية (١).

(٣) تفسير الطبري (١١/ ٢٥٠) ١٣٠٤١، وزاد المسير (٣/ ٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٣٩٨).

(٤) قسَّم العلماء فواصل القرآن إلى أربعة أشياء: التمكين، وهو أن يُمهد قبل الفاصلة تمهيداً بحيث تأتي الفاصلة متعلقة بالكلام تعلقًا تامًا بدونه يضطرب المعنى، وإن كان قد تقدم لفظها بعينه في أول الآية سميت تصديراً، وإن كان في أثناء الصدر سميت توشيحًا، وإن أفادت معنى زائداً بعد تمام معنى الكلام سمي إيغالاً، ينظر البرهان (١/ ٧٨، ٧٩)، والإتقان (٢/ ١٢٩).

(٥) سورة البقرة: آية (١٧٣).

(٦) تفسير ابن كثير (١/ ٣٩٤)، وفتح القدير (١/ ١٧٠)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، عن سعيد بلفظ متقارب (١/ ٤٠٨).

بِالْعِبَادِ﴾[١]، فيقول: من رأفته بهم أن حذرهم نفسه[٢].

وجاء عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٣]، قال: (الرحيم): رحيم بهم بعد التوبة[٤].

وحكي أن أعرابيًا سمع قارئًا يقرأ: (فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم)، ولم يكن يقرأ القرآن فقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه[٥].

ولأجل ذا لما تعرض الربيع إلى تفسير هذه الآية: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٦]، قال: عزيز في نقمته، حكيم في أمره[٧].

فقد لاحظ الربيع ارتباط العزة والحكمة بما وقع منهم من الزلل.

ومن ذلك ما جاء عن محمد بن جعفر بن الزبير في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٨]، قال: العزيز في انتصاره ممن كفر به إذا شاء، والحكيم في عذره وحجته إلى عباده[٩].

ويبين عطاء بن دينار فرقًا دقيقًا من أساليب الحصر والقصر في تفسير قوله

---

(١) سورة آل عمران: آية (٣٠).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣٢١) ٦٨٤٤، وفتح القدير (١/ ٣٣٣).

(٣) سورة البقرة: آية (٣٧).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٣٧) ٤١٩.

(٥) الإتقان (٢/ ١٢٩).

(٦) سورة البقرة: آية (٢٠٩).

(٧) تفسير الطبري (٤/ ٢٦٠) ٤٠٣١، وأورد هذا المعنى بلفظه السيوطي في الدر عن أبي العالية، وعزاه إلى ابن أبي حاتم به، وينظر الدر في الصفحات (١/ ٣٣٥)، و(١/ ٥٧٩)، و(٢/ ١٤٤).

(٨) سورة آل عمران: آية (٦).

(٩) تفسير الطبري (٦/ ١٦٩) ٦٥٧١.

تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[١]، فيقول: الحمد لله الذي قال: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ولم يقل: (الظالمون هم الكافرون)[٢].

فهذا الفهم الدقيق يبين أنه لو كانت الآية: والظالمون هم الكافرون؛ لكان أكثر الناس قد كفروا؛ لأن أكثر الناس قد ظلموا.

١١ ـ المصاحف والأداء:

سبق في مبحث منهج التابعين في القراءات أن جمع المصحف في كتاب واحد كان في عهد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، قال الخطابي: إنما لم يجمع ﷺ القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه، أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاءً بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر[٣].

وقد أخرج ابن أبي داود من طريق الحسن أن عمر سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان قتل يوم اليمامة، فقال: إنا لله، وأمر بجمع القرآن، فكان أول من جمعه في المصحف[٤].

وهذا يحمل على أنه أشار بجمعه، ولما وقع الاختلاف بين الناس، وفق الله عثمان ـ رضي الله عنه ـ أن يأمر بتحويله إلى المصاحف، على القراءة الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ، وإلغاء ما ليس كذلك[٥].

وأما من جمع القرآن في صدره في عهد النبي ﷺ، فقد جاءت روايات عن التابعين تسمية أربعة منهم، أو ستة، ففي صحيح البخاري عن قتادة قال: سألت أنس ابن مالك: من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار:

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٥٤).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٣٨٥) ٥٧٦٢.

(٣) البرهان (١/ ٢٣٥)، والإتقان (١/ ٧٦).

(٤) الإتقان (١/ ٧٧).

(٥) البرهان (١/ ٢٣٥)، والإتقان (١/ ٧٩).

أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، وفي رواية مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد[١]، قال البيهقي: الرواية الأولى أصح، ثم أسند عن ابن سيرين قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة لا يختلف فيهم: معاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد، وأبو زيد، واختلفوا في رجلين من ثلاثة: أبو الدرداء، وعثمان، وقيل عثمان، وتميم الداري[٢].

وعن الشعبي: جمعه ستة نفر: أبي، وزيد، ومعاذ، وأبو الدراداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد، ومجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين، أو ثلاثة، قال: ولم يجمعه أحد من الخلفاء من أصحاب محمد غير عثمان[٣].

وقد وجه الذهبي أثر الشعبي هذا بأن المراد الذين عرضوه على النبي ﷺ واتصلت بنا أسانيدهم. وأما من جمعه منهم ولم يتصل بنا فكثير[٤].

وقد ذكر ابن حجر ثماني طرق للتوجيه غير هذا، وزاد عليها وجهين آخرين[٥].

وقد استمر الحال بالمسلمين على الحفظ حتى استحرَّ القتل بالقراء فأشار عمر على أبي بكر فجمعه الجمع الأول المشار إليه سابقًا، ثم خاف حذيفة اختلاف الناس فأشار على عثمان بالجمع الثاني وكان بمحضر من الصحابة، إلا أن ابن مسعود - رضي الله عنه - لم يرتض ذلك المصحف واستمر على مصحفه، بل كان يقول: يا أهل العراق، اكتموا المصاحف التي عندكم وغلوها فإن الله يقول: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٦]،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ (٩/ ٤٦) ٥٠٠٣، ٥٠٠٤.

(٢) البرهان (١/ ٢٤١)، والفتح (٩/ ٥٢).

(٣) المعرفة (١/ ٤٨٧)، والبرهان (١/ ٢٤١).

(٤) البرهان (١/ ٢٤٢).

(٥) تراجع في الفتح (٩/ ٥١).

(٦) سورة آل عمران: آية (١٦١).

فالقوا الله بالمصاحف. قال الزهري: فبلغني أن ذلك كرهه من مقالة ابن مسعود رجال أفاضل أصحاب النبي ﷺ[١].

ثم صار المسلمون ينتسخون المصاحف من المصاحف العثمانية التي وجَّه بها عثمان إلى الأمصار.

وكانت المصاحف أول الأمر خالية من التنقيط والإعراب (الشكل) حتى تشتمل القراءات بالأحرف المختلفة، وما اختلف في الرسم بزيادة واو أو لام ونحو ذلك، كتب في أحد المصاحف بوجه وفي آخر بوجه آخر، ولأجل ألاَّ يختلط القرآن بغيره كره الصحابة وضع أي كتابة في المصاحف غير الآيات، فعن مسروق عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه كره التعشير في المصحف[٢]، والتعشير هو وضع العلامات بعد كل عشر آيات، وقد استمر التابعون على هذا المنهج، فورد كراهة التعشير عن عطاء، وإبراهيم، ومجاهد، وابن سيرين، وغيرهم[٣].

وكان إبراهيم يقول: جردوا القرآن ولا تخلطوا عليه ما ليس منه[٤]، ومعنى جردوا أي من النقط والإعراب وما أشبههما[٥].

واستمر هذا الحال بالتابعين حتى رأوا مصلحة التنقيط، فمنهم من أجازه بعد

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن (٥/ ٢٨٥) ٣١٠٤.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة (١٠/ ٥٤٨) ١٠٢٩٠، والمصنف لعبد الرزاق (٤/ ٣٢٢)، والمحكم في نقط المصاحف (١٤)، وفضائل القرآن لابن الضريس (٨٤).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٤٨، ٥٤٩)، وإحياء علوم الدين (١/ ٢٨٣)، وفضائل القرآن لابن الضريس (٨٤).

(٤) المصنف لابن أبي شيبة (٢/ ٤٨٩)، والمصاحف (١٥٦)، وشعب الإيمان (٥/ ٥٩٨) ٢٤٢٤، وفضائل القرآن لأبي عبيد (٣٩).

(٥) النهاية في غريب الحديث لأبي عبيد (١/ ٢٥٦).

كالحسن، وابن سيرين[١].

وكذلك كانوا يكرهون بيع المصاحف؛ للآثار الواردة عن الصحابة في كراهة ذلك، ثم رأوا أن المصلحة اقتضت ذلك، فتغير اجتهاد بعضهم تبعًا لذلك، فأجاز الحسن بيعها بعد كراهته لذلك[٢].

وقد بلغ اهتمام التابعين أن شرعوا بأمر الحجاج في عدِّ حروف القرآن.

عدد السور:

وأما عدد سوره فكانت عند جمهورهم (١١٤) سورة، وقد ورد عن مجاهد أنها (١١٣) سورة[٣]؛ لأنه كان يجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة لعدم البسملة فيهما، وقريب من ذلك سعيد بن جبير، فإنه لما كان يعد السبع الطوال كان يعد منها يونس، فكأنه جعل الأنفال مع براءة سورة واحدة، ويرده تسمية النبي ﷺ كلاً منها[٤].

عدد الحروف:

وقد بعث الحجاج بن يوسف إلى قراء البصرة فجمعهم، واختار منهم الحسن البصري، وأبا العالية، وآخرين، وقال: عدُّوا حروف القرآن، فبقوا أربعة أشهر يعدُّون بالشعير، فأجمعوا على أن كلماته (٧٧٤٣٩) كلمة، وأجمعوا على أن عدد حروفه (٣٢٣٠١٥) حرفًا[٥]، وعن مجاهد (٣٢٣٠٢١) حرفًا، وفي رواية (٣٤٠٧٤٠) حرفًا[٦]، وسبب هذا الاختلاف أن الكلمة لها حقيقة ورسم، والقراءات

(١) المحكم في نقط المصاحف (٢١)، وفضائل القرآن لأبي عبيد (٢٤٠).
(٢) المصاحف (١٧٧).
(٣) البرهان (١/ ٢٥١)، وإحياء علوم الدين (١/ ٢٨٣).
(٤) البرهان (١/ ٢٥١)، و(١/ ٢٤٤).
(٥) البرهان (١/ ٢٤٩).
(٦) البرهان (١/ ٢٤٩).

تختلف في زيادة بعض الحروف ونقصانها، فأدى إلى هذا الاختلاف[١].

تحزيب القرآن:

وأما تحزيب القرآن، فإن القرآن قد نزل سوراً عديدة منها الطويل ومنها القصير، وكان ذلك لتيسير الحفظ والتلاوة.

ويشير قتادة إلى أن حكمة ذلك أيضًا تحقيق كون السورة بمفردها معجزة، وآية من آيات الله، وغير ذلك من الحكم[٢].

ولذا فقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يقسمون تلاوتهم بحسب السور بترتيب المصحف؛ لأن ترتيبه محكم، قال الحسن عن الفاتحة: إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن، ثم أودع القرآن في المفصَّل، ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة، فمن علم تفسيرها كان كمن تعلم تفسير جميع الكتب المنزلة.

ولذا قال السيوطي: افتتح سبحانه كتابه بهذه؛ لأنها جمعت مقاصد القرآن، ولذلك كان من أسمائها أم القرآن وأم الكتاب[٣].

ولهذا فإن تقسيم الصحابة كان بالسور، فعن أوس بن حذيفة أنه وفد على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف فسمع من أصحاب النبي ﷺ أنه كان يحزّب القرآن، قال: فسألت أصحاب رسول الله ﷺ: كيف تحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده[٤].

ولما ظهر عد الآيات والكلمات في عهد الصحابة، ظهر تحزيب جديد بالعواشر

---

(١) البرهان (١/ ٢٥٥)، وفنون الأفنان لابن الجوزي (٢٣٦، ٢٣٧).

(٢) مفتاح السعادة (٣٢٩٥).

(٣) أسرار ترتيب القرآن (٧٣).

(٤) رواه ابن ماجه في كتاب الإقامة، باب في كم يستحب أن يختم (١/ ٤٢٧، ٤٢٨).

والأسباع، فكان من المهتمين بذلك قتادة، فكان له عواشر، وأسباع، فعن همام قال: جاءني سعيد بن أبي عروبة فطلب مني عواشر القرآن عن قتادة، فقلت له: أنا أنسخه لك وأرفعه إليك[١].

وعن قتادة قال: إن أسباع القرآن سبع: الأول: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[٢]، والثاني: ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[٣]، والثالث: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[٤]، والرابع: خاتمة المؤمنين، والخامس: خاتمة سبأ، والسادس: خاتمة الحجرات، والسابع: ما بقي[٥]، ولا شك أن تحزيب الصحابة أولى وأبعد عن قطع صلة الآيات بعضها ببعض، والله تعالى أعلم[٦].

معرفة أسماء السور:

وقد اهتم التابعون كذلك بمعرفة أسماء السور، ولبعض السور عدة أسماء، حتى قيل: إن للفاتحة نيفًا وعشرين اسمًا، وقد ورد عن ابن سيرين أنه كان يكره أن يقول: (أم الكتاب)، قال: ويقرأ قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٧]، ولكن يقول: فاتحة الكتاب، والجمهور على الجواز[٨].

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٧٣).

(٢) سورة النساء: آية (٧٦).

(٣) سورة الأنفال: آية (٣٦).

(٤) سورة الحجر: آية (٤٩، ٥٠).

(٥) الناسخ والمنسوخ لقتادة (٥١)، وفنون الأفنان (٤٥).

(٦) يراجع في أفضلية تحزيب الصحابة، وبيان أحسن التحزيب: مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٠٥ - ٤١٧).

(٧) سورة الرعد: آية (٣٩).

(٨) وبنحوه عن الحسن، ذكر ذلك القرطبي في تفسيره (١/ ١١١).

وعن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الأنفال، قال: تلك سورة بدر[١].

وعن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: التوبة! بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل: وفيهم، ومنهم، حتى ظننا أن لا يبقى منا أحد إلا سينزل فيه[٢].

وعن زيد بن أسلم أن رجلاً قال لابن عمر: سورة التوبة، فقال: وأيتهنّ سورة التوبة؟ فقال: براءة، فقال: وهل فعل بالناس الأفاعيل إلا هي؟ ما كنا ندعوها إلا المقشقشة[٣].

وعن قتادة قال: كانت تسمى هذه السورة (أي التوبة) الفاضحة، فاضحة المنافقين[٤].

وعن قتادة في سورة النحل قال: (تسمى سورة النِّعَم)[٥].

وعن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر، قال: قل: سورة بني النضير[٦].

قال ابن حجر: كأنه كره تسميتها بالحشر لئلا يظن أن المراد يوم القيامة، وإنما المراد هاهنا إخراج بني النضير[٧].

---

(١) الإتقان (١/ ٧٢)، وأسئلة ابن جبير مجموعة في حديث واحد في فضائل القرآن لأبي عبيد (١٣٥).

(٢) زاد المسير (٣/ ٣٨٩)، والدر المنثور (٤/ ١٦٠)، وفتح القدير (٢/ ٣٣٢).

(٣) الإتقان (١/ ٧٢).

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٣٣٢) ١٦٩٠٩.

(٥) الإتقان (١/ ٧٢).

(٦) زاد المسير (٨/ ٢٠١)، والدر المنثور (٨/ ٨٨).

(٧) الإتقان (١/ ٧٣).

وكان ابن سيرين يكره تسمية (الحواميم)، ويقول: إنما هي (آل حم)[١].

الأداء:

ولم تقتصر همة التابعين على إتقان الرسم، ومعرفته، بل هدى ذلك إلى الأداء، فكان الحسن يكره القراءة بالألحان.

واهتموا كذلك **بالوقف والابتداء**، فعن الشعبي قال: إذا قرأت: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾[٣] فلا تسكت حتى تقرأ: ﴿**وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**﴾[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿**لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ**﴾[٥]، جاء أن سعيد بن جبير كان يستحب أن يسكت على ﴿**بِكْرٌ**﴾، ثم يقول: ﴿**عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ**﴾[٦].

وعن عبد الله بن أبي الهذيل (تابعي كبير) قال: كانوا يكرهون أن يقرءوا بعض الآيات، ويدعوا بعضها[٧].

يريد أنهم كانوا يقفون على كل آية[٨].

ولشدة حرصهم على التلقي كانوا يتحرون في لفظ القراءة ألا تنسب لرجل؛ لأن القرآن كلام الله، قال النخعي: كانوا يكرهون أن يقولوا: قراءة عبد الله، وقراءة سالم، وقراءة أبي، وقراءة زيد، بل يقال: فلان كان يقرأ بوجه كذا، وفلان كان يقرأ بوجه

---

(١) البرهان (١/ ٤٤٤).
(٢) زاد المعاد (١/ ١٣٤).
(٣) سورة الرحمن: آية (٢٦).
(٤) الدر المنثور (٧/ ٦٩٨)، وصحح إسناده في الإتقان (١/ ١١٠).
(٥) سورة البقرة: آية (٦٨).
(٦) الدر المنثور (١/ ١٩٠).
(٧) الإتقان (١/ ١١٥).
(٨) الإتقان (١/ ١١٥).

كذا[١].

وفي أوجه الأداء أيضًا حدث الأعمش، عن إبراهيم قال: كانوا يرون أن الألف والياء في القراءة سواء، قال: يعني بالألف والياء: **التفخيم والإمالة**[٢].

وجاء في باب **الإدغام** بعض نقلٍ عن الحسن، والأعمش[٣].

وبعد هذا كله، فقد حاولت فيما سبق إبراز جهود التابعين في بيان أصول التفسير، والتي اعتمد عليها من جاء بعدهم في تأسيس الكثير من علوم القرآن، وقد بقي من ذلك جملة كبيرة في أنواع أخرى غير ما تقدم ذكره، وإن كانت النقول عنهم أقل مما سبق في الجملة، ولكن لإتمام الفائدة أذكر بعض الأنواع التي لم يتقدم لها ذكر، مع إشارة لبعض الآثار عن التابعين فيها، فمن ذلك:

معرفة الحضري والسفري مما نزل:

ففي قوله تعالى: ﴿**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا**﴾[٤].

فعن الزهري أنها نزلت في عمرة الحديبية[٥]، وعن السدي: أنها نزلت في حجة الوداع[٦].

وعن محمد بن كعب القرظي قال: نزلت سورة المائدة في حجة الوداع فيما بين مكة، والمدينة[٧].

---

(١) الإتقان (١/ ١٠٩)، ونقل عن النووي أن الصحيح أنه لا يكره.

(٢) الإتقان (١/ ١٢٠).

(٣) ينظر في الإتقان (١/ ١٢٣).

(٤) سورة البقرة: آية (١٨٩).

(٥) الإتقان (١/ ٢٤).

(٦) الإتقان (١/ ٢٤).

(٧) فضائل القرآن لأبي عبيد (١٢٨)، والإتقان (١/ ٢٥)، والدر المنثور (٣/ ٣)، وفتح القدير (٢/ ٣).

وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ...﴾[١] الآية، قال: ذكر لنا أنها نزلت على رسول الله ﷺ وهو ببطن نخل في الغزوة السابعة، حين أراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا به فأطلعه الله على ذلك[٢].

ما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة:

عن سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ما قيل في أمر عائشة قال: سبحانك هذا بهتان عظيم، فنزلت كذلك[٣].

وعن سعيد بن المسيب قال: كان رجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا سمعا شيئًا من ذلك قالا: سبحانك هذا بهتان عظيم، زيد بن حارثة، وأبو أيوب، فنزلت كذلك[٤].

وعن عكرمة قال: لما أبطأ على النساء الخبر في أحد خرجن يستخبرن، فإذا رجلان مقبلان على بعير، فقالت امرأة: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قال: حي، قالت: فلا أبالي أن يتخذ الله من عباده الشهداء، فنزل القرآن على ما قالت: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾[٥].

ما تأخر حكمه عن نزوله:

عن قتادة في قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ قال: وعده الله، وهو يومئذ بمكة أنه سيهزم جندًا من المشركين، فجاء تأويلها يوم بدر[٧].

---

(١) سورة المائدة: آية (١١).
(٢) الدر المنثور (٣/ ٣٨)، والإتقان (١/ ٢٠).
(٣) الإتقان (١/ ٤٦).
(٤) الإتقان (١/ ٤٦).
(٥) سورة آل عمران: آية (١٤٠)، وينظر الدر المنثور (٢/ ٣٣٣)، والإتقان (١/ ٤٧).
(٦) سورة القمر: آية (٤٥).
(٧) الإتقان (١/ ٤٨)، والدر المنثور (٧/ ٦٨٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[١].

قال عكرمة: نزلت في المؤذنين[٢].

ما نزل مفرقًا، وما نزل جمعًا:

عن مجاهد قال: نزلت الأنعام كلها جملة واحدة، معها خمسمائة ملك[٣].

وعن عطاء قال: أنزلت الأنعام جميعًا، ومعها سبعون ألف ملك[٤].

ما نزل مشيعًا:

ومنها سورة الأنعام كما تقدم فيما نزل جمعًا، وعن سعيد بن جبير قال: ما جاء جبريل بالقرآن إلى النبي ﷺ إلا ومعه أربعة من الملائكة حفظة[٥].

ما أنزل من القرآن على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي ﷺ:

فعن السدي في سورة (والنجم) قال: إن هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى مثل ما نزلت على النبي ﷺ[٦].

وقد جاء عن كعب في هذا الباب عدة روايات وآثار لعلمه بالتوراة.

فمن ذلك أنه قال: إن محمدًا ﷺ أعطي أربع آيات لم يعطهن موسى، وإن موسى أعطي آية لم يعطها محمد ﷺ، ثم ذكر من الآيات التي أعطيت لمحمد خواتيم سورة

---

(١) سورة فصلت: آية (٣٣).
(٢) الإتقان (١/ ٤٩)، والدر المنثور (٧/ ٣٢٥)، وفتح القدير (٤/ ٥١٥).
(٣) الإتقان (١/ ٥٠)، والدر المنثور (٣/ ٢٤٤).
(٤) الإتقان (١/ ٥٠)، والدر المنثور (٣/ ٢٤٥).
(٥) أورده السيوطي في الإتقان، وصحح إسناده (١/ ٥١).
(٦) الإتقان (١/ ٥٢).

البقرة[١].

وعنه أيضًا مما نزل على موسى في التوراة عشر آيات من سورة الأنعام: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ...﴾ الآيات[٢].

ومن آداب تلاوته وتأليفه:

جاء عن مكحول في وقت القراءة قوله: كان أقوياء أصحاب رسول الله ﷺ يقرءون القرآن في سبع، وبعضهم في شهر، وبعضهم في شهرين، وبعضهم في أكثر من ذلك[٣].

وكره الشعبي القراءة في الحش، وبيت الرحا، وهي تدور[٤].

وكان إبراهيم النخعي إذا قرأ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾، و﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[٦]، كان يخفض بها صوته[٧].

وإذا ارتج على القارئ فلم يدر ما بعد الموضع الذي انتهى إليه فلا يسأل كيف كذا وكذا، فعن إبراهيم النخعي قال: إذا سأل أحدكم أخاه عن آية فليقرأ ما قبلها ثم يسكت، ولا يقول: كيف كذا أو كذا؛ فإنه يلبس عليه[٨].

---

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (١٢٣)، والإتقان (١/ ٥٢).
(٢) الآيات (١٥١ ـ ١٥٤) من سورة الأنعام، والأثر أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (١٤٧)، وينظر الإتقان (١/ ٥٢).
(٣) الإتقان (١/ ١٣٨).
(٤) الإتقان (١/ ١٣٨).
(٥) سورة التوبة: آية (٣٠).
(٦) سورة المائدة: آية (٦٤).
(٧) الإتقان (١/ ١٤١).
(٨) الإتقان (١/ ١٤٣).

وينبغي أن يقرأ المصحف على الترتيب، فعن ابن سيرين عن الرجل يقرأ من السورة آيتين ثم يدعها، ويأخذ في غيرها، قال: ليتق أحدكم أن يأثم إثمًا كبيرًا، وهو لا يشعر[١].

وعن ابن عون قال: كان ابن سيرين يكره أن يقرأ الرجل القرآن إلا كما أنزل، يكره أن يقرأ ثم يتكلم ثم يقرأ[٢].

وكانوا يجتمعون على ختم القرآن، فعن مجاهد قال: كانوا يجتمعون عند ختم القرآن، ويقول: عنده تنزل الرحمة[٣].

وعن الحكم به عتيبة قال: أرسل إليّ مجاهد، وعنده ابن أبي أمامة وقالا: إنا أرسلنا إليك لأنا أردنا أن نختم القرآن[٤].

معاني بعض الأدوات التي يحتاج إليها المفسر:

جاء عن السدي، عن أبي مالك قال: ما كان في القرآن (إن) بكسر الألف فلم يكن، وما كان (إذ) فقد كان[٥].

وعن مجاهد قال: كل شيء في القرآن (إن) فهو إنكار[٦].

وعن مجاهد: كل (ظن) في القرآن يقين[٧].

---

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (٩٦)، والإتقان (١/ ١٤٤).

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد (٩٧).

(٣) الإتقان (١/ ١٤٥).

(٤) الإتقان (١/ ١٤٥)، والزيادة والإحسان (٣/ ٢٠٩) النوع (٤٢)، تحقيق: محمد صفا.

(٥) الإتقان (١/ ١٩٢)، والزيادة والإحسان (١/ ١٢١) النوع (١٤٤) تحقيق: خالد اللاحم.

(٦) الإتقان: (١/ ٢٠٢)، والزيادة والإحسان (١/ ١٧٣) النوع (١٤٤) تحقيق: خالد اللاحم.

(٧) الإتقان (١/ ٢١٣)، ورد بنحو قوله: ﴿إن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ ونحوها، والظاهر أنه يفيد اليقين إذا جاء بعده (أن) المثقلة، ينظر الزيادة والإحسان (١/ ٢٤٧) النوع (١٤٤) تحقيق: خالد اللاحم.

وعن السدي، عن أبي مالك قال: كل ما في القرآن (فلولا)، فهو فهلاّ، إلا حرفين في يونس: ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾[١]، يقول: فما كانت قرية، وقوله: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾[٢].

وفي فهم التابعين للتبعيض من (مِنْ) جاء عن مجاهد أنه قال: لو قال إبراهيم: فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم لزاحمتكم عليه الروم وفارس[٣].

ومن معرفة إعراب القرآن:

جاء عن الحسن أنه قيل له: يا أبا سعيد، الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق، ويقيم بها قراءته، قال: يا ابن أخي تعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعي بوجهها فيهلك فيها[٤].

وجاء عنهم ترجيح بعض القراءات، وسبق بيانه[٥].

ومن موهم الاختلاف في القرآن:

ما جاء عن السدي في الجمع بين نفي المسألة يوم القيامة في قوله: ﴿فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾[٦]، وإثباتها في قوله: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ

---

(١) سورة يونس: آية (٩٨)، وينظر الإتقان (١/ ٢٢٨)، والزيادة والإحسان (١/ ٣٢٧) النوع (١٤٤) تحقيق: خالد اللاحم، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن أبي حاتم، عن أبي مالك بنحوه (٤/ ٣٩١).

(٢) سورة الصافات: آية (١٤٣).

(٣) الإتقان (١/ ٢٣١)، والزيادة والإحسان (١/ ٣٤٣) النوع (١٤٤) تحقيق: خالد اللاحم.

(٤) الإتقان (١/ ٢٣٥)، والزيادة والإحسان (٢/ ٤٥٦) النوع (٣٣) تحقيق: محمد صفا.

(٥) في مبحث منهجهم في القراءات ص (٧٤٨) من هذه الرسالة.

(٦) سورة المؤمنون: آية (١٠١).

يَتَسَاءَلُونَ﴾[١] ، فقد جاء عنه أن نفي المسألة عند تشاغلهم بالصعق والمحاسبة والجواز على الصراط ، وإثباتها فيما عدا ذلك[٢] .

ومن دلالة المنطوق :

ما حُكي عن محمد بن كعب القرظي : في إباحة صوم الجنب استدلالاً بالإشارة في قوله تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾[٣] ؛ إذ إباحة الجماع إلى طلوع الفجر تستلزم كونه جنبًا في جزء من النهار[٤] .

وفي بيان كنايات القرآن :

جاء عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾[٥] .

قال : يعني أستاههم ، ولكن الله يكني[٦] .

وفي معرفة إيجاز القرآن والإطناب :

جاء عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ . . .﴾[٧] ، ثم وقف فقال : إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة ، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئًا إلا جمعه ، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من

---

(١) سورة الصافات : آية (٥٠) .

(٢) الإتقان (٢/ ٣٦) ، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٨/ أ) النوع (١٠٥) ، والدر المنثور (٦/ ١١٦) ، وفتح القدير (٣/ ٥٠١) .

(٣) سورة البقرة : آية (١٨٧) .

(٤) الإتقان (٢/ ٤٢) ، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٦/ أ) النوع (١٠٢) .

(٥) سورة الأنفال : آية (٥٠) .

(٦) الإتقان (٢/ ٦٢) ، الدر المنثور (٤/ ٨١) ، وفتح القدير (٢/ ٣١٨) .

(٧) سورة النحل : آية (٩٠) .

معصية الله شيئًا إلا جمعه[١].

ويوضح ابن شهاب ذلك في معنى حديث الشيخين: «**بعثت بجوامع الكلم**»[١] قال: بلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد، والأمرين ونحو ذلك[٣].

ومن بدائع القرآن:

في معرفة اللف والنشر بأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد ثم يذكر أشياء على عدد ذلك، كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم، ويفوض إلى عقل السامع رد كل واحد إلى ما يليق به[٤].

جاء عن مجاهد في ﴿**وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ**﴾[٥]، ﴿**وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ**﴾[٦]، فسَّر السائل بالسائل عن العلم، فناسب أن يرجع إلى قوله: ﴿**وَوَجَدَكَ ضَالاً**﴾[٧].

ومن العلوم المستنبطة من القرآن:

جاء عن الحسن أنه قال: أنزل الله مائة وأربعة كتب، وأودع علومها أربعة منها: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان، ثم أودع علوم القرآن المفصل، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب، فمن علم تفسيرها كان كمن علم

---

(١) الإتقان (٢/ ٧١)، والدر المنثور (٥/ ١٦٠)، وفتح القدير (٣/ ١٨٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب التعبير، باب المفاتيح في اليد، ينظر الفتح (١٢/ ٤٠٠) ٧٠١٣، ورواه مسلم في كتاب المساجد (١/ ٣٧١) ٥٢٣.

(٣) الإتقان (٢/ ٧١).

(٤) الإتقان (٢/ ١٢٠).

(٥) سورة الضحى: آية (٧).

(٦) سورة الضحى: آية (١٠).

(٧) الإتقان (٢/ ١٢٠)، وزاد المسير (٩/ ١٦٠).

تفسير جميع الكتب المنزلة[١].

وقد وجه ذلك بأن العلوم التي احتوى عليها القرآن، وقامت بها الأديان أربعة: علم الأصول، ومداره على معرفة الله تعالى وصفاته، وإليه الإشارة بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ومعرفة النبوات، وإليه الإشارة بـ ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ومعرفة المعاد، وإليه الإشارة بـ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وعلم السلوك، وهو حمل النفس على الآداب الشرعية، والانقياد لرب البرية، وإليه الإشارة بـ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وعلم القصص، وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه، وإليه الإشارة بقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. فنبه في الفاتحة على مقاصد القرآن، وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال، مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة، والمقاطع المستحسنة، وأنواع البلاغة[٢].

وعن سعيد بن جبير قال: ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله[٣].

وفي معرفة ما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب:

فمن أخبار الأنبياء:

ما جاء عن الحسن أن يوسف عليه السلام ألقي في الجب وهو ابن ثنتي عشرة سنة، ولقي أباه بعد الثمانين، وتوفي وله مائة وعشرون[٤].

---

(١) شعب الإيمان (٢/ ٦٨١)، والإتقان (٢/ ١٣٦، ١٦٠)، والزيادة والإحسان (٣/ ٨١٩) النوع (٤١)، تحقيق: محمد صفا.

(٢) الإتقان (٢/ ١٣٦)، وروح المعاني (١/ ٣٦)، والزيادة والإحسان (٣/ ٨٢٠) النوع (٤١) تحقيق: محمد صفا.

(٣) الإتقان (٢/ ١٦٠).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، في كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين (٢/ ٥٧١).

وفي شعيب عليه السلام: جاء عن السدي وعكرمة قالا: ما بعث الله نبيًا مرتين إلا شعيبًا؛ مرة إلى مدين فأخذهم الله بالصيحة، ومرة إلى أصحاب الأيكة، فأخذهم الله بعذاب يوم الظلة. ويصف كعب داود عليه السلام فيقول: كان أحمر الوجه، سبط الرأس، أبيض الجسم، طويل اللحية فيها جعودة، حسن الصوت والخلق، وجمع له النبوة والملك[١].

وفي مدة لبث يونس عليه السلام في بطن الحوت قال قتادة: ثلاثة، وقال الشعبي: التقمه ضحى، ولفظه عشية[٢].

وينسب سعيد بن جبير اليسع، فيقول: هو ابن أخطوب بن العجوز، قال: والعامة تقرؤه بلام واحدة مخففة[٣].

ومن أسماء غير الأنبياء التي جاءت في القرآن:

قال السدي: إن بشرى هو الاسم الوارد المذكور في قوله تعالى: ﴿يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ﴾[٤].

وعن السدي في قوله: ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[٥]، قال: السجل: ملك موكل بالصحف[٦].

---

(١) الإتقان (٢/ ١٧٨)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٩٤/ أ) النوع (١٣٣).
(٢) الإتقان (٢/ ١٧٨)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٩٤/ أ) النوع (١٣٣).
(٣) وقرأ بعضهم والبيّع بلامين وبالتشديد، ينظر الإتقان (٢/ ١٧٩).
(٤) سورة يوسف: آية (١٩)، وينظر معاني القرآن للنحاس (٣/ ٤٠٥).
(٥) سورة الأنبياء: آية (١٠٤).
(٦) الإتقان (٢/ ١٨٠)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٣/ ب) النوع (١٣٣)، وزاد المسير (٥/ ٣٩٥).

وعن مجاهد في قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[١]، قال: قعيد: اسم كاتب السيئات[٢].

وجاء عن مجاهد أن (آزر) ليس أبا إبراهيم[٣].

وفي أسماء إبليس، جاء عن سعيد بن جبير: أن اسم إبليس كان الحارث، وكذا قال السدي[٤].

ومن أسماء القبائل والأقوام:

أصحاب الرس: قال عكرمة: هم أصحاب ياسين، وقال قتادة: هم قوم شعيب[٥].

ومن أسماء الأصنام:

الجبت والطاغوت: قال عكرمة عنهما: إنهما صنمان[٦].

واللات: قال مجاهد عنه: إنه كان رجلاً يلتّ السويق للحاج[٧].

وفي معرفة الأماكن والبقاع والجبال:

جاء عن الحسن في طوى: أنه واد بفلسطين قيل له: طوى؛ لأنه قد مدَّ مرتين[٨].

والرقيم: جاء عن سعيد بن جبير أنه واد، وعن قتادة، هو اسم الوادي الذي في

---

(١) سورة (ق): آية (١٧).
(٢) الإتقان (٢/ ١٨٠)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٣/ ب) النوع (١٣٣).
(٣) الإتقان (٢/ ١٨١)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٣/ ب) النوع (١٣٣).
(٤) الطبري (١٣/ ٣٠٧، ٣١٣) ١٥٥١١، ١٥٥٢٥، والإتقان (٢/ ١٨١).
(٥) الإتقان (٢/ ١٨١)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٣/ ب) النوع (١٣٣).
(٦) الإتقان (٢/ ١٨١)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٤/ أ) النوع (١٣٣).
(٧) الإتقان (٢/ ١٨١)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٤/ أ) النوع (١٣٣).
(٨) الإتقان (٢/ ١٨٢)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٤/ أ) النوع (١٣٣).

الكهف[١].

وفي قوله تعالى: ﴿سَيْلَ الْعَرِمِ﴾[٢]، جاء عن عطاء أنه اسم الوادي[٣]، وفي قوله: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾[٤]، جاء عن السدي بلاغًا أن اسم القرية حرد[٥].

وفي قوله: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾[٦]، جاء عن ابن جبير أنها: أرض باليمن تسمى بذلك[٧].

ومن الأسماء الأخروية:

موبقًا: المذكور في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾[٨]، قال عكرمة: هو نهر في النار[٩].

وعن كعب قال: في النار أربعة أودية يعذب الله بها أهلها: غليظ وموبق، وأثام وغي[١٠].

---

(١) الإتقان (٢/ ١٨٢)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٤/ أ) النوع (١٣٣).

(٢) سورة سبأ: آية (١٦).

(٣) الإتقان (٢/ ١٨٢)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٤/ أ) النوع (١٣٣)، الدرالمنثور (٦/ ٦٩٠)، وفتح القدير (٤/ ٣٢٠).

(٤) سورة القلم: آية (٢٥).

(٥) الإتقان (٢/ ١٨٢)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٤/ أ) النوع (١٣٣)، وفتح القدير (٥/ ٢٧٢).

(٦) سورة القلم: آية (٢٠).

(٧) تفسير الطبري (٢٩/ ٣١)، والإتقان (٢/ ١٨٢)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٤/ أ) النوع (١٣٣).

(٨) سورة الكهف: آية (٥٢).

(٩) الإتقان (٢/ ١٨٣)، والدر المنثور (٥/ ٤٠٥)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٤/ ب) النوع (١٣٣).

(١٠) الإتقان (٢/ ١٨٣)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٤/ ب) النوع (١٣٣).

والسعير: قال ابن جبير: واد من قيح جهنم[١].

وفي معرفة المبهمات:

قال السيوطي: وكان من السلف من يعتني به كثيراً، قال عكرمة: طلبت الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة[٢].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾[٣]، قال مجاهد: هو موسى[٤].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾[٥]، قال قتادة: هم: أبو سفيان، وأبو جهل، وأمية بن خلف، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن ربيعة[٦].

وفي قوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾[٧]، قال مجاهد: هم عبد الله بن أبي بن سلول، ورفاعة بن التابوت، وأوس بن قيظي[٨].

وفي قوله: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ...﴾[٩]، قال قتادة: سبعة من الأنصار، وذكرهم[١٠].

---

(١) الإتقان (٢/ ١٨٣)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٤/ ب) النوع (١٣٣).
(٢) الإتقان (٢/ ١٨٤)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٤/ ب) النوع (١٣٣).
(٣) سورة البقرة: آية (٢٤٦).
(٤) الإتقان (٢/ ١٨٦)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣/ ب) النوع (١٣٣).
(٥) سورة براءة: آية (١٢).
(٦) الإتقان (٢/ ١٨٦)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٦٨)، وفتح القدير (٢/ ٣٤٢)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٤/ ب) النوع (١٣٣).
(٧) سورة براءة: آية (٤٧).
(٨) الإتقان (٢/ ١٨٦)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٤/ ب) النوع (١٣٣).
(٩) سورة براءة: آية (١٠٢).
(١٠) الإتقان (٢/ ١٨٦)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٤/ ب) النوع (١٣٣).

وقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ﴾[١]، قال كعب: نزلت في علي بن أبي طالب، والوليد بن عقبة[٢].

وقوله: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾[٣]، قال السدي: هما رجلان من بني حارثة، وذكرهما[٤].

وقوله: ﴿قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾[٥]، قال عكرمة: كان تحته تسع نسوة: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وسودة، وأم سلمة، وصفية، وميمونة، وزينب بنت جحش، وجويرية. وبناته: فاطمة، وزينب، ورقية، وأم كلثوم[٦].

وفي قوله: ﴿طَعَامُ الأَثِيمِ﴾[٧]، قال ابن جبير: هو أبو جهل[٨].

وفي قوله: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾[٩]، قال الكرماني: أجمع المفسرون على أنه إسحق، إلا مجاهداً فإنه قال: إسماعيل[١٠].

---

(١) سورة السجدة: آية (١٨).

(٢) الإتقان (٢/ ١٨٨)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٤/ ب) النوع (١٣٣).

(٣) سورة الأحزاب: آية (١٣).

(٤) الإتقان (٢/ ١٨٨)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٤/ ب) النوع (١٣٣)، وزاد المسير (٦/ ٣٦٠).

(٥) سورة الأحزاب: آية (٥٩).

(٦) الإتقان (٢/ ١٨٨)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٤/ ب) النوع (١٣٣).

(٧) سورة الدخان: آية (٤٤).

(٨) الإتقان (٢/ ١٨٨)، والدر المنثور (٧/ ٤١٨)، والزيادة والإحسان (ق/ ١٣٤/ ب) النوع (١٣٣).

(٩) سورة الذاريات: آية (٢٨).

(١٠) الإتقان (٢/ ١٨٩)، وفتح القدير (٥/ ٨٨)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد به (٧/ ٦٢٠).

وفي قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾[١]، قال عكرمة: نزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت، وذكر آخرين[٢].

وفي قوله: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾[٤].

قال السدي: نزلت في جماعة منهم نعيم بن مسعود الأشجعي[٤].

وفي قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[٥].

قال السدي: نزلت في عبد الله بن نبتل من المنافقين[٦].

ومن مفردات القرآن:

أشد الآيات على النبي: قال الحسن: ما أنزلت على النبي ﷺ آية كانت أشد عليه من قوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾[٧].

أخوف آية: عن ابن سيرين قال: لم يكن شيء عندهم أخوف من هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[٨].

وعن أبي العالية قال: آيتان في كتاب الله ما أشدهما على من يجادل فيه: ﴿مَا

---

(١) سورة النساء: آية (٤٤).

(٢) الإتقان (٢/ ١٨٩)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، عن عكرمة به (٢/ ٥٥٣).

(٣) سورة النساء: آية (٩١).

(٤) الإتقان (٢/ ١٩٠)، وفتح القدير (١/ ٤٩٧)، وأورده السيوطي في الدر، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم عن السدي بنحوه (٢/ ٦١٤).

(٥) سورة المجادلة: آية (١٤).

(٦) الإتقان (٢/ ١٩٢)، وزاد المسير (٨/ ١٩٦).

(٧) سورة الأحزاب: آية (٣٧)، والأثر أخرجه ابن أبي حاتم، ينظر الإتقان (٢/ ٢٠٧).

(٨) سورة البقرة: آية (٨)، والأثر أخرجه ابن المنذر، ينظر الإتقان (٢/ ٢٠٧).

يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[١]، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[٢].

ومن خواص القرآن:

عن سعيد بن جبير أنه قرأ على رجل مجنون سورة يس فبرئ[٣].

وأجاز الحسن ومجاهد كتابة القرآن في إناء، ثم يغسل، ويسقى المريض به، وكرهه النخعي؛ لأجل تعظيم القرآن[٤].

وبلغ من تعظيم ابن سيرين للخط أن كان يكره أن تمد الباء إلى الميم حتى نكتب السين[٥].

وكان ابن المسيب يقول: لا يقول أحدكم: مصيحف، ولا مسيجد، ما كان لله تعالى فهو عظيم[٦].

ومن بيان شرف التفسير والحاجة إليه:

استدل مجاهد، وأبو العالية، وقتادة، على شرف التفسير بأنه الحكمة التي قال الله

---

(١) سورة غافر: آية (٤).

(٢) سورة البقرة: آية (١٧٦)، والأثر أخرجه ابن أبي حاتم، ينظر الإتقان (٢/ ٢٠٧).

(٣) فضائل القرآن لابن الضريس (١٦٨)، والإتقان (٢/ ٢١٠)، والزيادة والإحسان (٣/ ٧٦٦) النوع (٤٠) تحقيق: محمد صفا.

(٤) المجموع للنووي (١/ ٤٧٦)، والبرهان (٢/ ١٧١)، والإتقان (٢/ ٢١٢)، والزيادة والإحسان (٣/ ١٠٢٤) النوع (٤٥) تحقيق: محمد صفا، ومفتاح السعادة (٢/ ٥٧٢).

(٥) أخرجه ابن أشته في المصاحف، ينظر الإتقان (٢/ ٢١٨)، والزيادة والإحسان (٢/ ٤٢٣) النوع (٥١)، تحقيق: عبد الرحمن العندس.

(٦) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف، ينظر الإتقان (٢/ ٢٢١).

تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]، قال: فالحكمة قراءة القرآن، والتفكر فيه[2].

* * *

(١) سورة البقرة: آية (٢٦٩).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٥٧٦، ٥٧٧) ٦١٧٨ ـ ٦١٨١، وينظر الإتقان (٢/ ٢٢٤)، والزيادة والإحسان (٢/ ٩٣٥) النوع (١٤٢) تحقيق: مصلح عبد الكريم السامدي، وزاد المسير (١/ ٣٢٤)، وفتح القدير (١/ ٢٩١).

الخاتمة

والآن وبعد هذا العيش مع عصر التابعين، وبعد هذه الجولة في تفسيرهم، ومعرفة أشهر رجاله، والاطلاع على مناهجهم واتجاهاتهم، ومدارسهم، وخصائصها، يحسن بي أن ألخص أهم الثمار التي جنيتها وأبرز النتائج التي توصلت إليها.

إن طبيعة البحث في مثل هذا الموضوع أمرٌ ليس بالهين، وإن جمع شتات عصر كامل من بين أوراق ومجلدات جهدٌ غير سهلٍ، وأحسب أن مثل هذا العمل، وهذه الدراسة المقارنة تحتاج إلى جهود علمية كبيرة، وأشعر أن بحثي هذا أس في بناء، ونبتة تستوجب العناية للنماء، وبداية تستوجب الرعاية.

إنه محاولة لبيان منهج وأسلوب، ليس جديداً، وإنما هو عميق ومفيد، ألا وهو منهج المقارنة، والذي لم يخض غماره - وخاصة في التفسير - إلا القليل من الباحثين.

وحسبي أني شاركت وسرت خلف ركاب النجب ذا عرج، سائلاً الله أن يقوّم ما بي من عوج، لأتشبه بالكرام لعلي أفلح، وأحب الصالحين وأسأل الله أن يجعلني منهم، ويرزقني الإخلاص في القول والعمل.

لقد عشت في بحثي هذا خمس سنين، لم أكلّ، ولم أملّ، جمعت ورتبت، وأضفت وحذفت، ودرست وقارنت، اطلعت على علوم كثيرة، وبحوث عديدة، وعشت بوجداني مع هذا البحث، حتي لازمني ليلاً ونهاراً، وحضراً وسفراً، بل لا أكون قد بالغت إن قلت: ويقظة ونومًا.

وإنني أحمد الله وحده الذي بفضله تتم الصالحات، فإني ما مررت بمبحث إلا وقد

طالعت فيه ما أكسبني علمًا جديدًا، ومعرفة أخرى، وهذا من مزايا هذه البحوث العلمية المتخصصة، والمراجع لهذه الرسالة يجد بحمد الله جملة ـ أحسبها طيبة ـ من النتائج التي لم أعثر عليها عند من سبقني إليها، ويعلم الله وحده كم كلفني ذلك من جهد ووقت وكدِّ ذهن، ومقارنة ونظر وتأمل، ومتابعة وتدقيق، أسأل الله عز وجل أن تكون خالصة صوابًا.

وقد وصلت في هذا البحث بتوفيق الله وعونه وتسديده إلى عدة نتائج وفوائد أستخلص منها بعضًا، من أهمها:

١ـ مدارس التفسير:

لقد خلصت من خلال الدراسة لأعلام المفسرين من التابعين إلى أن هناك مدارس، جمعت اتجاهات فكرية محددة، ومناهج واحدة في التفسير، وهي المكية، والبصرية، والكوفية، والمدنية، وأيضًا المصرية والشامية واليمنية، وكان ظني لأول وهلة أن المكان هو العامل الرئيس لتحديد هوية المدرسة، ولكن ما لبثت أن استبعدت ذلك لما رأيت تقاربًا بين مدارس البصرة والمدينة واليمن والشام، في حين تقاربت مدرستا مكة والكوفة ومصر، فلو كان عامل المكان هو العامل الأساسي لكانت المدرستان العراقيتان أولى بالتقارب كما ظنه من ظنه من الباحثين.

واقتضى مني ذلك أن أبحث عن عوامل أخرى لذلك، وتوصلت إلى أن عدة عوامل تؤثر في الاتجاه الفكري للمدرسة، منها المكان وإن لم يكن العامل الأساسي كما أسلفت، ومنها والله أعلم ـ ولعله الأهم ـ عامل شخصية الشيخ، وقرب التلاميذ منه، وكثرة أخذهم عنه، لقد كان أثر شخصية ابن عباس ـ مثلاً ـ أثرًا قويًا تعدى نطاق الحجاز، فأثر في كثير من مفسري العراق، فالسدي وإن كان كوفيًا فإنه بسبب كثرة اشتغاله بتفسير ابن عباس وروايته نجده قد تأثر بالمنهج المكي أكثر، وكذلك الحال بالنسبة

لسعيد بن جبير الكوفي، ونلحظ ذلك التأثر في كثرة مروياته وموافقاته لابن عباس، في حين قلّت مروياته عن شيخ الكوفة ابن مسعود.

فإذا انتقلنا إلى البصرة فإننا نجد أن أبا العالية أقرب إلى منهج المدرسة المكية منه إلى المدرسة البصرية.

وقد لا يكون التأثر بشخصية الشيخ، وإنما يكون بالمنهج نفسه، فعطاء وإن كان من المدرسة المكية إلا أنه أقرب إلى المنهج المدني وأهل الأثر، وابن سيرين البصري كان يؤثر منهج الشعبي الكوفي ويرضى عنه، ولم يكن هذا حاله مع أهل بلده كالحسن، ولا مع كوفي آخر كإبراهيم.

* ومن جهة أخرى رأيت أنه مع قلة الاتصال بين ابن مسعود وابن عباس - رضي الله عنهم - وعدم رواية ابن عباس عنه، فإن التقارب كان كبيراً بين أصحاب المدرستين، بل يمكن أن يقال: أن المدرسة المكية أكثر المدارس تأثيراً في عموم مفسري التابعين، من نشأ بها ومن لم ينشأ بها، فأبو العالية البصري مثلاً أقرب - فيما ظهر لي - من عطاء إلى المدرسة المكية، وجابر بن زيد، والسدي، وسعيد بن جبير - كما سبق - مكيو المشرب والتصنيف.

* ولقد بدا لي أن يكون تصنيف المدارس على أسس الاتجاهات الفكرية في التفسير، لا على المكان، فتكون هناك مدرسة المجتهدين وتشمل: مجاهداً، والحسن، وعكرمة.

وهناك المدرسة الأثرية، ويكون من أصحابها أهل المدينة كسعيد بن المسيب، وعروة، وكذلك قتادة، وعطاء، والشعبي، وسعيد بن جبير.

* ومن النتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة أيضاً مما يتعلق بالمدارس: إبراز مدرسة البصرة بوصفها مدرسة مستقلة لها نتاجها المتميز في التفسير، وقد دأب

الباحثون ـ فيما اطلعت عليه ـ أن يدمجوها مع الكوفة، ويتحدثون عن المدرستين باسم المدرسة العراقية، مما ترتب عنه إغفال إفرادها بالحديث، وإهمال النظر في منهجها، مع أنها لا تقل شأنًا عن مدرسة الكوفة، بل هي في نظري أهم منها؛ لأن نتاجها التفسيري أكثر وأعمق، ناهيك عن أن من الكوفيين المكثرين من هو مكي الاتجاه كسعيد بن جبير، والسدي.

* ومما تجدر الإشارة إليه أيضًا أنني لم أجد نتاجًا واضحًا متميزًا للمدارس المصرية والشامية واليمنية، بل كان ما ورد عنها مع قلته جدًا إنما هو اقتداء واتباع لإحدى المدارس الأربع الأخرى، ولذا رأيت أن لا أتكلف لها مميزات، وتجنبًا للإطالة أو الحشو.

* ومما يستفاد من دراسة هذه المناهج، معرفة الطرق و المسالك التي سار فيها سلفنا الأبرار، للسير على خطاهم، والنسج على منوالهم من جهة، ومن جهة أخرى لإعطاء أفق واسع لطلاب هذا العلم، لمعرفة مدارس التفسير السابقة ومناهجها التي درج الناس على دربهم، فالمدرسة المكية اعتنت بالجانب الحرفي المعرفي فغلب على تفسيرهم إيضاح الغامض وبيان المبهم. . .إلخ، وكان لهذا المنهج أثر فيما تلا عصر التابعين من عصور، فوجدنا من كتب التفسير كتبًا اعتنت باللغة والبلاغة وإيضاح المشكل، أكثر من عنايتها بالجوانب الأخرى، كتفسير أبي حيان، والزمخشري، وغيرهما، في حين جاءت مدرسة البصرة لتعتني بجانب الدعوة والوعظ، ففصلت القول في آيات الوعد والوعيد، والقصص والأمثال؛ لتبين للناس المراد من الآية وكيف توجه، وماحال الناس معها، من اتبع وآمن، ومن خالف واعرض؟!

ودرج على ذلك كثير من المفسرين كتفسير الثعلبي الكشف والبيان، وما كتب الزهد والوعظ عن ذلك ببعيد، بل وكتب التفسير المتأخرة ككتاب سد قطب، وغيره.

وأما المدرسة الكوفية فقد غلب عليها التفسير الفقهي إن صحت التسمية، فاهتمت بآيات الأحكام وما يتعلق بها من حلال، وحرام، وفرض، وأمر، ونهي، ونحو ذلك، وكان من المتأخرين من جمع في تفسيره جملة كبيرة من هذا، بل إن القرطبي سمى تفسيره بالجامع لأحكام القرآن. وأحجمت ثالثة، وتركت هذا كله، وانشغلت بالرواية المسندة المرفوعة، أو الموقوفة، ولم تتعداها إلا في القليل والذي يكاد يكون كله في آيات الأحكام، كالمدرسة المدنية، ومن المفسرين المتأخرين من جمع شيئًا من ذلك كالسيوطي في خاتمة كتابه الإتقان.

فليست مناهج اليوم واتجاهاته بدعًا جديدًا من المناهج، بل هي في أصولها ترجع لمدارس التابعين، فمناهج مدارس التابعين تجاوزت زمانهم وامتدت بظلالها إلى أزمنة كثيرة جاءت بعد ذلك، فالمشرب واحد، والمناهج متأصلة، والدراسة متقاربة.

* بقيت بعض النتائج المتعلقة بالمدارس؛ كالخصائص العامة لكل مدرسة، رأيت أن أذكرها عند ذكر أئمة كل مدرسة في عرض النتائج المتعلقة بأئمة التفسير من التابعين.

٢ـ أئمة التفسير:

لقد خرجت من بحثي هذا بنتائج عامة وخاصة فيما يتعلق بأئمة التفسير.

فأما النتائج العامة، فقد لاحظت مدى التأثير البيئي على المفسرين من التابعين.

* فالبيئة أو البقعة التي كان فيها قليل من الصحابة، كان هذا له أثر معاكس في انتشار علم المفسرين من التابعين، فالتابعون في المدرسة المكية والمدرسة البصرية كان نتاجهم التفسيري أكثر من التابعين المنتسبين للمدرسة الكوفية والمدنية.

ولا يرد على هذا قلة المروي عن أصحاب ابن مسعود الملازمين له؛ إذ يعتبرون من أقل التابعين آثارًا في العلم عامة، وفي التفسير خاصة؛ لأن سبب ذلك يرجع إلى تقدم وفاتهم، فقد عاشوا في طبقة متقدمة، وماتوا بين الستين والسبعين، لذا نسب علمهم

إلى من حمله عنهم كإبراهيم النخعي وعامر الشعبي وغيرهما.

* ومن آثار التأثير البيئي أيضًا: انشغال أهل كل ناحية بما يتردد عندهم، وينشغل به عامة أهلها، فأهل المدينة كان أثرهم في الجانب الروائي واضحًا، ولا سيما في القراءة؛ حيث قلت عندهم القراءة الشاذة؛ لأن المصاحف كتبت بالمدينة، وكذلك في السير؛ لأنها كانت عندهم.

وأهل الشام كانوا أهل غزو وجهاد، فكان لهم من العلم بمسائل وآيات الجهاد ما ليس لغيرهم.

وتميز المكيون بالعلم بمسائل الحج والمناسك، ولا سيما عطاء.

وقد أثرت البيئة أيضًا في بعض الاتجاهات، فرمي قتادة والحسن بالقدر، وكان الانحراف في مسائله متفشيًا في البصرة، وكان السدي عنده شيء من التشيع، وهو مذهب الشعبي، قبل أن يرجع عنه، بل فشا التشيع في الكوفة حتى عم بعضًا من رواة الأحاديث - كما سبق بيانه -.

وأما النتائج الخاصة التي تتعلق بأئمة التفسير، فيمكن إجمالها في النقاط الآتية:

أ - التأثر بالشيوخ:

* كلما كانت مصادر التلميذ كثيرة، وتعدد شيوخه، كان تقيده بمنهج مدرسته أقل.

فمجاهد وعكرمة كان أخذهم وعنايتهم بابن عباس أكثر، ولذا التزموا بمنهجه في التفسير.

بخلاف سعيد بن جبير، وعطاء، وهما من نفس المدرسة؛ لأنهما أخذا عن ابن عباس، وعن ابن عمر - رضي الله عن الجميع -، وعن المدنيين، ولذا تأثروا بهم فكان

اتباعهم للمنهج المكي أقل.

* ومن جهة أخرى فإنه كلما كان الشيخ أمْيَل للاجتهاد وتربية أصحابه عليه، برز فيهم ذلك، وهذاحال ابن عباس مع تلاميذه مجاهد وعكرمة.

أما تلاميذ عبد الله فقد حذوا نهجه في التورع وعدم ا لانطلاق في هذا الجانب، فلم يكن الاجتهاد واضحًا في أئمة المدرسة الكوفية حتى جاءت طبقة صغار التابعين، والطبقة التي تليها من أتباع التابعين، فكثر عندهم الاجتهاد في التفسير، بينما كانت الطبقة الصغرى في مكة راوية فحسب للمجتهدين من أئمة التفسير المكيين.

* ومن جانب آخر افترق التابعون في نشر علم شيوخهم، فاختص عكرمة مثلاً بأن كان أكثر من نقل علم ابن عباس من المدرسة المكية، لكن عكّر عليه ما رمي به من الأهواء، فصار سعيد بن جبير أضبط منه، في حين كان مجاهد من أقلّهم رواية عن شيخه ابن عباس.

وكان الشعبي أبرز من اعتمد أقوال الصحابة في التفسير.

ب ـ الرواية:

لقد اختلفت مناهج التابعين في الاعتناء بالرواية في التفسير، فكان أكثرهم عناية بتفسير القرآن بالسنة قتادة الذي استغنى بمحفوظه عن مجهوده، والذي ضُرب به المثل في الحفظ والإتقان، وكذا الحسن الذي عاش في المدينة في بداية عمره فتأثر بالمنهج الأثري فيها.

ومنهم من نقل تفسير غيره حرفيًا، ولم يزد عليه شيئًا كبيرًا، كالربيع بن أنس، والسدي، وكان اعتمادهما على ما أخذاه عن الصحابة أوعن كبار التابعين.

وكان أبو العالية أيضًا يميل للرواية، وسبق أن عكرمة أكثر من الرواية عن ابن

عباس، واشتغل بذلك، وإن كان سعيد بن جبير أكثر قبولاً وضبطًا منه، إلا أن عناية عكرمة بأسباب النزول كانت أكثر، ويعد إبراهيم أقلهم اعتناءً بالأثر والرواية ـ فيما ظهر لي ـ، ومن أكثرهم اشتغالاً بفقه الرأي.

ومع ميل الحسن وقتادة للرواية فإنهما أهملا عمدًا رواية الإسرائيليات، ولا سيما الحسن الذي كان يرى أنه لا ينبغي لمؤمن أن يأخذ دينه من أهل الكتاب، مع أنه من الوعّاظ الذين يجدون غالبًا مجالاً للرواية القصصية في الإسرائيليات.

وفي المقابل نجد السدي من أكثرهم توسعًا وتساهلاً في روايتها والتفسير بها.

جـ ـ التفسير بين الاجتهاد والورع:

يعد مجاهد من أكثرهم اجتهادًا في التفسير، ومن أكثرهم تفرغًا وانقطاعًا له، يليه عكرمة مولى ابن عباس الذي اشتغل بنقل تفسير شيخه وروايته، مع إعمال عقله وفكره في التفسير، وكثرة اشتغاله به.

ويأتي بعدهم الحسن الذي مع جمعه وحفظه لكثير من النصوص، إلا أنه اجتهد فيما لم يجد فيه نصًا.

وجاء رابعهم ـ فيما ظهر لي ـ سعيد بن جبير، إلا أن مروره بالكوفة وسماعه من أهلها من أسباب قلة اجتهاده في هذا، وأما قتادة فقد كان النصيب الأوفى للأثر والرواية وحفظ ما سمعه من حديث وأثر، فأرسل عن النبي ﷺ وعن بعض الصحابة، وروى عن كثير من التابعين، لا سيما ما سمعه من شيخه الحسن، فأعانه كل هذا على التقدم في هذا الباب وكثرة الآثار والروايات عنه.

أما بقية مفسري التابعين من الكوفيين والمدنيين خاصة فقد تشددوا في هذا الباب، فقلّ نتاجهم فيه.

د ـ التخصص:

من النتائج التي ظهرت لي في بحثي هذا، أن مفهوم التخصص كان موجوداً في عصر التابعين، وإن كان في أفراد منهم، فقد وجدت أن الذين تفرغوا للتفسير وانقطعوا له هم: مجاهد، وقتادة، والحسن، والسدي، وعكرمة، وابن جبير.

وغلب على غيرهم الفقه وغيره من العلوم.

ويعد مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ممن فرغوا أنفسهم للتفسير، ولازموا شيخهم، وأكثروا من النقل عنه في هذا الباب خاصة، وتميز مجاهد بأنه استفرغ علمه القرآن، فكان أكثرهم استخداماً لتفسير القرآن بالقرآن، وعني به أيما عناية، ولذا نجد له ما يزيد على ستة آلاف رواية في التفسير، في حين لا نجد له في الحديث أو الفقه إلا قليلاً.

ويقترب عكرمة من مجاهد في تفرغه للتفسير، إلا أن مجاهداً تميز بوجود تلاميذ تخصصوا في رواية التفسير عنه، كما تميز ببعده عن التلبس بالأهواء والآراء التي كانت من الأسباب الرئيسة في تجنب بعضهم تفسير عكرمة.

ولم يكن التفسير هو العلم الذي ظهر فيه تخصصهم فحسب، بل ظهر تخصص بعضهم في علوم شتى.

فقد ذهب عليهم الحسن بالمواعظ، وذهب عطاء بالمناسك[1]، وأعلمهم بالطلاق وآيات الأحكام ابن المسيب، ولا سيما أنه كان قاضيًا، ويقرب منه إبراهيم، وأثر هذا التخصص في تفسيرهم.

وقد ظهر لي من آثار التخصص خروج بعضهم عن الظاهر، فكان أكثرهم مخالفة للظاهر مجاهد، ثم الحسن، فعكرمة، إلا أن مجاهداً وعكرمة إنما خالفوا الظاهر بحكم

(١) هذه عبارة العلل لأحمد (١/ ٩٤٢) ١٤٠.

إقدامهم على الاجتهاد، في حين كانت مخالفة الحسن بسبب غلبة الوعظ عليه، وحرصه على تنزيه الأنبياء والملائكة، لذا لم يكن يرى أن ابن نوح هو ابنه لصلبه، وكذا والد إبراهيم، وأنكر أن يكون إبليس من الملائكة، ونحو ذلك ـ كما تقدم تفصيله ـ، وفي المقابل فإننا نجد من لم يتخصص في التفسير، أقلهم مخالفة للظاهر، وتعرضًا للمشكل، كما اتضح ذلك عند الشعبي وعطاء.

هـ ـ اللغة وعبارة التفسير:

لقد لاحظت كذلك اختلاف عبارات التفسير بين المفسرين، واختلاف تناولهم للغة، فقد فاق البصريون ـ ولا سيما الحسن وقتادة ـ التابعين في ذلك، وكان قتادة أقدرهم على استعمال اللغة، ولا سيما أنه عربي قُحٌّ، وأما الحسن فقد اعتنى بالغريب والفصيح أكثر من غيره، وهو أحسنهم وأجملهم عبارة في التفسير، وأبلغهم في التأثير بها؛ لأجل غلبة الوعظ عليه.

في حين كانت عبارات مجاهد متميزة بأنها أخصر عباراتهم على كثرة ما يروى عنه في التفسير.

و ـ العناية بتفسيرهم ونشره:

لقد لاحظت كذلك أن من أسباب نشر علم التابعين أو عدم نشره، هو أن منهم من كان إمام عامة وخاصة، يتصدر ويستفتى وحلقته عامرة، فكثر النقل عنه، ولذا كانت روايات مجاهد أكثر ما ورد في التفسير، وبعده قتادة (بدون المكرر)، ثم الحسن، ثم سعيد، ثم عكرمة.

في حين لم يكن لأبي العالية أصحاب ينقلون علمه؛ لكراهيته التصدر والحضور، فكان من يحضر مجلسه قليلاً.

وهناك عدة أسباب أخرى سبق بحثها بالتفصيل فيما سبق.

ولعل هذه أبرز النتائج الخاصة والعامة التي خرجت بها فيما يتعلق بأئمة التفسير، والله أعلم.

٣ـ المصادر والمناهج:

أما المصادر فقد سبق ذكر النتائج المتعلقة بها عند سرد النتائج الخاصة المتعلقة بأئمة التفسير، وكذا منهجهم في الإسرائيليات. وأما سائر المناهج فقد اختلفت مناهجهم بالنسبة لتحملهم القراءة وضبطها، والاعتماد على القراءات التفسيرية الشاذة، فقد لاحظت اهتمام أهل المدينة عمومًا بإقامة حرف القراءة، وكذلك كان الكوفيون.

وقد اشتهر الحسن البصري بالقراءات التفسيرية، وهو أكثر من ورد عنه ذلك، يليه في ذلك مجاهد ولا سيما بعدما رحل إلى العراق، في حين لم يرد عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ في ذلك إلا سبع روايات فقط، ولذا قلَّ المنقول من القراءات في التفسير عن المدنيين.

وقد لاحظت أيضًا أن الحرج بالنسبة للقراءات الشاذة كان قليلاً عند الصحابة، وأن ذلك زاد في عصر التابعين، ولا سيما المتأخرون منهم.

وكان التابعون يوجهون القراءات ويرجحون بينها، مما يدل على عنايتهم بها، وكذلك يفرقون بين ناسخها ومنسوخها، ويبنون على ذلك الأحكام كما تقدم تفصيله.

أما منهجهم في آيات الاعتقاد والصفات، فقد تبين لي أن السلف كانوا على قول واحد في ذلك، وأن أئمة التفسير من التابعين لم تظهر منهم مخالفات واضحة لهذا المنهج السلفي العام الذي كان في جيل الصحابة والأئمة بعدهم، ولذا كثر إنكارهم على أهل البدع والأهواء، ونقلت نصوصهم في ذلك.

فأما الأسماء والصفات فلم يكن عند السلف تأويل في ذلك، والحمد لله، وكذا

كان حال أئمة التفسير من التابعين، وقد بحثت الآثار التي احتج بها أهل التحريف والتأويل، وبينت أنها لا تدل على ما ادعاه المبطلون.

وأما مسألة رؤية الله في الآخرة، فمع أنني وجدت عن مجاهد روايات تثبتها إلا أن الروايات التي جاءت عنه في إنكارها أكثر وأشهر وأصح، لذا فلا غضاضة أن نقول بخطئه فيها، ونستغفر له في ذلك، علمًا أن النصوص عن غيره من الأئمة كلها متفقة على إثباتها، والحمد لله.

وفي باب الإيمان رأيت اتفاقهم على أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، إلا أن الفكر الإرجائي كان قد انتشر في البلاد، ولا سيما الكوفة، ولذا كثر تحذير الأئمة الكوفيين منه، وكذلك كان موقفهم من بدعة التكفير.

وأما القدر فقد اختصت به البصرة، وقد لاحظت روايات عديدة عن قتادة تتهمه بالقدر، إلا أنني وجدت ما يخالفها، فبحثت المسألة وأثبت الروايات كلها، وخلصت إلى أنه ربما كان آخر أمره إثبات القدر على مذهب أهل السنة.

وأما الحسن فقد توصلت إلى أن ما رمي به من ذلك إفك ليس بصحيح، فلم يكن على مذهب القدرية، بل هو في ذلك من أئمة السنة.

وبحثت بعد ذلك موقفهم من التشيع، وبينت تأثر السدي به في بعض تفسيراته، وبينت أن كثيرًا ممن قيل عنه بالتشيع كان معناه حب علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أو تقديمه على عثمان، ولم يكن التشيع الوارد عنهم بمعنى الرفض.

ثم بينت بعد ذلك أثر بعض الفرق في تفسير التابعين، وكيف أن التابعين لم يحملوا عن الخوارج، حاشا عكرمة الذي اتهم بذلك.

وقد لاحظت بعد ذلك أثر التوحيد في تفسير التابعين، وأنه وردت روايات كثيرة في تفسير الآيات الجوامع بأنها كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

أما منهج التابعين في آيات الأحكام، فقد تبين لي فيه أن التابعين لم يكونوا على منهج واحد في تناوله، فمنهم مكثر ومنهم مُقلّ، كما أن منهم من كان يرى إعمال المنطوق والمفهوم، ومنهم من كان يعتمد على ظاهر القرآن وعموم الآية.

وعمومًا قد لاحظت التساهل عند المكيين، واهتمام سعيد بن المسيب بمسائل الطلاق، واهتمام إبراهيم بالآيات المتعلقة بالصلاة، وتقارب مدرستي الكوفة ومكة في تلك التفاسير.

٤ـ قيمة وأثر تفسير التابعين:

* مما أسفرت عنه دراستي هذه أن التفسير المأثور ـ والذي يعد الركيزة الأولى الأساسية لما جاء بعد من تفاسير ـ كان جله عن التابعين، بل إن مجموع ما روي عن مشهوري المفسرين منهم فاق المروي عن مشهوري المفسرين الصحابة.

كما أن أكثر مدارس التابعين إنتاجًا هي المدرسة المكية، ويليها في الأثر الواقعي المدرسة البصرية، لا الكوفية.

وقد اهتم المفسرون بهاتين المدرستين، فجمع ابن عيينة تفسير المكيين، وكذلك فعل الثوري، في حين جمع عبد الرزاق تفسير البصريين.

* وقد ظهر لي أهمية كتاب فتح الباري كمصدر من مصادر التفسير الذي أحسب أنه يضاهي الدر المنثور، بل ويفوقه في بعض الجوانب، فكم من مسألة حققها الحافظ، وكم من تفاسير قد فقدت جمع أقوالها ورتبها ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ.

* كما تبين لي أن تفسير التابعين كان في جملته أصح وأكثر طرقًا وأقوى إسنادًا، وقد بحثت طرق تفسير كل إمام، وبينت حكم المشهور من تلك الطرق.

* بينت أن الاختلاف بين التابعين كان من باب اختلاف التنوع، وأن ما كان منه من

اختلاف التضاد كان قليلاً، ومع قلته وندرته لم يكن من باب الاختلاف العقدي والمذهبي.

* تجلت لي عدة مميزات ميزت تفسير التابعين، لعل أبرزها الاستقلالية التي ظهرت في تفاسيرهم، فليسوا مقلدة لشيوخهم، بل كانوا يتبعون ما يظهر لهم أنه الحق، ومن هنا استُفيدت منزلة تفسير التابعين عن أهل العلم.

* وبالنسبة لأثر تفسير ا لتابعين في كتب التفسير عند أهل السنة، فقد خرجت بنتائج عدة، لعل أهمها هو: خلو كثير من الآيات القرآنية عن التفسير بالمأثور عن النبي، أو الصحابة، أو تابع التابعين، ولم يكن هناك إلا تفسير التابعين فقط، مما يدل على أهميته في كتب التفسير.

* أما كتب التفسير عن غير أهل السنة، فكان كثير من الأقوال ينسبونها للتابعين، وهي موضوعة عليهم لا شك في ذلك، وربما اعتمدوا أقوالهم ووجهوها توجيهًا يقلب معانيها، لا سيما ما جاء في كتب الشيعة.

* وأما أثر التابعين في كتب أصول التفسير فقد ظهر لي فيها عدة نتائج؛ أن أقوال التابعين كانت الأساس لوضع نواة هذه العلوم، ولا سيما في معرفة المكي والمدني والنسخ والأمثال، وقد بحثت ذلك بحثًا مستفيضًا، مبينًا أثرهم في جل علوم القرآن، وأصول التفسير.

وبعد:

فإني أحمد الله، وأشكره على ما أنعم به عليَّ من إتمام بحثي هذا، وأرجو أن أكون قد وضعت فيه لبنة في الطريق، مع اعترافي بقلة البضاعة والعجز، وحسبي أني بذلت غاية جهدي، فإن وفقت إلى الصواب، وتحقق من بحثي ما أرجو، فذلك بفضل الله ومنّه، وإن جانبت الصواب، وحصل الزلل في كله أو بعضه، فعزائي أني لم أكن لهذا

الفعل قاصداً، وما هو إلا من نفسي والشيطان، وأبى الله العصمة إلا لكتابه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

فهرس أهم النتائج والفوائد مرتبة على حروف المعجم

الاجتهاد

أسبابه وآثاره:

- لقد كان هناك فرق بين شيوخ التابعين من الصحابة، فقد كان لمنهج ابن عباس في تدريب أصحابه على التقدم في باب الاجتهاد الأثر في كثرة اجتهادهم بخلاف حال ابن مسعود رضي الله عن الجميع «٧٢٣».
- كان للنفس الوعظي والميل الدعوي الأثر في حرص بعضهم على توجيه آيات القرآن تلك الوجهة مما أثرى في كثرة اجتهادهم في استنباط الفوائد الدعوية، كما اتضح ذلك عند الحسن وقتادة «٧٢٧».
- لقد كان الورع من أهم أسباب إحجام بعضهم في التفسير «٧٣٩».
- هناك أثر للمكان في توجيه الاجتهاد فالمكيون مثلاً اهتموا بتفسير آيات أحكام الحج.. «٧٤٢».

أعلام المفسرين:

- يعتبر التابعون إجمالاً أكثر اجتهاداً في التفسير من الصحابة باستثناء ابن عباس رضي الله عنه «٩٦٦».
- غالب اجتهاد التابعين كان فيما لا نص مرفوع فيه أو موقوف، وسكت عنه الصحابة «٧١٠».
- برز الحسن في طليعة البصريين في جانب الاجتهاد في التفسير يليه أبو العالية «٧٢٢».
- أقل البصريين اجتهاداً الربيع فغالب تفسيره روائي ص ٤٤٤.
- يعد عطاء أقل المكيين اجتهاداً في التفسير، إلا أنه لم ينكره «٧٢٢».
- اجتهاد النخعي والشعبي كان جله في آيات الأحكام «٧٢٦».
- يعد مجاهد أكثر المكيين اجتهاداً في التفسير عامة، يليه عكرمة ثم سعيد بن جبير «٧٢١».
- أكثر المشتغلين بالرواية قلّ الاجتهاد عندهم، فقتادة لأنه أكثر رواية من شيخه الحسن، فقلّ

اجتهاده، وكذا الحال بالنسبة للشعبي مقارنة بالنخعي، ويعد السدي من المكثرين رواية لا اجتهادًا ، وكانت هذه حال غالب أهل المدينة «٧٣٥».

مدارس التفسير :

- **المدرسة البصرية** : كان اجتهادها مرتبطًا بالجانب الدعوي «٧٢١».
- **المدرسة الكوفية والمدرسة المدنية** : أحجمت المدرستان عن الاجتهاد في التفسير «٧٢٠، ٧٢٢».
- **المدرسة المكية** : اختصت المدرسة المكية بكثرة اجتهادها في التفسير «٥٤٨، ٧٢١».

الأحكام في التفسير

أعلام المفسرين :

- اعتمد التابعون القراءة غير المتواترة في معرفة الحكم من آيات الأحكام «٨٥٦».
- تفوق سعيد بن جبير في معرفة آيات الأحكام على عكرمة، وعلى عموم المكيين «٤٠٥».
- الشعبي نهج منهج اتباع الظاهر في آيات الأحكام «٨٥١».
- كان اجتهاد الشعبي، والنخعي في آيات الأحكام واضحًا «٧٢٠».
- عطاء أعلم بتفسير آيات الحج والمناسك من غيره «٨٤٨».
- تميز منهج عطاء باليسر والسهولة عند تناول آيات الحج «٨٤٨».
- النخعي من المكثرين في تناول آيات الأحكام بل هو أكثر التابعين على الإطلاق «٨٥٠».
- سعيد بن المسيب برز في تفسيره الاهتمام بآيات الأحكام، وتوليه القضاء «٨٥٠».

مدارس التفسير :

* **المدرسة البصرية** : توسعت في باب النسخ بالنسبة لآيات الأحكام «٨٥٤».
- تعد المدرسة البصرية أكثر التزامًا للآثار في تفسير آيات الأحكام «٨٥٢».

* **المدرسة الكوفية** : كان الكوفيون يراعون علة الحكم في تفسير آيات الأحكام «٨٥٢».
- اعتنت المدرسة الكوفية بتناول آيات الأحكام بالشرح والتفصيل «٦٤١، ٨٤٦».

* **المدرسة المدنية** : توسعت المدرسة المدنية في القول بالنسخ في آيات الأحكام «٨٥٤».
- واعتنت بتناول آيات الأحكام «٨٤٦».

* **المدرسة المكية** : يعد المكيون أعلم التابعين بتفسير آيات الحج والمناسك «٨٤٧».
- تميز منهج المكيين بالسهولة واليسر في تناولهم لآيات الحج ومسائلة «٨٤٨».

أسباب النزول

- التابعون في الجملة مقلون بالنسبة للصحابة في إيراد أسباب النزول «٩٦٥».
- إذا كان سبب النزول معلومًا في الأمثال القرآنية فإن التابعين لا يتوسعون في شرح المثال «١١١٦».
- الحسن له اهتمام بأسباب النزول وإن كان من المقلين «٢٢٦».
- عكرمة تقدم في معرفة أسباب النزول بإطلاق «١٥٧، ٣٩٨».
- تفوق عكرمة على مجاهد في معرفة أسباب النزول وكلاهما مكي «٣٩٨».
- اعتمد محمد بن كعب القرظي على أسباب النزول في تفسيره وقل الاجتهاد عنده «٣٥٨».
- جاء ترتيبهم في العناية بأسباب النزول على النحو التالي عكرمة أكثرهم، يليه زيد بن أسلم، فالشعبي ثم السدي «١٠٥٠».

الإسرائيليات

أعلام المفسرين:

الحسن: له روايات بالرأي قليلة، إلا أنه كان يختصر ولا يتوسع فيها «٢٣٢-٢٤٦-٢٤٨».

ابن جبير: من أكثر المكيين رواية للإسرائيليات «١٤٦» بل إن جلّ ما جاء عن ابن عباس هو من روايته «١٤٧».

السدي: هو أكثر التابعين على الإطلاق رواية عن أهل الكتاب «٣٠٥».

عطاء: من أقل المكيين رواية لها «١٩٥، ٤٠٦، ٨٨٢».

مع أن عطاء كان من أخص تلاميذه ابن جريج، وهو من المكثرين من الرواية عن بني إسرائيل «١٩٦».

عكرمة: مع معرفته وتقدمه في علم أسباب النزول والسير، إلا أنه أقل من مجاهد وابن جبير في التحديث عن بني إسرائيل «٤٠٥».

قتادة: يعد من المقلين في الرواية عن أهل الكتاب؛ مع أنه من أكثر مفسري التابعين أثرًا في التفسير «٢٥٧».

مجاهد: أكثر من الرواية عن بني إسرائيل، وجاء عنه ما يُنكر، بل إن بعض المدارس اتقى تفسيره بسبب روايته عنهم «١٢٧».

كان مجاهد أكثر من عكرمة في هذا الشأن «٣٩٩».

النخعي: أعرض عنها بالكلية «٣٤٣».

أبو العالية: تساهل فيها مع أنه بصري تأثرًا بالمكيين «٢٩٥».

مدارس التفسير:

البصرية: مع ميلها للقصص والوعظ غلب عليها البعد عن الرواية عن بني إسرائيل بل أصبح من أهم خصائصها «٥٧٥، ٨٨٧».

الكوفية: نسبة الرواية عن أهل الكتاب قليلة جدًا «٨٨٧، ٨٨٨».

المدنية: أعرضت في زمن التابعين عن التحديث عن بني إسرائيل، وأما في عصر متأخريهم فقد تساهلت وخاصة ما كان من حال محمد بن كعب «٨٨٨».

المكية: توسعت في الرواية عنهم «٥٥٨، ٨٨٥».

من أهم أسباب توسعها لقاء ابن عباس بكعب، وتساهله في الأخذ عنه «٨٨٥».

مقارنة بين مناهج الصحابة والتابعين في روايتها:

لم ترد عن مفسري التابعين روايات منكرة وغريبة مثلما جاء عن الصحابة «٨٨٩».

أصول التفسير عند التابعين

أمثال القرآن:

- أكثرهم اهتمامًا بها وأحسنهم بيانًا لها: قتادة «٢٧٠».
- كان من منهجهم أنه إذا ورد في تفسير المثل حديث مرفوع، وقفوا عنده ولم يجاوزوا هذا البيان «١١١٦».
- الغالب على حالهم في تفسير المثل وشرحه هو الاختصار «١١١٦».
- انفردوا عن الصحابة ببيان وشرح بعض الأمثال «١١٢٠».

كليات القرآن:

كان لهم عناية بهذا العلم سواء معرفة كليات الحروف أوالأسماء أو الأحكام «١٠٣٦، ١٠٤٣».

المكي والمدني:

كان منهجهم في تحديد المكي والمدني يدور حول حال المخاطبين، أو مكان النزول، أو زمان النزول «١٠٥٧، ١٠٥٩».

- اهتم الحسن ببيان المكي من الآيات في السور المدنية والعكس «٢٤٤».
- تقدم عكرمة على سعيد بن جبير في معرفة المكي والمدني «٤٠٣».
- أكثر التابعين على الإطلاق تعرضًا للمكي والمدني قتادة «٢٧٧».

علم المناسبات وترابط الآيات:

- يعد قتادة أكثر التابعين عناية بعلم المناسبات «٢٧٢».
- تعددت الأمثلة الواردة عنهم والتي تبين عنايتهم بعلم المناسبات ومعرفة ترابط الآيات وظهور

ذلك في تفسيرهم «١١٣٥ ـ ١١٤٠».

النسخ:

ـ اختلف مناهجهم في الناسخ والمنسوخ (ينظر النسخ في تفسير التابعين).

الأسماء والصفات:

ـ لم تثبت التأويلات عن التابعين في باب الأسماء والصفات، وبيان توجيه ما ورد عنهم في تفسير الوجه «١٠٥، ٧٩٣»، والساق «٧٩٧»، والكرسي «٧٩٥»، واليد «٧٩٤».

ـ آيات الصفات ليست من المتشابه «١٠٧٩».

ـ تميز منهج التابعين بالاتباع في تناولهم آيات الصفات «٧٨٥».

الإرجاء:

ـ جل التابعين كان بعيداً عن فكر التكفير الناشيء من بدعة الخوارج «٨٠٩».

ـ موقف التابعين من الإرجاء كان شديداً «٨٠٨».

ـ بيانهم أن الإيمان قول وعمل «٨٠٢».

ـ وتفسيرهم أنه يزيد وينقص «٨٠٣».

أعلام المفسرين:

ـ اختلاف الأقوال في نسبة الحسن للقدر، والصحيح أنه لم يثبت بقاؤه على ذلك كما اتضح ذلك في تفسيره «٨٢١، ٨٢٤».

ـ ابن سيرين البصري كان شديداً على القدرية «٨٢٠، ٨٢١».

ـ كان الشعبي شيعيًا فرجع فصار أشدهم قولاً في بدعة التشيع «٨٢٧».

ـ ابتلي عكرمة ببعض مقالة الخوارج «١٧٣، ٢٧٨، ٨٣٣».

ـ قتادة جاء عنه ما يدل على أنه كان يرى القدر، وجاء عنه ما يرده «٢٨٤، ٨٢٤ ـ ٨٢٦».

ـ أخطأ مجاهد وأبعد النجعة في تأويل رؤية الرب تعالى في الآخرة «١١٠، ٧٩٩».

ـ أبو العالية كان بعيداً عن الأهواء والقدرية مع سكناه البصرة «٢٩٥».

التشيع:

ـ التشيع اليسير كان في تقديم عليّ على عثمان كان موجوداً عند القليل منهم «٨٢٧».

ـ بيان أثر التشيع في تفسير بعضهم «٧٤٠».

القدر:

ـ ظهر تأثير القدرية في التفسير سلبًا وإيجابًا «٨٣٧».

ـ انتشرت بدعة القدرية في المدرسة البصرية أكثر «٨٢٠».

مدارس التفسير:

- عارضت المدرسة الكوفية الفكر القدري بشدة «٨٢٠».
- ظهر الإرجاء في الكوفة في عصر التابعين، لكنه ليس إرجاءً يؤدي إلى ترك العمل «٨٠٦».
- المدرسة المدنية كانت شديدة القول في بدعة القدرية «٨١٦».
- المدرسة المكية من أشد المدارس إنكاراً على القدرية «٨٣٩».
- اختصت المدرسة المكية بكثرة تعرضها لتفسير آيات الصفات أكثر من غيرها «٥٥٣».

أعلام المفسرين وما امتازوا به

الحسن البصري:

- عوامل السبق عنده كانت الفصاحة، وعدم اللحن، والتقدم في معرفة الغريب، والإمامة في الوعظ «٢٠١-٢١٨».
- يعد الحسن من أوائل من أدخل المنهج الوعظي في التفسير «٢٠٩».
- كثر المروي عنه لتساهله في الرواية مع حرصه على نشر العلم، والكتابة، واهتمامه بمعرفة أسباب النزول، وكثرة اجتهاده، وعدم دخوله في الفتن، وتقدمه في فروع عديدة لا سيما علم القراءات، وكثرة وعظه «٢٠١-٢٣٧».
- الأسباب التي أدت إلى تقليل روايته مقارنة بغيره من المكثرين كمجاهد وقتادة ما ترجع إلى عدم تخصص أحد من تلاميذه في رواية تفسيره، أو كون بعض الرواة عنه من المعتزلة، واشتغاله بالفقه، وتصدره للفتوى، وإحراقه لكتبه، وقلة أسفاره ورحلاته، وهيبته في قلوب تلاميذه، وقلة اهتمام المشارقة بتفسيره «٢٣٨-٢٤٣».
- قال الحسن بإحكام كثير من الآيات «٢٤٣».
- اهتم الحسن بالمكي والمدني، وبيان المدني في السور المكية وعكسه «٢٤٤».
- لم يتوسع في بيان المعرَّب من الآيات «٢٤٥».

السدي:

- خالف منهجه منهج الكوفيين المتورعين عن التفسير فأكثر منه «٣٠٠».
- الرواية عنده في التفسير غلبت الدراية «٣٠٠، ٣٠١».
- تعددت مصادره وخاصة أخذه عن ابن عباس رغم أنه كوفي «٣٠١».
- انقطع السدي وتخصص في التفسير وكان اشتغاله بالعلوم الأخرى قليلاً «٣٠٣».
- يعد من أكثر التابعين على الإطلاق نقلاً ورواية للإسرائيليات «٣٠٥».
- من المتقدمين في طبقة صغار التابعين في القراءة «٣١٥».

سعيد بن جبير:

- تأثر بالمدرسة المكية وإن نسبه الأكثر للكوفة، إلا أنه مكيّ المشرب والمنهج «١٣٧».
- أكثر من الرواية عن ابن عباس، بل صار من أكثر مفسري مكة نقلاً لتفسير شيخه «١٣٨».

- تميز من دون المكيين باهتمامه بآيات الأحكام، وذلك بسبب تأثره بالكوفة التي عنيت بهذا الجانب «١٤٤».
- قدم سفيان الثوري فقهه على فقه النخعي بسبب ميله للأثر «١٤٦».
- يعد من أكثر المكيين توسعًا في الإسرائيليات وله غرائب «١٤٦ـ١٤٨».
- أكثر ما جاء عن ابن عباس من الإسرائيليات كان من طريقه «١٤٧».
- أسباب تقدمه في التفسير تتلمذه على ابن عباس، وحرصه على نشر العلم، وقربه من عكرمة، وكتابته للتفسير «١٤٨ـ١٥٠».
- من أسباب تفوق مجاهد وعكرمة على سعيد، عدم تخصصه في التفسير واشتغاله بالرواية عن ابن عباس، وقلة المعتنين بتفسيره، وما وقع له من الفتن «١٥٠ـ١٥٤».
- يعد من أثبت تلاميذ ابن عباس وأتقنهم في حفظ تراث ابن عباس ومروياته في التفسير «١٥٢».

سعيد بن المسيب:

- يعد من أكثر التابعين أثرًا في مفسري التابعين «٣٥١».
- ومع هذا فهو من أقلهم اشتغالاً بالتفسير، ومن أسباب ذلك، ورعه، واشتغاله بالفقه، وهيبته، وما تعرض له من الفتن «٣٤٦ـ٣٥٠».

الشعبي:

- أكثر الكوفيين إفتاءً بالأثر، وأبعدهم عن القياس «٣٢٠».
- قلة المروي من تفسيره كان بسبب كراهيته للرأي والقياس، وتورعه في التفسير خاصة، واشتغاله بالسنن والآثار، وقلة تلاميذه، وتعرضه للفتن «٣١٧ـ٣٢٧».
- من خصائص تفسيره غلبة الجانب الأثري «٣٢٧».

عطاء:

- يعد من أقل المكيين تعرضًا للتفسير «١٩٨».
- يرجع ذلك إلى: تحرجه من تفسير القرآن برأيه، واشتغاله بالفقه، وقلة تلاميذه، وضعفه نسبيًا في علوم اللغة «١٨٤ـ١٩٥».
- يعد أعلم التابعين بالمناسك واتضح هذا في كثرة تعرضه لآيات أحكام الحج «١٩٠، ٣٤٨، ٨٤٨».

عكرمة:

- يعد أعلم المكيين بالتفسير بعد مجاهد «١٦٨».
- أسباب تفوقه ترجع إلى: ملازمته لابن عباس، وحبه له، وتقدمه في معرفة أسباب النزول، وقدرته على الاجتهاد، وتفرغه لعلم التفسير، ومعرفته بلغات العرب وأشعارها، وكثرة

رحلاته، وحرصه على نشر العلم «١٥٦ ـ ١٦٠».
ـ من المتقدمين بين التابعين في معرفة أسباب النزول «١٥٧».
ـ فاق المكيين في معرفة المكي والمدني «١٥٨».
ـ فاق المكيين في معرفة السير «١٥٨».
ـ يعد من المتقدمين في معرفة مبهمات القرآن «١٥٩».
ـ المروي عنه في الفقه قليل «١٦٠».
ـ المروي عنه في القراءات قليل «١٦٠».
ـ له معرفة بالاشتقاق والمعرّب والمشكل «١٦٣ ـ ١٦٤».
ـ فاق غيره من التابعين في كثرة الاستشهاد بالشعر في التفسير «١٦٤».
ـ ترجع أسباب عدم انتشار تفسيره إلى اتهامه بالكذب ولم يصح عنه، وقوله ببعض مقولة الخوارج، وقلة تلاميذه «١٦٨ ـ ١٨١».

قتادة:

ـ اعتمد أسلوب الحوار والقسم في إيضاح وشرح تفسيره الوعظي «٢٦٣ ـ ٢٦٥».
ـ نجد أثر وعظه واضح في الشدة على المخالفين «٢٦٦».
ـ اهتم بالفوائد الدعوية، وكان دقيقًا في استنباط الفوائد الدعوية منها «٢٦٩».
ـ بسبب ميله للوعظ والتذكير كان أكثر التابعين اهتمامًا بأمثال القرآن «٢٧٠».
ـ يعد تفسيره من أقوى المروي سندًا عن الصحابة والتابعين «٢٨٠».
ـ كان يحض على الكتابة «٢٨١».
ـ تميز بكثرة رحلاته «٢٨١»، وتعدد مصادره «٢٨٢».
ـ أسباب كثرة المروي عنه ترجع إلى: حافظته التي لم يساوه أحد من التابعين فيها «٢٨٣»، ولذا صار من أكثرهم تفسيراً بالأثر، مع فصاحته «٢٨٣»، ثم كثرة تعرضه لتفسير آيات الوعد والوعيد «٢٨٦»، وعدم تعرضه للفتن «٢٨٧»، وتأخر وفاته «٢٨٧».
ـ أكثر من الرواية عن الحسن، وتأثر به في منهجه وقال بقوله في كثير من الآيات «٢٥١».
ـ تميز تفسيره بـ: قوة حافظته وكثرة محفوظه، وكان ذلك من أسباب قلة اجتهاده ورأيه وعدم مخالفته للظاهر من القرآن «٢٥٤».
ـ اهتمامه برواية أسباب النزول «٢٥٦».
ـ مع كثرة تفسيره إلا أنه تميز بالإقلال من الإسرائيليات «٢٥٦».
ـ أكثر من الوعظ في تفسيره «٢٦٣».
ـ لمنهجه الوعظي وشدته على الكافرين، مال إلى القول بنسخ آيات العفو والصفح ... «٢٧٦».
ـ يعد من أكثر التابعين توسعًا في النسخ «٢٧٦».

مجاهد:

- أخذ التفسير عن ابن عباس في ثلاث عرضات، والقرآن في (١٩) ختمة، مما أدى إلى نبوغه فيه «٩٠، ٩١».
- يعد من أكثر التابعين على الإطلاق توسعًا في باب النظر والاجتهاد حتى خالف الظاهر أحيانًا «٩٣-٩٧».
- أدى توسعه في باب النظر إلى خروج التفسير الدقيق منه والذي وُصف بأنه كالدرر؛ وأدى في الباب الآخر إلى التوسع في التأويل بإنكار الرؤية «١١٠».
- إنكاره الرؤية يحتمل أنه في أول الأمر ثم رجع عنه، أو أراد أن عموم الرؤية تشمل الكافر، أو في الدنيا فنفاها «١١٠-١١٣».
- لم يعتن مجاهد بأسباب النزول كعناية عكرمة «١١٥».
- اهتم كثيرًا بتأويل المشكل في التفسير ويُعد أكثرهم تعرضًا له «١١٦، ١١٧».
- من أكثر التابعين تضييقًا لدائرة النسخ في القرآن «١١٨».
- عوامل السبق عنده ترجع إلى: تتلمذه على ابن عباس، وتعدد مصادره، وتحفظه في التفسير، وسبقه في القراءة، وشغفه بالسفر والترحال، وكتابته التفسير، وكثرة تلاميذه، وتوسعه في الاجتهاد، وتأخر وفاته «١٢٥-١٣٦».
- أكثر من الإسرائيليات وأتى فيها بما يُنكر «١٢٧».

محمد بن كعب القرظي:

- له بشارة من النبي ﷺ بالتقدم في التفسير «٣٥٦».
- وكان محبًا للوعظ «٣٥٧».
- اهتم بأسباب النزول «٣٥٨».

النخعي:

- أسباب قلة المروي عنه ترجع إلى: هيبته من التفسير «٣٣٣»، واشتغاله بالفقه «٣٣٧»، وكراهيته للكتابة «٣٣٨»، وعدم عنايته باللغة «٣٣٩»، وما وقع له من الفتن وتقدم وفاته «٣٣٩».
- ومع قلة تفسيره فإني وجدت هذا القليل تميز عنده بما يلي:

جمعه بين الرواية والدراية «٣٤٠»، وتفوقه في باب الاجتهاد «٣٤١»، وحرص أصحابه وتلاميذه على نشر علمه بعد موته «٣٤٢».

- يعد من أقل التابعين على الإطلاق رواية للإسرائيليات «٣٤٣».
- هو من أكثرهم على الإطلاق عناية بآيات الأحكام «٣٣٨».

أبو العالية:

- اهتم بمنطوق القراءة، وتفوق في هذا الشأن «٢٩٠».
- نشأ بالبصرة وعاش فيها، ومنهجه مكي «٢٩١».
- لم يرض عن منهج البصريين بل خالفهم وأنكر عليهم وخاصة الحسن «٢٩٢».
- من أقل مفسري البصرة رواية في التفسير «٢٩٦».
- من أهم أسباب قلة مروياته: قلة تلاميذه، ومجيء كثير من تفسيره منسوبًا للربيع بن أنس، وحبه للخفاء، وكراهيته للكتابة، وتشدده في الرواية «٢٩٦-٢٩٨».

التخصص والمميزات

أعلام المفسرين:

* **الحسن**: تميز بالمنهج الوعظي «٢٠»، وبالتفسير بالآثار «٤٠».
* **السدي**: تميز بكثرة الرواية للإسرائيليات، وتخصص في التفسير «٣٠٥».
* **سعيد بن جبير**: أكثر مفسري المدرسة المكية عناية بتفسير ابن عباس «١٤٨».
* **سعيد بن المسيب**: تميز بالاهتمام بتأويل آيات الأحكام ولا سيما ما جاء في أحكام الطلاق «٢٠، ٢١».
* **الشعبي**: تقدم في التفسير بأقوال الصحابة «٢٢».
* **عطاء**: تميز بفقه المناسك، والبعد عن الإسرائيليات «٢١».
* **عكرمة**: تميز بالتقدم في معرفة أسباب النزول، وتخصص في التفسير «٢١».
* **قتادة**: تميز بتفسير القرآن بالسنة «٢٥٦»، والتفسير الوعظي «٢٦٣».
* **مجاهد**: من أكثر التابعين تفرغًا وتخصصًا في التفسير «٢٠»، وتميز بالاهتمام بكثرة التعرض للمشكل «٢١».
* **محمد بن كعب القرظي**: تميز عن أهل المدينة بإقدامه على التفسير «٣٥٥، ٣٥٩».
* **النخعي**: تميز بكثرة التعرض لآيات الأحكام فهو من أكثرهم على الإطلاق في هذا الباب «٢٢».
* **أبو العالية**: تميز بالتقدم في القراءة «٢٩٠».

المدارس:

* **البصرية**: تميزت بالفصاحة، والمنهج الوعظي في التفسير «٢٠».
* **الكوفية**: تميزت بالاهتمام بآيات الأحكام «٢٠».
* **المدنية**: تميزت بالعلم بالسير والأخبار «٢٠».
* **المكية**: تميزت بالتفرغ للتفسير، وبكونها من أكثر المدارس رواية للإسرائيليات، تُعد من أعلم المدارس بأحكام الحج «٢٠».

التدوين والكتابة

- بدأ عصر التدوين في أيام التابعين «٩٦٠»، وإن اختلف التابعون في الكتابة قبولاً وردًا «٣٦».

أعلام المفسرين:

* **جابر بن زيد**: كان ينهي عن الكتابة «٤٤٣».
* **ابن جريج**: أول من صنف الكتب، وله كتاب في التفسير، ولذلك كان له الأثر الواضح في نشر التراث المكي «٣٩».
* **الحسن**: كتب عمرو بن عبيد تفسيرًا له، لكن ابن جرير لم يروه من طريقة في التفسير شيء «٣٧، ٣٨».

- كتب سعيد بن جبير كتابًا في تفسير القرآن «٣٧».
- سعيد بن أبي عروبة، يعتبر أول من صنف بالعراق وله تفسير القرآن «٣٩».
- كان ابن سيرين يكره الكتابة «٤٣٨».
- كان الشعبي يكره التدوين «٤٩٨».
- أمر عبيدة السلماني بحرق كتبه «٤٧٩».
- كان عطاء يأمر بالكتابة «٣٨».
- حض قتادة على التدوين والكتابة «٢٨١».
- مجاهد أول من دوّن أقوال ابن عباس «٣٦».
- كره النخعي الكتابة «٣٣٨».
- كره أبو العالية الكتابة «٢٩٧».

مدارس التفسير:

- دونت آثار المدرسة البصرية مبكرًا في الجملة «٤٥٢».
- قلت الكتابة عند المدرسة الكوفية (لاحظ ما سبق من حال النخعي والشعبي) «٤٩٨».
- كره المدنيون الكتابة فكان ذلك من أسباب فقد بعض آثارها «٥١٩».
- تعد المدرسة المكية من أكثر المدارس نتاجًا في التفسير وقد يكون من أسباب ذلك أنها أكثر المدارس تقدمًا في الكتابة، و كان تدوينها للتفسير مبكرًا «٤١١، ٤١٤».

التفسير وأثرهم فيه

- اعتمدت أكثر كتب التفسير بالمأثور على تفسير التابعين كتفسير عبد الرزاق، والطبري، وابن أبي حاتم، والماوردي، والبغوي، وابن الجوزي «٩٨٤».
- في تفسير عبد الرزاق ما يقارب (٧٠ ٪) من تفسيره عن التابعين «٧٠»، وعند ابن جرير «٧٥» وابن أبي حاتم «٧٧» ما يزيد على (٦٠ ٪) من مجموع التفسير كان للتابعين، ولمزيد من الفوائد ينظر مبحث المصادر.

- انفرد التابعون بتفسير عدة آيات لم ينقل عن الصحابة فيها شيء «٩٨٥ - ١٠١٤».
- تأثرت الخوارج بالمدرسة البصرية في التفسير «١٠٣٣».
- مع عدم جدوى الروايات في تفسير الشيعة إلا أنهم حاولوا أن يقحموا أسماء أئمة التابعين في تفسيرهم ليرفعوا شأن كتبهم «١٠١٥ - ١٠١٩».

التلاميذ وأثرهم في التفسير

- تعددت تلاميذ الحسن ولم ينقطع أحد لنقل تفسيره، فكان ذلك من أسباب قلة المروي عنه «٢٣٨».
- تخصص أسباط بن نصر في نقل تفسير السدي «٣٠٣».
- من أسباب تفوق النخعي على الشعبي اهتمام تلاميذ النخعي بنشر علمه بعد موته «٣٤٢».
- ابن جريج نشر علم عطاء، وكان من أسباب كثرة المروي عنه «١٩٤».
- تأثر النخعي بعلقمة والأسود وكان اتبع لابن مسعود من الشعبي «٤٨٧».
- أبو العالية لم يعن تلاميذه بنقل تفسيره، وإنما نقل الربيع كثيراً منها، ونسبت له «٢٩٧، ٤٤٤ - ٤٤٦».
- تخصص سعيد بن أبي عروبة، ومعمر، في نقل علم، وتفسير قتادة «٢٧٨».
- اختصت المدرسة الكوفية بالإكثار من نقل آثار ابن مسعود «٥٧٩».
- شخصية التابعي تؤثر في تفاوت الأخذ عن الصحابة» «٦٦٨».

الرحلة

- أثرت الرحلة في تفاوت التابعين في الأخذ عن الصحابة «٦٧٠».
- يعتبر المكيون كثيروا الرحلات والأسفار مما ميزهم عن بقية أصحاب المدارس «٤٠٩».
- عكرمة من أكثر مفسري التابعين رحلة «٤٠٤».
- كثرت رحلات قتادة «١٦٦».

الرواية

- أكثر التفسير بالمأثور جاء عن التابعين «٢٣».
- أصح التفاسير إسنادًا تفسير التابعين «٢٣».
- طرق أسانيد تفسير التابعين أصح من الطرق التي نقل بها تفسير الصحابة «٩٣٠ - ٩٣٩».
- كثرت الطرق والشواهد لتفسير التابعين مما قوي إسنادها «٩٢٣».
- حجم الآثار المنقولة عن التابعين في التفسير كبير «٩١٩».
- أسباب قلة أو كثرة الرواية عن أئمة التفسير من التابعين ترجع إلى حال الشيخ، وحال التلاميذ، وظرف المكان «٩٢٠ - ٩٢٢».
- للرواية أثر عكسي في تفاوت اجتهاد التابعين «٧٣٤».

- سعيد أكثر عناية بالآثار والبعد عن الآراء من عكرمة «٤٠٤».
- سعيد أكثر أصحاب ابن عباس رواية عنه «٤٠٢، ٤٠٥».
- قتادة: أكثر اعتمادًا للآثار في التفسير من مجاهد «٦٣٤، ٦٣٥».
- قتادة: أكثر التزامًا بالروايات من الحسن «٦٦٥».
- طرق التفسير الواردة عن قتادة من أصح الطرق «٩٣٣».
- يعتبر الشعبي أكثر التابعين التزامًا بالرواية عن الصحابة في التفسير «٣٢٨».

الصحابة وأثرهم في تفسير التابعين

- تبين لي أن أسباب تفاوت حال التابعين في الأخذ عن الصحابة ترجع إلى كثرتهم أو قلتهم في الأمصار مع اختلاف شخصية الصحابي وشخصية التابعي «٦٦٦ - ٦٧٠».
- ظهرت لي عدة نتائج نتجت من تلقي التابعين عن الصحابة لعل من أهمها حفظ أخبار الصحابة وأقوالهم، وتبني مناهجهم ومذاهبهم «٦٧٢ - ٦٧٨».

ولذا نجد الصحابي المكثر من علم يتبعه أصحابه من التابعين، فابن مسعود عني بالفقه، وتورع في التفسير، فسار أصحابه على منواله، في حين توسع ابن عباس في التفسير وأكثر منه، وكانت هذه حال تلاميذه «٦٧٦ - ٦٧٧».

- أثر الصحابة كان واضحًا في اختلاف توجه المدارس للاجتهاد تبعًا لاختلاف الصحابة في ذلك «٧٢٣».
- يُعد الصحابة أكثر رواية للإسرائيليات من مشاهير مفسري التابعين كقتادة ومجاهد، والحسن «٨٨٩».

مدارس التفسير:

المدرسة البصرية: نظرًا لقلة الصحابة بالبصرة، فإن المدرسة البصرية أقل المدارس اعتمادًا لقول الصحابي في التفسير «٦٦٦».

- أكثر رواية أهل البصرة ولا سيما الحسن عن الصحابة مرسلات لا مسندات «٦٦٥».
- كان تأثير ابن عباس في البصرة واضحًا إبان إمرته لها «٤٥٣».

التفسير بالشام: لقد أثر أبو الدرداء في الشام في جهة الفقه وكذلك الإقراء «٥٢٥».

المدرسة الكوفية: تُعد أكثر المدارس تعظيمًا لأقوال شيخها ابن مسعود وتقديمًا له «٦٦٣».

المدرسة المدنية: اختصت المدرسة المدنية بأنها أعلم بقضايا عمر «٦٦٤».

المدرسة المكية: تعد المدرسة المكية أكثر المدارس اهتمامًا بقول ابن عباس «٦٦٣».

التفسير في اليمن: يعد اليمن من أقل الجهات تابعًا لأنه لم ينزل به كثير من الصحابة «٥٣٦».

كبار الصحابة:

- كان زيد بن ثابت من المقلين في رواية التفسير «٥١٥».
- اختص زيد بن ثابت بالقراءة، وحملها عنه التابعون «٥٠٨».

ظهر لي أن من أسباب كون ابن عباس من أكثرهم علمًا هو دعاء النبي ﷺ له بالحكمة ثم منزلته من عمر، وحرصه على الأخذ عن كبار الصحابة، مع ما وهبه الله من مقدرة على الاجتهاد وقدرة على الاستنباط «٣٧٤-٣٨٧».

- يمكن أن يعزي سبب انتشار علم ابن عباس إلى حرصه على نشر علمه ورحلاته، وتأخر وفاته «٣٩٣-٣٩٥».
- يعد ابن عباس من أكثر الصحابة توسعًا في مجال نسخ الآيات «١٠٨٧».
- امتد أثر ابن عباس على المكيين حتى بعد رحيله «٣٧١».
- عقبة بن عامر رضي الله عنه مقرئ مصر «٥٤٠».
- كانت قراءة ابن مسعود واضحة التأثير في جل مدارس التابعين «٤٦٨، ٤٦٩».
- يعد الشعبي الكوفي أكثر التزامًا في الأخذ بأقوال الصحابة من قتادة البصري مع أن كلا منهما اتصف بالإكثار في جانب الرواية «٦٦٥».

الفقه والإفتاء

- ما روي عن الحسن في الفقه والإفتاء كان أكثر من قتادة «٤٢٩».
- اهتم سعيد بن المسيب بالفقه والإفتاء أكثر من التفسير.
- عطاء أكثرهم عناية بالفقه والإفتاء، ولا سيما ما كان منها في المناسك «٤٠٦».
- اعتنت المدرسة الكوفية بالفقه، وفاقوا غيرهم في تفسير آيات الأحكام «٤٩٩».
- برز ابن مسعود في تفسير آيات الأحكام أكثر من غيره وكان لذلك الأثر في مدرسة الكوفة «٤٦٩».

القراءة

- كان الاستدلال بالقراءة غير المتواترة في آيات الأحكام مشتهرًا عند التابعين «٨٥٦».
- لم تكن الآثار المروية في تخطئة بعض القراء تعني إبطال شيء من القراءة «٧٧١».
- اعتمد مفسرو التابعين على القراءة في الترجيح بين الأحكام الفقهية «٧٦٦».
- اهتم التابعون بمعرفة المنسوخ من القراءات أكثر من غيرهم «٧٦٥، ٧٦٧».
- تورع أئمة مفسري التابعين عن تخطئة القراء «٧٦٢».
- قراءة ابن مسعود صحيحة منقولة عن النبي ﷺ لكن لم يقع الاختيار عليها، وليس هناك من

يقرئها لنا بالإسناد فهي الآن شاذة «٧٥٦، ٧٧٧ ـ ٧٨٠».
- أكثر التابعون من استخدام القراءة في التفسير «٧٦٠، ٧٦٨».
- وقع الخلاف مبكراً بين الشام والعراق في القراءة «٥٣٢».
- استفاد قتادة من قراءة ابن مسعود مع قلة استفادته من تفسيره «٧٦٠».
- استفاد مجاهد في التفسير من قراءة ابن مسعود «٧٦٠».
- تأثر مجاهد بالمدرسة الكوفية في القراءة «٥٠١».
- تقدم أبو العالية في القراءة «٧٦٠».
- يعد أبو العالية أعلم البصريين بالقراءة «٧٦٠».
- عناية ابن مسعود بالقراءة كانت كبيرة ولذا تأثرت مكة والبصرة بقراءته «٤٦٥».
- تأثر سعيد بن جبير بالمدرسة الكوفية في القراءة «٥٠١».
- تفوق مجاهد في القراءة على عكرمة «٤٠٥».
- أخذ المصريون القراءة عن عقبة بن عامر «٥٤٠».
- اعتنت المدرسة الكوفية بالقراءة والاشتغال بها أكثر من التفسير «٥٨٢».
أثر الكوفة على البصرة قليل إلا في جانب القراءة «٥٠٣».
- اهتمت المدرسة المدنية بضبط حروف القراءة أكثر من عنايتها برواية الشاذ من القراءة «٥٠٧، ٥٩٩، ٧٦١».

اللغة

- يعد التابعون أكثر تعرضًا للغة في تفسيرهم من الصحابة «٩٦٥».
- أثرت اللغة على التفسير «٦٨١ ـ ٦٨٣».
- الاعتماد على الشعر واضح في تفسيرهم «٦٩٥».
- كان من الأسباب التي ساعدت التابعين على الاستفادة من اللغة في التفسير معرفتهم بلسان العرب، وعاداتهم، وأخبارهم، ومعرفتهم بفقه اللغة والشعر «٦٩٢، ٦٩٨».

كليات القرآن

- مجاهد من أكثر التابعين اهتمامًا بها «١٢٢».
- اهتم التابعون بكليات الحروف «١٠٣٨»، وبكليات الأسماء «١٠٣٩»، وبكليات الأحكام «١٠٤٣».

المشكل

- اهتم به المكيون أكثر من غيرهم «٥٥٢».
- اهتم به أبو العالية تبعًا لتأثره بابن عباس «٢٩٣».

- مجاهد أكثرهم تعرضًا للمشكل «٣٩٧».
- تفوق عكرمة على سعيد في معرفة المشكل «٤٠٣».
- اهتم الحسن بالمشكل في آيات الوعد والوعيد تبعًا لمذهبه الوعظي «٧٢٨ ـ ٧٣٢».

المعرب

- لم يتوسع فيه الحسن «٢٤٥».
- اهتم به عكرمة فتوسع فيه «٦٨٨».
- اهتمت به المدرسة المكية وفاقت غيرها «٧٠٤».

مدارس التفسير واللغة

- عنيت المدرسة البصرية باللغة لاستخدامها في مجال الوعظ «٥٦٤، ٦٨٤».
- تميزت البصرة بموقعها القريب من البادية فنبغت في اللغة «٥٦٠، ٤٥٠».
- اختصت المدرسة المكية بالدقة اللغوية «٥٥١».
- برز الحسن وقتادة في استخدام اللغة في التفسير في جانب الفصاحة «٦٨٣».
- الحسن إمام في معرفة غريب اللغة «٢٠٢».
- تقدم الشعبي على النخعي في معرفة اللغة «٤٩٠».
- عطاء كان ضعيفًا في اللغة «١٩٤».
- تقدم عكرمة على سعيد بن جبير في اللغة «٤٠٣».
- قتادة إمام في اللغة «٢٦٧».
- تقدم مجاهد في معرفة الاشتقاق «١٢١»، والمعرب «١٢٣».
- كان النخعي لحانًا «٣٣٩».

مدارس التفسير في عصر التابعين

المدرسة المكية:

- كان لموقع مكة الأثر الواضح عليها «٤٠٨».
- العلم كان قليلاً في مكة زمن كبار الصحابة ثم كثر بعد نزول ابن عباس بمكة «٤١٢».
- تعد المدرسة المكية أكثر المدارس تأثيراً في مفسري التابعين «٤١٦».
- استفادت من إمامة ابن عباس «٤٠٨».
- صنفت ودونت آثارها مبكراً «٤١٤».
- أكثر المدارس كتابة للتفسير «٤١٤».
- تميز المكيون بكثرة الاجتهاد والقدرة على الاستنباط «٤١٣».
- غلب علم التفسير على المكيين فبرزوا فيه أكثر من غيره «٤١٣».
- يعد المكيون كثيري الرحلات والأسفار «٤٠٩».

- يعد سعيد بن جبير من أهم حلقات الاتصال بين المدرسة المكية والكوفية «٤١٧».
- طاووس بن كيسان نشر المنهج المكي في اليمن «٥٣٨».

المدرسة البصرية:

- أثرت المدرسة البصرية في تفاسير أهل المغرب بسبب انتقال يحيى ابن سلام إليها «٤٥٥».
- تأثرت البصرة بالمنهج المدني «٤٢٤».
- أثرت المدرسة المكية في البصرية إبان إمرة ابن عباس لها «٤٢٠، ٤٥٣».
- أثرت المدرسة البصرية على التفسير في اليمن أكثر من المكية بسبب نزول معمر بن راشد البصري باليمن «٤٥٥، ٥٣٩».
- الفقه والإفتاء ظهراً بوضوح عند الحسن أكثر من قتادة «٤٢٩».
- كره ابن سيرين الرأي وتورع عن التفسير واشتغل بالحديث «٤٣٦».
- مع تأثر أبي العالية بالمدرسة المكية إلا أنه لم ينقل علم المدرسة المكية للبصرة «٤٢٤».
- ترجع أسباب كثرة المروي عن البصريين إلى: كثرة تحديثهم، وتقدمهم في اللغة وبعدهم عن الفتن، وتدوين آثارهم مبكراً «٤٤٨ـ٤٥٣».
- تقدمت المدرسة البصرية في باب الاجتهاد في التفسير، وكان لها حرصها علي إبلاغ العلم «٤٥٤».

المدرسة الكوفية:

- مع أن الكوفة لم تؤثر بوضوح في المدرسة البصرية إلا أن البصريين تأثروا بالمدرسة الكوفية في جانب القراءة «٥٠٣».
- أثرت المدرسة الكوفية على مجاهد في جانب القراءة «٥٠٢».
- أثرت المدرسة الكوفية على ابن جبير المكي في جانب توجهه للفقه والإقراء «٥٠١».
- يعد مرة الهمداني من أكثر التابعين نقلاً لروايات التفسير عن ابن مسعود «٤٨٤، ٤٨٥».
- أئمة الكوفة من أصحاب ابن مسعود كانوا من أقل التابعين على الإطلاق رواية في التفسير وهم علقمة بن قيس، ومسروق، وعبيدة، وأبو ميسرة، والأسود بن يزيد والحارث الجعفي «٤٧٢، ٤٨٥».
- أسباب قلة المروي عن الكوفيين في التفسير ترجع إلى: الهيبة والورع «٤٩٢»، كراهية الكتابة «٤٩٨»، والاهتمام بالفقه والإفتاء أكثر من التفسير «٤٩٩»، وتعد الكوفية من أكثر المدارس تعرضاً للفتن «٥٠٠».

المدرسة المدنية:

- أثرت المدرسة المدنية على الشام عن طريق قبيصة بن ذؤيب وعمر بن عبد العزيز والزهري

وغيرهم «٥٢٣، ٥٢٨ ـ ٥٣٢».

ـ أثرت المدرسة المدنية في البصريين فقد تأثر الحسن بابن المسيب وكذا قتادة «٥٢١».

ـ برز زيد بن ثابت إمام المدينة في الفقه والإفتاء فتبعه أصحابه على ذلك «٥٠٩، ٥١٠».

ـ سليمان بن يسار المدني برز في الفقه «٥١٣».

ـ كبار التابعين في المدرسة المدنية قليلوا التفسير كعروة، وسليمان بن يسار «٥١٢، ٥١٥».

ـ مع أن الحركة العلمية في التفسير قد نشطت زمن صغار التابعين عند محمد بن كعب وزيد بن أسلم إلا أن المنقول عنهم قليل بسبب أن الجو العام للمدينة كان متورعًا عن رواية التفسير «٥١٥».

ـ أسباب قلة المروي عن المدنيين ترجع إلى: الورع «٥١٦»، والاشتغال بالأثر «٥١٨»، وقلة الكتابة «٥١٩».

ـ تأثر عطاء بالمنهج الحديثي المدني فهو من أكثر المكيين أثرية «٥٢٤».

ـ تأثر مكحول الشامي بالمنهج المدني «٥٢٩، ٥٣٠».

المصادر

كتب التفسير:

ـ تفسير آدم بن أبي إياس: من أهم مصادر تفسير أبي العالية «٧٢».

ـ تفسير البغوي: هو مختصر لتفسير الثعلبي، وذكر أسانيده في أول الكتاب، واهتم بإيراد ما روي عن مجاهد، وقتادة ويليهما الحسن، وعطاء، وابن جبير «٧٩»، ويكاد يكون ثلثي الآثار فيه عن التابعين «٩٨٤».

ـ تفسير ابن جرير: أضخم التفاسير، ولم يؤلف مثله، وقد اهتم بإسناد جميع الآثار، وأكثر عن مجاهد وقتادة، ثم السدي والحسن، فابن جبير وعكرمة، ويُعّد أكثر من (٦٠,٠) من المروي فيه هو من تفسير التابعين ٧٤ ـ ٧٥.

ـ تفسير ابن أبي حاتم: لم يذكر الأسانيد في كل الآثار، وإن كان قد دونها في أول الكتاب، وأكثر المأثور فيه عن التابعين «٧٧».

ـ تفسير الدر المنثور: اعتنى بالمروي عن المدرسة البصرية أكثر من عناية ابن جرير بها «٨١».

ـ تفسير زاد المسير: عني بنقل تفسير ابن عباس ثم مجاهد فقتادة فأبي العالية فالحسن «٨٠» ويكاد يكون ثلثاه من تفسير التابعين «٩٨٤».

ـ تفسير سفيان الثوري: غالبه عن المكيين وأكثر من نصفه عن التابعين ولا سيما مجاهد «٦٩».

ـ تفسير سفيان ابن عيينه: وهو مفقود وأكثره عن ابن عباس «٧٠».

ـ تفسير عبد بن حميد: مفقود كذلك، وأكثر مروياته عن قتادة ومجاهد ثم ابن عباس والحسن «٧٣».

- تفسير عبد الرزاق: جله عن قتادة، وهو من أصح التفاسير «٧٠، ٧١».
- تفسير ابن عطية: نقل كثيراً عن ابن جرير، وتأثر بالمدرسة البصرية وبتفسير يحيى بن سلام، ولم يتوسع في الجملة في النقل عن السلف «٧٨».
- تفسير الماوردي: نقل كثيراً عن ابن جرير، وقد عني بالتفسير المنقول عن ابن عباس وأصحابه، وقد أكثر من تفسير التابعين ولا سيما المدرسة البصرية «٧٨، ٩٨٤».
- تفسير مجاهد: وهو، أقدم المصادر التفسيرية «٦٨».
- تفسير ابن المنذر: مفقود وأكثره عن ابن عباس ثم مجاهد فقتادة ثم عكرمة «٧٦».
- تفسير يحيى بن سلام: وهو مفقود. أكثره عن الحسن وقتادة وبعدهما ابن عباس ومجاهد «٧٢»، وقد تأثر بالمدرسة البصرية «٤٥٥».
- يمكن معرفة لمحه عن التفاسير المفقودة كتفسير ابن المنذر وعبد بن حميد وابن مردويه من خلال النقول التي في الدر المنثور للسيوطي «٧٦, ٧٣».

كتب السنة والآثار:

- تغليق التعليق: أكثر ابن حجر فيه من ذكر أقوال التابعين «٥٩».
- سنن الترمذي على سعة كتاب التفسير فيه إلا أن ما نقله عن التابعين كان قليلاً «٦٣».
- سنن الدارمي، ما جاء فيه عن التابعين قليل «٦٣».
- سنن سعيد بن منصور يكثر النقل عن مجاهد وابن عباس ثم الحسن والنخعي «٦٣».
- الزهد لابن المبارك: أكثر من النقول عن الحسن ثم مجاهد «٦٤».
- الزهد لهناد: أكثر من النقول عن الحسن ثم مجاهد «٦٥».
- الزهد لوكيع: أكثر من النقول عن الحسن ثم مجاهد «٦٥».
- مصنف ابن أبي شيبة: كثير من أسانيده من تفسير وكيع عن سفيان الثوري، وينقل ابن جرير وابن أبي حاتم من طريقة شيئًا كثيراً «٦٥».
- غريب الحديث للحربي: وهو مصدر يغفله كثير من الباحثين وقد نقل كثيراً عن مجاهد ثم الحسن فقتادة والسدي «٦٦».
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: وهو مصدر مهم أغفله كثير من الباحثين، وقد يفوق أو يقارب الدر المنثور في كثرة المنقول من التفسير بالمأثور «٦١».

المكان وأثره في التفسير

- اتضح لي أن أثر البيئة في التفسير مهم «٧٤٢».
- مع بعد المكان البصرية أقرب للمدينة من الكوفة «٢٣، ٢٤».
- كان لموقع مكة الأثر على توجه المكيين «٤٠٨».

- بسبب كثرة تردد الإمامين: أبو العالية وسعيد بن جبير على مكة أثر في توجههما للمدرسة المكية «٤٠٩».

المقارنات

خصائص المكية:

- اختصت المدرسة المكية بأن كانت من أكثر المدارس اجتهاداً «٥٥٠»، واهتماماً بالمشكل «٥٥٢»، وقد تعرضت لآيات الصفات «٥٥٣»، واتسعت فيها دائرة الاجتهاد في التفسير «٥٥٤»، وانقطع كثير من أئمتها لعلم التفسير وتخصصوا فيه مع قلة الاهتمام بالعلوم الأخرى غير التفسير «٥٥٥ ـ ٥٥٧»، وكان من منهجهم التوسع في رواية الإسرائيليات «٥٥٨».
- يعد مجاهد أعلمهم بالتفسير «٣٩٦»، في حين كان أقلهم رواية له هو عطاء «٤٠٦».
- تعد المكية من أبعد المدارس عن الفتن «٤١٦».

خصائص البصرية:

- اختصت بالاهتمام باللغة «٥٦٠» ويعد البصريون من أوائل من أدخل الوعظ في التفسير «٥٦٦»، وتجنب جل البصريين الإسرائيليات «٥٧٥» وكان لهم اهتمام بالتفسير بالسنة «٥٧٧».

خصائص الكوفية:

- الاهتمام بآيات الأحكام فلم يدانهم في ذلك أحد «٥٧٩».
- واختصت أيضاً بكثرة الاشتغال بالقراءة «٥٨٢»، وبقلة الإسرائيليات «٥٨٩»، واهتمامها بأسباب النزول «٦٤٩».

خصائص المدنية:

- هيبة التفسير «٥٩٢»، وكثرة التحديث والانشغال به «٥٩٥»، والعناية بمنطوق وأداء القراءة «٥٩٩»، والتوسع في النسخ «٨٩٤».

مقارنة بين التابعين

- كان الحسن يجل عكرمة ويقدمه في التفسير «٤٢٠».
- تشابه منهج الحسن وقتادة في الوعظ وقلة الاشتغال بالمعرب، والكليات، وندرة الإسرائيليات في تفسيرهما «٤٢٧».
- الحسن أكثر إعمالاً للرأي من قتادة «٤٣٠».
- تقدم الحسن في أنواع من العلوم على قتادة «٤٢٩».

- ما روي عن الحسن في الفقه أكثر من قتادة «٤٢٩».
- تفوق الحسن في الوعظ على قتادة «٤٢٨».
- كثر تلاميذ الحسن وقلّ تلاميذ أبي العالية «٤٤٧».
- كان الحسن إمام عامة وأبو العالية يؤثر الخفاء «٤٤٧».
- كان الحسن يجيء للسلاطين ويعيبهم، وابن سيرين لا يجيء ولا يعيب «٤٤٠».
- كان الحسن يكتب وابن سيرين لا يكتب «٤٣٨».
- تساهل الحسن في الحديث بالنسبة لابن سيرين «٤٣٧».
- الربيع بن أنس، تأثر الربيع بأبي العالية، وهو راوية للتفسير أكثر منه مفسر «٤٤٤-٤٤٥».
- ابن سيرين، تورع عن الشهرة وسكت احتسابًا، وتصدر الحسن الحسن وتكلم احتسابًا «٤٣٤».
- الشعبي: الشعبي أعلم باللغة من النخعي «٤٩٠».
- اهتمام الشعبي بالتفسير أكثر من اهتمام النخعي «٤٩٢».
- اهتمام الشعبي بالأحكام أقل من النخعي «٤٩١».
- الشعبي أكثر إعمالاً للآثار من النخعي «٤٨٦».

عكرمة:

- عكرمة أكثر رحلات من سعيد بن جبير «٤٠٤».
- عكرمة أكثر توسعًا في التفسير من سعيد بن جبير «٤٠٢».
- فاق عكرمة مجاهدًا في معرفة أسباب النزول «٣٩٨».
- انقطع عكرمة للتفسير ولم ينقطع له ابن جبير «٤٠٣».
- عكرمة أكثر تساهلاً من ابن جبير في الاجتهاد «٤٠٣».
- أكثر عكرمة من الاستشهاد بالشعر عن ابن جبير «٤٠٣».
- تقدم عكرمة على ابن جبير في معرفة المكي والمدني، وأكثر من القول بالنسخ «٤٠٣».
- تفوق عكرمة على عموم التابعين في كثرة الاعتماد على أسباب النزول «٤٠٢».

قتادة:

- قتادة أقرب للأثر من الحسن «٤٣٠».
- تعددت مصادر قتادة مقارنة بالحسن «٤٣١».
- توسع قتادة في القول بالنسخ أكثر من الحسن «٤٣١».
- تخصص تلاميذ قتادة في نقل تفسيره، ولم تكن كذلك حال الحسن «٤٣١».

مجاهد :

- سبق مجاهد عكرمة في علم القراءات «٣٩٩».
- مجاهد أكثر تفسيراً من عكرمة «٣٩٩».
- مجاهد أكثر تساهلاً في الرواية عن بني إسرائيل من عكرمة «٣٩٩».
- مجاهد أكثر توسعًا في باب المشكل من عكرمة «٣٩٧».

أبو العالية :

- تقدم أبو العالية على الحسن في القراءات «٤٤٦».
- لم يرتض أبو العالية منهج الحسن في الوعظ «٤٤٨».

النسخ

- مفهوم النسخ عند التابعين يدخل فيه التخصيص «١٠٨٢».
- أنواع النسخ ثلاثة عند التابعين «١٠٨٤».
- ربط النسخ بالحكمة ورد في كلام التابعين «١٠٩٠».
- اهتم التابعون بتحقيق المنسوخ من القراءات «٧٦٥».
- يعتبر ابن عباس من أكثر الصحابة توسعًا في مجال النسخ «١٠٨٧».
- ترادف النسخ والاستثناء عند الحسن «٢٤٣».
- قال الحسن بإحكام كثير من الآيات «٢٤٣».
- الحسن تأثر بابن المسيب، وبعده قتادة ولا سيما في النسخ «٥٢٢، ٥٢٣».
- توسع السدي في النسخ وتساهل فيه، وربما أتى بما يُنكر «٣١٣».
- فاق عكرمة سعيداً في القول بالنسخ «٤٠٣».
- من أكثر التابعين توسعًا في النسخ قتادة ٢٧٥.
- مجاهد وعطاء أقل المكيين قولاً بالنسخ تأثرًا بالكوفية «١٠٨٨».
- توسعت المدنية في النسخ ولا سيما ابن المسيب ٦٠٠.
- توسعت المدرستان المدنية والبصرية في القول بالنسخ «٨٥٤».
- المدينة اختصت بكثرة القول بالنسخ «٦٠٠».

الوعظ

- اختصت المدرسة البصرية بالاهتمام بالجانب الوعظي «٥٦٦».
- بروز الجانب الوعظي عند محمد بن كعب القرظي «٣٥٧».
- اهتم قتادة بالوعظ حتى في آيات الأحكام «٢٦٨».

- كثر الوعظ في تفسير قتادة «٢٦٣»، والحسن «٢٠٩».
- كانت عبارات المدرسة البصرية فيها شدة مع العصاة لأجل المنهج الوعظي «٥٧٤».
- المدرسة البصرية استخدمت الأسلوب القصصي في الوعظ «٥٦٦».
- المنهج الوعظي أدى إلى حسن استعمال اللغة والاستزادة منها «٥٦٨، ٦٨٤».
- اجتهاد المدرسة البصرية وثيق الصلة بالمنهج الوعظي والجانب الدعوي «٧٢٢».
- تقدمت المدرسة في علم المناسبات «٥٧٢».
- خالف الحسن بعض المعاني القريبة والظاهرة تأثرًا بالمنهج الوعظي «٥٧٤».

* * *

فهرس المراجع والمصادر

١ ـ الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح الحنبلي، توزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
٢ ـ الإبانة على أصول السنة والديانة، لعبيد الله محمد بن بطة العكبري، تحقيق د. رضا بن نعسان معطي، المكتبة الفيصلية مكة، ١٤٠٤هـ.
٣ ـ إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، لأبي شامة الدمشقي، تحقيق إبراهيم عطوة، ط مصطفى الحلبي، القاهرة.
٤ ـ إبراهيم النخعي وآثاره الواردة في تفسير سورة الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، للباحثة نوال اللهيبي، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى.
٥ ـ ابن حنبل، حياته وعصره، وآراؤه، وفقهه، لمحمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي، القاهرة.
٦ ـ أبو حنيفة، حياته، عصره، وآراؤه، وفقهه، لمحمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي، القاهرة.
٧ ـ أبي بن كعب وتفسير القرآن، رسالة ماجستير جامعة أم القرى، للباحث أحمد منجي.
٨ ـ الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث، د. عبد المجيد محمود عبد المجيد، ١٣٩٩هـ، دار الوفاء، القاهرة.
٩ ـ الاتجاهات الفكرية في التفسير، د. الشحات زغلول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط الثانية ١٣٩٧هـ.
١٠ ـ اتجاهات المفسرين في توجيه القراءات، رسالة دكتوراه، إعداد الباحث أحمد جبريل سيسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٢هـ.
١١ ـ إتحاف ذوي الرسوخ بمن رمي بالتدليس من الشيوخ، تأليف حماد الأنصاري، مكتبة المعلا الكويت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
١٢ ـ إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر لأحمد البنا، تحقيق د. شعبان إسماعيل، عالم الكتب، بيروت ط الأولى ١٤٠٧هـ.
١٣ ـ الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تصوير المكتبة الثقافية، بيروت.
١٤ ـ الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه ١٣٩٦هـ، طبع جامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ.
١٥ - الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه في هذا العصر، تأليف سيد محمد موسى، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
١٦ - الأحرف السبعة للقرآن، لأبي عمرو الداني، تحقيق عبد المهيمن طحان، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
١٧ - الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب الفارسي، ضبط كمال الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٤٠٧هـ.
١٨ - الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي، ط الأولى مؤسسة النور، الرياض.
١٩ - الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، مقابلة على نسخة أحمد شاكر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٢٠ - أحكام القرآن، للتهانوى، ط إدارة القرآن والعلوم الإسلامية كراتشي، الأولى ١٤٠٧هـ.
٢١ - أحكام القرآن، للجصاص، الناشر سهيل أكيديمي، لاهور، باكستان، ط الأولى ١٤٠٠هـ.
٢٢ - أحكام القرآن، للإمام الشافعي، تعليق عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٣ - أحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر، بيروت.
٢٤ - أحوال الرجال، للجوزجاني، إسحق بن إبراهيم بن يعقوب، تحقيق صبحي السامرائي، ط الأولى ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٥ - إحياء علوم الدين، للغزالي، المكتبة التجارية، القاهرة.
٢٦ - أخبار أصبهان، لأبي نعيم الأصبهاني، طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل ١٩٤١م.
٢٧ - أخبار القضاة لوكيع، محمد بن خلف بن حيان، عالم الكتب، بيروت.
٢٨ - أخبار النحويين، لعبد الواحد بن أبي هاشم.
٢٩ - أخبار النحويين البصريين لأبي سعيد السيرافي، ط دار الاعتصام، القاهرة.
٣٠ - اختلاف المفسرين، رسالة دكتوراه، مقدمة من الشيخ. سعود بن عبد الله الفنيسان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٣١ - آداب الشافعي، لابن أبي حاتم، تحقيق د. عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢ ـ الأدب المفرد للإمام البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٣ ـ آراء إبراهيم النخعي التفسيرية من سورة النساء إلى آخر القرآن، للباحث عبد الرحمن الخريصي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.
٣٤ ـ آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، د. عمر رضوان، دار طيبة، الرياض، ط الأولى ١٤١٣هـ.
٣٥ ـ الإرشاد في معرفة علماء الحديث، لأبي يعلى الخليلي، تحقيق د. محمد إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤٠٩هـ.
٣٦ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للألباني، المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٣٩٩هـ.
٣٧ ـ أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود، ط ١٣٩٩هـ.
٣٨ ـ أسباب النزول، للواحدي، ط ١٩٥٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٩ ـ الإستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى، لابن عبد البر، تحقيق د. عبد الله السوالمة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ دار ابن تيمية للنشر، الرياض.
٤٠ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، مصور بحاشية الإصابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤١ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير ط الشعب ١٣٩٩هـ، القاهرة.
٤٢ ـ الإسرائيليات في التفسير والحديث، د. محمد حسين الذهبي ط الثانية ١٤٠٦هـ ـ مكتبة وهبة، القاهرة.
٤٣ ـ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد محمد أبو شهبة، مكتبة السنة القاهرة، ط: الرابعة ١٤٠٨هـ.
٤٤ ـ أسماء الثقات لأبي جعفر عمر بن شاهين، تحقيق د. صبحي السامرائي، ط الأولى ١٤٠٤هـ، الدار السلفية، الكويت.
٤٥ ـ الأسماء والصفات للبيهقي، تحقيق عماد الدين حيدر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.
٤٦ ـ إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، لعبد الباقي اليماني، تحقيق د. عبد المجيد دياب، شركة الطباعة العربية السعودية، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
٤٧ ـ الإصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت، عن الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ، مطبعة السعادة، القاهرة.
٤٨ ـ أصول التفسير وقواعده، لخالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت ط الثانية ١٤٠٦هـ.

٤٩ ـ أصول السرخسي، لأبي بكر محمد بن أحمد السرخسي، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٣٧٢هـ.
٥٠ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٣هـ، الرياض.
٥١ ـ الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار، للحازمي، المطبعة العثمانية، حيدر آباد الدكن ـ الهند ١٣٥٩هـ.
٥٢ ـ الاعتصام للشاطبي، دار المعرفة، بيروت.
٥٣ ـ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للبيهقي، تحقيق كمال الحوت، مركز الخدمات والأبحاث، بيروت.
٥٤ ـ إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه، طبع دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.
٥٥ ـ إعراب القرآن لأحمد بن محمد النحاس، تحقيق د. زهيرزاهد، عالم الكتب طبعة ثانية ١٤٠٥هـ ـ بيروت.
٥٦ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، راجعه طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت.
٥٧ ـ الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط الخامسة ١٩٨٠م.
٥٨ ـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، للسخاوي، تحقيق د. صالح العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط الأولى ١٤٠٧هـ.
٥٩ ـ أعيان الشيعة، للعاملي، مطبعة ابن زيدون، دمشق، ط الأولى ١٣٥٨هـ.
٦٠ ـ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، طبعة الساسي، دار الكتب المصرية، ١٩٧٣م.
٦١ ـ الاغتباط بمعرفة من رمي بالاختلاط لسبط بن العجمي، مكتبة المعارف، الطائف، ضمن مجموعة الرسائل الكمالية.
٦٢ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، تحقيق د. ناصر العقل ط الأولى ١٤٠٤هـ.
٦٣ ـ أقسام القرآن، لابن القيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت.
٦٤ ـ الإقناع في القراءات السبع، لأبي جعفر بن علي بن الباذش، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، دار الفكر، دمشق ط الأولى ١٤٠٣هـ.
٦٥ ـ الإكمال، لابن ماكولا، تعليق عبد الرحمن المعلمي، الناشر محمد أمين ومج، بيروت.

٦٦ ـ الإلماع إلى معرفة أصول الرواية، للقاضي عياض، تحقيق أحمد صقر ط الثانية، دار التراث، القاهرة ١٣٩٨هـ.
٦٧ ـ الأم للإمام الشافعي، طبعة الشعب، القاهرة.
٦٨ ـ أمالي المرتضي.
٦٩ ـ الإمام عبد الرزاق مفسراً، رسالة ماجستير للباحث حمد بن عبده بن هادي، جامعة أم القرى.
٧٠ ـ الأمثال في القرآن، لابن القيم، دار المعرفة، بيروت ١٩٨١م.
٧١ ـ الأمصار ذوات الآثار للذهبي، تحقيق قاسم علي سعد، دار البشائر ط الأولى ١٤٠٦هـ، بيروت.
٧٢ ـ إنباء الغمر، لابن حجر، المطبعة العثمانية حيدر آباد، الدكن، الهند.
٧٣ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
٧٤ ـ الإنباه على قبائل الرواة، لابن عبد البر، تحقيق إبراهيم الأبياري، الناشر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.
٧٥ ـ الأنساب للسمعاني، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، طبعة ثانية ١٤٠٠هـ، الناشر محمد أمين دوج ـ بيروت.
٧٦ ـ أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري، تحقيق محمد حميد الله ـ دار المعارف، نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية.
٧٧ ـ أنساب القرشيين.
٧٨ ـ الإنصاف في بيان سبب الاختلاف، للدهلوي، مصور دار الفكر، بيروت.
٧٩ ـ أنوار العقول، لنور الدين السالمي، تحقيق أحمد الخليلي، عمان.
٨٠ ـ الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، لأبي بكر بن المنذر، تحقيق د. صغير أحمد ابن محمد حنيف، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، الرياض.
٨١ ـ الإيثار بمعرفة رواة الآثار، لابن حجر العسقلاني، تحقيق سيد كسردي، دار الكتب العلمية، بيروت ط الأولى ١٤١٣هـ.
٨٢ ـ الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار المنارة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٨٣ ـ إيضاح الوقف والابتداء، لابن الأنباري، تحقيق د. محيي الدين رمضان، دمشق، مجمع اللغة العربية، ط الأولى ١٣٩٠هـ.

٨٤ ـ الإيمان لابن تيمية، المكتب الإسلامي، دمشق ط الثالثة ١٣٩٩هـ.
٨٥ ـ الإيمان لابن أبي شيبة، تحقيق الألباني، نشر دار الأرقم، الكويت.
٨٦ ـ الإيمان لابن عبيد القاسم بن سلام، تحقيق الألباني، نشر دار الأرقم، الكويت.
٨٧ ـ الإيمان لابن منده، تحقيق د. علي الفقيهي، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤٠٦هـ، بيروت.
٨٨ ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير، تأليف أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، طبعة ثانية، بيروت.
٨٩ ـ بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم لأبي المحاسن بن عبد الهادي، تحقيق د. روحية السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ.
٩٠ ـ البدء والتاريخ، لليعقوبي، أحمد بن سهل، مؤسسة مختار، مصر.
٩١ ـ البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة.
٩٢ ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبي الوليد بن رشد القرطبي، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
٩٣ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، توزيع دار الباز، مكة.
٩٤ ـ برنامج ابن جابر الوادي آشي، تأليف محمد بن جابر الوادي التونسي، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الناشر مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى.
٩٥ ـ البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر، دار المعرفة، بيروت.
٩٦ ـ بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت.
٩٧ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضبي، دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٧م.
٩٨ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي، ط الأولى ١٣٨٤هـ.
٩٩ ـ البلغة في تاريخ أئمة اللغة، للفيروز آبادي، تحقيق محمد المصري، دمشق ١٩٧٢م.
١٠٠ ـ بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠١ ـ البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ١٤١٠هـ.
١٠٢ ـ بين السنة والشيعة ـ دراسة مقارنة في التفسير وأصوله د. علي السالوس، دار الاعتصام.
١٠٣ ـ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق عبد العليم

الطحاوي ١٤٠٤هـ، مطبعة حكومة الكويت.
١٠٤ ـ تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق شكر الله بن نعمة القوجاني، مجمع اللغة العربية، دمشق.
١٠٥ ـ تاريخ آداب اللغة العربية، لجرجي زيدان، مكتبة الحياة، مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ، بيروت.
١٠٦ ـ تاريخ أسماء الثقات، لابن شاهين، تحقيق صبحي السامرائي، الدار السلفية، الكويت، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.
١٠٧ ـ تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق د. عمرتدمري، الناشر دار الكتاب العربي.
١٠٨ ـ تاريخ الأمم والملوك للطبري، تصوير دار الفكر، طبعة ١٣٩٩هـ، بيروت.
١٠٩ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.
١١٠ ـ تاريخ ابن معين، دراسة وتحقيق د. أحمد نور سيف، طبعة أولى ١٣٩٩هـ، مركز البحث العلمي بجامعة الملك عبد العزيز، جدة.
١١١ ـ تاريخ جرجان، للسهمي، عني به د. محمد عبد المعيد خان، ط الثالثة، الناشر عالم الكتب، بيروت ١٤٠١هـ.
١١٢ ـ تاريخ الخلفاء، للسيوطي، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٩م، تصوير دار الفكر، بيروت.
١١٣ ـ تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين، طبعة ١٤٠٣هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
١١٤ ـ تاريخ التمدن الإسلامي، لجرجي زيدان، مكتبة دار الحياة، لبنان.
١١٥ ـ تاريخ الثقات لأحمد بن عبد الله العجلي، بترتيب نور الدين الهيثمي، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، طبعة أولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١٦ ـ تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، طبعة ثانية ١٤٠٥هـ، دار طيبة، الرياض.
١١٧ ـ تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، لحسين بن محمد الديار بكري، تصوير مؤسسة شعبان، بيروت.
١١٨ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر، مخطوط في مكتبة الأخ الشيخ سعد الحميد.
١١٩ ـ تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار لابن حبان، دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق بوران الضناوي، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
١٢٠ ـ التاريخ الصغير، للإمام البخاري، تحقيق محمود زايد، طبعة أولى١٣٩٧هـ، دار الوعي

بحلب، ومكتبة التراث، القاهرة.
١٢١ ـ تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين، لأبي المحاسن المعري، تحقيق د. عبد الفتاح الحلو، ط جامعة الإمام، ١٤٠١هـ.
١٢٢ ـ تاريخ العلماء والدواه للعلم بالأندلس، لابن الفرضي، تصحيح عزت العطار، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
١٢٣ ـ تاريخ الفقه الإسلامي، محمد علي السايس، ط محمد علي صبيح، القاهرة.
١٢٤ ـ التاريخ الكبير، للإمام البخاري، طبعة ثانية ١٤٠٢هـ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن، الهند.
١٢٥ ـ تاريخ المدينة لابن شبه، حققه فهيم شلتوت، دار التراث، القاهرة، ط الأولى ١٤١٠هـ.
١٢٦ ـ تاريخ المذاهب الفقهية، لأبي زهرة، دار الفكر العربي.
١٢٧ ـ تاريخ مصر وولاتها، للكندي، دار العاصمة، الرياض.
١٢٨ ـ تاريخ واسط، لأسلم بن سهل، تحقيق كوركيس عواد، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
١٢٩ ـ تاريخ وفاة الشيوخ، للبغوي، تحقيق محمد عزيز شمس، الدار السلفية، بومباي، الهند، ١٤٠٩هـ.
١٣٠ ـ تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٢هـ.
١٣١ ـ تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، شرح أحمد صقر دار التراث، ط الثانية، القاهرة.
١٣٢ ـ تبصرة المنتبه بتحرير المشتبه، لابن حجر العسقلاني، تحقيق علي البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت.
١٣٣ ـ التبصرة والتذكرة شرح ألفية العراقي، دار الباز للنشر، مكة المكرمة.
١٣٤ ـ التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، دار القرآن الكريم، بيروت.
١٣٥ ـ التبيين في أنساب القرشيين، لابن قدامة المقدسي، تحقيق محمد الدليمي، عالم الكتب، ط الثانية ١٤٠٨هـ.
١٣٦ ـ تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر الدمشقي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٩هـ.
١٣٧ ـ تجريد أسماء الصحابة، للذهبي، نشر دار المعرفة، بيروت.
١٣٨ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، تصحيح عبد الوهاب

عبد اللطيف، مطبعة المعرفة، القاهرة، نشر محمد عبد المحسن الكتبي، ط الثانية ١٣٨٣هـ.
١٣٩ ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، لأبي الحجاج يوسف المزي، نشر دار القيمة، بمباي، الهند، ١٣٩٦هـ.
١٤٠ ـ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، للسخاوي، دار نشر الثقافة، القاهرة، ١٣٩٩هـ.
١٤١ ـ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، للزيلعي، عناية سلطان الطبيشي، دار ابن خزيمة، الرياض، ط الأولى ١٤١٤هـ.
١٤٢ ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط الثانية ١٣٨٥هـ.
١٤٣ ـ التدوين في أخبار قزوين، لعبد الكريم القزويني، ضبط عزيز الله العطاردي، المطبعة العزيزية، حيدر أباد، الهند ١٤٠٥هـ.
١٤٤ ـ التذكار في أفضل الأذكار، للقرطبي، تحقيق أحمد الغماري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٦هـ.
١٤٥ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي، تصوير دار إحياء التراث العربي عن الطبعة الأولى الهندية، بيروت.
١٤٦ ـ تذكرة الموضوعات لمحمد طاهر الهندي، المطبعة العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند.
١٤٧ ـ تذكرة النحاة، لأبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي، تحقيق عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
١٤٨ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض، تحقيق د. أحمد محمود، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت.
١٤٩ ـ تسمية أصحاب النبي ﷺ، للترمذي، تحقيق عماد حيدر، دار الجنان ط الأولى ١٤٠٦هـ.
١٥٠ ـ تسمية ما انتهى إلينا من الرواة عن سعيد بن منصور، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق عبد الله الجديع، دار العاصمة.
١٥١ ـ التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي، طبعة ثانية ١٣٩٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٥٢ ـ التشريع والفقه في الإسلام تاريخًا ومنهجًا، د. مناع القطان، مكتبة وهبة، ط الأولى ١٣٩٦هـ.

١٥٣ ـ التصاريف ليحيى بن سلام، تحقيق هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٩م، تونس.
١٥٤ ـ تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لابن حجر العسقلاني، عناية عبد الله هاشم المدني، دار المحاسن مصر، ١٣٨٦هـ.
١٥٥ ـ التعديل والتجريح، لأبي الوليد الباجي، طبعة أولى ١٤٠٦هـ، تحقيق د. أبو لبابة حسين، دار اللواء، الرياض.
١٥٦ ـ التعريف بالقرآن والحديث، لمحمد الزفراف، ط الأولى، القاهرة.
١٥٧ ـ تغليق التعليق على صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق سعيد القزقي، طبع المكتب الإسلامي، طبعة أولى ١٤٠٥هـ.
١٥٨ ـ التفسير، ورجاله لابن عاشور، دار الكتب الشرقية، تونس، ط الثانية، ١٣٩٢هـ.
١٥٩ ـ التفسير والمفسرون، تأليف د. محمد حسين الذهبي، طبعة ثانية ١٣٩٦هـ، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
١٦٠ ـ تفسير ابن مسعود، جمع د. محمد أحمد عيسوي، طبع على نفقة مؤسسة الملك فيصل الخيرية، شركة الطباعة العربية، الرياض، ط الأولى ١٤٠٥هـ.
١٦١ ـ تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، طبعة ثانية ١٤٠٣هـ، تصوير دار الفكر، بيروت.
١٦٢ ـ تفسير البرهان، لهاشم البحراني، طبعة ثانية، طهران.
١٦٣ ـ تفسير البغوي، المسمى معالم التنزيل مطبوع بحاشية الخازن، طبعة ثانية ١٣٧٥هـ، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
١٦٤ ـ تفسير ابن أبي حاتم، الجزء الأول من سورة البقرة، تحقيق د. أحمد الزهراني، ط مكتبة الدار، المدينة.
١٦٥ ـ تفسير ابن أبي حاتم سورة آل عمران، تحقيق د. حكمت بشير ياسين، مكتبة الدار، المدينة.
١٦٦ ـ تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير، من كتب السنة، تأليف د. عبد العزيز الحميدي، ط جامعة أم القرى مركز البحث العلمي.
١٦٧ ـ تفسير الحسن البصري، جمع وتوثيق د. محمد عبد الرحيم، دار الحديث، القاهرة.
١٦٨ ـ تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، طبعة ثانية ١٣٧٥هـ مصطفى البابي الحلبي القاهرة.
١٦٩ ـ تفسير سعيد بن جبير، لمحمد أيوب يوسف، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١٧٠ ـ تفسير سفيان بن عيينة، جمع وتحقيق أحمد محايري، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
١٧١ ـ تفسير سفيان الثوري رواية أبي جعفر محمد بن أبي حذيفة الهندي، دار الكتب العلمية، طبعة أولى ١٤٠٣هـ، بيروت.
١٧٢ ـ تفسير سورة الإخلاص، لابن تيمية، القاهرة، ط الأولى، ١٣٢٣هـ.
١٧٣ ـ تفسير الصافي للفيض الكاشاني، تصحيح حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت.
١٧٤ ـ تفسير الطبري، تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة.
١٧٥ ـ تفسير الطبري، ط مصطفى البابي الحلبي، ط الثالثة، القاهرة.
١٧٦ ـ تفسير ابن عطية المسمى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق المجلس العلمي بفاس، طبعة ثانية ١٤٠٣هـ، مطابع فضالة المحمدية، المغرب.
١٧٧ ـ تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق د. مصطفى مسلم، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤١٠هـ.
١٧٨ ـ تفسير غريب الحديث، لابن حجر العسقلاني، الناشر دار المعرفة، بيروت.
١٧٩ ـ تفسير فرات الكوفي، طبع مؤسسة النعمان، تحقيق محمد الكاظم، بيروت، ١٤١٢هـ.
١٨٠ ـ التفسير في عهد الصحابة، رسالة ماجستير، لناصر بن محمد الحميد، جامعة الإمام.
١٨١ ـ تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تحقيق محمد فواد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، طبعة ثانية ١٣٩٨هـ.
١٨٢ ـ تفسير قتادة، دراسة للمفسر ومنهج تفسيره، لعبد الله أبو السعود، الناشر عالم الكتب، القاهرة، ١٣٩٩هـ.
١٨٣ ـ التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة.
١٨٤ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق عبد العزيز غنيم، ومحمد أحمد عاشور، ومحمد البنا، ط الشعب، القاهرة.
١٨٥ ـ تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
١٨٦ ـ تفسي القمي لأبي الحسن علي القمي، صححه طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف، ١٣٨٩هـ.
١٨٧ ـ التفسير الكبير للفخر الرازي، طبعة ثانية، دار الكتب العلمية، طهران.
١٨٨ ـ التفسير المأثور عن عمر بن الخطاب، جمع إبراهيم بن حسن، الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م.

١٨٩ ـ تفسير الماوردي المسمى النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي، تحقيق خضر محمد خضر، طبعة أولى ١٤٠٢هـ، نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت.
١٩٠ ـ تفسير مجاهد، تحقيق عبد الرحمن السورتي، دار المنشورات العلمية، بيروت.
١٩١ ـ تفسير محمد بن كعب القرظي، من أول الفاتحة إلى نهاية القرآن لعبيد بن عبد الله الجابري، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية.
١٩٢ ـ تفسير مقاتل، تحقيق د. عبد الله شحاتة.
١٩٣ ـ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، طبعة الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢م.
١٩٤ ـ تفسير نافع بن أبي نعيم ضمن مجموع، تحقيق د. حكمت بشير ياسين، مكتبة الدار بالمدينة، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
١٩٥ ـ تفسير النسائي، تحقيق صبري الشافعي وسيد بن عباس، مؤسسة الكتب الثقافية، ط الأولى ١٤١٠هـ.
١٩٦ ـ تفسير هود الهواري المسمى تفسير كتاب الله العزيز لهود الهواري، تحقيق بالحاج شريفي، ط الأولى ١٩٩٠م، دار الغرب الإسلامي.
١٩٧ ـ تفسير نور الثقلين لعبد علي الحويزي، مؤسسة إسماعليان، إيران.
١٩٨ ـ تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق محمد عوامة، دار الرشد، حلب، سوريا.
١٩٩ ـ تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، ط الأولى، دار الرشيد.
٢٠٠ ـ تقريب النشر في القراءات، لابن الجزري، تحقيق إبراهيم عطوة، ط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
٢٠١ ـ تقييد العلم للخطيب البغدادي، تحقيق يوسف العش، نشر دار إحياء السنة النبوية، القاهر، ط الثانية ١٣٩٥هـ.
٢٠٢ ـ التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، للعراقي، تحقيق عبد الرحمن عثمان، دار الفكر العربي، القاهرة.
٢٠٣ ـ التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة، تحقيق كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
٢٠٤ ـ التكملة لوفيات النقلة، للمنذري، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت، ط الثانية ١٤٠٥هـ.
٢٠٥ ـ تلخيص البيان في مجازات القرآن، للشريف الرضي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار إحياء التراث للكتب العربية، القاهرة.

٢٠٦ ـ التلخيص الجيد في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر العسقلاني، تحقيق د. شعبان إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٩هـ.
٢٠٧ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر، طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في المملكة المغربية.
٢٠٨ ـ التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم ومذاهبهم، للبطليوسي، تحقيق د. أحمد كحيل، د. حمزة عبد الله، دار الاعتصام ط الأولى ١٣٩٨هـ.
٢٠٩ ـ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت عن الطبعة المنيرية.
٢١٠ ـ تهذيب تاريخ دمشق الكبير، لعبد القادر بدران، ط الثانية ١٣٩٩هـ، دار المسيرة، بيروت.
٢١١ ـ تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٢٠هـ بمطبعة دائرة المعارف، حيدر آباد، الهند، دار صادر، بيروت.
٢١٢ ـ تهذيب الصحاح، لمحمود بن أحمد الزنجاني، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة.
٢١٣ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢١٤ ـ تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة.
٢١٥ ـ التوحيد، لابن خزيمة، تحقيق د. عبد العزيز الشهوان، دار الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
٢١٦ ـ تيسير العزيز الحميد، شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٩هـ.
٢١٧ ـ الثبات عند الممات، لابن الجوزي، تحقيق عبد الله الليثي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
٢١٨ ـ الثقات، لابن حبان البستي، ط الأولى ١٣٩٨هـ، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند.
٢١٩ ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٣هـ.

٢٢٠ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير الجزري، تحقيق عبد القادر الأرناووط، نشر مكتبة الحلواني، ١٣٨٩هـ.
٢٢١ ـ جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، تصوير دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ، بيروت.
٢٢٢ ـ جامع التحصيل من أحكام المراسيل، للعلائي، طبعة مكتبة الإرشاد، بغداد.
٢٢٣ ـ جامع النقول في أسباب النزول، لابن خليفة عليوي، ط الأولى ١٤٠٤هـ.
٢٢٤ ـ جذوة المقتبس، للحميدي، تحقيق محمد الطبخي، نشر مكتبة الثقافة الإسلامية، مصر، ط الأولى ١٣٧٢هـ.
٢٢٥ ـ الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٧١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٢٦ ـ جمال القراء، وكمال الإقراء، للسخاوي، تحقيق د. علي البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
٢٢٧ ـ الجمع بين رجال الصحيحين، الطبعة الأولى، حيدر آباد، الدكن، الهند، جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٣هـ، بيروت.
٢٢٨ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، تحقيق علي حسن ناصر وعبد العزيز العسكر، ط دار العاصمة، الرياض.
٢٢٩ ـ الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر للسخاوي، تحقيق د. حامد عبد المجيد، ود. طه الزيني، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٠٦هـ.
٢٣٠ ـ حاشية الروض المربع، لابن قاسم، المطابع الأهلية للأفست الرياض، ط الأولى ١٣٩٧هـ.
٢٣١ ـ الحافظ البغدادي، وأثره في علوم الحديث، د. محمود الطحان، الناشر دار القرآن الكريم، ١٤٠١هـ، بيروت.
٢٣٢ ـ حبر الأمة عبد الله بن عباس، ومدرسته في التفسير بمكة المكرمة د. عبد الله سلقيني، دار السلام، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
٢٣٣ ـ الحث على الحفظ وذكر كبار الحفاظ لابن الجوزي، دار الخلفاء.
٢٣٤ ـ الحجة للقراء السبعة، للفارسي، تحقيق بدر الدين قهوجي، وبشر حويجاتي، دار المأمون للتراث، ط الأولى ١٤٠٤هـ.
٢٣٥ ـ حجة القراءات لابن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط الرابعة ١٤٠٤هـ.
٢٣٦ ـ حجة الله البالغة للدهلوي، ط المطبعة الخيرية، ١٣٢٢هـ، القاهرة.

٢٣٧ ـ الحسن البصري لإحسان عباس، دار الفكر العربي، ١٩٥٢م، القاهرة.
٢٣٨ ـ الحسن البصري لابن الجوزي، مكتبة الخانجي، ط الأولى ١٣٥٠هـ.
٢٣٩ ـ الحسن البصري من عمالقة الفكر والدعوة، د. مصلح سيد بيومي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٠م
٢٤٠ ـ الحسن البصري مفسرًا، لأحمد إسماعيل البسيط، دار الفرقان ١٩٨٥م.
٢٤١ ـ الحسن البصري وحديثه المرسل، د. عمر الجغيبر، دار البشير، الأردن، ط الأولى ١٤١٢هـ.
٢٤٢ ـ حسن المحاضرة في أخبار من دخل مصر والقاهرة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى الحلبي، القاهرة، ط الأولى ١٩٦٧م.
٢٤٣ ـ الحق الدافع لأحمد بن حمد الخليلي، مطابع النهضة، مسقط، ١٤٠٩هـ.
٢٤٤ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم، مطبعة السعادة، ط الأولى ١٣٩٤هـ.
٢٤٥ ـ حلياء الفقهاء لأبي الحسن بن فارس، تحقيق د. عبد الله التركي، ط الأولى ١٤٠٣هـ، الشركة المتحدة، بيروت.
٢٤٦ ـ خزانة الأدب، لعبد القادر البغدادي، القاهرة ١٢٩٩هـ.
٢٤٧ ـ خطط المقريزي، دار التحرير للطبع والنشر، عن طبعة بولاق ١٢٧٠هـ، مصر.
٢٤٨ ـ خلاصة تهذيب تهذيب الكمال للخزرجي، تعليق عبد الفتاح أبو غدة، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا.
٢٤٩ ـ خلاصة صفة الصفوة، دار الكتب الحديثة، بيروت.
٢٥٠ ـ خلق أفعال العباد للإمام البخاري، تحقيق بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.
٢٥١ ـ دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد وآخرين، ط القاهرة.
٢٥٢ ـ الدارس في تاريخ المدارس، لعبد القادر النعيمي، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ، توزيع دار الباز بمكة.
٢٥٣ ـ الدرالمنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ط الأولى ١٤٠٣هـ، دار الفكر، بيروت.
٢٥٤ ـ الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، للعليمي، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، مكتبة التوبة، الرياض.
٢٥٥ ـ دراسات إسلامية في علوم القرآن، تأليف د. شكر محمد أحمد، ود. محمد مصطفى النجار، ط الأولى ١٣٨٦هـ، دار التأليف، ليبيا.
٢٥٦ ـ دراسات في التفسير وأصوله، د. محمد محيي الدين بلتاجي، دار الثقافة، الدوحة، ط الأولى ١٩٨٧م.

٢٥٧ ـ دراسات في الحديث النبوي للأعظمي، شركة الطباعة العربية، السعودية، الرياض، ط الثالثة ١٤٠١هـ.
٢٥٨ ـ دراسات في القرآن لأحمد خليل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢.
٢٥٩ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني.
٢٦٠ ـ الدعاء للطبراني، تحقيق د. محمد سعيد البخاري، دار البشائر الإسلامية، ط الأولى ١٤٠٧هـ، بيروت.
٢٦١ ـ دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، خرج أحاديثه عبد البر عباس، حققه محمد رواس قلعه جي، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ، المكتبة العربية، حلب، سوريا.
٢٦٢ ـ دلائل النبوة للبيهقي، توثيق د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.
٢٦٣ ـ دول الإسلام للذهبي، تحقيق فهيم شلتوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.
٢٦٤ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون المالكي، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع، القاهرة.
٢٦٥ ـ ديوان الإمام الشافعي، جمع، زهدي يكن، دار الرحاني للطباعة والنشر، بيروت.
٢٦٦ ـ ديوان الأعشى، تحقيق د. محمد محمد حسين، القاهرة.
٢٦٧ ـ ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي، تحقيق حماد بن محمد الأنصاري، نشر مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.
٢٦٨ ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للمحب الطبري، نشر مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٨٧هـ.
٢٦٩ ـ ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم للدارقطني، تحقيق بوران الضناوي، وكمال الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
٢٧٠ ـ ذكر من تكلم فيه وهو موثق للذهبي، تحقيق محمد مشكور الميادني، مكتبة المنار، الأردن ـ الزرقاء.
٢٧١ ـ ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل، للذهبي، تحقيق عبد الفتاح أبو غزة، ط الثالثة، ١٤٠٠هـ، دار القرآن الكريم، بيروت.
٢٧٢ ـ ذيل ابن عبد الهادي على طبقات ابن رجب، مراجعة محمود الحداد، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
٢٧٣ ـ ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار، صححه قيصر بن فرح، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، دائرة

المعارف ، الهند .
٢٧٤ ـ ذيل تذكرة الحفاظ لأبي المحاسن الحسين الدمشقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تصور عن الطبعة الهندية .
٢٧٥ ـ ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين ، في آخر كتابه الطبري تاريخ الأمم والملوك ، دار الفكر ١٣٩٩هـ .
٢٧٦ ـ الرأي وأثره في مدرسة المدينة ، د . أبو بكر ميقا ، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى ١٤٠٥هـ .
٢٧٧ ـ رجال صحيح البخاري للكلاباذي ، تحقيق عبد الله الليثي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٧هـ .
٢٧٨ ـ رجال صحيح مسلم لابن منجويه الأصبهاني ، تحقيق عبد الله الليثي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٧هـ .
٢٧٩ ـ الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ، تحقيق د . نور عتر ، طبعة دار الكتب العلمية ، طبعة أولى ١٣٩٥هـ .
٢٨٠ ـ رد الدارمي عثمان بن سعيد على المريسي العنيد ، ضمن مجموع كتاب عقائد السلف ، عناية د . علي النشار ، الناشر منشأة المعارف بالأسكندرية ١٩٧١هـ .
٢٨١ ـ الرد على الجهمية ، للدارمي ، المكتب الإسلامي ، ط الثانية ، ١٣٨١هـ .
٢٨٢ ـ الرد على من خالف مصحف عثمان لابن الأنباري .
٢٨٣ ـ الرسالة للإمام الشافعي ، تحقيق وشرح أحمد شاكر ، دار التراث ، القاهرة .
٢٨٤ ـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة للكتاني ، ط ثانية ١٤٠٠هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٢٨٥ ـ رسالة ليحيى بن معين في القدر (مخطوطة) في مكتبة الجامعة الإسلامية رقم (١٣٤) خاص ، عام ٢١٥هـ .
٢٨٦ ـ الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ، للكنوي ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ، ط الثالثة ، ١٤٠٧هـ .
٢٨٧ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ، إدارة الطباعة المصطفائية ، ديوبند ، الهند .
٢٨٨ ـ روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات للخوانساري ، ط الثانية ١٣٦٢هـ ، طهران .
٢٨٩ ـ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية لأبي بكر المالكي ، تحقيق بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ١٤٠٣هـ .
٢٩٠ ـ زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن الجوزي ، طبعة أولى ، المكتب الإسلامي .

٢٩١ـ زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ط أولى ١٣٩٩هـ ، لجنة إحياء التراث.
٢٩٢ـ الزهد للإمام أحمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٣هـ.
٢٩٣ـ زهد الثمانية من التابعين لعلقمة بن مرثد، تحقيق د. عبد الرحمن الفريوائي ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط الثانية ١٤٠٨هـ.
٢٩٤ـ الزهد والرقائق لابن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٩٥ـ الزهد لهناد بن السري، تحقيق د. عبد الرحمن الفريوائي، دار الخلفاء، الكويت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
٢٩٦ـ الزهد لوكيع بن الجراح، تحقيق د. عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، بالمدينة المنورة، ط ١٤٠٤هـ.
٢٩٧ـ الزهري من تاريخ لابن عساكر، تحقيق د. شكر الله بن نعمة الله قرجاني، مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ، بيروت.
٢٩٨ـ الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة المكي، مخطوط في مكتبة حكيم أوغلو، تركيا، عند الأخ محمد صفا حقي صورة منها.
٢٩٩ـ الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة، من النوع الأول إلى نهاية النوع (٤٥)، دراسة وتحقيق محمد صفا حقي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١١هـ.
٣٠٠ـ الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة، من النوع (٤٦) إلى نهاية النوع (٩٠)، دراسة وتحقيق فهد بن علي العندس، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١١٤١هـ.
٣٠١ـ الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة، من النوع (٩١) إلى نهاية النوع (١١٩) دراسة وتحقيق إبراهيم بن محمد المعمود، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٠هـ.
٣٠٢ـ الزيادة والإحسان في علوم القرآن ، لابن عقيلة، من النوع (١٢٠) إلى نهاية النوع (١٤٣)، دراسة وتحقيق مصلح عبد الكريم السامدي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٠هـ.
٣٠٣ـ الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة، من النوع (١٤٣) إلى نهاية الكتاب، دراسة وتحقيق خالد بن عبد الكريم اللاحم، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية عام ١٤١١هـ.
٣٠٤ـ السابق واللاحق، للخطيب البغدادي، تحقيق محمد الزهراني، دار طيبة، الرياض، ط الأولى ١٤٠٢هـ.
٣٠٥ـ السبعة في القراءات لابن مجاهد، تحقيق د. شوقي ضيف، ط الثانية، دار المعارف، القاهرة.
٣٠٦ـ سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، للبغدادي، دار الفكر، ط الرابعة ١٣٩٨هـ.
٣٠٧ـ سفيان الثوري وأثره في التفسير، تأليف هاشم المشهداني، دار الكتاب للطباعة، بغداد، ط الأولى ١٤٠١هـ.
٣٠٨ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، طبعة ثانية ١٤٠٤هـ.
٣٠٩ـ سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط الأولى ١٣٥٦هـ.
٣١٠ـ سنن الدارقطني، تصحيح السيد عبد الله هاشم يماني، دار المحاسن، القاهرة.
٣١١ـ سنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، توزيع دار الباز للنشر، مكة المكرمة.
٣١٢ـ سنن أبي داود، تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار إحياء السنة المحمدية.
٣١٣ـ سنن سعيد بن منصور، تحقيق د. سعد الحميد، الناشر دار الصميعي، ط الأولى ١٤١٤هـ.
٣١٤ـ السنن الكبرى للبيهقي، تصوير دار الفكر، بيروت.
٣١٥ـ سنن ابن ماجه، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة عيسى البابي الحلبي.
٣١٦ـ سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.
٣١٧ـ السنة لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال، تحقيق د. عطية الزهراني، دار الراية، ط الأولى ١٤١٠هـ، الرياض.
٣١٨ـ السنة لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية ١٤٠٥هـ.
٣١٩ـ السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل، المطبعة السلفية، مكة ١٣٤٩هـ.
٣٢٠ـ سؤالات ابن الجنيد لابن معين، تحقيق د. أحمد محمد نور سيف، مكتبة الدار بالمدينة، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

٣٢١ـ سؤالات البرقاني للدارقطني، رواية الكرجي، تحقيق د. عبد الرحيم القشقري، ط الأولى، باكستان.
٣٢٢ـ سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، إشراف شعيب الأرناؤوط، طبعة أولى ١٤٠١هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٢٣ـ الشافعي، حياته وعصره، لأبي زهرة، الناشر دار الفكر العربي، ١٩٧٨م، القاهرة.
٣٢٤ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، طبعة ثانية، ١٣٩٩هـ، دار المسيرة، بيروت.
٣٢٥ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم اللالكائي، تحقيق د. أحمد حمدان، الناشر دار طيبة، الرياض.
٣٢٦ـ شرح السنة للبغوي، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق.
٣٢٧ـ شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ط السابعة، المكتب الإسلامي، بيروت.
٣٢٨ـ شرح علل الترمذي، لابن رجب الحنبلي، حققه صبحي السامرائي، طبعة ثانية ١٤٠٥هـ، عالم الكتب، بيروت.
٣٢٩ـ شرح قصب السكر نظم نخبة الفكر، للملاقاري، مطبعة المدني، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٥هـ.
٣٣٠ـ شرح الكوكب المنير، لابن النجار الفتوحي، تحقيق د. محمد الزوحيلي، دار الفكر دمشق ١٤٠٠هـ، توزيع جامعة الملك عبد العزيز.
٣٣١ـ شرح معاني الآثار، للطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٣٩٩هـ.
٣٣٢ـ شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، تحقيق د. محمد سعيد أوغلي، الناشر دار إحياء السنة النبوية، أنقرة، تركيا.
٣٣٣ـ الشريعة للآجري، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب الجامعية، بيروت ١٩٨٣م.
٣٣٤ـ شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق محمد السعيد زغلول، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.
٣٣٥ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، للقشقلندي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣١هـ.
٣٣٦ـ صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.
٣٣٧ـ صحيح سنن ابن ماجه، للألباني، ط مكتب التربية العربي لدول الخليج، ، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
٣٣٨ـ صحيح مسلم، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت ١٤٠٠هـ.
٣٣٩ـ صفة الصفوة، لابن الجوزي، حققه محمود فاخوري، خرّج أحاديثه د. محمد رواس قلعه جي، طبعة ثانية ١٣٩٩هـ، الناشر دار المعرفة، بيروت.

٣٤٠ـ الصلة لابن بشكوال، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.
٢٤١ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم الجوزية، تحقيق د. علي الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
٣٤٢ـ ضبط القرآن لمحمد رواس قلعه جي، مكتبة الأزهر الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٦م.
٣٤٣ـ ضحى الإسلام لأحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط العاشرة.
٣٤٤ـ الضعفاء لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق د. فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء ط الأولى ١٤٠٥هـ.
٣٤٥ـ الضعفاء الصغير للبخاري، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي بحلب ١٣٩٦هـ، ط الأولى.
٣٤٦ـ الضعفاء الكبير للعقيلي، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعه جي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى.
٣٤٧ـ الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي، تحقيق عبد الله القاضي، ط أولى ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٤٨ـ الضعفاء والمتروكين، للدارقطني، تحقيق موفق عبد الله، طبعة أولى ١٤٠٤هـ، مكتب المعارف، الرياض.
٣٤٩ـ الضعفاء والمتروكين، للنسائي، تحقيق بوران الضناوي، ط الأولى ١٤٠٥هـ.
٣٥٠ـ ضعيف الجامع الصغير للألباني، طبعة ثانية ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، ودمشق.
٣٥١ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، مكتبة الحياة، بيروت.
٣٥٢ـ طبقات الحفاظ، للسيوطي، تحقيق علي محمد عمر، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط الأولى ١٣٩٣هـ.
٣٥٣ـ طبقات الحنابلة، لمحمد بن أبي يعلى، دار المعرفة، بيروت.
٣٥٤ـ طبقات خليفة بن خياط، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، دار طيبة، الرياض.
٣٥٥ـ طبقات الشافعية للأسنوي، تحقيق كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
٣٥٦ـ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، تحقيق محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٣٥٧ـ طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، تصحيح د. عبد العليم خان، طبعة أولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند ١٣٩٩هـ.

٣٥٨- طبقات الشافعية، لابن هداية الله، تحقيق، عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط الثانية ١٩٧٩م.
٣٥٩- طبقات علماء إفريقية وتونس، لأبي العرب القيرواني، تحقيق: علي الشابي، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م، تونس.
٣٦٠- طبقات علماء الحديث للصالحي، تحقيق أكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٠٩هـ.
٣٦١- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، شرح محمود شاكر، مطبعة المدني القاهرة.
٣٦٢- طبقات الفقهاء، للشيرازي، تحقيق د. إحسان عباس، دار الرائد العربي، لبنان، ط الثانية ١٤٠١هـ.
٣٦٣- طبقات فقهاء اليمن، لعمر الجعدي، تحقيق، فؤاد سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية ١٩٨١م.
٣٦٤- الطبقات الكبرى لابن سعد، طبعة دار صادر، بيروت.
٣٦٥- الطبقات الكبرى لابن سعد، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة، تحقيق د. زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، ط الثانية ١٤٠٨هـ، المدينة المنورة.
٣٦٦- طبقات المحدثين بأصبهان، لأبي الشيخ الأنصاري، تحقيق عبد الغفور البلوشي، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
٣٦٧- طبقات المدلسين لابن حجر، تحقيق د. عاصم القريوتي، مكتبة المنار، الأردن، ط الأولى.
٣٦٨- طبقات المفسرين للداودي، تحقيق علي محمد عمر، طبعة أولى ١٣٩٢هـ نشر مكتبة وهبة، القاهرة.
٣٦٩- طبقات المفسرين للسيوطي، تحقيق علي محمد عمر، طبعة أولى ١٣٩٦هـ، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.
٣٧٠- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٤م.
٣٧١- طرح التثريب في شرح التقريب، لزيد الدين أبي الفضل العراقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٧٢- عارضة الأحوذي، لابن العربي المالكي، الناشر مكتبة المعارف، بيروت، ط دار العلم للجميع، بيروت.

٣٧٣ـ العبر في خبر من غبر للذهبي، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، طبعة أولى ١٤٠٥هـ بيروت.
٣٧٤ـ عجائب علوم القرآن، لابن الجوزي، تحقيق د. عبد الفتاح عاشور، الناشر الزهراء للإعلام العربي، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
٣٧٥ـ عطاء بن أبي رباح وجهوده في التفسير، رسالة ماجستير لعبد الواحد بكر إبراهيم العابد، جامعة أم القرى ١٤١٢هـ.
٣٧٦ـ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، للفاسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤٠٦هـ.
٣٧٧ـ العقد الفريد لابن عبد ربه، تحقيق أحمد أمين، القاهرة، ١٩٤٨م.
٣٧٨ـ العقيدة الواسطية لابن تيمية، تحقيق محمد خليل هراس، دار الثقافة.
٣٧٩ـ العلل لابن أبي حاتم، مصورة عن طبعة محمد نصيف، ١٣٤٣هـ، مكتبة دار السلام، حلب.
٣٨٠ـ العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل، تحقيق وصي الله عباس، المكتب الإسلامي.
٣٨١ـ العلل لابن المديني، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، طبعة ثانية ١٩٨٠م، المكتب الإسلامي، دمشق.
٣٨٢ـ العلل للدارقطني، تحقيق د. محفوظ الرحمن السلفي، طبعة أولى ١٤٠٥هـ، دار طيبة، الرياض.
٣٨٣ـ العلم لأبي خثيمة، تحقيق الألباني، دار الأرقم، الكويت.
٣٨٤ـ علوم القرآن ـ مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، دار الكتب الحديثة، بيروت.
٣٨٥ـ علوم القرآن والتفسير، د. عبد الله شحاته، دار الاعتصام، القاهرة.
٣٨٦ـ علوم القرآن، لعدنان زرزور، المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٤٠١هـ، بيروت.
٣٨٧ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، تصوير دار الفكر، بيروت.
٣٨٨ـ عمل اليوم والليلة للنسائي، تحقيق فاروق بن حمادة، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، نشر وتوزيع الرئاسة العامة لإدارة البحوث.
٣٨٩ـ عيون الأخبار لابن قتيبة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
٣٩٠ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم آبادي، تحقيق عبد الرحمن عثمان، طبعة ثانية ١٣٨٨هـ، الناشر محمد عبد المحسن، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
٣٩١ـ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجوزي، عني بنشره، براجستر، طبعة ثانية ١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٩٢ ـ غريب الحديث للخطابي، تحقيق عبد الكريم العزباوي، دار الفكر، دمشق ١٤٠٢هـ، توزيع جامعة أم القرى.
٣٩٣ ـ غريب الحديث لابن قتيبة، تحقيق د. عبد الله الجبوري، العراق، ط الأولى ١٣٩٧هـ.
٣٩٤ ـ غريب الحديث لابن الجوزي، تعليق د. عبد المعطي أمين قلعه جي، طبعة أولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٩٥ ـ غريب الحديث للحربي، تحقيق د. سليمان العايد، دار المدني للطباعة والنشر، جدة، ط الأولى ١٤٠٥هـ.
٣٩٦ ـ غريب الحديث، لأبي عبد القاسم بن سلام، دار الكتاب العربي، بيروت، مصورة عن الطبعة الأولى من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ١٣٩٦هـ.
٣٩٧ ـ الفائق في غريب الحديث، لمحمود الزمخشري، طبعة أولى ١٣٩٦هـ، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
٣٩٨ ـ الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٩٩ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية.
٤٠٠ ـ فتح الباقي على ألفية العراقي، لزيد الدين زكريا السنكي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٠١ ـ الفتح الرباني، ترتيب مسند الإمام أحمد، للساعاتي، دار الشهاب بالقاهرة.
٤٠٢ ـ الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير البيضاوي للمناوي، تحقيق أحمد مجتبى بن نذر السلفي، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٩هـ.
٤٠٣ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، نشر دار المعرفة، بيروت.
٤٠٤ ـ فتح المغيث شرح ألفية الحديث، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، نشر دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٣هـ.
٤٠٥ ـ فجر الإسلام، تأليف أحمد أمين، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٥م.
٤٠٦ ـ فرائد القلائد.
٤٠٧ ـ الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر دار المعرفة، بيروت.
٤٠٨ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد بن حزم، طبعة ثانية ١٣٩٥هـ، دار المعرفة، بيروت.
٤٠٩ ـ فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق وحي الله بن محمد عباس، طبعة أولى ١٤٠٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، توزيع جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٤١٠ ـ فضائل الصحابة، للنسائي، تحقيق د. فاروق حمادة، طبعة أولى ١٤٠٤هـ، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.
٤١١ ـ فضائل القرآن لابن الضريس، تحقيق د. مسفر دماس الغامدي، دار حافظ، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.
٤١٢ ـ فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق وهبي غاوجي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤١٣ ـ فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق محمد تيجاني، رسالة ماجستير.
٤١٤ ـ فضائل القرآن للفريابي، تحقيق يوسف جبريل، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤٠٩هـ.
٤١٥ ـ فضائل القرآن لابن كثير، دار الأندلس، بيروت.
٤١٦ ـ فضائل القرآن للنسائي، دار الثقافة، الدار البيضاء.
٤١٧ ـ فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد، للحيدر آبادي، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٨٨هـ.
٤١٨ ـ فقه أهل العراق وحديثهم للكوثري، دار القلم، بيروت، ١٣٩٠هـ.
٤١٩ ـ الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، تصحيح إسماعيل الأنصاري، طبعة ثانية ١٣٨٩هـ، مطابع القصيم، الرياض.
٤٢٠ ـ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، للفاسي، ط الأولى، المدينة المنورة.
٤٢١ ـ فنون الأفنان، لابن الجوزي، تحقيق حسن عتر، ط دار البشائر الإسلامية.
٤٢٢ ـ فهرس ابن عطية، للأندلسي، تحقيق محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، ط الثانية١٩٨٣م.
٤٢٣ ـ فهارس تهذيب اللغة للأزهري، عبد السلام هارون، ط الأولى، ١٣٩٦هـ، القاهرة.
٤٢٤ ـ فهارس لسان العرب، صنفه د. خليل أحمد عمايرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
٤٢٥ ـ الفهرست لابن النديم ـ أبو الفرج بن أبي يعقوب الوراق، تحقيق رضا تجدّد بن علي زين العابدين.
٤٢٦ ـ فهرست ابن خير، فهرسة ما رواه عن شيوخه لابن خير الأشبيلي، ط الثانية، ١٣٨٢هـ، بعناية: فرنشكه قداره زيدين، منشورات مكتبة المثنى ببغداد.
٤٢٧ ـ فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، الطبعة الأولى ١٩٠٥م، القاهرة.
٤٢٨ ـ فوات الوفيات لمحمد شاكر الكتبي، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
٤٢٩ ـ الفوز الكبير في أصول التفسير، عربه من الفارسية سلمان الحسيني الندوي، ط الثانية،

دار الصحوة ١٤٠٧هـ.
٤٣٠ ـ في علوم القرآن، دراسات ومحاضرات، دار النهضة.
٤٣١ ـ فيض الباري بشرح صحيح البخاري للكشميري، مطبعة حجازي، ١٣٥٧هـ، القاهرة.
٤٣٢ ـ فيض القدير لترتيب وشرح الجامع الصغير، لمحمد حسن ضيف الله، مصطفى الحلبي، ط الأولى ١٣٨٣هـ، القاهرة.
٤٣٣ ـ القاموس المحيط للفيروز آبادي، تصوير المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
٤٣٤ ـ قتادة السدوسي وتفسيره، من أول سورة الفاتحة، إلى نهاية النحل، للباحث عمر يوسف كمال، الجامعة الإسلامية.
٤٣٥ ـ القرآن العظيم هدايته وإعجازه، لمحمد الصادق عرجون، ط الكليات الأزهرية ١٣٨٦هـ.
٤٣٦ ـ القرآن المعجزة الكبرى، لأبي زهرة، ط دار الفكر العربي، القاهرة.
٤٣٧ ـ القرآن وعلومه في مصر، د. عبد الله خورشيد البري، دار المعارف، القاهرة.
٤٣٨ ـ قراءة عبد الله بن مسعود، مكانتها، مصادرها، إحصاؤها، د. محمد خاطر، دار الاعتصام، القاهرة.
٤٣٩ ـ القراءات القرآنية في بلاد الشام، تأليف د. حسين عطوان، دار الجيل بيروت، ط ١٩٨٣م.
٤٤٠ ـ قراءات النبي، لأبي عمر حفص بن عمر الدوري، تحقيق د. حكمت بشير ياسين، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط الأولى١٤٠٨هـ.
٤٤١ ـ القصاص والمذكرين، لابن الجوزي، تحقيق د. محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ.
٤٤٢ ـ القطع والائتناف للنحاس، تحقيق د. أحمد خطاب، بغداد، ١٣٩٨هـ.
٤٤٣ ـ قنعة الأديب في تفسير الغريب، لابن قدامة، تحقيق د. علي البواب، دار أمية للنشر والتوزيع، الرياض.
٤٤٤ ـ القواعد والإشارات في أصول القراءات، تأليف أحمد الحموي، تحقيق د. عبد الكريم بكار، دار القلم دمشق، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
٤٤٥ ـ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، للقاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٣٩٩هـ.
٤٤٦ ـ قواعد في علوم الحديث، لظفر التهانوي، تعليق عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ، شركة العبيكان، الرياض.
٤٤٧ ـ الكاشف لمن له رواية في الكتب الستة، للذهبي، تحقيق د. عزت عطية، طبعة أولى ١٣٩٢هـ، دار النصر للطباعة، القاهرة.

٤٤٨ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري، طبعة ثانية ١٣٨٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
٤٤٩ ـ الكامل في الضعفاء لابن عدي الجرجاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
٤٥٠ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط الأولى ١٣٩٩هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٤٥١ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، طبعة دار العلوم الحديثة، بيروت.
٤٥٢ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، ط البابي الحلبي، مصر ١٣٩٢هـ.
٤٥٣ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع، لمكي بن أبي طالب، تحقيق د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤٠١هـ، بيروت.
٤٥٤ ـ كعب الأحبار: مروياته وأقواله في التفسير، رسالة ماجستير إعداد يوسف العامري، جامعة أم القرى ١٤١٢هـ.
٤٥٥ ـ الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، تصوير المكتبة العلمية، بيروت.
٤٥٦ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للبرهان فوري الهندي، ضبط وتصحيح صفوة السقا، ١٣٩٩هـ، طبعة مؤسسة الرسالة، دمشق، منشورات دار اللواء، الرياض.
٤٥٧ ـ الكنى للإمام أحمد، رواية ابنه صالح، تحقيق عبد الله الجديع، مكتبة دار الأقصى، الكويت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
٤٥٨ ـ الكنى للدولابي، مصورة عن الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٥٩ ـ الكنى والأسماء لمسلم (مخطوط)، صورة عن النسخة المحفوظة بخزانة المكتبة الظاهرية بدمشق.
٤٦٠ ـ الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات، لابن الكيال، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، طبعة أولى ١٤٠١هـ، دار المأمون للتراث، دمشق.
٤٦١ ـ اللآلئ الحسان في علوم القرآن، د. موسى لاشين، مطبعة الفجر الجديد، القاهرة.
٤٦٢ ـ اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير الجزري، طبعة ١٤٠٠هـ، دار صادر، بيروت.
٤٦٣ ـ لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط الأولى ١٩٧٨م
٤٦٤ ـ لب اللباب في تحرير الأنساب، للسيوطي، تحقيق محمد عبد العزيز وأشرف عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

٤٦٥ ـ لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت.
٤٦٦ ـ لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلاني، نشر مؤسسة الأعلمي، طبعة ثانية ١٣٩٠هـ، بيروت.
٤٦٧ ـ لمحات في أصول الحديث، تأليف محمد أديب صالح، المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٣٩٣هـ، بيروت.
٤٦٨ ـ لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، تأليف د. محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي ١٣٩٤هـ.
٤٦٩ ـ المأثور في تفسير الفاتحة عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، جمع د. عبد الإله الأحمدي، دار طيبة، الرياض، ط الأولى ١٤١٣هـ.
٤٧٠ ـ مالك: حياته وعصره، لأبي زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
٤٧١ ـ مباحث في علوم القرآن، تأليف مناع القطان، طبعة ثامنة، ١٤٠١هـ، مكتبة المعارف، الرياض.
٤٧٢ ـ المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر الأصبهاني، تحقيق سبيع حاكمي، دار القبلة للثقافة، جدة، ط الثانية ١٤٠٨هـ.
٤٧٣ ـ المبسوط للسرخسي، دار المعرفة، بيروت.
٤٧٤ ـ المتوارين الذين اختفوا خوفًا من الحجاج، لعبد الغني بن سعيد، تحقيق مشهور حسن، دار القلم، دمشق، ط الأولى ١٤١٠هـ.
٤٧٥ ـ مجاهد بن جبر، ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير إعداد الباحثة جميلة محمد الغزاني، جامعة أم القرى ١٤٠٤هـ.
٤٧٦ ـ المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي بحلب، ط الأولى ١٣٩٦هـ.
٤٧٧ ـ مجلة الأزهر، عدد (١) محرم ١٣٦٦هـ، مقال بعنوان بيئة البصرة وأثرها في النحو العربي.
٤٧٨ ـ مجلة المنهل، العدد (١٣) ذو الحجة ١٣٨٩هـ، مقال بعنوان مذهب أبي حنيفة ومصادر فقهه.
٤٧٩ ـ مجمع البحرين في زوائد المعجمين، الأوسط والصغير، لنور الدين الهيثمي، تحقيق عبد القدوس نذير، مكتبة الرشد، الرياض.
٤٨٠ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين الهيثمي، طبعة ثالثة ١٤٠٢هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
٤٨١ ـ مجمل اللغة لابن فارس، تحقيق زهير سلطان، طبعة مؤسسة الرسالة، طبعة أولى

١٤٠٤هـ.
٤٨٢ - المجموع شرح المهذب.
٤٨٣ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن القاسم وابنه محمد، تصوير عن الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.
٤٨٤ - المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، لأبي عيسى المديني الأصفهاني، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، الناشر مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ط الأولى ١٤١٠هـ.
٤٨٥ - مجموعة الرسالة الكمالية في المصاحف والقرآن والتفسير، الناشر مكتبة المعارف، الطائف.
٤٨٦ - المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، تأليف أبي الفتح عثمان بن جني، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
٤٨٧ - المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للرامهرمزي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، ط الأولى، بيروت، ١٣٩١هـ.
٤٨٨ - المحكم في نقط المصحف، لأبي عمرو الداني.
٤٨٩ - المحلى لابن حزم، تصحيح زيدان أبو المكارم، الناشر مكتبة الجمهورية العربية، القاهرة، ١٣٨٧هـ.
٤٩٠ - مختار الصحاح للرازي، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
٤٩١ - المختارة للضياء المقدسي، تحقيق د. عبد الملك بن دهيش، الرياض.
٤٩٢ - مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبد الله الحاكم لابن الملقن، تحقيق سعد الحميد، دار العاصمة، ط الأولى ١٤١١هـ، الرياض.
٤٩٣ - مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، دار الفكر، بيروت، ط الأولى ١٤٠٤هـ.
٤٩٤ - مختصر تفسير يحيى بن سلام لابن أبي زمنين، رسالة ماجستير، إعداد الباحث عبد الله المديميغ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٤٩٥ - مختصر سنن أبي داود للمنذري، ومعه معالم السنن للخطابي، ومعه تهذيب الإمام ابن القيم، تحقيق أحمد شاكر، دار المعرفة، بيروت.
٤٩٦ - مختصر طبقات الحنابلة، لابن الشطبي، دراسة فواز زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت.
٤٩٧ - مختصر العلو للعلي الغفار، اختصار الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠١هـ.
٤٩٨ - مختصر علوم الحديث، للحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت.
٤٩٩ - المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء، القاهرة، ١٣٢٨هـ.

٥٠٠ ـ مختصر قيام الليل وقيام رمضان، للمقريزي، مصورة عن المخطوطة، تصوير دار الفكر، عالم الكتب، بيروت، ط الثانية ١٤٠٣هـ.
٥٠١ ـ مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه، عني بنشره ج برجشترسر، مكتبة المتنبي، القاهرة.
٥٠٢ ـ مختصر طبقات الحنابلة لابن شطي، دراسة فواز زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
٥٠٣ ـ المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي، تحقيق الأعظمي، نشر دار الخلفاء، الكويت.
٥٠٤ ـ المدخل إلى الفقه الإسلامي د. محمود محمد الطنطاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
٥٠٥ ـ المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، تأليف د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثامنة ١٤٠٥هـ.
٥٠٦ ـ المدخل لدراسة الفقه الإسلامي، تأليف حسين حامد حسان، شركة الطوبجي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨١م.
٥٠٧ ـ المدخل لدراسة القرآن الكريم والسنة، تأليف شعبان محمد إسماعيل، دار الأنصار، القاهرة.
٥٠٨ ـ المدخل للفقه الإسلامي، تأليف د. عبد الله الدرعان، مكتبة التوبة، الرياض، ط الأولى ١٤١٣هـ.
٥٠٩ ـ المدخل لدراسة القرآن والسنة، لمحمد أبو شهبة، دار الجيل للنشر، لبنان.
٥١٠ ـ مدرسة التفسير في الأندلس، لمصطفى المشني، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
٥١١ ـ مدرسة الحديث في الكوفة، لعبد العزيز الجاسم، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد ابن سعود.
٥١٢ ـ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، ط مصطفى البابي الحلبي، ط الثانية ١٣٧٧هـ.
٥١٣ ـ المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعري، تأليف د. عبد المجيد بن حمده، مطبعة دار العرب، تونس، ١٤٠٦هـ.
٥١٤ ـ مذاهب التفسير الإسلامي، لجولد تسهر، دار اقرأ، بيروت، ط الثانية ١٤٠٣هـ.
٥١٥ ـ المراسيل لابن أبي حاتم، اعتنى به شكر الله بن نعمة الله، مؤسسة الرسالة، طبعة أولى ١٣٩٧هـ، دمشق.
٥١٦ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لليافعي، تحقيق عبد الله الجيوري، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٠٥هـ، بيروت.

٥١٧ ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، لسبط ابن الجوزي، حيدر آباد، الهند، ١٣٧٠هـ.
٥١٨ ـ المرشد الوجيز لابن شامة، حققه طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت.
٥١٩ ـ مروج الذهب للمسعودي، ط الأولى ١٣٤٦ هـ، القاهرة.
٥٢٠ ـ مرويات الحسن البصري في القرآن من أول سورة الإسراء إلى آخر سورة الناس، للباحث شير علي شاه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٥٢١ ـ المزهر للسيوطي، تحقيق علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط الأولى ١٩٥٨م.
٥٢٢ ـ المسائل الأصولية من كتاب الروايتين والوجهين، للقاضي أبي يعلى، تحقيق د. عبد الكريم اللاحم، مكتبة المعارف، الرياض.
٥٢٣ ـ مسائل الإمام أحمد، لأبي داود السجستاني، دار المعرفة، بيروت، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.
٥٢٤ ـ مستدرك الحاكم، تصوير دار الكتاب العربي، بيروت.
٥٢٥ ـ المستصفى من علم الأصول للغزالي، دار العلوم الحديثة، بيروت.
٥٢٦ ـ المستطرف في كل مستظرف للأبشيهي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٢٧ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، المطبعة الميمنية، ط الأولى ١٣١٣هـ، القاهرة.
٥٢٨ ـ مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد محمد شاكر، طبعة دار المعارف١٣٧٣هـ القاهرة، الطبعة الرابعة
٥٢٩ ـ مسند الحميدي، لأبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبع عالم الكتب، بيروت، نشر مكتبة المتنبي.
٥٣٠ ـ مسند الربيع بن حبيب الفراهيدي الإباضي مع شرحه لنور الدين السالمي، نشر مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان، طبع مطابع النهضة بمسقط.
٥٣١ ـ مسند الشافعي ترتيب محمد عابد السندي، دار الكتب العلمية.
٥٣٢ ـ مسند الطيالسي، الناشر دار الكتاب اللبناني، مصور عن الطبعة الأولى الهندية ١٣٢١هـ.
٥٣٣ ـ المسودة في أصول الفقه، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة.
٥٣٤ ـ مشارق أنوار العقول للسالمي نور الدين عبد الله بن حميد سالمي، علق عليه أحمد الخليلي، مطابع العقيدة، سلطنة عمان ١٩٧٨م.
٥٣٥ ـ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان، الناشر مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة.
٥٣٦ ـ مشكاة المصابيح، للتبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق.
٥٣٧ ـ مشكل الآثار للطحاوي، مصورة عن الطبعة الأولى الهندية، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

٥٣٨ ـ المصاحف لابن أبي داود السجستاني أبو بكر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٥٣٩ ـ مصاعد النظر في تناسب السور للبقاعي، تحقيق د. عبد السميع حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
٥٤٠ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، للفيومي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ.
٥٤١ ـ المصنف لابن أبي شيبة، طبعة إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، باكستان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٥٤٢ ـ المصنف، لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة أولى ١٣٩٠هـ المكتب الإسلامي.
٥٤٣ ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، المطبعة العصرية بالكويت، ١٣٩٢هـ، نشر الشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف بدولة الكويت.
٥٤٤ ـ مطمح الأنفس، لابن خاقان القيسي الإشبيلي، دراسة محمد علي شوايكة، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، بيروت ١٤٠٣هـ.
٥٤٥ ـ المعارف لابن قتيبة، تصحيح محمد الصاوي، طبعة أصح المطابع، كراتشي ١٣٩٦هـ.
٥٤٦ ـ معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، للدباغ، تصحيح إبراهيم شبوح، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٦٨م.
٥٤٧ ـ معالم القربة في أحكام الحسبة، لابن الأخوة القرشي، تحقيق د. محمد شعبان، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٥٤٨ ـ معاني القرآن للأخفش، تحقيق د. عبد الأمير الورد، عالم الكتب بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.
٥٤٩ ـ معاني القرآن للفراء، تحقيق محمد النجار، وأحمد نجاتي، دار الكتب المصرية ١٣٧٥هـ، القاهرة.
٥٥٠ ـ معاني القرآن للنحاس، تحقيق د. محمد الصابوني، ط مركز إحياء التراث بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
٥٥١ ـ المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، للقضاعي المعروف بابن الأبار، دار صادر بيروت.
٥٥٢ ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.

٥٥٣ ـ المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى ١٤٠٥هـ.
٥٥٤ ـ معجم الرجال للخوئي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٥٥٥ ـ المعجم الصغير للطبراني، ضبط كمال الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
٥٥٦ ـ المعجم الكبير للطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، طبعة أولى ١٤٠٠هـ، الدار العربي للطباعة، بغداد
٥٥٧ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، للبكري الأندلسي، حققه مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت.
٥٥٨ ـ المعجم المختص بالمحدثين، للذهبي، تحقيق د. محمد الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف.
٥٥٩ ـ المعجم المشتمل على ذكر أسماء شيوخ الأئمة النبل، لابن عساكر، تحقيق سكينة الشهابي، دار الفكر، بيروت.
٥٦٠ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، فنسنك، ليدن، هولانده، مصورة بتركيا، استانبول، المكتبة الإسلامية.
٥٦١ ـ معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، لعمر رضا كحالة، الناشر، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٦٢ ـ المعرب للجواليقي، تحقيق أحمد شاكر، ط الثانية ١٣٨٩هـ.
٥٦٣ ـ معرفة الصحابة، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق د. محمد راضي عثمان، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
٥٦٤ ـ معرفة الرجال، لابن معين، تحقيق محمد كمال القصار، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٥هـ.
٥٦٥ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي، تحقيق محمد سيد جاد الحق، طبعة أولى، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
٥٦٦ ـ المعرفة والتاريخ، لأبي يوسف الفسوي، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٣٩٤هـ.
٥٦٧ ـ المعين في طبقات المحدثين، للذهبي، تحقيق د. همام سعيد، دار الفرقان، ط الأولى ١٤٠٤هـ، الأردن.
٥٦٨ ـ المغازي للواقدي، تحقيق د. مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت.
٥٦٩ ـ المغني للقاضي عبد الجبار المعتزلي، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٣٨٠هـ.

٥٧٠ ـ المغني لابن قدامة، تحقيق د. عبد الله التركي، ود. عبد الفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
٥٧١ ـ المغني في الضعفاء، للذهبي، تحقيق د. نور الدين عتر.
٥٧٢ ـ مفتاح السعادة، لأحمد بن مصطفى كبرى زاده، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ط الثانية ١٤٠٠هـ.
٥٧٣ ـ مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، للسيوطي، تعليق د. مصطفى البغا، الناشر مؤسسة علوم القرآن، دمشق.
٥٧٤ ـ المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد كيلاني، طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة ١٣٨١هـ.
٥٧٥ ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للسخاوي، تصحيح عبد الله الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٣٩٩هـ.
٥٧٦ ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، طبعة ثانية ١٤٠٠هـ، دار النشر فراتر شتانير بفيسبادن.
٥٧٧ ـ مقالات الكوثري، لمحمد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار، القاهرة.
٥٧٨ ـ مقدمة ابن خلدون، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي.
٥٧٩ ـ مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت.
٥٨٠ ـ مقدمتان في علوم القرآن، أوثر جفري، دار المصادي، ط الثانية ١٣٩٢هـ.
٥٨١ ـ مقدمة الدر، مخطوطة موجودة في مكتبة الشيخ حكمت بشير ياسين، المدينة المنورة.
٥٨٢ ـ مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصلاح، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٥٨٣ ـ مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، تحقيق د. عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، طبعة أولى ١٣٩١هـ.
٥٨٤ ـ مقدمة مسند بقي بن مخلد، تحقيق د. أكرم العمري، ط الأولى ١٤٠٤هـ.
٥٨٥ ـ المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لابن مفلح، تحقيق د. عبد الرحمن بن عثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤١٠هـ.
٥٨٦ ـ المكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني، تحقيق يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٥٨٧ ـ الملل والنحل للشهرستاني، مصور بهامش كتاب الفصل، دار المعرفة للطباعة، بيروت، طبعة ثانية ١٣٩٥هـ.
٥٨٨ ـ مناهج التجديد لأمين الخولي.

٥٨٩ ـ مناهج المفسرين، تأليف د. منيع عبد الحليم محمود، دار الكتاب المصري ١٩٨٧م.
٥٩٠ ـ مناهج المفسرين، تأليف د. مساعد مسلم آل جعفر، محيي هلال السرحان، دار المعرفة، طبعة أولى ١٩٨٠م
٥٩١ ـ مناهج التشريع في القرن الثاني الهجري، تأليف د. محمد بلتاجي، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٧هـ.
٥٩٢ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٥٩٣ ـ المنتخب من ذيل المذيل.
٥٩٤ ـ المنتخب من مسند عبد بن حميد، الطبعة الأولى، دار الأرقم، الكويت.
٥٩٥ ـ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط الأولى ١٤١٢هـ.
٥٩٦ ـ المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق، للخرائطي، انتقاء السلفي الأصبهاني، تحقيق محمد مطيع، وغزوة بديز، دار الفكر، دمشق، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
٥٩٧ ـ المنتقى من منهاج الاعتدال، للذهبي، تحقيق محب الدين الخطيب، ط المطبعة السلفية.
٥٩٨ ـ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٥٩٩ ـ منهج النقد في علوم الحديث، بقلم د. نور الدين عتر، دار الفكر، ط الثالثة ١٤٠٦هـ، دمشق.
٦٠٠ ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠هـ.
٦٠١ ـ المذهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، للأتابكي، تحقيق د. نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.
٦٠٢ ـ المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي، تحقيق د. التهامي الهاشمي، طبع تحت إشراف لجنة إحياء التراث الإسلامي بين حكومة المغرب والإمارات.
٦٠٣ ـ الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي، عني به د. محمد عبد الله دراز، يطلب من المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.
٦٠٤ ـ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، لنور الدين الهيثمي، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية بيروت.
٦٠٥ ـ المواقف في علم الكلام للإيجي، دار الباز، مكة المكرمة.
٦٠٦ ـ موسوعة إبراهيم النخعي، بقلم د. محمد رواس قلعه جي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، نشر مركز البحث العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط الأولى ١٣٩٩هـ.

٦٠٧ ـ موسوعة فقه ابن مسعود، بقلم د. محمد رواس قلعه جي، نشر مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة.
٦٠٨ ـ موطأ مالك، تصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٠٩ ـ الميزان في تفسير القرآن، للطبطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ.
٦١٠ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت.
٦١١ ـ الناسخ والمنسوخ، لابن سلامة هبة الله، ط البابي الحلبي مصر ١٩٦٧م.
٦١٢ ـ الناسخ والمنسوخ، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق محمد المديفر، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤١١هـ.
٦١٣ ـ الناسخ والمنسوخ لقتادة، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة.
٦١٤ ـ الناسخ والمنسوخ، محمد باشهاب الزهري، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة.
٦١٥ ـ الناسخ والنسوخ للنحاس، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، مكتبة عالم الفكر، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
٦١٦ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين الأتابكي، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.
٦١٧ ـ نزهة الألباء لابن الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة.
٦١٨ ـ النسب لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق مريم محمد خير الدرع، دار الفكر، ط الأولى ١٤١٠هـ، بيروت.
٦١٩ ـ نسب عدنان وقحطان للمبرد، ضمن مجموعة الرسائل الكمالية في الأنساب، الناشر مكتبة المعارف، الطائف، ط دار الشعب، القاهرة.
٦٢٠ ـ نسب قريش للزبيري، تصحيح ليفي بروفنال، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة.
٦٢١ ـ النسخ في القرآن تأليف مصطفى زيد، دار الوفاء، المنصورة، ط الثالثة ١٤٠٨هـ.
٦٢٢ ـ النشر في القراءات العشر لابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، نشر عباس الباز، مكة المكرمة.
٦٢٣ ـ نصب الراية لأحاديث الهداية للزيلعي، طبعة ثانية ١٣٩٣هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٢٤ ـ نظم العقيان في أعيان الأعيان، للسيوطي، تصوير المكتبة العلمية، بيروت، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.
٦٢٥ ـ النكت على ابن الصلاح لابن حجر العسقلاني، تحقيق د. ربيع بن هادي عمير، دار

الراية ط الثانية ١٤٠٨هـ، الرياض.
٦٢٦ ـ نكت الانتصار لنقل القرآن، للباقلاني، تحقيق د. محمد زغلول سلام، الناشر منشأة المعارف بالأسكندرية.
٦٢٧ ـ نكت الهميان في نكت العميان، للصفدي، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة ١٩١٠م.
٦٢٨ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق طاهر الزواوي ومحمود الطناحي، الناشر المكتبة الإسلامية، ط الأولى ١٣٨٣هـ.
٦٢٩ ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، للقلقشندي، تعليق على الخاقاني، مطبعة النجاح، بغداد ١٣٧٨هـ.
٦٣٠ ـ نهاية الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط، لعلاء الدين علي رضا، دار المعرفة، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
٦٣١ ـ نواسخ القرآن، لابن الجوزي، تحقيق محمد الملباري، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، طبع الجامعة الإسلامية.
٦٣٢ ـ الهداية في تخريج أحاديث البداية، لأحمد الغماري، تحقيق عدنان علي شلاق، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
٦٣٣ ـ هدي الساري مقدمة فتح الباري، لابن حجر، تصحيح الشيخ ابن باز ـ الطبعة السلفية.
٦٣٤ ـ هدية العارفين، للبغدادي، مصورة عن الطبعة التركية.
٦٣٥ ـ الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، للشيخ عبد الفتاح القاضي، توزيع مكتبة السوادي بجدة، ط ١٤١١هـ.
٦٣٦ ـ الوافي بالوفيات، للصفدي، باعتناء، ديررينغ ـ ط الثانية ١٣٩٤هـ.
٦٣٧ ـ الوجيز في فضائل الكتاب العزيز، للقرطبي، تحقيق د. علاء الدين علي رضا، دار الحديث، القاهرة.
٦٣٨ ـ الوفيات، لابن قنفذ، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط الرابعة ١٤٠٣هـ.
٦٣٩ ـ وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس ١٣٩٧هـ، دار صادر، بيروت.
٦٤٠ ـ يتيمة الدهر للثعالبي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٦م.

● ● ●

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩
أهمية الموضوع	١٠
دواعي اختيارالموضوع	١٢
منهج البحث	١٣
تنبيهات متممة للمنهج	٢٤
التمهيد	٢٧
أولاً: مفهوم التفسير بالمأثور	٢٩
تعريف الأثر في اللغة	٢٩
معناه في الاصطلاح	٣١
معناه في اصطلاح كتب أصول التفسير	٣١
ثانيًا: التفسير في مراحله الأولى	٣٤

الباب الأول

مدخل إلى تفسير التابعين

الفصل الأول: المراد بالتابعي، وحكم تفسيره	٤٣
المبحث الأول: المراد بالتابعين	٤٥
اختلاف العلماء في حده، وتعريفه	٤٥
المبحث الثاني: حكم تفسير التابعي	٤٩
الفصل الثاني: مصادر تفسير التابعي	٥٣
المبحث الأول: كتب السنن، والآثار	٥٧
صحيح البخاري	٥٧
تغليق التعليق	٥٩
فتح الباري شرح صحيح البخاري	٦٠

الموضوع	الصفحة
سنن سعيد بن منصور	٦٢
سنن الترمذي	٦٣
سنن الدارمي	٦٣
كتب الزهد والرقائق	٦٤
الزهد لابن المبارك	٦٤
الزهد لهناد	٦٥
الزهد لوكيع	٦٥
المصنف لابن أبي شيبة	٦٥
غريب الحديث للحربي	٦٦
المبحث الثاني: كتب التفسير بالمأثور	٦٨
تفسير مجاهد	٦٨
تفسير سفيان الثوري	٦٩
تفسير سفيان بن عيينة	٧٠
تفسير عبد الرزاق الصنعاني	٧٠
تفسير آدم بن أبي إياس	٧١
تفسير يحيى بن سلام	٧٢
تفسير عبد بن حميد	٧٣
تفسير ابن جرير الطبري	٧٤
تفسير ابن المنذر	٧٦
تفسير ابن أبي حاتم	٧٧
تفسير الماوردي	٧٨
تفسير ابن عطية	٧٨
تفسير البغوي	٧٩
زاد المسير	٨٠
تفسير ابن كثير	٨٠
الدر المنثور	٨١

الباب الثاني

مدارس التفسير في عصر التابعين وخصائصها

الفصل الأول: أشهر رجال التفسير في عصر التابعين ٨٧

مجاهد بن جبر ٩٠

مكانة مجاهد بين أصحاب ابن عباس ٩٠

خصائص تفسير مجاهد ٩٢

أولاً: توسعه في باب النظر، والاجتهاد ٩٣

١ ـ تأويله للمسخ الواقع على اليهود ٩٣

٢ ـ تأويله لمعنى المائدة المنزلة علي عيسى ٩٤

٣ ـ تأويله لمعنى الورود على النار ٩٥

٤ ـ تأويله لمعنى قوله: ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً﴾ ٩٥

٥ ـ ما روي عنه في تأويل معنى اهتزاز العرش ٩٦

ثانيًا: الدقة في التفريق بين الكلمات المتشابهة ٩٧

ثالثاً: تفسير بعض الألفاظ بما يخالف المعنى القريب ٩٨

رابعًا: اهتمامه بالمبهمات ٩٩

الرأي، والتأويل، وأثرهما على المنهج العقدي عند مجاهد ١٠١

١ ـ تفسيره لقوله: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ ١٠٥

٢ ـ تفسيره للمقام المحمود بأنه الإجلاس على العرش ١٠٧

٣ ـ تأويله لرؤية الله في الآخرة ١١٠

أثره في علوم القرآن ١١٤

أولاً: معرفة أول ما نزل من القرآن ١١٤

ثانيًا: أسباب النزول ١١٥

ثالثًا: تأويله لمشكل القرآن ١١٦

رابعًا: موقفه من النسخ ١١٨

خامسًا: رأيه في المحكم، والمتشابه ١١٩

سادسًا: كليات القرآن ١٢٠

الموضوع	الصفحة
سابعًا: الاشتقاق عند مجاهد	١٢١
ثامنًا: الاعتماد على لغة العرب	١٢٢
تاسعًا: معرفة ما وقع في القرآن من المعرب	١٢٣
عوامل السبق عند مجاهد	١٢٥
١ ـ ملازمته وصحبته لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ	١٢٥
٢ ـ تعدد مصادره	١٢٦
٣ ـ تخصصه وانقطاعه لعلم التفسير	١٢٨
٤ ـ سبقه في علم القراءات	١٢٩
٥ ـ شغفه بالسفر والترحال، وحبه لرؤية العجائب والغرائب	١٣٠
٦ ـ كتابته للتفسير	١٣٢
٧ ـ عناية أصحابه بنقل تفسيره	١٣٢
٨ ـ التوسع في الاجتهاد والقدرة على الاستنباط	١٣٣
٩ ـ حافظته	١٣٤
١٠ ـ عدم دخوله في الفتن	١٣٥
١١ ـ تأخر وفاته	١٣٥
سعيد بن جبير	١٣٧
تأثره بالمنهج الكلي	
١ ـ كثرة روايته لتفسير ابن عباس	١٣٨
٢ ـ محبته لابن عباس، وحرصه على كتابة حديثه	١٣٩
٣ ـ كثرة تردده على مكة	١٤٠
٤ ـ الأثر المكي على منهجه في التفسير	١٤٠
أبرز المعالم المنهجية في تفسيره	
١ ـ تقدمه في معرفة القراءة	١٤٢
٢ ـ الاهتمام بتفسير آيات الأحكام	١٤٤
٣ ـ تساهله في الرواية عن بني إسرائيل	١٤٦
أسباب تقدمه في التأويل	
١ ـ قربه من ابن عباس	١٤٨
٢ ـ حرصه على نشر علمه	١٤٨
٣ ـ قربه من عكرمة	١٤٩
٤ ـ كتابته للتفسير	١٤٩

الموضوع	الصفحة
أسباب تقدم أصحاب ابن عباس عليه في التفسير	
١ ـ عدم تخصصه في التفسير	١٥٠
٢ ـ انشغاله بالرواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ	١٥١
٣ ـ قلة المعتنين برواية تفسيره	١٥٣
٤ ـ ما وقع له من الفتن	١٥٣
عكرمة	
أسباب تفوقه في التفسير	
١ ـ طول ملازمته لابن عباس رضي الله عنه، وحبه له	١٥٦
٢ ـ تقدمه في معرفة أسباب النزول	١٥٧
٣ ـ قدرته على الاجتهاد، والفهم، والاستنباط	١٥٩
٤ ـ تفرغه لعلم التفسير	١٦٠
٥ ـ معرفته الواسعة بلغات قبائل العرب، وأشعارها	١٦١
٦ ـ كثرة رحلاته	١٦٦
٧ ـ حرصه على نشر علمه	١٦٧
أهم أسباب نقصان تفسيره عن مجاهد	١٦٨
أولاً: اتهامه بالكذب	١٦٩
ثانيًا: اتهامه بالميل لرأي الخوارج	١٧٣
ثالثًا: إكثاره من الرواية عن شيخه	١٧٩
رابعًا: قلة المختصين في نقل تفسيره	١٨١
عطاء بن أبي رباح	١٨٤
أسباب قلة الرواية عند عطاء	
١ ـ تحرجه من تفسير القرآن	١٨٥
٢ ـ اشتغاله بالفقه، والإفتاء	١٨٩
٣ ـ قلة الناقلين لتفسيره	١٩٣
٤ ـ ضعف اعتماده على اللغة في تفسيره	١٩٤
ما انفرد به من أمور في منهجه	١٩٥
١ ـ قلة اعتماده على روايات بني إسرائيل	١٩٥
٢ ـ قلة الملازمة لابن عباس رضي الله عنهما	١٩٧
٣ ـ توسعه في الفقه، والإفتاء	١٩٨

الموضوع	الصفحة
الحسن البصري	
عوامل السبق عند الحسن	٢٠٠
أولاً: تقدمه في علوم اللغة العربية	٢٠١
أ ـ فصاحته	٢٠١
ب ـ تقدمه في النحو وعدم اللحن في كلامه	٢٠٣
جـ ـ سبقه في معرفة الغريب من اللغة	٢٠٥
ثانيًا: إمامته في الوعظ، والتذكير	٢٠٩
أسباب كثرة المروي عنه	٢٢٠
١ ـ التساهل في الرواية	٢٢٠
٢ ـ حرصه على نشر العلم، وتأثمه من كتمانه	٢٢٥
٣ ـ حرصه على الكتابة	٢٢٥
٤ ـ اهتمامه بمعرفة أسباب النزول، وتقدمه في هذا	٢٢٦
٥ ـ كثرة الاجتهاد وقوة الاستنباط	٢٢٧
٦ ـ عدم دخوله في الفتن	٢٣٢
٧ ـ تقدمه وجمعه لفروع عديدة من العلم	٢٣٥
٨ ـ تقدمه في القراءة	٢٣٦
٩ ـ إكثاره في باب الوعظ والتذكير	٢٣٧
العوامل التي أدت إلى تقليل نتاجه مقارنة بغيره	٢٣٨
١ ـ عدم تخصص أحد من تلاميذه لرواية تفسيره	٢٣٨
٢ ـ اشتغاله بالفقه، وتصدره للفتوى	٢٣٩
٣ ـ ضعف حافظته	٢٤١
٤ ـ قلة أسفاره ورحلاته	٢٤٢
٥ ـ هيبته في قلوب تلاميذه	٢٤٣
٦ ـ قلة اهتمام المشارقة بتفسيره	٢٤٣
أثره في بعض علوم القرآن	٢٤٣
أولاً: موقفه من النسخ	٢٤٣
ثانيًا: معرفة المكي والمدني	٢٤٤
ثالثًا: المعرب في التفسير	٢٤٥
رابعًا: موقفه من الإسرائيليات	٢٤٦

الموضوع الصفحة

قتادة

ما تميز به قتادة مما أثر في تفسيره ٢٥٢
أولاً: قوة حافظته ٢٥٢
أثر حافظته على تفسيره ٢٥٤
أ- بعده عن مخالفة الظاهر وقلة الاجتهاد والرأي في تفسيره ٢٥٥
ب- اهتمامه برواية أسباب النزول ٢٥٦
ثانيًا: إقلاله من الرواية عن بني إسرائيل ٢٥٦
أ- قلة تعرضه للرواية عن أهل الكتاب ٢٥٧
ب- مخالفته لمن فسَّر بالإسرائيليات ٢٥٧
جـ- تحرجه من رواية الإسرائيليات ٢٥٨
ثالثًا: الوعظ في تفسيره ٢٦٣
خصائص تفسيره ٢٦٣
١- أسلوب المخاطبة والحوار في تفسيره ٢٦٣
٢- أسلوب القسم لتأكيد المعنى المراد ٢٦٥
٣- شدة عباراته على المخالفين ٢٦٥
٤- جمال العبارة وصدقها وتأثيرها في وعظه ٢٦٧
٥- الوعظ في آيات الأحكام ٢٦٨
٦- الدقة في استنباط الفوائد الدعوية ٢٦٩
٧- اهتمامه بأمثال القرآن ٢٧٠
٨- عنايته بعلم المناسبات ٢٧٢
رابعًا: أثره في بعض علوم القرآن ٢٧٤
أ- توسعه في النسخ ٢٧٥
ب- أسباب النزول ٢٧٧
جـ- المكي والمدني ٢٧٧
أسباب كثرة المنقول عنه في التفسير ٢٧٨
١- عناية تلاميذه بنقل تفسيره ٢٧٨
٢- حضه على الكتابة ٢٨١
٣- كثرة رحلاته ٢٨١
٤- تعدد مصادره ٢٨٢

الموضوع	الصفحة
٥ ـ حافظته	٢٨٣
٦ ـ سبقه في علوم اللغة	٢٨٣
٧ ـ عنايته وحرصه على بيان وتفسير آيات الوعد والوعيد	٢٨٦
٨ ـ عدم دخوله في الفتن	٢٨٧
٩ ـ تأخر وفاته	٢٨٧
أبو العالية	
إمامته في القراءة	٢٨٨
تأثره بالمنهج المكي	٢٩١
جوانب تأثره بالمنهج المكي	٢٩٣
١ ـ اهتمامه بتأويل مشكل الآيات	٢٩٣
٢ ـ عنايته ومتابعته لأشباه القرآن وكلياته	٢٩٤
٣ ـ قلة تعرضه لتفسير آيات الأحكام	٢٩٤
٤ ـ تساهله في رواية الإسرائيليات	٢٩٥
٥ ـ بعده عن الأهواء	٢٩٥
أسباب قلة المروي عنه في التفسير	٢٩٦
١ ـ قلة الرواة عنه	٢٩٦
٢ ـ جل تفسيره جاء من رواية الربيع	٢٩٧
٣ ـ حب للخفاء	٢٩٧
٤ ـ كراهيته لكتابة العلم	٢٩٧
٥ ـ تشدده في قبول الرواية	٢٩٨
إسماعيل السدي	
مميزات تفسيره التي أدت إلى انتشاره	٣٠٠
١ ـ إكثاره في باب التفسير	٣٠٠
٢ ـ تعدد مصادره	٣٠١
٣ ـ الاهتمام بالتفسير الروائي	٣٠٢
٤ ـ عناية تلاميذه بنقل آثاره	٣٠٣
٥ ـ انقطاعه للتفسير واشتغاله به	٣٠٣
٦ ـ اهتمام بنقل أسباب النزول	٣٠٤
٧ ـ إكثاره من الرواية عن أهل الكتاب	٣٠٥

الموضوع	الصفحة
٨ ـ توسعه في القول بالنسخ	٣١٣
٩ ـ عنايته بعلم القراءات	٣١٥
١٠ ـ تأخر وفاته	٣١٥
عامر الشعبي	
أسباب قلة المروي عنه في التفسير	٣١٧
١ ـ شدة ورعة وكراهيته من التحديث والفتيا	٣١٧
٢ ـ كراهيته للرأي والقياس	٣٢٠
٣ ـ ورعه في التفسير	٣٢٣
٤ ـ اشتغاله بالآثار والسنن والأحكام الفقهية	٣٢٤
٥ ـ قلة الرواة عنه	٣٢٦
٦ ـ ما تعرض له من الفتن	٣٢٦
خصائص تفسيره	٣٢٧
١ ـ غلبة الجانب الأثري على أقواله	٣٢٧
٢ ـ تقدمه في علوم اللغة	٣٢٩
إبراهيم النخعي	
أسباب قلة المروي عنه في التفسير	٣٣٣
١ ـ هيبته وتورعه عن القول في تفسير القرآن	٣٣٣
٢ ـ تشدده في قبول الرواية	٣٣٥
٣ ـ انصرافه للفقه، وعنايته بالأحكام الفقهية	٣٣٧
٤ ـ كراهيته للكتابة	٣٣٨
٥ ـ ورود اللحن في كلامه	٣٣٩
٦ ـ ما وقع له من الفتن، وتقدم وفاته	٣٣٩
خصائص تفسيره	٣٤٠
١ ـ جمعه بين الرواية، والدراية	٣٤٠
٢ ـ تفوقه في الاجتهاد، والقدرة على الاستنباط	٣٤١
٣ ـ حرص أصحابه عل نشر علمه	٣٤٢
٤ ـ إعراضه عن الرواية عن أهل الكتاب	٣٤٣
سعيد بن المسيب	
أسباب قلة المروي عنه في التفسير	٣٤٦

الموضوع	الصفحة
١ ـ تعظيمه للتفسير وشدة ورعه فيه	٣٤٦
٢ ـ اشتغاله بالفقه والإفتاء	٣٤٧
٣ ـ قلة تحديثه وهيبة الناس له	٣٤٩
٤ ـ عدم تركه كتبًا	٣٥٠
٥ ـ النهي عن مجالسته	٣٥٠
الجانب الأثري الروائي عند سعيد وتأثيره في التابعين	٣٥٠
وفاته	٣٥٣
محمد بن كعب القرظي	
مميزات تفسيره	٣٥٧
الفصل الثاني: عرض لمدارس التفسير في عصر التابعين	٣٦٥
المبحث الأول: المدرسة المكية	٣٧١
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما	٣٧٢
أسباب تقدم ابن عباس في التفسير	٣٧٤
١ ـ دعاء النبي ﷺ له بالفقه في الدين، والعلم بالتأويل	٣٧٤
٢ ـ قرب منزلته من عمر	٣٧٥
٣ ـ الأخذ عن كبار الصحابة	٣٨١
٤ ـ قوة اجتهاده وقدرته على الاستنباط	٣٨٣
٥ ـ اهتمامه بالتفسير	٣٨٧
٦ ـ منهج ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ	٣٩٠
٧ ـ حرصه ـ رضي الله عنه ـ على نشر علمه	٣٩٣
٨ ـ رحلاته وأسفاره	٣٩٤
٩ ـ تأخر وفاته	٣٩٥
مقارنته بين أصحاب ابن عباس	٣٩٦
بين مجاهد وعكرمة	٣٩٦
أولاً: أوجه الشبه والاتفاق	٣٩٦
ثانيًا: بعض أوجه التباين والاختلاف	٣٩٧

الموضوع	الصفحة
بين عكرمة وسعيد	٤٠٢
بين عطاء بن أبي رباح وأصحاب ابن عباس	٤٠٦
أسباب كثرة المروي عنهم	٤٠٧
١ ـ إمامة ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ للمدرسة	٤٠٨
٢ ـ الأثر المكاني على المدرسة	٤٠٨
٣ ـ كثرة رحلاتهم وأسفارهم	٤٠٩
٤ ـ حرصهم على نشر علمهم	٤١٠
٥ ـ التصنيف والتدوين المبكر لآثار المدرسة	٤١١
٦ ـ قلة العلم في مكة زمن كبار الصحابة	٤١٢
٧ ـ كثرة اشتغالهم بالتفسير	٤١٢
٨ ـ الاجتهاد والقدرة على الاستنباط	٤١٣
٩ ـ كتابة التفسير	٤١٤
١٠ ـ البعد عن الفتن	٤١٦
أثرها	٤١٦
أثرها على المدرسة الكوفية	٤١٧
أثرها على المدرسة البصرية	٤٢٠
المبحث الثاني: المدرسة البصرية	٤٢٢
مقارنة بين البصريين	٤٢٧
بين الحسن وقتادة	٤٢٧
بين الحسن وابن سيرين	٤٣٢
جابر بن زيد والبصريون	٤٤١
الربيع بن أنس البكري	٤٤٣
بين الربيع وأبي العالية	٤٤٤
بين الحسن وأبي العالية	٤٤٦
أسباب كثرة المروي عنهم	٤٤٨
١ ـ كثرة روايتهم وتساهلهم في ذلك	٤٤٨
٢ ـ تقدمهم في معرفة اللغة	٤٥٠

الموضوع	الصفحة
٣ ـ بعد المدرسة عن الفتن	٤٥١
٤ ـ التدوين المبكر لآثار المدرسة	٤٥٢
٥ ـ إقدام المدرسة على اقتحام باب التفسير	٤٥٢
٦ ـ أثر ابن عباس عليها	٤٥٣
٧ ـ قلة الصحابة فيها	٤٥٣
٨ ـ الحرص على إبلاغ العلم ونشره	٤٥٤
أثرها	٤٥٤
المبحث الثالث: المدرسة الكوفية	٤٥٧
عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ	٤٥٨
أسباب قلة نتاج ابن مسعود	٤٦٢
١ ـ التحرج والورع عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ	٤٦٢
٢ ـ الاشتغال بالقراءة	٤٦٥
٣ ـ اشتغاله بالفقه، والافتاء	٤٦٩
٤ ـ تقدم وفاته ـ رضي الله عنه ـ	٤٦٩
أصحاب عبد الله	٤٧٠
١ ـ علقمة بن قيس	٤٧٢
٢ ـ مسروق	٤٧٤
٣ ـ بين مسروق وعلقمة	٤٧٥
٤ ـ عبيدة السلماني	٤٧٩
٥ ـ أبو ميسرة بن شرحبيل	٤٨٠
٦ ـ الأسود بن زيد	٤٨١
٧ ـ الحارثي الجعفي	٤٨٣
٨ ـ مرة الهمداني	٤٨٤
مقارنة بين الشعبي والنخعي	٤٨٥
أسباب قلة المروي عن المدرسة في التفسير	٤٩٢
١ ـ الهيبة والورع في التفسير	٤٩٢
٢ ـ التشدد في نقل الأحاديث والسنن	٤٩٦
٣ ـ كراهية الكتابة	٤٩٨

الموضوع	الصفحة
٤ ـ اشتغال المدرسة بالفقه والإفتاء	٤٩٩
٥ ـ الفتن وأثرها على المدرسة	٥٠٠
٦ ـ تقدم وفاة أصحاب عبد الله	٥٠٠
أثرها	٥٠١
أثرها على المدرسة المكية	٥٠١
أثرها على المدرسة البصرية	٥٠٣
المبحث الرابع: المدرسة المدنية	٥٠٥
زيد بن ثابت	٥٠٦
وفاته	٥١٠
أصحاب زيد بن ثابت	٥١٠
عروة بن الزبير	٥١١
سليمان بن يسار	٥١٢
بين أصحاب زيد	٥١٤
أسباب قلة المروي عنهم	٥١٦
١ ـ الورع من التعرض لتأويل القرآن	٥١٦
٢ ـ الاشتغال برواية السنن والآثار والسير	٥١٨
٣ ـ قلة الكتابة	٥١٩
أثرها	٥٢٠
أثرها على البصرة	٥٢١
أثرها على التفسير في الشام	٥٢٣
أثرها على المدرسة المكية	٥٢٤
المبحث الخامس: التفسير في الشام، واليمن، ومصر	٥٢٥
التفسير في الشام	٥٢٥
بين الشام والمدينة	٥٢٨
بين الشام والعراق	٥٣٢
التفسير في اليمن	٥٣٦
التفسير في مصر	٥٤٠

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث: خصائص مدارس التفسير	٥٤٧
المبحث الأول: خصائص المدرسة المكية	٥٤٨
الخصيصة الأولى: كثرة الاجتهاد والاستنباط	٥٤٨
مجالات اجتهاد المدرسة المكية	
١ ـ الدقة اللغوية	٥٥١
٢ ـ معالجة مشكل القرآن	٥٥٢
٣ ـ تفسير آيات الصفات	٥٥٣
٤ ـ اتساع دائرة التفسير	٥٥٤
الخصيصة الثانية: التخصص في علم التفسير	٥٥٥
الخصيصة الثالثة: قلة اهتمامهم بالعلوم الأخرى	٥٥٧
الخصيصة الرابعة: التوسع في الإسرائيليات	٥٥٨
المبحث الثاني: خصائص مدرسة البصرة	٥٦٠
الخصيصة الأولى: الجوانب اللغوية	٥٦٠
الخصيصة الثانية: الجانب الوعظي في التفسير	٥٦٦
الخصيصة الثالثة: اجتناب الإسرائيليات	٥٧٥
الخصيصة الرابعة: بروز التفسير بالسنة في المروي عنهم	٥٧٧
المبحث الثالث: خصائص المدرسة الكوفية	٥٧٩
الخصيصة الأولى: الاهتمام بتفسير آيات الأحكام	٥٧٩
الخصيصة الثانية: كثرة الاشتغال بالقراءة	٥٨٢
الخصيصة الثالثة: الهيبة، والورع في التفسير	٥٨٤
الخصيصة الرابعة: الاهتمام بنقل آثار ابن مسعود	٥٨٥
الخصيصة الخامسة: قلة الإسرائيليات في تفسيرها	٥٨٩
المبحث الرابع: خصائص المدرسة المدنية	٥٩٢
الخصيصة الأولى: هيبة التفسير والإقلال من التعرض له	٥٩٢
الخصيصة الثانية: الانشغال عن التفسير بالحديث والمغازي والسير	٥٩٥
الخصيصة الثالثة: السلامة من الأهواء والفتن	٥٩٧
الخصيصة الرابعة: الاهتمام بالقراءات	٥٩٩
الخصيصة الخامسة: الاهتمام بالنسخ والتوسع فيه	٦٠٠

الموضوع الصفحة

الباب الثالث

مصادر ومناهج التابعين في التفسير

الفصل الأول : مصادر التابعين في التفسير ٦٠٧
المبحث الأول : القرآن الكريم ٦٠٨
مسالك التابعين في تفسير القرآن بالقرآن ٦٠٩
طرق التابعين وأساليبهم في تفسير القرآن بالقرآن ٦١١
١ ـ نظائر القرآن ٦١١
٢ ـ الأشباه ٦١٥
٣ ـ الدلالة على التفسير بالسياق ٦١٧
٤ ـ بيان المجمل ٦١٨
٥ ـ تفسير العام بالخاص ٦٢١
٦ ـ التفسير باللازم ٦٢٣
٧ ـ توضيح المبهم ٦٢٤
٨ ـ بيان المعنى لفظ أو إيضاح مشكلة ٦٢٦
المبحث الثاني : السنة النبوية ٦٢٨
أسباب قلة المروي عنهم في هذا الباب عمومًا ٦٣٢
اختلاف التابعين في الاعتماد على المصدر ٦٣٣
منزلة هذا المصدر عند التابعين ٦٣٦
مسالك التابعين في تفسيرهم للقرآن بالسنة ٦٤٢
المبحث الثالث : التفسير بأقوال الصحابة ٦٥١
منهج التابعين في الأخذ عن الصحابة ٦٥٧
اختلاف مناهج التابعين في الأخذ عن الصحابة ٦٦٢
المدرسة الكوفية ٦٦٣
المدرسة المكية ٦٦٣
المدرسة المدنية ٦٦٤
المدرسة البصرية ٦٦٤

الموضوع	الصفحة
أسباب تفاوت التابعين في الأخذ عن الصحابة	٦٦٦
١ ـ كثرة أو قلة الصحابة في الأمصار	٦٦٦
٢ ـ حال الصحابي	٦٦٦
٣ ـ شخصية التابعي	٦٦٨
٤ ـ الرحلات والكتابة	٢٧٠
نتائج الأخذ عن الصحابة وآثارها	٦٧٢
١ ـ حفظ أخبار الصحابة، ومعرفة دقيق أحوالهم، والتمييز بينهم	٦٧٢
٢ ـ حفظ أقوال الصحابة	٦٧٣
٣ ـ الالتزام بمناهج الصحابة، والإفادة منها	٦٧٥
٤ ـ تبني أقوال الصحابة	٦٧٧
٥ ـ الرواية عن كبار التابعين والأقران	٦٧٨
المبحث الرابع: اللغة العربية	٦٨١
اختلاف التابعين في مدى اعتمادهم اللغة مصدراً من مصادر التفسير	٦٨٣
أهم الأسباب التي ساعدت التابعين على الاستفادة من اللغة	٦٨٩
١ ـ معرفة لسان العرب	٦٨٩
٢ ـ معرفة عادات العرب، وأخبارهم	٦٩٢
٣ ـ الإلمام بأشعار العرب	٦٩٥
٤ ـ معرفة فقه اللغة	٦٩٨
٥ ـ معرفة اشتراك اللغات (المعرب)	٧٠٢
المبحث الخامس: الاجتهاد	٧٠٨
اجتهاد التابعين في التفسير	٧٠٩
مواطن الاجتهاد في تفسيرهم	٧١٠
قيمة اجتهادهم	٧١١
أدوات الاجتهاد عندهم	٧١٢
مميزات اجتهاد التابعين	٧١٢
١ ـ تنوع عبارات الاجتهاد	٧١٣
٢ ـ الإيجاز غير المخل	٧١٤
٣ ـ عمق التأمل ودقة التفسير	٧١٥
٤ ـ قوة الاستنباط	٧١٦

الموضوع	الصفحة
٥ ـ الدقة في التفريق بين الألفاظ ذات المعاني المتقاربة	٧١٧
اختلاف مدارس التابعين، في تناول الاجتهاد في التفسير	٧١٩
المدرسة المكية	٧٢١
المدرسة البصرية	٧٢٢
المدرسة الكوفية	٧٢٢
المدرسة المدنية	٧٢٣
أسباب تفاوتهم في باب الاجتهاد	٧٢٣
١ ـ أثر الشيوخ في تلاميذهم	٧٢٣
٢ ـ الميول والاهتمامات	٧٢٦
٣ ـ أثر الرواية في تفاوت الاجتهاد عند التابعين	٧٣٤
٤ ـ المواهب الإلهية	٧٣٧
٥ ـ الورع	٧٣٩
٦ ـ أثر البيئة	٧٤٢
الفصل الثاني: منهجهم في التفسير	٧٤٧
المبحث الأول: منهجهم في القراءات	٧٤٨
منهج المدرسة الكوفية	٧٥٦
منهج المدرسة المكية	٧٥٨
منهج المدرسة البصرية	٧٦٠
منهج المدرسة المدنية	٧٦١
مناهج التابعين في الاستفادة من القراءات	٧٦٢
منهجهم في قبول القراءة أو ردها	٧٦٢
توجيه القراءة	٧٦٢
الترجيح بين القراءات	٧٦٥
معرفة المنسوخ من القراءات	٧٦٥
الترجيح في الأحكام بالقراءة	٧٦٦
الإفادة من القراءات في التفسير	٧٦٨
منهج التصويب والتخطئة	٧٧١

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني: منهجهم في آيات الاعتقاد	٧٨١
أولاً: منهجهم في تناول آيات الصفات	٧٨٥
باب الأسماء	٧٨٨
باب الصفات	٧٩٠
الوجه	٧٩٣
اليد	٧٩٤
تفسير الكرسي	٧٩٥
الساق	٧٩٧
الرؤية	٧٩٩
ثانيًا: منهج التابعين في تفسير الآيات المتعلقة بالإيمان	٨٠١
الإيمان قول، وعمل	٨٠٢
الإيمان يزيد وينقص	٨٠٣
ثالثًا: الإرجاء، وأثره على المدارس التفسيرية في عصر التابعين	٨٠٦
رابعًا: موقف التابعين من التكفير، وأثر ذلك في تفسيرهم	٨٠٩
خامسًا: القدر	٨١٤
سادسًا: التشيع	٨٢٦
سابعًا: الفرق، وأثرها في تفسير التابعين	٨٣٢
الخوارج	٨٣٣
القدرية	٨٣٧
التشيع	٨٤٠
المبحث الثالث: منهجهم في استنباط آيات الأحكام	٨٤٥
مدارس التفسير وأئمتها	٨٤٦
طرق الاستنباط عند مفسري التابعين	٨٥٤
١ ـ ملاحظة النسخ	٨٥٤
٢ ـ الاستدلال بالقراءة غير المتواترة	٨٥٦
٣ ـ الاستدلال بظاهر الآية	٨٥٧
٤ ـ الأخذ بالعمومات	٨٥٩
٥ ـ تخصيص العام	٨٦٢
٦ ـ حمل المطلق على المقيد	٨٦٣
٧ ـ الاستدلال بالمفهوم	٨٦٣
٨ ـ بيان المجمل	٨٦٥

الموضوع الصفحة

٩ ـ دلالات الأمر والنهي ٨٦٨
١٠ ـ الاستدلال بالعرف ٨٦٩
الاستنباط من اللغة، وعادات العرب ٨٧٠
موقف التابعين من إطلاق الأحكام التكليفية ٨٧٣
المبحث الرابع: منهجهم في تلقي الإسرائيليات ورواياتها ٨٧٥
الإسرائيليات بين القبول والرد ٨٧٦
جماع أعذار المفسرين في النقل عن بني إسرائيل ٨٨٣
موقف المدارس التفسيرية من الإسرائيليات ٨٨٤
المدرسة المكية ٨٨٥
المدرستان العراقيتان ٨٨٧
المدرسة المدنية ٨٨٨
الفرق بين الصحابة والتابعين في تناول الإسرائيليات ٨٨٩
١ ـ عدد المرويات ٨٨٩
٢ ـ كيفية إيراد المرويات ٨٨٩
٣ ـ ما انفرد به التابعون ٨٩٤
أسباب رواية الإسرائيليات في كتب التفسير ٨٩٥
١ ـ عنصر التشويق ٨٩٥
٢ ـ عدم وجود النص المرفوع ٨٩٦
٣ ـ الجمع بين ما ورد في القرآن والكتب السابقة ٨٩٧
٤ ـ توضيح المبهم ٨٩٩
٥ ـ عدم ظهور الإنكار الشديد في عصرهم ٩٠٠
نتائج وآثار الإسرائيليات في التفسير ٩٠٠
١ ـ مخالفة الظاهر ٩٠١
٢ ـ الجرح والرد لما جاء عن بعضهم ٩٠١
٣ ـ التوسع فيما لا طائل تحته مما اعتمده من جاء بعدهم ٩٠٢
٤ ـ غلبة الضعف على التفسير بالمأثور ٩٠٣
٥ ـ الاستدلال بالقرآن والسنة لتأييد الرواية عن بني إسرائيل ٩٠٤
٦ ـ الاطلاع على أحوال أهل الكتاب ٩٠٥
٧ ـ الترجيح ٩٠٦

الموضوع الصفحة
أشهر من أسلم من أهل الكتاب ٩٠٧

الباب الرابع
قيمة وأثر تفسير التابعين

الفصل الأول: قيمة تفسير التابعين رواية ٩١٨
١ ـ الحجم الكبير للآثار المنقولة عن التابعين ٩١٩
٢ ـ أسباب تفاوت المروي عن أئمة التابعين ٩٢٠
١ ـ أثر المكان ٩٢٠
٢ ـ حال الشيخ ٩٢١
٣ ـ حال التلاميذ ٩٢١
٣ ـ كثرة الطرق والشواهد لتفسيرهم ٩٢٣
٤ ـ التفسير بالمأثور بين الضعف والقوة ٩٢٦
٥ ـ طرق التفسير عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ٩٢٨
٦ ـ الطرق التي رويت بها آثار التابعين ٩٣٠
١ ـ طرق وأسانيد تفسير مجاهد ٩٣١
٢ ـ طرق وأسانيد الآثار عن قتادة في التفسير ٩٣٢
٣ ـ طرق وأسانيد تفسير سائر التابعين ٩٣٤
الفصل الثاني: قيمة تفسير التابعين دراية ٩٤١
المبحث الأول: نوع الخلاف بين مفسري التابعين ٩٤٣
أنواع الاختلاف ٩٤٥
اختلاف التنوع ٩٤٥
اختلاف التضاد ٩٤٥
أنواع اختلاف التنوع ٩٤٦
المبحث الثاني: مميزات تفسير التابعين ٩٥٣
١ ـ ظهور الاجتهاد في التفسير، ونشأة المدارس التفسيرية ٩٥٣
٢ ـ كثرة الاعتماد على المأثور في تفسيرهم ٩٥٥
٣ ـ الاستقلالية ٩٥٥

الموضوع	الصفحة
٤ ـ بدء عصر التدوين للتفسير وعلومه	٩٦٠
٥ ـ منهج التلقي والرواية	٩٦١
٦ ـ نواة الخلاف	٩٦٢
٧ ـ التابعون بين عصرين	٩٦٤
المبحث الثالث: منزلة تفسير التابعين عند العلماء	٩٦٨
منزلتهم في التفسير	٩٦٩
منزلتهم في أصول التفسير	٩٧٠
منزلتهم عند تابع التابعين	٩٧١
منزلتهم عند أصحاب المذاهب الفقهية المتبوعة	٩٧٢
١ ـ عند الإمام أبي حنيفة	٩٧٢
٢ ـ عند الإمام مالك	٩٧٣
٣ ـ عند الإمام الشافعي	٩٧٤
٤ ـ عند الإمام أحمد	٩٧٥
منزلتهم في كتب الزهد والرقائق	٩٧٦
الفصل الثالث: أثر التابعين في التفسير وأصوله	٩٧٩
المبحث الأول: أثر التابعين في كتب التفسير عند أهل السنة وغيرهم	٩٧٩
أثر التابعين في كتب التفسير بالمأثور	٩٨٣
من الآيات التي انفردوا بتفسيرها	٩٨٥
أثرهم في التفسير عند غير أهل السنة	١٠١٤
أثرهم في تفاسير الشيعة	١٠١٥
طبيعة الروايات والآثار في تفسير الشيعة	١٠١٥
النصوص القرآنية في تفسير الشيعة	١٠١٩
نظرة الشيعة لأئمة التفسير من التابعين	١٠٢٨
أثرهم في تفاسير الخوارج	١٠٣٣
المبحث الثاني: أثر التابعين في كتب أصول التفسير	١٠٣٥
١ ـ كليات القرآن (الوجوه والنظائر)	١٠٣٦
كليات الحروف	١٠٣٨
كليات الأسماء	١٠٣٩

الموضوع	الصفحة
كليات الأفعال	١٠٤١
كليات الأحكام	١٠٤٣
٢ ـ نزول القرآن	١٠٤٤
٣ ـ أسباب النزول	١٠٤٩
٤ ـ ما نزل أولاً وما نزل آخراً	١٠٥١
٥ ـ معرفة المكي والمدني	١٠٥٦
٦ ـ المحكم والمتشابه	١٠٧٢
٧ ـ الناسخ والمنسوخ	١٠٨٠
اتساع مفهوم النسخ عند التابعين	١٠٨١
أنواع النسخ عند التابعين	١٠٨٣
على أي شيء يقع النسخ	١٠٨٦
المدارس التفسيرية والنسخ	١٠٨٦
كيفية تناول التابعين للنسخ	١٠٨٨
الآيات التي ورد عنهم القول فيها بالنسخ	١٠٩٠
٨ ـ أمثال القرآن	١١١٥
المقارنة بين تناول التابعين للأمثال، وبين تناول الصحابة	١١١٩
٩ ـ إقسام القرآن	١١٣١
١٠ ـ علم المناسبات	١١٣٤
١١ ـ المصاحف والأداء	١١٤١
تحزيب القرآن	١١٤٥
معرفة أسماء السور	١١٤٦
الأداء	١١٤٨
معرفة الحضري والسفري مما نزل	١١٤٩
ما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة	١١٥٠
ما تأخر حكمه عن نزوله	١١٥٠
ما نزل مفرقًا، وما نزل جمعًا	١١٥١
ما نزل مشيعًا	١١٥١
ما أنزل من القرآن على بعض الأنبياء	١١٥١
من آداب تلاوته وتأليفه	١١٥٢

الموضوع الصفحة

معاني بعض الأدوات التي يحتاج إليها المفسر ١١٥٣
معرفة إعراب القرآن ١١٥٤
موهم الاختلاف في القرآن ١١٥٤
دلالة المنطوق ١١٥٥
بيان كنايات القرآن ١١٥٥
معرفة الإيجاز في القرآن والإطناب ١١٥٥
بدائع القرآن ١١٥٦
من العلوم المستنبطة من القرآن ١١٥٦
وفي معرفة ما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب ١١٥٧
من أخبار الأنبياء ١١٥٧
من أسماء غير الأنبياء التي جاءت في القرآن ١١٥٨
من أسماء القبائل والأقوام ١١٥٩
معرفة الأماكن والبقاع والجبال ١١٥٩
من الأسماء الأخروية ١١٦٠
معرفة المبهمات ١١٦١
مفردات القرآن ١١٦٣
خواص القرآن ١١٦٤
بيان شرف التفسير والحاجة إليه ١١٦٤
الخاتمة ١١٦٧
الفهارس
فهرس النتائج والفوائد ١١٨٣
فهرس المصادر والمراجع ١٢٠٧
فهرس الموضوعات ١٢٤٥

• • •